



شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

بتحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء التاسع عشر

دار الجيل

بيروت

محقق الطبع محفوظ للناس
طبعة ثانية
١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بيان

يشتمل هذا الجزء على شرح طائفة من مختار حكم أمير المؤمنين ، ومواعظه وأجوبة مسائله والكلام القصير الخارج في سائر أغراضه ؛ وهو القسم الثاني مما اختاره له الشريف الرضى في كتاب ” نهج البلاغة “ ؛ وينتهى هذا القسم في أثناء الجزء التالى .

وقد روجع على الجزء الرابع من المجموعة الخامسة من النسخة المصورة عن أصلها المحفوظ بمكتبة المتحف البريطانى برقم ١٢٦ ، وهى التى رمزت لها بالحرف ا .

وأصل هذا الجزء يقع فى ٩٠ ورقة مسطرتها ٢٥ سطرا ، فى كل سطر ١٣ كلمة تقريبا ، مكتوب بخط نسخ معتاد قليل الشكل ، ولم يتضح اسم ناسخه ولا تاريخ نسخه ، ويبدو أنه كتب فى القرن الحادى عشر .

كما روجع على ما يقابله من المجلد الأخير من النسخة المحفوظة بدار الكتب برقم ١٨٦٨ - أدب ؛ وهى التى رمزت لها بالحرف د ، وسبق وصفها فى مقدمة الجزء السادس عشر من هذه الطبعة . وعلى النسخة المطبوعة فى طهران سنة ١٢٧١ عن أصلها المخطوط فى هذا التاريخ ، والتى رمزت لها بالحرف ب .

والله الموفق للصواب .

محمد أبو الفضل إبراهيم

٧١ ربيع الأول سنة ١٣٨٣ هـ
٢٨١ يولييه سنة ١٩٦٣ م

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

(٥٨٦ - ٦٥٦)

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد العدل

(١٨٦)

الأضل :

إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَآيَا ، وَنَهَبُ تَبَادُرِهِ الْمَصَائِبُ ؛ وَمَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقَ ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ ، وَلَا يَنَالُ الْعَبْدُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى ، وَلَا يَسْتَقْبِلُ يَوْمًا مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا بِفِرَاقٍ آخَرَ مِنْ أَجْلِهِ ؛ فَتَحْنُ أَعْوَانُ الْمُتَوَكِّلِينَ ، وَأَنْفُسُنَا نَصَبُ الْخُتُوفِ ، فَمِنْ أَيْنَ نَرْجُو الْبَقَاءَ ؛ وَهَذَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَمْ يَرَفَعَا مِنْ شَيْءٍ شَرْقًا ، إِلَّا أَسْرَعَا الْكَرَّةَ فِي هَذِهِ مَابَنِيَا ، وَتَفَرَّقَا مَاجَمَا !

الشنج :

قد سبق ذره^(١) من هذا الكلام في أثناء خطبته عليه السلام ، وقد ذكرنا نحن أشياء كثيرة في الدنيا وتقلبها بأهلها .

ومن كلام بعض الحكماء : طوبى للهارب من زخارف الدنيا ، والصاد عن زهرة ديمتها ، والخائف عند أمانها ، والمتهم لزمانها ، والباكي عند ضحكها إليه ، والمتواضع عند إعزازها له ، والناظر بعين عقله إلى فضائنها ، والمتأمل لقبح مصارعها ، والطارك

(١) ذره : أى طرف .

لِكَلَابِهَا عَلَى جَيْفِهَا ، وَالْمَكْذَبَ لِمَوَاعِيدِهَا ، وَالتَّيَقُّظَ لِحُدُوعِهَا ، وَالْمَعْرِضَ عَنْ لُصْعِهَا ،
وَالْعَامِلَ فِي إِمَائِهَا ، وَالتَّزَوُّدَ قَبْلَ إِعْجَالِهَا .

قوله : « تَنْتَضِلُّ » النَّضْلُ شَيْءٌ يَرْمَى ، وَيُرْوَى « تَبَادُرُهُ » أَيْ تَبَادُرُهُ ،
وَالْفَرَضُ : الْمَدْفُوفُ .

وَالنَّهْبُ : الْمَالُ الْمَنْهُوبُ غَنِيمَةً ، وَجَمْعُهُ نِهَابٌ .

وقد سبق تفسير قوله : « لَا يَنَالُ الْعَبْدُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى » ، وَقُلْنَا : إِنَّ الَّذِي
حَصَلَتْ لَهُ لَذَّةُ الْجَمَاعِ حَالِ مَا هِيَ حَاصِلَةٌ لَهُ ، لَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ مُفَارِقًا لَذَّةِ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ ،
وَكَذَلِكَ مَنْ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ يَكُونُ مُفَارِقًا حَالِ أَكْلِهِ وَشَرْبِهِ لَذَّةِ الرِّكْضِ عَلَى الْخَلِيلِ
فِي طَلَبِ الصَّيْدِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

قوله : « فَتَحْنُ أَعْوَانُ الْمُنُونِ » ؛ لِأَنَّا نَأْكُلُ ، وَنَشْرَبُ ، وَنَجْمَعُ ، وَنَرْكَبُ الْخَلِيلَ ،
وَالْإِبِلَ ، وَنَتَصَرَّفُ فِي الْحَاجَاتِ وَالْمَآرَبِ ؛ وَالْمَوْتَ إِنَّمَا يَكُونُ بِأَحْدِهِذِهِ الْأَسْبَابُ ، إِمَامِنَ
أَخْلَاطٍ تَحْدِثُهَا الْمَآكِلُ وَالْمَشَارِبُ ، أَوْ مِنْ سَقَطَةٍ يَسْقُطُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَابَّةٍ هَوَّارٍ كَبِهَا ،
أَوْ مِنْ ضَعْفٍ يَلْحَقُهُ مِنَ الْجَمَاعِ الْمَفْرِطِ ، أَوْ لِمَصَادِمَاتٍ وَاصْطِكَكَاتٍ تُصِيبُهُ عِنْدَ تَصَرُّفِهِ
فِي مَآرِبِهِ وَحَرَكَتِهِ وَسَعْيِهِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ ؛ فَكُنَّا نَحْنُ أَعْنَاءُ الْمَوْتِ عَلَى أَنْفُسِنَا .

قوله : « نَصَبُ الْحَتُوفِ » يَرْوَى : بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ ، فَمَنْ رَفَعَ فَهُوَ خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ ، وَمَنْ
نَصَبَهُ جَعَلَهُ ظَرْفًا .

(١٨٧)

الأفضل :

لَا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ ، كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ .

الشرح :

قلد تكرر ذكر هذا القول ، وتكرر منا شرحه ^(١) وشرح نظائره .
وكان يقال : ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة مبهمة ، أو صورة ممثلة .
وكان يقال : اللسان عضو إن مرنته مرّن ^(٢) ، وإن تركته خزن ^(٣) .

(٢) : « تمرن » .

(١) « شرح له » .

(٣) خزن : تغير وفسد .

(١٨٨)

الأصل

يَا بَنَ آدَمَ ، مَا كَسَبْتَ فَوْقَ قُوَّتِكَ ، فَأَنْتَ فِيهِ خَازِنٌ لِغَيْرِكَ .

الشرح :

أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى بَعْضُهُمْ ؛ فَقَالَ :

مَالِي أَرَاكَ اللَّهُمَّ تَجَمُّعُ دَائِبًا أَلْبَعْلِي عِرْسِيكَ لَا أَبَالِكَ تَجَمُّعُ !
وعاد الحسنُ البصريُّ عبدَ الله بن الأَهمِّ في مرضه الَّذِي مات فيه ، فأقبلَ عبدُ الله
يَصْرِفُ بَصْرَهُ إِلَى صُنْدُوقٍ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ ، ثُمَّ قَالَ لِلْحَسَنِ : يَا أَبَا سَعِيدَ ، فِيهِ مِائَةُ أَلْفٍ
لَمْ يُؤَدَّ مِنْهَا زَكَاةً ، وَلَمْ تُوصَلْ بِهَا رَحِمٌ ؛ قَالَ الْحَسَنُ : تَسَكَّلْتُكَ أَثْمَكُ ! فَلِمَ أَعْدَدْتَهَا ؟
قَالَ : لِرَوْعَةِ الزَّمَانِ ، وَمُكَاثَرَةِ الْإِخْوَانِ ، وَجَفْوَةِ السُّلْطَانِ .

ثُمَّ مَاتَ ، فَخُفِرَ الْحَسَنُ جَنَازَتَهُ ، فَلَمَّا دُفِنَ صَفَّقَ ^(١) بِأُحْدَى رَاحَتَيْهِ الْأُخْرَى ، وَقَالَ :
إِنَّ هَذَا تَأَهُ شَيْطَانُهُ ، فَخَذَرَهُ رَوْعَةُ زَمَانِهِ ، وَجَفْوَةُ سُلْطَانِهِ ، وَمُكَاثَرَةُ إِخْوَانِهِ ، فِيمَا
أَسْتَوْدَعَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ فَادَّخَرَهُ ؛ ثُمَّ خَرَجَ مِنْهُ كَثِيرًا حَزِينًا ، لَمْ يُؤَدَّ زَكَاةً ، وَلَمْ يَصِلْ رَحِمًا .
ثُمَّ التَفَتَ فَقَالَ : أَيُّهَا الْوَارِثُ ، كُلْ هُنَيْثًا ، فَقَدْ أَتَاكَ هَذَا الْمَالُ حَلَالًا ، فَلَا يَكُنْ عَلَيْكَ
وَبَالًا ، أَنْتَ تَمَنَّيْتَ أَنْ تَكُونَ لَهْ جَمْعًا مَنُوعًا ، يَرْكَبُ فِيهِ لُجَجُ الْبَحَارِ ، وَمَتَاوِزَ الْقِفَارِ ، مِنْ بَاطِلٍ
جَمَعَهُ ، وَمِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ ، لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ فِي حَيَاتِهِ ، وَضَرَّهَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، جَمَعَهُ فَأَوْعَاهُ ، وَشَدَّهَ
فَأَوْكَاهُ ^(٢) إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ يَوْمَ ذِي حَسَرَاتٍ ، وَإِنْ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتُ أَنْ تَرَى مَا لَكَ
فِي مِيزَانِ غَيْرِكَ ؛ بَخِلْتَ بِمَالٍ أَوْ تَيْتَهُ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ أَنْ تُنْفِقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، نَغَزَنَتْهُ
لِغَيْرِكَ ، فَأَنْفَقَهُ فِي مَرْضَاةِ رَبِّهِ ، يَا لَهَا حَسْرَةً لَا تُقَالُ ، وَرَحْمَةً لَا تُنَالُ ! إِنَّا لِلَّهِ
وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ !

(١) صفق بإحدى راحتيه الأخرى أى ضرب عليها .

(٢) أوكاه : أحكم رباطه ، من الوكاه ؛ وهو رباط القرية .

(١٨٩)

الأضد :

إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِقْبَالَ ، وَإِذْبَاراً ؛ فَأَتَوْهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا ، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ .

البنخ :

قد تقدم القول في هذا المعنى .

والعلة في كون القلب يعمى إذا أُكْرِهَ على ما لا يحبّه ، أن القلب عضو من الأعضاء ، يتعب ويستريح كما تتعب الجثة عند استعمالها وأعمالها ، وتستريح عند ترك العمل ، كما يتعب اللسان عند الكلام الطويل ، ويستريح عند الإمساك ، وإذا تواصل^(١) إكراه القلب على أمر لا يحبّه ولا يؤثره تعب ، لأنّ فعل غير المحبوب متعب ؛ ألا ترى أنّ جماع غير المحبوب يحدث من الضعف أضعاف ما يحدثه جماع المحبوب ؛ والركوب إلى مكان غير محبوب متعب ولا يشتفى يتعب البدن أضعاف ما يتعبه الركوب إلى تلك المسافة إذا كان المكان محبوباً ، وإذا أتعّب القلب وأغيا ، عجز عن إدراك ما نكلفه إدراكه ، لأنّ فعله هو الإدراك ، وكلّ عضو يتعب فإنه يعجز^(٢) عن فعله الخاص به ، فإذا عجز القلب عن فعله الخاص به وهو العلم والإدراك ؛ فذاك هو عماء .

(٢) ١ : « عاجز » .

(١) ١ : « توصل » .

(٢٩٠٠)

الأصل :

وكان عليه السلام يقول :

مَتَى أَشْفِي غَيْظِي إِذَا غَضِبْتُ ! أَحِينَ أَنْجِزُ عَنْ الْأَنْتِقَامِ فَيُقَالُ لِي : لَوْ صَبَرْتَ !!
أَمَّ حِينَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ ، فَيُقَالُ لِي : لَوْ عَفَوْتَ !

التبسيط :

قد تقدم القول في الغضب مرارا .

وهذا الفصل فصيحٌ لطيفٌ المعنى ؛ قال : لا سبيل لي إلى شفاء غيظي عند غضبي ،
لأنني إما أن أكون قادرا على الانتقام فيصدمني عن تعجيله قول القائل : لو غفرت لكان
أولى ! وإما ألا أكون قادرا على الانتقام فيصدمني عنه كوني غير قادر عليه ؛ فإذا
لا سبيل لي إلى الانتقام عند الغضب .

وكان يقال : العقل كالمرآة المجلوة يُصَدِّدُهُ الغضب ، كما تصدأ المرآة بالخل ، فلا يثبت
فيها صورة القبح والحسن .

واجتمع سُنيان التورئ وفُضِّل^(١) بن عياض فتذاكرا الزهد ، فلما جمعا على أن
أفضل الأعمال الحليم عند الغضب ، والصبر عند الطمع .

(١٩١)

الأصل :

وقال عليه السلام وقد مرَّ بِقَدَرٍ عَلَى مَرْبَلَةٍ : هَذَا مَا بَخَلَّ بِهِ الْبَاخِلُونَ .
وَفِي خَيْرٍ آخِرُ أَنَّهُ قَالَ : هَذَا مَا كُنْتُمْ تَتَنَافَسُونَ فِيهِ بِالْأَمْسِ !

الشرح :

قد سبق القولُ في مثل هذا ، وأن الحسن البصريَّ مرَّ على مَرْبَلَةٍ ، فقال : انظروا
إلى بَطْطِهِمْ ودَجَاجِهِمْ وحُلُواتِهِمْ وعَسَلِهِمْ وشمَمِهِمْ ؛ والحسن إنما أخذه من كلام أمير المؤمنين
عليه السلام ، وقال ابن وكيع في قول المتنبي :

لو أفكر العاشقُ في مُنتهى حُسْنِ الذى يَسْبِيهِ لم يَسْبِهِ ^(١)

إنه أراد : لو أفكر في حاله وهو في القبر ، وقد تغيّرت محاسنه ، وسالت عَيْنَاهُ ،

قال : وهذا مثلُ قولهم : لو أفكر الإنسان فيما يثول إليه الطعام لعافته نفسه .

وقد ضرب العلماء مثلاً للدنيا ومخالفة آخرها أولها ، ومضادة مبادئها عواقبها ،
فقالوا : إنّ شهوات الدنيا في القلب لذیذةٌ كشهوات الأَطْعِمَةِ في المعدة ، وسيجد
الإنسان عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنّئن والتفج ما يجده للأطعمة
الذیذة إذا طبختها المعدة وبلغت غايةً نُضجها ، وكما أن الطعام كلما كان ألذّ طعمًا وأظهر
حلاوة ، كان رجيعه أؤزر وأشدَّ نتنًا ؛ فكذلك كلُّ شهوة في القلب أشهى وألذّ أقوى ،

فإن نَقَنَها وكرَاهَتَها والتأذَّى بها عند الموت أشدَّ ، بل هذه الحال في الدنيا مُشاهدة ، فإن [من] ^(١) نهبت داره ، وأخذ أهله وولده وماله ، تكون مصيبته وألمه وتفجعه في الذي فقد بمقدار لذته به ، وحبه له ، وحرصه عليه ، فكلُّ ما كان في الوجود أشهى وألذَّ ، فهو عند النقْد أدهى وأمرّ ، ولا معنى للموت إلّا فقد ما في الدنيا .

وقد روى أن النبي صلى الله عليه وآله قال للضحَّاك بن سُفْيَانَ الكلابي : أَلَسْتَ تُؤْتَى بطعامك وقد قَرَحَ وملح ^(٢) ، ثم تشرب عليه اللبن والماء ! قال : بلى ، قال : فإلى ماذا يصير ؟ قال : إلى ما قد علمت يارسول الله ؛ قال : فإن الله عز وجل ضربَ مثل الدنيا بما يصير إليه طعام ابن آدم .

وروى أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إن أنت ضربتَ مثلاً لابن آدم فانظر ما يخرج من ابن آدم ، وإن كان قَرَحَ وملحهُ إلى ماذا صار . وقال الحسن رحمه الله : قد رأيتهم يطيبونه بالطيب والأفاويه ^(٣) ثم يرمونه حيث رأيتهم ، قال الله عز وجل : ﴿ فليُنظر الإنسانُ إلى طعامه ﴾ ^(٤) ، قال ابن عباس : إلى رَجيعه .

وقال رجل لابن عمر : إني أريد أن أسألك وأستحي ، فقال : لا تستحي وسَلْ ؛ قال : إذا قضى أحدنا حاجته فقام ، هل ينظر إلى ذلك منه ؟ فقال : نعم ، إن المَلَك يقول له : انظر هذا ما بَخَلْتَ به ، انظر إلى ماذا صار !

(١) تكملة من د .

(٢) يقال : قَرَحَ القدر كمنه ؛ جعل فيها بزر البصل والتابل .

(٣) الأفاوه : جمع أفواه ؛ ومى التوابل .

(٤) سورة عبس ٢٤ .

(١٩٢)

الأفضل :

لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ .

الشنخ :

مثل هذا قولهم : إن المصائب أئمان التجارب .

وقيل لعالم فقير بعد أن كان غنياً : أين مالك ؟ قال : تَجَرَّتْ^(١) فيه فابتعتُ به تجربة
الناس والوقت ، فاستفدتُ أشرفَ العَوَاضِلِ^(٢) .

(٢) ١ : « الشين » .

(١) ١ : « تاجرت » .

(١٩٣)

الأصل

إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ ، فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ .

الشرح :

هذا قد تكرر ، وتكرر منّا ذِكْرُ ما قيل في إجمام النفس . والتنفيس عنها من كَرْبِ الْجِدِّ وَالْإِحْضاضِ^(١) وفسرنا معنى قوله عليه السلام : « فابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ » وقلنا : المراد ألا يَمَلَّ الإنسانُ وقته كله مصروفاً إلى الأنظار العقلية في البراهين الكلامية والحكمية ، بل ينقلها من ذلك أحيانا إلى النظر في الحكمة الخلقية فإنها حكمة لا تحتاج إلى إغتاب النفس والباطل .

فأما القول في الدُّعَابَةِ فقد ذكرناه أيضا فيما تقدّم ، وأوضحنا أن كثيرا من أعيان الحكماء والعلماء كانوا ذوى دُعَابَةٍ مقتصدة لا مسرفة ، فإن الإسراف فيها يُخْرِجُ صاحبه إلى الخلاعة ، ولقد أحسن من قال :

أَفْذُ طَبْعِكَ الْمَكْدُودَ بِالْجِدِّ رَاحَةً تَجَمُّ وَعَلَّاهُ بِشَيْءٍ مِنَ اللَّزْحِ^(٢)
ولكن إذا أعطيتَه ذاكَ فليكن بمقدارٍ ما يُعْطَى الطَّعامُ مِنَ الْمِلْحِ^(٣)

(٢) الكسود : المجهد .

(١) الإحاض : التنقل من الجِدِّ إلى الزَّح .

(٣) أى على قدر من الاعتدال .

(١٩٤)

الأصل

وقال عليه السلام لَمَّا تَمِيعَ قَوْلَ الْخَوَارِجِ : لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ، كَلِمَةً حَقًّا يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ .

الشَّيْخُ :

معنى قوله سبحانه : ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ ^(١) ، أى إذا أراد شيئاً من أفعال نفسه فلا بد من وقوعه ، بخلاف غيره من القادرين بالقدرة فإنه لا يجب حصول مرادهم إذا أرادوه ، ألا ترى ما قبل هذه الكلمة : ﴿ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ خاف عليهم من الإصابة بالعين إذا دخلوا من باب واحد ، فأمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة ، ثم قال لهم : « وما أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ » ، أى إذا أراد الله بكم سوءاً لم يدفع عنكم ذلك السوء ما أشرت به عليكم من التفرق ؛ ثم قال : ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ أى ليس حتى من الأحياء يَنْفُذُ حكمه لا محالة ومراده لما هو من أفعاله إلا الحى القديم وحده ، فهذا هو معنى هذه الكلمة ، وضلت الخوارج عندها فأنكروا على أمير المؤمنين عليه السلام موافقته على التحكيم ؛ وقالوا : كيف يحكم وقد قال الله سبحانه : ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ ، فغلطوا الموضع اللفظ المشترك ، وليس هذا الحكم هو ذلك الحكم ، فإذا هى كلمة حق يراد بها باطل ، لأنها حق على المفهوم الأول ، ويريد بها الخوارج نقي كل ما يسمي حكماً إذا صدر عن غير الله تعالى ، وذلك باطل ، لأن الله تعالى قد أمضى حكم المخلوقين فى كثير من الشرائع .

(١) سورة يوسف ٦٧ .

(١٩٥)

الأصل :

وقال عليه السلام في صفة الغوغاء :
 هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا غَلَبُوا ، وَإِذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرِفُوا .
 وقيل : بَلْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا ضَرُّوا ، وَإِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا ،
 فَقِيلَ : قَدْ عَلِمْنَا مَضَرَّةَ اجْتِمَاعِهِمْ ، فَمَا مَنِّفَعَةُ افْتِرَاقِهِمْ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
 يَرْجِعُ أَهْلُ الْيَمَنِ إِلَى مِيَنِهِمْ ، فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ ، كَرُجُوعِ الْبَنَاءِ إِلَى
 بَنَائِهِ ، وَالنَّسَاجِ إِلَى مَنْسَجِهِ ، وَالْخَبَازِ إِلَى تَخْبِزِهِ .

السنخ :

كَانَ الْحَسَنُ إِذَا ذَكَرَ الْغَوَّاءَ وَأَهْلَ السُّوقِ قَالَ : قَتَلَهُ الْأَنْبِيَاءُ ؛ وَكَانَ يُقَالُ : الْعَامَّةُ
 كَالْبَحْرِ إِذَا هَاجَ أَهْلُكَ رَاكِبَهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا تَسْبُوا الْغَوَّاءَ فَإِنَّهُمْ يُطْفِئُونَ الْحَرِيقَ ،
 وَيُنْقِذُونَ الْغَرِيقَ ، وَيُسَدُّونَ الْبُثُوقَ ^(١) .

وَقَالَ شَيْخُنَا أَبُو عُمَانَ : الْغَاغَةُ وَالْبَاغَةُ ^(٢) وَالْحَاكَّةُ كَأَنَّهُمْ أَعْدَارُ عَاطِمٍ وَاحِدٍ ، أَلَا
 تَرَى أَنَّكَ لَا تَجِدُ أَبَدًا فِي كُلِّ بَلَدَةٍ وَفِي كُلِّ عَصْرِ هَوْلًا بِمَقْدَارٍ وَاحِدٍ وَجَهَةً وَاحِدَةً
 مِنَ الشَّخْفِ وَالنَّقْصِ وَالْخَمُولِ وَالْعِبَاوَةِ ؛ وَكَانَ الْمَأْمُونُ يَقُولُ : كُلُّ شَرٍّ وَظُلْمٍ ^(٣) فِي الْعَالَمِ

(٢) البَاغَةُ : الْحَقِي .

(١) الْبُثُوقُ : الشَّقَاقُ فِي الْأَنْهَارِ .

(٣) فِي د : « وَضَر » .

فهو صادرٌ عن العامة والفوغاء ، لأنهم قتلَ الأنبياء والمُفْرُوتَ^(١) بين العلماء ،
والنَّمَامُونَ بين الأودِيَاءِ^(٢) ، ومنهم اللصوص ، وقُطَاعُ الطَّرِيقِ ، والطرَّارون^(٣) ،
والمحتالون والساعون إلى السلطان^(٤) ، فإذا كان يوم القيامة حُشِرُوا على عاداتهم في السَّعَايَةِ
فقالوا : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضَعْفَيْنِ مِنْ
الْعَذَابِ وَالْعَنُتُمْ لَعْنَا كَبِيرًا ﴾^(٥) .

(١) في د « والمُفْرُوتَ » .
(٢) في د « الأولياء » .
(٣) الطرارون : « المروجون للسلع » .
(٤) ١ : المحكام .

(١) في د « والمُفْرُوتَ » .
(٢) الطرارون : « المروجون للسلع » .
(٣) سورة الأحزاب ٦٧ .
(٤) ١ : المحكام .

(١٩٦)

الأضل :

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ أَتَى بَجَانٍ وَمَعَهُ غَوْنَاءُ فَقَالَ :
لَا مَرْحِيًّا بِوُجُوهِ لَا تُرَى إِلَّا عِنْدَ كُلِّ سَوَاءَةٍ .

الشَّيْخُ :

أَخَذَ هَذَا الَلْفْظَ لِلسَّمْعَيْنِ بِاللَّهِ وَقَدْ أُدْخِلَ عَلَيْهِ ابْنُ أَبِي الشَّوَّارِبِ الْقَاضِي وَمَعَهُ أَنَّهُ
لَيَشْهَدُوا عَلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ خَلَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ وَبَايَعَ لِمُعْتَزٍّ بِاللَّهِ ، فَقَالَ : لَا مَرْحَابَ هَذِهِ الْوُجُوهِ
الَّتِي لَا تُرَى إِلَّا يَوْمَ^(١) سَوَاءٍ .

وَهَئِلَ مِنْ مَدْحِ الْغَوْنَاءِ وَالْعَامَّةِ : إِنَّ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : إِنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ هَذَا
يَقُومُ لَا خَلْقَ لَهُمْ .

وَكَانَ الْأَحْنَفُ يَقُولُ : أَكْرِمُوا سُفَهَاءَ كَمِ فَإِنَّهُمْ يَكْفُونَكُمْ النَّارَ وَالْعَارَ .
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَأَيُّ لَأَسْقِيَّ أَمْرًا السُّوءَ عُدَّةً لَعَدُوَّةٍ عَرِيضٍ مِنَ النَّاسِ جَائِبٍ^(٢)
أَخَافُ كِلَابَ الْأَبْمَدِينِ وَهَرَشَهَا إِذَا لَمْ تُجَاوِزْهَا كِلَابُ الْأَقَارِبِ

(١) د « لا عند السوء » .

(٢) الجائِبُ : التَّنْقِلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ .

(١٩٧)

الأفضل :

إِنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ ، فَلَإِذَا جَاءَ الْقَدِيرُ خَلِيًّا بَيْنَهُ وَمَوَدَّةً ، وَإِنْ
الْأَجَلَ جُنَّةً حَصِينَةً .

الشرح :

قد تقدم هذا ، وقلنا : إنه ذهب كثير من الحكماء هذا المذهب ، وإن الله تعالى
ملائكة موكلة تحفظ البشر من التردى في بئر ، ومن إصابة سهم معترض في
طريق ، ومن رفس دابة ، ومن هش حية ، أو تسع عقرب ، ونحو ذلك . والشرائع
أيضاً قد وردت بمثله [وإِنَّ] ^(١) الأجل جنة ، أى درع ، ولهذا في علم الكلام مخرج
صحيح ، وذلك لأن أصحابنا يقولون : إن الله تعالى : إذا علم أن في بقاء زيد إلى وقت
كذا أطفأ له أو لغيره من المكلفين صدىً من يهتّم بقتله عن قتله بالطفاف يفعلها تصدّه
عنه أو تصرفه عنه بصارف ، أو يمنعه عنه يمانع ، كي لا يقطع ذلك الإنسان بقتل زيد
الأنطاف التي يعلم الله أنها مقربة من الطاعة ، ومُبعدة من المعصية ^(٢) لزيد
أو لغيره ، فقد بان أن الأجل على هذا التقدير جنة حصينة لزيد ، من حيث كان الله
تعالى باعتبار ذلك الأجل مانعاً من قتله وإبطال حياته ، ولا جنة أحصن من ذلك .

(٢) د « عن القبيح » .

(١) من د ، وفي ب : « وأما » .

(١٩٨)

الأفضل :

وقال عليه السلام : وَقَدْ قَالَ لَهُ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ : نُبَايَعُكَ عَلَى أَنَّا تُرِكَاؤُكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ ؛ فَقَالَ :

[لا]^(١) : وَلَكِنَّكُمَا شَرِيكَايَ فِي الْقُوَّةِ وَالْإِسْتِعَانَةِ ، وَعَوْنَانِ عَلَى الْعَجْرِ وَالْأَوْدِ .

البشرح :

قد ذكرنا هذا فيما تقدم حيث شرحنا بيعة المسلمين لعلي عليه السلام كيف وقعت بعد مقتل عثمان ، ولقد أحسن فيما قال لها لما سألاه أن يُشْرِكَاه في الأمر ، فقال : أما المشاركة في الخلافة فكيف يكون ذلك ؟ وهل يصح أن يدبر أمر الرعية إمامان !

* وهل يُجْمَع السيفان ويحك في غمد^(٢) * .

وإنما تُشْرِكَايَ في القوة والاستعانة أي إذا قوَّى أمرى وأمر الإسلام بي قوينا أنما أيضا ، وإذا هجرت عن أمر ، أو تأود على أمر - أي أعوجج - كنما عونين لي ومساعدتين على إصلاحه .

فإن قلت : فما معنى قوله : « والاستعانة » ؟

قلت : الاستعانة ها هنا الفوز والظفر ، كانوا يقولون للقائم يفوز قدحه : قد جرى ابنا عنان . وما خطان يُخْطَان في الأرض يُزجر بهما الطير ، واستعان الإنسان ، إذا قال وقت الظفر والغلبة هذه الكلمة .

(٢) مجز بيت لأبي ذؤيب الهذلي ، وصدره :

* تريدن كَيْمَا تَجْمَعِينِي وَخَالِدًا *

(١) نكلمة من « د » .

ديوان الهذليين ١ : ١٥٩ .

(١٩٩)

الأصل :

أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِنَّ قُلُوبَكُمْ تَمِيعٌ ، وَإِنْ أَضْمَرْتُمْ عَلِيمٌ ، وَبَادِرُوا
الْمَوْتَ الَّذِي إِنَّ هَرَبَتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ ، وَإِنْ أَقَمْتُمْ أَخَذَكُمْ ، وَإِنْ
نَسِيتُمْوهُ ذَكَرَكُمْ .

الشرح :

قد تقدم منا كلامٌ كثير في ذكر الموت ؛ ورأى الحسنُ البصريُّ رجلاً يجود
بنفسه ، فقال : إِنْ أَمَرْتُ هَذَا آخِرُهُ ، لَجْدِيرٌ أَنْ يُزْهَدَ فِي أَوَّلِهِ ، وَإِنْ أَمَرْتُ هَذَا أَوَّلَهُ لَجْدِيرٌ
أَنْ يُخَافَ مِنْ آخِرِهِ .

ومن كلامه : فَصَحَّ الْمَوْتُ الدُّنْيَا .

وقال خالد بن صفوان : لَوْ قَالَ قَاتِلٌ : الْحَسَنُ أَفْصَحُ النَّاسِ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ لَمَا كَانَ مَخْطِئًا .

وقال لرجل في جنازة : أَتَرَى هَذَا الْمَيِّتَ لَوْ عَادَ إِلَى الدُّنْيَا لَكَانَ يَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا ؟ قال :

نعم ، قال : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فَكُنْ أَنْتَ ذَلِكَ .

(٢٠٠)

الاضل :

لَا يُرْهِدَنَّكَ فِي الْمَعْرُوفِ مَنْ لَا يَشْكُرُهُ لَكَ ، فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَسْتَمِيعُ شَيْءَ مِنْهُ ، وَقَدْ يَذَرُكَ مِنْ شُكْرِ النَّاسِ كَرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَضَاعَ الْكَافِرُ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْحَسَنِينَ .

الشَّيْخُ :

قد أخذت أنا هذا الممّي فقلت من جملة قصيدة لي حكيمة :
لَا تُسَدِّينَ إِلَى ذِي اللُّؤْمِ مَكْرُمَةً فَإِنَّهُ سَبَّخَ لَا يُنْبِتُ الشَّجَرَ
فَإِنْ زَرَعْتَ فَمَحْضُوطٌ بِمَضْيَعَةٍ وَأَكْلُ زَوْعِكَ شُكْرُ الْغَيْرِ إِنْ كَفَرَ
وقد سبق منا كلامٌ طويلٌ في الشكر .

ورأى العباس بن المأمون يوماً بحضرة المعتصم خاتماً في يد إبراهيم بن المهدي ، فاستحسنه ، فقال له : ما قص هذا الخاتم ، ومن أين حصلته ؟ فقال إبراهيم : هذا خاتم رهنه في دولة أبيك ، وافتككته في دولة أمير المؤمنين ؛ فقال العباس : فإن لم تشكر أبي على حقنه دمك ، فأنت لا تشكر أمير المؤمنين على فكّه خلاصك .

وقال الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا الْمَعْرُوفُ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ	وَفِي أَهْلِهِ إِلَّا كَبْعُضُ الْوَدَائِعِ
فَسْتَوْدَعُ ضَاعَ الَّذِي كُنْ عَنْده	وَمُسْتَوْدِعُ مَا عَنْده غَيْرُ ضَائِعِ
وَمَا النَّاسُ فِي شُكْرِ الصَّنِيعَةِ عَنْدهمْ	وَفِي كَفَرِهَا إِلَّا كَبْعُضُ الْزَّرَائِعِ
فَزَرْعَةٌ طَابَتْ وَأَضْعَفَ نَبْتُهَا	وَمَزَرْعَةٌ أَكْدَتْ عَلَى كُلِّ زَارِعِ

(٢٠١)

الأصل :

كُلُّ وِعَاءٍ يُصِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ ، إِلَّا وِعَاءَ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ بِهِ .

الشرح :

هذا الكلام تحته سرٌّ عظيم ، ورَمَزٌ إلى معنى شريف غامض ، ومنه أخذ مُثَبِّتو النفس الناطقة الحجة على قولهم ؛ ومَحْصُولُ ذلك أن القُوَى الجَسَمَانِيَّةَ يُكَلِّهَا وَيُتَعَبُّهَا تَكَرُّارُ أَفَاعِيلِهَا عَلَيْهَا ، كقُوَّةِ البَصَرِ يُتَعَبُّهَا تَكَرُّارُ إِدْرَاكِ اللَّوْثِيَّاتِ ، حتَّى رُبَّمَا أَذْهَبَهَا وَأَبْطَلَهَا أَصْلًا ، وكذلك قُوَّةُ السَّمْعِ يُتَعَبُّهَا تَكَرُّارُ الْأَصْوَاتِ عَلَيْهَا ، وكذلك غَيْرُهَا مِنْ القُوَى الجَسَمَانِيَّةِ ، وَلَكِنَّا وَجَدْنَا القُوَّةَ الْعَاقِلَةَ بِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ ^(١) ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كُلَّمَا تَكَرَّرَتْ عَلَيْهِ الْمَعْقُولَاتُ زَادَتْ قُوَّتُهُ الْعَقْلِيَّةُ سَعَةً وَابْسَاطًا وَاسْتِعْدَادًا لِإِدْرَاكِ أُمُورٍ أُخْرَى غَيْرَ مَا أَدْرَكَتْهُ مِنْ قَبْلُ ، حتَّى كَانَتْ تَكَرُّارُ الْمَعْقُولَاتِ عَلَيْهَا يَشْحَذُهَا ^(٢) وَيَصْقُلُهَا ، فَهِيَ إِذَنْ مُخَالِفَةٌ فِي هَذَا الْحُكْمِ لِلْقُوَى الجَسَمَانِيَّةِ ، فَلَيْسَتْ مِثْلَهَا ؛ لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ مِنْهَا لَكَانَ حُكْمُهَا حُكْمَ وَاحِدٍ مِنْ أَخَوَاتِهَا ، وَإِذَا لَمْ تَكُنْ جَسَمَانِيَّةً فَهِيَ مُجَرَّدَةٌ ، وَهِيَ الَّتِي نَسَمِّيُهَا بِالنَّفْسِ النَّاطِقَةِ .

(١) : « هذا » .

(٢) يشحذها : يحدها .

(٢٠٢)

الأضل :

أَوَّلُ عَوَاضِ الْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ، أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى الْجَاهِلِ .

السُّبْح

قد تقدّم من أقوالنا في الحلم مافي بعضه كفاية .

وفي الحِكم القديمة : لَا تَشِنْ حُسْنَ الظَّفَرِ بِقُبْحِ الانتقام .

وكان يقال : اعفُ عمن أبطأ عن الذّنب ، وأسرع إلى النّدم .

وكان يقال : شاور الأناة والتثبت ، وذا كِر الحفيظة ^(١) عند هيجانها مافي عواقب

العُقوبة من النّدم ، وخاصمها بما يؤدى إليه الحلم من الاعتباط .

وكان يقال : ينبغى للحازم أن يقدّم على عذابه وصفحه تعريف المذنب بما جناه ،

وإلاّ نُسِبَ حلمه إلى الغفلة وكلال حدّ الفطنة . وقالت الأنصار للنبي صلى الله عليه وآله

يومَ فتحِ مكّة : إِيَّاهُمْ فَعَلُوا بِكَ ثُمَّ فَعَلُوا ؛ يُذَرُّونَهُ بِقَرِيش ؛ فقال : « إِنَّمَا سُمِّيتَ مُحَمَّدًا

لَأُحْمَدَ » .

(١) الحفيظة : الحمية والغضب .

(٢٠٣)

الأصل :

إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فَتَحَلَّمْ ، فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ .

الشرح :

التحلم : تكلف الحلم ، والذي قاله عليه السلام صحيح في مناهج الحكمة ، وذلك لأن من تشبه بقوم وتكلف التخلق بأخلاقهم ، والتأدب بأدابهم ، واستمر على ذلك ومرن عليه الزمان الطويل ، اكتسب رياضة قوية ، ومملكة تامة ، وصار ذلك التكلف كالطبع له ، وانتقل عن الخلق الأول ، ألا ترى أن الأعرابي الجلف الجاني إذا دخل المدين والقرى وخالط أهلها وطال مكثه فيهم انتقل عن خلق الأعراب الذي نشأ عليه ، وتلطّف طبعه ، وصار شبيهاً بساكني المدين ، وكالأجنبي عن ساكني الوبر ، وهذا قد وجدناه في حيوانات أخرى غير البشر كاللبازي والصقر والفهد التي تراض حتى تدل وتأنس وتتروك طبعها القديم ، بل قد شاهدناه في الأسد ، وهو أبعد الحيوان من الإنس .

وذَكَرَ ابن الصابي أَنَّ عَصْدَ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهٍ كَانَتْ لَهُ أَسُودٌ يَصْطَادُ بِهَا كَالْفُهْرَةِ فْتَمَسِكُهُ عَلَيْهِ حَتَّى يُدْرِكَهُ فَيَذِكُّهُ ، وَهَذَا مِنَ الْعَجَائِبِ الطَّرِيفَةِ .

(٣٠٤)

الأصل:

مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَيْبًا ، وَمَنْ غَفَلَ عَنْهَا خَيْرًا ، وَمَنْ خَافَهُ أَيْمَنَ ، وَمَنْ أَعْتَبَرَ
الْبَصَرَ ، وَمَنْ أَبْصَرَ قَوْمَهُ ، وَمَنْ فَهِمَ عَلَيْهِمْ .

الشرح:

قد جله في الحديث المزروع :- « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » .
قوله :: « ومن خافه أئمن » أى من اتقى الله أئمن من عذابه يوم القيامة .
ثم قال « ومن اعتبر البصر » أى من قاس الأمور بعضها ببعض ، واتعظ بآيات الله
وأيامه أضاءت بصيرته ، ومن أضاءت بصيرته فهم ، ومن فهم علم .
فإن قلت : الفهم هو العلم ، فأى حاجة له إلى أن يقول : « ومن فهم علم » ؟
قات : الفهم هاهنا هو معرفة المقدمات ، ولا بد أن يستعقب معرفة المقدمات معرفة
النتيجة ، فمعرفة النتيجة هو العلم ، فكأنه قال : من اعتبر تنور قلبه بنور الله تعالى
ومن تنور قلبه عقل المقدمات البرهانية ، ومن عقل المقدمات البرهانية علم النتيجة الواجبة
عنها ؛ وتلك هى الثمرة الشريفة التى فى مثلها يتنافس المتنافسون .

(٢٠٥)

الأفضل :

وقال عليه السلام :

لَتَعْظِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شَمَائِهَا عَظْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا . وَتَلَا عَقِيبَ ذَلِكَ : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ .

الشرح :

الشماس : مصدر شمس الفرس إذا منع من ظهره .

والضروس : الناقة السيئة الخلق تعض حالبها ، والإمامية تزعم أن ذلك وعد منه بالإمام الغائب الذي يملك الأرض في آخر الزمان . وأصحابنا يقولون : إنه وعد بإمام يملك الأرض ويستولى على الممالك ، ولا يلزم من ذلك أنه لا بد أن يكون موجودا ، وإن كان غائبا إلى أن يظهر ، بل يكفي في صحة هذا الكلام أن يُخلق في آخر الوقت .

وبعض أصحابنا يقول : إنه إشارة إلى ملك السفاح والنصور وابني المنصور بعده . فإنهم الذين أزالوا ملك بني أمية ، وهم بنو هاشم ، وبطريقهم عطف الدنيا على بني عبد المطلب عطف الضروس .

وتقول الزيدية : إنه لا بد من أن يملك الأرض فاطمي يتلوه جماعة من الفاطميين على مذهب زيد ، وإن لم يكن أحد منهم الآن موجودا .

(٢٠٦)

الأصل :

اتَّقُوا اللَّهَ تُقَاتُوا شَرَّ مَا تَعْمَلُونَ ، وَجَدَّ تَشْمِيرًا ، وَأَكْمَشَ فِي مَهَلٍ ، وَبَادَرَ عَنْ
وَجَلٍ ، وَنَظَرَ فِي كَرَّةِ الْمَوْتِ ، وَعَاقِبَةَ الْمَصْدَرِ ، وَمَغَبَّةِ الْمَارِ جِيع .

البُيُخ :

لو قال : « وجرّد تشميرا » ؛ لكان قد أتى بنوع مشهور من أنواع البديع ؛ لكنه
لم يحفل بذلك ، وجرى على مقتضى طبعه من البلاغة الخالية من التكلف والتصنع ، على
أن ذلك قد روى ، والمشهور الرواية الأولى .

وأكمش : جدّ وأسرع ، ورجل كيش ، أى جاد .

وفى مهل : أى فى مهلة العمل قبل أن يضيق عليه وقته بدنوّ الأجل .

(٢٠٧)

الأصل:

الْجُودُ حَارِسُ الْأَعْرَاضِ ، وَالْحِلْمُ فِدَامُ السَّفِيهِ ، وَالْعَفْوُ زَكَاةُ الظَّفَرِ ، وَالسُّلُوُ
عِوَضُكَ مِمَّنْ غَدَرَ ، وَالْإِسْتِشَارَةُ عَيْنُ الْهِدَايَةِ .
وَقَدْ خَاطَرَ مَنْ اسْتَغْنَى بِرَأْيِهِ ، وَالصَّبْرُ يُنَاضِلُ الْحِدْثَانَ ، وَالْجَزَعُ مِنْ أَعْوَانِ
الزَّمَانِ ، وَأَشْرَفُ الْغِنَى ، تَرْكُ الْمُنَى .
وَكَمْ مِنْ عَقْلٍ أَسِيرٍ عِنْدَ هَوًى أَمِيرٍ ! وَمِنْ التَّوْفِيقِ حِفْظُ التَّجَرِبَةِ ، وَالْمُودَّةُ
قَرَابَةُ مُسْتَفَادَةٍ ، وَلَا تَأْمَنْ مَلُولًا .

الشرح:

مثل قوله : « الجود حارس الأعراض » قولهم : كل عيب فالكرم يغطيه .
والفِدَامُ : خِرقَةٌ تجعل على فَمِ الْإِبْرِيْقِ ، فشبه الحلم بها ، فإنه يرد السفية عن السفه كما
يرد الفدام الحر عن خروج القذى منها إلى الكأس .
فأما « والعفو زكاة الظفر » فقد تقدم أن لكل شيء زكاة ، وزكاة الجاه رِفْدُ
المُسْتَعِينِ ، وزكاة الظفر العفو .
وأما « السُّلُوُ عوضك ممن غدر » ، فمعناه أن من غدر بك من أحبائك وأصدقائك
فأسل عنه وتناسه ، واذكر ما عاينته به من الغدر ، فإنك تسلو عنه ويكون ما استفدته
من السلو عوضاً عن وصاله الأول ؛ قال الشاعر :

أَعْتَقَنِي سَوْءَ مَا صَنَعْتَ مِنَ الرَّقِّ فَيَا بَرْدَهَا عَلَى كَيْبَدِي
فَصَرْتُ عَبْدًا لِلسَّوءِ فِيكَ وَمَا أَحْسَنَ سَوْءَ قَبْلِي إِلَى أَحَدٍ
وقد سبق القولُ في الاستشارة ، وأنَّ المستغنى برأيه مخاطر ، وكذلك القولُ في الصبر .
وللناضلة : المراماة .

وكذلك القولُ في الجزع ، وأنَّ الإنسان إذا جَزِعَ عند المصيبة فقد أعان الزمانَ
على نفسه ، وأضاف إلى نفسه مصيبةً أخرى .
وسبق أيضا القولُ في المني ، وأنها من بضائع النَّوْكَى ^(١) .
وكذلك القولُ في الهوى ، وأنه يَغْلِبُ الرَّأْيَ وَيَأْسِرُهُ .
وكذلك القولُ في التجربة ؛ وقولهم : مَنْ حَارَبَ الْجَرْبَ حَلَّتْ بِهِ النَّدَامَةُ ، وإنَّ
من أضعاع التجربة فقد أضعاع عقله ورأيه .
وقد سبق القولُ في المودة ، وذكرنا قولهم : الصَّدِيقُ نَسِيبُ الرُّوحِ ، والأخُ نَسِيبُ
الجسم ؛ وسبق القولُ في الملل .
وقال العباس بن الأحنف :

لَوْ كُنْتُ عَاتِيَةً لَسَكَنَ عَمْرَتِي أُمِّي رِضَاكَ وَزَرْتُ غَيْرَ مُرَاقِبِ
لَكِنْ مَلَّتْ فَلَمْ يَكُنْ لِي حِيلَةٌ صَدُّ الْمُلُولِ خِلَافَ صَدِّ الْعَاتِبِ

(١) جمع أنوك ؛ وهو الأحمق .

(٢٠٨)

الأفضل

عُجِبُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَادِ عَقْلَةٍ .

* * *

الْبِنْجُ :

قد تقدّم القول في العُجْبِ ، ومعنى هذه الكلمة أنّ الحاسد لا يزال مجتهداً في إظهار معاييب المحسود وإخفاء محاسنه ، فلما كان عُجْبُ الإنسان بنفسه كاشفاً عن نقص عقله كان كالحاسد الذي دأبهُ إظهارُ عيب المحسود ونقصه .

وكان يقال : مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّخَطُ عَلَيْهِ .

وقال مطرّف بن الشَّخِيرِ : لَأَنْ أَيْتَ نَأْمًا ، وَأَصْبَحَ نَادِمًا ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَيْتَ قَأْمًا وَأَصْبَحَ نَادِمًا^(١) .

(١) : « متعباً » .

(٢٠٩)

الأفضل

أَغْضِي عَلَى الْقَدَى وَالْأَلَمِ تَرْضَ أَبَدًا .

الشَّنْخُ :

نظير هذا قول الشاعر :

وَمَنْ لَمْ يُغْمَضْ عَيْنُهُ عَنْ صَدِيقِهِ وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتْ وَهُوَ عَاتِبُ
وَمَنْ يَتَّبِعْ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ يَجِدْهَا وَلَا يُسَلِّمْ لَهُ الدَّهْرَ صَاحِبُ
وقال الشاعر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مَرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَمِئْتَ ، وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مِشَارِبُهُ^(١) !
وكان يقال : أَغْضِي عَنِ الدَّهْرِ وَلَا صَرْعَكَ .

وكان يقال : لا تحارب الأيام وإن جنحت دون مطلوبك منها ، واصحبها بسلاسة
القياد ، فإنك إن تصحبها بذلك تعطيك بعد المنع ، وتلين لك بعد القساوة ؛ وإن أبیت
عليها قادتك إلى مكروهٍ صُروفٍها .

(٢١٠)

الأنسل:

مَنْ لَانَ عُوْدُهُ كَثُفَتْ أَغْصَانُهُ .

الشرح :

تكاد هذه الكلمة أن تكون إيماء إلى قوله تعالى : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾^(١) ؛ ومعنى هذه الكلمة أن مَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ ، ولانت كلمته ، كثر محبوبه وأعوانه وأتباعه .

ونحوه قوله : « مَنْ لَانَتْ كَلِمَتُهُ ، وَجِبَتْ مَحَبَّتُهُ » .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾^(٢) ، وأصل هذه الكلمة مطابق للقواعد الحكمية ، أعنى الشجرة ذات الأغصان حقيقة ، وذلك لأنّ النبات كالحيوان فى القوى النفسانية ، أعنى الفاذية والنمية ، وما يخدم الفاذية من القوى الأربع ؛ وهى الجاذبة ، والماسكة ، والدافعة ، والماضمة ؛ فإذا كان اليبس غالبا على شجرة كانت أغصانها أخف ، وكان عودها أدق ، وإذا كانت الرطوبة غالبة كانت أغصانها أكثر ، وعودها أغلظ ؛ وذلك لاقتضاء اليبس الذبول ، واقتضاء الرطوبة الغلظ والعبالة والضخامة ، ألا ترى أن الإنسان الذى غلب اليبس على مزاجه ، لا يزال مهلوسا^(٣) نحيفا ، والذى غلبت الرطوبة عليه لا يزال ضخما عبلا .

(٢) سورة آل عمران ١٥٩ .

(١) سورة الأعراف ٥٨ .

(٣) رجل مهلوس : هلسه الداء وخامره .

(٢١١)

الأفضل :

الْخِلَافُ يَهْدِي الرِّأْيَ .

الشَّيْخُ :

هذا مثل قوله عليه السلام في موضع آخر : « لا رأى لمن لا يُطاع » .
ويُرْوَى : لا إمرة لمن لا يطاع .

وفي أخبار قصير وجذيمة : « لو كان يطاع لقصير أمر » .
وكان يقال : اللجاج يشحذ الزُّجاج ، ويثير العجاج .
وقال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ :

أمرتهمُ أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصيح إلا ضحى الغد^(١)
فلما عصوني كنتُ منهم وقد أرى غوايتهم وأننى غير مهتدى
وكان يقال : أهدى رأى الرّجل مانفذ حكمه ، فإذا خولف فسد .
ومن كلام أفلاطون : اللجاج عسر انطباع العقولات في النفس ، وذلك إما لفراط
جِدَّةٍ تكون في الإنسان ، وإما لغلظ طبعه فلا ينقاد للرأى^(٢) .

(٢) ١ : « رأى » .

(١) ديوان الحماسة ٢ : ٣٠٤ - بشرح التبريزي .

— ٣٧ —

(٢١٢)

الأصل :

مَنْ نَالَ أُسْتَطَالَ .

الشرح :

يجوز أن يريد به : مَنْ أُنْزِيَ ونال من الدنيا حظاً استطال على الناس .

ويجوز أن يريد به : مَنْ جاد استطال بجوده .

يقال : نالني فلان بكذا أى جاد به عليّ ، ورجل نالّ ، أى جوادّ ذو نائل ،

ومثله^(١) رجل طانّ أى ذو طين ، ورجل مالّ أى ذو مال .

(١) : « أن يقال » .

(٢١٣)

الأُسْلُ :

فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ ، عِلْمُ جَوَاهِرِ الرُّجَالِ .

السُّنْحُ :

معناه : 'لا تعلم أخلاق الإنسان إلا بالتجربة ، واختلاف الأحوال عليه .
وقديماً قيل : ترى الفتيان كالنخل ، وما يدريك ما الدخل' (١)

وقال الشاعر :

لَا تَحْمَدَنَّ امْرَأً حَتَّى تَجْرِبَهُ وَلَا تَذَمَّنَّهُ إِلَّا بِتَجْرِبٍ
وقالوا : التجربة محك ؛ وقالوا : مثل الإنسان مثل البطيخة ، ظاهرها مونق ، وقد
يكون في باطنها العيب والدود ، وقد يكون طعمها حامضاً وتنفها .
وقالوا للرجل المجرب يمدحونه : قد آل وائل عليه .

وقال الشاعر يمدح :

ما زال يحلبُ هذا الدهرَ أشطُرُهُ (٢)
يكون متبعا طورا ومتبعا
حتى استمرت على شزير مريته مستحكماً الرأي لا قحماً ولا ضرعاً (٣)

(١) مثل ، وانظر الميداني ١ : ٩١ .

(٢) يحلب أشطره ؛ أى أنه قد جرب الأمور وعانها ، والكلام على التمثيل .

(٣) في اللسان عن الجوهرى : « شيخ قحيم ، أى هم ؛ مثل قحل ، وفي حديث ابن عمر : «ابنى خادما لا يكون قحما فانيا ، ولا صفيرا ضرعاً ، القحيم : الشيخ الهيم الكبير» . الضرع : الضاوى الجسم الضعيف .

(٢١٤)

الأضل :

حَسَدُ الصَّدِيقِ مِنْ سُقْمِ الْمَوَدَّةِ .

الشرح :

إذا حسدك صديقك على نعمة أُعطيتها لم تكن صداقته صحيحة ، فإن الصديق حقا من يجرى تجرى نفسك ، والإنسان لم يحسد نفسه .

وقيل لحكيم : ما الصديق ؟ فقال : إنسان هو أنت ، إلا أنه غيرك .
وأخذ هذا المعنى أبو الطيب فقال :

مَا الْخِلُّ إِلَّا مَنْ أَوْدُ بَقَلْبِهِ وَأَرَى بِطَرْفٍ لَا يَرَى بِسِوَانِهِ^(١)

ومن أدعية الحكماء : اللهم اكفني بوائق الثقات ، واحفظني من كيد الأصدقاء .
وقال الشاعر :

احذر عَدُوَّكَ مَرَّةً واحذر صديقك أَلَنَ مَرَّةً

فلربما انقلب الصديق فكَانَ أَعْرَفَ بِالْمُضِرَّةِ

وقال آخر^(٢) :

احذر مودَّةَ مَآذِقِ شَابِ الْمِرَاةِ بِالْحَلَاوَةِ^(٣)

(٢) ١ : « غيره » .

(١) ديوانه ١ : ٤ .

(٣) المآذق : الذي يخلط الود بغيره .

يحمى الذنوب عليك أيّام الصداقة للعداوة
وذكر خالد بن صفوان شبيب بن شيبة ، فقال : ذاك رجل ليس له صديق في السرّ
ولا عدوّ في العلانية .
وقال الشاعر :

إذا كان دَوّاماً أخوك مصارماً موجهً في كلّ أوبٍ رَكائبه
نخلٌ له ظهر الطريق ولا تكن مطية رَحّالٍ كثير مذهبُه

(٢١٥)

الأفضل :

أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ .

الشَّنَجُ

قد تقدّم منّا قولٌ في هذا المعنى .

ومنه قولُ الشاعر^(١) :

طَمِعْتَ بَلِيلِي أَنْ تَرِيْعَ وَإِنَّمَا^(٢) تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمَطَامِعُ^(٣)
وقال آخر .

إِذَا حَدَّثْتُكَ النَّفْسُ أَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى مَاحَوْتِ أَيْدِي الرِّجَالِ فَكَذِّبْ
وَإِيَّاكَ وَالْأَطَاعَ إِنْ وُعِدَهَا رَقَارِقُ آلٍ أَوْ بَوَارِقُ خُلْبٍ^(٤)

(١) هو المجنون ، ديوانه ١٨٦ ، وينسب لقيس بن ذريح ؛ وينسب أيضاً للبيث ، وانظر تخريجه في الديوان .

(٢) تريع : ترجع وتعود ؛ كذا فسرهُ صاحب اللسان ، واستشهد بالبيت ونسبه إلى البيث .
(٣) بعده في الديوان :

وَدَانَيْتُ لَيْلِي فِي خِلَاءٍ وَلَمْ يَكُنْ شُهُودَ عَلَى لَيْلِي عَدُولٌ مَقَانِعُ

(٤) الرقارق : السراب .

(٢١٦)

الاستل :

لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ الْقَضَاءُ عَلَى الثِّقَةِ بِالظَّنِّ * .

الشنخ :

هذا مثل قول أصحاب أصول الفقه : لا يجوز نسخ القرآن والسنة المتواترة بخبر الواحد ، لأن المظنون لا يرفع المعلوم .

ولفظ الثقة هاهنا مرادف للفظ العلم ، فكأنه قال : لا يجوز أن يزال ما علم بطريق قطعية لأمر ظني .

فإن قلت : أليس البراءة الأصلية معلومة بالعقل ، ومع ذلك ترفع بالأمارات الظنية كأخبار الآحاد ؟

قلت : ليست البراءة الأصلية معلومة بالعقل مطلقا ، بل مشروطة بعدم ما يرفعها من طريق علمي أو ظني ، ألا ترى أن أكل الفاكهة وشرب الماء معلوم بالعقل حسنه ، ولكن لا مطلقا ، بل بشرط انتفاء ما يقتضي قبجه ، فإننا لو أخبرنا إنسان أن هذه الفاكهة أو هذا الماء مسموم لقبح منا الإقدام على تناولها ، وإن كان قول ذلك المخبر الواحد لا يفيد العلم القطعي^(١) .

(١) ١ : « علما لعليا » .

(٢١٧)

الأصل :

يُسْأَلُ الزَّادُ إِلَى الْعَادِ ، الْعُدْوَانُ عَلَى الْعِبَادِ .

الشرح :

قد تقدّم من قولنا^(١) في الظلم والعدوان مافيه كفاية .
 وكان يقال : عَجَبًا لِمَنْ عُوِمِلَ فَأُنْصِفَ ، إِذَا عَامَلَ كَيْفَ يَظْلَمُ ! وأعجب منه : مَنْ
 عُوِمِلَ فَظُلِمَ إِذَا عَامَلَ كَيْفَ يَظْلَمُ !
 وكان يقال : العدو عدوان : عدوّ ظلمته ، وعدوّ ظلمك ، فإن اضطرّك الدهرُ إلى
 أحدهما فاستعن بالذى ظلمك ، فإن الآخر مَوْثُورٌ .

(١) : « لنا أقوال » .

(٢١٨)

الأضد :

مِنْ أَشْرَفِ أَعْمَالِ الْكَرِيمِ غَفَلْتُهُ عَمَّا يَعْلَمُ .

* * *

السُّنْحُ

كان يقال : التغافل من الشؤدد .

وقال أبو تمام :

ليس الغيُّ بسيدٍ في قومه لكنَّ سيّد قومه المتغاي^(١)

وقال طاهر بن الحسين بن مصعب :

وكيفيك من قومٍ شواهدُ أمرهم نخذ صفوهم قبل امتحانِ الضائر

فإنَّ امتحانَ القومِ يُوحشُ منهم ومالكٌ إلّا ماترى في الظواهر

ولنك إن كشفت لم تر خُلصا وأبدى لك التجريبُ خبثَ السرائر

وكان يقال : بعض^(٢) التغافل فضيلة ، وتمام الجود الإمساك عن ذكر المواهب ، ومن

الكرم أن تصفح عن التوبيخ ، وأن تلتبس ستر^(٣) هتك الكريم .

(٢) ساقطة من أ .

(١) ديوانه ١ : ٩٣ .

(٣) الستر : تغطية الشيء ؛ وفي الحديث : « إن الله حى ستر يحب الستر » .

(٢١٩)

الأصل :

مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ ، لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ .

البنوع :

قد سبق منا قول كثير في الحياء .

[فصل في الحياء وما قيل فيه]

وكان يقال : الحياء تمام الكرم ، والحلم تمام العقل .

وقال بعض الحكماء : الحياء انقباض النفس عن القبائح ، وهو من خصائص الإنسان ، لأنه لا يوجد في الفرس ولا في الغنم والبقر ، ونحو ذلك من أنواع الحيوانات ، فهو كالضحك الذي يختص به نوع الإنسان ، وأول ما يظهر من قوة الفهم في الصبيان الحياء ، وقد جعله الله تعالى في الإنسان ليرتدع به عما تنزع إليه نفسه من القبيح ، فلا يكون كالبهيمة ، وهو خلق مركب من جبن وعفة ، ولذلك لا يكون المستحي فاسقاً ، ولا الفاسق مستحيًا^(١) ، لتنافي اجتماع العفة والنسق ، وقلما يكون الشجاع مستحيًا والمستحي شجاعاً لتنافي اجتماع الجبن والشجاعة ، ولعزة وجود ذلك ما يجمع الشعراء بين المدح بالشجاعة والمدح بالحياء نحو قول القائل :

يَجْرِي الْحَيَاءُ الْغَضُّ مِنْ قَسَمَاتِهِمْ فِي حِينَ يَجْرِي مِنْ أَكْفِهِمُ الدَّمُ

(١) ب : « مستحيا » .

وقال آخر :

كَرِيمٌ يَنْفُضُ الطَّرْفَ فَضْلُ حَيَاتِهِ وَيَذْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِ
ومتى قصد به الانقباض فهو مدحٌ للصبيان دون المشايخ ، ومتى قصد به ترك القبيح
فهو مدح لكل أحد ، وبالاعتبار الأول قيل : الحياء بالأفاضل قبيح ، وبالاعتبار الثاني
وَرَدَ : إن الله ليستحي من ذى شَيْبَةٍ فى الإسلام أن يعذِّبه ، أى يُترك تعذيبه ويستتبح
لكرمه ذلك .

فأما الخجل فخيرة تَلَحَّقَ النَّفْسَ لَفَرَطِ الْحَيَاءِ ، ويحمد فى النساء والصبيان ويُذَمُّ
بالاتفاق فى الرجال .

فأما القِيَّةُ فمذمومة بكلِّ لسان ، إذ هى انسلخٌ من الإنسانية ، وحققتها
لجأ النفس فى تعاطى القبيح ، واشتقاقها من حافر وقَّاح أى صُلْب .
ولهذه المناسبة قال الشاعر :

يَالَيْتَ لى من جِلْدٍ وَجْهَكَ رُقْمَةً فَأَعَدَّ مِنْهَا حَافِرًا لِلْأُشْهَبِ
وما أصدق قول الشاعر :

صَلَابَةُ الْوَجْهِ لَمْ تَغْلِبْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا تَكَامَلَ فِيهِ الشَّرُّ وَاجْتَمَعَ

فأما كيف يُكْتَسَبُ الحياء ، فمن حَقِّ الإنسان إذا همَّ بقبيح أن يتصور أجَلَ
من نفسه أنه يراه ، فإنَّ الإنسان يَسْتَحْيِ ممن يَكْبُرُ فى نفسه أن يطلع على عَيْبِهِ
ولذلك لا يستحي من الحيوان غير الناطق ، ولا من الأطفال الذين لا يميزون ، ويستحي
من العالم أكثر مما يستحي من الجاهل ومن الجماعة أكثر مما يستحي من الواحد ،
والذين يستحي الإنسان منهم ثلاثة : البشر ، ونفسه ، والله تعالى ؛ أما البَشَرُ فهم أكثر

من يستحي منه الإنسان في غالب الناس ، ثم نفسه ، ثم خالقه ، وذلك لقله توفيقه وسوء اختياره .

واعلم أن من استحيًا من الناس ولم يستحي من نفسه فنفسه عنده أخس من غيره ، ومن استحيًا منهما ولم يستحي من الله تعالى فليس عارفاً ، لأنه لو كان عارفاً بالله لما استحيًا من المخلوق دون الخالق ، ألا ترى أن الإنسان لا بد أن يستحي من الذي يعظمه ويعلم أنه يراه أو يستمع بخبره فيُبَكِّته ، ومن لا يعرف الله تعالى كيف يستعظمه ! وكيف يعلم أنه يطلع عليه ! وفي قول رسول الله صلى الله عليه وآله : « استحيوا من الله حقَّ الحياء » ، أمرني ضمن كلامه هذا بمعرفة سبجانه وحثَّ عليها ، وقال سبجانه : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمَ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ ^(١) ، تنبيها على أن العبد إذا علم أن ربه يراه استحيًا من ارتكاب الذنب .

وسئل الجنيد رحمه الله عما يتولد منه الحياء من الله تعالى ؛ فقال : أن يرى العبدُ آلاء الله سبجانه ونعمه عليه ، ويرى تقصيره في شكره .
فإن قال قائل : فما معنى قول النبي صلى الله عليه وآله : « مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ فَلَا إِيْمَانَ لَهُ » .

قيل له : لأنَّ الحياء أول ما يظهر من أمانة العَقْل في الإنسان ، وأما الإيمان فهو آخر المراتب ، ومُحال حصول المَرْتَبَةِ الْآخِرَةِ لمن لم تحصل له المَرْتَبَةُ الْأُولَى ، فالواجب إذن أن مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ فَلَا إِيْمَانَ لَهُ .

وقال عليه السلام : « الحياء شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيْمَانِ » .
وقال : « الْإِيْمَانُ عُرْيَانٌ ، وَلِبَاسُهُ التَّقْوَى ، وَزِينَتُهُ الْحَيَاءُ » .

(١) سورة العلق ١٤ .

(٢٢٠)

الأفضل

بِكثرة الصَّنْتِ تَكُونُ الهَيْبَةُ ؛ وَبِالنَّصْفَةِ يَكْثُرُ الْمَوَاصِلُونَ ، وَبِالْإِفْضَالِ تَعْظُمُ
الْأَقْدَارُ ، وَبِالتَّوَاضُعِ تَتِمُّ النِّعْمَةُ ، وَبِاحْتِمَالِ الْمَوْنِ يَجِبُ السُّوْدُودُ ، وَبِالسَّيْرِ الْعَادِلَةِ
يُقَهَّرُ الْمَنَاوِي ، وَبِالْحِلْمِ عَنِ السَّفِيهِ تَكْثُرُ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِ .

الشَّنْحُ :

قال يحيى بن خالد : ما رأيت أحداً قطّ صامتا إلا هَبَّتْهُ حتى يتكلم ، فإما أن تزداد
تلك الهيبة أو تنقص . ولا ريب أن الإنصاف سببُ انعطاف القلوب إلى المنصف ، وأن
الإفضال والجلود يقتضى عِظَمَ الْقَدْرِ ، لأنه إنعام ، والمذمّم مشكور ، والتواضع طريقٌ إلى
تمام النعمة ، ولا سوْدُودَ إلا باحتمال المَوْنِ ؛ كما قال أبو تمام :

والحدُّ شَهْدٌ لَا تَرَى مُشْتَارَهُ يَجْنِيهِ إِلَّا مِنْ نَقِيعِ الْخَنْظَلِ^(١)

غُلٌّ لِحَامٍ لَهُ وَيَحْسَبُهُ الَّذِي لَمْ يُوهِ عَاتِقُهُ خَفِيفَ الْحَمَلِ

والسيرة العادلة سببٌ لِقَهَرِ الْمَلِكِ الَّذِي يُسَيِّرُ بِهَا أَعْدَاءَهُ ، وَمَنْ حَلَمَ عَنِ سَفِيهِ وَهُوَ
قَادِرٌ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْهُ نَصَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَلَيْهِ ، وَاتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى ذَمِّ ذَلِكَ السَّفِيهِ وَتَقْيِيحِ
فِعْلِهِ^(٢) ؛ وَالْإِسْتِقْرَاءُ وَاجْتِبَارُ الْعَادَاتِ تَشْهَدُ بِجَمِيعِ ذَلِكَ .

(٢) ب : « قفله » تصحيف .

(١) ديوان ٣ : ٤٢ .

(٢٢١)

الأصل :

العَجَبُ لَغَفْلَةِ الحَسَادِ ، عَنْ سَلَامَةِ الأجْسَادِ !

الشَّرْحُ :

إنما لم يحسد الحاسد على صحة الجسد لأنه صحيحُ الجسد ، فقد شارك في الصحة ، وما يشارك الإنسان غيره فيه لا يحسده عليه ، ولهذا أرباب الحسد إذا مَرَضُوا حَسَدُوا الأصحاء على الصحة .

فإن قلت : فلماذا تعجب أمير المؤمنين عليه السلام ؟

قلت : لكلامه عليه السلام وَجْهٌ ، وهو أن الحسد لما تمكن في أربابه ، وصار غريزة فيهم ، تعجب كيف لا يتعدى هذا الخلق الدميم إلى أن يحسد الإنسان غيره على ما يشاركه فيه ؛ فإن زيدا إذا أبغض عمرا بغضا شديدا ودَّ أن تزول عنه نِعْمته إليه ، وإن كان ذا نِعْمَةٍ كِنِعْمَتِهِ^(١) ، بل ربما كان أقوى وأحسن حالا .

ويجوز أن يريد معنى آخر ، وهو تعجبه من غفلة الحساد ؛ على أن الحسد مؤثر في سلامة أجسادهم ، ومقتضى سُقْمِهِمْ ، وهذا أيضاً واضح .

(١) : « مثل نعمته » .

— ٥٠ —

(٢٢٢)

الأُصْل :

الطَّامِعُ فِي وِثَاقِ الدُّلِّ .

الشُّرْح :

من أمثال البُحْتَرَى قوله :

وَالْيَأْسُ إِحْدَى الرَّاحَتَيْنِ وَلَنْ تَرَى تَعِبًا كَطَنِّ الْخَائِبِ الْكُدُودِ^(١)

وكان يقال : ما طِمَعْتُ إِلَّا وَذَلَّتْ - يَعْنُونَ النَّفْسَ .

وفي البيت المشهور :

* تَقَطَّعَ أَعْنَاقَ الرَّجَالِ الْمَطَامِيعُ^(٢) *

وقالوا : عَزَّ مِنْ قَنِيعٍ ، وَذَلَّ مِنْ طَمِيعٍ .

وقد تقدّم القولُ في الطَّمِيعِ مرارا .

(١) ديوانه ١ : ١٢٧ .

(٢) المجنون ؛ ديوانه ص ١٨٦ ، وصدره :

* طَمِيعَتَ بِلَيْلِي أَنْ تَرِيعَ وَإِنَّمَا *

(٢٢٣)

الأضل :

وقال عليه السلام وقد سئل عن الإيمان :
الإيمانُ معرفةٌ بالقلبِ ، وإقرارٌ باللسانِ ، وعملٌ بالأزْكَانِ .

* * *

الشَّيْخُ :

قد تقدّم قولنا في هذه المسألة .

وهذا هو مذهبُ أصحابنا المعتزلة بعينه ، لأنَّ العمل بالأركان عندنا داخلٌ في مسمى الإيمان — أعني فعل الواجبات ، فمن لم يعمل لم يُسمَّ مؤمناً وإن عرّف بقلبه وأقرَّ بلسانه ؛ وهذا خلاف قول المرجئة من الأشعرية والإمامية ، والحشوية .

فإن قلت : فما قولك في النوافل : هل هي داخلَةٌ في مسمى الإيمان أم لا ؟
قلت : في هذا خلافٌ بين أصحابنا ، وهو مستقصى في كتيبي ^(١) الكلامية .

(١) في د : « كتبنا » .

(٢٢٤)

الافضل :

مَنْ أَصْبَحَ عَلَى الدُّنْيَا حَزِينًا ، فَقَدْ أَصْبَحَ لِقَضَاءِ اللَّهِ سَاطِئًا .
وَمَنْ أَصْبَحَ بِشُكْرِ مُصِيبَةٍ نَزَلَتْ بِهِ ، فَإِنَّمَا يَشْكُرُ رَبَّهُ .
وَمَنْ أَتَى غَنِيًّا فَتَوَاضَعَ لَهُ لِنِعْمَتِهِ دَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ .
وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ ؛ فَهُوَ كَانَ يَتَّخِذُ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا .
وَمَنْ لَهَجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا الدَّاطِئِ مِنْهَا بِثَلَاثٍ : هَمٌّ لَا يُغْنِيهِ ، وَحِرْصٌ
لَا يَتْرُكُهُ ، وَأَمَلٌ لَا يُدْرِكُهُ .

البنخ :

إِذَا كَانَ الرِّزْقُ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرَهُ ، فَمِنْ حَزَنِ لِفَوَاتِ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَدْ سَخِطَ قَضَاءُ اللَّهِ
وَذَلِكَ مَعْصِيَةٌ ، لِأَنَّ الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَاجِبٌ ، وَكَذَلِكَ مِنْ شَكَا مُصِيبَةٍ حَلَّتْ بِهِ ؛ فَإِنَّمَا
يَشْكُو قَاعَهَا لَا هِيَ ، لِأَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ بِهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهَا ، وَفَاعَلَهَا هُوَ اللَّهُ ، وَمِنْ اشْتَكَى اللَّهُ
فَقَدْ عَصَاهُ ؛ وَالتَّوَاضُّعُ لِلْأَغْنِيَاءِ تَعْظِيمٌ لِنِعْمَتِهِمْ أَوْ رَجَاءُ شَيْءٍ مِمَّا فِي أَيْدِيهِمْ فَسَقُ .
وَكَانَ يُقَالُ : لَا يُحَمِّدُ التَّيَّهَ إِلَّا مَنْ فَقِيرٍ عَلَى غَنَى .
فَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ ، فَهُوَ مَنْ كَانَ يَتَّخِذُ
آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا » .

فَلِقَائِلُ أَنْ يَقُولَ : قَدْ يَكُونُ مُؤْمِنًا بِالْقُرْآنِ لَيْسَ بِمُتَّخِذٍ لَهُ هُزُوءًا ، وَيَقْرُؤُهُ ثُمَّ

يدخل النار ، لأنه أتى بكبيرة أخرى نحو القتل والزنا والفرار من الزحف وأمثال ذلك !

والجواب أن معنى كلامه عليه السلام هو أن من قرأ القرآن مات فدخل النار لأجل قراءته القرآن فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزواً ، أى يقرؤه هازئاً به ، ساخراً منه ، مستهيناً بمواعظه وزواجره ، غير معتقد أنه من عند الله .

فإن قلت : إنما دخل من ذكرت النار ؛ لأجل قراءته القرآن ، بل لهزئه به ، وجوده إياه ، وأنت قلت : معنى كلامه أنه من دخل النار لأجل قراءته القرآن فهو ممن كان يستهزئ بالقرآن !

قلت : بل إنما دخل النار لأنه قرأه على صفة الاستهزاء والسخرية ، ألا ترى أن الساجد للصم يعاقب لسجوده له على جهة العبادة والتعظيم ، وإن كان لولا ما يحدثه مضافاً للسجود من أفعال القلوب لما عوقب .

ويمكن أن يحمل كلامه عليه السلام على تفسير آخر ، فيقال : إنه عني بقوله : إنه كما كان ممن يتخذ آيات الله هزواً : أنه يعتقد أنها من عند الله ، ولكنه لا يعمل بموجبها كما يفعله الآن كثير من الناس .

قوله عليه السلام : « التا ط بقلبه » أى لصق . ولا يغيبه ، أى لا يأخذه غيباً ، بل يلازمه دائماً ، وصدق عليه السلام فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة ، وحب الدنيا هو الموجب للهيم والغم والحرص والأمل والخوف على ما اكتسبه أن ينفد ، وللشح بما حوت يده ، وغير ذلك من الأخلاق الذميمة .

(٢٢٥)

الأفضل :

كَفَى بِالْقَنَاعَةِ مُلْكًا ، وَيُحْسِنِ الْخُلُقَ نَعِيمًا .

الشنخ :

قد تقدم القول في هذين ، وهما القناعة وحسن الخلق .
وكان يقال : يستحق الإنسانية من حسن خلقه ، ويكاد السيئ الخلق يمدد
من السباع .

وقال بعض الحكماء : حد القناعة هو الرضا بما دون الكفاية ، والزهد : الأقتصار
على الزهد ، أى القليل ، وهما متقاربان ، وفى الأغلب إنما الزهد هو رضى الأمور
الدينية مع القدرة عليها ؛ وأما القناعة فهى إلزام النفس الصبر عن الشهيات التى
لا يقدر عليها ، وكل زهد حصل عن قناعة فهو تزهد ، وليس بزهد ، وكذلك
قال بعض الصوفية : القناعة أول الزهد ، تنبها على أن الإنسان يحتاج أولا إلى قذع
نفسه وتخصصه بالقناعة ليسهل عليه تعاطى الزهد ، والقناعة التى هى الغنى بالحقيقة ، لأن
الناس كلهم فقراء من وجهين : أحدها لأفتقارهم إلى الله تعالى كما قال : ﴿ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (١) .

والثانى لكثرة حاجاتهم فأغناهم لا تحالة أقلهم حاجة ، ومن سد مفارقة بالمقتنيات
فما فى أنسدادها مطمع ، وهو كمن يرقع الخرق بالخرق ، ومن يسدّها بالاستغناء عنها
بقدر وسعته والاقتصار على تناول ضرورياته فهو الغنى المقرب من الله سبحانه ، كما أشار
إليه فى قصة طالوت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ
يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾ (٢) ، قال أصحاب المعانى والباطن : هذا
إشارة إلى الدنيا .

(٢٢٦)

الأضل :

وسئل عليه السلام عن قول الله عز وجل : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾^(١) ، فقال :
هي القناعة .

الشرح :

لاريب أن الحياة الطيبة هي حياة الغنى ، وقد بينا أن الغنى هو القنوع ، لأنه
إذا كان الغنى عدم الحاجة فأغنى الناس أقلهم حاجة إلى الناس ، ولذلك كان الله تعالى
أغنى الأغنياء ، لأنه لا حاجة به إلى شيء ، وعلى هذا دلّ النبي بقوله صلى الله عليه وآله :
« ليس الغنى بكثرة العَرَض ، إنما الغنى غنى النفس » .

وقال الشاعر :

فمن أشرب اليأس كان الغنى ومن أشرب الحرص كان الفقير

وقال الشاعر :

غنى النفس ما يكتيك من سدّ خلّة فإن زاد شيئا عاد ذلك الغنى فقرا
وقال بعض الحكماء : الخير بين أن يستغنى عن الدنيا وبين أن يستغنى بالدنيا
كالخير بين أن يكون مالكا أو مملوكا .

ولهذا قال عليه السلام : « تعس عبد الدّينار والدّرم ، تعس فلا انتعش ، وشيك
فلا انتعش »^(٢) .

(١) سورة النحل ٩٧ . (٢) ب : « شبك » تحريف ، قال ابن الأثير : أى إذا دخلت
فيه شوك لا أخرجها من موضعها ، وبه سمي النقاش الذى ينقش به .

وقيل لحكيم : لم لاتقتم ؟ قال : لأتى لم ألتخذ ما، يُمْنى فقدته .

وقال الشاعر :

فَمَنْ سَرَّهُ . أَلَا يَرَى مَا يَسُوهُ . فَلَا يَتَّخِذُ شَيْئًا يَخَافُ لَهُ فَقْدًا

وقال أصحابُ هذا الشأن : القناعة من وجهٍ صبر ، ومن وجهٍ جود ، لأنَّ الجودَ ضربان : جودٌ بما في يدك منتزعا ، وجودٌ عما في يد غيرك متورعا ، وذلك أشرفهما ، ولا يحصل الزهد في الحقيقة إلا لمن يعرف الدنيا ماهي ، ويعرف عيوبها وآفاتِها ، ويعرف الآخرة وأفتقاره إليها ، ولا بدَّ في ذلك من العلم ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿١﴾ .

ولأنَّ الزاهد في الدنيا راغبٌ في الآخرة وهو يبيعُها بها ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا اللَّهُ اشْتَرَيْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . . . ﴾ (٢) الآية .

والكيس لا يبيعُ عينا بأثر ، إلا إذا عرفَهما وعرفَ فضلَ ما يبتاعُ على ما يبيع .

(١) سورة القصص ٧٩ ، ٨٠ .

(٢) سورة التوبة ١١١ .

(٢٢٧)

الأصل:

شَارِكُوا الَّذِينَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِمُ الرِّزْقُ ، فَإِنَّهُ أَخْلَقَ لِلْغَنَى ، وَأَجْدَرُ
بِإِقْبَالِ الْحِظِّ .

الشرح :

قد تقدّم القول في الحِظِّ والبَحْتِ .

وكان يقال : الحِظُّ يُعْدَى كَمَا يُعْدَى الْجَرْبُ ، وهذا يُطَابِقُ كَلِمَةَ أمير المؤمنين عليه السلام
لأنَّ مخالطة المَجْدُود ليست كمخالطة غير المَجْدُود^(١) ، فإن الأولى تقتضى الاشتراك في
الحِظِّ والسعادة ، والثانية تقتضى الاشتراك في الشقاء والحرمان .

والتقول في الحِظِّ وسبغٌ جداً .

وقال بعضهم : البَحْتُ على صورة رجلٍ أعمى أصمٍّ أخرس ، وبين يديه جواهرُ
وحجارة ، وهو يرمى بكلِّ ما يَدِيهِ .

وكان مالكُ بن أنسٍ فقيه المدينة ، وأخذ الفقه عن الليث بن سعد ؛ وكانوا
يزدحمون عليه والليثُ جالسٌ لا يلتفتون إليه ، فقيل لليث : إنَّ مالِكاً إنما أخذ
عنك فما لكَ خاملاً وهو أنبأُ الناسِ ذِكْراً ! فقال : دَانِقُ بَحْتٍ خَيْرٌ مِنْ جَهْلٍ
بُحْتِي حُمْلٌ عِلْمًا .

وقال الرضى :

أُسِغَ الْغِيْظُ مِنْ نُوبِ اللَّيَالِي وَمَا يَحْفَلُنَ بِالْحَنِقِ الْمَغِيْظِ^(٢)
وَأَرْجُو الرِّزْقَ مِنْ خَرَقٍ دَقِيقٍ يُسَدُّ بِسَلَكِ حَرَمَانٍ غَلِيْظِ^(٣)
وَأَرْجِعُ لَيْسَ فِي كَفِّهِ مِنْهُ سِوَى عَضِّ الْيَدَيْنِ عَلَى الْحُظُوظِ

(١) عبارة د : « ليست كمخالطة المجدود » ، وبها يستقيم المعنى أيضاً .

(٢) ديوانه ١ : ٤٥٣ . (٢) في الديوان : « من خرت » ، والخرت : التفت .

(٢٢٨)

الأصل

وقال عليه السلام في قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾^(١) :
العدل الإنصاف ، والإحسان التفضل .

البَيِّنَات :

هذا تفسير صحيح اتفق عليه المفسرون كافة ، وإنما دخل الندب تحت الأمر لأن له
صفة زائدة على حسنه ، وليس كالمباح الذي لا صفة له زائدة على حسنه .

وقال الزمخشري : العدل هو الواجب ، لأن الله عز وجل عدل فيه على عباده ،
فجعل ما فرضه عليهم منه واقعا تحت طاعتهم ، والإحسان الندب ، وإنما علق أمره بهما
جميعا ؛ لأن الفرض لا بد أن يقع فيه تفريط ، فيجبره الندب ، ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وآله لإنسان علمه الفرائض فقال : والله لا زدت فيها ولا نقصت منها :
« أفلح إن صدق » ، فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط ؛ وقال
صلى الله عليه وآله : « استقيموا ، ولن تحصوا » ، فليس ينبغي أن يترك ما يجبر كسر
التفريط من النوافل^(٢) .

ولقائل أن يقول : إن كان إنما سمي الواجب عدلا لأنه داخل تحت طاقة المكلف
فليس الندب عدلا لأنه داخل تحت طاقة المكلف ، وأما قوله : إنما أمر بالندب لأنه
يجبر ما وقع فيه التفريط من الواجب ، فلا يصح على مذهبه ، وهو من أعيان المعتزلة
لأنه لو جبرت النافلة بالتفريط في الواجب لكانت واجبة مثله ، وكيف يقول الزمخشري
هذا ومن قول مشايخنا إن ترك صلاة واحدة من الفرائض لو صلى مائة ألف ركعة من
النوافل لم يكفر ثوابها عقاب ترك تلك الصلاة !

(٢) تفسير الكشاف ٢ : ٤٩٠ .

(١) سورة النحل ٥٠ .

(٢٢٩)

الأصل :

وقال عليه السلام :

مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطِ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ .

قال الرضى رحمه الله تعالى :

وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ مَا يُنْفِقُهُ الْمَرْءُ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ وَإِنْ كَانَ يَسِيرًا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجْعَلُ الْجَزَاءَ عَلَيْهِ عَظِيمًا كَثِيرًا ؛ وَالْيَدَانِ هَاهُنَا عِبَارَةٌ^(١) عَنِ النِّعْمَتَيْنِ فَفَرَّقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْنَ نِعْمَةِ الْعَبْدِ وَنِعْمَةِ الرَّبِّ تَعَالَى ذِكْرُهُ ، بِالْقَصِيرَةِ وَالطَّوِيلَةِ ، فَجَعَلَ تِلْكَ قَصِيرَةً وَهَذِهِ طَوِيلَةً ، لِأَنَّ نِعَمَ اللَّهِ أَبَدًا تَضَعُ عَلَى نِعَمِ الْخُلُوقِ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ؛ إِذْ كَانَتْ نِعَمُ اللَّهِ أَصْلَ النِّعَمِ كُلِّهَا ، فَكُلُّ نِعْمَةٍ إِلَيْهَا تَرْجِعُ ، وَمِنْهَا تُنْزَعُ .

الشرح :

هذا الفصل قد شرحه الرضى رحمه الله ، فأغنى عن التعرُّض بشرِّحه .

(١) في ب : « عبارتان » تحريف .

(٢٣٠)

الأصل :

وقال عليه السلام لابنِه الحَسَنِ : لا تَدْعُونَنِي إِلَى مُبَارَزَةٍ ، فَإِنْ دُعِيتَ إِلَيْهَا فَأَجِبْ ؛
فَإِنَّ الدَّاعِيَ إِلَيْهَا بَاغٍ ، وَالبَاغِي مَصْرُوعٌ .

الشيخ :

[مُثَلٌّ مِنْ شَجَاعَةِ عَلِيٍّ]

قد ذَكَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْحِكْمَةَ ، ثُمَّ ذَكَرَ الْعِلَّةَ ، وَمَا سَمِعْنَا أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَعَا إِلَى
مُبَارَزَةٍ قَطًّا ، وَإِنَّمَا كَانَ يَدْعَى هُوَ بَعِينَهُ ، أَوْ يَدْعُو مِنْ يَبَارِزَ ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ فَيَقْتُلُهُ ، دَعَا
بَنُو رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ بْنِ شَمْسٍ بَنِي هَاشِمٍ إِلَى الْبَرَازِ يَوْمَ بَدْرَ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَتَلَ الْوَلِيدَ
وَاشْتَرَكَ هُوَ وَحِزَّةٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَتْلِ عُتْبَةَ ، وَدَعَا طَلْحَةُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ إِلَى الْبَرَازِ يَوْمَ
أَحَدَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَقَتَلَهُ ، وَدَعَا مَرْحَبٌ إِلَى الْبَرَازِ يَوْمَ خَيْبَرَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَقَتَلَهُ .

فَأَمَّا الْخُرُوجُ إِلَى خِرَاجِهَا يَوْمَ الْخَنْدَقِ إِلَى عَمْرِو بْنِ عَبْدِوَدٍّ فَإِنَّهَا أَجَلٌ مِنْ أَنْ يُقَالَ
جَلِيلَةٌ ، وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُقَالَ عَظِيمَةٌ ، وَمَا هِيَ إِلَّا كَمَا قَالَ شَيْخُنَا أَبُو الْهَذِيلِ وَقَدْ سَأَلَهُ سَائِلٌ
أَيُّمَا أَعْظَمُ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ اللَّهِ ، عَلَى أُمِّ أَبِي بَكْرٍ ؟ فَقَالَ : يَا بْنَ أَخِي ، وَاللَّهِ لِمُبَارَزَةِ عَلِيٍّ عَمْرًا يَوْمَ
الْخَنْدَقِ تَعْدِلُ أَعْمَالُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَطَاعَاتُهُمْ كُلُّهَا وَتُرْبِي عَلَيْهَا فَضْلًا عَنْ أَبِي بَكْرٍ
وَحْدَهُ . وَقَدْ رَوَى عَنْ حَذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ مَا يُنَاسِبُ هَذَا ، بَلْ مَا هُوَ أَبْلَغُ مِنْهُ ، رَوَى قَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ
عَنْ أَبِي هَارُونَ الْعَبْدِيِّ ، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ مَالِكٍ السَّعْدِيِّ ، قَالَ : أَتَيْتُ حَذِيفَةَ بْنَ الْيَمَانِ فَقَتَلْتُ :
يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، إِنْ النَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ ^(١) عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَمُنَاقِبِهِ ، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُ

(١) ب : « يَسْتَحْدِثُونَ » تَحْرِيفٌ .

البصيرة : إنكم لتفريطون في تقريظ هذا الرجل ، فهل أنت محدثي بحديث عنه أذكره للناس ؟ فقال : ياربعة ، وما الذى تسألني عن عليّ ، وما الذى أحدثك عنه ! والذى نفسُ حذيفة بيده لو وُضِعَ جميعُ أعمالِ أمة محمد صلى الله عليه وآله في كِفَّة الميزان مُنذ بَعَثَ الله تعالى محمداً إلى يوم الناس هذا ، ووُضِعَ عملٌ واحدٌ من أعمال عليّ في الكفة الأخرى لَرَجَحَ على أعمالهم كلها ؛ فقال ربيعة : هذا المدح الذى لا يقام له . ولا يُقصد ولا يُحمل ، إني لأظنه إسرافاً يا أبا عبد الله ! فقال حذيفة : يالكم ، وكيف لا يُحمل ! وأير كان المسلمون يوم الخندق وقد عبر إليهم عمرو وأصحابه فملكهم الهلع والجزع ، ودعا إلى المبارزة فأحجموا عنه حتى برز إليه على فقتله ! والذى نفسُ حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من أعمال أمة محمد صلى الله عليه وآله إلى هذا اليوم وإلى أن تقوم القيامة .

وجاء في الحديث المرفوع : « إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ذلك اليوم حين برز إليه : « برز الإيمان كله إلى الشرك كله » .

وقال أبو بكر بن عيَّاش : لقد ضَرَبَ على بُرْ أبي طالب عليه السلام ضربة ما كان في الإسلام أَيْمَنَ منها ضَرْبَتُهُ عَمراً يوم الخندق ، ولقد ضَرَبَ على ضربة ما كان في الإسلام أشأمَ منها - يعنى ضربة ابن مُلْجَمَ لعنه الله .

وفي الحديث المرفوع أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما بَارَزَ على عَمْرٍا مازال رافعا يَدَيْه مُقَمِّحاً^(١) رأسه نحو السماء ، داعياً ربّه قائلاً : اللهم إنيك أخذت مني عُبَيْدَةَ يَوْمَ بَدْرَ ، وحمزة يوم أحد ، فاحفظْ عليّ اليومَ عليّاً ، ربِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ^(٢) .

وقال جابر بن عبد الله الأنصاري : والله ما شَبَّهْتُ يَوْمَ الأحزاب ؛ قَتَلَ عليّ عَمْرًا

(٢) سورة الأنبياء ٤٩ .

(١) أفتح رأسه : كشفها .

وتخاذل المشركين بعده ، إلا بما قصه الله تعالى من قصة طالوت وجالوت في قوله : ﴿ فَخَرَّمُوهُمْ إِذَنَّ لِلَّهِ وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ ﴾^(١) .

وروى عمرو بن أذهر ، عن عمرو بن عبّيد ، عن الحسن أن علياً عليه السلام لما قتل عمراً اختز رأسه وحمله فألقاه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقام أبو بكر وعمر فقبلا رأسه ، ووجه رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله يتهلل ، فقال : هذا النصر ! أو قال : هذا أول النصر .

وفي الحديث المرفوع : إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوم قُتل عمرو : « ذهبت ريحهم ، ولا يفزوننا بعد اليوم ، ونحن نغزوهم إن شاء الله » .

[قصة غزوة الخندق]

وينبغي أن نذكر ملخص هذه القصة من مغازي الواقدي وابن إسحاق ، قال : خرج عمرو بن عبدود يوم الخندق وقد كان شهد بدرًا فارتث^(٢) جريحاً ، ولم يشهد أحدًا ، فحضر الخندق شاهراً سيفه^(٣) معلماً ، مُدِّلاً بشجاعته وبأسه ، وخرج معه ضاراً بن الخطاب الفهري وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله ابن المغيرة الخزوميون ، فطافوا بخيولهم على الخندق إصعاداً وانحداراً ، يطلبون موضعاً ضيقاً يعبرونه ، حتى وقفوا على أضيق موضع فيه في المكان المعروف بالميزار ، فأكروها خيولهم على العبور فعبرت ، وصاروا مع المسلمين على أرض واحدة ورسول الله صلى الله عليه وآله جالس وأصحابه قيام على رأسه ، فتقدم عمرو بن عبدود فدعا

(٢) ارتث : حل من المعركة جريحاً وبه رمق .

(١) سورة البقرة ٢٥١ .

(٣) ب : « نفسه » تحريف .

إلى البراز سرارا ، فلم يقم إليه أحد ، فلما أ كثر ، قام على عليه السلام فقال : أنا أبارزه
 يارسول الله ، فأمره بالجلوس ، وأعاد عمرو النداء والناس سكوت كأن على رؤوسهم
 الطير ، فقال عمرو : أيها الناس ، إنكم تزعمون أن قتلاكم في الجنة وقتلانا
 في النار ، أفما يجب أحدكم أن يقدم على الجنة أن يقدم عدوا له إلى النار !
 فلم يقم إليه أحد ، فقام على عليه السلام دفعة ثانية وقال : أنا له يارسول الله ، فأمره
 بالجلوس ، فجال عمرو بفرسه مقبلا ومديرا ، وجاءت عظام الأحزاب فوقفت من
 وراء الخندق ومدت أعناقها تنظر ، فلما رأى عمرو أن أحدا لا يجيبه ، قال :

ولقد بُحِثْتُ مِنَ النَّدَا ۖ بِجَمْعِهِمْ : هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ !
 ووقفتُ مذجبن المشيع موقفَ القرنِ المناجزِ
 إني كذلك لم أزل متسرعا قبل الهزاهزِ
 إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائزِ

فقام على عليه السلام فقال : يارسول الله ، ائذن لي في مبارزته ؛ فقال : ادن ،
 فدنا فقلده سيفه ، وعممه بعمامة ، وقال : امض لشأنك ، فلما انصرف قال : « اللهم أعنه
 عليه » ، فلما قرب منه قال له مجيبا إياه عن شعره :

لا تمجلن فقد أنا لك مجيب صوتك غير عاجز
 ذو نية وبصيرة يرجو بذاك نجاة فائز
 إني لأمل أن أقسم عليك نائمة الجنائز
 من ضربة فوها يبقى ذكرها عند الهزاهز

فقال عمرو : من أنت ! وكان عمرو شيخا كبيرا قد جاوز الثمانين ، وكان نديما
 أبي طالب بن عبد المطلب في الجاهلية ، فانتسب على عليه السلام له وقال : أنا على بن
 أبي طالب ، فقال : أجل ، لقد كان أبوك نديما لي وصديقا ، فارجع فإني لأحب أن

أَقْتَلَكَ - كان شيخنا أبو الخير مصدق بن شبيب النحوي يقول إذا مررنا في القراءة عليه بهذا الموضع : والله ما أمره بالرجوع إبقاء عليه ، بل خوفا منه ، فقد عرف قتله ببذر واحد ، وعلم أنه إن ناهضه قتله ، فاستحيا أن يظهر الفشل ، فأظهر الإبقاء والإرعاء ، وإنه لكاذب فيهما - قالوا : فقال له علي عليه السلام : لكتي أحب أن أقتلك ، فقال يابن أخى ، إني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك ، فارجع وراءك خيرم لك ، فقال علي عليه السلام : إن قريشا تتحدث عنك أنك قلت : لا يدعوني أحداً إلى ثلاث إلا أجبت ولو إلى واحدة منها ، قال : أجل ، فقال علي عليه السلام : فإني أدعوك إلى الإسلام ، قال : دع عنك هذه ، قال : فإني أدعوك إلى أن ترجع بمن تبعك من قريش إلى مكة ، قال : إذن تتحدث نساء قريش عني أن غلاما خدعني ، قال : فإني أدعوك إلى البراز ، فحمى عمرو وقال : ما كنت أظن أن أحدا من العرب يرومها مني ، ثم نزل فمقر فرسه - وقيل : ضرب وجهه ففر - وتجاوزا ، فثارت لهما غبرة وارثهما عن العيون ، إلى أن سمع الناس التكبير عالياً من تحت الغبرة ، فعلموا أن علياً قتله ، وانجلت الغبرة عنهما ، وعلي راكب صدره يحز رأسه ، وفر أصحابه ليعبروا الخندق ، فظفرت بهم خيائهم إلا نوفل بن عبد الله ، فإنه قصر فرسه ، فوقع في الخندق ، فرماه المسلمون بالحجارة ، فقال : يامعشر الناس ، قتلة أكرم من هذه ، فنزل إليه علي عليه السلام فقتله ، وأدرك الزبير هبيرة بن أبي وهب فصر به فقطع ثمر^(١) فرسه وسقطت درع^(٢) كان حملها من ورائه ، فأخذها الزبير ، وألقى عكرمة رجمه ، وناولش عمر بن الخطاب ضرار بن عمرو ، فحمل عليه ضرار حتى إذا وجد عمر مس الرمح رفعه عنه وقال : إنها لنعمة مشكورة ، فاحفظها يابن الخطاب ، إني كنت أليت ألا تمكيني يداي من قتل قرشي فأقتله . وانصرف ضرار راجعا إلى أصحابه ، وقد كان جرى له معه مثل هذه في يوم أحد . وقد ذكر هاتين القصتين معاً محمد بن عمر الواقدي في كتاب المغازي^(٣) .

(٢) وانظر سيرة ابن همام ٣ : ٢٤١ .

(١) الثغر : السير في مؤخر السرج .

(٢٣١)

الأضل :

خِيَارُ خِصَالِ النِّسَاءِ شِرَارُ خِصَالِ الرِّجَالِ : الزَّهْوُ وَالْجُبْنُ وَالْبُخْلُ ، فَإِذَا
كَانَتِ الْمَرْأَةُ مَزْهُوَّةً لَمْ تُتِمَّ كُنْ مِنْ نَفْسِهَا ، وَإِذَا كَانَتْ بَخِيلَةً حَفِظَتْ مَالَهَا وَمَالَ
بَعْلِهَا ، وَإِذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرَّقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعْزِضُ لَهَا .

البُخْلُ :

أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى الطُّغْرَائِيُّ شَاعِرُ الْعَجَمِ فَقَالَ :
الْجُودُ وَالْإِقْدَامُ فِي فِتْيَانِهِمْ وَالْبُخْلُ فِي الْفَتَيَاتِ وَالْإِشْفَاقُ
وَالطَّنُّ فِي الْأَحْدَاقِ دَابُّرُمَاتِهِمْ وَالرَّامِيَاتِ سِبَاهُمَا الْأَحْدَاقُ
وله :

قَدْ زَادَ طَيْبَ أَحَادِيثِ الْكِرَامِ بِهَا مَا بِالْكَرَامِ مِنْ جُبْنٍ وَمِنْ بَخْلٍ
وَفِي حِكْمَةِ أَفْلَاطُونِ : مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي مَحَبَّةِ الرَّجُلِ لَأَمْرَأَتِهِ وَاتِّفَاقِ مَا بَيْنَهُمَا
أَنْ يَكُونَ صَوْتُهَا دُونَ صَوْتِهِ بِالطَّبْعِ ، وَتَمَيُّزُهَا دُونَ تَمَيُّزِهِ ، وَقَلْبُهَا أَوْفَعُ مِنْ قَلْبِهِ ،
فَإِذَا زَادَ مِنْ هَذَا عِنْدَهَا شَيْءٌ عَلَى مَا عِنْدَ الرَّجُلِ تَنَافَرَا عَلَى مَقْدَارِهِ .
وَتَقُولُ : زُهِىَ الرَّجُلُ عَلَيْنَا فَهُوَ مَزْهُوٌّ ، إِذَا افْتَخَرَ ، وَكَذَلِكَ نُخَيِّ فَهُوَ مَنُخُوٌّ ،
مِنَ النَّخْوَةِ ، وَلَا يَجُوزُ زَهَاً^(١) إِلَّا فِي لَفَةٍ ضَعِيفَةٍ .
وَفَرَّقَتْ : خَافَتْ . وَالْفَرَقَ : الْخُوفَ .

(١) عَنْ ابْنِ السَّكَيْتِ .

(٢٣٢)

الأصل

وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : صِفْ لَنَا الْعَاقِلَ ، فَقَالَ : هُوَ الَّذِي يَضَعُ
الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ .

فَقِيلَ : فَصِفْ لَنَا الْجَاهِلَ ، قَالَ : قَدْ قُلْتُ .

قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : يَمْنِي أَنَّ الْجَاهِلَ هُوَ الَّذِي لَا يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ ،
فَكَأَنَّ تَرَكَ صِفَتِهِ صِفَةً لَهُ ، إِذْ كَانَ بِخِلَافِ وَصْفِ الْعَاقِلِ .

الْبَنْجُ :

هَذَا مِثْلُ الْكَلَامِ الَّذِي تَنْسُبُهُ الْعَرَبُ إِلَى الضَّبِّ . قَالُوا : اخْتَصَمَتِ الضَّبُّعُ وَالْثَعْلَبُ
إِلَى الضَّبِّ ، فَقَالَتِ الضَّبُّعُ : يَا أَبَا الْحَسَلِ ^(١) إِنِّي التَّقَطْتُ تَمْرَةً ، قَالَ : طَيِّبَا جَنِيَّتٍ ، قَالَتْ :
وَلِنْ هُنَا أَخْذَهَا مِنِّي ؛ قَالَ : حَظٌّ نَفْسِهِ أَحْرَزُ ، قَالَتْ : فَإِنِّي لَطَمْتُهُ ؛ قَالَ : كَرِيمٌ
حَتَّى حَقِيقَتَهُ ، قَالَتْ : فَلَطَمَنِي ، قَالَ : حُرَّةٌ انْتَصَرَ ؛ قَالَتْ : اقْضِ بَيْنَنَا ، قَالَ :
قَدْ فَعَلْتُ .

(١) الحسل : ولد الضب .

(٢٣٣)

الأصل

” وَاللَّهِ لَدُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَهْوَنُ فِي عَيْنِي مِنْ عِرَاقٍ خَنْزِيرٍ فِي يَدٍ مَجْدُومٍ .

الشَّح :

العراق : جمع عَرَق ، وهو العَظْمُ عليه شيءٌ من اللَّحْمِ ، وهذا من الجُوعِ النادرة، نحو
رَخْلٍ ورُخَالٍ وتَوَامٍ وتَوَامٍ^(١) ، ولا يكون شيءٌ أحقر ولا أبغضُ إلى الإنسان من عِرَاقٍ
خَنْزِيرٍ فِي يَدٍ مَجْدُومٍ ، فإنه لم يَرْضَ بأن يجعله في يد مَجْدُومٍ - وهو غاية ما يكون من
التنفير - حتَّى جعله عِرَاقٍ خَنْزِيرٍ .

ولعمري لقد صدق - وما زال صادقاً - ومن تأمل سيرته في حالتي خلوه من العمل
وولايته الخلافة عَرَفَ صحة هذا القول .

(١) ب : « نام » تحريف .

(٢٣٤)

الأصل :

إِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الشَّجَّارِ ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ شُكْرًا فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ .

الشرح :

هذا مقامٌ جليلٌ تنقاصر عنه قُوى أكثر البشرِ ، وقد شَرَحْنَاهُ فيما تقدّم ، وقلنا : إِنَّ العبادة لرجاء الثواب تجارةٌ ومُعَاوِضَةٌ ، وَإِنَّ العبادة لخوفِ الْعِقَابِ لِمَنْزِلَةٍ مَنْ يَسْتَجِدِي لِسُلْطَانٍ قَاهِرٍ يَخَافُ سَطْوَتَهُ .

وهذا معنى قوله : « عبادة العبيد » ، أى خَوْفِ السَّوْطِ وَالْعَصَا ، وتلك ليس عبادةً نافعةً ، وهى كمن يَتَعَذَّرُ إِلَى إنسان خوفَ أَذَاهُ وَنَقْمَتِهِ ، لَا لِأَنَّ مَا يَتَعَذَّرُ مِنْهُ قَبِيحٌ لَا يَنْبَغِي لَهُ فِعْلُهُ ، فَأَمَّا العبادة لله تعالى شُكْرًا لِأَنَّهُمُ هِيَ عِبَادَةٌ نافعةٌ ، لِأَنَّ العبادة شكرٌ مُخْصِصٌ ، فَإِذَا أَوْقَعَهَا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ فَقَدْ أَوْقَعَهَا الْمَوْقِعَ الَّذِى وُضِعَتْ عَلَيْهِ .

فأما أصحابنا المتكلمون فيقولون : يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَ الْإِنْسَانُ الْوَاجِبَ لَوَجْهِ وَجُوبِهِ ، وَيَتْرَكَ الْقَبِيحَ لَوَجْهِ قُبْحِهِ ، وَرَبَّمَا قَالُوا : يُفْعَلُ الْوَاجِبُ لِأَنَّهُ وَاجِبٌ ، وَيُتْرَكَ الْقَبِيحُ لِأَنَّهُ قَبِيحٌ ، وَالْكَلَامُ فِي هَذَا الْبَابِ مَشْرُوحٌ مَبْسُوطٌ ^(١) فِي الْكُتُبِ الْكَلَامِيَّةِ .

(١) ساقطة من ١ .

(٢٣٥)

الأصل :

المرأة شرٌ كُلُّهَا ، وَشَرُّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهَا .

الشرح :

حَلَفَ إنسانٌ عند بعض الحكماء أَنه مَادْخِلٌ بِإِي شَرِّ قِطٍّ ؛ فقال الحكيم : فَمِنْ
أَيْنَ دَخَلْتَ أَمْرًا تُك !

وكان يقال : أسباب فِتْنَةِ النساءِ ثلاثة : عَيْنٌ نَازِرَةٌ ، وَصُورَةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ ، وَشَهْوَةٌ
قَادِرَةٌ ، فالحكيم من لا يَرُدُّ النَظْرَةَ حَتَّى يَعْرِفَ حَقَائِقَ الصُّورَةِ ؛ وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا رَأَى
امْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ ثُمَّ طَالَبَهَا فَأَمْتَنَعَتْ ، هَلْ كَانَ إِلَّا تَارِكًا ! فَإِنْ تَأَبَّى عَقْلُهُ عَلَيْهِ فِي مُطَالَبَتِهَا
كَتَابَتِهَا عَلَيْهِ فِي مُسَاعَفَتِهَا قَدَحٌ ^(١) نَفْسَهُ عَنْ لَذَنَةِ قَدَحِ الْغَيُورِ إِيَّاهُ عَنْ حُرْمَةِ مُسْلِمٍ .
وكان يقال : مَنْ أَتَعَ نَفْسَهُ فِي الْحَلَالِ مِنَ النِّسَاءِ لَمْ يَتَّقِ إِلَى الْحَرَامِ مِنْهُنَّ
كَالطَّلِيحِ ^(٢) مُنَاهُ أَنْ يَسْتَرِيحَ .

(١) قَدَحٌ نَفْسَهُ : مَنَعَهَا وَحَدَّ مِنْ شَهْوَتِهَا .

(٢) الطَّلِيحُ : التَّعَبُ .

(٢٣٦)

الأصل :

مَنْ أَطَاعَ التَّوَانِي ضَيَّعَ الْحُقُوقَ ، وَمَنْ أَطَاعَ الْوَأَشِي ضَيَّعَ الصَّدِيقَ .

الشرح :

قد تقدّم الكلام في التّواني والمعجز ، وتقدّم أيضا الكلام في الوشاية والسّعاية .
ورُفِعَ إلى كسرى أبرويز أنّ النصارى الذين يحضرون باب الملك يُعرفون
بالجسس إلى ملك الروم ، فقال : مَنْ لم يظهر له ذنب لم يظهر منّا عقوبة له .
ورُفِعَ إليه أنّ بعض الناس يُنكر إصغاء الملك إلى أصحاب الأخبار ، فوقع هؤلاء
بمنزلة مدّاخل الضياء إلى البيت المُظلم ، وليس لقطع موادّ النور مع الحاجة إليه وجهٌ
عند العقلاء .

قال أبو حيّان : أمّا الأصل في التدبير فصحيح ، لأنّ الملك محتاج إلى الأخبار ، لكن
الأخبار تنقسم إلى ثلاثة أوجه :
خبرٌ يتصل بالدّين ، فالواجب عليه أن يُبالغ ويحتاط في حفظه وحراسته وتحقيقه
ونفى القذّي عن طريقه وساحته .

وخبرٌ يتصل بالدّولة ورسومها ، فينبغي أن يتيقظ في ذلك خوفا من كيدٍ ينفذ ،
وبغىٍ يسرى .

وخبرٌ يدور بين الناس في منصرفهم وشأنهم وحالمهم ، متى زاحتهم فيه اضطغفوا

عليك ، وتمنّوا زوالَ مُلْكِكَ ، وأرصدوا العداوةَ لك ، وجَهّروا إلى عدوك وفتحوا
له بابَ الحيلة إليك .

ولمّا لحقَ الناسَ من هذا الخبرِ هذا العارض ، لأنّ في مَنعِ الملكِ إيّاهم عن تصرّفاتهم
وتتبّعه لهم في خركاتهم ، كَرّبا على قلوبهم ، ولهيبةً في صُدورهم ، ولا بدّ لهم في الدّهرِ الصالح
والزّمانِ المعتدل ، والخصبِ المتتابع ، والسبيلِ الآمن ، والخيرِ المتّصل ؛ من فُكاهةٍ وطيب
وأُسْتِرِ سالٍ وأَشْرَ وبَطَرٍ ، وكلّ ذلك من آثارِ النعمةِ الدارّة ، والقلوبِ القارّة ، فإنّ
أَغْضَى أَلَمِّكَ بصره على هذا القِسْمِ عاشَ محبوبا ، وإن تنكّر لهم فقد استأسدَهم .
أعداء . والسلام .

(٢٣٧)

الأصل :

الحجرُ الغصبُ في الدارِ رهنٌ على خرابِها .

قال الرضى رحمه الله تعالى :

وقَدْ رُوِيَ مَا يَنْسِبُ هَذَا الْكَلَامَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا عَجَبَ
أَنْ يَشْتَبِهَ الْكَلَامَانِ فَإِنَّ مُسْتَقَامًا مِنْ قَلْبٍ ، وَمَفْرَعًا مِنْ ذُنُوبٍ !

الشرح :

الذُّنُوبُ : الدلو المملأى ، ولا يقال لها وهى فارغة : ذُنُوبٌ ، ومعنى الكلمة أن الدار
المبنية بالحجارة المنصوبة ولو بحجر واحد ، لا بد أن يتعجل خرابها ، وكأما ذلك الحجر
رهن على حصول التخرب ، أى كما أن الرهن لا بد أن يُفْتَكَّ ، كذلك لا بد لما جعل
ذلك الحجر رهناً عليه أن يحصل .

وقال ابن بسام لأبي على بن مُثَنَّى لما بنى داره بالزاهر ببغداد من الغصب
وظلم الرعية :

بِحَنِيكِ دَارَانِ مَهْدُومَتَانِ وَدَارُكَ ثَالِثَةٌ شُهْدَمُ
فَلَيْتَ السَّلَامَةَ الْمُنْصِفِي نِ دَامَتْ فَكَيْفَ لِمَنْ يَظْلَمُ !

والداران : دارُ أبي الحسن بنِ القُرأت ، ودارُ محمد بنِ داودَ بنِ الجراح .
وَقَلَّ فِيهِ أَيْضًا :

قُلْ لَابْنِ مُقَلَّةٍ مَهْلًا لَا تَكُنْ عَجَلًا فَإِنَّمَا أَنْتَ فِي أَضْغَاثِ أَحْلَامٍ
تَبْنِي بِأَنْقَاضِ دُورِ النَّاسِ مَجْتَهِدًا دَارًا سَتُنْقِضُ أَيْضًا بَعْدَ أَيَّامٍ^(١)
وَكُنْ مَا تَقَرَّسُهُ ابْنُ بَسَامٍ فِيهِ حَقًّا ، فَإِنَّ دَارَهُ نُقِضَتْ حَتَّى سَوَّيْتُ بِالْأَرْضِ فِي أَيَّامِ
الرَّاضِي بِاللَّهِ .

(١) تَنْقُضُ : تَقْوِضُ وَتَهْلِكُ .

(٢٣٨)

الأضل :

يَوْمُ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ ، أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الظَّالِمِ عَلَى الْمَظْلُومِ .

البُخ :

قد تقدّم الكلام في الظلم مرارا .

وكان يقال : اذكر عند الظلم عدل الله تعالى فيك ، وعند القدرة قدرة الله

تعالى عليك .

وإنما كان يومُ المظلوم على الظالم أشدّ من يومه على المظلوم ، لأن ذلك اليومَ يومُ
الجزاء الكليّ ، والانتقام الأعظم ، وقُصارَى^(١) أمرِ الظالم في الدنيا أن يقتل غيره
فيميته ميتةً واحدةً ، ثم لا سبيل له بعد إماتته إلى أن يدخل عليه ألّا آخر ؛ وأمّا يومُ
الجزاء فإنه يومٌ لا يموت الظالم فيه فيستريح^(٢) ، بل عذابه دائمٌ متجدّد ، نعوذ بالله
من سُخطه وعِقابه !

(٢) ١ : « لا يستريح فيه الظالم » .

(١) ١ : « وقصر » .

(٢٣٩)

الأصل :

أَتَقِيَ اللَّهُ بَعْضَ التَّقَى وَإِنْ قَلَّ ؛ وَأَجْمَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ سِتْرًا وَإِنْ رَقَّ .

الشرح :

يقال في المثل : مالا يُدْرِكُ كُلُّهُ لا يُتْرَكُ كُلُّهُ .

فالواجب على من عَسُرَتْ عليه التقوى بأجمعها أن يتقى الله في البعض ، وأن يجعل بينه وبينه سِتْرًا وَإِنْ كَانَ رَقِيقًا .

وفي أمثال العامة : اجعل بينك وبين الله رَوْزَنَةً^(١) ، والرَّوْزَنَةُ لفظة صحيحة مُعَرَّبَةٌ ، أى لا تجعل ما بينك وبينه مَسْدُودًا مظلمًا بالكلية .

(١) في اللسان : « الروزنة : الكوة ، وفي المحكم : الحرق في أعلى السقف . وعن التهذيب : يقال للكوة النافذة الروزن ؛ قال : وأحسبه معرباً .

(٢٤٠)

الأفضل :

إِذَا أَرَدَحَمَ الْجَوَابُ ، خَفِيَ الصَّوَابُ .

الشيخ :

هذا نحو أن يورد الإنسان إشكالا في بعض المسائل النظرية بحضرة جماعة من أهل النظر ، فيتغالب القوم ويتسابقون إلى الجواب عنه ، كلٌّ منهم يورد ماخطر له .

فلاريب أن الصواب يخفى حينئذ ، وهذه الكلمة في الحقيقة أمر للنّاظر البّحث أن يتحرى الإنصاف في بحثه ونظره مع رفيقه ، وألا يقصد المراء^(١) والمغالبة والقهر .

(١) المراء : الجدل .

— ٧ —

(٢٤١)

الأصل :

إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ نِعْمَةٍ حَقًّا ، فَمَنْ أَدَّاهُ زَادَهُ مِنْهَا ، وَمَنْ قَصَّرَ فِيهِ خَاطَرَ
بِزَوَالِ نِعْمَتِهِ .

الشرح :

قد تقدّم الكلامُ في هذا المعنى .
وجاء في الخبر : مَنْ أَوْتِيَ نِعْمَةً فَأَدَّى حَقَّ اللَّهِ مِنْهَا بَرَدَ اللَّهْفَةُ ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ
وَكُشْفُ الْمَظْلَمَةِ ، كَانَ جَدِيرًا بِدَوَامِهَا [وَمَنْ قَصَّرَ قُصِّرَ بِهِ] ^(١) .

(١) تكملة من د .

(٢٤٢)

الأصل :

إِذَا كَثُرَتِ الْمَقْدَرَةُ قَلَّتِ الشَّهْوَةُ^(١).

الشرح :

هذا مثل قولهم : كلُّ مقدورٍ عليه مملول ، ومثل قول الشاعر .

* وكلُّ كثيرٍ عدوُّ الطَّبيعه *

ومثل قول الآخر :

وَأَخِ كَثُرَتْ عَلَيْهِ حَتَّى مَلَأَتْهُ الشَّيْءُ مَمْلُوءٌ إِذَا هُوَ يَرْخُصُ

يَالَيْتَهُ إِذَا بَاعَ وَدَّى بَاعَهُ مِمَّنْ يَزِيدُ عَلَيْهِ لَا مِنْ يَنْقُصُ

ولهذا الحكم علة في العلم العقلي ، وذلك أن النفس عندهم غنية بذاتها ، مكتفية بنفسها ، غير محتاجة إلى شيء خارج عنها ، وإنما عرضت لها الحاجة والفقر إلى ما هو خارج عنها لمقارنتها الهيولى ، وذلك أن أمر الهيولى بالضد من أمر النفس في الفقر والحاجة ، ولما كان الإنسان مركباً من النفس والهيولى عرض له الشوق إلى تحصيل العلوم والقنيات^(٢) لانتفاعه بهما ، والتذاذه بمصولها ، فأما العلوم فإنه يحصلها في شبيه بالخزانة له ، يرجع إليها متى شاء ، ويستخرج منها ما أراد ، أعني القوى النفسانية التي هي محل الصور والمعاني على ما هو مذكور في موضعه . وأما القنيات والمحسوسات

(١) د : « المشورة » . (٢) القنيات : جمع قنية ؛ بالضم والكسر : ما اكتسبه الإنسان .

فإنه يروم منها مثل ما يروم من تلك ، وأن يودعها خزانة محسوسة خارجة عن ذاته ، لكنه يغلط في ذلك من حيث يستكثر منها ، إلى أن يتنبه بالحكمة على ما ينبغي أن يقتنى منها ، وإلّا حارص على ما منيع لأن الإنسان إنما يطلب ما ليس عنده ، لأن تحصيل الحاصل محال ، والطلب إنما يتوجه إلى المعلوم ، لا إلى الموجود ، فإذا حصله سكن وعلم أنه قد أدخره ، ومتى رجع إليه وخذله إن كان كما يبقى بالذات ، خزنه وتشتوق إلى شيء آخر منه ، ولا يزال كذلك إلى أن يعلم أن الجزئيات لانهائية لها ومالا نهاية له ، فلا مطمع في تحصيله ، ولا فائدة في النزوع إليه ، ولا وجه لطلبه سواء كان معلوماً أو محسوساً ، فوجب أن يقصد من المعلومات إلى الأهم ومن المقتنيات إلى ضرورات البدن ومقدماته ، ويعديل عن الاستكثار منها ، فإن حصولها كلها مع أنها لانهائية لها غير ممكن ، وكلما فضل عن الحاجة وقدر الكفاية فهو مادة الأخران والهموم ، وضروب المكاره . والغلط في هذا الباب كثير ، وسبب ذلك طمع الإنسان في الغنى من معدن الفقر ، لأن الفقر هو الحاجة ، والغنى هو الاستقلال ، إلى أن يحتاج إليه ، ولذلك قيل : إن الله تعالى غنى مطلقاً ، لأنه غير محتاج البتة ، فأما من كثرت قنياته فإنه يستكثر حاجاته بحسب كثرة قنياته ، وعلى قدرها رغبه إلى الاستكثار بكثرة وجوه فقره ، وقد بين ذلك في شرائع الأنبياء ، وأخلاق الحكماء ، فأما الشيء الرخيص الموجود كثيراً فإنما يرغب عنه ، لأنه معلوم أنه إذا التمس وجد والغالى فإنما يقدر عليه في الأحيان ويصنیه الواحد بعد الواحد ، وكل إنسان يتنى أن يكون ذلك الواحد ليصيبه وليحصل له مالا يحصل لغيره .

(٢٤٣)

الأَمَلُ :

احذَرُوا نِفَارَ النَّعْمِ ، فَمَا كُلُّ شَارِدٍ بِمَرْدُودٍ .

السُّخْرُ :

هذا أمرٌ بالشُّكْرِ عَلَى النِّعْمَةِ وتركِ المعاصي ، فإنَّ المعاصي تُزِيلُ النِّعْمَ كما قيل :
 إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا فَإِنَّ الْمَعَاصِيَ تُزِيلُ النِّعْمَ
 وقال بعض السلف : كُفِّرَانَ النِّعْمَةِ بَوَار ، وَقَلَمًا أَقْلَعْتَ نَافِرَةً فَرَجَعْتَ فِي نَصَابِهَا ،
 فَاسْتَدْعِرْ شَارِدَهَا بِالشُّكْرِ ، وَاسْتَدِمَّ رَاهِنَهَا بِكَرَمِ الْجَوَار ، وَلَا تَحْسَبْ أَنَّ سُبُوغَ
 سِتْرِ اللَّهِ عَلَيْكَ غَيْرَ مُتَقَلِّصٍ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْكَ إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْجُ اللَّهَ وَقَارَا .
 وقال أبو عصمة : شَهِدْتُ سُفْيَانَ وَفُضَيْلًا^(١) فَمَا سَمِعْتُهَا يَتَذَاكَرَانِ إِلَّا النِّعْمَ ،
 يَقُولَانِ : أَنْعَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْنَا بِكَذَا ، وَقَعَلَ بِنَا كَذَا .
 وقال الحسن^(٢) : إِذَا اسْتَوَى يَوْمُكَ فَأَنْتَ نَاقِصٌ ، قِيلَ لَهُ : كَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ :
 إِنْ زَادَكَ اللَّهُ الْيَوْمَ نِعْمًا فَعَلَيْكَ أَنْ تَزْدَادَ غَدًا لَهُ شُكْرًا .
 وكان يقال : الشُّكْرُ جُنَّةٌ^(٣) مِنَ الزَّوَالِ ، وَأَمْنَةٌ مِنَ الْإِنْتِقَالِ .
 وكان يقال : إِذَا كَانَتِ النِّعْمَةُ وَسِيمَةً فَاجْعَلِ الشُّكْرَ لَهَا تَمِيمَةً^(٤) .

(٢) هو الحسن البصري .

(٤) التَّيْمَةُ : الْعُودَةُ .

(١) هو فضيل بن عياض .

(٣) جُنَّةٌ : وَقَايَةٌ .

(٢٤٤)

الأضل :

الكرم أعطف من الرحيم .

السنج :

مثل هذا المعنى قول أبي تمام لابن الجهم :

إلا يكن نسب يؤلف بيننا أدب أقناه مقام الوالد^(١)
أو يختلف ما الوصال فإونا عذب تحدر من غمام واحد
ومن قصيدة لي في بعض أغراضى :
وشائج الآداب عاطفة ال فضلاء فوق وشائج النسب^(٢)

(١) ديوانه ١ : ٤٠٧ ، وقيله :

إن يكدر مطرف الإخاء فإننا نغدو ونسرى في إخاء تالد

(٢) في الأصول : « الأنساب » ، ولا يستقيم الوزن .

(٢٤٥)

الأفضل :

مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا فَصَدَّقْ ظَنَّهُ .

الشرح :

هذا قد تقدّم في وصيته عليه السلام لولده الحسن .
ومن كلام بعضهم : إِنِّي لَأَسْتَحْيِي أَنْ يَأْتِيَنِي الرَّجُلُ يُحْمَرُّ وَجْهُهُ تَارَةً مِنْ
الْخَجَلِ ، أَوْ يَصْفَرُّ أُخْرَى مِنْ خَوْفِ الرَّدِّ قَدْ ظَنَّ بِي الْخَيْرَ وَبَاتَ عَلَيْهِ وَغَدَا عَلَى أَنْ
أَرَدَهُ ^(١) خَائِبًا .

(٢٤٦)

الأفضل :

أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ .

الْبَيْتُ :

لَا رَيْبَ أَنَّ الثَّوَابَ عَلَى قَدْرِ الْمَشَقَّةِ ، لِأَنَّهُ كَالْعِوَضِ عَنْهَا ^(١) ، كَمَا أَنَّ الْعِوَضَ الْحَقِيقِيَّ عِوَضٌ عَنِ الْأَلَمِ ، وَلِهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ أَحْزَنُهَا » ^(٢) .
أَيَّ أَشَقَّهَا .

(١) ١ : « مِنْهَا » .

(٢) نقله ابن الأثير في النهاية ١ : ٢٥٨ قال : يقال : رجل حامز الفؤاد وحيزه ؛ أي شديد .

(٢٤٧)

الأصل :

عَرَفْتُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ الْعَزَائِمِ ، وَحَلِّ الْعُقُودِ ، وَنَقْضِ الْهَيْمِ .

الشرح :

هذا أحدُ الطُّرُقِ إلى معرفة الباري سبحانه ، وهو أن يَعَزِمَ الإنسانُ على أمرٍ ، وَيَصْنَمَ رَأْيَهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ لَا يَلْبَثَ أَنْ يُخْطِرَ اللَّهُ تَعَالَى بِبَالِهِ خَاطِرًا صَارِفًا لَهُ عَنْ ذَلِكَ الْفِعْلِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهِ ، أَى لَوْلَا أَنْ فِي الْوُجُودِ ^(١) ذَاتًا مَدِيرَةً لِهَذَا الْعَالَمِ لَمَا خَطَرَتْ الْخَوَاطِرُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَحْتَسِبَةً ، وَهَذَا فَصْلٌ يَتَضَمَّنُ كَلَامًا دَقِيقًا يَذْكُرُهُ الْمُتَكَلِّمُونَ فِي الْخَاطَرِ الَّذِي يَخْطِرُ عَنْ غَيْرِ مُوجِبٍ لَخَطُورِهِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ أَخْطَرَهُ بِبَالِهِ ؛ وَإِلَّا لَكَانَ تَرْجِيحًا مِنْ غَيْرِ مَرَجِّحٍ لْجَانِبِ الْوُجُودِ عَلَى جَانِبِ الْعَدَمِ ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْخَطِرُ لَهُ بِالْبَالِ شَيْئًا خَارِجًا عَنْ ذَاتِ الْإِنْسَانِ ، وَذَلِكَ هُوَ الشَّيْءُ الْمُسَمَّى بِصَانِعِ الْعَالَمِ .

وليس هذا الموضوع مما يحتمل استقصاء القول في هذا المبحث .

ويقال : إِنَّ عَصْدَ الدَّوْلَةِ وَقَعَتْ فِي يَدِهِ قِصَّةٌ وَهُوَ يَتَصَفَّحُ الْقِصَصَ ، فَأَمَرَ بِصَلْبِ صَاحِبِهَا ، ثُمَّ أَتْبَعَ الْخَادِمَ خَادِمًا آخِرِي قَوْلَ لَهُ : قُلْ لِلْمَطْهَرِ - وَكَانَ وَزِيرَهُ - لَا يَصْلُبُهُ ، وَلَكِنْ أَخْرِجْهُ مِنَ الْحَبْسِ فَاقْطَعْ يَدَهُ الْيُمْنَى ؛ ثُمَّ أَتْبَعَهُ خَادِمًا ثَالِثًا ، فَقَالَ : بَلْ تَقُولُ لَهُ : يَقْطَعُ أَعْصَابَ رِجْلَيْهِ ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ خَادِمًا آخَرَ فَقَالَ لَهُ : يَنْقُلْهُ إِلَى الْقَلْعَةِ بِسِيرَافٍ فِي قِيُودِهِ فَيَجْعَلُهُ هُنَاكَ ، فَاخْتَلَفَتْ دَوَاعِيهِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ .

(١) لى ب : « الجود » تحريف .

(٢٤٨)

الأضل

مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلَاوَةٌ الْآخِرَةِ ، وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الْآخِرَةِ .

الشيخ :

لَمَّا كَانَتِ الدُّنْيَا^(١) ضِدَّ الْآخِرَةِ ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ أَحْكَامُ هَذِهِ ضِدَّ أَحْكَامِ هَذِهِ ،
كَالسَّوَادِ يَجْمَعُ الْبَصَرَ وَالْبَيَاضَ يَفْرُقُ الْبَصَرَ ، وَالْحَرَارَةُ تُوْجِبُ الْخُلْفَةَ ، وَالْبُرُودَةُ تُوْجِبُ
النَّقْلَ ، فَإِذَا كَانَ فِي الدُّنْيَا أَعْمَالٌ هِيَ مَرَّةٌ لِلذَّاقِ عَلَى الْإِنْسَانِ قَدْ وَرَدَ الشَّرْعُ
بِإِجَابَتِهَا فَنَلَّكَ الْأَفْعَالُ تَقْتَضِي^(٢) وَتُوْجِبُ لِفَاعِلِهَا ثَوَابًا حُلُوًّا لِلذَّاقِ فِي الْآخِرَةِ .
وَكَذَلِكَ بِالْعَكْسِ مَا كَانَ مِنَ الْمَشْتَهَيَاتِ الدُّنْيَاوِيَّةِ الَّتِي قَدْ نَهَى الشَّرْعُ عَنْهَا تُوْجِبُ ،
وَأِنْ كَانَتْ حُلُوًّا لِلذَّاقِ مَرَارَةُ الْعُقُوبَةِ فِي الْآخِرَةِ .

(١) : « الحياة الدنيا ضد الحياة الآخرة » . (٢) : ١ : « تقضى » .

(٢٤٩)

الأفضل :

فَرَضَ اللَّهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشُّرْكِ ، وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهاً عَنِ الْكِبَرِ ،
وَالزَّكَاةَ تَسْبِيحاً لِلرِّزْقِ ، وَالصِّيَامَ ابْتِلَاءً لِإِخْلَاصِ الْخَلْقِ ، وَالْحَجَّ تَقْوِيَةً لِلدِّينِ ،
وَالْجِهَادَ عِزّاً لِلْإِسْلَامِ ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَوَامِّ ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ
رَدْعاً لِلشُّفَهَاءِ ، وَصِلَةَ الرَّحِمِ مَنَمَةً لِلْعَدَدِ ، وَالْفِصَاصَ حَقّاً لِلدِّمَاءِ ، وَإِقَامَةَ
الْحُدُودِ إِعْظَاماً لِلْمَحَارِمِ ، وَتَرَكَ شُرْبَ الْخَمْرِ تَحْصِيناً لِلْعَقْلِ ، وَجُنَابَةَ السَّرِقَةِ
إِحْجَاباً لِلْعِفَّةِ ، وَتَرَكَ الزُّنَا تَحْصِيناً لِلنَّسَبِ ، وَتَرَكَ أَلِلَ الْوِطْرِ تَكْثِيراً لِلنَّسْلِ ،
وَالشَّهَادَاتِ اسْتِظْهَاراً عَلَى الْمَجَاحِدَاتِ ، وَتَرَكَ الْكُذْبَ تَشْرِيفاً لِلصِّدْقِ ، وَالسَّلَامَ
أَمَاناً مِنَ الْخَوَافِ ، وَالْأَمَانَةَ نِظَاماً لِلأُمَّةِ ، وَالطَّاعَةَ تَعْظِيماً لِلْإِمَامَةِ .

البَيِّنَات :

هذا الفصلُ يتضمنُ بيانَ تعليلِ العباداتِ إيجاباً وسلباً .
قال عليه السلام : فَرَضَ اللَّهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشُّرْكِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الشُّرْكَ
نَجَاسَةٌ حُكْمِيَّةٌ لَا عَيْنِيَّةٌ ، وَأَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ أَنْجَسَ مِنَ الْجَهْلِ أَوْ أَقْبَحَ ! فَالْإِيمَانُ هُوَ
تَطْهِيرُ الْقَلْبِ مِنْ نَجَاسَةِ ذَلِكَ الْجَهْلِ .

وَفَرَضَتِ الصَّلَاةُ تَنْزِيهاً مِنَ الْكِبَرِ ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَقُومُ فِيهَا قَائِماً ، وَالْقِيَامُ مُنَافٍ
لِلتَّكَبُّرِ وَطَارِدٌ لَهُ ، ثُمَّ يَرْفَعُ يَدَيْهِ بِالتَّكْبِيرِ وَقْتَ الْإِحْرَامِ بِالصَّلَاةِ فَيَصِيرُ عَلَى هَيْئَةٍ
مِنْ يَمَدِّ عُنُقِهِ لِيُوسِّطَهُ السَّيَافَ ، ثُمَّ يَسْتَكْتَفِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْعَبِيدُ الْأَذْلَاءُ بَيْنَ يَدَيِ

السادة العظماء ، ثم يركع على هيئة من يمدّ عنقه ايضربها السياف ، ثم يسجد فيضع
أشرف أعضائه وهو جبهته على أدون المواضع ، وهو التراب . ثم تتضمن الصلاة من
الخشوع والخشوع والامتناع من الكلام والحركة الموهمة لمن رآها أن صاحبها خارج
عن الصلاة ، وما في غضون الصلاة من الأذكار المتضمنة الذلل والتواضع لعظمة
الله تعالى .

وفُرضت الزكاة تسبيبا للرزق ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ﴾ ^(٢) .

وفُرض الصيام ابتلاء لإخلاص الخلق ، قال النبي صلى الله عليه وآله حاكيا عن الله
تعالى : « الصوم لي وأنا أجزي به » ، وذلك لأن الصوم أمر لا يطلع عليه أحد ، فلا
يقوم به على وجهه إلا الخالصون .

وفُرض الحج تقوية للدين ، وذلك لما يحصل للحاج في ضميمته من المتاجر والمكاسب ،
قال الله تعالى : ﴿ لِيَشْكُرُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ ^(٣) .
وأيضاً فإن المشركين كانوا يقولون : لولا أن أصحاب محمد كثير وأولو قوة لما حجبوا ، فإن
الجيش الضعيف يعجز عن الحج من المكان البعيد .

وفُرض الجهاد عزاً للإسلام ، وذلك ظاهر ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ
بَعْضَهُمُ بَعْضًا لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَيَبِيعُ صُلُواتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ ^(٤) ،
وقال سبحانه : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ
وَعَدُوَّكُمْ ﴾ ^(٥) .

(٢) سورة الحديد ١١ .

(٤) سورة الحج ٤٠ .

(١) سورة سبأ ٣٩ .

(٣) سورة الحج ٢٨ .

(٥) سورة الأنفال ٦٠ .

وفُرض الأمر بالمعروف مصلحةً للعوام ، لأنّ الأمر بالعدل والإنصاف وردّ الودائع ، وأداء الأمانات إلى أهلها ، وقضاء الديون ، والصدق في القول ، وإيجاز الوعد ، وغير ذلك من محاسن الأخلاق ، مصلحة للبشر عظمى لا محالة .

وفُرض النهي عن المنكر ردّعا للسفهاء ، كالتبهي عن الظلم والكذب والسّفه ، وما يجرى تجرّى ذلك .

وفُرض صلة الرّحم مئة للعَدَد ، قال النبيّ صلى الله عليه وآله : « صلة الرّحم تزيد في العمر وتُنمّي العَدَد » .

وفُرض القصاصُ حقنا للدماء ، قال سبحانه : ﴿ وَاسْكُمُ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (١) .

وفُرضت إقامة الحدود إعظاما للمحارم ، وذلك لأنّه إذا أقيمت الحدودُ امتنع كثير من الناس عن المعاصي التي تجبُ الحدودُ فيها ، وظهر عظم تلك المعاصي عند العامة فكانوا إلى تركها أقرب .

وحُرِّم شرب الخمر تحصيلنا للعقل ، قال قوم حكيم : اشرب اللّيلة معنا ، فقال : أنا لا أشرب ما يشرب عقلي ؛ وفي الحديث المرفوع : « إن ملكا ظالما خير إنسانا بين أن يُجامع أمّه أو يقتل نفسا مؤمنة ، أو يشرب الخمر حتى يسكر ، فرأى أن الخمر أهونُها » . فشرب حتى سكر ، فلما غلبه قام إلى أمّه فوطئها ، وقام إلى تلك النفس المؤمنة فقتلها ؛ ثم قال عليه السلام : « الخمرُ جامعُ الإلثم ، الخمرُ أمُّ المعاصي » .

وحُرِّمت السرقة إيجابا للعفة ، وذلك لأنّ العفة خلُقٌ شريف ، والطمع خلُقٌ ذليل ؛ فحُرِّمت السرقة ليمتزن الناس على ذلك الخلق الشريف ، ويحانبوا ذلك الخلق الذميم ، وأيضا حُرِّمت لما في تحريمها من تحصين أموال الناس .

(١) سورة البقرة ١٧٩ .

وَحُرِّمَ الزَّنا تَحْصِينًا لِلنَّسَبِ ، فَإِنَّهُ يُفِضِي إِلَى اخْتِلَاطِ الْمِيَاهِ وَاشْتِبَاهِ الْأَنْسَابِ ،
وَأَلَّا يُنْسَبَ أَحَدٌ بِتَقْدِيرِ أَلَّا يَشْرَعَ النِّكَاحُ إِلَى أَبِي ، بَلْ يَكُونُ نَسَبُ النَّاسِ
إِلَى أُمَّهَاتِهِمْ ، وَفِي ذَلِكَ قَلْبُ الْحَقِيقَةِ ، وَعَكْسُ الْوَاجِبِ ، لِأَنَّ الْوَلَدَ مَخْلُوقٌ مِنْ مَاءِ الْأَبِ ،
وَالْأُمِّ تَمَّا الْأُمُّ وَعَاءٌ وَظَرْفٌ .

وَحُرِّمَ الْوُطَا تَكْثِيرًا لِلنَّسْلِ ، وَذَلِكَ الْوُطَا بِتَقْدِيرِ اسْتِفَاضَتِهِ بَيْنَ النَّاسِ
وَالِاسْتِغْنَاءِ بِهِ عَنِ النِّسَاءِ يُفِضِي إِلَى انْقِطَاعِ النَّسْلِ وَالذَّرِّيَّةِ ، وَذَلِكَ خِلَافَ مَا يَرِيدُ
اللَّهُ تَعَالَى مِنْ بَقَاءِ هَذَا النُّوعِ الشَّرِيفِ الَّذِي لَيْسَ فِي الْأَنْوَاعِ مِثْلُهُ فِي الشَّرَفِ ، لِمَكَانِ
النَّفْسِ النَّاظِقَةِ الَّتِي هِيَ نَسْخَةٌ وَمِثَالٌ لِلْحَضَرَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَلِذَلِكَ سَمَّيَ الْحَكِيمُ الْإِنْسَانَ
الْعَالِمَ الصَّغِيرَ .

وَحُرِّمَ الْاسْتِمْنَاءَ بِالْيَدِ وَإِثْنَانِ الْبَهَائِمِ لِمَعْنَى الَّذِي لِأَجْلِهِ حُرِّمَ الْوُطَا ، وَهُوَ
تَقْلِيلُ النَّسْلِ ؛ وَمَنْ مَسْتَحْسَنَ الْكَلِمَاتِ النَّبَوِيَّةِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْاسْتِمْنَاءِ بِالْيَدِ :
« ذَلِكَ الْوَادُ الْخَفِيُّ » ، لِأَنَّ الْجَاهِلِيَّةَ كَانَتْ تَنْدُبُ الْبَنَاتِ أَيْ تَقْتُلُنَّ خَفَقًا ، وَقَدْ
قَدَّمْنَا ذَكَرَ سَبَبَ ذَلِكَ ، فَشَبَّهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنْثِلَافَ النُّظْفَةِ الَّتِي هِيَ وَلَدٌ بِالْقُوَّةِ بِإِنْثِلَافِ
الْوَلَدِ بِالْفِعْلِ .

وَأَوْجَبَتْ الشَّهَادَاتُ عَلَى الْحَقُوقِ اسْتَظْهَارًا عَلَى الْجَاحِدَاتِ ؛ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ : « لَوْ أُعْطِيَ النَّاسُ بِدَعَاوِيهِمْ لَاسْتَحْلَقَ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ » ، وَوَجَبَ
تَرْكُ الْكَذِبِ تَشْرِيفًا لِلصِّدْقِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَصْلَحَةَ الْعَامَّةِ إِنَّمَا تَتِمُّ وَتَنْتَظِمُ بِالصِّدْقِ ،
فَإِنَّ النَّاسَ يَبْنُونَ أَكْثَرَ أُمُورِهِمْ فِي مَعَامِلَاتِهِمْ عَلَى الْأَخْبَارِ ، فَإِنَّهَا أَعَمُّ مِنَ الْعِيَانِ
وَالْمُشَاهَدَةِ ، فَإِذَا لَمْ تَكُنْ صَادِقَةً وَقَعَ الْخَطَأُ فِي التَّدْبِيرَاتِ ، وَفَسَدَتْ أَحْوَالُ الْخَلْقِ .
وَشَرَعَ رَدُّ السَّلَامِ أَمَانًا مِنَ الْخَوَافِ ، لِأَنَّ تَفْسِيرَ قَوْلِ الْقَائِلِ : « سَلَامٌ عَلَيْكُمْ » ،
أَيَّ لَا حَرْبَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، بَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ السَّلَامُ ، وَهُوَ الصَّلَاحُ .

وَفُضِّضَتِ الْإِمَامَةُ نِظَامًا لِلْأُمَّةِ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْخَلْقَ لَا يَرْتَفِعُ الْمَرْجُ وَالْعُسْفُ وَالظُّلْمُ
وَالْفَضْبُ وَالسَّرَقَةُ عَنْهُمْ إِلَّا بِوِازِعٍ قَوِيٍّ ، وَلَيْسَ يَكُنْفِي فِي امْتِنَاعِهِمْ قُبْحُ الْقَبِيحِ ،
وَلَا وَعِيدُ الْآخِرَةِ ، بَلْ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ يَنْظِمُ مَصَالِحَهُمْ ، فَيَرْدَعُ ظَالِمَهُمْ ، وَيَأْخُذُ
عَلَى أَيْدِي سُفَهَائِهِمْ .

وَفُضِّضَتِ الطَّاعَةُ تَعْظِيمًا لِلْإِمَامَةِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ أَمْرَ الْإِمَامَةِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِطَاعَةِ الرِّعْيَةِ ،
وَالْأَفْلُو عَصَّتِ الرِّعْيَةُ إِمَامَتَهَا لَمْ يَنْتَفِعُوا بِإِمَامَتِهِ وَرِثَاسَتِهِ عَلَيْهِمْ .

(٢٥٠)

الأصل :

وكان عليه السلام يقول :

أَخْلَفُوا الظَّالِمَ إِذَا أَرَدْتُمْ يَمِينَهُ بِأَنَّهُ بَرِيٌّ مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ ، فَإِنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِهَا كَذِبًا عُوْجِلَ ، وَإِذَا حَلَفَ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَمْ يُعَاجَلْ ، لِأَنَّهُ قَدْ وَحَّدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

الشَّيْخُ :

[ماجرى بين يحيى بن عبد الله وبين ابن المصعب عند الرشيد]

رَوَى أَبُو الْفَرَجِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي كِتَابِ "مَقَاتِلِ الطَّالِبِيِّينَ" ، أَنَّ يَحْيَى بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَمَنَهُ الرَّشِيدُ بَعْدَ خُرُوجِهِ بِالْدِّيَلَمِ وَصَارَ إِلَيْهِ بِالْعَمَلِ فِي إِكْرَامِهِ وَبِرِّهِ ، فَسَعَى بِهِ بَعْدَ مَدَّةٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُصْعَبٍ الزَّيْزُرِيُّ إِلَى الرَّشِيدِ - وَكَانَ يُبْغِضُهُ - وَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ قَدْ عَادَ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ سِرًّا ، وَحَسَنَ لَهُ نَقْضَ أَمَانِهِ ، فَأَحْضَرَهُ وَجَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُصْعَبٍ لِيُنَظِرَهُ فِيمَا قَدْ فَهَ بِهِ وَرَفَعَهُ عَلَيْهِ فُجْبَهُ ابْنُ مُصْعَبٍ بِحُضْرَةِ الرَّشِيدِ ، وَادَّعَى عَلَيْهِ الْحُرْكَةَ فِي الْخُرُوجِ وَشَقَّ الْعَصَا ، فَقَالَ يَحْيَى : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْصَدِّقْ هَذَا عَلِيًّا وَتَسْتَنْصِجْهُ ؛ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ ، الَّذِي أَدْخَلَ أَبَاكَ عَبْدَ اللَّهِ وَوَلَدَهُ الشُّعْبَ ، وَأَضْرَمَ عَلَيْهِمُ النَّارَ حَتَّى خَلَّصَهُ ^(١) أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيُّ ، صَاحِبُ عَلِيٍّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُ عَنُوةٌ ؛ وَهُوَ الَّذِي تَرَكَ الصَّلَاةَ عَلَى

(١) مقاتل الطالبين : « تخلّصه » .

رسول الله صلى الله عليه وآله وأربعين جُمعة في خطبته ، فلما ألتأث عليه الناسُ قال :
 إن له أهبل سوء إذا صليت عليه أو ذكرته أتلعوا أعناقهم واتسأبوا الذِكره ، فأكره
 أن أسرهم أو أقر أعينهم^(١) ؛ وهو الذي كان يشتم أباك ويُلصِق به العيوب حتى ورم
 كبده ، ولقد ذبحت بقرة يوما لأبيك فوجدت كبدها سوداء قد نقيت ، فقال على
 ابنه :: أما ترى كبده هذه البقرة يا أبت ! فقال : يا بني هكذا ترك ابنُ الزبير كبداً أهلك ،
 ثم نفاه إلى الطائف ، فلما حضرته الوفاة قال لابنه على : يا بني إذا ميت فالحق بقومك
 من بني عبد مناف بالشام ، ولا تقيم في بلدٍ لابن الزبير فيه إمرة ، فاختار له صحبة يزيد
 ابن معاوية على صحبة عبد الله بن الزبير . والله إن عداوة هذا يا أمير المؤمنين لنا جميعاً
 بمنزلة سواء ، ولكنه قوي على بك ، وضعف عنك ، فتقرَّب بي إليك ليظفر منك بي
 بما يريد ، إذا لم يقدر على مثله منك ، وما ينبغي لك أن تسوِّغه ذلك في ، فإن معاوية بن
 أبي سفيان وهو أبعد نسباً منك إلينا ذكَّر الحسن بن علي يوماً فسبه ، فسأده
 عبدُ الله بن الزبير على ذلك ، فزجره وانتهره ، فقال : إنما ساعدتك يا أمير المؤمنين ،
 فقال : إن الحسن لم يأكله ولا أوكله . ومع هذا فهو الخارجُ مع أخى محمد على أهلك
 المنصور أبي جعفر ، والقائل لأخى في قصيدة طويلة أولها :

إن الحماسة يوم الشعب من وثني^(٢) هاجت فؤاد محبٍ دائم الحزن

يُحرِّض أخى فيها على الوثوب والنهوض إلى الخلافة ، ويمدحه ويقول له :

لا عزَّ رُكناً نزارٍ عند سطوتها إن أسلمتكَ ولا رُكناً ذوى يمين
 ألت أكرمهم عُوداً إذا انتسبوا يوماً وأطهرهم ثوباً من الدرب !

(١) مقاتل الطالبين : « فلا أحب أن أقر عينهم بذكره » .

وأعظم الناس عند الناس منزلةً وأبعد الناس من عيبٍ ومن وهنٍ !
 قوموا ببيعكم تنهض بطاعتها إن الخلافة فيكم يا بني حسنٍ
 إنا لنأمل أن ترتد ألفتنا بعد التداثر والفضاء والإحن
 حتى يشأ على الإحسان مُحسننا ويأمن الخائفُ المأخوذُ بالدمن
 وتنفضي دولة أحكام قادتها فينا كأحكام قوم عابدي وثن
 فطالما قد برؤا بالجور أعظمتنا برى الصناعات قِداح النّبع بالسفن

فتغيّروا وجهه الرّشيد عند سماع هذا الشعر ، وتغيّظ على ابن مصعب ، فابتدأ ابنُ مصعب يحلف بالله الذي لا إله إلا هو وبأيمان البيعة أن هذا الشعر ليس له ، وأنه لسديف ، فقال يحيى : والله يا أمير المؤمنين ما قاله غيره ، وما حلفتُ كاذبا ولا صادقا بالله قبل هذا ، وإن الله عز وجل إذا تجده العبد في يمينه فقال : والله الطالب الغالب الرحمن الرحيم ، استحيّا أن يعاقبه ؛ فدعنى أن أحلفه بيمينٍ ما حلف بها أحد قط كاذبا إلا عُجل ، قال خلفه ؛ قال قل : برئتُ من حَوْلِ الله وقوّته ، واعتصمتُ بحولى وقوّتى ، وتقلدت الحول والقوّّة من دون الله ، استكباراً على الله واستعلاء عليه ، واستغناء عنه إن كنت قلتُ هذا الشعر ! فامتنع عبدُ الله من الحلف بذلك ، فعَضِبَ الرّشيد ، وقال للفضل بن الربيع : يا عباسي ماله لا يحلف إن كان صادقا ! هذا طيلسانى على ، وهذه ثيابى لو حلفنى بهذه اليمين أنها لى الحلفت . فَوَكَزَ الفضلُ عبدَ الله برجله - وكان له فيه هوى - وقال له : احلف ويحك ! فجعل يحلف بهذه اليمين ، ووجهه متغيّر ، وهو يُرعد ، ففَضَرَبَ يحيى بين كتفيه ، وقال : يا ابنِ مُصعب ، قَطَعْتَ عُمرَكَ ، لا تُفْلِح بعدها أبدا !

قالوا : فما برح من موضعه حتى عَرَضَ له أعراضُ الجذام ، استدارت عيناه ،

وتفقا وجهه ، وقام إلى بيته فتقطع وتشقق لحمه وانتثر شعره ، ومات بعد ثلاثة أيام ،
وحضر الفضل بن الربيع جنازته ، فلما جعل في القبر انخسف اللحد به حتى خرجت
منه غبرة شديدة ، وجعل الفضل يقول : التراب التراب ! فطرح التراب وهو يهوى ، فلم
يستطيعوا سدّه حتى سقى بخشب ، وطمّ عليه ؛ فكان الرشيد يقول بعد ذلك للفضل :
أرأيت يا عباسي ما أسرع ، ما أديل ليحيي^(١) من ابن مصعب^(٢) !

(٢٥١)

الأصل :

يَا بَنَ آدَمَ ، كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ ، وَاعْمَلْ فِي مَالِكَ مَا تُؤَثِّرُ أَنْ يَعْمَلَ فِيهِ مَنْ بَعْدَكَ .

الشرح :

لا ريبَ أن الإنسان يُؤثر أن يُخرجَ ماله بعد موته في وجوه البرِّ والصدقات والقربات ليصل ثوابُ ذلك إليه ، لكنه يَضيِّن بإخراجه وهو حيٌّ في هذه الوجوه لحبه العاجلة وخوفه من الفقر والحاجة إلى الناس في آخر العمر ، فيقيم وصيًا يَعْمَلُ ذلك في ماله بعد موته .

وأوصى أمير المؤمنين عليه السلام الإنسان أن يَعْمَلَ في ماله وهو حيٌّ ما يُؤثر أن يُجْعَلَ فيه وصية بعد موته ، وهذه حالة لا يَقْدِرُ عليها ^(١) إلا من أخذَ التوفيقَ بيده .

(١) : « عليها أحد »

(٢٥٢)

الأصل :

الحِدةُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ ، لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ ؛ فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ
فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكِمٌ .

الشَّيْخُ :

كان يقال : الحِدةُ كُنْيَةُ الْجَهْلِ .
وكان يقال : لا يَصِحُّ لِحَدِيدٍ رَأْيٌ ، لِأَنَّ الحِدةَ تُصْدِي الْعَقْلَ كَمَا يُصْدِي الْخَلْجُ
الْمِرَاةَ ، فَلَا يَرَى صَاحِبُهُ فِيهِ صُورَةَ حَسٍّ فَيَفْعَلَهُ ، وَلَا صُورَةَ قَبِيحٍ فَيَجْتَنِبَهُ .
وكان يقال : أَوَّلُ الحِدةِ جنونٌ وَآخِرُهَا نَدَمٌ .
وكان يقال : لَا تَحْمِلَنَّكَ الحِدةُ عَلَى أَقْترَافِ الْإِثْمِ ، فَتَشْفِيَ غِيظَكَ ، وَتُسْقِمَ دِينَكَ .

(٢٥٣)

الأفضل :

صِحَّةُ الْجَسَدِ مِنْ قَلَّةِ الْحَسَدِ .

الشَّنْخُ :

معناه أنَّ القليل الحسد لا يزال مُعَافٍ في بدنه ، والكثير الحسد يُمرِّضه ما يجده في نفسه من مضاضة المنافسة ، وما يتجرَّعه من الغيظ ، ومزاجُ البدن يتبع أحوال النفس .

قال المأمون : ما حسدتُ أحدا قطَّ إلاَّ أبا دُلفٍ على قول الشاعر فيه :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلفٍ بين يديه ومحتضرة (١)

فإذا وَلَّى أَبُو دُلفٍ وَلَّتِ الدُّنْيَا على أثره

وَرَوَى أبو الفرج الأصبهاني عن عبدوس بن أبي دُلفٍ قال : حدثني أبي ، قال : قال

لى المأمون : يا قاسم ، أنت الذى يقول فيك على بن جبلة :

* إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلفٍ *

البيتين ، فقلت مُسرِّعا : وما ينفعنى ذلك يا أمير المؤمنين مع قوله فيَّ :

أبا دُلفٍ يا كذَّابَ الناسِ كلِّهم سِوَايَ فَإِنِّي فِي مَدِيحِكَ أَكْذَبُ

(١) الأغاني ٨ : ٢٥٥ .

ومع قول بكر بن التّطاح فيّ :

أبا دُلَيْفٍ إِنَّ الْفَقِيرَ بَعَيْنُهُ	لَمَنْ يَرْتَجِي جَدْوَى يَدَيْكَ وَيَأْمُلُهُ
أَرَى لَكَ أَبَا مُغْلَقًا مَتَمَنًّا	إِذَا فَتَحُوهُ عَنْكَ فَالْبُؤْسُ دَاخِلُهُ
كَأَنَّكَ طَبْلٌ هَائِلٌ الصَّوْتُ مَعْجِبٌ	خَلِيٌّ مِنَ الْخَيْرَاتِ نَعْسٌ مَدَاخِلُهُ
وَأَعْجَبُ شَيْءٍ فِيكَ تَسْلِيمُ امْرَأَةٍ	عَلَيْكَ عَلَى طَنْزٍ وَأَنْتَ قَابِلُهُ

قال : فلما انصرفتُ قال المأمون لمن حوله : لله دَرَّة ! حَفِظَ هَجَاءَ نَفْسِهِ حَتَّى انْتَفَعَ
بِهِ عِنْدِي ، وَأَطْفَأَ لَهَيْبَ الْمُنَافَسَةِ .

(٢٥٤)

الأُسْلُ

وقال عليه السلام لَكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ النَّخَعِيُّ :

يَا كُمَيْلُ، مَرُّ أَهْلِكَ أَنْ يَرُوحُوا فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ، وَيَذِلُّوا فِي حَاجَةِ مَنْ هُوَ
نَائِمٌ، فَوَالَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ ؛ مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْبًا سُرُورًا إِلَّا وَخَلَقَ
اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ لُطْفًا، فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَةٌ جَرَى إِلَيْهَا كَلِمَاءٌ فِي أُنْحَادِهِ ؛
حَتَّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تَطْرُدُ غَرِيبَةُ الْإِبِلِ .

الشَّبْنَجُ

قال عمرو بن العاصِ لمعاوية : ما بقي من لذتك ؟ فقال : ما من شيء يُصِيبُهُ الناس
من اللذة إِلَّا وقد أصبَتْهُ حَتَّى مَلَّتْهُ ، فليس شيءٌ عِنْدِي اليومُ الَّذِي مِنْ شَرِبَةِ مَاءٍ بَارِدٍ
فِي يَوْمٍ صَائِفٍ ، وَنَظَرِي إِلَى بَنِيَّ وَبَنَاتِي يَدْرُجُونَ حَوْلِي ؛ فَمَا بَقِيَ مِنْ لَذَّتِكَ أَنْتَ ؟
فقال : أَرْضٌ أَغْرَسْتُهَا وَآكُلُ ثَمَرَتِهَا ، لَمْ يَبْقَ لِي لَذَّةٌ غَيْرُ ذَلِكَ . فَالْتَفَتَ مَعَاوِيَةُ إِلَى
وَرْدَانَ غَلَامٍ عَمْرُو، فقال : فما بقي من لذتك يا وُرَيْدُ ؟ فقال : سرورٌ أَدْخَلَهُ قُلُوبُ الْإِخْوَانِ،
وَصَنَائِعُ أُعْتِقَتْهَا فِي أَعْنَاقِ الْكِرَامِ ؛ فقال معاوية لعَمْرُو : تَبًّا لِمَجْلِسِي وَمَجْلِسِكَ ! لَقَدْ
غَلَبَنِي وَغَلَبَكَ هَذَا الْعَبْدُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا وَرْدَانُ ، أَنَا أَحَقُّ بِهَذَا مِنْكَ ؛ قَالَ : قَدْ
أَمَكْتُكَ ^(١) فَافْعَلْ .

(١) في « أمكنك » .

فإن قلت : السرور عَرَضٌ ، فكيف يَخْلُقُ الله تعالى منه لُطْفًا ؟
 قلت : مِنْ هَاهُنَا هِيَ مِثْلُ « مِنْ » فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً
 فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴾ ^(١) ، أَيْ عِوَضًا مِنْكُمْ .
 ومثله :

فليت لنا من ماء زمزم شربةً مبردةً باتت على طهيان ^(٢)
 أليت لنا شربةً مبردةً باتت على طهيان ، وهو اسمٌ جبَلٌ ؛ بدلًا وعِوَضًا مِنْ
 ماء زمزم .

(١) سورة الزخرف ٦٠

(٢) البيت للأحول الكندي - اللسان طها .

(٢٥٥)

الأصل

إِذَا أَمَلْتُمْ: فَتَاجِرُوا اللَّهَ بِالصَّدَقَةِ.

الشرح :

قد تقدم القول في الصدقة.

وقالت الحكماء : أفضل العبادات الصدقة ، لأن نفعها يتعدى ، ونفع الصلاة والصوم لا يتعدى .

وجاء في الأثر أن علياً عليه السلام عمل يهودي في سقي نخل له في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله بمد من شعير ، فخره قرصاً ، فلما هم أن يفطر عليه ، أتاه سائل يستطعم ، فدفعه إليه ، وبات طاوياً وتاجر الله تعالى بتلك الصدقة ، فعذ الناس هذه الفعلة من أعظم السخاء ، وعدوها أيضاً من أعظم العبادة .

وقال بعض شعراء الشيعة يذكر إعادة الشمس عليه ، وأحسن فيما قال :
جَادَ بِالْقُرْصِ وَالطَّوَى مِلْءَ جَنْبَيْهِ وَعَافَ الطَّعَامَ وَهُوَ سَغُوبٌ^(١)
فَأَعَادَ الْقُرْصُ النُّيْرُ عَلَيْهِ الْقُرْصُ وَالْمُقْرِضُ الْكَرَامَ كَسُوبٌ^(٢)

(١) السغوب : الجائع .

(٢) في د « والقرض للكرام » ، وهو وجه أيضاً .

(٢٥٦)

الأنسل :

الوفاء لأهل الغدر غدرٌ عند الله ، والغدرُ بأهل الغدر وفاءٌ عند الله .

الشرح :

معناه أنه إذا اعتيد من العدو أن يغدر ولا يفي بأقواله وأيمانه وعهوده ، لم يجز الوفاء له ، ووجب أن ينقض عهوده ولا يوقف مع العهد المعقود بيننا وبينه ، فإن الوفاء لمن هذه حاله ليس بوفاء عند الله تعالى ، بل هو كالغدر في قبحه ، والغدر بمن هذه ^(١) حاله ليس بقبيح ، بل هو في الحسن كالوفاء لمن يستحق الوفاء عند الله تعالى .

(٢٥٧)

الأصل :

كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَمَغْرُورٍ بِالسُّرِّ عَلَيْهِ ، وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ
الْقَوْلِ فِيهِ ، وَمَا ابْتَلَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَحَدًا بِمِثْلِ الْإِمْلَاءِ لَهُ .

قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

وَقَدْ مَضَى هَذَا الْكَلَامُ فِيمَا تَقَدَّمَ ، إِلَّا أَنْ فِيهِ هَاهُنَا زِيَادَةٌ جَيِّدَةٌ .

البشرح :

قد تقدم الكلام في الاستدراج والإملاء .

وقال بعضُ الحكماء : احذر النعم المتواصلة إليك أن تكون استدراجا ،
كما يحذر المحارب من اتباع عدوه في الحرب إذا فرّ من بين يديه من الكمين ،
وكم من عسودٍ فرّ مستدرجا ، ثمّ إذ هو عاطفٌ ، وكم من ضارِعٍ في يدك ثمّ
إذ هو خاطف .

(١٢٥٨)

الأنسل :

ومن كلامه عليه السلام المتضمن ألفاظاً من الغريب تحتاج إلى تفسير : قوله عليه

السلام في حديثه :

فإذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه ، فيجتمعون إليه كما يجتمع
قزعة الخريف .

قال الرضى رحمه الله تعالى :

يعسوب الدين : السيد العظيم المالك لأُمور الناس يومئذ ؛ والقزعة : قطع
القيم التي لا ماء فيها .

الشنخ :

أصاب في العسوب ، فأما القزعة فلا يشترط فيها أن تكون خالية من الماء ، بل
القزعة قطع من السحاب رقيقة ، سواء كان فيها ماء أو لم يكن ، الواحدة قزعة بالفتح ،
وإنما غره قول الشاعر يصف جيشاً بالقلّة والخفة .

* كأنّ رعاله قزعة الجهام^(١) *

وليس يدل ذلك على ما ذكره ، لأنّ الشاعر أراد المبالغة ، فإنّ الجهام الذي
لا ماء فيه إذا كان أقطاعاً متفرقة خفيفة ، كان ذكره أبلغ فيما يريد من التشبيه ؛
وهذا الخبر من أخبار الملاحم التي كان يُخبر بها عليه السلام ، وهو يدّكر فيه المهدي الذي
يوجد عند أصحابنا في آخر الزمان . ومعنى قوله : « ضرب بذنبه » أقام وثبت بعد

(١) ب : « الهجام » تصحيف .

اضطرابه ، « وذلك لأنّ اليعسوب فحلّ النحل وسيدها ، وهو أكثر زمانه طائرًا
بجناحيه ، فإذا ضرب بذنبه الأرض فقد أقام وترك الطيران والحركة .

فإن قلت : فهذا يشبه مذهب الإمامية في أنّ المهديّ خائف مستتر ينتقل في
الأرض ، وأنه يظهر آخر الزمان ويثبت ويقم في دار ملكه .

قلت : لا يبعد على مذهبنا أن يكون الإمام المهديّ الذي يظهر في آخر الزمان
مضطرب الأمر ، منتشر الملك في أول أمره لمصلحة يعلمها الله تعالى ، ثمّ بعد ذلك
يثبت ملكه ، وتنظم أموره .

وقد وردت لفظة اليعسوب عن أمير المؤمنين عليه السلام في غير هذا الموضع ، قال
يَوْمَ الْجَلِّ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَقَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ وَقَدْ مَرَّ بِهِ قَتِيلًا : « هَذَا يَعْسُوبٌ قَرِيشٌ » ،
أى سيدها .

(٢٥٩)

الأصل :

وفي حديثه - عليه السلام : هذا الخطيبُ الشَّخْشُ .
قال : يُريدُ المأهرَ بالخطبة ، الماضيَ فيها ، وكلُّ ماضٍ في كلامٍ أو سيرٍ
فهو شَخْشٌ . والشَّخْشُ في غيرِ هذا الموضع : البَخِيلُ الْمَسِكُ .

البُزْجُ :

قد جاء الشَّخْشُ بمعنى الغيور ، والشَّخْشُ بمعنى الشجاع ، والشَّخْشُ بمعنى المواظب
على الشيء الملازم له ، والشَّخْشُ : الحاوي ، ومثله الشَّخْشَان .
وهذه الكلمة قالها عليٌّ عليه السلام لصعصعة بن صوحان العبدي رحمه الله ، وكفى
صعصعة بها نفرا أن يكون مثل عليٍّ عليه السلام يُثني عليه بالمهارة وفصاحة اللسان ؛
وكان صعصعة من أفصح الناس ، ذكر ذلك شيخنا أبو عثمان الجاحظ^(١) .

(١) البيان والتبيين ١ : ٩٧ .

(٢٦٠)

الأضل :

ومنه : إِنَّ لِلْخُصُومَةِ قُحْمًا .
قال : يُرِيدُ بِالْقُحْمِ الْمَهَالِكَ ، لِأَنَّهَا تُقْحِمُ أَصْحَابَهَا فِي الْمَهَالِكِ وَالْمَتَالِفِ فِي الْأَكْثَرِ
فَمِنْ ذَلِكَ قُحْمَةُ الْأَعْرَابِ ، وَهُوَ أَنْ تُصِيبَهُمُ السَّنَةُ فَتَتَفَرَّقُ أَمْوَالُهُمْ ، فَذَلِكَ تَقْحِمُهَا
فِيهِمْ . وَقِيلَ فِيهِ وَجْهٌ آخَرُ ، وَهُوَ أَنَّهَا تُقْحِمُهُمْ بِلَادَ الرِّيفِ ، أَيْ تُخَوِّجُهُمْ إِلَى دُخُولِ
الْحَضَرِ عِنْدَ تَحْوِيلِ الْبَدْوِ .

الشنخ :

أصلُ هذا البناءُ للدُّخُولِ فِي الْأَمْرِ عَلَى غَيْرِ رَوِيَّةٍ وَلَا تَثْبُتٍ ، قَحِمَ الرَّجُلُ فِي الْأَمْرِ
بِالْفَتْحِ قُحُومًا ، وَأَقْحَمَ فَلَانُ فَرَسَهُ الْبَحْرَ فَانْقَحِمَ ، وَاقْتَحَمَتْ أَيْضًا الْبَحْرَ دَخَلَتْهُ مَكَالِفُهُ ،
وَقَحِمَ الْفَرَسُ فَارِسَهُ تَقْحِيمًا عَلَى وَجْهِهِ ؛ إِذَا رَمَاهُ ، وَخَلَّ مِقْهَامَ ، أَيْ يَفْتَحِمُ الشَّوْلَ
مِنْ غَيْرِ إِرْسَالٍ فِيهَا .

وهذه الكلمة قالها أمير المؤمنين حين وَكَّلَ عَبْدَ اللَّهِ بن جعفرٍ فِي الْخُصُومَةِ عَنْهُ ،
وهو شاهد .

وأبو حنيفة لَا يُجِيزُ الْوَكَالََةَ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ ، وَيَقُولُ : لَا تَجُوزُ إِلَّا مِنْ غَائِبٍ أَوْ
مَرِيضٍ ، وَأَبُو يَوْسُفَ وَمُحَمَّدُ يُجِيزَانَهَا أَخْذًا بِفِعْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٢٦١)

الأصل :

ومنه : إذا بلغ النساء نص الحقائق فالعصبة أولى .

قال : وروى « نص الحقائق » ، والنص منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها كالنص في السير لأنه أقصى ما تقدّر عليه الدابة ؛ ويقال : نصت الرجل عن الأمر إذا استقصيت مسألته لتستخرج ما عنده فيه ، ونص الحقائق يريد به الإدراك ؛ لأنه منتهى الصغر ، والوقت الذي يخرج منه الصغير إلى حد الكبر ، وهو من أفصح الكنايات عن هذا الأمر وأعربها ؛ يقول : فإذا بلغ النساء ذلك فالعصبة أولى بالمرأة من أمها إذا كانوا محرماً مثل الإخوة والأعمام ، وتزويجها إن أرادوا ذلك .

والحقائق : محاقّة الأم للعصبة في المرأة ، وهو الجدال ، والخصومة ، وقول كل واحد منهما للآخر : أنا أحق منك بهذا ، يقال منه : حاققته حقائقاً ، مثل جادلته جيداً . قال : وقد قيل إن نص الحقائق بلوغ العقل وهو الإدراك ، لأنه عليه السلام إنما أراد منتهى الأمر الذي تجب به الحقوق والأحكام .

قال : ومن رواه « نص الحقائق » فإنما أراد جمع حقيقة ، هذا معنى ما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام .

قال : والذي عندي أن المراد بنص الحقائق ها هنا بلوغ المرأة إلى الحد الذي يجوز فيه تزويجها وتصرفها في حقوقها ، تشبيهاً بالحقاق من الإبل ، وهي جمع حقة وحق ، وهو الذي استكمل ثلاث سنين ودخل في الرابعة ؛ وعند ذلك يبلغ إلى الحد الذي يمكن فيه من ركوب ظهره ونصه في سيره . والحقائق أيضاً : جمع حقة ؛

فالرّوايتان جميعاً ترجعان إلى مسمّى واحدٍ ؛ وهذا أشبهُ بطريقةِ العربِ مِنْ المعنى المذكورِ أوّلاً .

الشرح :

أما ما ذكره أبو عبيد فإنه لا يشفي الغليل ، لأنه فسّر معنى النصّ ، ولم يفسّر معنى نصّ الحقائق ، بل قال : هو عبارة عن الإدراك ، لأنه منتهى الصّغر ، والوقت الذي يخرج منه الصغير إلى حدّ الكبر ، ولم يبين من أىّ وجه يدلّ لفظ نصّ الحقائق على ذلك ، ولا اشتقاق الحقائق وأصله ، ليظهر من ذلك مطابقة اللفظ للمعنى الذي أشير إليه .

فأما قوله : « الحقائق هاهنا مصدر حاقّه يُحاَقّه » ، فلنقابل أن يقول : إن كان هذا هو مقصوده عليه السلام فقبل الإدراك يكون الحقائق أيضاً ، لأنّ كلّ واحدة من القربات تقول للأخرى : أنا أحقّ بها منك ، فلا معنى لتخصيص ذلك بحال البلوغ ، إلا أن يزعم زاعم أنّ الأمّ قبل البلوغ لها الحضانة ، فلا يُنازعها قبل البلوغ في البنت أحد ولكن في ذلك خلاف كثير بين الفقهاء .

وأما التفسير الثاني ، وهو أنّ المراد بنصّ الحقائق منتهى الأمر الذي تجب به الحقوق فإنّ أهل اللغة لم ينقلوا عن العرب أنّها استعملت الحقائق في الحقوق ، ولا يعرف هذا في كلامهم .

فأما قوله : « ومن رواه نصّ الحقائق » ، فإنّما أراد جمع حقيقة ، فلنقابل أن يقول : وما معنى الحقائق إذا كانت جمع حقيقة هاهنا ؟ وما معنى إضافة « نصّ » إلى « الحقائق » جمع حقيقة ، فإنّ أبا عبيدة لم يفسّر ذلك مع شدة الحاجة إلى تفسيره !
وأما تفسير الرضى - رحمه الله - فهو أشبه من تفسير أبي عبيدة ، إلا أنه قال في آخره :

والحقائق أيضا جمع حَقَّة ، فالروايتان ترجعان إلى معنى واحد . وليس الأمر على ما ذكر
من أن الحقائق جمع حَقَّة ، ولكن الحقائق جمع حَقاق ، والحقاق جمع حَق ، وهو ما كان
من الإبل ابن ثلاث سنين ، وقد دخل في الرابعة ، فأستحق أن يُحمل عليه ويُنتفع به ،
فالحقائق إذن جمع الجمع لحق لا لِحَقَّة ، ومثل إفال وأفائل . قال : ويمكن أن يقال :
الحقاق هاهنا الخصومة ، يقال : ماله فيه حق ولا حَقاق أى ولا خصومة ، ويقال لمن
يُنازع في صغار الأشياء إنه لبرق الحقائق ، أى خصومته في الدنيا من الأمر ؛ فيكون
المعنى إذا بلغت المرأة الحُلَّة الذى يستطيع الإنسان فيه الخصومة والجدال فمصبتها أولى
بها من أمها ؛ والحُلَّة الذى تكمل فيه المرأة والعلامة للخصومة والحكومة والجدال
والمناظرة هو سن البلوغ .

(٢٦٢)

الأصل

ومنه : إِنَّ الْإِيمَانَ يَبْدُو لُغْظَةً فِي الْقَلْبِ ، كَلَّمَا أَزْدَادَ الْإِيمَانُ أَزْدَادَتْ اللُّغْظَةُ .

قال : اللُّغْظَةُ مِثْلُ النُّكْتَةِ أَوْ نَحْوِهَا مِنَ الْبَيَاضِ ، وَمِنْهُ قِيلَ : فَرَسٌ أَلْمَظُ إِذَا كَانَ بِجَحْفَلَتِهِ شَيْءٌ مِنَ الْبَيَاضِ .

الشرح :

قال أبو عبيدة : هِيَ لُغْظَةٌ بضم اللام ؛ والمحدثون يقولون : لُغْظَةٌ بِالْفَتْحِ ؛ والمعروفُ من كلام العرب الضم ؛ مِثْلُ الدُّهْمَةِ وَالشُّهْبَةِ وَالْحُمْرَةِ . قال : وقد رواه بعضهم : «لُغْظَةٌ» بِالطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وهذا لا نعرفه .

قال : وفي هذا الحديث حُجَّةٌ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ^(١) ، أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ : كَلَّمَا أَزْدَادَ الْإِيمَانُ أَزْدَادَتْ اللُّغْظَةُ .

(١) : « أَوْ يَنْقُصُ » .

(٢٦٣)

الأصل :

ومنه : إنَّ الرجلَ إذا كانَ لهُ الظَّنُّ يُحِبُّ عَلَيْهِ أَنْ يُزَكِّيَهُ لِمَا مَضَى
إِذَا قَبَضَهُ .

قَالَ : الظَّنُّ : الَّذِي لَا يَعْلَمُ صَاحِبُهُ أَيَقْضِيهِ مِنَ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ أَمْ لَا ،
فَكَانَهُ الَّذِي يُظَنُّ بِهِ ذَلِكَ ، فَمَرَّةً يَرْجُوهُ ، وَمَرَّةً لَا يَرْجُوهُ ، وَهُوَ مِنْ أَفْصَحِ
الْكَلَامِ ، وَكَذَلِكَ كُلُّ أَمْرٍ تَطْلُبُهُ وَلَا تَدْرِي عَلَى أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ مِنْهُ فَهُوَ ظَنُّونٌ ،
وَكُلِّي ذَلِكَ قَوْلُ الْأَعْشَى :

مَنْ يَجْعَلِ الْجَدَّ الظَّنُّونَ الَّذِي جُنِبَ صَوْبَ اللَّجِبِ الْمَاطِرِ^(١)
مِثْلَ الْفُرَاتِ إِذَا مَا طَمَأَ يَقْذِفُ بِالْبُوصِيِّ وَالْمَاهِرِ
وَالْجَدُّ : الْبَيْتُ الْعَادِيَةُ فِي الصَّحَرَاءِ . وَالظَّنُّونُ : الَّتِي لَا يَعْلَمُ هَلْ فِيهَا مَالٌ
أَمْ لَا .

البشرح :

قال أبو عبيدة : في هذا الحديث من الفقه أن من كان له دين على الناس فليس
عليه أن يزكّيه حتى يقبضه ، فإذا قبضه زكّاه لما مضى ، وإن كان لا يرجوه ، قال :
وهذا يردّه قول من قال : إنما زكّاه على الذي عليه المال ، لأنه^(٢) المنتفع به ؛ قال :

(١) (٢) : « لأنه الذي ينتفع به » .

(١) ديوانه ١٤١ .

وَمَا يُرَوَّى عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، وَالْعَمَلُ عِنْدَنَا عَلَى قَوْلِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ فَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ الرُّضِيُّ
 مِنْ أَنَّ الْجُدَّةَ هِيَ الْبُئْرُ الْعَادِيَّةُ فِي الصَّحْرَاءِ ، فَالْمَعْرُوفُ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّ الْجُدَّةَ الْبُئْرُ الَّتِي
 تَكُونُ فِي مَوْضِعٍ كَثِيرِ الْكَلَّا ، وَلَا تُسَمَّى الْبُئْرُ الْعَادِيَّةُ فِي الصَّحْرَاءِ الْمَوَاتِ جُدَّةً ،
 وَشِعْرُ الْأَعَشَى لَا يَدُلُّ عَلَى مَا فَسَّرَهُ الرُّضِيُّ ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا شَبَّهَ عُلُقَمَةَ الْبُئْرِ وَالْكَلَّا ، يَظُنُّ أَنَّ
 فِيهَا مَاءً لِمَكَانِ الْكَلَّا ، وَلَا يَكُونُ مَوْضِعُ الظَّنِّ هَذَا هُوَ مَرَادُهُ وَمَقْصُودُهُ ، وَلِهَذَا قَالَ :
 الظَّنُّونَ ، وَلَوْ كَانَتْ عَادِيَّةً فِي بَيْدَاءٍ مَقْفِرَةٍ لَمْ تَكُنْ ظَنُّونَا ، بَلْ كَانَ يُعْلَمُ أَنَّهُ لَا مَاءَ فِيهَا ،
 فَسَقَطَ عَنْهَا اسْمُ الظَّنُّونِ .

(٢٦٤)

الأضل

ومنه : أنه شَيَّعَ جيشاً يُغزِيهِ فقال : اغزُبُوا عَنِ النِّسَاءِ مَا اسْتَطَعْتُمْ .

وَمَمْنَاهُ : اضْدِفُوا عَنْ ذِكْرِ النِّسَاءِ وَشَغْلِ الْقُلُوبِ بِهِنَّ ، وَامْتَنِعُوا مِنَ الْمَقَارِبَةِ لَهُنَّ ،
لِأَنَّ ذَلِكَ يَفْتِي فِي عَضْدِ الْحِمِيَّةِ ، وَيَقْدَحُ فِي مَعَاقِدِ الْعَزِيمَةِ ، وَيَكْسِرُ عَنِ الْعَدُوِّ ،
وَيَلْفِتُ عَنِ الْإِبْعَادِ فِي الْغَزْوِ ، فَكُلُّ مَنْ امْتَنَعَ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ أَعَزَبَ عَنْهُ ،
وَالْعَازِبُ وَالْعَزُوبُ : الْمُتَنَعُ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ .

الشَّنْرُخُ :

التفسير صحيح ، لكن قوله : « من امتنع من شيء فقد أعزب عنه » ليس بجيد ؛
والصحيح « فقد عزب عنه » ثلاثي ، والصواب : وكلُّ مَنْ مَنَعْتَهُ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ أَعَزَبَ عَنْهُ .
عنه تُعَذِّيه بالهمزة ؛ كما تقول : أقمته وأقعدته ، والفعل ثلاثي قائم وقعد ، والدليل على
أنّ الماضي ثلاثي هاهنا . قوله : « والعازب والعزوب : الممتنع من الأكل والشرب ، ولو
كان رباعياً لكان « العزب » ؛ وهو واضح ؛ وعلى هذا تكون الهمزة في أول الحرف
همزة وصل مكسورة ، كما في « اضربوا » لأنّ المضارع يعزب بالكسر .

(٢٦٥)

الأصل :

ومنه : كالياسر الفالج ، يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ .

* * *

قَالَ : الْيَاسِرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَتَضَارَبُونَ بِالْقِدَاحِ عَلَى الْجُزُورِ ، وَالْفَالِجُ : الْقَاهِرُ
الغَالِبُ ، يُقَالُ : قَدْ فَلَجَ عَلَيْهِمْ وَفَلَجَهُمْ ، قَالَ الرَّاجِزُ :
* لَمَّا رَأَيْتُ فَالِجًا قَدْ فَلَجَا *

الشرح :

أَوَّلُ الْكَلَامِ أَنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مَالِمٌ يَفْشَى دَنَاءَةً يَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذَكَرَتْ ، وَيَغْرِى بِهِ لثَامَ
النَّاسِ ، كَالْيَاسِرِ الْفَالِجِ يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ ، أَوْ دَاعَى اللَّهِ ، فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ
لِلْأَبْرَارِ ، يَقُولُ : هُوَ بَيْنَ خَيْرَتَيْنِ : إِمَّا أَنْ يَصِيرَ إِلَى مَا يُحِبُّ مِنَ الدُّنْيَا ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ صَاحِبِ
الْقِدَاحِ الْمَعْلَى ، وَهُوَ أَوْفَرُهَا نَصِيبًا ، أَوْ يَمُوتَ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ وَأَبْقَى ^(١) .

وَلَيْسَ بِمَعْنَى بَقُولِهِ : الْفَالِجُ : الْقَامِرُ الْغَالِبُ كَمَا فَسَّرَهُ الرَّضَى رَحِمَهُ اللَّهُ ، لِأَنَّ الْيَاسِرَ
الْغَالِبَ الْقَامِرَ لَا يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ ، وَكَيْفَ يَنْتَظِرُ وَقَدْ غَلَبَ ! وَأَيُّ حَاجَةٍ لَهُ
إِلَى الْإِنْتِظَارِ ! وَلَكِنَّهُ يَعْنِي بِالْفَالِجِ الْمَيْمُونَ النَّقِيَّةَ الَّتِي لَهُ عَادَةٌ مُطَرَّدَةٌ أَنْ يَغْلِبَ ، وَقُلْتُ
أَنْ يَكُونَ مَقْهُورًا .

(١) : ١ « أبقى له » .

(٢٦٦)

الأصل :

ومنه : كُنَّا إِذَا احْمَرَ الْبَاسُ اتَّقِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ .

قَالَ : مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا عَظُمَ الْخَوْفُ مِنَ الْعَدُوِّ ، وَاشْتَدَّ عِضَاضُ الْحَرْبِ فَزِعَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى قِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِنَفْسِهِ ، فَيُنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى النَّصْرَ عَلَيْهِمْ بِهِ ، وَيَأْتُونَ مَا كَانُوا يَخَافُونَهُ بِمَكَانِهِ .
وَقَوْلُهُ : « إِذَا احْمَرَ الْبَاسُ » : كِنَايَةٌ عَنِ اشْتِدَادِ الْأَمْرِ ؛ وَقَدْ قِيلَ فِي ذَلِكَ أَقْوَالٌ ؛ أَحْسَنُهَا أَنَّهُ شَبَّهَ حَيَّ الْحَرْبِ بِالنَّارِ الَّتِي تَجْمَعُ الْحَرَارَةُ وَالْخُمْرَةُ بِفِعْلِهَا وَلَوْنُهَا ؛ وَبِمَا يُقَوِّى ذَلِكَ قَوْلُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَدْ رَأَى مُجْتَلِدَ النَّاسِ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَهِيَ حَرْبُ هَوَازِنَ : « الْآنَ حَيَّ الْوَطِيسُ » ، وَالْوَطِيسُ : مُسْتَوْقَدُ النَّارِ ، فَشَبَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا اسْتَحَرَّ مِنْ جِلَادِ الْقَوْمِ بِاحْتِدَافِ النَّارِ وَشِدَّةِ التَّهَابِ .

الشرح :

الجيد في تفسير هذا اللفظ أن يقال : البأس الحرب نفسها ، قال الله تعالى : ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾ ^(١) ؛ وفي الكلام حذف مضافٍ تقديره

(١) سورة البقرة ١٧٧ .

إِذَا احْمَرَّ مَوْضِعُ الْبَاسِ ، وَهُوَ الْأَرْضُ الَّتِي عَلَيْهَا مَعْرَاةُ الْقَوْمِ ، وَاحْمَرَّتْهَا الْمَالِيَسِيلُ عَلَيْهَا مِنَ الدَّمِ .

[نبذ من غريب كلام الإمام علي وشيخه لأبي عبيد]

ولما كان تفسير الرضى رحمه الله قد تعرض للغريب من كلامه عليه السلام ، ورأينا أنه لم يذكر من ذلك إلا اليسير ، آثرنا أن نذكر جملة من غريب كلامه عليه السلام مما نقله أرباب الكتب المصنفة في غريب الحديث عنه عليه السلام .

فمن ذلك ما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه : لأن أطلي بجواء قدّر أحب إلى من أن أطلي بزعفران .

قال أبو عبيد : هكذا الرواية عنه « بجواء قدّر » ، قال : وسمعت الأصمعي يقول : إنما هي الجاوة ، وهي : الرعاء الذي يجعل القدر فيه وجعها جيا .

قال : وقال أبو عمرو : يقال : لذلك الوعاء جواء وجيا ؛ قال : ويقال للخرقة التي ينزل بها الوعاء عن الأنثى جمال .

ومنها قوله عليه السلام حين أقبل يريد العراق فأشار إليه الحسن بن علي عليه السلام أن يرجع : والله لا أكون مثل الضبع تسمع الدم حتى تخرج فتصاد .

قال أبو عبيد : قال الأصمعي : الدم صوت الحجر ، أو الشيء يقع على الأرض ، وليس بالصوت الشديد ، يقال منه : لدم الدم بالكسر ، وإنما قيل ذلك للضبع ، لأنهم إذا أرادوا أن يصيدوها رموا في جحرها بحجر حفيف ، أو ضربوا بأيديهم فتحسبه

شيئاً تصيده فنخرج لتأخذه فتصاد ، وهى زعموا أنها من أحق الدواب ، بلغ من حُماتها أن يدخل عليها فيقال : أمّ عامر نائمة ، أو ليست هذه ! والضبع ، هذه أمّ عامر ، ففسكت حتى تؤخذ ، فأراد على عليه السلام : أنى لا أخدع كما تُخدع الضبع بالدم .

ومنها قوله عليه السلام : من وجد في بطنه رزاً فلينصرف وليتوضأ .
قال أبو عبيد . قال أبو عمرو : إنما هو أرزاً مثل أرز الحية ، وهو دورانها وحركتها ، فشبه دوران الرّيح في بطنه بذلك .
قال : وقال الأصمى : هو الرّز ، يعنى الصّوت في البطن من القرقرة ونحوها
قال الراجز :

كأن في ربابه الكبارِ رزّ عشارٍ جُلنَ في عِشار^(١)
وقال أبو عبيد : فقه هذا الحديث أن ينصرف فيتوضأ ويبنى على صلاته ما لم يتكلم ، وهذا إنما هو قبل أن يحدث .
قلت : والذي أعرفه من الأرز أنه الانقباض لا الدوران والحركة ، يقال : أرز فلان بالفتح وبالكسر ؛ إذا تضامّ وتقبّض من بطنه فهو أرز ، والمصدر أرزا وأروزا ، قال رؤبة :

* فذاك يحالُ أروز الأرز^(٢) *

فأضاف الاسم إلى المصدر كما يقال : عمر العدل وعمر الدهاء ، لما كان العدل والدهاء أغلب أحوالهما ، وقال أبو الأسود الدؤلى يذمّ إنسانا : إذا سئل أرز ، وإذا دعى اهتزّ - يعنى إلى الطعام ، وفى الحديث : « إن الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى حُجرها » . أى يجتمع إليها وينضمّ بعضها إلى بعض فيها .

(٢) اللسان (أرز) .

(١) اللسان « أرز » ، ونسب إلى رؤبة .

ومنها قوله : لئن وليتُ بنى أُمّية لأُنْفِضَنَّهُمْ نَفْضَ الْقَصَابِ التُّرَابِ^(١) الْوِزْمَةِ .
وقد تقدّم منا شرحُ ذلك والكلامُ فيه .

ومنها قوله في ذى الثُدَيَّةِ المقتول بالنَّهْرَوَانِ : إنه مُودِنُ الْيَدِ أو مُثْدِنُ الْيَدِ ومُخْدَجُ الْيَدِ .
قال أبو عبيدة : قال الكسائي وغيره : المودنُ الْيَدِ : القصيرُ الْيَدِ ؛ ويقال : أودنتُ
الشيءَ أى قصرتُه ، وفيه لُفَةٌ أخرى ، ودنّته فهو مودون ؛ قال حسن يذمّ رجلا :
وأَمْكُ سَوْدَاهُ مَوْدُونَةٌ كَأَنَّ أَنَامِلَهَا الْخَنْطُبُ
وأما مُثْدِنُ الْيَدِ ، بالثاء فإنّ بعضَ الناس قال : نراه أخذَه من الثُّنْدُوءَةِ ، وهى أصل
الثُّدَى ، فشبهَ يدهَ فى قِصَرِها وأَجْمَاعِها بذلك ، فإن كان من هذا فالقياس أن يقال :
مُثْنَدٍ ؛ لأنّ النون قبل الدال فى الثُّنْدُوءَةِ ، إلّا أن يكون من المقلوب ، فذاك كثيرٌ فى كلامهم .
وأما مُخْدَجُ الْيَدِ فإنه القصيرُ الْيَدِ أيضاً ، أخذ من إخداجِ الناقَةِ وَلَدَها ، وهو أن
تَضَعَه لغير تمامٍ فى خَلْقِهِ ، قال : وقال القراء : إنّما قيل ذو الثُدَيَّةِ ؛ فأدخلت الهاء فيها ،
وإنّما هى تصغيرُ «ثُدَى» ، والثُدَى مذكّرٌ ؛ لأنها كأنّها بقيّةُ ثُدَى قد ذهبَ أَكْثَرُه فَقَلِّلَها
كما تقولُ حُلَيْمَةٌ وشُحَيْمَةٌ ، فأنت على هذا التأويل ؛ قال : وبعضهم يقول ذو الْيُدَيَّةِ ، قال
أبو عبيد : ولا أرى الأصل كان إلّا هذا ، ولكنّ الأحاديث كلّها تتابعت بالثاء
ذو الثُدَيَّةِ .

ومنها قوله عليه السلام لقومٍ وهو يعاتبهم : مَا لَكُمْ لَا تُنْظِفُونَ عَذِرَاتَكُمْ !
قال : الْعَذِرَةُ فِنَاءُ الدَّارِ ، وإنّما سُمِّيت تلك الحاجة عَذِرَةً لأنها بالأفنية كانت تُلْقَى ،

(١) قال الأصمى : سألتى شعبة عن هذا الحرف ، فقلت : ليس هو هكذا ، إنّما هو نَفْضُ الْقَصَابِ الْوِزَامِ :
التربة . والتربة : التى سقطت فى التراب فتتربت ، والقصاب ينفضها .

فكنى عنها بالعِدْرَةَ كما كنى عنها بالغائط ، ولما غائط الأرض الطمئنة ؛ وقال الحطيثة
يهجو قوماً :

لعمري لقد جربْتُكم فوجدْتُكم فبالح الوجوه سيئ العذرات

ومنها قوله عليه السلام : لأجمعة ولا تشريق إلّا في مصرٍ جامع .
قال أبو عبيد : التشريق هاهنا صلاة العيد ؛ وسميت تشريقاً لإضاءة وقتها ؛ فإن
وقتها إشراق الشمس وصرافؤها وإضاءتها ؛ وفي الحديث المرفوع : « من ذبح قبل التشريق
فلْيُمِدَّ » ، أى قبل صلاة العيد .

قال : وكان أبو حنيفة يقول : التشريق هاهنا هو التكبير في ذبُر الصلاة ،
يقول : لا تكبير إلّا على أهل الأمصار تلك الأيام ، لا على المسافرين أو من هو في
غير مصر .

قال أبو عبيد : وهذا كلام لم نجد أحداً يعرفه ، إن التكبير يقال له التشريق ،
وليس يأخذ به أحدٌ من أصحابه لأبو يوسف ولا محمد ، كلهم يرى التكبير على
المسلمين جميعاً حيث كانوا في السفر والحضر وفي الأمصار وغيرها .

ومنها قوله عليه السلام : « استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يُحَال بينكم
وبينه ، فكأنّ رجلٍ من الحبشة أصمّ أصمّع تحش الساقين قاعداً عليها وهي تهذّم » .
قال أبو عبيد : هكذا يروى « أصمّل » وكلام العرب المعروف « صمّل » وهو
الصغيرُ الزأس ، وكذا رؤوس الحيشة ، ولهذا قيل للظلم : صمّل ؛ وقال عنترة يصف
ظليماً :

صمّل يلوذُ بذى العشيرة بيّضه كالعبد ذى الفرو الطويل الأضمل

قال : وقد أجازَ بعضهم أصْعَلَ في الصَّل ، وذُكِرَ أنَّها لغة لا أدرى عَمَن هي !
والأصْعُ : الصغيرُ الأذن ، وامرأة صَمْعاء .
وفي حديث ابن عَبَّاس : إنه كان لا يَرى بأساً أن يُصَحَّى بالصَمْعاء . وخَش الساقين
بالنَّسكين : دَفَّقَها .

ومنها : أن قومًا أتَوْه رجل فقالوا : إنَّ هذا يؤمُّنا ونحن له كارهون ، فقال له : إنك
تخرُوط ، أتؤمُّ قومًا هم لك كارهون !
قال أبو عبيد : التخرُوط : التهورُّ في الأمور ، الرَّاكِبُ برأسه جهلاً ؛ ومنه قيل :
اتخرط علينا فلان ، أي اندرأ بالقول السيِّئ والفعل . قال : وقفه هذا الحديث أنه
ما أفتى عليه السلام بفسادِ صلاته لأنه لم يأمره بالإعادة ، ولكنه كره له أن يؤمَّ قومًا
هم له كارهون .

ومنها : أن رجلاً أتاه وعليه ثوبٌ من قَهَز ، فقال : إنَّ بني فلان ضَرَبوا بني فلانة
بالكناسة ، فقال عليه السلام : صدَّقني سنُّ بكَرِه .
قال أبو عبيد : هذا مثلٌ تَضَرِّبه العَرَبُ للرجل يأتي بالخبر على وجهه ويصدق
فيه . ويقال : إنَّ أصله أنَّ الرجلَ ربَّما باعَ بَعِيرَه فيسأل المشتري عن سِنِّه
فيكذبه ، فعرض رجلٌ بكَرَاهٍ له فصدَّق في سِنِّه ، فقال الآخر : صدَّقني سنُّ بكَرِه ،
فصار مثلاً .
والقَهَز بكسر القاف : ثياب بيض يُخالطها حَرِير ، ولا أراها عربيَّة ، وقد استعملها
العربُ ؛ قال ذو الرِّمَّة يصف البُرَّاة البيضاء :

من الوُزْقِ أو صُتْعِ كَأَنَّ رءُوسَهَا من القِهْزِ والقُوْهِ بِيضُ المَقَانِعِ

ومنها : ذَكَرَ عليه السلام آخر الزمان والْفِتْنِ ، فقال : خير أهل ذلك الزمان كلُّ نُوْمَةٍ ، أولئك مصابيح الهدى ، ليسوا بالمساييح ولا المذاييع البُذُر .
وقد تقدّم شرح ذلك .

ومنها : أَنَّ رجلاً سافر مع أصحاب له فلم يرجع حين رجعوا ، فاتّهم أهله أصحابه ورفعهم إلى شُرَيْح ، فسألهم البَيِّنَةَ على قتله ، فارتفعوا إلى عليّ عليه السلام ، فأخبروه بقول شُرَيْح ، فقال :
أوردَها سعدٌ وسعدٌ مُشْتَمِلٌ يأسعد لا تروى بهذاك الإبل
ثم قال : إِنَّ أَهْوَنَ السَّقَى التَّشْرِيعَ ، ثُمَّ فَرَّقَ بينهم وسألهم ، فاختلفوا ، ثم أقروا بقتالهم ، فقتلهم به .

قال أبو عُبَيْد : هذا مثل ، أصله أَنَّ رجلاً أوردَ إبله ماء لا تصلُ إليه الإبل إلا بالاستقاء ، ثم اشتمل ونام وتركها لم يستسق لها ؛ والكلمة الثانية مثل أيضا ، يقول :
إِنَّ أَيْسَرَ مَا كَانَ يُنْبِئُ أَنْ يُفْعَلَ بِالْإِبِلِ أَنْ يُمَكَّنَهَا مِنَ الشَّرِيعَةِ وَيَعْرِضَ عَلَيْهَا الْمَاءَ .
يقول : أَقْلَ مَا كَانَ يَجِبُ عَلَى شُرَيْحِ أَنْ يَسْتَقْصَى فِي الْمَسْأَلَةِ وَالْبَحْثِ عَنْ خَيْرِ الرَّجُلِ ولا يقتصر على طلب البَيِّنَةِ .

ومنها قوله ، وقد خرج على الناس وهم ينتظرونه للصلاة قياما : « مالى أراكم سامدين » .

قال أبو عبيد : أى قائمين ، وكلُّ رافع رأسه فهو سامد ، وكانوا يكرهون أن ينتظروا الإمام قياما ولكن قعودا ، والسامد فى غير هذا الموضع : اللاهى اللآعب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ ^(١) ، وقيل : الشمود الغناء بِلُفَّةٍ حَمِيرٍ .

ومنها : أنه خرج فرأى قوماً يصلّون قد سدّوا ثيابهم ، فقال : كأنهم اليهود خرجوا من فُهرهم .

قال أبو عبيد : فُهرهم بضم الفاء : موضع مذرّاسهم الذى يجتمعون فيه كالعيد يصلّون فيه ويُسَدِّلون ثيابهم ، وهى كلمة نبطية أو عبرانية أصلها بهز بالباء فعُرِّبَت بالفاء .

والسّدل : إسبال الرجل ثوبه من غير أن يضمّ جانبيه بين يديه ، فإن ضمّه فليس بسّدل ، وقد رويت فيه الكراهة عن النّبىّ صلى الله عليه وآله .

ومنها : أن رجلا أتاه فى فريضة وعنده شريح ، فقال : أتقول أنت فيها أيّها العبد الأَبْظَرُ !

قال أبو عبيد : هو الذى فى شَفْتِه العُلْيَا طُولٌ وتنوّء فى وسطها محاذى الأنف . قال : وإِثْمًا نراه قال لشريح : « أيّها العبد » ، لأنه كان قد وقع عليه سبٌّ فى الجاهلية .

(١) سورة النجم ٦١ .

ومنها: أن الأشعث قال له وهو على المنبر : غلبتنا عليك هذه الحمراء ؛ فقال عليه السلام : من يعذرني من هؤلاء الضيافة ، يتخلف أحدهم يتقلب على فراشه وحشايه كالعير ويهجر هؤلاء للذكر ! أأطردهم ؟ إني إن طردتهم لمن الظالمين ؛ والله لقد سمعته يقول : والله ليضربنكم على الدين عودا كما ضربتموم عليه بدءا ..

قال أبو عبيد : الحمراء : العجم والموالي ، سمو بذلك لأن الغالب على ألوان العرب السمرة ، والغالب على ألوان العجم البياض والحمرة . والضيافة : الضخام الذين لا نفع عندهم ولا غناء ، واحدهم ضيطان .

ومنها : قوله عليه السلام : اقتلوا الجانّ ذا الطفيتين ، والكلب الأسود ذا الفترتين . قال أبو عبيد : الجانّ حية بيضاء ، والطفية في الأصل : خوصة المقل ، وجمعها طفي ، ثم شُبّهت الخطّتان على ظهر الحية بطفيتين . والفرة : البياض في الوجه .

[نبذ من غريب كلام الإمام علي وشرحه لابن قتيبة]

وقد ذكر ابن قتيبة في غريب الحديث له عليه السلام كلمات أخرى :

فمنها قوله : من أراد البقاء - ولا بقاء - فليأكر الغداء ، وليخفف الرداء ، وليقل غشيان النساء . فقليل له : يا أمير المؤمنين ، وما خيفة الرداء في البقاء ؟ فقال : الدين .

قال ابن قتيبة : قوله « الرِّداء الدِّين » مذهب في اللغة حسنٌ جيد ، ووجهٌ صحيح ، لأنَّ الدِّينَ أمانةٌ ، وأنت تقول : هولك علىّ وفي عنقي حتى أؤدِّيه إليك ، فكأنَّ الدينَ لازمٌ للعنق ، والرِّداء موضعه صَفَحَتَا العنق ، فسَمَّى الدِّينَ رداءً وكُنِيَ عنه به ، وقال الشاعر :

إن لي حاجةً إليك فقالت بين أذني وعاتقي ماتريد
يريد بقوله : « بين أذني وعاتقي ماتريد » في عنقي ، والمعنى أني قد ضمنتَه فهو علىّ ، وإنما قيل للسيف رداء لأنَّ حامله تقع موقع الرداء ، وهو في غير هذا الموضع العطاء ، يقال : فلانٌ غمر الرداء أى واسعُ العطاء ؛ قال : وقد يجوز أن يكون كُنِيَ بالرِّداء عن الظَّهر ، لأنه يقع عليه ؛ يقول : فليخفف ظهره ولا يثقله بالدِّين ، كما قال الآخر : « خاص الأُزُر » ، يريد خاص البطون .

وقال : وبلغنى نحو هذا الكلام عن أبي عبيد ، قال : قال فقيه العرب : من سرَّه النساءُ — ولا نساءً — فليُبكر العشاء ، وليُبأكر الغداء ، وليخفف الرِّداء ، وليُقِلَّ غِشيان النساءِ قال : فالنساء التأخيرُ ، ومنه : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾^(١) .

وقوله : فليُبكر العشاء ؛ أى فليؤخره ، قال الشاعر :

* فأكرتُ العشاء إلى سُهَيْل *

ويجوز أن يريد فليُنقص العشاء ، قال الشاعر :

* والطلّ لم يفضّل ولم يكر *

ومنها : أنه أتى عليه السلام بالمال فكوّم كومةً من ذهب وكومة من فضة ، فقال :
يا حرّاه ويا بيضاءه احمرّي ويا بيضى وغرّى غيّرى .

هذا جنّاي وخياره فيه وكلّ جانّ يده إلى فيه
قال ابن قتيبة : هذا مثل ضرب به ، وكان الأصمعيّ يقول : « وجمانه فيه » ، أى خالصه ،
وأصل المثل لعمر بن عدّى ابن أخت جديمة الأبرش ، كان يحكى الكأّة مع
أتراب له ، فكان أترابه يأكلون ما يجدون ، وكان عمرو يأتي به خاله ويقول هذا
القول ^(١) .

ومنها حديث أبي جاب قال : جاء سمّى من البصرة يذهب إلى وكنت عند أمي ،
فقلت : لا أتركك تذهب به ، ثم أتت عليّ عليه السلام فذكرت ذلك له ، فجاء سمّى
من البصرة ، فقال : نعم والله لأذهبنّ به وإن رغب أنفك ، فقال علىّ عليه السلام : كذبت
والله ، وولّقت ، ثم ضرب بين يديه بالدرّة .
قال : ولّقت مثل كذبت وكذلك ولّعت بالعين ، وكانت عائشة تقرأ : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ
بِالسِّتْرِ كُمْ ﴾ ^(٢) وقال الشاعر :

* * * * *
* * * * *
* * * * *

يعنى النساء أى من أهل الأُخلاف .

ومنها قوله عليه السلام : إن من ورائكم أموراً متماحلة رُدّها وبلاء مكلّحاً مبّاحاً ،

(٢) سورة النور ١٥ .

(١) ١ : « الكلام » .

(٣) اللسان (ولع) ، وسدره :

* * * * *
* * * * *
* * * * *

قال ابن قتيبة : المتاحلة الطَّوال : يعنى فتنا يطول أمرُها ويعظم ؛ ويقال : رجل متاحل وسبَّسب متاحل ، والردحُ جمع رِداح ، وهى العظيمة ؛ يقال للكتيبة إذا عظمت : رَدَّاح ، ويقال للمرأة العظيمة العجيزة : رَدَّاح .

قال : ومنه حديثُ أبى موسى ، وقيل له زمن على ومعاوية : أهى أهى ؛ فقال : إنما هذه الفتنة حَيضة مِن حيضات الفتن ، وبقيت الرِّداح المظلمة التى من أشرف أشرفت له .

ومكلاً أى يكلع الناسُ بشدتها ، يقال كَلَح الرجل وأكلَّه ، الكلحة الهم . والمبلح ، من قولهم : بلح الرجل إذا انقطع من الإعياء ، فلم يقدر على أن يتحرك ، وأبلَّه السير ؛ وقال الأعشى :

* واشتكى الأوصال منه وبَنَحْ (١) *

ومنها قوله عليه السلام يوم خيبر :
أنا الذى سَمَّينِ أُمِّى حَيْدَرَةَ كَلَيْثٍ غَابَتِ كَرِيهِ الْمَنْظَرَةَ
* أَفِيهِم بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ *

قال ابن قتيبة : كانت أمّ عليّ عليه السلام سمته وأبو طالب غائب حين ولدته أسداً باسم أبيها أسد بن هاشم بن عبد مناف ، فلما قدم أبو طالب غيّر اسمه وسماه علياً . وحيدرة : اسم من أسماء الأسد ، والسندرة : شجرة يعمل منها القسي والنبل ؛ قال :

* حَنَوْتُ لَهُم بِالسَّنْدَرِيِّ الْمُؤَثِّرِ *

فالسندرة فى الرّجَز يُحتَمَل أن تكون مِكْيالاً يُتخذ من هذه الشجرة ، سمى باسمها يكاسمى القوس بنبغة . قال : وأحسب إن كان الأمرُ كذلك أن الكيل بها قد كان

١ (١) ديوانه ٢٣٩ ، وصدره :

* وإذا حَمَلَ عِبْثاً بَعْضُهُمْ *

جُزَافًا فِيهِ إِفْرَاطٌ ؛ قَالَ : وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ السَّنْدَرَةُ هُنَا هُنَا امْرَأَةً كَانَتْ تَكِيلُ
كَيْلًا وَافِيًا أَوْ رَجُلًا .

ومنها قوله عليه السلام : مَنْ يَطْلُ أَيْرُ أَبِيهِ يَتَمَنَّقُ بِهِ .
قال ابن قتيبة : هذا مثل ضرب به ، يريد من كثرت إخوته عزَّ وأشدَّ ظهْرُهُ ،
وضرب المنطقة إذا كانت تشدَّ الظهر مثلاً لذلك ، قال الشاعر :
فلو شاء ربِّي كَانِ أَيْرُ أَبِيكُمْ طويلاً كَأَيْرِ الْحَارِثِ بْنِ سَدُوسٍ^(١)
قيل : كان للحارث بن سدوس أحد وعشرون ذكراً ، وكان ضرارُ بن عمرو
الضبي يقول : أَلَا إِنَّ شَرَّ حَائِلٍ أُمٍّ ، فزوجوا الأمهات ، وذلك أنه صريع ، فأخذته
الرِّمَاحُ ، فاشتدَّتْ عليه إخوته لأمته حتى خلصوه .
قال : فأما المثل الآخر وهو قولهم : مَنْ يَطْلُ ذَيْلَهُ يَتَمَنَّقُ بِهِ ، فليس من المثل
الأول في شيء ، وإنما معناه من وجد سعةً وضعها في غير موضعها ، وأنفق في غير ما يلزمه
الإففاق فيه .

ومنها قوله : خَيْرُ بئرٍ فِي الْأَرْضِ زَمَزَمٌ ، وَشَرُّ بئرٍ فِي الْأَرْضِ بَرْهَوْتُ .
قال ابن قتيبة : هي بئرٌ بحَضْرَمَوْتٍ يُرْوَى أَنَّ فِيهَا أَرْوَاحَ الْكَفَّارِ .
قال : وقد ذكر أبو حاتم عن الأصمعي عن رجل من أهل حَضْرَمَوْتٍ قال : نجد
فيها الرائحة المنقنة الفظيعة جداً ، ثم نمكث حيناً فيأتينا الخبرُ بأنَّ عظماء
الكفار قد مات ، فترى أنَّ تلك الرائحة منه ، قال : وربما سُمع منها مثل أصوات الحجاج ،
فلا يستطيع أحدٌ أَنْ يَمْشِيَ بِهَا .

(١) اللسان (نطق) ، من غير لسة .

ومنها قوله عليه السلام : أَيْمًا رَجُلٍ تَزَوَّجَ أَمْرَأَةً مَجْنُونَةً ، أَوْ جَذْمَاءً ، أَوْ بَرَصَاءً ،
أَوْ بِهَا قَرْنٌ ؛ فَهِيَ أَمْرَأَتُهُ ، إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ ، وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ .
قال ابن قُتَيْبَةَ : الْقَرْنُ بِالتَّسْكِينِ : الْعَقْلَةُ الصَّغِيرَةُ ؛ وَمِنْهُ حَدِيثُ شُرَيْحٍ أَنَّهُ اخْتَصِمَ إِلَيْهِ
فِي قَرْنٍ بِجَارِيَةٍ ، فَقَالَ : أَقْعِدُوهَا فَإِنْ أَصَابَ الْأَرْضَ فَهُوَ عَيْبٌ ، وَإِنْ لَمْ يُصِبِ الْأَرْضَ
فَالَيْسَ بِعَيْبٍ .

ومنها قوله عليه السلام : لَوْ دَعَا مَعَاوِيَةُ أَنَّهُ مَا بَقِيَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ نَافِخٌ ضِرْمَةٌ
إِلَّا طَعَنَ فِي نِيطِهِ .

قال ابن قُتَيْبَةَ : الضَّرْمَةُ النَّارُ ؛ وَمَا بِالْدارِ نَافِخُ ضِرْمَةٍ ، أَيْ مَا بِهَا أَحَدٌ .
قال : وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ عَنْ أَبِي زَيْدٍ : طَعَنَ فُلَانٌ فِي نِيطِهِ أَيْ فِي جِنَازَتِهِ ، وَمِنْ أَبْتَدَأَ فِي
شَيْءٍ أَوْ دَخَلَ فِيهِ فَقَدْ طَعَنَ فِيهِ ، قَالَ : وَيُقَالُ : التَّنِيطُ : الْمَوْتُ ، رَمَاهُ اللَّهُ بِالتَّنِيطِ ؛ قَالَ : وَقَدْ
رَوَى « إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي طَعْنٍ » بِضَمِّ الطَّاءِ ، وَهَذَا الرَّأْيُ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ التَّنِيطَ نِيطُ الْقَلْبِ ، وَهِيَ
عَلَاقَتُهُ الَّتِي يَتَعَلَّقُ بِهَا ، فَإِذَا طَعَنَ إِنْسَانٌ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ مَاتَ .

ومنها قوله عليه السلام : إِنْ أَمَرَ اللَّهُ أَوْحَى إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ ابْنَ لِي يَنْتَ فِي
الْأَرْضِ ، فَضَاقَ بِذَلِكَ ذَرْعًا ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ السَّكِينَةَ ، وَهِيَ رِيحٌ خَبْجُوجٌ ،
فَتَطَوَّقَتْ^(١) حَوْلَ الْبَيْتِ كَالْحَبِجَةِ .

وقال ابن قُتَيْبَةَ : الْخَبْجُوجُ مِنَ الرِّيحِ : السَّرِيعَةُ الْمُرُورِ ؛ وَيُقَالُ أَيْضًا : خَبْجُوجَاءُ ،
قال ابن أحمَرٍ :

(١) كَذَا فِي ب ، وَفِي أ ، د : « فَتَطَوَّقَتْ » .

هُوَ جَاهُ رَعْبَلَةَ الرِّوَّاحِ خَجَوُ جَاءَ الْفُدُو رَوَّاحُهَا شَهْرٌ^(١)

قال : وهذا مثلُ حديثٍ عليٍّ عليه السلام الآخر ، وهو أنه قال : السَّكِينَةُ لها وجهٌ كَوَجْهِ الْإِنْسَانِ ، وهى بعدُ رِيحٌ هَفَافَةٌ ، أى خفيفةٌ سريعةٌ ، وَالْحَجَفَةُ : التُّرْسُ .

ومنها أَنَّ مُكَاتِبًا لِبَعْضِ بَنِي أَسَدٍ ، قَالَ : جِئْتُ بِنَقْدٍ أَجْلِبُهُ إِلَى السَّكُوفَةِ ، فَانْتَهَيْتُ بِهِ إِلَى الْجِسْرِ ، فَإِنِّي لَأَسْرَبُهُ عَلَيْهِ إِذَا أَقْبَلَ مَوْلَى لَبَكْرٍ بْنِ وَائِلٍ يَتَخَلَّلُ الْغَنَمَ لِيَقْطَعَهَا ، فَنفَرْتُ نَقْدَةً ، فَقَطَرْتُ الرَّجُلَ فِي الْفُرَاتِ ، فَغَرِقَ ، فَأَخَذْتُ . فَارْتَفَعْنَا إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَصَصْنَا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَقَالَ : انْطَلِقُوا فَإِنْ عَرَقْتُمُ النَّقْدَةَ بَعَيْنِهَا فَأَدْفَعُوهَا إِلَيْهِمْ . وَإِنْ اخْتَلَطَتْ عَلَيْكُمْ فَأَدْفَعُوا شَرَّوَاهَا مِنَ الْغَنَمِ إِلَيْهِمْ .

قال ابنُ قُتَيْبَةَ : النَّقْدُ : غَنَمٌ صِغَارٌ ، الْوَاحِدَةُ نَقْدَةٌ ؛ ومنه قولهم فى المَثَلِ : « أَذَلَّ مِنَ النَّقْدِ » .

وقوله : « أَسْرَبُهُ » أى أُرْسِلُهُ قِطْعَةً قِطْعَةً . وَشَرَّوَاهَا : مِثْلُهَا .

ومنها قوله عليه السلام فى ذِكْرِ الْأَمْهَدِيِّ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : إِنَّهُ رَجُلٌ أَجَلَى الْجَبِينِ ، أَقْنَى الْأَنْفِ ، ضَخْمُ الْبَطْنِ ، أَرْبَلُ الْفَخْذَيْنِ ، أَفْلَجُ الثَّنَائِيَا ، بَفَخِذِهِ الْيُمْنَى شَامَةً .

قال ابنُ قُتَيْبَةَ : الْأَجَلَى وَالْأَجْلَحُ شَيْءٌ وَاحِدٌ ، وَالْقَنَا فى الْأَنْفِ : طَوْلُهُ وَدِقَّةُ أَرْبَبَتِهِ

(١) اللسان ٣ : ٧١ ، قال : « يصف الريح » .

وَحَدَّبَ فِي وَسْطِهِ . وَالْأَرْبَلُ الْفَحْدَيْنِ : المتباعدُ ما بينهما ، وهو كالأَفْحَجِ ؛ تَرَبَّلَ الشَّيْءُ ؛
أُئِيَ انْفَرَجَ ، وَالْفَلَجُ : صُفْرَةٌ فِي الْأَسْنَانِ .

ومنها قوله عليه السلام : إِنْ بَنَى أُمَّيَّةٌ لَا يَزَالُونَ يَطْعُنُونَ فِي مَسْجَلِ ضَلَالَةٍ ، وَلَهُمْ
فِي الْأَرْضِ أَجَلٌ حَتَّى يَهْرَيْقُوا الدَّمَ الْحَرَامَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، وَاللَّهُ لَنُكَاتِي أَنْظَرُ إِلَى
غَيْرِنَوْقٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَتَخَبَّطُ فِي دَمِهِ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ عَاذِرٌ ، وَلَمْ يَبْقَ
لَهُمْ مُلْكٌ ، عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ .

قال ابنُ قتيبة : هو من قولك : رَكِبَ فُلَانٌ مَسْجَلَهُ ، إِذَا جَدَّ فِي أَمْرٍ هُوَ فِيهِ
كَلَامًا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ ، وَهُوَ مِنَ السَّجَلِ وَهُوَ الصَّبُّ . وَالْغِرْنَوْقُ : الشَّابُّ .

قلت : وَالْغِرْنَوْقُ : الْقُرَشِيُّ الَّذِي قَتَلُوهُ ، ثُمَّ انْقَضَى أَمْرُهُمْ عَقِيبَ قَتْلِ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ ،
وَقَدْ اخْتَلَفَتْ الرِّوَايَةُ فِي كَيْفِيَّةِ قَتْلِهِ ، فَقِيلَ : قُتِلَ بِالسَّيْفِ ؛ وَقِيلَ : خُنِقَ فِي جِرَابٍ فِيهِ
نُورَةٌ ، وَحَدِيثُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُسْنِدُ الرِّوَايَةَ الْأُولَى .

ومنها ما رَوَى أَنَّهُ اشْتَرَى قَمِيصًا بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمٍ ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَذَا
مِنْ رِيَاشِهِ .

قال ابنُ قتيبة : الرِّيشُ وَالرِّيشُ وَاحِدٌ ، وَهُوَ الْكِسْوَةُ ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قَدْ أَنْزَلْنَا
عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ﴾ ، وَقُرِئَ ﴿ وَرِيَاشًا ﴾ .

ومنها قوله عليه السلام : لَا قَوْدَ إِلَّا بِالْأَسَلِ .

قال ابنُ قتيبة : هُوَ مَا أَرْهَفَ وَأَرِقَّ مِنَ الْحَدِيدِ ، كَالسَّنَانِ وَالسَّيْفِ وَالسَّكِينِ ؛
وَمِنْهُ قِيلَ : أَسَلَةُ الذَّرَاعِ لَمَّا اسْتَدَقَّ مِنْهُ ، قَالَ : وَأَكْثَرُ النَّاسِ عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ .

وقومٌ من الناس يقولون : قد يَجُوزُ أَنْ القَوَدَ بغير الحديد كالْحِجْر والعَصَا إن كان المقتول قُتِلَ بغير ذلك .

ومنها أنه عليه السلام رأى رجلاً في الشمس ، فقال : قُمْ عنها فإنها مَبْخَرَةٌ مَجْفَرَةٌ ، تُثْقِلُ الرِّيحَ ، وتُبْلِي الثَّوبَ ، وتُظْهِرُ الدَّاءَ الدِّفِينَ .
قال ابنُ قَتِيْبَة : مَبْخَرَةٌ : تُوْرِثُ البَخْرَ في الفَمِ . ومَجْفَرَةٌ : تَقْطَعُ عَنِ النَّكاحِ وتُذْهَبُ شَهْوَةُ الْجَمَاعِ ، يقال جَفَرَ الفَحْلَ عَنِ الْإِبِلِ ؛ إِذَا أَكْثَرَ الضَّرَابَ حَتَّى يَمْلَأَ وَيَنْقَطِعَ ، ومِثْلُهُ قَدَّرَ ، وَتَقَدَّرَ ، قَذُورًا ، ومِثْلُهُ أَقْطَعَ فهو مَقْطَعٌ .
وجاء في الحديث أن عثمان بن مظعون قال : يارسول الله ، إني رجل تَشَقُّ عَلَى الْعُرْبَةِ فِي الْمَغَازِي ، أَفْتَأْذِنُ لِي فِي الْخِصَاءِ ؟ قال : لا ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ مُجْفِرٌ .

قال : وقد رَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ عَمَهُ ، قال : تَكَلَّمَ أَعْرَابِي فَقَالَ : لَا تَنْكَحَنَّ وَاحِدَةً فَتَحِيضُ إِذَا حَاضَتْ ، وَتَمْرُضُ إِذَا مَرَضَتْ ، وَلَا تَنْكَحَنَّ اثْنَتَيْنِ فَتَكُونُ بَيْنَ ضَرَّتَيْنِ وَلَا تَنْكَحَنَّ ثَلَاثًا فَتَكُونُ بَيْنَ أَثْنَائٍ ، وَلَا تَنْكَحَنَّ أَرْبَعًا فَيَقْلِسَنَّكَ وَيَهْرِمَنَّكَ ، وَيُنْجِلَنَّكَ وَيُجْفِرَنَّكَ فَقِيلَ لَهُ : لَقَدْ حَرَّمْتَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ ، فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! كُوزَانٍ ، وَقُرْصَانٍ ، وَطُغْرَانٍ وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ ، وَقَوْلُهُ « تُثْقِلُ الرِّيحَ » ، أَيْ تُثْقِلُهَا ، وَالْأَسْمُ الثَّقِيلُ ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ « وَلِيُخْرِجَنَّ ثَفَلَاتٍ » . وَالْأَدَاءُ الدِّفِينَ ؛ الْمُسْتَرْتَرِ الَّذِي قَدْ قَهَرَتْهُ الطَّبِيعَةُ ، فَالْشَّمْسُ تُعِينُهُ عَلَى الطَّبِيعَةِ وَتُظْهِرُهُ .

ومنها قوله عليه السلام وهو يذكر مسجد الكوفة في زَاوِيَتِهِ : فَارَ التَّنُورِ ، وَفِيهِ هَلَاكُ يَغُوثٍ وَيَعُوقٍ ، وَهُوَ الْفَارُوقُ ، وَمِنْهُ يَسْتَرِ جَبْلُ الْأَهْوَازِ ، وَوَسَطُهُ عَلَى رَوْضَةٍ مِنْ

رياض الجنة ، وفيه ثلاثُ أعينُ أنبتت بالضغث ، تذهب الرجس ، وتطهر المؤمنين : عين من لبن ، وعين من دهن ، وعين من ماء ، جانبه الأيمن ذكر ، وفي جانبه الأيسر مكر ، ولو يعلم الناس ما فيه من الفضل لأتوه ولو حبواً .

قال ابن قتيبة : قوله « أنبتت بالضغث » أحسبه الضغث الذي ضرب أيوب أهله . والعين التي ظهرت لما ركض الماء برجله . قال : والباء في « بالضغث » زائدة ، تقديره : أنبتت الضغث ، كقوله تعالى : ﴿ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ ^(١) ﴾ ، وكقوله : ﴿ يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ^(٢) ﴾ .

وأما قوله : « في جانبه الأيمن ذكر » ، فإنه يعنى الصلاة . « وفي جانبه الأيسر مكر » أراد أراد به المكربه حتى قيل عليه السلام في مسجد الكوفة .

ومنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أبا رافع مولاه يتلقى جعفر بن أبي طالب لما قدم من الحبشة ، فأعطاه على عليه السلام حتيًا وعُكَّة سمن ، وقال له : أنا أعلم بجعفر أنه إن علم ثراه مرة واحدة ثم أطعمه ، فادفع هذا السمن إلى أسماء بنت عميس تذهن به بنى أخى من صمر البحر ، وتطعمهم من الحثي .

قال ابن قتيبة : الحثي : سويق يُتخذ من القُل ، قال الهذلي يذكر أضيافه :

لَا دَرَّ دَرِّيَ إِنْ أَطْعَمْتُ نَارَ لَكُمْ قِرْفَ الْحِثِّيِّ وَعِنْدِي الْبُرْمَكُنُوزُ

(١) سورة المؤمنين : ٢٠ .

(٢) سورة الدهر : ٦ .

وقوله: « ثراه مرة » أى بَلَّه دَفْعَةً واحدة وأطعمه الناس ، والثرى : النداء . وصَمَرُ البحر : نَتْنُهُ وَغَمُّهُ ، ومنه قيل للدُّبُرِ الصَّمَارَى .

ومنها قوله عليه السلام يوم الشُّورى لما تكلم : الحمد لله الذى اتَّخَذَ مُحَمَّدًا مِنَّا نَبِيًّا ، وَابْتَعَثَهُ إِلَيْنَا رَسُولًا ، فَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ النَّبَوَّةِ ، وَمَعْدِنُ الْحِكْمَةِ ؛ أَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ ، وَنَجَاتٌ لِمَنْ طَلَبَ ، إِنْ لَنَا جَقًا إِنْ نُعْطَهُ نَأْخُذْهُ ، وَإِنْ نُمْنَعُهُ نَرْكَبُ أَهْجَارَ الْإِبِلِ ، وَإِنْ طَالَ السَّرَى ، لَوْ عَهْدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَهْدًا لَجَالَدْنَا عَلَيْهِ حَتَّى نَمُوتَ ، أَوْ قَالَ لَنَا قَوْلًا لِأَنفَدْنَا قَوْلَهُ عَلَى رَغْمِنَا . لَنْ يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى صَلَاةٍ رَحِمَ وَدَعَا حَقًّا ، وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ يَا بَنَ عَوْفٍ عَلَى صَدَقِ النَّبِيَّةِ ، وَجُهِدِ النَّصِيحَ ؛ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

قال ابن قتيبة : أى أَنْ مَعْنَاهُ رَكِبْنَا مَرْكَبَ الضِّيمِ وَالذَّلِّ ، لِأَنَّ رَاكِبَ عَجْزِ الْبَعِيرِ يَجِدُ مَشَقَّةً ، لَا سِيَّامًا إِذَا تَطَاوَلَ بِهِ الرَّكُوبُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ : نَصِيرَ عَلَى أَنْ نَكُونَ أَتْبَاعًا لغيرِنَا ، لِأَنَّ رَاكِبَ عَجْزِ الْبَعِيرِ يَكُونُ رِدْفًا لغيرِهِ .

ومنها قوله عليه السلام لما قُتِلَ ابْنُ آدَمَ أَخَاهُ : غَمَصَ اللَّهُ أَنْخُلِي وَنَقَصَ الْأَشْيَاءَ . قال ابن قتيبة : يُقَالُ غَمَصْتُ فُلَانًا أَنْغَصَهُ وَاغْتَمَصْتُهُ ، إِذَا اسْتَصْغَرَتْهُ وَاحْتَقَرَتْهُ ، قَالَ : وَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَقَصَ أَنْخُلِي مِنْ عَظْمِ الْأَبْدَانِ وَطُولِهَا مِنَ الْقُوَّةِ وَالْبَطْشِ وَطُولِ الْعُمُرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

ومنها أَنَّ سَلَامَةَ الْكِنْدِيِّ قَالَ : كَانَ عَلَىَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْلَمُنِي الصَّلَاةَ عَلَى

رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول : اللهم داحي المدحوات ، وبارئ السموات ، وجبار القلوب على فطراتها ، شقيها وسعيدها ، اجعل شرائف صلواتك ، ونوامي بركاتك ، ورأفة تحياتك ، على محمد عبدك ورسولك ، الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، والمعلن الحق بالحق ، والدامغ جيشات الأباطيل ، كما تحمله فاضطلع بأمرك لطاعتك ، مستوفزاً في مَرْضاتك ، لغير نُكَل في قِدَم ، ولا وَهَن في عَزَم ، ذاعيا لوحيك ، حافظا لِمَهْدِك ، ماضيا على نفاذِ أَمْرِك ، حتى أُوْرَى قَبَساً لِقَابِس ، آلاء الله تصل بأهله أسبابه به ، هديت القلوب بعد خوَضات الفتن والإثم ، موضحات الأعلام ، ونأترات الأحكام ، ومبشرات الإسلام ، فهو أمينك المأمون ، وخازنُ عِلْمِكَ الخزون ، وشهيدك يوم الدين ، وبعيُثُك نعمة ، ورسولك بالحق رحمة . اللهم افسح له مفسحاً في عدلك ، واجزه مضاعفات الخير من فضلك ، مهناتٍ غير مكدرات ، من فوزِ ثوابك المحلول ، وجزل عطائك للمعلول ، اللهم أعلِ على بناء البانين بناءه ، وأكرم مثواه لَدَيْكَ ونزله ، وأتم له نوره ، واجزه من ابتعاتك له مقبول الشهادة ، مَرْضَى المقالة ، ذا منطق عدل ، وخطّة فصل ، وبرهان عظيم .

قال ابن قتيبة : داحي المدحوات ، أى باسط الأرضين ، وكان الله تعالى خلقها ربوة ثم بسطها : قال سبحانه ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾^(١) ؛ وكلّ شيء بسطته فقد دَحَوته ومنه قيل لموضع بيض النعامة : أدحى ، لأنها تدحوه للبيض أى توسّعه ، ووزنه أفعال . وبارئ السموات : خالق السموات . وكلّ شيء رفعته وأعليته فقد سمّكته ، وسمّك البيت والحائط ارتفاعه ، قال الفرزدق :

إِنَّ الَّذِي سَمَّكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

وقوله : جَبَّارِ القلوب على فِطْرَاتِهَا . من قولك جَبَّرْتَ العَظْمَ فَجَبَّرَ إِذَا كَانَ مَكْسُورًا فَلَأَمَّتْهُ وَأَقَمَّتْهُ ، كَأَنَّهُ أَقَامَ القلوب وَأَثْبَتَهَا عَلَى مَا فَطَرَهَا عَلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَالْإِقْرَارِ بِهِ ، شَقِيهَا وَسَعِيدَهَا ، قَالَ : وَلَمْ أَجْعَلْ جَبَّارًا هَاهُنَا ، مِنْ أَجْبَرْتُ فَلَانًا عَلَى الْأَمْرِ إِذَا أَدْخَلْتَهُ فِيهِ كَرَهَا ، وَقَسَّرْتَهُ ، لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ مِنْ أَفْعَلُ فَعَالٌ ، لَا أَعْلَمُ ذَلِكَ إِلَّا أَنَّ بَعْضَ الْقُرَاءِ قَرَأَ ﴿ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ ^(١) بِتَشْدِيدِ الشَّيْنِ ، وَقَالَ : الرَّشَادُ اللَّهُ ، فَهَذَا فَعَالٌ مِنْ أَفْعَلُ ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ شاذَّةٌ ، غَيْرُ مُسْتَعْمَلَةٍ ، فَأَمَّا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ ^(٢) فَإِنَّهُ أَرَادَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَلِّطٍ تَسْلِطُ الْمُلُوكَ . وَالْجَبَابِرَةُ : الْمُلُوكُ ، وَأَعْتَبَارُ ذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّطِرٍ ﴾ ^(٣) أَيْ بِمُسَلِّطٍ تَسْلُطُ الْمُلُوكَ ، فَإِنْ كَانَ يَمْوِزُ أَنْ يُقَالَ مِنْ أَجْبَرْتُ فَلَانًا عَلَى الْأَمْرِ : أَنَا جَبَّارٌ لَهُ ، وَكَانَ هَذَا مُحْفُوظًا ، فَقَدْ يَمْوِزُ أَنْ يُجْعَلَ قَوْلُ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : جَبَّارِ القلوب مِنْ ذَلِكَ ، وَهُوَ أَحْسَنُ فِي الْعَنَى .

وقوله : « الدَّامِغُ جَيْشَاتِ الْبَاطِلِ » ، أَيْ مُهْلِكُ مَا نَجَّمَ وَأَرْتَفَعَ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَأَصْلُ الدَّامِغِ مِنَ الدَّمَاعِ ، كَأَنَّهُ الَّذِي يَضْرِبُ وَسَطَ الرَّأْسِ فَيَدْمَغُهُ أَيْ يَصِيبُ الدَّمَاعَ مِنْهُ . وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ ^(٤) أَيْ يُبْطِلُهُ وَالدَّمَاعُ مَقْتَلٌ ، فَإِذَا أَصِيبَ هَلَكَ صَاحِبُهُ .

وجَيْشَاتِ : مَأْخُوذٌ مِنْ جَاشَ الشَّيْءُ أَيْ ارْتَفَعَ ، وَجَاشَ الْمَاءُ إِذَا طَمَى ، وَجَاشَتِ النَّفْسُ .

وقوله : « كَمَا حَمَلَ فَأَضْطَلَعَ » افْتَعَلَ مِنَ الضَّلَاعَةِ وَهِيَ الْقُوَّةُ .

(٢) سورة ق : ٤٥ .
(٤) سورة الأنبياء : ١٨ .

(١) سورة المؤمنین : ٣٨ .
(٣) سورة النّاسیة : ٢٢ .

وقوله : « لغير نُكُلٍ في قِدَم » ، النَّكُلُ : مَصْدَرٌ وهو الثَّكُول ، يقال : نَكَلَ فلانٌ عن الأمرِ يَنْكُلُ يَنْكُلُ نُكُولًا ، فهذا المشهورُ وَنَكِلَ بالكسرِ يَنْكِلُ نُكْلًا قليلة .

وَالْقِدَمُ : التَّقَدُّمُ ، قال أبو زيد : رجلٌ مُقَدَّمٌ إذا كان شجاعاً ، فالقدم يجوزُ أن يكون بمعنى التَّقَدُّمِ ، وبمعنى المتَّقَدِّمِ .

قوله : « وَلَا وَهْنٌ فِي عَزْمٍ » ، أى وَلَا ضَعْفٌ فِي رَأْيٍ .

وقوله : « حَتَّى أَوْرى قَبْسًا لِقَابِسٍ » ، أى أَظْهَرَ نُورًا مِنَ الْحَقِّ ، يقال : أَوْرَيْتَ النَّارَ إِذَا قَدْ حَتَّ مَا ظَهَرَ بِهَا ، قال سبحانه : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ ^(١) .

وقوله : « آلاءُ اللَّهِ تَصِلُ بِأَهْلِهِ أَسْبَابَهُ » ، يريدُ نَعَمَ اللَّهِ تَصِلُ بِأَهْلِ ذَلِكَ الْقَبَسِ ، — وهو الإسلامُ والحقُّ سبحانه — أَسْبَابَهُ وَأَهْلَهُ ، الْمُؤْمِنُونَ بِهِ .

قلتُ : تَقْدِيرُ الْكَلَامِ حَتَّى أَوْرى قَبْسًا لِقَابِسٍ ، تَصِلُ أَسْبَابُ ذَلِكَ الْقَبَسِ آلاءُ اللَّهِ وَنَعَمُهُ بِأَهْلِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ الْإِلَامَ فِي « لغير نُكُلٍ » مُتَعَلِّقَةٌ بِقَوْلِهِ : « مُسْتَوْفِزًا » ، أى هُوَ مُسْتَوْفِزٌ لغير نُكُولٍ ، بَلِّ لِلْخَوْفِ مِنْكَ ، وَالْخُضُوعِ لَكَ .

قال ابنُ قُتَيْبَةَ : قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « بِهِ هُدِيَتِ الْقُلُوبَ بَعْدَ الْكُفْرِ ، وَالْفِتَنِ مُوضِحَاتُ الْأَعْلَامِ » ، أى هُدِيَتِهُ لِمُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ ؛ يُقَالُ هَدَيْتَ الطَّرِيقَ وَالطَّرِيقَ إِلَى الطَّرِيقِ .

وقوله : « نَائِرَاتُ الْأَحْكَامِ ، وَمُنِيرَاتُ الْإِسْلَامِ » ، يريدُ الْوَاضِحَاتِ الْبَيِّنَاتِ ، يُقَالُ : نَارُ الشَّيْءِ وَأَنْارَ ، إِذَا وَضَحَ .

وقوله : « شَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ » ، أى الشَّاهِدُ عَلَى النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَبَعِيْثُكَ رَحْمَةً ، أى مَبْعُوثُكَ ، فَعِيلٌ فِي مَعْنَى مَفْعُولٍ .

وقوله : « افسح له مَفَسَحًا » ؛ أى أَوْسِعْ له سَعَةً ؛ وَرَوَى « مُفْتَسِحًا » بالتاء .
 قوله : « فى عَدْنِكَ » أى فى دار عدلك ، يعنى يوم القيامة ، ومن رواه : « عَدْنِكَ »
 بالتون ، أراد جَنَّةَ عَدْنٍ .

وقوله : « من جَزَلَ عَطَائِكَ الْمَعْلُول » ، من الْعَلَلَ ، وهو الشُّرْبُ بعد الشُّرْبِ ،
 فالشُّرْبُ الأوَّلُ نَهْلٌ ، والثانى عَلَلٌ ، يريد أنَّ عَطَاءَهُ عَزَّ وَجَلَّ مُضَاعَفٌ ، كأنه يَمْلَأُ
 عِبَادَهُ ، أى يُعْطِيهِمْ عَطَاءً بعد عَطَاءٍ .

وقوله : « أَعْلَى عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ » ، أى ارْفَعَ فَوْقَ أَعْمَالِ الْعَامِلِينَ عَمَلَهُ .
 وأَكْرَمَ مَثْوَاهُ ، أى مَنَزِلَتَهُ ، من قولك : ثَوَيْتُ بِالْمَكَانِ أى نَزَلْتُهُ وَأَقَمْتُ بِهِ ،
 ونَزَلَهُ : رَزَقَهُ .

ونحن قد ذَكَرْنَا بعضَ هذه الكلمات فيما تقدَّم على رواية الرضى رحمه الله وهى
 مُخَالِفَةٌ لهذه الرواية ، وشرحنا ما رواه الرضى ، وذَكَرْنَا الآن ما رواه ابنُ قُتَيْبَةَ وشرحناه
 لأنَّه لا يخلو من فائدة جديدة .

ومنها قوله عليه السلام : خُذِ الْحِكْمَةَ أَتَى أَتَتْكَ ، فَإِنَّ الْكَلِمَةَ مِنَ الْحِكْمَةِ تَكُونُ
 فى صدر المنافق فَتَكَلْبَجُلُجُ فى صَدْرِهِ حَتَّى تَسْكُنَ إِلَى صَاحِبِهَا .
 قال ابن قُتَيْبَةَ : يريدُ الْكَلِمَةَ قد يَعْلَمُهَا الْمَنَافِقُ فَلَا تُزَالُ تَتَحَرَّكُ فى صَدْرِهِ وَلَا تَسْكُنُ
 حَتَّى يَسْمَعَهَا مِنْهُ الْمُؤْمِنُ أَوْ الْعَالِمُ فَيَعْرِيهَا وَيَتَقَفَّهَا وَيَفْقَهَا مِنْهُ ، فَتَسْكُنُ فى صَدْرِهِ إِلَى
 أَخَوَاتِهَا مِنْ كَلِمِ الْحِكْمَةِ .

ومنها قوله عليه السلام : الْبَيْتُ لِلْمَعْمُورِ نِتَاقُ الْكُفَّةِ مِنْ قَوْفِهَا .
 قال ابن قُتَيْبَةَ : نِتَاقُ الْكُفَّةِ ، أى مُظَلٌّ عَلَيْهَا مِنْ قَوْفِهَا ، من قول الله سبحانه :

﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾^(١) ، أَى زُعِرَ عَ فَاظَلَّ عَلَيْهِم .

ومنها قوله عليه السلام : « أَنَا قَسِيمُ النَّارِ » ، قال ابن قُتَيْبَةَ : أَرَادَ أَنَّ النَّاسَ فَرِيقَانِ : فَرِيقٌ مَعِيَ فَهَمَ عَلَى هُدًى ، وَفَرِيقٌ عَلَىٰ فَهَمٍ عَلَى ضَلَالَةٍ ، كَالْخَوَارِجِ ، وَلَمْ يَحْسُرْ ابْنُ قُتَيْبَةَ أَنَّ يَقُولُ : « وَكَأَهْلِ الشَّامِ » يَتَوَرَّعُ يَزْعُمُ ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَنْطَقَهُ بِمَا تَوَرَّعَ عَنْ ذِكْرِهِ ، فَقَالَ مَتَمِّمًا لِلْكَلَامِ بِقَوْلِهِ : فَأَنَا قَسِيمُ النَّارِ ، نَصَفْتُ فِي الْجَنَّةِ مَعِيَ ، وَنَصَفْتُ فِي النَّارِ ؛ قَالَ : وَقَسِيمٌ فِي مَعْنَى مُقَامِسٍ ، مِثْلُ جَلِيسٍ وَأَكِيلٍ وَشَرِيبٍ .

قلت : قد ذكر أبو عبيد الهَرَوِيُّ هذه الكلمة في الجمع بين الغريبين ؛ قال : وقال قوم : إِنَّهُ لَمْ يُرِدْ مَا ذَكَرَهُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ : هُوَ قَسِيمُ النَّارِ وَالْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَقِيقَةً ، يَقْسِمُ الْأُمَّةَ فَيَقُولُ هَذَا لِلْجَنَّةِ ، وَهَذَا لِلنَّارِ .

[خطبة منسوبة للإمام عليّ خالية من حرف الألف]

وأنا الآن أذكرُ من كلامِهِ الغريب ما لم يُورِدْهُ أبو عُبيد وابنُ قَتَيْبَةَ في كلامهما وأُشْرَحُهُ أيضًا ، وهي خُطْبَةٌ رَوَاهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَالِيَةً مِنْ حَرْفِ الْأَلْفِ ؛ قَالُوا : تَذَاكَرُ^(١) قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : أَيُّ حُرُوفِ الْهَجَاءِ أَدْخَلَ فِي السَّكَلَامِ ؟ فَأَجْمَعُوا عَلَى الْأَلْفِ ، فَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

حَدَّثْتُ مَنْ عَظُمَتْ مَنَّتُهُ ، وَسَبَقَتْ نَعْمَتُهُ ، وَسَبَقَتْ غَضَبُهُ رَحْمَتُهُ ، وَتَمَّتْ كَلِمَتُهُ ، وَنَفَذَتْ مِشِيَّتُهُ ، وَبَلَّغَتْ قَضِيَّتُهُ ؛ حَمَدْتُهُ حَمْدَ مُقَرَّرِ بَرُوبِيَّتِهِ ، مَتَخَضَّعٍ لِعِبُودِيَّتِهِ ، مُتَنَصِّلٍ مِنْ خَطِيئَتِهِ ، مُتَفَرِّدٍ بِتَوْحِيدِهِ ، مُؤَمِّلٍ مِنْهُ مَغْفَرَةً تُنَجِّيهِ ، يَوْمَ يَشْغُلُ عَنْ فَصِيلَتِهِ وَبَنِيهِ .

وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَرْشُدُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ ، وَنُؤْمِنُ بِهِ وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَشَهِدْتُ لَهُ شَهَادَةَ مُخْلِصٍ مَوْقِنٍ ، وَفَرَّدْتُهُ تَفْرِيدَ مُؤْمِنٍ مُتَيَقِّنٍ ، وَوَحَّدْتُهُ تَوْحِيدَ عَبْدٍ مَذْعُونٍ ، لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ فِي مَلِكِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ فِي صَنْعِهِ ، جَلَّ عَنْ مَشِيرٍ وَوَزِيرٍ ، وَعَنْ عَوْنٍ مُعِينٍ وَنَصِيرٍ وَنَظِيرٍ .

عَلِمَ فَسْتَر ، وَبَطَّنَ نَخِيرَ ، وَمَلَكَ قَهْرَ ، وَعَصَى فَعْفَرَ ، وَحَكَمَ فَعْدَلَ ، لَمْ يَزَلْ وَلَنْ يَزَالَ ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^(٢) ، وَهُوَ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ رَبٌّ مُتَعَزِّزٌ بِعِزَّتِهِ ، مُتَمَكِّنٌ بِقُوَّتِهِ ، مُتَقَدِّسٌ بَعْلَوُهُ ، مُتَكَبِّرٌ بِسَمَوِّهِ ، لَيْسَ يَدْرُكُهُ بَصَرٌ ، وَلَمْ يُحِطْ بِهِ نَظَرٌ ، قَوِيٌّ مُنِيعٌ ، بَصِيرٌ سَمِيعٌ ، رَءُوفٌ رَحِيمٌ .

عَجَزَ عَنْ وَصْفِهِ مَنْ يَصِفُهُ ، وَضَلَّ عَنْ نَعْتِهِ مَنْ يَعْرِفُهُ .

(١) في الأصل : « بذأكر » ؛ تصحيف .

(٢) سورة الشورى : ١١ .

قَرُبَ فَبَعْدَ ، وَبَعْدَ قَرُبٍ ، يُجِيبُ دَعْوَةَ مَنْ يَدْعُوهُ ، وَيَرْزُقُهُ وَيُحِبُّهُ ، ذُو لَظْفٍ خَفِيٍّ ، وَبَطْشٍ قَوِيٍّ ، وَرَحْمَةٍ مُوسِعَةٍ ، وَعَقُوبَةٍ مُوجِعَةٍ ، رَحْمَتُهُ جَنَّةٌ عَرِيضَةٌ مُوَبَّقَةٌ ، وَعَقُوبَتُهُ جَحِيمٌ مَمْدُودَةٌ مُوَبَّقَةٌ .

وَشَهِدْتُ بَعَثَ مُحَمَّدٌ رَسُولَهُ ، وَعَبْدُهُ وَصْفِيٍّ ، وَنَبِيِّهِ وَنَجِيٍّ ، وَحَبِيبِهِ وَخَلِيلِهِ ، بَعَثَهُ فِي خَيْرِ عَصْرِ ، وَحِينَ فَتْرَةٍ وَكَفَرٍ ، رَحْمَةً لِعَبِيدِهِ ، وَمِنَّةً لِمُزِيدِهِ ، حَتَّى بَلَغَ نَبُوتَهُ ، وَشَهِدَ بِهِ حُجَّتَهُ ، فَوَعِظَ وَنَصَحَ ، وَبَلَغَ وَكَلَّمَ ، رَهْوَفٌ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ ، رَحِيمٌ سَخِيٌّ ، رَضِيٌّ وَلِيُّ زَكِيٍّ ، عَلَيْهِ رَحْمَةٌ وَتَسْلِيمٌ ، وَبَرَكَةٌ وَتَكْرِيمٌ ، مِنْ رَبِّ غَفُورٍ رَحِيمٍ ، قَرِيبٍ مُجِيبٍ .

وَصَيَّيْتُكُمْ مَعَشَرَ مِنْ حَضَرَتِي بِوَصِيَّةِ رَبِّكُمْ ، وَذَكَرْتُكُمْ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ، فَعَلَيْكُمْ بِرَهْبَةٍ تَسْكُنُ قُلُوبَكُمْ ، وَخَشْيَةٍ تُذَرِّي دُمُوعَكُمْ ، وَتَقِيَّةٍ تَنْجِيكُمْ قَبْلَ يَوْمِ تُبْلِيكُمْ وَتَذْهَبُكُمْ ، يَوْمَ يَفُوزُ فِيهِ مَنْ ثَقَلَ وَزَنَ حَسَنَتِهِ ، وَخَفَ وَزَنَ سَيِّئَتِهِ ، وَلَتَكُنْ مَسْأَلَتُكُمْ وَتَمَلُّقُكُمْ مَسْأَلَةً ذَلِيلٍ وَخَضُوعٍ ، وَشُكْرٍ وَخُشُوعٍ ، بِتَوْبَةٍ وَتَوَرُّعٍ ، وَنَدَمٍ وَرَجُوعٍ ، وَلِيَفْتَنَكُمْ كُلُّ مُفْتَنٍ مِنْكُمْ صَحَّتُهُ قَبْلَ سَقَمِهِ ، وَشَبِيبَتُهُ قَبْلَ هَرَمِهِ ، وَسَعَتُهُ قَبْلَ قَفَرِهِ ، وَفَرَاغَتُهُ قَبْلَ شُغْلِهِ ، وَحَضَرَتُهُ قَبْلَ سَفَرِهِ ، قَبْلَ تَكْبَرٍ وَتَهَرُّمٍ وَتَسَقُّمٍ ، يَعْمَلُهُ طَيِّبُهُ ، وَيَعْرِضُ عَنْهُ حَبِيبُهُ وَيَنْقَطِعُ غَمْدُهُ ، وَيَتَغَيَّرُ عَقْلُهُ ، ثُمَّ قِيلَ : هُوَ مَوْعُوكُ ، وَجَسْمُهُ مِنْهُوَكُ ، ثُمَّ جُدَّ فِي نَزْعِ شَدِيدٍ ، وَحَضَرَتُهُ كُلُّ قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ ، فَشَخَصَ بَصَرُهُ ، وَطَمَحَ نَظَرُهُ ، وَرَشَحَ جَبِينُهُ ، وَعَطَفَ عَرِيْنُهُ ، وَسَكَنَ حَنِينُهُ ، وَحَزَنَتُهُ نَفْسُهُ ، وَبَكَتُهُ عَرْسُهُ ، وَحَفَرَ رَمْسُهُ ، وَبَيَّمَ مِنْهُ وَلَدُهُ ، وَتَفَرَّقَ مِنْهُ عَدَدُهُ ، وَفُتِّمَ جَمْعُهُ ، وَذَهَبَ بَصَرُهُ وَسَمِعُهُ ، وَمَدَدَ وَجُرْدَهُ ، وَعُرِّيَ وَغَسِلَ ، وَنُشِفَ وَسُجِّيَ ، وَبُسِطَ لَهُ وَهْيٌ ، وَنُشِرَ عَلَيْهِ كِفْنُهُ ، وَشُدَّ مِنْهُ دَفْنُهُ ، وَفُتِّمَ وَعَمَّ ، وَوُودِعَ وَسَلِّمَ ، وَحُمِلَ فَوْقَ سَرِيرٍ ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِتَكْبِيرٍ ، وَنُقِلَ مِنْ دُورٍ مُزَخْرَفَةٍ ، وَقُصُورٍ مُشِيدَةٍ ، وَحُجِرٍ مُنْجَدَةٍ ، وَجُعِلَ فِي ضَرْحٍ مُلْخُودٍ

وَضِيْقُ مَرْصُودٍ، بَلَيْنِ مَنصُودٍ، مُسَقَّفٍ بِجُلُودٍ، وَهَيْلٍ عَلَيْهِ حَفْرُهُ، وَحُنَى عَلَيْهِ مَدْرُهُ،
وَتَحَقُّقَ حَذْرُهُ، وَنُسَى خَبْرُهُ، وَرَجَعَ عَنْهُ وَلِيُّهُ وَصَفِيُّهُ، وَنَدِيمُهُ وَنَسِيبُهُ، وَتَبَدَّلَ بِهِ قَرِينُهُ
وَحَبِيبُهُ، فَهُوَ حَشْوُ قَبْرِ، وَرَهْنُ قَفْرِ، يَسْعَى بِجِسْمِهِ دُودَ قَبْرِهِ، وَيَسِيلُ صَدِيدُهُ مِنْ
مَنْخَرِهِ، يَسْحَقُ تَرْبُهُ لَحْمَهُ، وَيَنْشَفُ دَمَهُ، وَيَرْمِ عَظْمَهُ حَتَّى يَوْمِ حَشْرِهِ،
فَنُشِرَ مِنْ قَبْرِهِ حِينَ يُنْفَخُ فِي صُورٍ، وَيُدْعَى بِحَشْرِ وَنُشُورٍ.

فَمَ بَعَثَتْ قُبُورُ، وَحُصِّلَتْ سَرِيرَةُ صُدُورٍ، وَجَى بِكُلِّ نَبِيٍّ وَصَدِيقٍ
وَشَهِيدٍ، وَتَوَحَّدَ لِلْفَضْلِ قَدِيرٌ بَعْدِيهِ خَيْرٌ بِصِيرٍ، فَكَمَ مِنْ زَفَرَةٍ تُضْفِيهِ، وَحَسْرَةٍ
تَنْضِيهِ، فِي مَوْقِفٍ مَهُولٍ، وَمَشْهَدٍ جَلِيلٍ، يَبْنِي يَدَى مَلِكٍ عَظِيمٍ، وَبِكُلِّ صَغِيرٍ
وَكَبِيرٍ عَلِيمٍ، لَخِينُثِي يُلْجِمُهُ عَرَقُهُ، وَيُحْصِرُهُ قَلْقُهُ، عَذْرَتُهُ غَيْرُ مَرْحُومَةٍ، وَصَرْخَتُهُ
غَيْرُ مَسْمُوعَةٍ، وَحُجَّتُهُ غَيْرُ مَقُولَةٍ، زَالَتْ جَرِيدَتُهُ، وَنَشَرَتْ صَحِيفَتُهُ؛ نَظَرَ فِي سُوءِ عَمَلِهِ،
وَشَهِدَتْ عَلَيْهِ عَيْنُهُ بِنَظَرِهِ، وَبَدَتْ بِبَطْشِهِ، وَرَجَلُهُ بِخَطْوِهِ، وَفَرَجُهُ بِلَسِهِ، وَجَلَدُهُ
بِمَسِّهِ، فَسَلْسَلَ جِيدَهُ، وَغُلَّتْ يَدُهُ، وَسِيقَ فَسَحَبَ وَخَدَهُ، فَوَرَدَ جَهَنَّمَ بِكَرْبٍ
وَشَدَّةٍ، فَظَلَّ يَعْذَبُ فِي جَحِيمٍ، وَيُسْقَى شَرْبَةً مِنْ حَمِيمٍ، تَشْوِي وَجْهَهُ، وَتَسْلُخُ
جِلْدَهُ، وَتَضْرِبُهُ زَبْلِيَّةً يَنْقَعُ مِنْ حَدِيدٍ، وَيَعُودُ جِلْدُهُ بَعْدَ نُضْجِهِ كَجِلْدِ جَدِيدٍ،
يَسْتَعِيثُ فَيَتَعَرَّضُ عَنْهُ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ، وَيَسْتَصْرِخُ فَيَلْبَثُ حَقْبَةً يَنْدُمُ.

نَعُودُ رَبِّ قَدِيرٍ، مِنْ شَرِّ كُلِّ مُصِيرٍ، وَنَسْأَلُهُ عَفْوَ مَنْ رَضِيَ عَنْهُ، وَمَغْفِرَةَ
مَنْ قَبْلَهُ، فَهُوَ وَلِيُّ مَسْأَلَتِي، وَمُنْجِحُ طَلِبَتِي، مَنْ زُخْزَخَ عَنْ تَعَذِّيبِ رَبِّهِ جُعِلَ
فِي جَنَّتِهِ بِقُرْبِهِ، وَخَلَدَ فِي قُصُورٍ مُشِيدَةٍ، وَمُلْكٍ بِمُحُورِ عَيْنٍ وَحَفْدَةٍ، وَطِيفَ
عَلَيْهِ بِكُتُوسٍ، أَسْكَنَ فِي حَظِيرَةِ قُدُّوسٍ، وَتَقَلَّبَ فِي نَعِيمٍ، وَسُقِيَ مِنْ تَسْنِيمٍ،
وَشَرِبَ مِنْ عَيْنِ سَلْسَبِيلٍ، وَمُزَجَّ لَهُ بِزَنْجَبِيلٍ، يُخْتَمُ بِمَسْكِ وَعَبِيرٍ، مُسْتَدِيمٍ لِلْمَلِكِ،
مُسْتَشْعِرٍ لِلشَّرِّ، يَشْرَبُ مِنْ خُمُورٍ، فِي رَوْضٍ مُغْدِقٍ، لَيْسَ يُصَدَّعُ مِنْ شَرِبِهِ،
وَلَيْسَ يُبْزَفُ.

هَذِهِ مَنَزِلَةٌ مِّنْ خَشْيَ رَبِّهِ ، وَحَذَرِ نَفْسِهِ مَعْصِيَتُهُ ، وَتِلْكَ عَقُوبَةُ مَن جَحَدَ
مَشِيتَتَهُ ، وَسَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ مَعْصِيَتَهُ ، فَهُوَ قَوْلُ فَضْلٍ ، وَحُكْمُ عَدْلٍ وَخَبَرُ قِصَصٍ
قِصَّةٍ ، وَوَعْظُ نَصٍّ ، ﴿ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ ^(١) نَزَلَ بِهِ رُوحُ قُدُّسٍ مُّبِينٍ ،
عَلَى قَلْبِ نَبِيِّ مُّهْتَدٍ رَّشِيدٍ ، صَلَّتْ عَلَيْهِ رُسُلُ سَفَرَةٍ ، مُكْرَمُونَ بَرَرَةٍ ، عُدْتُ
بِرَبِّ عَالِمٍ ، رَحِيمٍ كَرِيمٍ ، مِّنْ شَرِّ كُلِّ عَدُوٍّ لِّعَيْنِ رَحِيمٍ ، فَلْيَتَضَرَّعْ مُنْضَرِّعًا ،
وَلْيَبْتَهِلْ مُبْتَهِلًا ، وَلْيَسْتَغْفِرْ كُلُّ مَرْبُوبٍ مِّنْكُمْ لِي وَلَكُمْ ، وَحَسْبِيَ رَبِّي وَحْدَهُ .

الشَّارْحُ :

فَصِيلَةُ الرَّجُلِ : رَهْطُهُ الْأَدْنَوْنَ . وَكَدَحٌ : سَعَى سَعِيًّا فِيهِ تَعَبٌ ، وَفَرَّغَتْهُ : الْوَاحِدَةُ
مِنَ الْفَرَاغِ ، تَقُولُ : فَرَّغْتُ فَرَّغَةً ، كَقَوْلِكَ : ضَرَبْتُ ضَرْبَةً . وَسَجَّى اللَّيْتَ : بَسَطَ
عَلَيْهِ رِداءً . وَنَشَرَ اللَّيْتَ مِنْ قَبْرِهِ بَفَتْحِ النُّونِ وَالشَّيْنِ ، وَأَنْشَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى .
وَبُعِثَتْ قُبُورٌ : انْتَثَرَتْ وَنُبِشَتْ .

قَوْلُهُ : « وَسَيُقِ بَسَحَبٍ وَحْدَهُ » ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ مَعَهُ غَيْرُهُ كَانَ كَالْمُتَأَسِّ بِغَيْرِهِ ، فَكَانَ
أَخْفَ لَأَلَمِهِ وَعَذَابِهِ ، وَإِذَا كَانَ وَحْدَهُ كَانَ أَشَدَّ أَلَمًا وَأَهْوَلَ ، وَرَوَى « فَسَيُقِ يَسْحَبُ
وَحْدَهُ » وَهَذَا أَقْرَبُ إِلَى تَنَاسُبِ الْفَقْرَتَيْنِ ، وَذَلِكَ أَنْفَحُ مَعْنَى .

وَزَبْنِيَّةٌ عَلَى وَزْنِ « عَفْرِيَّة » وَاحِدُ الزَّبَانِيَّةِ ، وَهُمْ عِنْدَ الْعَرَبِ الشَّرَطُ ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ
بَعْضُ الْمَلَائِكَةِ لَدَفْعِهِمْ أَهْلَ النَّارِ إِلَيْهَا كَمَا يَفْعَلُ الشَّرَطُ فِي الدُّنْيَا ، وَمِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ مَنْ
يَجْعَلُ وَاحِدَ الزَّبَانِيَّةِ زَبَانِي . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : زَابَنٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : هُوَ جَمْعُ لَوَاحِدَةٍ لَهُ ،
نَحْوُ أَبَابِيلَ وَعِبَادِيدَ ، وَأَصْلُ الزَّبْنِ فِي اللُّغَةِ الدَّفْعُ ، وَمِنْهُ نَاقَةُ زَبُونٍ : تَضْرِبُ
حَالَهَا وَتَدْفَعُهُ .

وتقول : مَلِكٌ زَيْدٌ بِفُلَانَةٍ بَغِيرِ أَلْفٍ ، والباء هاهنا زائدة كما زيدت في « كَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا » ، وإنما حَكَمْنَا بزيادتها لأنَّ القَرَبَ تقول : مَلَكْتُ أُنَافِلَانَةً أَيْ تَزَوَّجْتُهَا ، وَأَمَلَكْتُ فُلَانَةً بَزَيْدٍ أَيْ زَوَّجْتُهَا بِهِ ، فَلَمَّا جَاءَتِ الْبَاءُ هَاهُنَا وَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ إِبْتِثَاتِ الْأَلْفِ لِأَجْلِ مَجِيئِهَا جَعَلْنَاهَا زَائِدَةً ، وَصَارَ تَقْدِيرُهُ : وَمَلَّكَ حَوْرًا عَيْنًا .

وقال المفسِّرون في تَسْنِيمٍ : إِنَّهُ اسْمُ مَاءٍ فِي الْجَنَّةِ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَجْرِي مِنْ فَوْقِ الْفُرَفِ وَالْقُصُورِ .

وَقَالُوا فِي سَلْسَبِيلٍ : إِنَّهُ اسْمُ عَيْنٍ فِي الْجَنَّةِ لَيْسَ يُنْزِفُ وَلَا يُحْمَرُ كَمَا يُحْمَرُ شَارِبُ الْخَمْرِ فِي الدُّنْيَا .

انْقَضَى هَذَا الْفَصْلُ ، ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى سَنَنِ الْغَرَضِ الْأَوَّلِ .

(٢٦٧)

الأصل :

وقال عليه السلام ، لما بلغه إغارة أصحاب معاوية على الأنبار ، فخرج بنفسه ماشياً حتى أتى النخيلة ، وأدركه الناس وقالوا : يا أمير المؤمنين ، نحن نكفيهم ، فقال عليه السلام :

وَاللَّهِ مَا تَكْفُونِي أَنْفُسَكُمْ ، فَكَيْفَ تَكْفُونِي غَيْرَكُمْ ! إِنْ كَانَتْ الرِّعَايَا قَبْلِي لَتَشْكُو حَيْفَ رُعَايَتِهَا ، فَإِنِّي الْيَوْمَ لَأَشْكُو حَيْفَ رِعِيَّتِي ، كَأَنِّي الْمَعُودُ وَهُمْ الْقَادَةُ ، أَوْ الْمَوْزُوعُ وَهُمْ الْوَزَعَةُ .

قال : فلما قال هذا القول في كلام طويل قد ذكرنا مختاراً في جملة الخطب ، تقدم إليه رجلان من أصحابه ؛ فقال أحدهما : ﴿ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ﴾ ^(١) ، فمرنا بأمرِكَ يا أمير المؤمنين ننفذ ^(٢) ، فقال : وَأَيْنَ تَقَعَانِ مِمَّا أُرِيدُ !

الشرح :

السَّنن : الطريقة ، يقال : تَنَحَّ عن السَّنن ، أى عن وَجْه الطريق . والنخيلة : بظاهر الكوفة ، ورؤى « ماتكفونى » بحذف النون .
والحيف : الظلم .

والوزعة : جمع وازع ، وهو الدافع الكاف .
ومعنى قوله : « ماتكفونى أنفسكم » ، أى أفعالكم رديئة قبيحة تحتاج إلى جند غيركم

(٢) فى الأصل : « ننفذ » ، تصحيف .

(١) سورة المائدة : ٢٥ .

(١٠ - نهج البلاغة - ١٩)

أستعين بهم على تثقيفكم وتهذيبكم ، فمن هذه حاله كيف أنقذ به غيره ، وأهذب به سواه !

وإن كانت الرعايا : إن هاهنا مخففة من الثقيلة ، ولذلك دخلت اللام في جوابها .
وقد تقدم ذكرنا هذين الرجلين ، وإن أحدهما قال : يا أمير المؤمنين ؛ أقول لك ما قاله العبد الصالح : ﴿ ربِّ إني لا أملك إلا نفسي وأخي ﴾ ^(١) . فشكرهما وقال : وأين تقعان مما أريد !

(٢٦٨)

الأفضل :

وَقِيلَ : إِنَّ الْخَارِثَ بْنَ حَوْطٍ أَنَاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ لَهُ : أَتُرَانِي أَظُنُّ أَنَّ أَصْحَابَ الْجَمَلِ كَانُوا عَلَى ضَلَالَةٍ ؟

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

يَا حَارَ ، إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتِكَ ، وَلَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحِزْتَ ؛ إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفِ أَهْلَهُ ، وَلَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَنَاهُ .

فَقَالَ الْخَارِثُ :

فَإِنِّي أَعْتَزِلُ مَعَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ .

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

إِنَّ سَعْدًا وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ ، وَلَمْ يَخْذُلَا الْبَاطِلَ .

البَّيِّنُ :

اللفظة التي وردت قبل أحسن من هذه اللفظة، وهي: أولئك قومٌ خَذَلُوا الحقَّ ولم ينصُرُوا الباطلَ ؛ وتلك كانت حالهم ، فإنهم خَذَلُوا علياً ولم ينصُرُوا معاويةَ ولأَصْحَابَ الْجَمَلِ . فأمَّا هذه اللفظة ففيها إشكالٌ ؛ لأنَّ سَعْدًا وَعَبْدَ اللَّهِ لَعَمْرِي إِهْمَا لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ ، وَهُوَ جَانِبُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَكِنَّهُمَا خَذَلَا الْبَاطِلَ ، وَهُوَ جَانِبُ مُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِ الْجَمَلِ ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَنْصُرُوهُمْ فِي حَرْبٍ قَطْ ، لَا بَأَنْفُسِهِمْ وَلَا بِأَمْوَالِهِمْ وَلَا بِأَوْلَادِهِمْ ، فَيَنْبَغِي

أن تتأول كلامه فنقول : إنه ليس يعنى بالخذلان عدم المساعدة في الحرب ، بل يعنى بالخذلان هاهنا كل ما أثر في تحق الباطل وإزالته ، قال الشاعر يصف فرسا :

وهو كالذلور بكف المستقي خذلت عنه العراقي فأنجذم

أى بإيئته العراقي ، فلما كان كل مؤثر في إزالة شيء مبيئا له نقل اللفظ بالاشتراك في الأمر العام إليه ، ولما كان سعدو وعبد الله لم يقوموا خطيبين في الناس يعلمانهم باطل معاوية وأصحاب الجمل ، ولم يكشفوا اللبس والشبهة الداخلة على الناس في حرب هذين الفريقين ، ولم يوضحا وجوب طاعة علي عليه السلام فيرد الناس عن اتباع صاحب الجمل وأهل الشام صدق عليهما أنهما لم يخذلا الباطل . ويمكن أن يتأول على وجه آخر ، وذلك أنه قد جاء خذلت الوحشية إذا قامت على ولديها ، فيكون معنى قوله : « ولم يخذلا الباطل » ، أى لم يقميا عليه وينصرا ، فترجع هذه اللفظة إلى اللفظة الأولى ، وهى قوله : « أولئك قوم خذكوا الحق ولم ينصروا الباطل » .

والحارث بن حوط بالخاء المهملة . ويقال : إن الموجود في خط الرضى « ابن خوط » بالخاء المعجمة المضمومة .

(٢٦٩)

الأفضل :

صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَاكِبِ الْأَسَدِ يُقْبِطُ بِمَوْفِعِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَوْضِعِهِ .

الشرح :

[نبذ مما قيل في السلطان]

قد جاء في صُحْبَةِ السُّلْطَانِ أمثال حِكْمِيَّةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ تُنَاسِبُ هَذَا الْمَعْنَى ، أَوْ تَجْرِي
تَجْرَاهُ فِي شَرْحِ حَالِ السُّلْطَانِ ، نَحْوَ قَوْلِهِمْ : صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَاكِبِ الْأَسَدِ يَهَابُهُ
النَّاسُ ، وَهُوَ لِمَرْكُوبِهِ أَهْيَبُ .

وَكَانَ يُقَالُ : إِذَا صَحِبَتِ السُّلْطَانَ فَلتَكُنْ مُدَارَاتُكَ لَهُ مُدَارَاةَ الْمَرْأَةِ الْقَبِيحَةِ
لِبَعْلِهَا الْمُبْغِضِ لَهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَدَعُ التَّصَنُّعَ لَهُ عَلَى حَالٍ .

قِيلَ لِلْعَتَّابِيِّ : لِمَ لَا تَقْصِدُ الْأَمِيرَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي أَرَاهُ يُعْطَى وَاحِدًا لِنَفْسِهِ حَسَنَةً
وَلَا يَدِي ، وَيَقْتُلُ آخَرَ بِلَا سِيَّئَةٍ وَلَا ذَنْبٍ ، وَلَسْتُ أُدْرِى أَىَّ الرَّجُلَيْنِ أَكُونُ !
وَلَا أَرْجُو مِنْهُ مَقْدَارًا مَا أَخَاطِرُهُ .

وَكَانَ يُقَالُ : الْعَاقِلُ مَنْ طَلَبَ السَّلَامَةَ مِنْ عَمَلِ السُّلْطَانِ ، لِأَنَّهُ إِنْ عَفَّ جَنَى عَلَيْهِ
الْعَفَافُ عِدَاوَةً الْخَاصَّةَ ، وَإِنْ بَسَطَ يَدَهُ جَنَى عَلَيْهِ الْبَسْطُ أَلْسِنَةَ الرِّعْيَةِ .

وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ يَقُولُ : عَمَلُ السُّلْطَانِ كَالْحَمَامِ ، الْخَارِجُ يُؤْثِرُ الدُّخُولَ ،
وَالدَّاعِلُ يُؤْثِرُ الْخُرُوجَ .

ابْنُ الْمُقَفَّعِ : إِقْبَالُ السُّلْطَانِ عَلَى أَصْحَابِهِ تَعَبٌ ، وَإِعْرَاضُهُ عَنْهُمْ مَذَلَّةٌ .

وقال آخر : السلطان إنْ أَرْضَيْتَهُ أَنْعَبَكَ ، وَإِنْ أَغْضَبْتَهُ أَعْطَبَكَ .

وكان يقال : إذا كنتَ مع السلطان فكنْ حَذِيراً منه عند تقريبه ، كما تأمَلْ لِسِرِّهِ إذا استَسَرَّكَ ، وأميناً على ما أُنْتَمَنَكَ ، تشكراً له ولا تكلفه الشُّكْرَ لك ، وتعلِّمه وكأنَّكَ تتعلَّمُ منه وتودُّ به وكأنه يؤدِّبُكَ ، بصيراً بهوَاهُ ، مؤثراً لِمَنْفَعَتِهِ ، ذليلاً إِنْ ضَامَكَ ، راضياً إِنْ أَعْطَاكَ ، قانعاً إِنْ حَرَمَكَ ، وإلَّا فأبعدْ منه كلَّ البُعدِ .

وقيل لبعضِ مَنْ يَخْدُمُ السلطانَ : لا تَصَحِّبْهُمْ ، فَإِنْ مَثَلَهُمْ مَثَلُ قِذْرِ الثُّنُورِ ، كَلِمَا مَسَّهُ الْإِنْسَانُ أَسْوَدَ مِنْهُ ، فَقَالَ : إِنْ كَانَ خَارِجَ تِلْكَ الْقِذْرِ أَسْوَدَ فِدَاخِلِهَا أَبْيَضَ .
وكان يقال : أَفْضَلُ مَا عُوْثِرَ بِهِ الْمُلُوكُ قَلَّةُ الْخِلَافِ ، وَتَخْفِيفُ الْمُتُونَةِ .

وكان يقال : لَا يَقْدِرُ عَلَى صُحْبَةِ السُّلْطَانِ إِلَّا مَنْ يَسْتَقِلُّ بِمَا حَمَلُوهُ ، وَلَا يُلْحِفُ إِذَا سَأَلَهُمْ ، وَلَا يَغْتَرُّ بِهِمْ إِذَا رَضُوا عَنْهُ ، وَلَا يَتَغَيَّرُ لَهُمْ إِذَا سَخَطُوا عَلَيْهِ ، وَلَا يَطْفَى إِذَا سَلَطُوهُ ، وَلَا يَبْطِرُ إِذَا أَكْرَمُوهُ .

وكان يقال : إِذَا جَعَلَكَ السُّلْطَانُ أَخًا فَأَجْعَلْهُ رَبًّا ، وَإِنْ زَادَكَ فَرِّدْهُ .

وقال أبو حازم : لِلْأَمِيرِ كُحْلٌ يَكْحُلُ بِهِ مَنْ يُؤَلِّيه ، فَلَا يُبْصِرُ حَتَّى يُعْزَلَ .

وكان يقال : لَا يَنْبَغِي لِصَاحِبِ السُّلْطَانِ أَنْ يَبْتَدِئَهُ بِالسَّأَلَةِ عَنْ حَالِهِ ، فَإِنْ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ النَّوْكَى ^(١) وَإِذَا أُرِدْتَ أَنْ تَقُولَ : كَيْفَ أَصْبَحَ الْأَمِيرُ ؟ فَقُلْ : صَبَّحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ بِالْكَرَامَةِ ، وَإِنْ أُرِدْتَ أَنْ تَقُولَ : كَيْفَ يَجِدُ الْأَمِيرُ نَفْسَهُ ؟ فَقُلْ : وَهَبَ اللَّهُ الْأَمِيرَ الْعَافِيَةَ ؛ وَنَحْوُ هَذَا ، فَإِنَّ الْمَسْأَلَةَ تُوجِبُ الْجَوَابَ ، فَإِنْ لَمْ يُجِبْكَ اشْتَدَّ عَلَيْكَ ، وَإِنْ أَجَابَكَ اشْتَدَّ عَلَيْهِ .

وكان يقال : صُحْبَةُ الْمُلُوكِ بَغِيرِ أَدَبٍ كَرْكُوبِ الْفَلَاحَةِ بَغِيرِ مَاءٍ .

(١) النوكى : الحق .

وكان يقال : ينبغي لمن صحب السلطان أن يستعدّ للعذر عن ذنب لم يجنبه ، وأن يكون آنس ما يكون به ، أو حش ما يكون منه .

وكان يقال : شدة الأقباض من السلطان تورث التهمة ، وسهولة الانبساط إليه تورث الملالة .

وكان يقال : اصحب السلطان بإعمال الحذر ، ورَفُض الدالة ، والاجتهاد في النصيحة ، وليكن رأس مالك عنده ثلاث : الرضا ، والصبر ، والصدق .

وأعلم أن لكل شيء حداً ، فما جاوزه كان سرفاً ، وما قصر عنه كان عجزاً ، فلا تبُلغ بك نصيحة السلطان أن تُعادي حاشيته وخاصته وأهله ، فإن ذلك ليس من حقه هليك ، وليكن أقصى لحقه عنك ، وأدعى لاستمرار السلامة لك ؛ أن تستصلح أولئك جهدك ، فإنك إذا فعلت ذلك شكرت نعمته ، وأمنت سطوته ، وقللت عدوك عنده ، وإذا جارت عند السلطان كُفُوا من أ كفائك فلتكن مُجاراتك ومُباراتك إياه بالحجة ، وإن عَضَّكَ ^(١) ، وبالرفق وإن خرف بك . واحذر أن يستلحك فتحصى ، فإن الغضب يُعَمِّي عن الفرصة ، ويقطع عن الحجة ، ويظهر عليك الخضم ، ولا تتوردن على السلطان بالدالة وإن كان أخاك ، ولا بالحجة وإن وثقت أنها لك ، ولا بالنصيحة وإن كانت له دونك ، فإن السلطان يعرض له ثلاث دون ثلاث : القدرة دون الكرم ، والحيية دون النصفة ؛ واللجاج دون الحظ .

(١) عضبك : كذبك .

(٢٧٠)

الأصل :

أَحْسِنُوا فِي عَقِبِ غَيْرِكُمْ تُحَفِّظُوا فِي عَقِبِكُمْ .

الشرح :

أكثر ما في هذه الدنيا يقع على سبيل القرض والمكافأة ، فقد رأينا عياناً من ظلم الناس فظلم عقبه وولده ، ورأينا من قتل الناس فقتل عقبه وولده ، ورأينا من أخرج دُوراً فأخرجت داره ، ورأينا من أحسن إلى أعقاب أهل النعم فأحسن الله إلى عقبه وولده .

وقرأت في تاريخ أحمد بن طاهر ^(١) أن الرشيد أرسل إلى يحيى بن خالد وهو في محبسه يقرعه بذنوبه ، ويقول له : كيف رأيت ! ألم أخرج دارك ؟ ألم أقتل ولدك جعفراً ؟ ألم أنهب مالك ؟ فقال يحيى للرسول : قل له : أما إخراجك داري فستخرج دارك ، وأما قتلك ولدي جعفراً فسيقتل ولدك محمد ، وأما نهبك مالي فسينهب مالك وخزانتك . فلما عاد الرسول إليه بالجواب وجم طويلاً وحزن ، وقال : والله ليكونن ما قال ، فإنه لم يقل لي شيئاً قط إلا وكان كما قال ؛ فأخرجت ^(٢) داره - وهي الخلد - في حصار بغداد ، وقتل ولده محمد ، ونهب ماله ، وخزانتته ، نهبها طاهر بن الحسين .

(١) هو أحمد بن طاهر صاحب تاريخ بغداد .

(٢) : « خرجت » .

(٢٧١)

الأصل :

إِنَّ كَلَامَ الْحُكَمَاءِ إِذَا كَانَ صَوَابًا كَانَ دَوَاءً ، وَإِذَا كَانَ خَطَأً كَانَ دَاءً .

الشرح :

كل كلام يقلد المتكلم به لحسن عقيدة الناس فيه نحو كلام الحكماء وكلام الفضلاء والعلماء من الناس إذا كان صواباً كان دواءً وإذا كان خطأً كان داءً ، لأن الناس يَحْذُونَ حَذْوَ المتكلم به ، ويقلّدونه فيما يتضمّنه ذلك الكلام من الآداب والأوامر والنواهي ، فإذا كان حقاً أفلحوا ، وحصل لهم الثواب وأتباع الحق ، وكانوا كالدواء المبرئ للسم ، وإذا كان ذلك الكلام خطأً واتبعوه خسروا^(١) ولم يُفْلِحُوا ، فكان بمنزلة الداء والمرّض .

(١) : « خسروا ذلك » .

(٢٧٢)

الأسئل :

وقال عليه السلام حين سأل رجل أن يعرفه ما الإيمان ، فقال :
إذا كان غد فأتني حتى أخبرك على أسمايع الناس ، فإن نسيت مقالتي حفظها
عليك غيرك ، فإن الكلام كالشاردة يشفقها هذا ويخطئها هذا .
قال : وقد ذكرنا ما أجابه به عليه السلام فيما تقدم من هذا الباب ، وهو قوله :
« الإيمان على أربع شعب » .

النسخ :

يقول : إذا كان غد فأتني فتكون « كان » هاهنا تامة ، أى إذا حدث ووُجد ،
وتقول : إذا كان غدا فأتني فيكون النصب باعتبار آخر ، أى إذا كان الزمان غدا ،
أى موصوفاً بأنه من الغد ، ومن النحويين من يقدّره : إذا كان الكون غداً ؛ لأن الفعل
يدلّ على المصدر ، والكون هو التجدد والحدوث .
وقائل هذا القول يُرجّحه على القول الآخر ، لأن الفاعل عندهم لا يُحذف إلا إذا كان
في الكلام دليل عليه .
ويشققها ، ينجدها ؛ ثبّت كذا بالكسر ، أى وجدته وصادفته .
والشاردة : الضالة .

(٢٧٣)

يَا بَنَ آدَمَ ، لَا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذِي لَمْ يَأْتِكَ عَلَى يَوْمِكَ الَّذِي أَتَاكَ ، فَإِنَّهُ
إِنْ يَكُنْ مِنْ عُمْرِكَ يَأْتِ اللَّهُ فِيهِ بِرِزْقِكَ .

البُخ :

قد تقدّم هذا الفصل بتمامه . واعلم أن كل ما ذخّرته مما هو فاضل عن قوتك فإنما
أنت فيه خازنٌ لغيرك .

وخلاصة هذا الفصل النهي عن الحرص على الدنيا والاهتمام لها ، وإعلام الناس
أن الله تعالى قد قسم الرزق لكل حيٍّ من خلقه ، فلم يتكلف الإنسان فيه لأتاه
رزقه من حيث لا يحتسب .

وفي المثل : يارزاق البُغاث^(١) في عُشه .

وإذا نظر الإنسان إلى الدودة المكنونة داخل الصخرة كيف تُرزق ، علم أن صانع
العالم قد تكفل لكل ذي حياة بمادةٍ تقيم حياته إلى انقضاء عُمره .

(١) البُغاث : صفار الطير .

(٢٧٤)

الأفضل :
أَحِبِّ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا ، عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا ، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ
هَوْنًا مَا ، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا .

الشرح :

الهون بالفتح : التأتى ، والبغيض : المبغض .
وخلاصة هذه الكلمة . النهى عن الإسراف فى المودة والبغضة ؛ فربما انقلب من
تودّ فصار عدوّا ، وربّما انقلب من تُعاديّه فصار صديقا .
وقد تقدّم القول فى ذلك على أتمّ ما يكون .
وقال بعض الحكماء : توقّ الإفراط فى الحبّة ، فإن الإفراط فيها دايع إلى التقصير
منها ، ولأنّ تكون الحال بينك وبين حبيبك نامية أوّلى من أن تكون مُتناهية .
ومن كلام عمر : لا يكن حُبّك كلفًا ، ولا بغضُك تَلَفًا .

وقال الشاعر :

وأحِبُّ إِذَا أَحْبَبْتَ حُبًّا مَقَارِبًا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ نَارِعُ !
وأَبْغِضْ إِذَا أَبْغَضْتَ غَيْرَ مُبَايِنٍ^(١) فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ !
وقال عديّ بن زيد :

وَلَا تَأْمَنْ مِنْ مُبْغِضٍ قَرَبَ دَارِهِ وَلَا مِنْ مُحِبٍّ أَنْ يَمْلَأَ فَيْعِدَا

(١) مبين : مفارق .

(٢٧٥)

الأصل :

النَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَامِلَانِ :
عَامِلٌ فِي الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا ، قَدْ شَغَلَتْهُ دُنْيَاهُ عَنْ آخِرَتِهِ ، يَخْشَى عَلَى مَنْ يُخَلِّفُهُ
الْفَقْرَ ، وَيَأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِهِ ، فَيُفْنِي عُمُرَهُ فِي مَنَفْعَةٍ غَيْرِهِ .
وَعَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا ، فَجَاءَهُ الَّذِي لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ عَمَلٍ ، فَأَحْرَزَ
الْحَظَّيْنِ مَعًا ، وَمَلَكَ الدَّارَيْنِ جَمِيعًا ، فَأَصْبَحَ وَجِيهًا عِنْدَ اللَّهِ ؛ لَا يَسْأَلُ اللَّهُ حَاجَةً فَيَمْنَعَهُ .

الشَّرح :

معنى قوله : « وَيَأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِهِ » ، أى ولا يبالي أن يكون هو فقيرًا ، لأنه
يعيش عيشَ الفقراء وإن كان ذا مالٍ ، لكنّه يدخر المال لولده فيفني عمره في
منفعة غيره .

ويجوز أن يكون معناه إنه لكثرة ماله قد آمن الفقر على نفسه ما دام حيًّا ،
ولكنه لا يأمن الفقر على ولده لأنه لا يثق من ولده بحسن الاكتساب كما وثق من
نفسه ، فلا يزال في الاكتساب والازدياد منه لمنفعة ولده الذي يخاف عليه الفقر
بعد موته .

فأما العاملُ في الدنيا لما بعدها فهم أصحابُ العبادة ، يأتيهم رزقهم بغير اكتساب
ولا كدٍّ ، وقد حصلت لهم الآخرة ، فقد حصل لهم الحظان جميعًا .

(٢٧٦)

الأصل :

وَرَوَى أَنَّهُ ذُكِرَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي أَيَّامِهِ حَتَّى الْكَعْبَةِ وَكَثْرَتُهُ ،
فَقَالَ قَوْمٌ : لَوْ أَخَذْتَهُ فَجَهَّزْتَهُ بِهِ جِيوشَ الْمُسْلِمِينَ ، كَانَ أَعْظَمَ لِلْأَجْرِ ، وَمَا تَصْنَعُ
الْكَعْبَةُ بِالْحَلِيِّ ! فَهَمَّ عُمَرُ بِذَلِكَ ، وَسَأَلَ عَنْهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : إِنَّ
هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ : أَمْوَالُ
لِلْمُسْلِمِينَ ، فَقَسَمَهَا بَيْنَ الْوَرَثَةِ فِي الْفَرَائِضِ ، وَالْفَيْءِ فَقَسَمَهُ عَلَى مُسْتَحِقِّيهِ ،
وَالْخُمْسُ فَوَضَعَهُ اللَّهُ حَيْثُ وَضَعَهُ ، وَالصَّدَقَاتُ فَجَعَلَهَا اللَّهُ حَيْثُ جَعَلَهَا ، وَكَانَ
حَتَّى الْكَعْبَةِ فِيهَا يَوْمَانِ ، فَتَرَكَهُ اللَّهُ عَلَى حَالِهِ ، وَلَمْ يَتْرُكْهُ نِسْيَانًا ، وَلَمْ يَخْفَ
عَنْهُ مَكَانًا ، فَأَقْرَهُ حَيْثُ أَقْرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : لَوْلَاكَ لَأَفْتَضَحْنَا !
وَتَرَكْنَا الْحَلِيَّ بِحَالِهِ .

الشرح :

هذا استدلال صحيح ، ويمكن أن يورد على وجهين :
أحدهما أن يقال : أصلُ الأشياءِ الحظرُ والتَّحْرِيمُ ، كما هو مذهب كثيرٍ من أصحابنا
البغداديين ؛ فلا يجوز التصرف في شيء من الأموال والمنافع إلا بإذن شرعي ؛ ولم يوجد
إذن شرعي في حَلِيِّ الْكَعْبَةِ ، فبقينا فيه على حُكْمِ الْأَصْلِ .
والوجه الثاني أن يقال : حلَّى الكعبة مال مختص بالكعبة ، هو جارٍ مجرى سُتُورِ
الكعبة ، ومَجَرَّى بَابِ الْكَعْبَةِ ، فكما لا يجوز التصرف في سُتُورِ الكعبة وبابها

إلا بنصّ فكذاك حَلَى الكعبة ، والجامع بينهما الاختصاص الجاعلُ كلَّ واحد من ذلك كالجزء من الكعبة ، فعَلَى هذا الوجه يَنْبَغِي أن يكون الاستدلالُ .

ويجب أن يُحْمَلُ كلامُ أمير المؤمنين عليه السَّلام عليه ، وألّا يُحْمَلُ على ظاهره؛ لأنَّ لمُعْتَرِضٍ أن يعترض استدلاله إذا حمل على ظاهره ، بأن يقول : الأموالُ الأربعة التي عدّها إنما قَسَمَهَا اللهُ تعالى حيث قَسَمَهَا لأنّها أموالٌ متكرّرة بتكرّر الأوقات على مرّ الزمان يذهب الوجودُ منها ويخلفه غيره ، فكان الاعتناء بها أكثر ، والاهتمامُ بوجوه متصرّفها أشدّ ، لأنّ حاجات الفقراء والمساكين وأمثالهم من ذَوِي الاستحقاق كثيرة ومتجدّدة بتجدّد الأوقات ، وليس كذلك حَلَى الكعبة ، لأنّه مال واحدٌ باقٍ غير متكرّر ، وأيضاً فهو شيء قليلٌ يسير ، ليس مثله ممّا يقال : يَنْبَغِي أن يكون الشارعُ قد تعرّض لوجوهٍ مصرفه حيث تعرّض لوجوهٍ مصرف الأموال ، فافترق الموضعان .

(٢٧٧)

الأصل :

رَوَى أَنَّهُ رُفِعَ إِلَيْهِ رَجُلَانِ سَرَقَا مِنْ مَالِ اللَّهِ ، أَحَدُهُمَا عَبْدٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ ، وَالْآخَرُ مِنْ عُرْضِ النَّاسِ ، فَقَالَ : أَمَّا هَذَا فَهُوَ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَلَا حَدَّ عَلَيْهِ ، مَالُ اللَّهِ أَكَلُ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَعَلَيْهِ الْحَدُّ الشَّدِيدُ . فَقَطَعَ يَدَهُ .

الْشُّنْجُ :

هَذَا مَذْهَبُ الشَّيْعَةِ أَنَّ عَبْدَ الْمَغْنَمِ إِذَا سَرَقَ مِنَ الْمَغْنَمِ لَمْ يُقَطَّعْ ، فَأَمَّا الْعَبْدُ الْغَرِيبُ إِذَا سَرَقَ مِنَ الْمَغْنَمِ فَإِنَّهُ يُقَطَّعُ إِذَا كَانَ مَأْسَرَقَهُ زَائِدًا عَمَّا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِمَقْدَارِ النَّصَابِ الَّذِي يَجِبُ فِيهِ الْقَطْعُ ، وَهُوَ رُبْعُ دِينَارٍ ، وَكَذَلِكَ الْحُرُّ إِذَا سَرَقَ مِنَ الْمَغْنَمِ حُكْمُهُ هَذَا الْحُكْمَ بَعَيْنُهُ ، فَوَجَبَ أَنْ يَحْمَلَ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنَّ الْعَبْدَ الْمَقْطُوعَ قَدْ كَانَ سَرَقَ مِنَ الْمَغْنَمِ مَا هُوَ أَزِيدُ مِنْ حَقِّهِ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِمَقْدَارِ النَّصَابِ الْمَذْكُورِ أَوْ أَكْثَرَ .

فَأَمَّا الْفُقَهَاءُ فَإِنَّهُمْ لَا يُوجِبُونَ الْقَطْعَ عَلَى مَنْ سَرَقَ مِنْ مَالِ الْغَنِيمَةِ قَبْلَ قِسْمَتِهَا ، سِوَاكَ كَانَ مَأْسَرَقَهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِ أَوْ لَمْ يَكُنْ ، لِأَنَّ مُخَالَطَةَ حَقِّهِ وَمُتَازَجَتَهُ لِلْمَسْرُوقِ شُبْهَةٌ فِي الْجُمْلَةِ تَمْنَعُ مِنْ وَجُوبِ الْقَطْعِ ، هَذَا إِنْ كَانَ لَهُ حَقٌّ فِي الْغَنِيمَةِ بِأَنْ يَكُونَ شَهِيدَ الْقِتَالِ بِإِذْنِ سَيِّدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ وَكَانَ لِسَيِّدِهِ فِيهَا حَقٌّ لَمْ يُقَطَّعْ أَيْضًا ؛ لِأَنَّ حِصَّةَ سَيِّدِهِ الْمُسَاعَاةَ شُبْهَةٌ تَمْنَعُ مِنْ قَطْعِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَشْهَدْ الْقِتَالَ ^(١) وَلَا شَهِدَهُ سَيِّدُهُ وَسَرَقَ مِنَ الْغَنِيمَةِ قَبْلَ الْقِسْمَةِ مَا يَجِبُ فِي مِثْلِهِ الْقَطْعُ وَجَبَ عَلَيْهِ الْقَطْعُ .

(١) ا : هـ ولم يشهده سيده .

(٢٧٨)

الأفضل

لَوْ قَدْ أُسْتَوَتْ قَدَمَايَ مِنْ هَذِهِ الْمَدَاحِضِ لَفِزْتُ أَشْيَاءَ

الشرح :

لسنا نشك أنه كان يذهب في الأحكام الشرعية والقضايا إلى أشياء يخالف فيها أقوال الصحابة ، نحو قطعه يد السارق من رؤوس الأصابع ، وبيع أمهات الأولاد ، وغير ذلك ، وإنما كان يمنع من تغيير أحكام من تقدمه اشتغاله بحرب البغاة والخوارج ، وإلى ذلك يشير بالمداحض التي كان يؤمل استواء قدميه منها ، ولهذا قال لقضاته : « اقصوا كما كنتم تقضون حتى يكون للناس جماعة » ، فلفظة « حتى » — ها هنا مؤذنة بأنه فسح لهم في اتباع عاداتهم في القضايا والأحكام التي يمهّدونها إلى أن يصير للناس جماعة ، وما بعد « إلى » و « حتى » ينبغي أن يكون مخالفا لما قبلهما .

فأما أصحابنا فيقولون : إنه كان فيما يحاول أن يحكم بين الناس مجتهدا ، ويجوز لغيره من المجتهدين مخالفته .

والإمامية تقول : ما كان يحكم إلا عن نص وتوقيف ، ولا يجوز لأحد من الناس مخالفته .

والقول في صحة ذلك وفساده قرع من فروع مسألة الإمامة ^(١) .

(١) د : « الإمامية » .

(٢٧٩)

الأصل :

اعلموا علماً يقيناً أن الله لم يجعل للعبد وإن عظمت حيلته، واشتدت طلبته، وقويت مكيدته، أكثر مما سُمي له في الذِّكر الحكيم، ولم يحل بين العبد في ضيعته وقلة حيلته، وبين أن يبلغ ما سُمي له في الذِّكر الحكيم. والعارف لهذا، العامل به؛ أعظم الناس راحة في منقته؛ والتَّارك له، الشَّاك فيه، أعظم الناس شغلاً في مضرته.

وربَّ مُنعمٍ عليه مُستدرجٍ بالنعى، وربَّ مُبتلى مصنوعٍ له بالبلى. فزد أيها المستمع في شكرِكَ، وقصر من محبتِكَ، وقف عند منتهى رزقِكَ.

الشرح :

قد تقدّم القول في الحرص والجشع وذمهما وذم الكادح في طلب الرزق، ومذح القناعة والاقتصار، ونذكر هنا طرّاً آخر من ذلك. قال بعض الحكماء: وجدت أطول الناس غماً الحسود، وأهنأهم عيشاً القنوع، وأصبرهم على الأذى الحريص، وأخفّضهم عيشاً أرفضهم للدنيا، وأعظمهم ندماً العالم المفرط.

وقال عمر: الطمع فقر، واليأس غنى، ومن يئس بما عند الناس استغنى عنهم.

وقيل لبعض الحكماء : ما الغنى ؟ قال : قلةُ تمنّيك ، ورضاكَ بما يَكْفِيكَ ؛ ولذلك قيل : العيشُ ساعاتُ تمرّ ، وخطوبُ تَكرّر .

وقال الشاعر :

اقنعْ بعَيْشِكَ تَرْضَاهُ وَاتركْ هَوَاكَ وَأنتَ حُرٌّ
فلربّ حَتَفٍ فَوْقَهُ ذَهَبٌ وَيَاقوتٌ وَدُرٌّ

وقال آخر :

إلى متى أنا في حِلٍّ وتَرَحّالٍ من طول سَعْيٍ وإِدْبَارٍ وإِقْبَالٍ !
ونازِحُ الدارِ لأنْفَكُ مَغْتَرِبًا عن الأَحِبَّةِ لا يَدْرُونَ ما حَالِي
بمَشْرِقِ الأرضِ طَوْرًا ثم مَغْرِبِهَا لا يَخْطُرُ المَوْتُ مِن حِرْصٍ عَلى بَالِي
ولو قَنَعْتُ أَنَا في الرِّزْقِ في دَعَاةٍ إِنَّ القُنُوعَ الغِنَى لا كَثْرَةُ المَالِ

وجاء في الخبر المرفوع : « أجهلوا في الطلب ، فإنه ليس لعبدٍ إلا ما كُتِبَ له ، ولن يَخْرُجَ عبدٌ من الدُّنْيَا حتّى يَأْتِيَهُ ما كُتِبَ له في الدُّنْيَا وهي رَاغِمَةٌ » .

(٢٨٠)

الأصل :

لَا تَجْمَعُوا عَلَيْكُمْ جَهْلًا ، وَيَقِينَكُمْ شَكًّا ؛ إِذَا عَلِمْتُمْ فاعْمَلُوا ، وَإِذَا تَيَقَّنْتُمْ فَأَقْدِمُوا .

الشرح :

هذا^(١) نهى للعلماء عن ترك العمل ؛ يقول : لا تجمعوا عليكم كالجهل ، فإن الجاهل قد يقول : جهلت فلم أعمل ، وأنتم فلا عذر لكم ، لأنكم قد علمتم وانكشف لكم سيرُ الأمر ، فوجب عليكم أن تعملوا ، ولا تجمعوا عليكم كجهلا ، فإن من^(٢) علم المنفعة في أمر ولا حائل بينه وبينه ثم لم يأتِه كان سفيهاً .

(٢) : أ : « الذي » .

(١) : أ : « في » .

(٢٨١)

الأضل :

إِنَّ الطَّمَعَ مُورِدٌ غَيْرُ مُصْدِرٍ ، وَضَامِنٌ غَيْرُ وَفِيٍّ ، وَرُبَّمَا شَرِبَ الْمَاءَ قَبْلَ رَبِّهِ ، وَكُلَّمَا عَظُمَ قَدْرُ الشَّيْءِ الْمُتَنَافَسِ فِيهِ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ لِفَقْدِهِ ، وَالْأُمَانُ تُعْمَى أَعْيُنَ الْبَصَائِرِ ، وَالْحِظُّ يَأْتِي مَنْ لَا يَأْتِيهِ .

السنخ :

قد تقدم القول في هذه المعاني كلها .

وقد ضرب الحكماء مِثَالاً لفرط الطَّمَعِ ، فقالوا : إن رجلاً صادَ قُبُورَةً فَقَالَتْ : ما تريد أن تصنع بي ؟ قال : أدبحك وآكلك ؛ قالت : والله ما أشفي من قَرَمٍ ، ولا أشبع من جُوعٍ ، ولكني أعلمك ثلاث خِصَالٍ هُنَّ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَكْلِي ؛ أَمَّا وَاحِدَةٌ فَأَعْلَمُكَ إِيَّاهَا وَأَنَا فِي يَدِكَ ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَإِذَا صِرْتُ عَلَى الشَّجَرَةِ ، أَمَّا الثَّالِثَةُ فَإِذَا صِرْتُ عَلَى الْجَبَلِ . فقال : هاتِي الأولى ؛ قالت : لا تَلَهْفَنَّ عَلَى مَا فَاتَ ، نَفَلَاها ، فَلَمَّا صَارَتْ عَلَى الشَّجَرَةِ قَالَ : هَاتِي الثَّانِيَةَ ، قالت : لا تُصَدِّقَنَّ بِمَا لَا يَكُونُ أَنَّهُ يَكُونُ ، ثُمَّ طَارَتْ ، فَصَارَتْ عَلَى الْجَبَلِ ؛ فقالت : يا شقيّ لو ذُبَحْتَنِي لَأَخْرَجْتَ مِنْ حَوْصَلَتِي دُرَّتَيْنِ وَزَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ ثَلَاثُونَ مِثْقَالاً ، فَعَضَّ عَلَى يَدَيْهِ وَتَلَهَّفَ تَلَهُّفاً شَدِيداً ؛ وقال : هَاتِي الثَّالِثَةَ ؛ فقالت : أنت قد أنسيتِ الاثنتين ، فأتصنع بالثالثة ؟ ألم أقل لك : لا تَلَهْفَنَّ عَلَى

ما فات ! وقد تَلَهَّفْتَ ، وألم أقل لك لا تصدِّق بما لا يكون أنه يكون . وأنا وَلَحِمِي
وَدَمِي ورِيشِي لا يكون عشرين مثقالا ، فكيف صدقت أن في حَوْصَلَتِي درّتين كلّ
واحدة منهما ثلاثون مثقالا ! ثم طارت وذهبت .

وقوله : «وربما شَرِقُ شاربُ الماء قبلَ رِيَّةٍ» ، كلامٌ نصيح ، وهو مَثَلٌ لِمَنْ يُخْتَرَمُ^(١)
بِفَتْنَةٍ ، أو تَطَارُقِهِ الحوادثُ وأُخْطوب وهو في تَلَهُّفَةٍ مِنْ عَيْشِهِ .

ومثل الكلمة الأخرى قولهم : على قدرِ العَطِيَّةِ تكون الرِّزِيَّةُ .
والقولُ في الأمانى قد أوسعنا القول فيه مِنْ قبل ، وكذلك في الحظوظ .

(١) يحترم بفتنة ، أى يأتيه الموت بفتنة .

(٢٨٢)

الأُسْلُ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ تَحْسُنَ فِي لَامِعَةِ الْعِيُونِ عَلَانِيَتِي ، وَتَقْبَحَ فِيهَا أَبْطِنَ
لَكَ سِرِّي ، مُحَافِظًا عَلَى رِيَاءِ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي بِجَمِيعِ مَا أَنْتَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ مِنِّي ،
فَأُبْدِيَ لِلنَّاسِ حُسْنَ ظَاهِرِي ، وَأُفْضِيَ إِلَيْكَ بِسُوءِ عَمَلِي ، تَقَرُّبًا إِلَى عِبَادِكَ ، وَتَبَاعُدًا
مِنْ مَرَضَاتِكَ .

الشَّرْحُ :

قد تقدّم القولُ في الرِّياءِ ، وأن يُظهِرَ الإنسانُ من العبادة والفعل الجميل ما يُبطن
غيره ، ويقصد بذلك الشُّمعة والصَّيِّت لا وجه الله تعالى .

وقد جاء في الخبر المرفوع : « أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الرِّياءُ والشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ » .
قال المفسِّرون : والرِّياءُ من الشَّهْوَةِ الْخَفِيَّةِ ، لأنه شَهْوَةُ الصَّيِّتِ والجاه بين الناس
بأنه مَتِينُ الدِّينِ ، مُوَاطِبٌ عَلَى نَوَافِلِ الْعِبَادَاتِ ، وهذه هي الشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ ، أى ليست
كشهوة الطعام والنِّكَاحِ وغيرِهما من اللَّذَائِ الْحَسِيَّةِ .

وفي الخبر المرفوع أيضا : أَنَّ الْيَسِيرَ مِنَ الرِّياءِ شَرٌّ^(١) ، وَأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَتْقِيَاءَ
الْأَخْفِيَاءَ الَّذِينَ هُمْ فِي بُيُوتِهِمْ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا ، وَإِذَا حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا ، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ
الْهُدَى ، يَنْجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءٍ مُظْلِمَةٍ .

(١) كلمة غامضة في الأصول .

(٢٨٣)

الأمنل

وقال عليه السلام :

لَا وَالَّذِي أَمْسَيْنَا مِنْهُ فِي غَيْرِ لَيْلَةٍ دَهَاءَ ، تَكْشِرُ عَنْ يَوْمِ أَغْرَ ، مَا كَانَ
كَذَا وَكَذَا .

الشيخ :

قد روى : « تفتر عن يوم أغر » .

والغبر : البقايا^(١) ، وكذلك الإخبار ، وَكَشَرُ أَي بَسَمَ ، وَأَصْلُهُ الْكَشَفُ .

وهذا الكلام إما أن يكون قاله على جهة التناول ، أو أن يكون إخباراً بغيث ؛
والأول أوجه^(٢) .

(١) ومنه قول أبي كبير الهذلي :

ومبرأ من كل غبر حَيْضَةٍ وفسادِ مرضعةٍ وداءِ مُغِيلِ

قال في اللسان : « وغبر الحينس : بقاياها » .

(٢) ١ : « والوجه الأول » .

(٢٨٤)

الأفضل :

قَلِيلٌ يَدْوُمُ عَلَيْهِ ، أَرْجَى مِنْ كَثِيرٍ تَمْلُؤُ مِنْهُ .

الشرح :

لا ريبَ أنَّ من أرادَ حِفْظَ كتابٍ من الكُتُبِ العلميَّةِ فحَفِظَ منه قليلا قليلا ،
ودامَ على ذلك ، فإنَّ ذلكَ أنفعُ له وأرجى لِفَلاحِهِ من أن يَحْفَظَ كثيرا ، ولا يَدْوُمُ
عليه لَمَلالِهِ إِيَّاهُ وَضَجَرِهِ مِنْهُ ، والتجربةُ تُشَهِدُ بذلك .
والقولُ في غيرِ الحِفْظِ كالقولِ في الحِفْظِ ، نحو الزَّيَّارَةِ القليلةِ لِلصَّدِيقِ ، ونحو العطاءِ
اليسيرِ الدائمِ ^(١) الَّذي هو خَيْرٌ من الكَثِيرِ المُنْقَطِعِ ، ونحو ذلك .

(١) بمدها في : « غير المنقطع » .

(٢٨٥)

الأفضل :

إِذَا أَضْرَّتِ النَّوَافِلُ بِالْفَرَائِضِ فَأَرْفُضُوهَا .

الشيخ

قد تقدّم القولُ في النافلة : هل تصحّ ممن عليه فريضة لم يؤدّها ، وذكرنا مذاهبَ الفقهاء في ذلك .

ولا ريبَ أنّ من أستغرق الوقتَ بالنوافل حتّى آنَ أوقاتِ الفرائض لم يفعلِ الفرائضَ فيها ، وشغلها بالعبادة النَّفَلِيَّةِ ، فقد أخطأ ؛ والواجب أن يَرَفُضَ النافلةَ حيث يتضيق وقتُ الفريضة ، لا خلافَ بين المسلمين في ذلك ، ويصلحُ أن يكون هذا مثلاً ظاهره ما ذكرنا ، وباطنه أمره آخر .

(٢٨٦)

الأضل :

مَنْ تَذَكَّرَ بَعْدَ السَّفَرِ اسْتَعَدَّ .

البنرج :

هذا مثل قولهم في المثل : « الليل طويل ، وأنت مُقِر »^(١) ؛ وقال أيضا : عَشَّ ولا تَغْتَرَّ^(٢) .

وقال أصحاب المعاني : مثل الدنيا كَرَكَبٍ في فلاة وَرَدُوا ماء طيبا ، فمنهم من شرب من ذلك الماء شُرْباً يسيراً ، ثم أفكر في بُعد المسافة التي يقصِدونها ، وأنه ليس بعد ذلك الماء ماء آخر ، فزود منه ماء أوصله إلى مقصده ، ومنهم من شرب من ذلك الماء شُرْباً عظيماً ، ولها عن التزود والاستعداد ، وظن أن ما شرب كافٍ له ومُغْنٍ عن أدخار شيء آخر ، فقطع به ، وأخلفه ظنُّه ، فعطش في تلك الفلاة ومات .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لأصحابه : « إنما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كقوم سلكوا مفازة غبراء حتى إذا لم يدروا ماسلكوا منها أكثر أم ما بقي ! أنفدوا الزاد وحسروا الظهر ، وبقوا بين ظهري المفازة لازاد ولا حمولة ، فأيقنوا بالهلكة ، فبينما هم كذلك خرج عليهم رجل في حلة يقطر رأسه ماء ، فقالوا : هذا قريب عهد بريف ، وما جاءكم هذا إلا من قريب ؛ فلما أنهى إليهم وشاهد حالهم قال : أرايتم إن هديتكم إلى ماء رواء ، ورياض خضير ماتعملون ؟ قالوا : لنعصيك شيئاً ؛

(٢) الميداني ٢ : ١٦ .

(١) الميداني . . .

قال : عهودكم ومواثيقكم بالله ، فأعطوه ذلك ، فأوردهم ماء رواء ورياضا خضرا ،
ومكث بينهم . ماشاء الله ، ثم قال : إني مقارنكم ، قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى ماء ليس كائكم ،
وررياض ليست كرياضكم ؛ فقال الأكثر من منهم : والله ما وجدنا مانحن فيه حتى ظننا
أنا لانجده ، وما نصنع بمنزل خير من هذا ! وقال الأقلون منهم : ألم تعطوا هذا الرجل
مواثيقكم وعهودكم بالله لاتعصونه شيئا ، وقد صدقكم في أول حديثه ، والله
ليصدقنكم في آخره ؛ فراح فيمن تبعه منهم ، وتخلف الباكون ، فدكهم عدو شديد البأس
عظيم الجيش ، فأصبحوا ما بين أسير وقتيل .

(٢٨٧)

الأُنسَلُ :

لَيْسَتْ الرُّؤْيَةُ مَعَ الْإِبْصَارِ ، فَقَدْ تَكْذِبُ الْعُيُونُ أَهْلَهَا ، وَلَا يَنْفُسُ الْعَقْلُ
مَنْ أَسْتَنْصَحَهُ .

الشرح :

هذا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي
الصُّدُورِ ﴾ ^(١) .

أى ليس العَمَى عَمَى الْعَيْنِ ، بَلْ عَمَى الْقَلْبِ .

كَذَلِكَ قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَيْسَتْ الرُّؤْيَةُ مَعَ الْعُيُونِ ، وَإِنَّمَا الرُّؤْيَةُ
الْحَقِيقَةُ مَعَ الْعُقُولِ .

وَقَدْ ذَهَبَ أَكْبَرُ الْحُكَمَاءِ إِلَى أَنَّ الْيَقِينِيَّاتِ هِيَ الْمَعْقُولَاتُ لَا الْمَحْسُوسَاتُ ؛
قَالُوا : لِأَنَّ حُكْمَ الْحَسِّ فِي مَظْنَةِ الْغَلَطِ ، وَطَالَ مَا كَذَبَ الْحِسُّ ، وَاعْتَقَدْنَا بِطَرِيقِهِ
أَعْتِقَادَاتٍ بَاطِلَةً ، كَمَا نَرَى الْكَبِيرَ صَغِيرًا ، وَالصَّغِيرَ كَبِيرًا ، وَالْمُتَحَرِّكَ سَاكِنًا ، وَالسَّاكِنَ
مُتَحَرِّكًا ، فَأَمَّا الْعَقْلُ فَإِذَا كَانَ لِلْعُقُولِ بِهِ بَدِيهِيًّا أَوْ مُسْتَنْدًا إِلَى مَقْدَمَاتٍ بَدِيهِيَّةٍ فَإِنَّهُ
لَا يَقَعُ فِيهِ غَلَطٌ أَصْلًا .

(٢٨٨)

الأفضل

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمَوْعِظَةِ حِجَابٌ مِنَ الْغُرَّةِ .

* * *

الشُّرْحُ :

قد تقدّم ذكرُ الدُّنيا وغُرورها ، وأنها بشَهواتها ولذاتها حِجَابٌ بين العبد وبين المَوْعِظَةِ ، لأنَّ الإنسانَ يَفْتَرِّ بِالْعَاجِلَةِ ، ويتوهم دَوَامَ ما هو فيه ، وإذا خَطَرَ بباله الموتُ والفناء وَعَدَّ نفسه رَحمةَ الله تعالى وعَفْوَهُ ، هذا إن كان يَمُنُّ يَعْتَرِفُ بِالْمَعَادِ ، فإنَّ كثيرا مَن يُظهِرُ القولَ بِالْمَعَادِ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ غَيْرُ مُسْتَيِقِنٍ لَهُ ، والإِخْلَادُ إِلَى عَفْوِ اللهِ تَعَالَى وَالْأَتْكَالُ عَلَى الْمَغْفِرَةِ مَعَ الْإِقَامَةِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ ، غُرُورٌ لَا مَحَالَةَ ، والحَازِمُ مِنْ عَمَلٍ لَمَّا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَلَمْ يُؤْمِنْ نَفْسَهُ الْأَمَانِيَّاتِ الَّتِي لَا حَقِيقَةَ لَهَا .

(٢٨٩)

الأفضل :

جاهلكم مُزْدَادٌ ، وعالمكم مُسَوِّفٌ .

الشرح :

هذا قريب مما سلف : إنَّ الجاهل من الناس مُزْدَادٌ من جهله ، مُصِرٌّ على خطيئته ، مُسَوِّفٌ من توهّماته وعقيدته الباطلة بالعفو عن ذنبه ، وليس الأمر كما توهمه .
(ليس بآمانيّكم ولا آمانيّ أهل الكتاب من يعمل سوءاً يُجْزَ به ولا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً ولا نصيراً)^(١) .

(٢٩٠)

الأصل :

قَطَعَ الْعِلْمُ عُنْدَ الْمُتَعَلِّينَ .

الشرح :

هذا أيضاً قريب مما تقدم ، يقول : قَطَعَ الْعِلْمُ عُنْدَ الَّذِينَ يُعَلِّلون أنفسهم بالباطل ، ويقولون : إنَّ الربَّ كريمٌ رحيمٌ ، فلا حاجة لنا إلى إلتعاب أنفسنا بالعبادة ، كما قال الشاعر :

قَدِمْتُ عَلَى الْكَرِيمِ بغير زادٍ من الأعمال ذَاذْنِبٍ عَظِيمِ
وَسُوءِ الظَّنِّ أَنْ تَعْتَدَّ زَاداً إِذَا كَانَ الْقُدُومُ عَلَى الْكَرِيمِ

وهذا هو التعليل بالباطل ، فإن الله تعالى وإن كان كريماً رحماً عفواً عفورا ، إلا أنه صادق القول ، وقد توعد العصاة وقال : ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصَلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ * مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ ^(٢) ، ويكفي في رحمة وعفوه وكرمه أن يغفر للتائب أو لمن ثوابه أكثر مما يستحقه من العقاب ، فالقول بالوعيد معلوم بأدلة السمع المتظاهرة المتناصرة التي قد أطنب أصحابنا في تعدادها وإيضاحها ، وإذا كان الشيء معلوماً ، فقد قَطَعَ الْعِلْمُ به عذر أصحاب التعلل والتَّمَنَّى ، وَوَجَبَ الْعَمَلُ بالمعلوم ورفض ما يخالفه .

(٢) سورة ق ٢٨ ، ٢٩ .

(١) سورة الانفطار ٦٤ - ٦٦ .

(٢٩١)

الأصل

كُلُّ مُعَاجِلٍ يَسْأَلُ الْإِنْظَارَ ، وَكُلُّ مُؤَجَّلٍ يَتَعَمَّلُ بِالتَّسْوِيفِ .

الشرح :

قال الله سبحانه : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ^(١) .
فهذا هو سؤال الإنظار لمن عُوِّجِلَ ، فأما من أُجِّلَ فإنه يعمل نفسه بالتسويق ، ويقول : سوف أتوب ، سوف أقبل عما أنا عليه ، فأكثرهم يحتتم ^(٢) من غير أن يبلغ هذا الأمل ، وتأتية النية وهو على أقبح حال وأسوئها ، ومنهم من شمله السعادة فيتوب قبل الموت ، وأولئك الذين خُتِمت أعمالهم بخاتمة الخير ، وهم في العالم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود .

(٢) يقال : اخترته النية ؛ أى أخذته من بينهم

(١٢ - نهج - ١٩)

(١) سورة المؤمنون ٩٩ ، ١٠٠ .

(٢٩٢)

الأضل

ما قال الناسُ لشيءٍ : طوبى له ! إلا وقد خبأ له الدهرُ يومَ سوء .

الشح

قد تقدم هذا المعنى ، وذكرنا فيه نُكتًا جيّدة حميدة .

[نبذ من الأقوال الحكيمة في تقلبات الدهر ونصرّ فاته]

كان محمد بن عبد الله بن طاهر أمير بغداد في قصره على دجلة يوماً ، وإذا بحشيشٍ على وجه الماء ، في وسطه قصبة عليها رُقعة ، فأمر بأخذها ، فإذا فيها :

تأه الأعرج وأستولى به البطرُ فقل له : خير ما أستمعته الخذرُ
أحسنْتَ ظنَّكَ بالأيام إذ حسنتُ ولم تخفِ سوء ما يأتي به القدرُ
وسالمتكَ الليالي فاعتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدرُ
فما أنتفع بنفسه مدّة .

وفي المثل : الدهر إذا أتى بسخواءٍ سخسح^(١) ، يُعقبها بنكباء زعزع . وكذلك شربُ العيش فيه تلون ، بيناه عذبا إذ تحول آجناً .

(١) أى سحابة تصب مطراً شديداً .

يحيى بن خالد : أعطانا الدهر فأسرف ، ثم مال علينا فأجحف . .
وقال الشاعر :

فيا لنعيم ساعدتنا رقابهُ وخاست بنا أ كفالهُ والروادِفُ
إسحق بن إبراهيم الموصلي :

هي المقاديرُ تجري في أعينها فاصبرْ فليس لها صبرٌ على حالِ
يوماً تَرِيشُ خسيسَ الحالِ ترفعهُ إلى السماء ويوماً تخفِضُ العالِي
إذا أديرَ الأمرُ أتى الشرُّ من حيث كان يأتي الخير .

هاني بن مسعود :

إن كسرى أبى على الملك النعم ما نَحَى حتى سقاه أم الرقوبِ
كلُّ مُلكٍ وإن تصعدَ يوماً بأناسٍ يعودُ للتصويبِ
أحيحة بن الجلاح :

وما يدرى الفقيرُ متى غيباهُ وما يدرى الفنى متى يعملُ
وما تدرى إذا أضربتْ شوْلاً أتلقح بعد ذلك أم تحيلُ^(١)
وما تدرى إذا أزمعتْ سيراً بأى الأرض يدرِكُك المقيِلُ !
آخر :

فادرن الدنيا بباقي لأهلِهِ ولا شِرة الدنيا بضربةٍ لازمِ
آخر :

رُبَّ قومٍ غَبَروا من عيشِهِم في سرورٍ ونعيمٍ وغَدَقَ

(١) الشول : الناقة التى نقصت ألبانها .

سَكَتَ الدهرُ زمانًا عنهمُ ثم أبكاهم دما حين نطق
ومن الشعر المنسوب إلى محمد الأمين بن زُبَيْدَة :

يأنسُ قد حقَّ الحذرُ أين الفرارُ من القدرِ
كلَّ امرئٍ مما يخافُ ف ويرتجيه على خطرِ
من يرشِفُ صفو الزما ن ينصَّ يوماً بالكدرِ

(٢٩٣)

الأصل :

وقال عليه السلام وقد سُئِلَ عنِ القَدَرِ : طَرِيقُ مُظْلِمٍ فَلَا تَسْلُكُوهُ . ثم سئلَ ثانياً فقال : بَحْرٌ عَمِيقٌ فَلَا تَلِجُوهُ ؛ ثم سئلَ ثالثاً ، فقال : سِرُّ اللَّهِ فَلَا تَتَكَلَّفُوهُ .

البُنى :

قد جاء في الخبر المرفوع : القَدَرُ سِرُّ اللَّهِ في الأرض ، ورُوي : سرُّ اللَّهِ في عباده ، والمِرَادُ نَهْيُ المستضعفين عن الخوض في إرادة الكائنات ، وفي خلق أعمال العباد ، فإنه ربما أفضى بهم القول بالجبر ، لما في ذلك من الغموض ، وذلك أن العامي إذا سمع قول القائل : كيف يجوز أن يقع في عالمه ما يكرهه ، وكيف يجوز أن تغلب إرادة المخلوق إرادة الخالق !

ويقول أيضاً : إذا علم في القَدَم أن زيدا يكفر ، فكيف لزيد أن لا يكفر ! وهل يمكن أن يقع خلاف ما علمه الله تعالى في القَدَم ، اشتبه عليه الأمر ، وصار شبهة في نفسه ، وقوي في ظنه مذهب المجبرة ، فنهى عليه السلام هؤلاء عن الخوض في هذا النحو من البحث ، ولم ينه غيرهم من ذوى العقول الكاملة ، والرياضة القوية ، والملكة الثامة ، ومن له قدرة على حل الشبهة ، والتقصى عن المشكلات .

فإن قلت : فإنكم تقولون : إن العامي والمستضعف يجب عليهما النظر ! قلت : نعم إلا أنه لا يبدى لهما من موقف بمدإعمالها ما ينتهى إليه جهدهما من النظر ، بحيث يُرْتَدَّ بهما إلى الصواب ، والنهى إنما هو لمن يستبد من ضعفاء العامة بنفسه في النظر ولا يبحث مع غيره ليرشده .

(٢٩٤)

الأصل :

إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَبْدًا حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ .

الشيخ :

أَرَادَهُ : جملة رذلا ، وكان يقال : مِنْ علامة بُغْضِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ أَنْ يُبْغِضَ إِلَيْهِ الْعِلْمُ .

وقال الشاعر :

شكوتُ إلى وَكيعٍ سُوءَ حِفْظِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي
وقال لأنَّ حِفْظَ الْعِلْمِ فَضْلٌ وَفَضْلُ اللَّهِ لَا يُؤْتِيهِ عَاصِي
وقال رجل لحكيم : ما خَيْرُ الْأَشْيَاءِ لِي ؟ قال : أَنْ تَكُونَ عَالِمًا ، قال : فَإِنْ لَمْ
أَكُنْ ؟ قال : أَنْ تَكُونَ مُثْرِيًا ؛ قال : فَإِنْ لَمْ أَكُنْ ؟ قال : أَنْ تَكُونَ شَارِيًا ؛ قال :
فإِنْ لَمْ أَكُنْ ؟ قال : فَأَنْ تَكُونَ مَيِّتًا .

أخذ هذا المعنى بعضُ المحدثين فقال :

إِذَا فَاتَكَ الْعِلْمُ جُدْ بِالْقِرَى وَإِنْ فَاتَكَ الْمَالُ سُدْ بِالْقِرَاعِ
فَإِنْ فَاتَ هَذَا وَهَذَا وَذَاكَ فَمَنْ خَفِيَاتُكَ شَرُّ الْمَتَاعِ
وقال أيضا في المعنى بعينه :

وَلَوْلَا الْحِجَابُ وَالْقِرَى وَالْقِرَاعُ لَمَا فَضَّلَ الْآخِرَ الْأَوَّلَا
ثَلَاثٌ مَتَى يَخْلُ مِنْهَا الْفَتَى يَكُنْ كَالْبَهِيمَةِ أَوْ أَرَذَلَا

(٢٩٥)

الأُسْلُ :

وقال عليه السلام :

كَانَ لِي فِيمَا مَضَى أَخٌ فِي اللَّهِ ، وَكَانَ يُعْطِمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ،
وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ ، فَلَا يَنْشَهُي مَا لَا يَجِدُ ، وَلَا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ ،
وَكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتًا ، فَإِنْ قَالَ بَدَأَ الْقَائِلِينَ ، وَنَقَعَ غَلِيلَ السَّائِلِينَ ، وَكَانَ
ضَعِيفًا مُسْتَضْعَفًا ، فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثٌ عَادٍ ، وَصِلٌ وَادٍ ، لَا يُدْلِي بِمُحْجَةٍ
حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِيًا ، كَانَ لَا يَلُومُ أَحَدًا عَلَى مَا لَا يَجِدُ الْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَسْمَعَ
أَعْتِدَارَهُ ، وَكَانَ لَا يَشْكُو وَجَعًا إِلَّا عِنْدَ بُرْنِهِ ، وَكَانَ يَفْعَلُ مَا يَقُولُ ، وَلَا يَقُولُ
مَا لَا يَفْعَلُ ، وَكَانَ إِنْ غُلِبَ عَلَى الْكَلَامِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَى السُّكُوتِ ، وَكَانَ عَلَى
أَنْ يَسْمَعَ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ ، وَكَانَ إِذَا بَدَّهَهُ أَمْرَانِ نَظَرَ إِلَيْهِمَا
أَقْرَبُ إِلَى الْهَوَى فَخَالَفَهُ ؛ فَعَلَيْكُمْ بِهِذِهِ اتِّخَالِيقِ فَالْزُمُوهَا ، وَتَنَافَسُوا فِيهَا ،
فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخَذَ الْقَلِيلَ خَيْرٌ مِنْ تَرَكِ الْكَثِيرِ .

الشَّرْحُ :

قد اختلف الناسُ في المعنى بهذا الكلام ، ومن هو هذا الأخُ المشار إليه ؟
فقال قوم : هو رسولُ الله صلى الله عليه وآله ، واستبعدوه قومٌ لقوله : « وكان ضعيفا
مستضعفا » ، فإن النبي صلى الله عليه وآله لا يقال في صفاته مثل هذه الكلمة ،

وإن أمكن تأويلها على لين كلامه وسماحة أخلاقه ، إلا أنها غير لائقة به عليه السلام .

وقال قومٌ : هو أبو ذرٍّ النِّفَارِيُّ واستبعدَه قومٌ « لقوله : فإن جاء الجَلَدُ فهو لَيْثٌ عَادٍ ، وصِلْهُ واد » ، فإن أبا ذرٍّ لم يكن من الموصوفين بالشَّجَاعَةِ ، والمعروفين بالبَسَالَةِ .
وقال قومٌ : هو المقدادُ بن عمرو المعروفُ بالمقداد بن الأسود ، وكان من شِيعَةِ عليٍّ عليه السلام الخُلَصِيَّين ، وكان شُجَاعاً مُجَاهِداً حسنَ الطَّرِيقَةِ ، وقد ورد في فضله حديث صحيح مرفوع .

وقال قومٌ : إنه ليس بإشارةٍ إلى أخٍ مُعَيَّن ، ولكنه كلامٌ خارجٌ مخرجِ المثل ، وعادةُ العرب جاريةٌ بمثل ذلك ، مثل قولهم في الشَّعْرِ : فقلت لصاحبي ، ويصاحبي ، وهذا عندى أقوى الوجوه .

[نبذة من الأقوال الحكمية في حمد القناعة وقلة الأكل]

وقد مضى القولُ في صِغَرِ الدنيا في عَيْنِ أهل التحقيق ، فأما سلطان البطنِ ومَدَحُ الإنسان بأنه لا يكثر من الأكل إذا وَجَدَ أَكْلاً ، ولا يَشْتَهِي من الأكل ما لا يجده ، فقد قال الناسُ فيه فأكثرُوا .

قال أعشى باهلة يرثي المنتشر بن وهب :

طَاوَى الْمَصِيرَ عَلَى الْعَزَاءِ مُنْصَلِتٌ بِالْقَوْمِ لِيَلَّةَ لَامَاءَ وَلَا شَجَرُ^(١)
تَكْفِيهِ فَلَذَةُ لَحْمٍ إِنْ أَلَمَ بِهَا مِنْ الشَّوَاءِ وَيُرْوَى شَرْبُهُ الْغَمَرُ
وَلَا يُبَارِي لِمَا فِي الْقَدْرِ يَرْقُبُهُ وَلَا تَرَاهُ أَمَامَ الْقَوْمِ يَفْتَقِرُ

(١) الكامل للبدر ٤ : ٦٥ ، المصير : واحد المصران . والعزاء : الأمر الشديد .

لَا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا يَعْصَ عَلَى شَرْسُوفِهِ الصَّفَرُ
وقال الشَّنْفَرَى :

وَأَطْوَى عَلَى الْخُمْصِ الْحَوَايَا كَمَا انْطَوَتْ خِيوطة مَارِي تَفَارٍ وَتُقْتَلُ^(١)
وإن مَدَّتْ الْأَيْدَى إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ بِأَعْيِلِهِمْ إِذَا أَجْشَعُ الْقَوْمُ أَعْجَلُ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ عَلَيْهِمْ وَكَانَ الْأَفْضَلُ الْمُتَفَضِّلُ
وقال بعضهم لابنه : يَا بُنَيَّ عَوِّدْ نَفْسَكَ الْأَثَرَةَ ، وَمُجَاهِدَةَ الْهَوَى وَالشَّهْوَةَ ،
وَلَا تَنْهَشْ نَهْشَ السَّبَاعِ ، وَلَا تَقْضِمَ قَضْمَ الْبَرَازِينِ ، وَلَا تُدْمِنَ الْأَكْلَ إِدْمَانَ الدَّعَاجِ ،
وَلَا تَلْقَمْ لَقْمَ الْجَمَالِ ، إِنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ إِنْسَانًا ، فَلَا تَجْعَلْ نَفْسَكَ بِهَيْمَةً وَلَا سَبْعًا ، وَاحْذَرْ
سُرْعَةَ الْكِطَّةِ ، وَدَاءَ الْبُطْنَةِ ، فَقَدْ قَالَ الْحَكِيمُ : إِذَا كُنْتَ بَطْنًا فَمَدَّ نَفْسَكَ مِنَ الزَّمَنِ^(٢)
وقال الأعشى :

* وَالْبُطْنَةُ يَوْمًا تُسْفُهُ الْأَحْلَامُ^(٣) *

واعلم أن الشَّبْعَ دَاعِيَةُ الْبَشَمِ ، وَالْبَشَمَ دَاعِيَةُ السَّقَمِ ، وَالسَّقَمَ دَاعِيَةُ الْمَوْتِ ، وَمَنْ
مَاتَ هَذِهِ الْمَيِّتَةَ فَقَدْ مَاتَ مَوْتَةً لَثِيمَةً ، وَهُوَ مَعَ هَذَا قَاتِلُ نَفْسِهِ ، وَقَاتِلُ نَفْسِهِ أَلْوَمُ مَنْ
قَاتِلَ غَيْرِهِ . يَا بُنَيَّ ، وَاللَّهِ مَا أَدَّى حَقَّ السَّجُودِ وَالرَّكُوعِ ذُو كِطَّةٍ ، وَلَا خَشَعَ لِلَّهِ
ذُو بَطْنَةٍ ، وَالصُّومُ مَصْحَّةٌ ، وَلَرَبَّمَا طَالَتْ أَعْمَارُ الْهِنْدِ ، وَصَحَّتْ أَبْدَانُ الْعَرَبِ ، وَاللَّهُ دَرُّ
الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ حَيْثُ زَعَمَ أَنَّ الدَّوَاءَ هُوَ الْأَزْمُ ، وَأَنَّ الدَّاءَ إِدْخَالُ الطَّعَامِ فِي أَثَرِ
الطَّعَامِ ، يَا بُنَيَّ لَمْ صَفَّتْ أَذْهَانُ الْأَعْرَابِ ، وَصَحَّتْ أَذْهَانُ الرُّهْبَانِ مَعَ طُولِ الْإِقَامَةِ
فِي الصَّوَامِ ، حَتَّى لَمْ تَعْرِفَ وَجَعَ الْمَفَاصِلِ ، وَلَا الْأَوْرَامِ ، إِلَّا لِقَلَّةِ الرِّزْقِ ، وَوَقَاحَةِ
الْأَكْلِ ، وَكَيْفَ لَا تَرُغِبُ فِي تَدْيِيرِ يَجْمَعُ لَكَ بَيْنَ صِحَّةِ الْبَدَنِ وَذِكَاةِ الدَّهْنِ وَصَلَاحِ الْمَعَادِ

(١) لامية العرب ٢٧ .

(٢) الزمى : الرضى عن كبر وهمهم .

(٣) ديوانه ٢٤٧ ، والبيت بتمامه :

يَا بُنَيَّ الْمُنْذِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَالْبُطْنَةُ يَوْمًا قَدْ تَأْفِنُ الْأَحْلَامَا

والقرب وعيش الملائكة . يا بُنَيَّ لم صار الضَّبُّ أطولَ شيءَ ذمًّا ! إلا لأنه يقبلُ بالقسيم . ولم زعم رسولُ الله صلى الله عليه وآله أن الصومَ وجاء ! إلا ليَجعله حجاباً دونَ الشهواتِ فافهمْ تأديبَ الله ورسوله ، فإنهما لا يَقصدانِ إلا مِثْلَكَ . يا بُنَيَّ ، إني قد بلغت تسعينَ عاماً ما نقصَ لي سنٌّ ، ولا انتشرَ لي عَصَبٌ ، ولا عرفتُ دينَ أنفٍ ، ولا سِيلانَ عَيْنٍ ، ولا تقطيرَ بَوْلٍ ، ما لذلكِ علةٌ إلا التَّخفيفُ من الزادِ ، فإن كنتَ تحبُّ الحياةَ فهذه سبيلُ الحياةِ ، وإن كنتَ تريدُ الموتَ فلا يُبعدُ الله إلا من ظلمَ .

وكان يقال : البِطْنَةُ تذهبُ الفِطْنَةُ .

وقال عمرو بنُ العاصِ لأصحابه يومَ حُكِّمَ الحَكيمانَ : أ كَثِروا لأبي موسى من الطَّعامِ الطَّيِّبِ فواللهِ ما بَطِنَ قومٌ قطَّ إلا قَدَّعُوا عُقُواتَهُمْ أو بَعْضُهَا ، وما مضى عزمُ رجلٍ باتَ بِطِينًا .

وكان يقال : أَقِلِّ طَعَامًا تَحْمَدَ مَنَامًا .

ودعا عبدُ الملكِ بنُ مروانَ رجلاً إلى الغَداءِ فقال : ما فيَّ فضلٌ ؛ فقال : إني أحبُّ الرجلَ يأكلُ حتَّى لا يكونَ فيه فضلٌ ؛ فقال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، عِنْدِي مُسْتَزَادٌ ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَصِيرَ إِلَى الْحَالِ الَّتِي اسْتَقْبَحَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .

وكان يقال : مَسْكِينُ بْنُ آدَمَ ، أَسِيرُ الْجُوعِ ، صَرِيحُ الشَّبَعِ .

وسألَ عبدُ الملكِ أبا الزُّعَيْرَةَ ؛ فقال : هل أَنْخِمْتَ قَطَّ ؟ قال : لا ، قال : وكيف ؟ قال : لَأَنَا إِذَا طَبَخْنَا أَنْصَجْنَا ، وَإِذَا مَضَعْنَا دَقَّقْنَا ، وَلَا نَكِظُ لِلْعَدَةِ وَلَا نُخْلِيهَا .

وكان يقال : مِنَ الْمَرْوَةِ أَنْ يَتْرُكَ الْإِنْسَانُ الطَّعَامَ وَهُوَ بَعْدُ يَشْتَهِيهِ .

وقال الشاعر :

فَإِنَّ قَرَابَ الْبَطْنِ يَكْفِيكَ مَلُوءُهُ وَيَكْفِيكَ سَوَاتِ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا
وقال عبد الرحمن بنُ أخى الأصمى : كان عَمِي يَقُولُ لِي : لَا تَخْرُجْ يَا بُنَيَّ مِنْ مَنْزِلِكَ

حَتَّى تَأْخُذَ حِلْمَكَ - يَعْنِي تَتَغَدَّى - فَإِذَا أَخَذْتَ حِلْمَكَ فَلَا تَزِدْ إِلَى حِلْمِكَ، فَإِنَّ السَّكَرَةَ
تَتَوَلَّى إِلَى قِلَّةٍ . وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ ، بِحَسَبِ
الرَّجُلِ مِنْ طَعَامِهِ مَا أَقَامَ صُلْبُهُ ، وَأَمَّا إِذَا أَبَيْتَ فُتِلَتْ طَعَامُ ، وَثَلَاثُ شَرَابٍ ،
وَوَثَلُ نَفْسٍ .

وَرَوَى حُذَيْفَةُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « مِنْ قَلَّ طَعْمُهُ ، صَحَّ بَطْنُهُ ، وَصَفَا
قَلْبُهُ ، وَمَنْ كَثُرَ طَعْمُهُ ، سَقَمَ بَطْنُهُ وَقَسَا قَلْبُهُ » ؛ وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « لَا تُبَيِّتُوا
الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، فَإِنَّ الْقَلْبَ يَمُوتُ بِهِمَا ، كَالزَّرْعِ يَمُوتُ بِإِكْثَارِ الْمَاءِ » .
وَرَوَى عَوْنُ بْنُ أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَكَلْتُ يَوْمًا ثَرِيدًا وَلَجًا سَمِينًا ، ثُمَّ
أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أَتَجَشَّأُ ، فَقَالَ : احْبِسْ جَشَأَكَ أَبَا جُحَيْفَةَ ، إِنْ أَكْثَرَ كَمْ شَبَعًا فِي
الدُّنْيَا أَكْثَرَ كَمْ جُوعًا فِي الْآخِرَةِ ، قَالَ : فَأَكَلْتُ أَبُو جُحَيْفَةَ بَعْدَهَا مِلءَ بَطْنِهِ إِلَى أَنْ
قَبَضَهُ اللَّهُ . وَأَكَلْتُ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَلِيلًا مِنْ تَمْرٍ دَقَلْتُ^(١) وَشَرِبْتُ عَلَيْهِ مَاءً ، وَأَمَرَ يَدَهُ
عَلَى بَطْنِهِ وَقَالَ : مَنْ أَدْخَلَهُ بَطْنُهُ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ :

فَإِنَّكَ مَهْمَا تُعْطِ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ وَفَرَجَكَ نَالَا مُنْتَهَى الذَّمِّ أَجْمَعًا
وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ الَّذِي قُبِلَ فِيهِ عِنْدَ الْحَسَنِ لَيْلَةً ، وَعِنْدَ الْحُسَيْنِ
لَيْلَةً ، وَعِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ لَيْلَةً ، لَا يَزِيدُ عَلَى اللَّقْمَتَيْنِ أَوْ الثَّلَاثِ ، فَيَقَالُ لَهُ : فَيَقُولُ :
إِنَّمَا هِيَ لِيَالٍ قَلِيلٌ ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَأَنَا خَائِصُ الْبَطْنِ ، فَضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعْنَهُ
اللَّهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ .

وَقَالَ الْحَسَنُ : لَقَدْ أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا مَا يَأْكُلُ أَحَدُهُمْ إِلَّا فِي نَاحِيَةِ بَطْنِهِ ، مَا شَبَعَ
رَجُلٌ مِنْهُمْ مِنْ طَعَامٍ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا ، كَأَنَّهُ يَأْكُلُ ، فَإِذَا قَارَبَ الشَّبَعَ أَمْسَكَ
وَأَنشَدَ الْمُبَرَّدُ :

(١) النمر الدقل : أَرَادَ التمر .

فإن امتلاء البطن في حسب الفتى قليل الغناء وهو في الجسم صالح
وقال عيسى عليه السلام : يا بني إسرائيل ، لا تكثروا الأكل ، فإنه من أكثر من
الأكل أكثر من النوم ، ومن أكثر النوم أقل الصلاة ، ومن أقل الصلاة كتب من
الغافلين : وقيل ليوسف عليه السلام : مالك لا تشبع وفي يدك خزائن مصر ؟ قال :
إنني إذا شبعت نسيت الجائعين .

وقال الشاعر :

وأكلة أوقعت في أهلك صاحبها كحبة القمح دقت عنق عصفور
لكثرة بجر يش الملح آكلها الذئب من تمره تحشى بزنبور

ووصف لسابور ذي الأكتاف رجل من إصطخر للقضاء ، فاستقدمه ، فدعاه إلى
الطعام ، فأخذ الملك دجاجة من بين يديه فنصفها ، وجعل نصفها بين يدي ذلك الرجل ،
فأتى عليه قبل أن يفرغ الملك من أكل النصف الآخر ، فصرفه إلى بلده ، وقال : إن
سلفنا كانوا يقولون : من شره إلى طعام الملك كان إلى أموال الرعية أشره .

قيل لسُميرة بن حبيب : إن أبنك أكل طعاماً فأنجم ، وكاد يموت ، فقال : والله
لو مات منه ما صليت عليه . أنس يرفعه : إن من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت .
دخل عمرُ على عاصم ابنه وهو يأكل لحماً ، فقال : ما هذا ؟ قال : قرنا إليه ،
قال : أو كلاً قرمت إلى اللحى أكلته ! كفى بالمرء شراً أن يأكل كل ما يشتهي .

أبو سعيد يرفعه : استعينوا بالله من الرغب ؛ قالوا : هو الشره ، ويقال : الرغب
شؤم . أنس يرفعه : أصل كل داء البردة ، قالوا : هي التخمعة ؛ وقال أبو ذرّيد : العرب
تعد بكثرة الأكل ، وأنشد :

لست بأكمدال كأكل العبد ولا بنوام كنوم الفهد

وقال الشاعر :

إِذَا لَمْ أَزُرْ إِلَّا كُلَّ أَكْلَةٍ فَلَا رَفَعَتْ كَفِّيَ إِلَى طَعَامِي
فَإِ أَكْلَةٍ إِنْ نِلْتُهَا بِغَنِيمَةٍ وَلَا جَوْعَةٍ إِنْ جُعْتُهَا بِفَرَامٍ

ابن عباس ، كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله يبيت طاوياً ليلالى ماله ولأهله عشاءً ، وكان عامةَ طعامِهِ الشعيرُ ؛ وقالت عائشة : والذي بعثَ محمداً بالحق ما كان لنا مُنْخَلٌ ، ولا أكل رسولُ الله صلى الله عليه وآله خُبْزاً مُنْخُولاً منذ بعثه الله إلى أن قُبِضَ ؛ قالوا : فكيف كنتم تأكلون دقيق الشعير ؟ قالت : كنا نقول : أَفٍ أَفٍ .

أنس ، ما أكل رسولُ الله صلى الله عليه وآله رغيفاً مُحَوَّراً إلى أن لقي ربه عزَّ وجلَّ .

أبو هريرة : ماشى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وأهله ثلاثة أيامٍ مُتَوَالِيَةٍ مِنْ خُبْزِ حِنْطَةٍ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا .

وروى مسروق قال : دخلتُ على عائشة وهي تبكي ؛ فقلتُ : ما يبكيك ؟ قالت : ما أشاء أن أبكى إِلَّا بِكَأَيْتٍ ، مات رسولُ الله صلى الله عليه وآله ولم يَشْعَ مِنْ خُبْزِ الْبُرِّ فِي يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ انْهَارَتْ عَلَيْنَا الدُّنْيَا .

حاتم الطائي :

وَإِنِّي لِأَسْتَجِيَّ صَحَابِي أَنْ يَرَوْا مَكَانَ يَدِي مِنْ جَانِبِ الزَّادِ أَقْرَعًا^(١)
أَقْصَرَ كَفِّي أَنْ تَنَالَ أَكْفَهُمْ إِذَا نَحْنُ أَهْوَيْنَا وَحَاجَاتُنَا مَعَا
أَيُّتُ تَحْيِيصَ الْبَطْنِ مِضْطَمِرَ الْحَشَا حَيَاءُ أَخَافُ الضَّمِيمَ أَنْ أَتَضَلَّعَا

فإنك إن أعطيت نفسك سُوءَهَا وَفَرَجَكَ نالاً مُنْهَى الذَّمِّ أَجْمَعاً
فأما قوله عليه السلام : « كان لا يَتَشَهَّى ، مالا يَجِدُ » فإنه قد نهى أن يتشهى
الإنسان مالا يَجِدُ ؛ وقالوا : إنه دليل على سُقوط المروءة .
وقال الأحنف : جُنُّوا بِجَالِسِنَا ذِكْرَ تَشَهَّى الْأَطْعِمَةِ وحديث النكاح .
وقال الجاحظ : جَلَسْنَا فِي دَارٍ فَعَمَلْنَا نَتَشَهَّى الْأَطْعِمَةَ ؛ فقال واحد : وأنا أَشْتَهَى
سِكِّبَاجاً^(١) كثيرة الزعفران .
وقال آخر : أنا أَشْتَهَى طَبَاجَةً نَاشِفَةً ، وقال آخر : أنا أَشْتَهَى هَرِيسَةً كثيرة
الدارصيني ، وإلى جانبنا امرأةٌ بيننا وبينها بئر الدار ، فضربت الحائط وقالت : أنا حامل ،
فأعطوني مِلءَ هذه الغَضَّارة من طَبِخِكُمْ ، فقال ثمامة : جارتنا تَشْتُمُّ رائحة الأمانى .

(٢٩٦)

الأفضل :

لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ، لَكَانَ يَجِبُ أَلَّا يُعْصَى شُكْرًا لِنِعَمِهِ .

الشرح :

قالت المعتزلة : إِنَّا لَوْ قَدَّرْنَا أَنَّ الْوَعِيدَ السَّمْعَى لَمْ يَرِدْ لَمَّا أَخْلَ ذَلِكَ بَكُونِ الْوَاجِبِ وَاجِبًا فِي الْعَقْلِ ، نَحْوَ الْعَدْلِ وَالصِّدْقِ ، وَالْعِلْمِ ، وَرَدِّ الْوَدِيعَةِ ، هَذَا فِي جَانِبِ الْإِثْبَاتِ ، وَأَمَّا فِي جَانِبِ السَّلْبِ فَيَجِبُ فِي الْعَقْلِ أَلَّا يَظْلِمَ ، وَأَلَّا يَكْذِبَ ، وَأَلَّا يَجْهَلَ ، وَأَلَّا يَخُونِ الْأَمَانَةَ ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ، فَقَالَتِ مَعْتَزِلَةُ بَغْدَادَ : لَيْسَ الثَّوَابُ وَاجِبًا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْعَقْلِ ، لِأَنَّ الْوَاجِبَاتِ إِنَّمَا تَجِبُ عَلَى الْمَكْلَفِ ، لِأَنَّ أَدَاءَهَا كَالشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى ، وَشُكْرُ الْمُنْعِمِ وَاجِبٌ ، لِأَنَّهُ شُكْرُ مَنْعٍ ، فَلَمْ يَبْقَ وَجْهُ يَفْتَضِي وَجُوبَ الثَّوَابِ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ؛ وَهَذَا قَرِيبٌ مِنْ قَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَقَالَ الْبَصْرِيُّونَ : بَلِ الثَّوَابُ وَاجِبٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى عَقْلًا ، كَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْعَوَضُ عَنْ إِيْلَامِ الْحَيِّ ؛ لِأَنَّ التَّكْلِيفَ إِلْزَامٌ بِمَا فِيهِ مَضَرَّةٌ ، كَمَا أَنَّ الْإِيْلَامَ إِنْزَالُ مَضَرَّةٍ ، وَالْإِزْلَامُ كَالْإِنْزَالِ .

(٢٩٧)

الأضل :

وقال عليه السلام للأشعث بن قيس وقد عزاه عن ابن له :
يَا أَشْعَثُ ، إِنْ تَحْزَنَ عَلَى ابْنِكَ فَقَدْ اسْتَحَقَّتْ ذَلِكَ مِنْكَ الرَّحِمُ ، وَإِنْ تَصْبِرُ
فَفِي اللَّهِ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ خَلْفٌ .
يَا أَشْعَثُ ، إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْجُورٌ ، وَإِنْ جَزَعْتَ جَرَى
عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْزُورٌ .
يَا أَشْعَثُ ، ابْنُكَ سَرَكٌ ، وَهُوَ بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ ، وَحَزَنَكَ ، وَهُوَ ثَوَابٌ وَرَحْمَةٌ .

الْبَرْحُ :

قد روى هذا الكلام عنه عليه السلام على وجوهٍ مختلفةٍ ورواياتٍ متنوعةٍ ، هذا
الوجهُ أحدهما ، وأخذ أبو العتاهية ألفاظه عليه السلام فقال لمن يعزّيه عن وَلَدٍ :
وَلَا بَدَّ مِنْ جَرَيَانِ الْقَضَاءِ إِمَّا مُثَابًا وَإِمَّا أُثِمًا
ومن كلامهم في التعازي : إِذَا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِشَيْءٍ فَالْهَعْنُ ، وَتُنَسَّبُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ إِلَى
عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ .

وذكر أبو العباس في الكامل أَنَّ عُقْبَةَ بْنَ عِيَاضٍ بْنَ تَيْمٍ أَحَدَ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ
أَسْتَشْهِدَ ، فَعَزَّيْ أَبَاهُ مُعَزٍّ ، فَقَالَ : احْتَسِبْهُ وَلَا تَجْزَعْ عَلَيْهِ ، فَقَدِمَاتِ شَهِيدًا ؛ فَقَالَ عِيَاضُ :
أَتَرَانِي كُنْتُ أَمْرًا بِهِ وَهُوَ مِنْ زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَأَسَاءَ بِهِ وَهُوَ مِنَ الْبَاقِيَاتِ الْبِصَالِحَاتِ !

وهذا الكلام مأخوذ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام .

ومن التّعازي الجيدة قولُ القائل :

ومن لم يزل غرضاً للمنو ن يترُكه كل يومٍ عَمِيداً^(١)
فإن هُنَّ أخطأته مرّةً فيوشيكُ خُطْبُها أن يعودا
فبينما يحميـد وأخطأته قصدن فأعجبنه أن يحميدا

وقال آخر :

هو الدهر قد جرّبته وعرفته فصبرا على مكروهه وتَجَلَّدَا
وما الناسُ إلّا سابقٌ ثمّ لاحقٌ وفاتت موتٍ سوفَ يلحقه غدا

وقال آخر :

أيّنا قدّمتْ صُرُوفُ الليالي فالذلّ أخرتْ سريعُ اللحاقِ
غَدَرَاتُ الأيامِ منتزعاتٌ عَنْقَيْنَا من أنسِ هذا العِناقِ^(٢)

ابنُ نُبَاتَةَ السَّعْدِي :

نُملّلْ بالدّواءِ إذا مَرَضْنَا وهل يَشْفِي من الموتِ الدّواءُ !
وتَخْتارُ الطَّيِّبَ وهل طَيِّبٌ يؤخّرُ ما يقدّمه القضاةُ !
وما أنفاسُنَا إلّا حسابٌ وما حَرَكَاتُنَا إلّا فَناءُ

البُحْتَرِيُّ :

إن الرّزيةَ في الفقيـدِ فإن هَفَاً : جزعٌ بلبّك فالرّزيةَ فيكَ^(٣)
ومَتَى وجَدْتَ النَّاسَ إلّا تارِكاً لحيمةً في التّربّ أو متروكةً
لو ينجلي لك ذخرها من نكبةٍ جليلٍ لأضحكك الذي يُبكيكَ

(١) رجل عميد : هذه العشق .

(٢) حاشية ب : قوله : « عَنْقَيْنَا » التثنية باعتبار التقديم والتأخر .

(٣) ديوانه ٢ : ١٥٣ ، من رثائه لمحمد بن وهب .

وكتب بعضهم إلى صديق له مات ابنه : كيف شُكرُك الله تعالى على ما أخذ من وديعته ، وعوّض من مَثُوبته !

وعزّى عمر بن الخطاب أبا بكرٍ عن طفلي ، فقال : عوّضك الله منه ما عوّضه منك ؛ فإنّ الطفل يعوّض من أبويهِ الجنة .

وفي الحديث المرفوع : « مَنْ عَزَّى مَصَابَا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ » .

وقال عليه السلام : « من كُنُوز السِّرِّ كَتَمَانُ المصائب ، وَكِتْمَانُ الأمراض وَكِتْمَانُ الصَّدَقَةِ » .

وقال شاعرٌ في رِثاءِ ولده :

وسمّيتهُ يَحْيَى لِيَحْيَا ولم يكنْ إلى رَدِّ أمرِ الله فيه سَبِيلُ
تَخَيَّرْتُ فيه القَالَ حين رُزِقْتُهُ ولم أَدِرْ أَنَّ القَالَ فيه يَفِيلُ

وقال آخر :

وهَوَّنَ وَجْدِي بعدَ فِقْدِكَ أَنِّي إِذَا شِئْتُ لَأَقِيْتُ امْرَأً مَاتَ صَاحِبُهُ
آخر :

وقد كنتُ أرجو لو تَمَلَّيت عَيْشَةً عَلَيْكَ اللَّيَالِي مَرَّهَا وَأَنْتَقَالَهَا
فَأَمَّا وقد أَصْبَحْتَ فِي قَبْضَةِ الرَّدَى فَقُلْ لِلْيَالِي فَلْتُصِيبْ مَنْ بَدَّالَهَا
أَخَذَهُ المُنْتَبِي فقال :

قد كنتُ أَشْفِقُ من دَمْعِي على بَصَرِي فاليوم كل عزيزٍ بَعْدَكُمْ هَانَا^(١)
ومِثْلُهُ لغيره :

فراقك كنتُ أَخْشَى فافترقنا فن فارتق بَعْدَكَ لَا أَبَالِي

(٢٩٨)

الأفضل :

وقالَ عليه السلامَ عندَ وقوفِهِ على قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَاعَةَ دُفْنِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ :
إِنَّ الصَّبْرَ جَمِيلٌ إِلَّا عَنكَ ، وَإِنَّ الْجَزَعَ لَقَبِيحٌ إِلَّا عَلَيْكَ ، وَإِنَّ الْمَصَابَ بِكَ
جَلِيلٌ ، وَإِنَّهُ بَعْدَكَ لَقَلِيلٌ .

الْبُرْخ :

قد أخذتَ هذا المعنى الشعراء ؛ فقال بعضهم:
أَمَسْتُ بِجَفْنِي لِلدُّمُوعِ كَلُومٌ حَزَنًا عَلَيْكَ وَفِي الْخُلْدُودِ رُسُومٌ^(١)
وَالصَّبْرُ يُحَمَّدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ
وقال أبو تمام :
وقد كان يدعى لابسُ الصبرِ حازماً فقد صارَ يدعى حازماً حينَ يَجَزَعُ^(٢)
وقال أبو الطيب :
أَجِدُ الْجَفَاءَ عَلَى سِوَاكَ مُرَوَّةً وَالصَّبْرَ إِلَّا فِي نَوَاكٍ جَمِيلًا^(٣)
وقال أبو تمام أيضاً :
الصبرُ أجملُ غيرَ أنْ تَلْدَذاً في الحبِّ أَوْلَى أنْ يَكُونَ جَمِيلًا^(٤)

(١) الكامل : ٢ : ٤١ ، ونسبها إلى محمد بن عبد الله العتي .

(٢) ديوانه ٣٣٣ (بصرح الخياط) ، التبيان ١ : ٢٤٦ .

(٣) ديوانه ٣ : ٢٣٣ . (٤) ديوانه ٢٤٢ (بصرح الخياط) .

وقالت خنساء أخت عمرو بن الشريد :

ألا يا صخرُ إن أبكيت عيني . لقد أضحتني دهرًا طويلاً
بكيتك في نساء مُعولاتٍ . وكنتُ أحقَّ من أبدى العويلاً
دفعتُ بك الجليلَ وأنتَ حَيٌّ . فمن ذا يدفع الخطبَ الجليلاً !
إذا قُبِحَ البكاءُ على قَتيلٍ . رأيتُ بكاءك الحسنَ الجميلاً^(١)

ومثلُ قوله عليه السلام : « وإنه بعدك لقليل » ، يعنى المصاب ، أى لا مبالاة بالمصائب

بعد المصيبة بك ، قولُ بعضهم :

قد قلتُ للموتِ حين نازَلَهُ . والموتُ متدامةٌ على البُهمِـ
أذهبَ بمن شئتُ إذ ظفرتَ به . ما بعدَ يحى للموتِ من ألمِـ
وقال السمرُ ذلَ البرُوعى يرثى أخاه :

إذا مأتى يومٌ من الدهرِ بيننا . فحياك عنا شرقُهُ وأصائلُهُ^(٢)
أبى الصبرَ أن العينَ بعدك لم تزل . يُحَالِفُ جَفَنِيهَا قَدَى ما تَزَايِلُهُ
وكنتُ أُغيرُ الدمعَ قبلكَ من بكى . فأنتَ على من ماتَ بعدك شاغلُهُ
أعيني إذ أبكا كما الدهرُ فأسكيا . لمن نصرُهُ قد بانَ عنا ونائلُهُ
وكنتُ به أغشى القتالَ فعرزني . عليه من المقدارِ مَنْ لا أَقَاتِلُهُ
لممركُ إن الموتَ مِنّا لمولعٌ . بمن كان يُرجى نفعُهُ وفواضِلُهُ

قوله :

* فأنتَ على من ماتَ بعدك شاغلُهُ *

هو المعنى الذى نحن فيه ، وذكرنا سائرَ الأبيات لأنها فائقة بعيدة النظر

(١) ديوانها ٢٢٥ .

(٢) أمال اليزيدى ٣٢ ، ٣٣ .

وقال آخر يرثي رجلا اسمه جارية :

أجاريّ ما أزدادُ إلاّ صباةً عليك وما تزدادُ إلاّ تنائيا
أجاريّ لو نفسٌ فذت نفسٌ ميتةً فديتك مسرورا بنفسى وماليا
وقد كنت أرجو أن أراك حقيقةً فإل قضاء الله دون قضائيا
ألا فليمت من شاء بعدك إنما عليك من الأقدار كان حذاريا

ومن الشعر للنسوب إلى عليّ عليه السلام - ويقال : إنه قاله يوم مات رسول الله صلى الله عليه وآله :

كنت السواد لناظري فبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

ومن شعر الحماسة :

سأبكيك ما فاضت دموعي فإن تفض فحسبك منى ما تحب الجوانح
كان لم يمت حتى سواك ولم تقم على أحدر إلا عليك النواصح
لئن حسنت فيك المرائي بوصفها لقد حسنت من قبل فيك المدائح
فما أنا من رزه وإن جلّ جازع ولا بسرور بعد موتك فارح

(٢٩٩)

الأضل :

لَا تَصْحَبِ الْمَائِقَ فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَكَ فِعْلَهُ ، وَيَوَدُّ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ .

البشرخ :

المائق : الشديدُ الحقُّ ، والموق : شدةُ الحقِّ ، وإنما يزین لك فعله لأنه يعتقد فعله صواباً بحمقه فيزيئنه لك كما يزئ العاقل لصاحبه فعله لاعتقاد كونه صواباً ، ولكن هذا صوابٌ في نفس الأمر ، وذلك صوابٌ في اعتقاد المائق ، لا في نفس الأمر؛ وأما كونه يود أن تكون مثله فليس معناه أنه يود أن تكون أحق مثله ، وكيف وهو لا يعلم من نفسه أنه أحق ، ولو علم أنه أحق لما كان أحق ، وإنما معناه أنه لحبه لك ، وصحبته إياك ، يود أن تكون مثله ، لأن كل أحدٍ يود أن يكون صديقه مثل نفسه في أخلاقه وأفعاله ، إذ كل أحدٍ يعتقد صوابَ أفعاله ، وطهارة أخلاقه ، ولا يشعر بعبٍ نفسه لأنه يهوى نفسه ، فعيبُ نفسه مطوىٌ مستور عن نفسه ، كما تخفى عن العاشق عُيوبُ المَشوق.

(٣٠٠)

الأصل :

وقال عليه السلامُ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَسَافَةِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، فَقَالَ :
مَسِيرَةُ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ .

البَيِّنَةُ :

هكذا تقول العربُ « بينهما مسيرة يوم » بالهاء ولا يقولون « مسيرُ يوم » لأنَّ المسير المصدر ، والمسيرة الاسم .
وهذا الجوابُ تسميةُ الحكماء جواباً إقناعياً ، لأن السائل أراد أن يذكر له كمية المسافة مفضلة ، نحو أن يقول : بينهما ألف فرسخ أو أكثر أو أقل ، فعُدل عليه السلام عن ذلك وأجابه بغيره ، وهو جواب صحيح لا ريب فيه ، لكنه غير شافٍ لقليل السائل ، وتحت غرض صحيح ، وذلك لأنه سأله بحضور العامة تحت المنبر ، فلو قال له : بينهما ألف فرسخ مثلاً ، لكان للسائل أن يطالبه بالدلالة على ذلك ، والدلالة على ذلك يشق حصولها على البدئية ، ولو حصلت لَشَقَّ عليه أن يوصلها إلى فهم السائل ، ولو فهمها السائل لما فهمتها العامة الحاضرون ، ولصارَ فيها قولٌ وخلاف ، وكانت تكون فتنة أو شديها بالفتنة ، فعُدل إلى جواب صحيح إجمالاً أسكت السائل به ، وقنع به السامعون أيضاً واستحسنوه ، وهذا من نتائج حكيمته عليه السلام .

(٣٠١)

الأصل :

أَصْدِقَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ ، وَأَعْدَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ ؛ فَأَصْدِقَاؤُكَ : صَدِيقُكَ ، وَصَدِيقُ صَدِيقِكَ ،
وَعَدُوُّ عَدُوِّكَ . وَأَعْدَاؤُكَ : عَدُوُّكَ ، وَعَدُوُّ صَدِيقِكَ ، وَصَدِيقُ عَدُوِّكَ .

*** .

الشرح :

قد تقدّم القول في هذا المعنى .

والأصل في هذا أنّ صديقك جار مجرى نفسك ، فاحكم عليه بما تحكم به على
نفسك ، وعدوك ضدك ، فاحكم عليه بما تحكم به على الضدّ ، فكما أنّ من عاداك
عدوك ، وكذلك من عادى صديقك عدوك ، وكذلك من صادق صديقك فكأنّما
صادق نفسك ، فكان صديقا لك أيضا ، وأما عدوُّ عدوك فعدوُّك ؛ وضدّ
ضدّك ملائم لك ، لأنك أنت ضدّ لذلك الضدّ ، فقد اشتركتما في ضديّة ذلك الشخص ،
فكنتما متناسيين ، وأما من صادق عدوك فقد ماثل ضدّك ، فكان ضدّا لك أيضا ،
ومثل ذلك بياض مخصوص يُعَادَى سَوَاداً مخصوصاً ويضاده .

وهناك بياض ثانٍ هو مثل البياض الأول وصديقه ، وهناك بياض ثالث
مثل البياض الثاني ، فيكون أيضا مثل البياض الأول وصديقه ، وهناك بياض

رابعاً تأخذه باعتبار ضداً للسواد المخصوص المفروض ، فإنه يكون مماثلاً وصديقاً للبياض الأول ، لأنه عدو عدوه ؛ ثم نفرض^(١) سواداً ثانياً مضاداً للبياض الثانى ، فهو عدو للبياض الأول ، لأنه عدو صديقه ، ثم نفرض سواداً ثالثاً هو مُمَائِلُ السوادِ المخصوص . المفروض ، فإنه يكون ضداً للبياض المفروض المخصوص ، لأنه مُثَلِّ ضلّعه ؛ وإن مثلت ذلك بالحروف كان أظهر وأكثف .

(٣٠٢)

الأصل :

وقال عليه السلام لرجلٍ رآه يسعى على عدو له بما فيه إضراره بنفسه : إنما أنت كالطاعن نفسه ليقتل رذفه .

الشرح :

هذا يختلف باختلاف حال الساعي ، فإنه إن كان يضر نفسه أولا ثم يضر عدوه تبعاً لإضراره بنفسه ، كان - كما قال أمير المؤمنين عليه السلام - كالطاعن نفسه ليقتل رذفه ؛ والرذف : الرجل الذي ترتد فيه خلفك على فرس أو ناقة أو غيرها ، وفاعل ذلك يكون أسفه انخلق وأقلهم عقلاً ، لأنه يبدأ بقتل نفسه وإن كان يضر عدوه أولاً ، يحصل في ضمن إضراره بعدوه إضراره بنفسه ، فليس يكون مثلاً أمير المؤمنين عليه السلام منطبقاً على ذلك ، ولكن يكون كقولي في غزلي من قصيدتي لي :

إن ترم قلبى تضم نفسك إنه لك موطن تأوى إليه ومنزل^(١)

(١) تصبى أى تصيب .

(٣٠٣)

الأصل

ما أَكْثَرَ الْعَبْرَ وَأَقَلَّ الْإِعْتِبَارَ !

الشيْرُخ :

ما أوجز هذه الكلمة وما أعظم فائدتها ! ولا ريب أن العبر كثيرة جداً ، بل كلّ شيء في الوجود ففيه عِبرةٌ ، ولا ريب أن المعتبرين بها قليلون ، وأنّ الناس قد غلب عليهم الجهل والهوى ، وأرداهم حبُّ الدنيا ، وأسكّهم حُرُها ؛ وإنّ اليقين في الأصل ضعيف عندهم ، ولولا ضعفه لكانت أحوالهم غير هذه الأحوال .

(٣٠٤)

الأفضل :

مَنْ بَالَعَ فِي الْخُصُومَةِ أَثِمَ ، وَمَنْ قَصَرَ فِيهَا ظَلِمَ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ
مَنْ خَاصَمَ .
الشَّح :

هذا مثل قوله عليه السلام في موضع آخر : الغالب بالشر مغلوب .
وكان يقال : ماتساب اثنان إلا غلب الأُهمما .
وقد نهى العلماء عن الجدل والخصومة في الكلام والفقهاء ؛ وقالوا : إنهما مظنة المباحة
وطلب الرئاسة والغلبة ، والمجادل يكره أن يقهره خصمه ؛ فلا يستطيع أن يتقى الله .
وهذا هو كلام أمير المؤمنين عليه السلام بعينه .
وأما الخصومة في غير العلم كمنازعة الناس بعضهم بعضاً في أمورهم الدنيوية ، فقد
جاء في ذمها والنهي عنها شيء كثير ، وقد ذكرنا منه فيما تقدم قولاً كافياً ؛ على أن
منهم مَنْ مدح الجهل والشر في موضعهما .
وقال الأحنف : ماقل سفهاء قوم إلا ذلوا .
وقال بعض الحكماء : لا يخرجنَّ أحد من بيته إلا وقد أخذ في حُجْرته قيراطين
من جهل ؛ فإن أجاهل لا يدفعه إلا الجهل . وقالوا : الجاهل من لا جاهل له .
وقال الشاعر :

إذا كنت بين الجهل والحلم قاعداً وخيرت أئني شئت فالعلم أفضل
ولكن إذا أنصفت مَنْ ليس منصفاً ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثل
إذا جاءني مَنْ يطلب الجهل عامداً فإني سأعطيه الذي هو سائل

(٣٠٥)

الأفضل

مَا أَهَمَّنِي أَمْرٌ أَتَمَّهِتُ بَعْدَهُ؛ حَتَّى أَصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ وَأَسْأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ ..

الشرح:

هذا فتحٌ لباب التوبة وتطريق إلى طريقها ، وتعليم للنهضة إليها والاهتمام بهام بها ، ومعنى الكلام أن الذنب الذي لا يعاجل الإنسان عقيبة بالموت ينبئ للإنسان ألا يهتم به ، أى لا يقطع رجاءه عن العفو وتأمله الغفران ، وذلك بأن يقوم إلى الصلاة عاجلاً ، ويستغفر الله ، ويندم ويعزم على ترك المعاودة ، ويسأل الله العافية من الذنوب والعصمة من المعاصي ، والعون على الطاعة ، فإنه إذا فعل ذلك بنية صحيحة واستوفى شرائط التوبة سقط عنه عقاب ذلك الذنب .

وفي هذا الكلام تحذيرٌ عظيم من مواجهة الذنوب ، لأنه إذا كان هذا هو محصول الكلام ، فكأنه قد قال الحذر الحذر من الموت المفاجئ قبل التوبة ، ولا ريب أن الإنسان ليس على ثقةٍ من الموت المفاجئ قبل التوبة ، إنه لا يفاجئه ولا يأخذه بغتةً ، فالإنسان إذا كان عاقلاً بصيراً يتوقى الذنوب والمعاصي التوقى .

(٢٠٦)

الأسئل

وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : كَيْفَ يُحَاسِبُ اللَّهُ الْخَلْقَ عَلَى كَثْرَتِهِمْ ؟ فَقَالَ : كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثْرَتِهِمْ .
فَقِيلَ : كَيْفَ يُحَاسِبُهُمْ وَلَا يَرَوْنَهُ ؟ فَقَالَ : كَمَا يَرْزُقُهُمْ وَلَا يَرَوْنَهُ .

الشرح

هذا جواب صحيح ، لأنه تعالى لا يرقهم على الترتيب ، أغنى واحداً بعد واحد ، وإنما يرزقهم جميعهم دفعةً واحدة ، وكذلك تكون محاسبتهم يوم القيامة .
والجواب الثانى صحيح أيضاً ؛ لأنه إذا صحَّ أن يرزقنا ولا نرى الرزاق ، صحَّ أن يحاسبنا ولا نرى المحاسب .
فإن قلت : فقد ورد أنهم يكتثون فى الحساب ألف سنة ؛ وقيل أكثر من ذلك ، فكيف يجمع بين ما ورد فى الخبر وبين قولكم : « إن حسابهم يكون ضربة واحدة » ! ولا ريب أن الأخبار تدلّ على أن الحساب يكون لواحدٍ بعد واحد .
قلت : إن أخبار الآحاد لا يُعمل عليها ؛ لا سيما الأخبار الواردة فى حديث الحساب والنار والجنة ، فإن المحدثين طعنوا فى أكثرها ، وقالوا : إنها موضوعة ، وجملة الأمر أنه ليس هناك تكليف ، فيقال إن ترتيب المحاسبة فى زمانٍ طويل جداً يتضمن لطفاً فى التكليف فيفعله البارئ تعالى لذلك ، وإنما الغرض من المحاسبة صدق الوعد وما سبق من القول ؛ والكتاب العزيز لم ينطق إلا بالمحاسبة محمّلةً ، فوجب القول بالمتيقن المعلوم فيها ورفض ما لم يثبت .

(٣٠٧)

الأضل

رَسُولُكَ تَرْجَانُ عَقْلِكَ ، وَكِتَابُكَ أَبْلَغُ مَا يَنْطِقُ عَنْكَ .

الشيخ :

قالوا في المثل : الرسول على قدر المرسل .

وقيل أيضا : رسولك أنت ، إلا أنه إنسان آخر .

وقال الشاعر :

تَخَيَّرَ إِذَا مَا كُنْتَ فِي الْأَمْرِ مَرْسِلًا فَبْلَغُ آرَاءِ الرِّجَالِ رَسُولُهَا
وَرَوَّ وَفَكَّرَ فِي الْكِتَابِ فَإِنَّمَا بِأَطْرَافِ أَقْلَامِ الرِّجَالِ عَقُولُهَا

(٣٠٨)

الأفضل :

مَا أَلْبَتَلَى الَّذِي قَدْ أَشْتَدَّ بِهِ الْبَلَاءُ ، بِأَحْوَجَ إِلَى الدُّعَاءِ مِنَ الْمَعَاذِ الَّذِي لَا يَأْمَنُ الْبَلَاءُ .

الشرح :

هذا ترغيب في الدعاء ، والذي قاله عليه السلام حق ، لأن المعافي في الصورة مبتلى في المعنى ، ومادام الإنسان في قيد هذه الحياة الدنيا فهو من أهل البلاء على الحقيقة ، ثم لا يأمن البلاء الحسى ، فوجب أن يتضرع إلى الله تعالى أنه ينقذه من بلاء الدنيا المعنوى ، ومن بلائها الحسى في كل حال .

ولا ريب أن الأدعية مؤثرة ، وأن لها أوقات إجابة ، ولم يختلف المليون^(١) والحكماء في ذلك .

(١) في ١ : « أصحاب الملل » .

— ٢٠٩ —

(٣٠٩)

الأفضل :

النَّاسُ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا ، وَلَا يُلَامُ الرَّجُلُ عَلَى حُبِّ أُمِّهِ .

الشيخ :

قد قال عليه السلام في موضع آخر : « الناس بزمانهم أشبه منهم بأبائهم » .

وقال الشاعر :

وَنَحْنُ بَنِي الدُّنْيَا غُذَيْنَا بِدَرِّهَا وَمَا كُنْتَ مِنْهُ فَهُوَ شَيْءٌ مَحَبَّبٌ^(١)

(١) اندر : اللبن ، والكلام على الاستمارة .

(٣١٠)

الأفضل :

إِنَّ الْمِسْكِينَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَمَنْ مَنَعَهُ فَقَدْ مَنَعَ اللَّهَ ، وَمَنْ أَعْطَاهُ فَقَدْ
أَعْطَى اللَّهَ .

الْبَيْزُ :

هذا حضٌ على الصدقة ، وقد تقدّم لنا قولٌ مقنع فيها .
وفى الحديث المرفوع : « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ » .
وقال صلى الله عليه وآله : « لَوْ صَدَّقَ السَّائِلُ لَمَا أَفْلَحَ مَنْ رَدَّه » .
وقال أيضا : « مَنْ رَدَّ سَائِلًا خَائِبًا لَمْ تَفْشَ الْمَلَائِكَةُ ذَلِكَ الْبَيْتَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ » .
وكان صلى الله عليه وآله لا يَكِلُ خَصْلَتَيْنِ إِلَى غَيْرِهِ : كَانَ يَصْنَعُ طَهُورَهُ ^(١) بِاللَّيْلِ
وَيُخَمِّرُهُ ، وَكَانَ يَنَاولُ الْمِسْكِينَ بِيَدِهِ .

وقال بعض الصالحين : مَنْ لَمْ تَكُنْ نَفْسُهُ إِلَى ثَوَابِ الصَّدَقَةِ أَحْوَجَ مِنَ الْفَقِيرِ إِلَى
صَدَقَتِهِ ، فَقَدْ أَبْطَلَ صَدَقَتَهُ ، وَضَرَبَ بِهَا وَجْهَهُ .
وقال بعضهم : الصَّلَاةُ تَبْلُغُكَ نِصْفَ الطَّرِيقِ ، وَالصَّوْمُ يَبْلُغُكَ بَابِ الْمَلِكِ ، وَالصَّدَقَةُ
تُدْخِلُكَ عَلَيْهِ .

(١) الطهور : الماء الذى يتطهر به . ويخمره : يستره .

(٣١١)

الأصل

مَا زَنَى غَيْرُهُ قَطُّ .

الشرح :

قد جاء في الأثر : مَنْ زَنَى زُنِيَ بِهِ وَلَوْ فِي عِقْبِ عِقْبِهِ .
وهذا قد جُرِّبَ فوجد حقاً ، وقلَّ مَنْ تَرَى مُقْدَاماً عَلَى الزَّنا إِلَّا وَالْقَوْلَ فِي حَرَمِهِ
وَأَهْلِهِ وَذَوِي تَحَارَمِهِ كَثِيرٌ فَاشٍ .
والكلمة التي قالها عليه السلام حقٌّ لأنَّ مَنْ اعتاد الزنا حتى صار دُرْبَتَهُ وَعَادَتَهُ
وَأَلْفَتَهُ نَفْسَهُ ، لَا بَدَّ أَنْ يَهْوَنَ عَلَيْهِ حَتَّى يَظُنَّهُ مَبَاحاً ، أَوْ كَالْمَبَاحِ ، لِأَنَّ مَنْ تَدَرَّبَ بِشَيْءٍ
وَمَرَّنَ عَلَيْهِ زَالَ قَبْحُهُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَإِذَا زَالَ قَبْحُ الزَّنا مِنْ نَفْسِهِ لَمْ يَعْظَمْ عَلَيْهِ مَا يُقَالُ فِي أَهْلِهِ ،
وَإِذَا لَمْ يَعْظَمْ عَلَيْهِ مَا يُقَالُ فِي أَهْلِهِ ، فَقَدْ سَقَطَتْ غَيْرَتُهُ .

— ٢١٢ —

(٣١٢)

الأفضل :

كَفَى بِالْأَجْلِ حَارِسًا !

الشرح :

قد تقدّم القول في هذا المعنى .

وكان عليه السلام يقول : إن عَلِيَّ من الله جُنَّةٌ ^(١) حصينة ، فإذا جاء يَوْمِي أَسَلْتَنِي ؛

فحينئذ لا يَطِيشُ السَّهْمُ ، ولا يبرأ الكَلَمُ .

والقول في الأجل وكونه حارساً شُعْبَةً من شُعَبِ القول في القضاء والقدر ، وله موضع

هو أَمَلَكُ بِهِ ^(٢) .

(٢) ١ : « أولى به » .

(١) الجنة بالضم : كل ما وقى .

— ٣١٣ —

(٣١٣)

الأفضل :

يَنَامُ الرَّجُلُ عَلَى الثُّكُلِ ، وَلَا يَتَلَمَّ عَلَى الْحَرْبِ .

قَالَ السَّيِّدُ : وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَصْبِرُ عَلَى قَتْلِ الْأَوْلَادِ ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى سَلْبِ الْأَمْوَالِ .

الْبَيْتُ :

كَانَ يَقَالُ : الْمَالُ عِذْلُ النَّفْسِ .

وَفِي الْأَثَرِ : أَنَّ مَنْ قُتِلَ مِنْ دُونِ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لَنَا لِإِبِلٍ غُرٌّ يَضِيقُ فَضَاؤُهَا	وَيَغْبِرُ عَنْهَا أَرْضُهَا وَسَمَاؤُهَا
فَمِنْ دُونِهَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُنَا	وَمِنْ دُونِنَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُهَا
حَتَّى وَقِرَّى فَالْمَوْتُ دُونَ مَرَامِهَا	وَأَيْسَرُ أَمْرٍ يَوْمَ حُقِّ قَنَاؤُهَا

(٣١٤)

الأجمل :

مَوَدَّةُ الْآبَاءِ قَرَابَةٌ بَيْنَ الْأَبْنَاءِ ، وَالْقَرَابَةُ أَخَوَجُ إِلَى الْمَوَدَّةِ مِنَ الْمَوَدَّةِ
إِلَى الْقَرَابَةِ .

الشرح :

كان يقال : الحبُّ يُتَوَارَثُ ، والبُغْضُ يُتَوَارَثُ .

وقال الشاعر :

أَبَقَى الضَّفَائِنَ آبَاءَ لِنَاسِلُفُوا فَلَنْ تَبِيدَ وَالْآبَاءُ أَبْنَاءُ

ولا خير في القرابة من دون مودة .

وقد قال القائل لما قيل له : أيُّما أحبُّ إليك ؟ أخوك أم صديقك ؟ فقال : إنما أحبُّ

أخي إذا كان صديقا .

فالتقربى محتاجة إلى المودة ، والمودة مستغنية عن القربى^(١) .

(٣١٥)

الأصل

أَتَقُوا ظُنُونَهُ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ .

الشرح :

كان يقال : ظَنُّ المؤمن كَهَانَةٌ .

وهو أثره جاء عن بعض السلف .

قال أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ^(١) :

الألمى الذى يَظُنُّ^(٢) بك الظَّنَّ كَانَ قد رأى وقد سَمِعَا^(٣) .

وقال أَبُو الطَّيِّبِ^(٤) :

ذَكَرْتُ تَظَنِّيهِ طَلِيعَةً عَيْنِهِ يَرَى قَلْبُهُ فِي يَوْمِهِ مَا يَرَى غَدًا^(٥)

(١) ديوانه ٥٣ .

(٢) الديوان : « لك » .

(٣) الألمى : الحديد اللسان والقلب؛ قال في الكامل :

« وقد أبانه بقوله : « الذى يظن بك الظن » . (٤) ديوانه ١ : ٢٨٢ .

(٥) التظني : هو التظن ، قلبت النون الثانية ياء : والطليلة : الذى يطلع القوم على العدو فإذا جاءهم العدو أنذروهم .

(٣١٦)

الأصل

لَا يَصْدُقُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَكُونَ إِيْمًا فِي يَدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَوْثَقَ مِنْهُ إِيْمًا فِي يَدِهِ .

الشرح :

هذا كلام في التوكل ، وقد سبق القول فيه .
وقال بعض العلماء : لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المقروض عليك من العمل ، فتضيع أمر آخرتك ، ولا تنال من الدنيا إلا ما كتب الله لك .
وقال يحيى بن معاذ في جود^(١) العبد : الرزق عن غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد .
وقال بعضهم : متى رضيت بالله وكَيْلًا « وجدت إلى كل خير سبيلًا »^(٢) .

(٢) زاد بعدما في ا : « واضحاً » .

(١) في ب : « وجود » تحريف .

(٣١٧)

الأضل :

وقال عليه السلام لأنس بن مالك ، وقد كان بعثه إلى طلحة والزبير لما جاء إلى البصرة يذكّرهما شيئا قد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله في معناهما ، فلوى عن ذلك فرجع إليه ، فقال : إني أنسيت ذلك الأمر ، فقال عليه السلام : إن كنت كاذبا فضربك الله بها بيضاء لامعة لا توارىها العيمة .

قال : معنى البرص ، فأصاب أنسا هذا الداء فيما بعد في وجهه ، فكان لا يرى إلا مة برصا .

الشيخ :

المشهور أن عليا عليه السلام ناشد الناس الله في الرحبة بالكوفة ، فقال : أنشدكم الله رجلا سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لي وهو منصرف من حجة الوداع : « من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وآل من والاه ، وعاد من عاداه » فقام رجال فشهدوا بذلك ، فقال عليه السلام لأنس بن مالك : لقد حضرتها ، فما بالك ! فقال : يا أمير المؤمنين كبرت سني ، وصار ما أنساه أكثر مما أذكره ؛ فقال له : إن كنت كاذبا فضربك الله بها بيضاء لا توارىها العيمة ، فما مات حتى أصابه البرص .

فأما ما ذكره الرضوي من أنه بعث أنسا إلى طلحة والزبير فغير معروف ، ولو كان قد بعثه لينذّرهما بكلام يختص بهما من رسول الله صلى الله عليه وآله لما أمكنه أن

يرجع ، فيقول : إني أنسيته ، لأنه ما فارقته متوجّها نحوها إلا وقد أقرّ بمعرفته وذكره ، فكيف يرجع بعد ساعة أو يوم فيقول : إني أنسيته ، فينكر بعد الإقرار ! هذا مما لا يقع .

وقد ذكر ابن قتيبة حديث البرص ، والدعوة التي دعا بها أمير المؤمنين عليه السلام على أنس بن مالك في كتاب ” المعارف ” ، في باب البرص ^(١) من أعيان الرجال ، وابن قتيبة غير متّهم في حقّ عليّ عليه السلام ، على المشهور من أنحرافه عنه .

(٣١٨)

الاضل :

إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالًَ وَإِدْبَارًا ، فَإِذَا أَقْبَلَتْ فَاحْمِلُهَا عَلَى النَّوَافِلِ ، وَإِذَا
أَذْبَرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَى الْفَرَائِضِ .

الشيخ :

لا ريب أن القلوب تمل كما تمل الأبدان ؛ وتقبل تارة على العلم وعلى العمل ، وتدبر
تارة عنهما .

قال على عليه السلام : فإذا رأيتموها مقبلة أى قد نشطت وارتاحت للعمل فاحملوها
على النوافل ؛ ليس يعنى اقتصروا بها على النافلة ، بل أدوا الفريضة وتنفلوا بعد ذلك .
وإذا رأيتموها قد ملّت العمل وسئت فاقصروا بها على الفرائض ، فإنه لا انتفاع بعمل
لا يحضر القلب فيه ^(١) .

(١) : « لا يحضره القلب » .

(٣١٩)

الأفضل :

فِي الْقُرْآنِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ .

الشرح :

هذا حق ؛ لأن فيه أخبار القرون الماضية ، وفيه أخبار كثيرة عن أمور مستقبلية ، وفيه أخبار كثيرة شرعية ؛ فالأقسام الثلاثة كلها موجودة فيه .

(٣٢٠)

الأضل

رُدُّوا الْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ ، فَإِنَّ الشَّرَّ لَا يَدْفَعُهُ إِلَّا الشَّرُّ .

الشَّنْخُ :

هذا مثل قولهم في المثل : إن الحديد بالحديد يُفْلَحُ وقال عمرو بن كلثوم .
أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ^(١)
وقال الفند الزَّمَانِي :

فَلَمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ فَأَمْسَى وَهُوَ عُرْيَانُ^(٢)
ولم يبقَ سِوَى الْعَدُوِّ نِ دِنَانِهِمْ كَمَا دَانُوا
وبعض الحلم عند الجهل لِسُلْذَلَّةٍ إِذْ عَانَ
وفي الشرِّ نَجَاةٌ حَيْثُ لَا يَنْجِيكَ إِحْسَانُ
وقال الأحنف :

وَذِي ضِعْفِ أَمْتِ الْقَوْلِ عَنْهُ بِحُلَى فَاسْتَمَرَ عَلَى الْمَقَالِ
ومن يَحْلُمُ وَلَيْسَ لَهُ سَفِيهَةٌ يُبْلِقُ الْمَعْضَلَاتِ مِنَ الرِّجَالِ

(١) من المعلقة ص ٣٢٣ - بشرح التبريزي . (٢) ديوان الحماسة ١ : ٢٣ - ٢٦ - بشرح التبريزي قالها في حرب البسوس .

— ٢٢٢ —

وقال الراجز :

لأبد للسودد من أزماح
وَمِنْ عَدِيدٍ يَتَقَى بِالرَّاحِ
* ومن سفيدٍ دائم الثَّباح *

وقال آخر :

ولا يلبثُ الجُهالُ أن يتهَضُّمُوا أيا الحلم مالم يستعِنَ بِجَهُولِ
وقال آخر :

ولا أتمنى الشرَّ والشرُّ تارِكِي ولكن متى أُحْمَلْ على الشرِّ أركبُ

— ٢٢٣ —

(٣٢١)

الأصل :

وقال عليه السلام لِكَاتِبِهِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ :
أَلَيْكَ دَوَاتِكَ ، وَأَطْلُ جِلْفَةَ قَلَمِكَ ، وَفَرِّجْ بَيْنَ السُّطُورِ ، وَقَرِّمِ بَيْنَ الْحُرُوفِ
فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْدَرُ بِصَبَاحَةِ الْخَطِّ .

البُزْجُ :

لاقَ الحَبْرُ بالكَاغِدِ يَلِيقُ ، أَى التَّصَقُّ ، وَلِقَتُهُ أَنَا يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى ، وَهَذِهِ
دَوَاةٌ مُلِيقَةٌ : أَى قَدْ أَصْلَحَ مَدَادُهَا ، وَجَاءَ أَلَى الدَّوَاةِ إِلَاقَةٌ فَهِيَ مُلِيقَةٌ ، وَهِيَ لَفَةٌ قَلِيلَةٌ
وَعَلَيْهَا وَرَدَتْ كَلِمَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .
وَيُقَالُ لِلْمَرْأَةِ إِذَا لَمْ تَحْظَ عِنْدَ زَوْجِهَا : مَا عَاقَتْ عِنْدَ زَوْجِهَا وَلَا لَاقَتْ ، أَى
مَا أَلْتَصَقَتْ بِقَلْبِهِ .

وَتَقُولُ : هِيَ جِلْفَةُ الْقَلَمِ بِالْكَسْرِ ، وَأَصْلُ الْجِلْفِ الْقَشْرُ ، جِلْفَتُ الطَّيْنِ مِنْ رَأْسِ
الدَّنِّ ، وَالْجِلْفَةُ هَيْئَةُ فَتْحَةِ الْقَلَمِ الَّتِي يَسْتَمَدُّ بِهَا الْمَدَادُ ، كَمَا تَقُولُ : هُوَ حَسَنُ الرَّكْبَةِ
وَالْجِلْسَةِ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْهَيْئَاتِ .

وَتَقُولُ : قَدْ قَرِّمْتُ فَلَانَ خَطْوَهُ إِذَا مَشَى مَشْيًا فِيهِ ضَيْقٌ وَتَقَارُبٌ ؛ وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ
فِي تَضْيِيقِ الْحُرُوفِ .

فَأَمَّا التَّفْرِيجُ بَيْنَ السُّطُورِ فَيُكْسَبُ الْخَطُّ بِهَاءٍ وَوَضُوحًا .

(٣٢٢)

الأفضل :

أنا يعسوبُ المؤمنين ، والمآلُ يعسوبُ الفجارِ .

قال : معنى ذلك أن المؤمنين يتبعوننى ، والفجار يتبعون المآل ؛ كما تتبع النحلُ يعسوبها ، وهو رئيسها .

الشرح :

هذه كلمة قالها رسول الله صلى الله عليه وآله بلفظين مختلفين ، تارة : « أنت يعسوب الدين » وتارة : « أنت يعسوب المؤمنين » ، والكل راجع إلى معنى واحد ، كأنه جعله رئيس المؤمنين وسيدهم ، أو جعل الدين يتبعه ، ويقف أثره ؛ حيث سلك كما يتبع النحلُ اليعسوب .

وهذا نحو قوله : « وأدير الحقَّ معه كيف دار » .

(٣٢٣)

الأصل :

وقال لبعض اليهود حين قال له : مادَفَنْتُمْ نَبِيِّكُمْ حَتَّى اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ
فقال له :

إِنَّمَا اخْتَلَفْنَا عَنْهُ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِهِ ؛ وَلَكِنَّكُمْ مَا جَعَلْتُمْ أَزْجُلَكُمْ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّى
قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ : ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ^(١).

الشرح

ما أحسن قوله : « اختلفنا عنه لانيه » ، وذلك لأن الاختلاف لم يكن في التوحيد
والنبوة ؛ بل في فروع خارجة عن ذلك ، نحو الإمامة والميراث ، والخلاف في الزكاة
هل هي واجبة أم لا ؛ واليهود لم يختلفوا كذلك ، بل في التوحيد الذي هو الأصل .
قال المفسرون : مرؤوا على قوم يعبدون أصناما لهم على هيئة البقر ؛ فسألوا موسى أن يجعل
لهم إلها كواحد منها ، بعد مشاهدتهم الآيات والأعلام ، وخلصهم من رق العبودية ،
وعبرهم البحر ، ومشاهدة غرق فرعون ؛ وهذه غاية الجهل .

وقد روى حديث اليهودي على وجه آخر ؛ قيل : قال يهودي لعلي عليه السلام :
اختلفتم بعد نبيكم ولم يحفّ ماؤه - يعني غسله - صلى الله عليه وآله ، فقال عليه السلام :
وأنتم قلتم : اجعل لنا إلها كما لهم آلِهَةٌ ولما يحفّ ماؤكم .

(١) سورة الأعراف : ١٣٨ .

(٣٢٤)

الأفضل :

وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : بَأَى شَيْءٍ غَلَبْتَ الْأَقْرَانَ ؟ قَالَ :
مَا لَقِيتُ أَحَدًا إِلَّا أَعَانَنِي عَلَى نَفْسِي .

قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : يُومِي بِذَلِكَ إِلَى تَمَكُّنِ هَيْبَتِهِ فِي الْقُلُوبِ .

الشيخ :

قالت الحكماء : الوم مؤثر ، وهذا حق ، لأن المريض إذا تقرر في وهمه أن مرضه قاتل له ربما هلك بالوم ، وكذلك مَنْ تَلَسَّبَهُ الْحَيَّةُ^(١) ؛ ويقع في خياله أنها قاتلته ؛ فإنه لا يكاد يسلم منها ، وقد ضربوا لذلك مثالا ، الماشي على جذع معترض على مهواة ؛ فإن وهمه وتخيُّله السقوط يقتضى سقوطه ؛ وإلا فشيء عليه وهو منصوب على المهواة كشيء عليه وهو ملقى على الأرض ؛ لافرق بينهما إلا الوم والخوف والإشفاق والحذر ، فكَذَلِكَ الَّذِينَ بَارَزُوا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْأَقْرَانِ ؛ لَمَا كَانَ قَدْ طَارَ صَيْتُهُ ، واجتمعت الكلمة أنه ما بارزه أحد إلا كان المقتول ، غلب الوم عليهم ، فقصرت أنفسهم عن مقاومته ، وانخذلت أيديهم وجوارحهم عن مناهضته ؛ وكان هو في الغاية القصوى من الشجاعة والإقدام ، فيقتحم عليهم ويقبأهم .

(١) لسبته الحية : لدغته .

(٣٢٥)

الأفضل :

وقال عليه السلام لابنه :
يَا بُنَيَّ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْفَقْرَ ؛ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ ، فَإِنَّ الْفَقْرَ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ ،
مَذْهَبَةٌ لِلْعَقْلِ ، دَاعِيَةٌ لِلْعَقَتِ .

الشرح :

[نبذ من الأقوال الحكيمة في الفقر والغنى]

هذا موضع قد اختلف الناس فيه كثيرا ، ففضل قوم الغنى ، وفضل قوم الفقر .
فقال أصحاب الغنى : قد وصف الله تعالى المال ، فسماه خيراً ، فقال : ﴿ إِنِّي أَحْبَبْتُ
حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾ (١) .
وقال ممتناً على عباده ، واعداهم بالإِنعام والإِحسان : ﴿ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ
وَبَنِينَ ﴾ (٢) .

وقال : ﴿ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴾ (٣) .
وقال النبي صلى الله عليه وآله : « المال الحَسْب ، إن أحساب أهل الدنيا هذا المال » .
وقال عليه السلام : « نعم العون على تقوى الله المال » .

(٢) سورة نوح ١٢ .

(١) سورة ص ٣٢ .

(٣) سورة المدثر ١٢ .

قالوا : ولا ريب أن الأعمال الجليلة العظيمة الثواب لا يتهيأ حصولها إلا بالمال؛ كالحجّ والوقوف والصدقات والزكوات والجهاد .

وقد جاء في الخبر : « خير المال سكة مابورة^(١) أو مِهْرَة مأمورة » .

وقالت الحكماء : المال يرفع صاحبه وإن كان وضيع النسب ، قليل الأدب وينصره وإن كان جباناً ، ويسط لسانه وإن كان عيياً ، به تُوصَل الأرحام ، وتُصانُ الأعراض ، وتظهر المروءة ، وتتم الرياسة ، ويعمر العالم ، وتُبلَغ الأعراض ، وتُدرك المطالب ، وتُنال المآرب ؛ يصلك إذا قطعك النَّاس ، وينصرك إذا خذلك ، ويستعبد لك الأحرار ، ولو لا المال لما بان كرمُ الكريم ، ولا ظهر لؤم اللئيم ، ولا شُكر جواد ، ولا ذمُّ بخيل ، ولا صين حريم ، ولا أدرك نعيم .

وقال الشاعر :

المال أنفعُ للفتى من علمه والفقرُ أقتلُ للفتى من جهله
ماضٍ مَنْ رفع الدَّراهمُ قدره جهلٌ يَناطُ إلى دناءةٍ أصله
وقال آخر :

دعوتُ أخى فولى مشمئزاً وكبى درهمى لمّا دعوتُ
وقال آخر :

ولم أر أوفى ذِمَّةً من دراهمى وأصدقَ عهداً فى الأمور العظامِ
فكم خاتنى خلٌّ وثقتُ بعهدِهِ وكان صديقاً لى زمان الدَّراهمِ
وقال آخر :

أبو الأصفر المنقوش أنفعُ للفتى من الأصل والعلم الخطير المقدم

(١) السكة : الطرية . والمابورة : الملقحة ، وانظر نهاية ابن الأثير ١ : ١٠ .

وما مدح العلمَ امرؤٌ ظفرت به يداه ولكن كلُّ مُتَقَوٍّ ومعدِم

وقال الشاعر :

ولم أر بعد الدين خيراً من الغنى ولم أر بعد الكفر شرّاً من الفقر

وقال العتّابي : الناس لصاحب المال ألزَمُ من الشعاع للشمس ؛ وهو عندهم أرفع من السماء ، وأعذب من الماء ، وأحلى من الشهد ، وأزكى من الورد ؛ خطؤه صواب ، وسيئته حسنة . وقوله مقبول ، يُعَشَى مجلسه ، ولا يُمَلِّح حديثه ، والمفلس عندهم أكذب من لمعان السراب ، ومن رؤيا الكِظّة ، ومن مرآة اللقوة ، ومن سحاب تمّوز ، لا يسأل عنه إن غاب ، ولا يسلمّ عليه إذا قدم ؛ إن غاب شتموه ، وإن حضر طردوه ؛ مصاحفته تنقض الوضوء ، وقراءته تقطع الصلاة ؛ أثقل من الأمانة ، وأبفض من السائل المبرم .

وقال بعض الشعراء الظرفاء ، وأحسن كل الإحسان مع خلاعته :

أصونُ دراهمي وأذُبّ عنها	لعلّي أنها سيّفي وترُسي
وأذخرُها وأجمعُها بجهدِي	ويأخذ وارثي منها وعُرُسي
فيأكلها ويشربها هنيئاً	على النفقات من فقرٍ وجَسٍّ
ويقعد فوق قبري بعد موتي	ولا يتصدقن عني بفلسٍ
أحبّ إليّ من قصدي عظيماً	كبيراً أصله من عبد شمسٍ
أمدّ إليّ كفى مستميحاً	وأصبح عبداً خدمته وأمسي
وبتركتني أجر الرّجل منّي	وقد صارت كنفس الكلب نفسي

وقال أصحاب الفقر : الغنى سبب الطغيان ، قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ﴾ (٢) .
وكان يقال : الغنى يورث البطر ، وغنى النفس خيرٌ من غنى المال .
وقال محمود البقال :

الفقر خيرٌ فأتسّع واقتصدُ إنَّ من العِصَةِ ألاَّ تجِدُ
كَمْ واجِدٍ أطلق وجدانه عنانه في بعض مالم يُرِدُ
ومُدِينٍ للخمر غادٍ على سماع عُبُودٍ وغناء غَرِدُ
لو لم يَحِدْ خمرًا ولا مُسَمعا يردُّ بالماء غليلَ الكَبِدِ
كَمْ من يَدٍ للفقر عند امرئٍ طأطأ منه الفقر حتى اقتصدُ

وكان يقال : الفقر شعار الصالحين ، والفقر لباس الأنبياء .
ولذلك قال البحتري :

فقرٌ كفقّر الأنبياء وغربةٌ وصبايةٌ ليس بالبلاءِ بواحد (٣)
وكان يقال : الفقر يُخَفِّ ، والغنى مُثْقَل .
وفى الخبر : نجا المحفون .
وما أحسن قول أبي العتاهية :

ألم تر أن الفقر يُرَجِي له الغنى وأن الغنى يُحْشَى عليه من الفقر
وقد ذم الله تعالى المال ، فقال : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (٤) .

(٢) سورة الإسراء ٨٣ .
(٤) سورة الأنفال ٢٨ .

(١) سورة الملق ٦ ، ٧ .
(٣) ديوانه ١ : ١٦٨ .

وكان يقال : المال ملول ، المال ميّال ، المال غاد ورأخ ، طبع المال كطبع الصبي ،
لا يوقف على وقت رضاه ولا وقت سخطه . المال لا ينفعك حتى يفارقك .
وإلى هذا المعنى نظر القائل :

وصاحب صدقٍ ليس ينفع قربه ولا وده حتى تفارقه عمداً
— يعنى الدينار .

وما أحسنَ ماقاله الأول :

وقد يهلكُ الإنسانَ حسنُ رِيشِه كما يُذْبَحُ الطَّائِسُ من أجل ريشِه
وقال آخر :

رؤْيُكَ إنَّ المالَ يهلكُ ربَّه إذا جمَّ واستغلى وسدَّ طريقه
ومن جاوزَ الماءَ الغزيرَ فمَجَّه وسدَّ طريقَ الماءِ فهو غريقه

(٣٣٦)

الأفضل :

وقال لسائل سأله عن مسألة :

سَلْ تَفْقَهًا ، وَلَا تَسْأَلْ تَعْنَتًا ؛ فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْمُتَعَلِّمَ شَبِيهُ بِالْعَالِمِ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ الْمُتَعَتِّ شَبِيهُ بِالْجَاهِلِ .

الشرح :

قد ورد نهى كثير عن السؤال على طريق الإعانة .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له : من حق العالم ألا تكثر عليه بالسؤال ، ولا تُعْنِتَهُ في الجواب ، ولا تضع له غامضات المسائل ، ولا تلج عليه إذا كسل ، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ، ولا تُفْسِدْ له سرًّا ، ولا تفتن به عنده أحدًا ، ولا تنقلن إليه حديثًا ، ولا تطلبن عثرته ، وإن زلّ قبلت معذرتَه ، وعليك أن توقره وتُعْظِمَهُ لله مادام حافظًا أسر الله ، ولا تجلس أمامه ، وإذا كانت له حاجة فاسبق أصحابك إلى خدمته .

وقال ابن سيرين لسائل سأله : سل أخاك إبليس ، إنك لن تسأل وأنت طالب رشد .

وقالوا : اللهم إنا نعوذ بك أن تُعْنِتَ كما نعوذ بك أن نُعْمِتَ ، ونستكفيك أن تفصح ، كما نستكفيك أن تفصح .

وقالوا : إذا آانس المعلم من التلميذ سؤال التعنت حرّم عليه تعليمه .

(٣٢٧)

الأفضل :

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ فِي شَيْءٍ
لَمْ يُوَافِقْ رَأْيَهُ :
لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وَأَرَى فَإِذَا عَصَيْتُكَ فَأَطِئْنِي .

الشرح :

الإمام أفضل من الرعية رأياً وتديراً ، فالواجب على مَنْ يشير عليه بأمرٍ فلا يقبل
أن يطيعَ ويسلمَ ويعلم أن الإمام قد عرّف من المصلحة ما لم يعرف .
ولقد أحسن الصابي في قوله في بعض رسائله : ولولا فضلُ الرعاة على الرعايا في
بُعْدِ مَطَرَحِ النظرة ، واستشفاف عيب العاقبة ، لتساوت الأقدام ، وتقاربت الأفهام ،
واستغنى المأموم عن الإمام .

(٣٢٨)

الأصل :

وَرَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا وَرَدَ الْكُوفَةَ قَادِمًا مِنْ صِفِّينَ مَرَّ بِالشَّبَامِيِّينَ ،
فَسَمِعَ بُكَاءَ النِّسَاءِ عَلَى قَتْلِ صِفِّينَ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ حَرْبُ بْنُ شَرْحَبِيلَ الشَّامِيُّ ؛
وَكَانَ مِنْ وَجُوهِ قَوْمِهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّغَلِبُكُمْ نِسَاؤُكُمْ عَلَى مَا أَسْمَعُ إِلَّا تَهَوَّنَهُنَّ
عَنْ هَذَا الرَّنِّينِ !

وَأَقْبَلَ حَرْبُ يَمْشِي مَعَهُ وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَاكِبٌ ، فَقَالَ لَهُ : ارْجِعْ فَإِنَّ
مَشَى مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِي فِتْنَةٌ لِلْوَالِي وَمَذَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ .

الشرح :

قد ذكرنا نسب الشباميين فيما اقتصرناه من أخبار صِفِّينَ في أول الكتاب .

والرنين : الصوت ، وإنما جعله فتنة للوالي لما يتداخله من العجب بنفسه
والزهو ، ولا ريب أيضا في أنه مذلة للمؤمن ، فإن الرجل الماشي إلى ركب الفارس
أذل الناس .

(٣٢٩)

الأضل :

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ مَرَّ بِقَتْلَى الْخَوَارِجِ يَوْمَ النَّهْرَوَانِ :
 بُؤْسًا لَكُمْ ! لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ .
 فَقِيلَ لَهُ : مَنْ غَرَّهم يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟
 فَقَالَ :

الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ ، وَالنَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ ؛ غَرَّهُمْ بِالْأَمَانِيِّ ، وَفَسَحَتْ لَهُمْ
 فِي الْمَعَاصِي ، وَوَعَدَتْهُمْ الْإِظْهَارَ ؛ فَافْتَحَتْ بِهِمُ النَّارَ .

الشرح :

يَقَالُ : بُؤْسَى لَزَيْدٍ وَبُؤْسًا «بِالتَّنْوِينِ» لَزَيْدٍ ، فَبُؤْسَى نَظِيرُهُ نَعْمَى ، وَبُؤْسًا نَظِيرُهُ نَعْمَةٌ ،
 يَنْتَصِبُ عَلَى الْمَصْدَرِ .
 وَهَذَا الْكَلَامُ رَدٌّ عَلَى الْمَجْبُورَةِ ، وَتَصْرِيحٌ بِأَنَّ النَّفْسَ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ هِيَ الْفَاعِلَةُ .
 وَالْإِظْهَارُ : مَصْدَرٌ ، أَظْهَرْتَهُ عَلَى زَيْدٍ ، أَيْ جَعَلْتَهُ ظَاهِرًا عَلَيْهِ غَالِبًا لَهُ ، أَيْ وَعَدْتَهُمُ
 الْإِنتِصَارَ وَالظَّفَرَ .

— ٢٣٦ —

(٣٣٠)

الأصل :

اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ فِي الْخَلَوَاتِ ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ .

الشرح :

إذا كان الشاهد هو الحاكم استغنى عن يشهد عنده ؛ فالإنسان إذن جدير أن يتقن الله حق تقاّته ، لأنه تعالى الحاكم فيه وهو الشاهد عليه^(١) .

(١) : « فيه » .

(٣٣١)

الأصل :

وقال عليه السلام لما بلغه قتل محمد بن أبي بكر رضي الله عنه .
إنَّ حزننا عليه على قدر سُورِهِمْ بِهِ ، إِلَّا أَنَّهُمْ نُقِصُوا بغيضاً ؛
وَنُقِصْنَا حَبِيباً .

الشرح :

قد تقدّم ذكر مقتل محمد بن أبي بكر رضي الله عنه .
وقال عليه السلام : إنَّ حزننا به في العظم على قدر فَرَحِهِمْ به ؛ ولكن وقع
التفاوت بيننا وبينهم من وجه آخر ؛ وهو أنّا نقصنا حبيباً إلينا ، وأما هم فنقصوا
بغيضاً إليهم .
فإن قلت : كيف نقصوا ، ومعلوم أن أهل الشام ما نقصوا بقتل محمد شيئاً لأنه ليس
في عددهم !

قلت : لما كان أهل الشام يعدّون في كل وقت أعداءهم وبغضاءهم من أهل العراق ،
وصار ذلك العدد معلوماً عندهم محصور الكمية ، نقصوا بقتل محمد من ذلك العدد واحداً ،
فإنَّ النقص ليس من عدد أصحابهم ، بل من عدد أعدائهم الذين كانوا يتربّصون بهم
الدوائر ، ويتمنّون لهم الخطوب والأحداث ، كأنه يقول : استراحوا من واحدٍ من جملة
جماعة كانوا ينتظرون موتهم .

(٣٣٢)

الأصل :

وقال عليه السلام : العُمُر الَّذِي أُعْذَرَ اللَّهُ فِيهِ إِلَى ابْنِ آدَمَ سِتُّونَ سَنَةً .

الْمُنْزُح :

أُعْذَرَ اللَّهُ فِيهِ ؛ أَي سَوَّغَ لِابْنِ آدَمَ أَنْ يَعْتَذَرَ ، يَعْنِي أَنَّ مَا قَبْلَ السَّتِّينَ هِيَ أَيَّامُ الصَّبَا والشَّبَابِ والكُهُولَةِ ، وَقَدْ يُمَكِّنُ أَنْ يُعْذَرَ الْإِنْسَانُ فِيهِ عَلَى اتِّبَاعِ هَوَى النَّفْسِ لَغَلَبَةِ الشَّهْوَةِ وَشَرِّهِ الْخُدَاةِ ، فَإِذَا تَجَاوَزَ السَّتِّينَ دَخَلَ فِي سِنِّ الشَّيْخُوخَةِ ، وَذَهَبَتْ عَنْهُ غُلُوَاءُ شَرِّتِهِ ، فَلَا يُعْذَرُ لَهُ فِي الْجَهْلِ .

وَقَدْ قَالَتِ الشُّعْرَاءُ نَحْوُ هَذَا الْمَعْنَى فِي دُونَ هَذِهِ السَّنِّ الَّتِي عَيْنُهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وقال بعضهم :

إِذَا مَا الْمَرْءُ قَصَرَ . ثُمَّ مَرَّتْ عَلَيْهِ الْأَرْبَعُونَ عَنْ الرَّجَالِ
وَلَمْ يَلْحَقْ بِصَالِحِهِمْ فَدَغَّهُ فَلَيْسَ بِلَا حِقِّ أُخْرَى اللَّيَالِ

— ٢٣٩ —

(٣٣٣)

الأصل :

ما ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ الإِثْمُ بِهِ ، والغالبُ بالشرِّ مغلوبٌ .

الشَّيْخُ :

قد قال عليه السلام نحو هذا ، وذكرناه في هذا الكتابِ : مَنْ قَصَرَ فِي الْخُصُومَةِ ظُلِمَ وَمَنْ بَالَعَ فِيهَا أَثِمَ .

(٣٣٤)

الأصل :

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ ، فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتَّعَ بِهِ غَنِيٌّ ، وَاللَّهُ تَعَالَى جَدُّهُ سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ .

الشَّيْخُ :

قد تقدّم القولُ في الصَّدَقَةِ وفضلِها وما جاء فيها .

وقد ورد في الأخبار الصَّحِيحَةِ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ قَالَ : انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ ، فَلَمَّا رَأَى قَالَ : هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ! فَقُلْتُ : مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : هُمُ الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالًا ، إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ، مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ وَلَا بَقَرٍ وَلَا غَنَمٍ لَا يُوَدِّي زَكَاتَهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُعْظِمَ مَا كَانَتْ وَأَسْمَنَهُ ، تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا ، وَتَطَّاهُ بِأُظْلَافِهَا ، كُلَّمَا نَفِدَتْ أَخْرَاهَا عَادَتْ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا حَتَّى يَقْضَى اللَّهُ بَيْنَ النَّاسِ . . .

(٣٣٥)

الأفضل :

الاستغناء عن العذر ، أعز من الصدق به .

الشيخ :

رُوي « خير من الصدق » ، والمعنى : لا تفعل شيئاً تعتذر عنه وإن كنت صادقاً في العذر ، فالأفضل خير لك وأعز لك من أن تفعل ثم تعتذر وإن كنت صادقاً .

ومن حِكْمِ ابن المعتز : لا يقوم عزُّ الغضب بذلَّ الاعتذار .
وكان يقال : إياك أن تقومَ في مقامِ مَعذِرَةٍ ، فربَّ عذرٍ أسجلَ بذنبِ صاحبه .
اعتذر رجلٌ إلى يحيى بن خالد ، فقال له : ذنبك يستغيثُ من عذرك .
ومن كلامهم : ما رأيت عُذراً أشبهَ بذنبٍ من هذا .
ومن كلامهم : أضربهُ على ذنبه مائةً ، وأضربهُ على عُذره مائتين .
قال شاعرهم :

إذا كان وجهُ العذر ليس بواضحٍ فإنَّ أطراحَ العذر خيرٌ من العذرِ
كان النَّحْيُ يكره أن يُعتذر إليه ويقول : اسكُتْ مَعذُورا ، فإنَّ للمعاذيرَ
يحضُّرها الكذب .

(٣٣٦)

الأصل :

أَقْلُ مَا يَلْزَمُكُمْ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ أَلَّا تَسْتَعِينُوا بِنِعْمِهِ عَلَى مَعَاصِيهِ .

الشرح :

لا شُبْهَةَ أَنْ مِنَ الْقَبِيحِ الْفَاحِشِ أَنْ يُنْعِمَ الْمَلِكُ عَلَى بَعْضِ رَعِيَّتِهِ بِمَالٍ وَعَبِيدٍ وَسِلَاحٍ ،
فَيَجْعَلَ ذَلِكَ الْمَالَ مَادَّةً لِعِصْيَانِهِ وَالْخُرُوجِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يُحَارِبُهُ بِأُولَئِكَ الْعَبِيدِ ، وَبِذَلِكَ
السِّلَاحِ بَعِيْنَهُ .

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالِ الصَّابِيُّ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى سُبُكْتُكَيْنِ مِنْ عِزِّ الدَّوْلَةِ بِخُتْيَارٍ :
وَلَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ قَدِيمٍ تَوَاقَفْنَا وَرَايَاتُنَا خَافَقَةً عَلَى رَأْسِكَ ، وَعَمَالِيكُنَا عَنْ يَمِينِكَ
وَشِمَالِكَ ، وَخَيْلُنَا مُوسَمَةٌ بِأَسْمَانَا تَحْتِكَ ، وَثِيَابُنَا مَحْكُوكَةٌ فِي طِرَازِنَا عَلَى جَسَدِكَ ،
وَسِلَاحُنَا الْمَشْحُودُ لِأَعْدَائِنَا فِي يَدِكَ !

(٣٣٧)

الأصل :

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الطَّاعَةَ غَنِيمَةً الْأُكْيَاسِ عِنْدَ تَقْرِيطِ الْعَجْزَةِ .

الشرح :

الأُكْيَاسِ : الْعَقْلَاءُ أَوْ لَوْ الْأَلْبَابِ .

فال عليه السلام : جعلَ اللهُ طَاعَتَهُ غَنِيمَةً هَؤُلَاءِ ، إِذَا فَرَّطَ فِيهَا الْعَجْزَةُ الْمَخْذُلُونَ
 مِنَ النَّاسِ ، كَصَيْدٍ اسْتَذَفَ ^(١) لِرَجُلَيْنِ : أَحَدُهُمَا جَلَدٌ وَالْآخَرُ عاجزٌ ، فَقَعَدَ عَنْهُ الْعَاجِزُ
 لِعَجْزِهِ وَحِرْمَانِهِ ، وَاقْتَنَصَهُ الْجَلَدُ لَشَهَامَتِهِ وَقُوَّةِ جَدِّهِ ^(٢) .

(١) استذفَّ : تهيأ .

(٢) ١ : « وقوته » .

(٣٣٨)

الأصل :

السلطانُ وَزَعَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ .

الشرح :

الوازيغُ عن الشيء : الكافُ عنه ، والممانعُ منه ، والجمعُ وَزَعَةُ ، مِثْلُ قَاتِلٍ وَقَتْلَةٍ .
وقد قيل هذا المَعْنَى كثيراً ، قالوا : لا بدَّ للنَّاسِ مِنْ وَزَعَةٍ .
وقيل : ما يَزَعُ اللَّهُ عن الدِّينِ بالسلطانِ أَكْثَرُ ممَّا يَزَعُ عنه بالقرآن . وتُنَسَّبُ هذه
اللفظة إلى عُثْمَانَ بْنِ عَمَّانٍ .

قال الشاعر :

لَا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهَا لَهُمْ سَادُوا ^(١)
وكان يقال : السلطانُ القاهر وإن كان ظالماً خيراً للرعيَّةِ والملك من السلطان
الضعيف وإن كان عادِلاً .

وقال الله سبحانه : ﴿ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ
الْأَرْضُ ﴾ ^(٢) .

قالوا في تفسيره : أراد السلطان .

(١) للأئمة الأودى ، ديوانه ١٠ (ضمن مجموعة الطرائف الأدبية) .

(٢) سورة البقرة ٢٥١ .

(٣٣٩)

الأصل :

وقال عليه السلام في صفة المؤمن :

بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ ، وَحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ . أَوْسَعُ شَيْءٍ صَدْرًا ، وَأَقْدَلُ شَيْءٍ نَفْسًا .
يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ ، وَيَسْتَأْذِنُ السَّمْعَةَ . طَوِيلٌ عَمُّهُ ، بَعِيدٌ هَمُّهُ ، كَثِيرٌ صَمْتُهُ ، مَشْغُولٌ
وَقْتُهُ ، شَكُورٌ صَبُورٌ . مَغْمُورٌ بِفِكْرَتِهِ ، ضَمِينٌ بِخَلَّتِهِ . سَهْلٌ أَتْلِيلَقَةٍ ، لَيِّنٌ
الْعَرِيكَةِ ؛ نَفْسُهُ أَصْلَبُ مِنَ الصَّلْدِ ؛ وَهُوَ أَذْلُ مِنَ الْعَبْدِ .

الشرح :

هذه صفات العارفين ؛ وقد تقدم كثير من القول في ذلك .
وكان يقال : البِشْرُ عنوان التجاح ، والأمر الذي يختص به العارف أن يكون
بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ وهو حزين وحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ ، وإلا فالبِشْرُ قد يوجد في كثير
من الناس .
ثم ذكر أنه أوسع الناس صدرًا ، وأذلهم نفسًا ، وأنه يكره الرفعة والصيت .
وجاء في الخبر في وصفهم : « كلّ خامل نومة » .
وطول النعم وبعد الهم من صفاتهم ، وكذلك كثرة الصمت وشغل الوقت
بالذكر والعبادة ، وكذلك الشكر والصبر والأستغراق في الفكر وتدبر آيات الله تعالى
في خلقه ، والضنّ بالخلّة وقلة المحالطة والتوفّر على العزلة وحسن الخلق ولين الجانب ،
وأن يكون قوي النفس جدًّا ، مع ذلّ للناس وتواضع بينهم ؛ وهذه الأمور كلّها قد أتى
عليها الشرح فيما تقدم .

(٣٤٠)

الأفضل

الغنى الأَكْبَرُ اليأسُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ .

الشُّنْخُ :

هذه الكلمة قد رُوِيَتْ مرفوعةً ، وقد تقدّم القولُ في الطمع وذمّه ،
واليأسِ ومدحِهِ .

وفي الحديث المرفوع : « ازْهَدْ فِي النَّاسِ يُحِبَّكَ اللَّهُ ، وازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ
يُحِبَّكَ النَّاسُ » .

ومن كلام بعضهم : مَا أَكَلْتُ طَعَامَ وَاحِدٍ إِلَّا هُنْتُ عَلَيْهِ .
وكان يقال : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ طَمَعٍ يُدْخِلُنِي إِلَى طَمَعٍ ^(١) .

وقال الشاعر :

أَرْحَتُ رُوحِي مِنْ عَذَابِ الْمَلَاخِ لليأسِ روحٌ مِثْلُ رُوحِ النَّجَاحِ
وقال بعضُ الأدباء : هذا المعنى الَّذِي قد أَطْنَبَ فِيهِ النَّاسُ لَيْسَ كَمَا يَزْعُمُونَهُ ، لَعَمْرِي
إِنَّ الْيَأْسَ رَاحَةٌ ، وَلَكِنْ لَا كَرَاخَةَ النَّجَاحِ ، وَمَا هُوَ إِلَّا كَقَوْلِ مَنْ قَالَ : لَا أُدْرِي
نِصْفُ الْعِلْمِ ، فَقِيلَ لَهُ : وَلَكِنَّهُ النِّصْفُ الَّذِي لَا يَنْفَعُ !

وقال ابن الفضل :

لَا أَمْدَحُ الْيَأْسَ وَلَكِنَّهُ أَرْوَحُ لِلْقَلْبِ مِنَ الْمَطْمَعِ

(١) الطبع : الدلس .

أَفْلَحَ مَنْ أَبْصَرَ رَوْضَ الْمُنَى يُرْعَى فَلَمْ يَزْعَ وَلَمْ يَزْتَمِ
وَمَا يُرْوَى لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ الزَّاهِدِ :

قَدَّارُحْنَا وَاسْتَرْحْنَا مِنْ غُلُوبٍ وَرَوَاحِ
وَاتِّصَالِ بِأَمِيرٍ وَوَزِيرٍ ذِي سِمَاحِ
بَعْفَافٍ وَكَغَافٍ وَقُنُوعٍ وَصَّالِحِ
وَجَعَلْنَا الْيَأْسَ مِفْتَاحًا لِلْأَبْوَابِ النَّجَاحِ

(٣٤١)

الأصل :

الْمُسْتَوْ حُرٌّ حَتَّى يَعِدَ .

* * *

الْبَيْعُ :

[نبذ من الأقوال الحكيمة في الوعد والمطل]

قد سَبَقَ القولُ في الوَعْدِ وَاللَّطْلِ . ونحن نذكر هاهنا نُكْتًا أُخْرَى :

في الحديث المرفوع : « مَنْ وَعَدَ وَعَدًا فَكَأَنَّمَا عَهْدَ عَهْدًا » .

وكان يقال : الوعدُ دَيْنُ الْكِرَامِ ، والمطلُ دَيْنُ اللَّثَامِ .

وكان يقال : الوعدُ شَبَكَةٌ مِنَ شِبَاكِ الْأَحْرَارِ يَتَصِيدُونَ بِهَا لِلْحَامِدِ .

وقال بعضهم : الوعدُ مَرَضُ الْمَعْرُوفِ ، وَالْإِنْجَازُ بُرْؤُهُ .

وقال يحيى بن خالد : الوعدُ سَحَابٌ ، وَالْإِنْجَازُ مَطَرُهُ .

وفي الحديث المرفوع « عِدَّةُ الْمُؤْمِنِ عَطِيَّةٌ » .

وعنه عليه السلام : « لَا تُوَاعِدْ أَخَاكَ مُوعِدًا لِتُخْلِفَهُ » .

وقال يحيى بن خالد لبنيه : يَا بَنِيَّ ، كُونُوا أَسْدًا فِي الْأَقْوَالِ ، نُجَازًا فِي الْأَفْعَالِ ،

وَلَا تَعِدُوا إِلَّا وَتُجْزُوا ، فَإِنَّ الْحُرَّ يَثِقُ بِوَعْدِ الْكَرِيمِ ، وَرَبَّمَا أَدَانَ عَلَيْهِ .

وكان جعفر بن يحيى يَكْرَهُ الْوَعْدَ وَيَقُولُ : الْوَعْدُ مِنَ الْعَاجِزِ ، فَأَمَّا الْقَادِرُ فَالْنَّقْدُ .

وفي الحديث المرفوع : « مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ » .

وقال ابن الفضل :

أَثَرُوا وَلَمْ يَقْضُوا دِيُونََ غَرِيمِهِمْ وَاللَّؤْمُ كُلُّ اللَّؤْمِ مَطْلُ الْمُوَسِّرِ

وقال الآخر :

إِذَا أَتَتْ الْعَطِيَّةُ بِمَدِّ مَطْلٍ فَلَا كَانَتْ وَإِنْ كَانَتْ سَنِيَّةً

وكان يقال : المَطْلُ يَسُدُّ عَلَى صَاحِبِهِ بَابَ الْعُذْرِ ، وَيُوجِبُ عَلَيْهِ الْأَحْسَنَ وَالْأَكْثَرَ ، وَالتَّعْجِيلُ يُحَسِّنُ سَيِّئَهُ ، وَيَسْطُرُ عُذْرَهُ فِي التَّقْلِيلِ .

وقال يحيى بن خالد لبنيه : يَا بَنَى لَا تَمْطُلُوا مَعْرُوفَكُمْ ، فَإِنْ كَثِيرَ الْعَطَاءِ بَعْدَ الْمَطْلِ قَلِيلٌ ، وَهَجَلُوا فَإِنَّ عُذْرَكُمْ مَقْبُولٌ مَعَ التَّعْجِيلِ .

ومن كلام الحسن بن سهل : الْمَطْلُ يَذْهَبُ رَوْنَقَ الْبَرِّ ، وَيَكْدُرُ صَفْوَةَ الْمَعْرُوفِ ، وَيُحْبِطُ أَجْرَ الصَّدَقَةِ ، وَيَعْقِلُ اللِّسَانَ عَنِ الشُّكْرِ . وَلِلتَّعْجِيلِ حِلَاوَةٌ وَإِنْ قَلَّتِ الْعَارِفَةُ ، وَلَذَّةٌ وَإِنْ صَفُرَتِ الصَّنِيعَةُ ، وَرَبْمَا عَرَضَ مَا يَمْنَعُ الْإِنْجَازَ مِنْ تَعَذُّرِ الْإِمْكَانِ ، وَتَغْيِيرِ الزَّمَانِ ، فَبَادِرِ الْمَكْنَةَ ، وَعَاجِلِ الْقُدْرَةَ ، وَاتَّهَزِ الْفُرْصَةَ .

وقال الشاعر :

تُحْيِلُ عَلَى الْفَرَاغِ قَضَاءَ شُغْلِي وَأَنْتَ إِذَا فَرَعْتَ تَكُونُ مِثْلِي
فَلَا أَذْعَى بِخَادِمِكَ الْمَرْجَى وَلَا تُدْعَى بِسَيِّدِنَا الْأَجَلِّ

وقال آخر :

لَوْ عَلِمَ الْمَاطِلُ أَنَّ الْمِطْلَانَ فَقَدْ بِهِ يَذْهَبُ طَعْمُ النَّوَالِ
وَأَنَّ أَعْلَى الْبَرِّ مَا نَالَهُ طَالِبُهُ نَقْدًا عَقِيبَ السُّوَالِ
عَجَلَ لِلْسَّائِلِ مَعْرُوفَهُ مَهْنًا مِنْ طُولِ قِيلٍ وَقَالَ

(٣٤٢)

الأصل :

لَو رَأَى الْعَبْدُ الْأَجَلَ وَمَصِيرَهُ ، لَأَبْقَصَ الْأَمَلَ وَغُرُورَهُ .

الشرح :

قد تقدم من الكلام في الأمل ما فيه كفاية .

وكان يقال : وأعجبا لصاحب الأمل الطويل ! وربما يكون كفته في يد النساج وهو لا يعلم .

(٣٤٣)

الأصل :

يَكُلُّ أَمْرِي فِي مَالِهِ شَرِيكَانِ : أَلْوَارِثُ وَالْحَوَادِثُ .

الشرح :

أَخَذَهُ الرَّضِيُّ فَقَالَ :

خُذْ مِنْ تَرَائِيكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا شَرَّكَاءُكَ الْآيَامُ وَالْوَرَاثُ^(١)
 لَمْ يَقْضِ حَقَّ الْمَالِ إِلَّا مَعَشَرٌ نَظَرُوا الزَّمَانَ يَمِيتُ فِيهِ فَعَاءُوا
 وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : بَشَّرَ مَالَ الْبَخِيلِ بِحَادِثٍ أَوْ وَارِثٍ .
 وَرَأَيْتُ بِمُخَطَّأِ ابْنِ الْخَشَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى ظَهْرِ كِتَابِ « لَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ
 أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ ثُمَّ لِحَادِثٍ أَوْ وَارِثٍ » ، كَأَنَّهُ يَعْنِي ضَنْتَهُ بِهِ ، أَيْ لَا أُخْرِجُهُ عَنْ
 يَدَيَّ اخْتِيَارًا .

(١) ديوانه ١ : ١٧٨ .

— ٢٥٢ —

(٣٤٤)

الأفضل

الدّاعي بلا عمل ، كالرّامي بلا وتر .

الشّرح :

مَنْ خَلَا مِنَ الْعَمَلِ فَقَدْ أَخْلَى بِالْوَاجِبَاتِ ، وَمَنْ أَخْلَى بِالْوَاجِبَاتِ فَقَدْ فَسَقَ ،
وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ دُعَاءَ الْفَاسِقِ .

وَشَبَّهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالرَّامِيِ بِلَا وَتَرٍ ، فَإِنْ سَهَمَهُ لَا يَنْفِذُ ^(١) .

(١) ١ : « فَإِنْ سَهَمَهُ » .

(٣٤٥)

الأصل :

الْعِلْمُ عِلْمَانِ : مُطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ ، وَلَا يَنْفَعُ السَّمْعُ ، إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَطْبُوعُ .

الشرح :

هذه قاعدة حكمية مذكورة في الكتب الحكمية ، إن العلوم منها ما هو غريزي ، ومنها ما هو تكليفي ؛ ثم كل واحد من القسمين يختلف بالأشد والأضعف ، أما الأول فقد يكون في الناس من لا يحتاج في النظر إلى ترتيب المقدمات ، بل تنساق النتيجة النظرية إليه سؤقا من غير احتياج منه إلى التأمل والتدبر ، وقد يكون فيهم من هو دون ذلك ، وقد يكون من هو دون الدون ، وأما الثاني فقد يكون في الناس من لا يجدي فيه التعليم ، بل يكون كالصخرة الجامدة بلادة وغباوة ، ومنهم من يكون أقل تبليدا وجنوح ذهن من ذلك ، ومنهم من يكون الوقفة عنده أقل ، فيكون ذا حال متوسط ، وبالجملة فاستقراء أحوال الناس يشهد بصحة ذلك .

وقال عليه السلام : ليس يَنْفَعُ السَّمْعُ ، إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَطْبُوعُ ، يقول : إِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أحوال استعداد لم يَنْفَعِ الدَّرْسُ والتَّكْرَارُ ، وقد شاهدنا مثلَ هذا في حق أشخاص كثيرة اشتغلوا بالعلم الدَّهْرَ الأطول ؛ فلم يَنْجِعْ معهم العِلاجُ ، وفارقوا الدُّنْيَا وهم على الغريزة الأولى في الساذجية وعدم الفهم .

(٣٤٦)

الأفضل

صَوَابُ الرَّأْيِ بِالذُّوْلِ يُقْبَلُ بِإِقْبَالِهَا ، وَيُدْبِرُ بِإِدْبَارِهَا .

الشرح :

قال الصولي :

اجتمع بنو برمك عند يحيى بن خالد في آخر دولتهم وهم يومئذ عشرة ، فأداروا بينهم الرأي في أمر فلم يصلح لهم ، فقال يحيى : إنا لله ! ذهبنا والله دولتنا ! كنا في إقبالنا يُبرم الواحد منا عشرة آراء مُشكلة في وقت واحد ، واليوم نحن عشرة في أمرٍ غير مُشكّل ، ولا يصح لنا فيه رأي ! الله نسأل حُسن الخاتمة .

أرسل المنصور لما ^(١) هاضه أمر إبراهيم إلى عمه عبد الله بن علي وهو في السجن يستشيرُه ما يصنع ! وكان إبراهيم قد ظهر بالبصرة ، فقال عبد الله : أنا محبوس ، والمحبوس تحبوس الرأي ، قال له : فعلى ذاك ؟ قال يُفَرِّقُ الأموال كلها على الرجال ويلقاه ، فإن ظفر فذاك ، وإلا يتوجه إلى أبيه محمد بجرجان ، ويتركه يقدم على بيوت أموال فارغة ، فهو خير له من أن تكون الدبرة عليه ، ويقدم عدوه على بيوت أموال مملوءة .

قال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن أبي مسلم صاحب شرطة الحجاج يوماً : لعن الله رجلاً أجزأك ريسه ، وخرب لك آخرته . قال : يا أمير المؤمنين ، رأيتني والأمر عني مُدبر ولو رأيتني والأمر على مُقبل لا استكبرت مني ما استصغرت ، ولا ستعظمت مني ما استحققت .

(٣٤٧)

الأَجَلُ

الْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ ، وَالشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنَى .

الشرح :

قد سَبَقَ القولُ في أنَّ الأَجَلَ بالفَقِير أن يكون عَفِيفاً ، وأَلَّا يكون جَشِعاً حَرِيساً ، ولا جَادّاً في الطَّلَب مَتَهَالِكاً ، وأنه ينبغي أنه إذا افتقر أن يَتِيَه على الوَقْتِ وأَبْنَاءِ الوَقْتِ ، فإنَّ التَّيَه في مِثْل ذلك المَقَام لا بأسَ به ، لَيَبْعُدُ جَدّاً عن مَظَنَّةِ الحِرْصِ وَالطَّمَعِ .

وقد سبق أيضاً القولُ في الشُّكْرِ عند النِّعْمَةِ ووجوبه ، وأنه سبب لاسْتِدَامَتِهَا ، وأنَّ الإِخْلَالَ به داعيةٌ إلى زَوَالِهَا وانتِقَالِهَا ، وذَكَرْنَا في هذا الباب أموراً مُسْتَحْسَنَةً ، فَلْتَرَاجِعْ ، وقال عَبْدُ الصَّمَدِ بنُ المَعْدِلِ في العَفَافِ :

سَأَقْنِي الْعَفَافَ وَأَرْضَى الْكَفَافَ وليس غِنَى النَّفْسِ حَوْزُ الْجَزِيلِ
ولا أَنْصِدِّي لَشُكْرِ الْجَوَادِ ولا أَسْتَعِدَّ لَذَمِّ الْبَخِيلِ
وَأَعْلَمُ أَنَّ بَنَاتِ الرَّجَاءِ تُحَلُّ الْعَزِيزَ مَحَلَّ الذَّلِيلِ
وَأَنْ لَيْسَ مُسْتَغْنِيّاً بِالْكَثِيرِ لَيْسَ مُسْتَغْنِيّاً بِالْقَلِيلِ

(٣٤٨)

الأصل :

يَوْمُ الْعَذْلِ عَلَى الظَّالِمِ ، أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الْجَوْرِ عَلَى الْمَظْلُومِ .

الشرح

شيثان مؤلمان : أحدهما ينفق سريعا ، والآخر يدوم أبداً ؛ فلا جرم ، كان اليومُ
المذكور على الظالم ؛ أشدّ من يوم الجور على المظلوم .

(٣٤٩)

الأصل :

الأقوالُ بِمَحْفُوظَةٍ ، وَالسَّرَائِرُ مَبْلُوءَةٌ وَكُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ . وَالنَّاسُ
مَنْقُصُونَ مَدْخُولُونَ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ ، سَأَلْتُهُمْ مُتَعَتِّ ، وَجَبَّيْهُمْ مُتَكَلِّفٌ ،
يَكَادُ أَفْضَلُهُمْ رَأْيًا يَرُدُّهُ عَنْ فَضْلِ رَأْيِهِ الرِّضَا وَالسُّخْطُ ، وَيَكَادُ أَضْلَاهُمْ
عُودَاتُ كَوْنِهِ اللَّحْظَةُ ، وَتَسْتَحِيلُهُ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ .

الشرح :

السرائر هاهنا : ما أُسِرَّ في القلوب من النيات والعقائد وغيرها ، وما يخفى من
أعمال الجوارح أيضا . وبلاؤها : تعرُّفها وتصفُّحها ، والتمييز بين ما طاب
منها وما خبث .

وقال عمر بن عبد العزيز للأحوص لما قال :

سَتَبَلَى لَهَا فِي مُضَمَّرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا سَرِيرَةٌ حُبِّ يَوْمٍ تَبَلَى السَّرَائِرُ
إِنَّكَ يَوْمَئِذٍ عَنْهَا لَشَعُول .

ذَكَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّاسَ فَقَالَ : قَدْ عَمَّهِمُ النَّقْصُ إِلَّا الْمَعْصُومِينَ . ثُمَّ قَالَ : سَأَلْتُهُمْ
يَسْأَلُ تَعَتُّتًا ، وَالسَّوَالُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ مَذْمُومٌ ، وَجَبَّيْهُمْ مُتَكَلِّفٌ لِلْجَوَابِ ، وَأَفْضَلُهُمْ
رَأْيًا يَكَادُ رِضَاهُ تَارَةً وَسُخْطُهُ أُخْرَى يَرُدُّهُ عَنْ فَضْلِ رَأْيِهِ ، أَيْ يَتَّبِعُونَ الْهَوَى
(١٧ - نهج - ١٩)

ويكاد أصلهم عودا ، أى أشدّهم احتمالا .
 تنكّوه اللحظة ، نكأت القرحة إذا صدمتها بشيء فتقشرها .
 قال : « وتستحيله الكلمة الواحدة » ، أى تحيله وتغيّره عن مقتضى طبيعه ؛ يصفهم
 بسرعة التقلب والتلون ، وأنهم مطيعون دواعي الشهوة والغضب . واستفعل بمعنى
 « فعل » قد جاء كثيرا استفلظ العسل ، أى غلظ .

(٣٥٠)

الأضل :

قال : معاشِرَ النَّاسِ ، اتَّقُوا اللَّهَ ؛ فَكَمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ مَلَا يَبْلُغُهُ ، وَبَانَ مَلَا يَسْكُنُهُ ،
وَجَامِعٍ مَاسُوفٍ يَتْرُكُهُ ، وَلَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ ، وَمِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ ؛ أَصَابَهُ
حَرَامًا ، وَاحْتَمَلَ بِهِ آثَامًا ، فَبَاءَ بِوِزْرِهِ ، وَقَدِمَ عَلَى رَبِّهِ ، آسِفًا لَاهِقًا ، قَدْ خَسِرَ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ .

الْبُشْرُجُ

قد تقدّم شرحُ هذه المعاني والكلامُ عليها ، أمّا الآمالُ التي لا تُبَلِّغُ ، فأكثرُ من
أن تُحصَى ، بل لا نهايةَ لها .

وما أحسنَ قولَ القائل :

واحسرتنا ماتَ حَظِّي من وصالِكُم وللحُظوظِ كما للناسِ آجالُ
إنّ متَّ شوقًا ولم أبلُغْ مَدَى أُملي كم تحتَ هذِي القبورِ الخروسِ آمالُ !
وأما بناءُ مالا يُسْكَنُ ، فنحو ذلك .

وقال الشاعر :

ألم ترَ حَوْشَبَا بِالْأَمْسِ يَبْنِي بِناءَ نَفْعِهِ لِبْنِي نَفَيْلَهُ
يؤمِّلُ أَنْ يُعْمَرَ عَمْرُ نُوْحٍ وَأَمْرُ اللَّهِ يَطْرُقُ كُلَّ لَيْلِهِ
وأما جامعُ ماسوفٍ يتركه ، فأكثرُ الناسِ ، قال الشاعر :

وَذِي إِبِلٍ يَسْعَى وَيَحْسَبُهَا لَهُ أَخُو تَعَبٍ فِي رَغِيهَا وَدُؤُوبِ
عَدَتْ وَغَدَا رَبٌّ سِوَاهُ يَسُوقُهَا وَبُدِّلَ أَحْجَارًا وَجَالَ قَلْبِي

(٣٥١)

الأصل :

مِنَ الْعِصْمَةِ تَعَذَّرُ الْمَعَاصِي .

الشرح :

قد وردت هذه الكلمة على صيغ مختلفة . من العِصْمَةِ أَلَا تَقْدِر . وأيضا ، من العِصْمَةِ أَلَا تَجِد .

وقد رُوِيَ مَرْفُوعَةً أَيْضًا .

وليس المرادُ بِالْعِصْمَةِ هَاهُنَا الْعِصْمَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمُتَكَلِّمُونَ ، لِأَنَّ الْعِصْمَةَ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ شَرْطِهَا الْقُدْرَةُ ، وَحَقِيقَتُهَا رَاجِعَةٌ إِلَى لُطْفٍ يَمْنَعُ الْقَادِرَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّ غَيْرَ الْقَادِرِ فِي انْدِفَاعِ الْعُقُوبَةِ عَنْهُ كَالْقَادِرِ الَّذِي لَا يَفْعَلُ .

(٣٥٢)

الأصل :

ماء وجهك جامدٌ يُقَطِرُهُ السَّوَالُ ، فَأَنْظُرُ عِنْدَ مَنْ تُقَطِرُهُ .

الشرح

هذا حسن ، وقد أخذهُ شاعرُهُ فقال :

إذا أظمأتك أ كَفُّ اللُّثَامِ كَفَتِكَ الْقَنَاعَةُ شِبَعًا وَرِيًّا
فكن رجلاً رجله في الثرى وهامة ريمته في الثريا
فإن إراقة ماء الحيا دون إراقة ماء الحيا
وقال آخر :

رددت لي ماء وجهي في صفيحتيه ردَّ الصُّقَالُ بهاء الصَّارِمِ الجذِمِ
وما أبالي وخيرُ القول أصدقُه حقنت لي ماء وجهي أو حقنت دمي
وقال مصعب بن الزبير : إني لأستحي من رجل وجهه إلى رغبته ، فبات ليلته
يتملّل ويتقلقل على فراشه ، ينتظر الصبح ، قد جعلني أهلاً لأن يقطر ماء وجهه لدى
أن أردّه خائباً .

وقال آخر :

ماماه كَفَيْكَ إن أرسلت مُزْنَتَهُ من ماء وجهي إذا استقطرتَه عِوضُ

(٣٥٣)

الأضل

الثَّناءُ بِأَكْثَرِ مِنَ الاسْتِحْشاقِ مَلَقٌ ، وَالتَّقْصِيرُ عَنِ الاسْتِحْشاقِ عِيٌّ
أَوْ حَسَدٌ .

الشرح

كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يُثْنِيَ الشَّاعِرُ فِي شِعْرِهِ عَلَى الْمَدْحِ الثَّنَاءِ الْمَفْرُطِ ؛ وَيَقُولُونَ :
خَيْرُ الْمَدْحِ مَا قَارَبَ فِيهِ الشَّاعِرُ وَاقْتَصَدَ ، وَهَذَا هُوَ الْمَذْهَبُ الصَّحِيحُ ، وَإِنْ كَانَ قَوْمٌ
يَقُولُونَ : إِنْ خَيْرَ الشَّعْرِ الْمَنْظُومِ فِي الْمَدْحِ مَا كَانَ أَشَدَّ مُغَالَاةً وَأَكْثَرَ تَبْجِيلًا وَتَعْظِيمًا
وَوَصْفًا وَنَعْتًا .

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَحْمُولًا عَلَى الثَّنَاءِ فِي وَجْهِ الْإِنْسَانِ ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْمَوْصُوفُ
بِالْمَلَقِ إِذَا افْرَطَ ، فَأَمَّا مَنْ يُثْنِي بظَهْرِ الْغَيْبِ فَلَا يُوصَفُ ثَنًاؤُهُ بِالْمَلَقِ ؛ سِوَاهُ كَانَ مَقْتَصِدًا
أَوْ مَسْرِفًا .

وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وَالتَّقْصِيرُ عَنِ الاسْتِحْشاقِ عِيٌّ أَوْ حَسَدٌ » لَا مُزِيدَ عَلَيْهِ فِي
الْحُسْنِ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قَصَرَ بِهِ عَنِ اسْتِحْشاقِهِ كَانَ الْمَانِعُ إِمَّا مِنْ جَانِبِ الثَّنِي ، فَقَطْ مِنْ غَيْرِ تَعَلُّقٍ
لَهُ بِالثَّنِي عَلَيْهِ ، أَوْ مَعَ تَعَلُّقٍ بِهِ ، فَالْأَوَّلُ هُوَ الْعِيُّ وَالْخَصَرُ ، وَالثَّانِي هُوَ الْحَسَدُ وَالْمُنَافَسَةُ .

(٣٥٤)

الأصل :

أشدُّ الذُّنُوبِ ما اسْتَهَانَ بِهِ صاحبُها .

الشرح :

قد ذكرنا هذا فيما تقدّم وذكرنا العلة فيه ، وهي أن فاعلَ ذلك الذَّنْبِ قد جَمَعَ بين فعلِ الذَّنْبِ وفِعْلِ ذَنْبٍ آخَرَ ، وهو الاستهانة بما لا يُسْتَهَانُ به ، لأنَّ المعاصي لا هين فيها ، والصغير منها كبير ، والحقير منها عظيم ، وذلك لجلالةِ شأنِ المعصيةِ سبحانه . فأما من يذنب ويستعظم ما أتاه ، فخاله أخفّ من حالِ الأول ، لأنه يكاد يكون نادماً^(١) .

(١) بمدها في ا : « على ما فعل » .

(٣٥٥)

الأصل :

مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ ، وَمَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ ، وَمَنْ كَابَدَ الْأُمُورَ عَطِبَ ، وَمَنْ أَفْتَحَمَ اللَّجَجَ غَرِقَ ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ الشُّوءِ اتَّهَمَ .

وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ خَطَاؤُهُ ، وَمَنْ كَثُرَ خَطَاؤُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ .

وَمَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ غَيْرِهِ فَأَنكَرَهَا ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ فَذَلِكَ الْأَحَقُّ بِعَيْنِهِ .
وَالْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ .

وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ .
وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ .

الشرح :

كل هذه الفصول قد تقدم الكلام فيها وهي عشرة :

أولها : مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ ؛ كان يقال : أصليح نفسك أولاً ، ثم أصليح غيرك .

وثانيها : مَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ ؛ كان يقال : الحزن على المنافع الدنيوية سُمُّ تَرِيَاقَةِ الرِّضَا بِالْمَتَّاءِ .

وثالثها : من سَلَّ سيفَ البَغْيِ قُتِلَ به ؛ كان يقال : الباغى مَصْرُوعٌ وإن كَثُرَ جنودُهُ .

ورابئها : مَنْ كَابَدَ الأمورَ عَطِبَ ، ومن اقْتَحَمَ اللُّجَجَ غَرِقَ ؛ مثل هذا قولُ القائل :

مَنْ حَارَبَ الأَيَّامَ أَصْبَحَ رُحْمُهُ قِصْدًا وَأَصْبَحَ سَيْفُهُ مَقْلُولًا
وخامسُها : من دخل مَدَائِلَ السَّوءِ أَتَمَّ ؛ هذا مثل قولهم : من عَرَّضَ نفسه
للشُّبُهَاتِ فلا يُلَوِّمَنَّ مَنْ أَسَاءَ به الظَّنَّ .

وسادسُها : مَنْ كَثُرَ كلامُهُ . . . إلخ قوله : دَخَلَ النارَ ؛ قد تقدَّم القولُ في المنطِقِ
الزائد وما فيه من المحذور ؛ وكان يقال : قَلَمًا سَلِمَ مِكَثَارٌ ، أو أَمِنَ مِنْ عِثَارٍ .
وسابعُها : مَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ غَيْرِهِ فَأَنكَرَهَا ثَمَّ رَضِيَها لِنَفْسِهِ فذاك هو الأَحَقُّ
بَعَيْنِهِ ؛ وكان يقال : أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِمَا يَسْخَطُهُ مِنْ غَيْرِهِ .
وثامنُها : القناعة مالٌ لا يَنْفَدُ ؛ قد سَبَقَ القولُ في هذا ، وسيأتى أيضا .

وتاسعُها : من ذَكَرَ الموتَ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا باليسير ؛ كان يقال : إذا أَحْبَبْتَ
أَلَّا تَحْسُدَ أَحَدًا فَأَكْثَرَ ذِكْرَ الموتِ ، وأَعْلَمُ أَنَّكَ وَمَنْ تَحْسُدُهُ عَنْ قَلِيلٍ مِنْ
عَدِيدِ الْهَلَكَى .

وعاشِرُها : من عَلِمَ أَنَّ كلامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كلامُهُ إِلَّا فيما يَعْنِيهِ ؛ لا رَيْبَ أَنَّ
الكلامَ عَمَلٌ مِنَ الأَعْمَالِ ، وفِعْلٌ مِنَ الأَفْعَالِ ، فكما يُسْتَهْجَنُ مِنَ الإنسانِ أَلَّا يَزَالَ
يُحَرِّكُ يَدَهُ وإن كان عابثًا ، كذلك يُسْتَهْجَنُ أَلَّا يَزَالَ يُحَرِّكُ لِسَانَهُ فيما هو عَبَثٌ ،
أو يَجْرِي بِجَرَى الْعَبَثِ .

وقال الشاعر :

يَخُوضُ أَناسٌ فِي الكَلَامِ لِيُوجِزُوا وَلَلصَّمْتُ فِي بَعْضِ الأَحَايِينِ أَوْجَزُ
إِذَا كُنْتَ عَنْ أَنْ تُحْسِنَ الصَّمْتَ عاجزا فَأَنْتَ عَنِ الإِبْلَاجِ فِي القَوْلِ أَعْجَزُ

(٣٥٦)

الأصل :

لِلظَّالِمِ مِنَ الرِّجَالِ ثَلَاثُ عِلَامَاتٍ :
يُظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بِالْمُعَصِيَةِ ، وَمَنْ دُونَهُ بِالْغَلَبَةِ ، وَيُظَاهِرُ الْقَوْمَ الظَّالِمَةَ .

الشرح

يُمْكِنُ أَنْ يَفْسِّرَ هَذَا الْكَلَامُ عَلَى وَجْهَيْنِ :
أَحَدُهَا أَنَّ كُلَّ مَنْ وَجِدَتْ فِيهِ إِحْدَى هَذِهِ الثَّلَاثِ فَهُوَ ظَالِمٌ ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ
وَجِبَتْ عَلَيْهِ طَاعَةُ مَنْ فَوْقَهُ فَمَعْسَاهُ ، فَهُوَ بِعَصْيَانِهِ ظَالِمٌ لَهُ ، لِأَنَّهُ قَدْ وَضَعَهُ فِي غَيْرِ
مَوْضِعِهِ ، وَالظُّلْمُ فِي أَصْلِ الْلُغَةِ : هُوَ هَذَا الْمَعْنَى ، وَلِذَلِكَ سَمَّوْا اللَّبْنَ يُشْرَبُ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ
الرَّوْبَ مَظْلُومًا ، لِأَنَّ الشَّرْبَ مِنْهُ كَانَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ إِذَا لَمْ يَرُبْ وَلَمْ يَخْرُجْ زُبْدُهُ ،
فكَذَلِكَ مَنْ عَصَى مَنْ فَوْقَهُ فَقَدْ زَحَزَحَهُ عَنْ مَقَامِهِ إِذَا لَمْ يُطِعه . وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ
قَهَرَ مَنْ دُونَهُ وَغَلَبَهُ . وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ ظَاهَرَ الظَّالِمَةَ .

وَالْوَجْهَ الثَّانِي أَنَّ كُلَّ ظَالِمٍ فَلَا بَدَّ مِنْ أَجْمَاعِ هَذِهِ الْعِلَامَاتِ الثَّلَاثِ فِيهِ ؛ وَهَذَا
هُوَ الْأَظْهَرُ .

(٣٥٧)

الأصل :

عِنْدَ تَنَاهِي الشَّدَّةِ تَكُونُ الْفَرْجَةُ ، وَعِنْدَ تَضَائِقِ حَلَقِ الْبَلَاءِ يَكُونُ الرَّخَاءُ .

الشرح :

كان يقال : إذا اشتدَّ المضيّق ، اتسعتُ الطريق ، وكان يقال : توقعوا الفرج عند ارتجاج المخرج ، وقال الشاعر :

إِذَا بَلَغَ الْحَوَادِثُ مُنْتَهَاهَا فَرَجٌ بُعِيدَهَا الْفَرْجُ الْمَطْلَأُ
فَكَمْ كَرِبَ تَوَلَّى إِذْ تَوَالَى وَكَمْ خَطْبَ تَجَلَّى حِينَ جَلَّى
وَفِي الْأَثَرِ : تَضَائِقِي تَنْفَرِجِي ، سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا .

والفرجة بفتح الفاء : التفصّي من الهمّ ، قال الشاعر :
رَبِّمَا تَجْزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ لِلهِ فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ^(١)
فَأَمَّا الْفَرْجَةُ بِالضَّمِّ ، فُفَرْجَةُ الْحَائِطِ وَمَا شَبَّهَهُ .

(١) لأمية ابن أبي الصلت ، وقبله :

لَا تَضِيقَنَّ فِي الْأُمُورِ فَقَدْ يُكْشَفُ غَمَاؤُهَا بِغَيْرِ احْتِيَالٍ

(٣٥٨)

الأصل :

وقال عليه السلام لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: لَا تَجْعَلَنَّ أَكْثَرَ شُغْلِكَ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ ، فَإِنْ
يَكُنْ أَهْلُكَ وَوَلَدُكَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَوْلِيَاءَهُ ، وَإِنْ يَكُونُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ
فَمَا هُمُكَ وَشُغْلُكَ بِأَعْدَاءِ اللَّهِ !

الشرح :

قد تقدم القولُ نَحْوُ هذا المعنى ، وهو أمر بالتقويض والتوكل على الله تعالى فيمن
يُخْلِفُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ وَلَدِهِ وَأَهْلِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْلَمُ بِالْمَصْلَحَةِ ، وَأَرَأْفُ بِالْإِنْسَانِ مِنْ أَبِيهِ
وَأُمِّهِ ؛ ثُمَّ إِنْ كَانَ الْوَلَدُ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَلِيًّا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
لَا يُضَيِّعُهُ ، قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (١) .

وَكُلُّ وَلِيٍّ لِلَّهِ فَهُوَ مُتَوَكِّلٌ عَلَيْهِ لِمَحَالَّةِ ، وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ لَمْ يَجْزِ الْأَهْتَامُ لَهُ
وَالْإِعْتِنَاءُ بِأَمْرِهِ ، لِأَنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ تَجِبُ مُقَاطَعَتُهُمْ ، وَيَحْرُمُ تَوَلِّيُّهُمْ ، فَعَلَى كُلِّ حَالٍ لَا يَنْبَغِي
لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَحْفَلَ بِأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ .

واعلم أن هذا كلامُ العارفين الصّديّقين ، لا كلامُ أهل هذه الطبقات التي نمر فيها ،
فإن هذه الطبقات تقصّر أقدامهم عن الوصول إلى هذا المقام .

ويعجبني قولُ الشاعر :

أيا جامعَ المالِ وفَرَّتهُ لغيرك إذ لم تكن خالدا
فإن قلتَ : أجمعُه للبنين فقد يسبقُ الولدُ الوالدا
وإن قلتَ أخشى صروفَ الزمان فكن من تصاريفه واحدا

— ٢٦٩ —

(٣٥٩)

الأضل :

أَكْبَرُ الْعَيْبِ أَنْ تَعِيبَ مَا فِيكَ مِثْلُهُ .

الشينخ :

قد تقدّم هذا المعنى مراراً .

وقال الشاعر :

إذا أنت عِبتَ الأمر ثم أتيتَه فأنت ومن تُزري عليه سواه

(٣٦٠)

الأضل :

وهنا يحضرته رجلٌ رجلاً آخرٍ بسلامٍ وإد له فقال له : ليهنئك الفارس !
فقال عليه السلام :
لا تقل ذلك ، ولكن قل : شكوت الواهب ، وبورك لك في الموهوب ،
وبلغ أشده ، ورزقت بره .

الشيخ :

هذه كلمة كانت من شعار الجاهلية ، فهي عنها كما هي عن تحية الجاهلية : « أبيت
اللعن » ، وجعل عوضها « سلام عليكم » .
وقال رجلٌ للحسن البصري وقد بشره بسلام : ليهنئك الفارس ! فقال : بل
الراجل ، ثم قال : لا مرحبا بمن إن عاش كدني ، وإن مات هدني ، وإن كنت مُقلاً
أنصبتني ، وإن كنت غنياً أذهلني ، ثم لا أرضى بسعي له سعياً ، ولا بكدي عليه في
الحياة كداً ، حتى أشفق عليه بعد موتي من الفاقة ، وأنا في حالٍ لا يصل إلى من فرجه
سرورٌ ، ولا من همه حزن .

(٣٦١)

الأصل

وَبَنَى رَجُلٌ مِنْ عُمَّالِهِ بِنَاءً فَخْمًا فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
أُظْلِمَتِ الْوَرِقُ رُءُوسُهَا ؛ إِنَّ الْبِنَاءَ يَمِيفُ لَكَ الْغَنَى .

البشرح :

قد رُوِيَتْ هذه الكلمةُ عن عمر - رضى الله عنه - ذَكَرَ ذَلِكَ ابنُ قُتَيْبَةَ فِي
” عيون الأخبار “ .

وَرَوَى عَنْهُ أَيْضًا : لِي عَلَى كُلِّ خَائِنٍ أَمِينَانِ : الْمَاءُ وَالطِّينُ .
قَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ لِابْنِهِ جَعْفَرٍ حِينَ اخْتَطَّ دَارَهُ بِبَغْدَادَ لِبَيْنِيهَا : هِيَ قَيْصُكَ ، فَإِنْ
شَتَّ فَوْسَعَهُ ، وَإِنْ شَتَّ فُضِّيقَهُ .

وَرَأَاهُ وَهُوَ يَحْصَصُ حَيْطَانِ دَارِهِ الْمَبْنِيَّةِ بِالْأَجْرِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ تَغْطِي الذَّهَبَ بِالْفِضَّةِ ،
فَقَالَ جَعْفَرٌ : أَيْسَ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَكُونُ الذَّهَبُ خَيْرًا مِنَ الْفِضَّةِ ، وَلَكِنْ هَلْ تَرَى عَيْبًا ؟
قَالَ : نَعَمْ ، مَخَالَطَتُهَا دُورَ السُّوقَةِ .
وَقِيلَ لِيَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ .

أَلَا يَبْنِي الْأَمِيرُ دَارًا ، فَقَالَ : مَنْزِلِي دَارُ الْإِمَارَةِ أَوْ الْحَبْسِ .
وَكَانَ يُقَالُ ، فِي الدَّارِ : لَتَسْكُنَ أَوَّلُ مَا يُبْتَاعُ وَآخِرَ مَا يُبْتَاعُ .
وَمَرَّ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ بِآخَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِمْ وَهُوَ بِنَى دَارًا فَقَالَ : مَنْ ذَا الَّذِي يَقِيمُ كَفِيلًا .
وَقَالُوا : كُلُّ مَا يَخْرُجُ بِخُرُوجِكَ ، وَيَرْجِعُ بِرُجُوعِكَ ، كَالِدَارِ وَالنَّخْلِ وَنَحْوِهَا فَهُوَ كَفِيلٌ .

(٣٦٢)

الأصل :

وقيل له عليه السلام : لو سُدَّ على رجلٍ بابُ بيتٍ وترك فيه ، من أين كان
يأتيه رزقه ؟ فقال عليه السلام :
من حيث يأتيه أجله .

الشرح :

ليس معنى عليه السلام أن كل من يُسدُّ عليه بابُ بيت ؛ فإنه لا بد أن يرزقه الله
تعالى ، لأن العيان والمشاهدة تقتضي خلاف ذلك ؛ وما رأينا من سدَّ عليه بابُ بيت
مبدَّة طويلة فعاش ، ولا ريب أن من شقَّ أسطوانة وجعل فيها حيًّا ثم بنيت
الأسطوانة عليه فإنه يموت محتقنا ، ولا يأتيه رزقه ولا حياته ؛ ولأنَّ للحكماء أن يقولوا
في الفرق بين الموضعين : إنَّ أجله إنما يأتيه لأنَّ الأجل عدم الحياة ، والحياة تعدَّم
لعدم ما يوجبها ، والذي يُوجب استمرارها الغذاء ، فلما انقطع الغذاء حضر الأجل ،
فهذا هو الوجه الذي يأتيه منه أجله ، ولا سبيل إلى ذكر مثله في حضور الرزق لمن
يُسدُّ عليه الباب .

فإذا معنى كلامه عليه السلام أن الله تعالى إذا علم فيمن يجعل في دارٍ
ويُسدُّ عليه بابها أن في بقاء حياته لطفًا لبعض المكلفين فإنه يجب على
الله تعالى أن يُديم حياته ، كما يشاء سبحانه ؛ إما بغذاء يقيم به مادة حياته ، أو

— ٢٧٣ —

أو يديم حياته بغير سبب ، وهذا هو الوجه الذى منه يأتيه أجله أيضا ، لأن إِمَاتَةَ
الله المكلف أمرٌ تابعٌ للمصلحة ، لأنه لا بدّ من انقطاع التكليف على كلّ حال
للوجه الذى يذكره أصحابنا فى كتبهم ، فإذا كان الموتُ تابعاً للمصلحة ، وكان
الإحياء تابعاً للمصلحة ، فقد أتى الإنسان رِزقه - يعنى حياته - من حيثُ يأتيه أجله .
وانتظّم الكلام .

(٣٦٣)

الأصل :

وَعَزَى قَوْمًا عَنْ مَيِّتٍ مَاتَ لَهُمْ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
 إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَيْسَ بِكُمْ بَدَأٌ ، وَلَا إِلَيْكُمْ أَنْهَى ، وَقَدْ كَانَ صَاحِبُكُمْ هَذَا
 يُسَافِرُ ؟ فَقَالُوا : نَعَمْ ؛ قَالَ : فَعُدُّوهُ فِي بَعْضِ سَفَرَاتِهِ ، فَإِنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ وَإِلَّا
 قَدِمْتُمْ عَلَيْهِ .

الشرح

قد ألمَّ إبراهيمُ بنُ المُنْهَدِيِّ ببعض هذا في شعره الذى رثى به ولده فقال :
 يَثُوبُ إِلَى أَوْطَانِهِ كُلُّ غَائِبٍ وَأَحَدُهُ فِي الْغُيَابِ لَيْسَ يَثُوبُ^(١)
 تَبْدُلُ دَارًا غَيْرَ دَارِي وَجِيرَةً سِوَايَ وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَنُوبُ
 أَقَامَ بِهِمْ مُسْتَوْطِنًا غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى طُولِ أَيَّامِ الْمَقَامِ غَرِيبُ^(٢)
 وَإِنِّي وَإِنْ قَدِمْتُ قَبْلِي لِعَالِمٍ بَأْنِي وَإِنْ أَبْطَأْتُ عَنْكَ قَرِيبُ
 وَإِنْ صَبَاحًا نَلْتَقِي فِي مَسَائِهِ صَبَاحٌ إِلَى قَلْبِي الْغَدَاةَ حَبِيبُ

(١) من كلمة له في : الكامل ٤ : ٢٣ - ٢٥ .

بعده :

كَانَ لَمْ يَسْكُنْ كَالْفَصْنِ فِي مَيْعَةِ الضُّحَى سَقَاهُ النَّدَى فَاهْتَزَّ وَهُوَ رَطِيبُ

(٣٦٤)

الأفضل :

أَيُّهَا النَّاسُ ، لِيَرَأَكُمُ اللَّهُ مِنَ النِّعْمَةِ ، وَجِلِينَ ، كَمَا يَرَاكُمُ مِنَ النِّعْمَةِ فَرِيقِينَ .
إِنَّهُ مَنْ وَسَّعَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ ، فَلَمْ يَرِ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجًا ، فَقَدْ أَمِنَ مَخُوفًا ، وَمَنْ
ضَيَّقَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ ، فَلَمْ يَرِ ذَلِكَ اخْتِبَارًا ، فَقَدْ ضَيَّعَ مَأْمُولًا .

الشيخ :

قد تقدّم القول في استدراج المترّف الغنيّ ، واختبار الفقير الشقيّ ، وأنه يجب على
الإنسان وإن كان مشمولاً بالنعمة أن يكون وِجِلًا^(١) ، كما يجب عليه إذا كان فقيرًا أن
يكون شكورًا صبورًا .

(١) وِجِلًا : خائفًا .

(٣٦٥)

الأصلُ

يَا أُسْرَى الرَّغْبَةِ ، أَفْصُرُوا ، فَإِنَّ الْمَرْجَّ عَلَى الدُّنْيَا لَا يَرُوعُهُ مِنْهَا إِلَّا صَرِيفُ
أَنْيَابِ الْحِدْثَانِ .
أَيُّهَا النَّاسُ ؛ تَوَلَّوْا عَنْ أَنْفُسِكُمْ تَأْدِيبَهَا ، وَاعْدِلُوا بِهَا عَنْ ضَرَايَةِ عَادَاتِهَا .

الشرح :

ضَرَى يَضْرِي ضَرَايَةً مِثْلَ رَمَى يَرْمِي رِمَايَةً ، أَيْ جَرَى وَسَالَ ، ذَكَرَهُ ابْنُ
الْأَعْرَابِيِّ ، وَعَلَيْهِ يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ أَيْ اَعْدِلُوا بِهَا
عَنْ عَادَاتِهَا الْجَارِيَةِ ، مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ ، وَهَذَا خَيْرٌ مِنْ تَفْسِيرِ
الرَّاوَنْدِيِّ ؛ وَقَوْلُهُ : إِنَّهُ مِنْ ضَرَى الْكَلْبُ بِالصَّيْدِ ؛ لِأَنَّ الْمَصْدَرَ مِنْ ذَلِكَ الضَّرَاوَةَ
بِالْوَاوِ وَقَتَحَ الضَّادَ ، وَلَمْ يَأْتِ فِيهِ ضَرَايَةٌ .
وَقَوْلُهُ : « يَا أُسْرَى الرَّغْبَةِ » كَلِمَةٌ فَصِيحَةٌ .

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : « لَا يَرُوعُهُ مِنْهَا إِلَّا صَرِيفُ أَنْيَابِ الْحِدْثَانِ » ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَهْمَ
إِذَا وَثَبَ وَالدُّثْبَ إِذَا حَمَلَ يَصْرِفُ نَابَهُ ، وَيَقُولُونَ لِكُلِّ خَطْبٍ وَدَاهِيَةٍ : جَاءَتْ
تَصْرِيفُ نَابِهَا . وَالصَّرِيفُ : صَوْتُ الْأَسْنَانِ إِذَا عُنْدَرِغْدَةً أَوْ عِنْدَ شِدَّةِ الْفَضْبِ
وَالْحَنْقِ ، وَالْجُرْصِ عَلَى الْإِنْتِقَامِ ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي الدُّنْيَا وَالرَّغْبَةِ فِيهَا ، وَغَدَرِهَا وَحَوَادِثِهَا ، وَوُجُوبُ الْعُدُولِ
عَنْهَا ، وَكُسْرُ عَادَاتِ السُّوءِ الْمَكْتَسِبَةِ فِيهَا .

(٣٦٦)،

الأصل :

لَا تَظُنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَحَدٍ سُبُوءًا وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلًا^(١).

الشرح :

هذه الكلمة يزويها كثير من الناس لعمر بن الخطّاب ، ويرويها بعضهم لأمر المؤمنين عليه السلام . وكان ثمامة يحدث بسوء دِيحِي بن خالد وابنه جعفر . ويقول : إِنَّ الرّشيدَ نَكَبَ عَلِيٌّ بنَ عيسى بنَ ماهان^(٢) وألزمه مائة ألف دينارٍ أدّى منها خمسين ألفاً ، وبلغَ الباقي ، فأقسم الرّشيدُ إن لم يؤدِّ المالَ في بقية هذا اليوم وإلا قتله . وكان عليٌّ بنُ عيسى عدوّاً للبرامكة مكاشفاً ، فلما علم أنه مقتول سأل أن يُمكّن من السعي إلى الناس يستنجدهم ، ففسح له في ذلك ، ففضى ومعه وكيلُ الرّشيد وأعوأه إلى باب دِيحِي وجعفر ، فأشبلأ عليه^(٣) وصحّاح من صُلب أموالهما خمسين ألف دينارٍ في يلقى نهارَ ذلك اليوم بديوان الرّشيد باسم عليٍّ بن عيسى ، واستخلصاه ؛ فنقل بعض المنتصحين لهما إليهما أن عليٍّ بن عيسى قال في آخر نهار ذلك اليوم متمثلاً :

فَا بُقِيََا عَلِيٌّ تَرَكْتُمَانِي وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرَدَ الثُّبَالُ^(٤)

(١) في « حلا » ؛ وهو يستقيم أيضاً .

(٢) ب :: « هاهان » تصحيف .

(٣) أشبلأ : عطف .

(٤) اللسان (صرد) ، ونسبه إلى المنقرى يخاطب جريراً والفرزدق . وصرد السهم : هذ حده

فقال يحیی للناقل إلیه ذلك : یا هذا إنَّ المرعوب لیسبق لسانه إلی ما لم یخطر بقلبه .
وقال جعفر : ومن أين لنا أنه تمثّل بذلك وعنانا ، ولعله أراد أمراً آخر فكان
ثمامة یقول : ما فی الأرض أسودُّ من رجلٍ یتأوّل کلام عدوّه فیهِ ویحمّله علی
أحسن تحامّله .

وقال الشاعر :

إذا ما أنت من صاحبٍ لك زلّةٌ فكن أنت مُحْتَالاً لزلّته عُدراً^(١)

(١) لسالم بن وابصة ، من کلمة له فی أمالی الثعالی ٢ : ٢٢٤ .

(٣٦٧)

الأصل

إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ حَاجَةٌ فَابْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ ، فَيَقْضِيَ إِحْدَاهُمَا وَيَمْنَعَ الْأُخْرَى .

الشرح

هذا الكلام على حسب الظاهر الذى يتعارفه الناس بينهم ، وهو عليه السلام يسلك هذا المسلك كثيرا ، ويخاطب الناس على قدر عقولهم ، وأما باطن الأمر فإن الله تعالى لا يصلى على النبى صلى الله عليه وآله لأجل دعائنا إياه أن يصلى عليه ، لأن معنى قولنا : اللهم صل على محمد ، أى أكرمه ، وارفع درجته ، والله سبحانه قد قضى له بالإكرام التام ورفعة الدرجة من دون دعائنا ، وإنما تعبدنا نحن بأن نصلى عليه لأن لنا ثوابا فى ذلك ، لأن إكرام الله تعالى له أمر يستعقبه ويستتبعه دعاؤنا .

وأىضا فأى غضاضة على الكريم إذا سئل حاجتين فقضى إحداها دون الأخرى، إن كان عليه فى ذلك غضاضة فعليه فى رد الحاجة الواحدة غضاضة أيضا .

(٣٦٨)

الأضل

مَنْ ضَنَّ بِعِرْضِهِ فَلْيَدْعِ الْمِرَاءَ .

الشَّرْحُ :

قد تقدّم من القول في المراء ما فيه كفاية ، وحد المراء الجدال المتّصل لا يقصد به الحق .

وقيل لميمون بن مهران : مالك لا تفارق أحاك لك عن قيلي ؟ قال : لأنى لا أشاريه ولا أماريه .

وكان يقال : ما ضلّ قومٌ بعد إذ هداهم الله [تعالى] ^(١) إلا بالراء والإصرار في الجدال على نصرة الباطل .

وقال سفيان الثوري : إذا رأيت الرجل لجّوجاً مُمَارِياً معجباً بنفسه فقد تَمَّتْ خَسَارَتُهُ .

(١) من د .

(٣٦٩)

الأصل :

مِنْ الْخُرْقِ الْمَعَاجِلَةِ قَبْلَ الْإِمْكَانِ ، وَالْأَنَاءُ بَعْدَ الْفُرْصَةِ .

الشرح :

قد تقدّم القولُ في هذين المَعْنَيْنِ .

ومن كلامِ ابنِ المعتزِّ : إِمَّا لُ الْفُرْصَةُ حَتَّى تَفُوتَ عَجْزًا ، وَالْعَجَلَةُ قَبْلَ التَّكُنِّ خُرْقًا .

وقد جعلَ أميرُ المؤمنين عليه السلامُ كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ خُرْقًا ؛ وَهُوَ صَحِيحٌ ، لِأَنَّ الْخُرْقَ الْحَقُّ ، وَقَوْلَةُ الْعَقْلِ ، وَكِلْتَا الْحَالَتَيْنِ دَلِيلٌ عَلَى الْحَقِّ وَالنَّقْصِ .

(٣٧٠)

الأصل :

لَا تَسْأَلُ عَمَّا لَمْ يَكُنْ ، فِى الَّذِى قَدْ كَانَ لَكَ شُغْلٌ .

الشرح :

من هذا الباب قولُ أبى الطَّيِّبِ فى سَيفِ الدولة ^(١) :

لَيْسَ الْمَدَائِحُ تَسْتَوِى مَنَاقِبَهُ فَمَنْ كَلِّبَ وَأَهْلُ الْأَعْصُرِ الْأَوَّلِ ! ^(٢)
خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ فِى طَلْعَةِ الْبَدْرِ مَا يُفْنِيكَ عَنْ زُحَلٍ ^(٣)

(١) ديوانه ٣ : ٨١ .

(٢) كليب هو ابن ربيعة رئيس بني تغلب وسيدهم فى الجاهلية .

(٣) بعده :

وَقَدْ وَجَدْتَ مَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَإِنَّ وَجَدْتَ لِسَانًا قَائِلًا قُصْلٍ

(٣٧١)

الأضل

أَلْفِكْرُ مِرْآةٍ صَافِيَةٍ ، وَالْإِعْتِبَارُ مُنْذِرٌ نَاصِحٌ ، وَكَفَى أَدَبًا لِنَفْسِكَ تَجَنُّبُكَ
مَا كَرِهْتَهُ لِغَيْرِكَ .

الشرح :

قد تقدم القول في نحو هذا . وفي المثل : كفى بالاعتبار منذراً ، وكفى بالشيب
زاجراً ، وكفى بالموت واعظاً ، وقد سبق القول في وجوب تجنب الإنسان ما يكرهه
من غيره .

وقال بعض الحكماء : إذا أحببت أخلاق امرئ فكُنْه ، وإن أبغضتها
فلا تَكُنْه . أخذَه شاعرهم فقال :

إذا أعجبتك خِصَالُ امرئ فكُنْه يكن منك ما يُعْجِبُكَ
فليس على المجدِ والكرُمات إذا جتَّها حاجبٌ يُحْجِبُكَ

(٣٧٢)

الأفضل :

الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ ، فَمَنْ عَمِلَ عَمِلَ ، وَالْعِلْمُ يَهْتَفُ بِالْعَمَلِ ، فَإِنْ أَجَابَ
وَلَا أَرْتَحِلَ عَنْهُ .

الشرح :

لاخير في علم بلا عمل ، والعلم بغير العمل حجة على صاحبه ، وكلام أمير المؤمنين
عليه السلام يشعر بأنه لا عالم إلا وهو عامل ، ومُراده بالعلم هاهنا العرفان ؛ ولا ريب أن
العارف لا بد أن يكون عاملا .

ثم استأنف فقال : العلم يهتف بالعمل أى يُناديه ، وهذه اللفظة أستعاره .
قال : فإن أجابه ولا ارتحل ، أى إِنْ كان الإنسان عالما بالأُمور الدنيّة
ثم لم يعمل بها سلبه الله تعالى علمه ، ولم يمت إلا وهو معدود في زمرة الجاهلين ،
ويمكن أن يفسر على أنه أراد بقوله : ارتحل ارتحلت ثمرته ونتيجته ، وهى الثواب ،
فإن الله تعالى لا يثيب المكلف على علمه بالشرائع إذا لم يعمل بها ، لأن إخلاله
بالعمل يُحبط ما يستحقه من ثواب العلم لو قدرنا أنه استحقّ على العلم ثوابا ، وأتى
به على الشرائط التى معها يستحق الثواب .

(٣٧٣)

الأصل :

أيها الناس متاع الدنيا حطامٌ موبى ، فتجنبوا مرعاةً قلعتها أخطى من طمأنينتها ،
وبلقتها أزكى من ثروتها ، حكيمٌ على مكثريها بالفاقة ، وأغنى من غنى عنها
بالراحة ، من راقه زبرجها أعقبته ناظره كتمها ، ومن استشعر الشف بها ملأت
ضميره أشجاناً ، لمن رقص على سويداء قلبه ، هم يشعلهُ ، وغم يحزنهُ ، حتى يؤخذ
بكظمه فيلقى بالفناء ، منقطعاً أبهره ، هيئنا على الله فناؤه ، وعلى الإخوان
القائه .

ولما ينظر المؤمن إلى الدنيا بعين الاعتبار ، ويقتات منها بطن الاضطراب ،
ويسمع فيها بأذن السموت والابفاض ، إن قيل أترى قيل أكدى ، وإن فرح له
بالبقاء حزن له بالفناء ، هذا ولم يأتهم يوم هم فيه مبلسون .

الشرح :

متاع الدنيا : أموالها وقنيانها .
والحطام : ماتكسر من الحشيش واليبس ، وشبهه متاع الدنيا بذلك لحقارته .
وموبى : يحدث للوباء ، وهو المراض العام .
ومرعاة : بقعة ترعى ، كقولك مأسدة فيها الأسد ، ومحية ، فيها الحيات .
وقلعتها بسكون اللام . خيرٌ من طمأنينتها : أى كون الإنسان فيها منزجاً متهيئاً

للرحيل عنها خيرٌ له من أن يكون ساكنًا إليها ، مطمئنًا بالمقام فيها .
والْبُلْغَةُ : ما يُتَبَلَّغُ به . والثَّرْوَةُ : اليسار والغنى ، وإنما حُكِمَ على مُكثريها بالفاقة
والفقر لأنهم لا ينتهون إلى حَدٍّ من الثروة والمال إلا وجدوا واجتهدوا ، وحرصوا في
طلب الزيادة عليه ، فهم في كلِّ أحوالهم فقراء إلى تحصيل المال ، كما أن من لا مال له أصلا
يَجِدُ ويَتَّهَدُ في تحصيل المال ، بل ربما كان جدُّهم وحرصُهم على ذلك أعظم من كدِّح
الفقير وحرصه ، وروى : « وأعين من غني عنها » ومن رواه « أغنى » أى أغنى الله ،
من غنى عنها وزهد فيها بالراحة وخلو البال وعدم الهم والنهم .

والزُّبْرَج : الزينة ، وراقه : أعجبه .

والكَمَّة : العى الشديد ، وقيل : هو أن يولد أعمى .

والأشجان : الأحران .

والرقصُ بفتح القاف : الاضطراب^(١) والغليان والحركة .

والكظم بفتح الظاء : مجرى النفس .

والأبهران : عرفان متصلان بالقلب ؛ ويقال للميت : قد انقطع أبهره .

قوله : « وإنما ينظر المؤمن » : أخبار في الصورة ، وأمر في المعنى ، أى لينظر المؤمن إلى
الدنيا بعين الاعتبار ، وليأكل منها ببطان الاضطراب ، أى قدر الضرورة ، لا احتكار
أو استكثار ، وليسمع حديثها بأذن المقت والبغض ، أى ليتخذها عدوًا قد صاحبه في
طريق ، فليأخذ جذره منه جهده وطاقته ، وليسمع كلامه وحديثه لا أستماع مُصنَّع ومحب
واميق ، بل أستماع مُبغِض محترزم غائِلته .

(١) ب : « الاضطراب » تحريف .

ثم عاد إلى وصف الدنيا وطالبها فقال : إن قيل أُنْزِي قيل : أُنْزِي ، وفاعِلُ « أُنْزِي » هو الضمير العائد إلى من استشعر الشَّغَفَ بها . يقول : بينا يقال : أُنْزِي ، قيل : افتقر ، لأن هذه صِفة الدنيا في قلبها بأهلها ، وإن فرح له بالحياة ودوامها ، قيل : مات وعَدِمَ ، هذا ولم يأتهم يوم القيامة يوم هم فيه مُنْبِلِسُونَ ، ألبس الرجلُ يُبْلِسُ إبْلَاساً أى قَنِطَ ويئس ، واللفظ من لَفْظَات الكتاب العزيز ^(١) .

[نبذ من الأقوال الحكيمة في وصف حال الدنيا وُصُوفها]

وقد ذكرنا من حال الدنيا وُصُوفها وغَدْرِها بأهلها فيما تقدّم أبوابا كثيرة نافعة .

ونحن نذكر هاهنا زيادةً على ذلك .

فمن كلام بعض الحكماء : ويلٌ لصاحب الدنيا ، كيف يموت ويتركها ، وتفرّه ويأمنها ويَتَّخِذُله ويثق بها ! ويلٌ للمغتربين ، كيف أُرْتَهَمَ ما يكرهون ، وفاتهم ما يُحِبُّون ، وجاءهم ما يوعَدون ! ويل لمن الدنيا همّه ، والخطايا عمله ، كيف يفتضح غداً بذنبه .

وروى أنس قال : كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله القُضْبَاءُ لَا تُسَبِّقُ ، فجاء أعرابيٌّ بناقةٍ له فسَبَّحَهَا ، فسَقَّ ذلك على المسلمين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « حقّ على الله ألا يرفع في الدنيا شيئاً إلّا وضعه » .

وقال بعض الحكماء : من ذا الذى يبنى على مَوْج البحر داراً ! تلْكُم الدنيا ، فلا تتَّخِذوها قراراً .

(١) وهو قوله تعالى في سورة الروم ١٢ : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ .

وقيل لحكيم : عَلَّمْنَا عَمَلًا واحدًا إِذَا عَمِلْنَاهُ أَحَبَّنَا اللَّهُ عَلَيْهِ ، فقال : ابغضوا الدنيا يُحِبُّكُمْ اللَّهُ .

وقال أبو الدرداء : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لو تَعَلَّمُونَ مَا أَعَلَّمَ لَصَحَّحْتُمْ قليلا ، وَلَبَّيْتُمْ كثيرا ، وَلَهَانَتْ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا ، وَلَآ تَرْتُمُ الْآخِرَةَ » .

ثم قال أبو الدرداء مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ : أَيُّهَا النَّاسُ ، لو تَعَلَّمُونَ مَا أَعَلَّمَ لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَبْكُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَا حَارِسَ لَهَا ، وَلَا رَاجِعَ إِلَيْهَا إِلَّا مَا لَا بَدَّ لَكُمْ مِنْهُ ، وَلَكِنْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْآخِرَةِ ، وَجُضِرَ هَا الْأَمَلُ ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِأَعْمَالِكُمْ ، وَصِرْتُمْ كَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ، قَبَضُكُمْ شَرٌّ مِنَ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَا تَدْعُ هَوَاهَا ، مَا لَكُمْ لَا تَحَابُّونَ وَلَا تَنَاصَحُونَ فِي أُمُورِكُمْ ، وَأَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ ، مَا فَرَّقَ بَيْنَ أَهْوَائِكُمْ إِلَّا خُبْتُ سَرَائِرِكُمْ ، وَلَوْ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى الْبِرِّ لَتَحَابَبْتُمْ ، مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَحُونَ فِي أُمُورِكُمْ ، مَا هَذَا إِلَّا مِنْ قِلَّةِ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ ، وَلَوْ كُنْتُمْ تَوْقِنُونَ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ كَمَا تَوْقِنُونَ بِالدُّنْيَا لَأْتَرْتُمْ طَلَبَ الْآخِرَةِ ، فَإِنْ قَلْتُمْ حُبَّ الْعَاجِلَةِ غَالِبٌ ، فَإِنَّا نَرَاكُمْ تَدْعُونَ الْعَاجِلَ مِنَ الدُّنْيَا لِلْآجِلِ مِنْهَا ، مَا لَكُمْ تَفَرَّحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا ، وَتَحْزَنُونَ عَلَى الْيَسِيرِ مِنْهَا يَفُوتُكُمْ ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ ، وَيُظْهَرَ عَلَى أَلْسِنَتِكُمْ ، وَتُسَمِّنُهَا الْمَصَائِبُ ، وَتُقَيِّمُونَ فِيهَا الْمَآئِمَ ، وَعَامَّتْكُمْ قَدْ تَرَكُوا كَثِيرًا مِنْ دِينِهِمْ ثُمَّ لَا يَتَبَيَّنُ ذَلِكَ فِي وُجُوهِهِمْ ، وَلَا تَتَغَيَّرُ حَالُهُمْ بِهِمْ ، يَلْقَى بَعْضُهُمْ بِمُسْرَةٍ ، وَيَكْرَهُ كُلٌّ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقْبَلَ صَاحِبَهُ بِمَا يَكْرَهُ مَخَافَةَ أَنْ يَسْتَقْبَلَهُ صَاحِبُهُ بِمِثْلِهِ ، فَاصْطَحَبْتُمْ عَلَى الْفُلِّ ، وَبَنَيْتُمْ مَرَايِعَكُمْ عَلَى الدَّمَنِ ، وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الْأَجْلِ ، أَرَاخَى اللَّهُ مِنْكُمْ ، وَالْحَقْنَى بَيْنَ أَحِبِّ رُؤْيَتِهِ .

وقال حكيم لأصحابه : ارْضُوا بِدُنَى الدُّنْيَا مَعَ سَلَامَةِ الدِّينِ ، كَمَا رَضَى أَهْلُ الدُّنْيَا بِدُنَى الدِّينِ مَعَ سَلَامَةِ الدُّنْيَا .

وقيل في معناه :

أَرَى رَجَالًا بِأَدْنَى الدِّينِ قَدِ قَنِعُوا وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي الْعَيْشِ بِالدُّونِ
فَاسْتَغْنَى بِالدِّينِ عَنْ دُنْيَا الْمُلُوكِ كَمَا اشْتَدَّ تَغْنَى الْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنْ الدِّينِ
وفي الحديث المرفوع : « لَتَأْتِيَنَّكُمْ بَعْدِي دُنْيَا تَأْكُلُ إِيمَانَكُمْ كَمَا تَأْكُلُ
النَّارُ الْحَطَبَ » .

وقال الحسن رحمه الله : أدركتُ أقواماً كانت الدنيا عندهم وديعةً فأدّوها إلى من
أنتمهم عليها ، ثم رَكضوا خِفَافًا .

وقال أيضاً : من نافسك في دينك فنافسه ، ومن نافسك في دُنْيَاكَ فآلقها في نَحْرِهِ .
وقال الفضيل : طالت فِكْرَتِي فِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً
لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ وَإِنَّا جَلَّاعُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿١﴾ .

ومن كلام بعض الحكماء : لن تصبح في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهلٌ قبلك
ويكون له أهلٌ من بعدك ، وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة ، وغداة يومٍ ، فلا
تُهْلِكْ نَفْسَكَ فِي أَكْثَلَةٍ ، وَصُمْ عَنْ الدُّنْيَا وَأَفْطِرْ عَلَى الْآخِرَةِ ، فَإِنَّ رَأْسَ مَالِ الدُّنْيَا
الْمَوْتُ ، وَرَبِيعُهَا النَّارُ .

وقيل لبعض الرهبان : كيف ترى الدهر ؟ قال : يُخْلِقُ الْأَبْدَانَ ، وَيَجِدُّ الْأَمَالَ ،
وَيَقْرُبُ الْمَنِيَّةَ ، وَيَبَاعِدُ الْأُمْنِيَّةَ . قيل : فما حالُ أهله ؟ قال مَنْ ظَفِرَ بِهِ تَعَبٌ ، وَمَنْ
ظَانَّةٌ اكْتَابَ .

ومن هذا المعنى قولُ الشاعر :

وَمَنْ يَحْمَدِ الدُّنْيَا لِعَيْشٍ يَسُرُّهُ فَسَوْفَ لَعَمْرِي عَنْ قَلِيلٍ يُلُومُهَا

إذا أدبرت كانت على المرء حسرةً وإن أقبلت كانت كثيراً همومها
وقال بعض الحكماء : كانت الدنيا ولم أكن فيها ، وتذهب الدنيا ولا أكون
فيها ، ولست أسكن إليها ، فإن عيشها نكد ، وصفوها كدراً ، وأهلها منها على
وَجَل ، إما بنعمة زائلة ، أو ببلية نازلة ، أو ميتة قاضية . وقال بعضهم : من عيب الدنيا
أنها لا تعطى أحداً ما يستحق ، إما أن تزيد له ، وإما أن تنقص .

وقال سُفيان الثوري : أما تزون النعم كأنها مغضوبٌ عليها ، قد وُضعت في
غير أهلها .

وقال يحيى بن معاذ : الدنيا حانوتُ الشيطان ، فلا تسرق من حانوته شيئاً ، فإنه
يُجىء في كلبك حتى يأخذك .

وقال الفضيل : لو كانت الدنيا من ذهب يَفنى والآخرة من خزف يَبقى لكانَ
يَنْبَغِي لنا أن نختار خزفاً يَبقى على ذهب يَفنى ، فكيف وقد اخترنا خزفاً يَفنى على
ذهب يَبقى !

وقال بعضهم : ما أصبح أحدٌ في الدنيا إلا وهو ضيف ، ولا شُبْهَةٌ في أن
الضيف مُرْمِلٌ ، وما أصبح ذو مال فيها إلا وماله عاريةٌ عنده ، ولا رِبُّ أن
العاريةُ مردودة .

ومثل هذا قول الشاعر :

وما المالُ والأهلون إلا وديعةٌ ولا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ ^(١)
وقيل لإبراهيم بن أدهم : كيف أنت ؟ فأشددَ :
نُرْقِعْ دُنْيَانَا بتمزيق ديننا فلا ديننا يَبقى ولا ما نُرْقِعُ

(١) للبيد ، ديوانه ١٧٠ .

وزارَ رابعةَ العَدُوَّةِ أصحابُها ، فذَكَرُوا الدِّينَ فَأَقْبَلُوا عَلَى ذَمِّهَا ، فَقَالَتْ : اسْكُتُوا
عَنْ ذِكْرِهَا وَكُفُّوا ، فَلَوْلَا مَوْقِفُهَا فِي قُلُوبِكُمْ مَا أَكْثَرْتُمْ مِنْ ذِكْرِهَا ، إِنْ مِنْ
أَحَبِّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ .

وَقَالَ مُطَرِّفُ بْنُ الشَّخِيرِ : لَا تَنْظُرُوا إِلَى خَفَضِ عَيْشِ لِلُوكِ ، وَلَيْنَ رِيَاثِهِمْ ،
وَلَكِنْ انْظُرُوا إِلَى سُرْعَةِ ظُلْمِهِمْ ، وَسُوءِ مَنَقَلَبِهِمْ . قَالَ الشَّاعِرُ :

أَرَى طَالِبَ الدُّنْيَا وَإِنْ طَالَ عَمْرُهُ وَنَالَ مِنَ الدُّنْيَا سُرُورًا وَأَنْعَمًا
كَبَانَ بَنَى بُنْيَانَهُ فَأَقَامَهُ فَلَمَّا اسْتَوَى مَاقِدَ بَنَاهُ تَهَدَّمَ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

تَمَالَى اللَّهُ يَاسْمُ بْنُ عَمْرِو أَذَلَّ الْحِرْصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ^(١)
هَبِ الدُّنْيَا تَسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوًا أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَلِكَ إِلَى الزَّوَالِ
وَمَا دُنْيَاكَ إِلَّا مِثْلُ فَيْءٍ أَظْلَكَ ثُمَّ آذَنَ بَانْتِقَالِ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الدُّنْيَا حَيْفَةٌ ، فَمَنْ أَرَادَ مِنْهَا شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ عَلَى مُعَاشَرَةِ الْكَلَابِ .
وَقَالَ أَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ : لَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَتْ إِبْلِيسَ
جُنُودُهُ وَقَالُوا : قَدْ بُعِثَ نَبِيٌّ وَجَدَّتْ مِلَّةٌ وَأُمَّةٌ ، فَقَالَ : كَيْفَ حَالُهُمْ ؟ أَيُحِبُّونَ
الدُّنْيَا ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : إِنْ كَانُوا يُحِبُّونَهَا فَلَا أَبَالِي إِلَّا أَيْعَبِدُوا الْأَصْنَامَ ، فَأَتَمَّا
أَغْدُوا عَلَيْهِمْ وَأَرْوَحَ بَثَلَاثَ : أُنْخِذِ الْمَالَ مِنْ غَيْرِ حَقِّهِ ، وَإِنْفَاقِهِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ، وَإِمْسَاكِهِ
عَنْ حَقِّهِ ، وَالشَّرُّ كُلُّهُ لِهَذِهِ الثَّلَاثِ تَبَعَ .

وَكَانَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ يَقُولُ : اتَّقُوا السَّخَاةَ فَإِنَّهَا تَسْحَرُ قُلُوبَ الْعُلَمَاءِ ، يَعْنِي الدُّنْيَا .

وقال أبو سليمان الرازي : إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا فزاحتها ، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تراجحها الآخرة ، لأن الآخرة كريمة ، والدنيا لثيمة .
وقال مالك بن دينار : بقدر ماتحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك ، وبقدر ماتحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك . وهذا مقتبس من قول أمير المؤمنين عليه السلام : الدنيا والآخرة صرّتان : فبقدر ماترضى إحداها تسخط ^(١) الأخرى .
وقال الشاعر :

يا خاطب الدنيا إلى نفسها تنح عن خطبتها تسلم
إن التي تخطب غداً رة قريبة العرس من الماتم

وقالوا : لو وصفت الدنيا نفسها لما قالت أحسن من قول أبي نواس فيها :
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عذو في ثياب صديق ^(٢)
ومن كلام الشافعي يعظ أخاه : يا أخي ، إن الدنيا دحض مزالة ^(٣) ، ودار مزالة ؛
عمرانها إلى الخراب سائر ، وساكنها إلى القبور زائر ؛ شملها على الفرقة موقوف ، وغناها
إلى الفقر مصروف ، إلا كثار فيها إعسار ، والإعسار فيها يسار ؛ فافزع إلى الله ،
وأرض برزق الله ، ولا تسلسل من دار بقائك في دار فنائك ، فإن عيشك في زائل ،
وجدار مائل . أ كثر من عملك ، وأقصر من أملاك .
وقال إبراهيم بن أدهم لرجل : أدركهم في المنام أحب إليك أم دينار في اليقظة ؟
فقال : دينار في اليقظة . فقال : كذبت إن الذي تحبه في الدنيا فكأنك تحبه في المنام ،
والذي تحبه في الآخرة فكأنك تحبه في اليقظة .

وقال بعض الحكماء : من قرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ، ومن

(٢) ديوانه ١٩٢ .

(١) ب « تسقط » .

(٢) الدحض : المكان الزلق .

جَعَلَ شَهْوَتَهُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ فَرَّقَ الشَّيْطَانُ مِنْ ظِلِّهِ ، وَمَنْ غَلَبَ عِلْمُهُ هَوَاهُ فَهُوَ الْغَالِبُ .
وقال بعضهم : الدنيا تَبْغُضُ إِلَيْنَا نَفْسَهَا وَنَحْنُ نَحْبُهَا ، فَكَيْفَ لَوْ تَحَبَّبتْ إِلَيْنَا !
وقال بعضهم : الدنيا دارُ خراب ، وأُخْرِبُ مِنْهَا قَلْبُ مَنْ يَعمُرُها ، والجَنَّةُ دارُ
عُمران ، وأَعمُرُ مِنْهَا قَلْبُ مَنْ يَطْلُبُها .

وقال يحيى بن مُعَاذ : العُقَلَاءُ ثَلَاثَةٌ : مَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ تَتْرُكَهَ ، وَبَنَى قَبْرَهُ
قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهُ ، وَأَرْضَى خَالِقَهُ قَبْلَ أَنْ يَلْقَاهُ .
وقال بعضهم : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَفِنِيَ عَنِ الدُّنْيَا بِالْدُّنْيَا كَانَ كَمُطْطِئِ
النَّارِ بِالتَّنْبِئِ .

ومن كلام بعض فَصَحَاءِ الزَّهَّادِ : أَيُّهَا النَّاسُ اعْمَلُوا فِي مَهَلٍ ، وَكُونُوا مِنَ اللَّهِ عَلَى
وَجَلٍ ، وَلَا تَغْتَرُّوا بِالْأَمَلِ ، وَنِسْيَانِ الْأَجَلِ ، وَلَا تَرَكُّنُوا إِلَى الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّهَا غَدَاةٌ غَرَارَةٌ
خَدَاعَةٌ ، قَدْ تَزَخَّرَتْ لَكُمْ بِغُرُورِهَا ، وَفَتَنَتْكُمْ بِأَمَانِيَّهَا ، وَتَزَيَّنَتْ لُخْطَابِهَا ، فَأُضْحِثَتْ
كَالْعُرُوسِ الْمُتَجَلِّئَةِ ، الْعَيُونُ إِلَيْهَا نَازِرَةٌ ، وَالْقُلُوبُ عَلَيْهَا عَاكِفَةٌ ، وَالنَّفُوسُ لَهَا عَاشِقَةٌ .
فَكَمْ مِنْ عَاشِقٍ لَهَا قَتَلَتْ ، وَمُطْمَئِنٍّ إِلَيْهَا خَذَلَتْ ! فَانْظُرُوا إِلَيْهَا بِعَيْنِ الْحَقِيقَةِ ، فَإِنَّهَا
دَارٌ كَثُرَتْ بَوَائِقُهَا ، وَذَمَّهَا خَالِقُهَا ، جَدِيدُهَا يَبْلَى ، وَمُلْكُهَا يَفْنَى ، وَعَزِيزُهَا يَذِلُّ
وَكَثِيرُهَا يَقِلُّ ، وَحَيُّهَا يَمُوتُ ، وَخَيْرُهَا يَفُوتُ ؛ فَاسْتَقِظُوا مِنْ غَفْلَتِكُمْ ، وَانْتَبِهُوا مِنْ
رَقَدَتِكُمْ ، قَبْلَ أَنْ يَقَالَ : فَلَانِ عَلِيلٍ ، وَمَدَنَفٌ ثَقِيلٍ ، فَهَلْ عَلَى الدَّوَاءِ مِنْ دَلِيلٍ ، وَهَلْ
إِلَى الطَّبِيبِ مِنْ سَبِيلٍ ؟ فَتَدْعَى لَكَ الْأَطْبَاءُ ، وَلَا يُرْجَى لَكَ الشِّفَاءُ ، ثُمَّ يَقَالَ : فَلَانٌ
أَوْصَى ، وَمَالُهُ أَحْصَى ، ثُمَّ يَقَالَ : قَدْ ثَقُلَ لِسَانُهُ فَمَا يَكَلِّمُ إِخْوَانَهُ ، وَلَا يَعْرِفُ جِيرَانَهُ ،
وَعَرِيقٌ عِنْدَ ذَلِكَ جَبِينُكَ ، وَتَتَابِعُ أَنْيُنُكَ ، وَثَبْتَ يَقِينُكَ ، وَطَمَحْتَ جَنُودُكَ ، وَصَدَقْتَ
خُلُودُكَ ، وَتَلْجَلِجُ لِسَانُكَ ، وَبَكَى إِخْوَانُكَ ، وَقِيلَ لَكَ : هَذَا أَبْنُكَ فَلَانٌ ، وَهَذَا أَخُوكَ

فلان ؛ مُنِعت من الكلام فلا تَنطِقْ ، وخُتِمَ على لسانك فلا يَنْطَبِقْ ، ثُمَّ حَلَّ بك القضاء ، وأَنْزَعَتْ رَوْحُكَ من الأعضاء ، ثُمَّ غُرِجَ بها إلى السَّماء ، فَأَجْتَمَعَ عند ذلك إِخْوَانُكَ ، وَأَحْضَرَتْ أَكْفَانُكَ ، فَنَسَلُوكَ وَكَفَنُوكَ ، ثُمَّ حَمَلُوكَ فَدَفَنُوكَ ، فَانْقَطَعَ عَوَادُكَ ، وَأُسْتَرَحَ حَسَادُكَ ، وَانصَرَفَ أَهْلُكَ إلى مَالِكَ ، وَبَقِيَتْ مَرْتَهَنًا بِأَعْمَالِكَ .

وقال بعضُ الزَّهاد لبعض الملوك : إِنْ أَحَقَّ النَّاسُ بِذِمِّ الدُّنْيَا وَقِلَاحِهَا مِنْ بُسْطِ لَهُ فِيهَا ، وَأُعْطِيَ حَاجَتَهُ مِنْهَا ، لِأَنَّهُ يَتَوَقَّعُ آفَةً تَغْدُو عَلَى مَالِهِ فَتَجْتَاحُهُ ، وَعَلَى جَمْعِهِ فَتَفْرَقُهُ أَوْ تَأْتِي عَلَى سُلْطَانِهِ فَتَهْدِمُهُ مِنَ الْقَوَاعِدِ ، أَوْ تَدْبُ إِلَى جِسْمِهِ فَتُسْقِمُهُ ، أَوْ تَفْجَعُهُ بِشَيْءٍ هُوَ ضَنِينٌ بِهِ مِنْ أَحِبَابِهِ ، فَالدُّنْيَا الْأَحَقُّ بِالذِّمِّ ، وَهِيَ الْآخِذَةُ مَا تُعْطَى ، الرَّاجِعَةُ فِيمَا تَهَبُ ؛ فَيُنَا هِيَ تُضْحِكُ صَاحِبَهَا إِذَا ضَحَكَ مِنْهُ غَيْرُهُ ، وَيُنَا هِيَ تَبْكِي لَهُ إِذَا أَبْكَتْ عَلَيْهِ ، وَيُنَا هِيَ تَبْسُطُ كَفَّهُ بِالْإِعْطَاءِ إِذَا بَسَطَتْ كَفَّهَا إِلَيْهِ بِالْأَسْتِرْجَاعِ وَالْأَسْتِرْدَادِ ، تَعْقِدُ النَّاجِ عَلَى رَأْسِ صَاحِبِهَا الْيَوْمَ وَتُغْفِرُهُ فِي التُّرَابِ غَدًا ، سِوَاهُ عَلَيْهَا ذَهَابٌ مِنْ ذَهَبٍ وَبَقَاءٌ مِنْ بَقَى ، تَجِدُ فِي الْبَاقِي مِنَ الذَّاهِبِ خَلْفًا ، وَتَرْضَى بِكُلِّ مِنْ كُلِّ بَدَلًا .

وكتب الحسنُ البصريُّ إلى عمر بن عبد العزيز : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ ظُنُونٍ لَيْسَتْ بِدَارِ إِقَامَةٍ ، وَإِنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْهَا عَقُوبَةٌ فَاحْذَرُهَا فَإِنَّ الزَّادَ مِنْهَا رَجُحُهَا ، وَالغَنَى مِنْهَا فَقْرُهَا ، لَهَا فِي كُلِّ حِينٍ قَتِيلٌ ، تَذِلُّ مَنْ أَعَزَّهَا ، وَتُفْقِرُ مَنْ جَمَعَهَا ، هِيَ كَالثَّمِّ يَأْكُلُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ وَهُوَ حَتْفُهُ ، فَكُنْ فِيهَا كَالْمُدَاوِي جِرَاحِهِ ، يَحْمِي قَلِيلًا مَخَافَةَ مَا يَكْرَهُهُ طَوِيلًا ، وَيَصْبِرُ عَلَى شِدَّةِ الدَّوَاءِ ، مَخَافَةَ طُولِ الْبَلَاءِ ، فَاحْذَرِ هَذِهِ الدُّنْيَا الْغَدَّارَةَ الْمَكَّارَةَ ، الْخُتَالَةَ الْخُدَّاعَةَ ، الَّتِي قَدْ تَرَيْنْتَ بِخُدْعِهَا ، وَفَتَنْتَ بِغُرُورِهَا ، وَتَحَلَّمْتَ بِأَمَالِهَا ، وَتَشَرَّفْتَ لُحْطَابِهَا ، فَأَصْبَحْتَ بَيْنَهُمْ كَالْعُرُوسِ تُجَلَّى عَلَى بَعْلِهَا ، الْعَيُونُ إِلَيْهَا نَازِرَةٌ ، وَالْقُلُوبُ عَلَيْهَا وَالِهَةٌ ، وَالنَّفُوسُ لَهَا عَاشِقَةٌ ، وَهِيَ لِأَزْوَاجِهَا كُلِّهَا قَاتِلَةٌ ، فَلَا الْبَاقِيَ بِالْمَاضِي مُعْتَبِرٌ ، وَلَا الْآخِرَ بِالْأَوَّلِ مُزْدَجِرٌ ، وَلَا الْعَارِفَ بِاللَّهِ حِينَ أَخْبَرَهُ عَنْهَا مَدَّ كِرٍ ، فَمَنْ عَاشَقَ لَهَا قَدْ

خلفر منها بحاجته ، فاعترّ وطفى ونسى المعاد ، وشغل بها لُبّه حتى زلّت عنها قدمه ،
 فعضّمت ندامته ، وكثرت حسرته ، واجتمعت عليه سكرات الموت بألمه ، وحسراتُ
 القوت بفصته ، ومن راغب فيها لم يدرك منها ماطلب ، ولم يُرح نفسه من التعب ،
 خرج منها بغير زاد ، وقدم على غير مهاد ؛ فاحذرْها ثم احذرْها ، وكن أسرّ ماتكون فيها
 أحذر ماتكون لها ، فإن صاحبها كلما اطمأنّ منها إلى سرور أشخصته إلى مكروه ،
 والسرّ منها لأهلها غار ، والنافع منها في غدي ضار ، قد وصل الرّخاء منها بالبلاء ، وجعل
 البقاء فيها للفناء ؛ فسروها مشوب بالأحزان ، ونعيمها مكدر بالأشجان ، لا يرجع ماوّل
 منها وأدبر ، ولا يُدرى ما هو آت فينتظر ، أمانيتها كاذبة ، وآمالها باطلة ، وصفوها
 كدر ، وعيشها نكد ، والإنسان فيها على خطر إن عقل ونظر ، وهو من التّعماء على
 غرر ، ومن البلاء على حذر ، فلو كان الخالق لها لم يخبر عنها خبرا ، ولم يضرب لها مثلا ،
 لكانت هي نفسها قد أيقظت النّائم ، ونهت الغافل ، فكيف وقد جاء من الله عنها
 زاجر ، وبتصاريها واعظ ، فما لها عند الله قدر ، ولا نظر إليها منذ خلقها ، ولقد عُرِضَتْ
 على نبيّك محمد صلى الله عليه وسلّم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح
 بعوضة ، فأبى أن يقبلها ، كره أن يخالف على الله أمره ، أو يحب ما أبغضه خالقه ،
 أو يرفع ما وضعه ملكه ، زواها الربّ سبحانه عن الصالحين اختبارا ، وبسطها لأعدائه
 اغترارا ، فيظنّ المغرور بها ، المقتدر عليها ، أنه أكرم بها ، وينسى ما صنع الله تعالى
 بمحمد صلى الله عليه وسلّم من شدّه الحَجَر على بطنه ، وقد جاءت الرواية عنه عن ربّه
 سبحانه أنه قال لموسى : إذا رأيت الفنى مقبلا فقل ذنبٌ عجّل عقوبته ، وإذا رأيت
 الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين ؛ وإن شئت اقتديت بصاحب الرّوح والكلمة
 عيسى ؛ كان يقول : إدامى الجوع ، وشعارى الخوف ، ولباسى الصّوف ، وصلاى
 فى الشتاء مشارق الشمس ، وسراجى القمر ، ووسادى الحَجَر ، ودابى رجلاى ،

وفاكحتي وطعاني ما أنبت الأرض ، أريت وليس لي شيء ، وليس على الأرض
أحد أغنى مني .

وفي بعض الكتب القديمة : إن الله تعالى لما بعث موسى وهارون عليهما السلام
إلى فرعون قال : لا يروعنكما لباسه الذي ليس من الدنيا ، فإن ناصيته بيدي ليس ينطق
ولا يطرّف ولا يتنفّس إلا بإذني ، ولا يُعجبكما ما تُمتّع به منها ، فإن ذلك زهرة الحياة
الدنيا ، وزينة المترفين ، ولو شئت أن أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها
أن مقدرته تعجز عما وهبنا لفعلت ، ولكني أرغب بكما عن ذلك ، وأزوي ذلك
عنكما ، وكذلك أفل بأوليائي ، إني لأذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه
عن مراتع الهلكة ، وإني لأجنبهم حبّ المقام فيها كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن
مبارك العرّ ، وما ذاك لهوانهم عليّ ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما
موفورا ، إنما يزين لي أوليائي بالذلّ والخضوع والخوف ، وإن التقوى لتثبت في
قلوبهم ، فتظهر على وجوههم ، فهي ثيابهم التي يلبسونها ، وديّارهم الذي يظهرون ،
وضميرهم الذي يستشعرون ، ونجاتهم التي بها يفوزون ، ورجاؤهم الذي إياه يأملون ،
ومجدّم الذي به يفتخرون ، وسياهم التي بها يُعرفون ، فإذا لقيهم أحد كما فليخفّض لهم
جناحه ، وليذلّ لهم قلبه ولسانه ، وليعلم أنه من أخاف لي وليا فقد بارزني بالحاربة ، ثم
أنا النائر به يوم القيامة .

ومن كلام بعض الحكماء : الأيام سيّهام ، والناس أغراض ، والدهر يرميك كلّ
يوم بسهامه ، ويتخرّمك بلياليه وأيامه ؛ حتى يستغرق جميع أجزائك ، ويصيّ جميع
أبعاضك ، فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك ، وسرعة الليالي في بدنك ! ولو
كُشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كلّ يوم يأتي عليك
واستنفلت ممرّ الساعات بك ، ولكنّ تدبير الله تعالى فوق النظر والاعتبار .

وقال بعض الحكماء - وقد استوصف الدنيا وقَدَّرَ بقائها - : الدنيا وقتك الذي يرجع إليه طرفك ، لأنَّ ماضى عنك فقد فاتك إدراكه ، وما لم يأتِ فلا علم لك به ؛ والدهر يومٌ مقبلٌ تنعاه ليلته ، وتطويه ساعاته ، وأحداثه تتوالى على الإنسان ، بالتغيير والنقصان ، والدهر موكلٌ بتشتيت الجماعات ، وانخرام الشَّمَل ، وتنقلُّ الدُّوَل ، والأمل طويل ، والعمر قصير ، وإلى الله تصير الأمور .

وقال بعض الفضلاء : الدنيا سريعة الفناء ، قريبة الانقضاء ، تعدُّ بالبقاء ، وتُخلف في الوفاء ، تنظرُ إليها فتراها ساكنةً مستقرّةً ، وهي سائرةٌ سيرا عنيفاً ، ومرةً تحلة ارتحالا سريعاً ، ولكنَّ الناظرَ إليها قد لا يُحسَّ بحركتها فيطمئنَّ إليها ، وإنما يحسُّ بذلك بعد انقضائها ؛ ومِثْلُها الظِّلُّ ، فإنه متحرِّكٌ ساكنٌ : متحرِّكٌ في الحقيقة ، وساكنٌ في الظاهر ، لا تدرك حركته بالبصر الظاهر ، بل بالبصيرة الباطنة .

(٣٧٤)

الأصل :

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَضَعَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَالْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ، زِيَادَةً لِعِبَادِهِ
عَنْ نِقْمَتِهِ ، وَحَيَاةً لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ .

الشرح :

زيادة ، أى دَفْعاً . ذُذِّتَهُ عَنْ كَذَا ، أى دَفَعْتَهُ وَرَدَدْتَهُ . وَحَيَاةً : مُصْدِرُ حُشْتِ الصَّيْدِ
بِضْمِ الْحَاءِ ، أَحْوَشُهُ ، إِذَا جِئْتَهُ مِنْ حَوَالِيهِ لَتَتَصَرَّفَهُ إِلَى الْحَبَالَةِ ، وَكَذَلِكَ أَحَشْتُ الصَّيْدَ
وَأَحْوَشْتُهُ ، وَقَدْ احْتَوَشَ الْقَوْمُ الصَّيْدَ إِذَا نَفَرَهُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ .

وهذا هو مذهب أصحابنا ، إِنْ اللَّهُ تَعَالَى لَمَّا كَلَّفَ الْعِبَادَ التَّكَالِيفَ الشَّاقَّةَ ، وَقَدْ كَانَ
يُمْكِنُهُ أَنْ يَجْعَلَهَا غَيْرَ شَاقَّةٍ عَلَيْهِمْ بِأَنْ يَزِيدَ فِي قُدْرَتِهِمْ ، وَجِبَ أَنْ يَكُونَ فِي مَقَابَلَةِ تِلْكَ
التَّكَالِيفِ ثَوَابٌ ، لِأَنَّ إِزَامَ الْمَشَاقِّ كَأَنْزَالِ الْمَشَاقِّ ، فَكَمَا يَتَضَمَّنُ ذَلِكَ عَوَضًا ، وَجِبَ أَنْ
يَتَضَمَّنَ هَذَا ثَوَابًا ، وَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ فِي مَقَابَلَةِ فِعْلِ الْقُبْحِ عِقَابٌ ، وَإِلَّا كَانَ سُبْحَانَهُ مُمْكِنًا
الْإِنْسَانَ مِنَ الْقُبْحِ ، مَغْرِبًا لَهُ ^(١) بِفِعْلِهِ ، إِذَا طَبَعَ الْبَشَرَى يَهْوَى الْعَاجِلَ ، وَلَا يَحْفَلُ بِالذَّمِّ ،
وَلَا يَكُونُ الْقُبْحُ قُبْحًا حِينَئِذٍ فِي الْعَقْلِ ، فَلَا بَدَّ مِنَ الْعِقَابِ لِيُقْعَمَ الْأَنْزَجَارُ .

(١) ب ١ : « به » .

(٣٧٥)

الأصل :

يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رُسْمُهُ ، وَمِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا
أُسْمُهُ ، مَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ الْبِنَاءِ ، خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى ، سُكَّانُهَا وَعُمَارُهَا
شَرٌّ أَهْلِ الْأَرْضِ ، مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ ، وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي الْخَطِيئَةُ ، يَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ
عَنْهَا فِيهَا ، وَيَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا ، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي حَلْفَتُ ، لَا بُعْثَنَ
عَلَى أَوْلَئِكَ فِتْنَةً أَتْرَكُ الْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانَ ، وَقَدْ فَعَلَ ، وَنَحْنُ نَسْتَقِيلُ اللَّهُ
عِزَّةَ الْغَفْلَةِ .

البُزْجُ :

هذه صفةُ حالِ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْفِسْقِ وَالرِّيَاءِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ :
سُكَّانُهَا وَعُمَارُهَا ، يَعْنِي سُكَّانَ الْمَسَاجِدِ ، وَعُمَارَ الْمَسَاجِدِ شَرٌّ أَهْلِ الْأَرْضِ ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ
ضَلَالَةٍ كَمَنْ يَسْكُنُ الْمَسَاجِدَ الْآنَ مَنْ يَعْتَقِدُ التَّجَسُّمَ وَالتَّشْبِيهَ وَالصُّورَةَ وَالنُّزُولَ وَالصُّعُودَ
وَالْأَعْضَاءَ وَالْجَوَارِحَ ، وَمَنْ يَقُولُ بِالْقَدَرِ يُضَيِّفُ فِعْلَ الْكُفْرِ وَالْجَهْلِ وَالْقَبِيحِ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى ، فَكُلُّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ فِتْنَةٍ ، يَرُدُّونَ مَنْ خَرَجَ مِنْهَا إِلَيْهَا ، وَيَسُوقُونَ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ
فِيهَا إِلَيْهَا أَيْضًا .

ثم قال حاكيا عن الله تعالى : إنه حلف بنفسه ليعبثنَّ على أولئك فتنةً ، يعنى استئصالا
وسيفا حاصدا يترك الحليم أى العاقل اللبيب فيها حيران لا يعلم كيف وجهُ خلاصه .

ثم قال عليه السلام : وقد فعل

وينبئ أن يكون قد قال هذا الكلام في أيام خلافته ، لأنها كانت أيام السيف
المساطر على أهل الضلال من المسلمين ، وكذلك ما بعثه الله تعالى على بنى أمية وأتباعهم
من سيوف بنى هاشم بعد انتقاله عليه السلام .

(٣٧٦)

الأفضل :

ورُوي أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَلَّمَ اعْتَدَلَ بِهِ الْمِنْبَرُ إِلَّا قَالَ أَمَامَ خُطْبَتِهِ :
 أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا اللَّهَ فَمَا خُلِقَ أَمْرُؤُا عَبَثًا فَيَلْمُوهُ ، وَلَا تُرِكَ سُدِّي فَيَلْمُوهُ ،
 وَمَا دُنْيَاهُ الَّتِي تَحَسَّنَتْ لَهُ يُخَلِّفُ مِنَ الْآخِرَةِ الَّتِي قَبَّحَهَا سُوءُ النَّظَرِ عِنْدَهُ ،
 وَمَا لِلْمَغْرُورِ الَّذِي ظَفَرَ مِنَ الدُّنْيَا بِأَعْلَى هِمَّتِهِ كَالْآخِرِ الَّذِي ظَفَرَ مِنَ الْآخِرَةِ
 بِأَدْنَى سُهُمَتِهِ .

الشرح :

قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (١) .
 ومن الكلمات النبوية : إِنَّ الْمَرْءَ لَمْ يُتْرَكْ سُدِّي ، وَلَمْ يُخْلَقْ عَبَثًا ..
 وقال أمير المؤمنين عليه السلام : إِنَّ مِنْ ظَفَرٍ مِنَ الدُّنْيَا بِأَعْلَى وَأَعْظَمِ أُمْنِيَةٍ
 لَيْسَ كَأَخَرِ ظَفَرٍ مِنَ الْآخِرَةِ بِأَدْوَنِ دَرَجَاتِ أَهْلِ الثَّوَابِ ، لَا مَنَاسِبَةَ وَلَا قِيَاسَ بَيْنَ
 نَعِيمِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وفي قوله عليه السلام : « الَّتِي قَبَّحَهَا سُوءُ النَّظَرِ عِنْدَهُ » تصريحٌ بمذهب أصحابنا
 أَهْلِ الْعَدْلِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ ، وَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ هُوَ الَّذِي أَضَلَّ نَفْسَهُ لِسُوءِ نَظَرِهِ ، وَلَوْ كَانَ اللَّهُ
 تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَضَلَّهُ لَمَا قَالَ : قَبَّحَهَا سُوءُ النَّظَرِ عِنْدَهُ .

(١) سورة المؤمنون ١١٥ .

(٣٧٧)

الأفضل :

لَا شَرَفَ أَعْلَى مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَا عِزَّ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوَى ، وَلَا مَغْفِلَ أَحْسَنُ مِنَ
الْوَرَعِ ، وَلَا شَفِيعَ أَمْحَجُ مِنَ التَّوْبَةِ ، وَلَا كَنْزَ أَغْنَى مِنَ الْقَنَاعَةِ ، وَلَا مَالَ أَذْهَبُ
لِلْفَاقَةِ مِنَ الرِّضَى بِالقُوْتِ .

وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الْكَفَافِ فَقَدْ انْتَضَمَ الرَّاحَةِ ، وَتَبَوَّأَ خَفِضَ الدَّعَةِ .
وَالدَّعَةُ مِفْتَاحُ النَّصَبِ ، وَمَطِيَّةُ التَّعَبِ ، وَالْحِرْصُ وَالْكِبْرُ وَالْحَسَدُ دَوَائِعُ إِلَى
التَّقَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ ، وَالشَّرُّ جَامِعٌ لِمَسَاوِي الْعُيُوبِ .

الشرح :

كلّ هذه المعاني قد سبق القول فيها مراراً شتّى ؛ تأتي كلّ مرّة بما لم نأت به فيما
تقدّم ، وإلّا ما يكررها أمير المؤمنين عليه السلام لإقامة الحجّة على المكلفين ، كما يكرّر
الله سبحانه في القرآن المواعظ والزواجر ، لذلك كان أبو ذرّ - رضى الله عنه - جالساً بين
الناس فأثنته امرأته فقالت : أنت جالس بين هؤلاء ، ولا والله ما عندنا في البيت هبة
ولا سمة^(١) ؛ فقال : يا هذه ، إن بين أيدينا عتبة كؤودا ، لا ينجو منها إلّا كلّ مخفّ .
فرجعت وهي راضية .

(١) نهايه ابن الأثير ٢ : ١٦٧ ، ٤ : ٢٥٠ . الهفة : السحاب لا ماء فيه ؛ والفة : ما ينسج من
الموس كالزبيل ؛ أى لا مشروب في بيتك ولا مأكول .

وقيل لبعض الحكماء : ما مالِك ؟ قال : التَّجَمُّلُ في الظَّاهِر ، والقَصْدُ في الباطن ،
والغنى عَمَّا في أيدي الناس :

وقال أبو سليمان الدَّارانيّ : تنفُّس فقير دُونَ شهوةٍ لا يَقْدِر عليها أَفْضَلُ من عِبادةٍ
غَنِيٍّ أَلْفَ عامٍ .

وقال رجلٌ لبشر بن الحارث : ادعُ لي فقد أَصْرَ الفقرُ بِي وبِعيالي ؛ فقال : إذا قال
لَكَ عيالُكَ : ليس عندنا دَقِيقٌ ولا خَبْزٌ فادعُ لبشر بن الحارث في ذَلِكَ الوقت ، فإنَّ
دعاءكَ أَفْضَلُ من دعائه .

ومن دعاء بعض الصالحين : اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ ذُلَّ نَفْسِي ، والزَّهْدَ فيما
جَاوَزَ الكُفَّافَ .

(٣٧٨)

الأصل :

وقال عليه السلام : جابر بن عبد الله الأنصاري :

يا جابر ، قوام الدين والدنيا بأربعة : عالم يستعمل علمه ، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم ، وجواد لا يبخل بمعروفه ، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه ، فإذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم ، وإذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه .

يا جابر ، من كثرت نعمة الله عليه ، كثرت حوائج الناس إليه ، فمن قام بما يحب لله فيها عرض نعمة الله لدوامها ، ومن ضيع ما يحب لله فيها عرض نعمته لزوالها .

الشرح

قد تقدم القول في هذه المعاني . والحاصل أنه ربط اثنتين من أربعة إحداهما بالأخرى ، وكذلك جعل في الاثنتين الآخرين ، فقال : إن قوام الدين والدنيا بأربعة : عالم يستعمل علمه ، يعني يعمل ولا يقتصر على أن يعلم فقط ولا يعمل ، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم ، وأضره ما على الجهلاء الاستنكاف من التعلم ؛ فإنهم يستمرون على الجهالة إلى الموت ، والثالث جواد لا يبخل بالمعروف ، والرابع فقير لا يبيع آخرته بدنياه ، أي لا يسرق ، ولا يقطع الطريق ، أو يكتسب الرزق من حيث لا يحببه الله ، كالتهار ، والمواخير ، والمزاجر ، والمآصر ، ونحوها .

ثم قال : فالثانية مرتبطة بالأولى إذا لم يستعمل العالم علمه استنكف الجاهل من التعلم ، وذلك لأن الجاهل إذا رأى العالم يعصى ويجاهر الله بالفسق زهد في التعلم ؛ وقال : لماذا تعلم العلم إذا كانت ثمرته الفسق والمعصية .

ثم قال : والرابعة مرتبطة بالثالثة ، إذا بخل الغنى بمعروفه ، باع الفقير آخرته بديناره ، وذلك لأنه إذا عدم الفقير المواساة مع حاجته إلى القوت دعت الضرورة إلى الدخول في الحرام ، والاكتساب من حيث لا يحسن ، وينبغي أن يكون عوض لفظة جواد لفظة غنى ليطلق أول الكلام آخره ، إلا أن الرواية هكذا وردت ، وجواد لا يبخل بمعروفه ، وفي ضمير اللفظ كون ذلك الجواد غنياً ؛ لأنه قد جعل له معروفاً والمعروف لا يكون إلا عن ظهر غنى ؛ وباقي الفصل قد سبق شرح أمثاله .

(٣٧٩)

الأصل

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْسَى الْفَقِيهِ ،
وَكَانَ مِنْ خُرَاجِ لِقَتَالِ الْحَجَّاجِ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ ، أَنَّهُ قَالَ فِيمَا كَانَ يَحُضُّ بِهِ النَّاسَ
عَلَى الْجِهَادِ : إِنِّي سَمِعْتُ عَلِيًّا رَفَعَ اللَّهُ دَرَجَتَهُ فِي الصَّالِحِينَ ، وَأَثَابَهُ ثَوَابَ الشُّهَدَاءِ
وَالصَّادِقِينَ ، يَقُولُ يَوْمَ لَقَيْنَا أَهْلَ الشَّامِ :

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ، إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُدُوَّنَا يُعْمَلُ بِهِ ، وَمُنْكَرًا يُدْعَى إِلَيْهِ ،
فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرِيَ ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ
صَاحِبِهِ ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ
السُّفْلَى ، فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى ، وَقَامَ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَنُورَ فِي
قَلْبِهِ الْبَاقِي .

الشرح :

قد تقدّم الكلام في النهي عن المنكر ، وكيفيّة ترتيبه ، وكلام أمير المؤمنين في
هذا الفصل مطابق^(١) لما يقوله المتكلمون - رحمهم الله .

وقد ذكرنا فيما تقدّم ، وسنذكر فيما بعد من هذا المعنى ما يجب . وكان النهي عن
المنكر معروفا في العرب في جاهليّتها ؛ كان في قريش حلف الفضول ، تحالفت قبائل
منها على أن يردّعوا الظالم ، وينصّروا المظلوم ، ويردّوا عليه حقّه ما بلّ بحرّ صوفة ، وقد
ذكرنا فيما تقدم :

(١) د : « يطابق » .

(٣٨٠)

الأصل :

وقال عليه السلام في كلام له غير هذا يجري هذا الجرى :
فَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ لِلْمُنْكَرِ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ ، فَذَلِكَ الْمُسْتَكْمِلُ لِخِصَالِ الْخَيْرِ ؛
وَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ ، فَذَلِكَ مُتَمَسِّكٌ بِمُحْصَلَتَيْنِ مِنْ خِصَالِ
الْخَيْرِ ، وَمُضَيِّعٌ خَصْلَةً ؛ وَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ بِقَلْبِهِ ، وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ ، فَذَلِكَ الَّذِي
ضَمَّ أَشْرَفَ الْمُحْصَلَتَيْنِ مِنَ الثَّلَاثِ ، وَتَمَسَّكَ بِوَاحِدَةٍ ؛ وَمِنْهُمْ تَارِكٌ لِإِنْكَارِ
الْمُنْكَرِ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَبِيَدِهِ ، فَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ ؛ وَمَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَالْجِهَادُ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا كَنْفَتُهُ فِي بَحْرِ الْجُبِّيِّ ،
وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يَقْرَبَانِ مِنْ أَجَلٍ ، وَلَا يَنْقُصَانِ
مِنْ رِزْقٍ ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ .

الشرح :

قد سبق قولنا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو أحد الأصول الخمسة
عند أصحابنا . وُلْجَةُ الْمَاءِ : أَعْظَمُهُ ، وَبَحْرُ الْجُبِّيِّ : ذُو مَاءٍ عَظِيمٍ . وَالنَّفْثَةُ : الْفَعْلَةُ الْوَاحِدَةُ
مِنْ نَفَثَتِ الْمَاءُ مِنْ فَمِي ، أَيْ قَذَفَتْهُ بِقُوَّةٍ .

قال عليه السلام : لا يمتنعن أحدٌ أنه إن أمر ظالماً بمعروف ، أو نهى ظالماً عن
منكر ، أن ذلك يكون سبباً لقتل ذلك الظالم المأمور أو المنهى إياه ، أو يكون سبباً لقطع
رزقه من جهته ، فإن الله تعالى قدر الأجل ، وقضى الرزق ، ولا سبيل لأحد أن يقطع
على أحد عمره أو رزقه .

وهذا الكلام ينبغي أن يُحمَل على أنه حثٌ وحضٌّ وتحريضٌ على النهي عن المنكر والأمر بالمعروف ، ولا يُحمَل على ظاهره ، لأنَّ الإنسان لا يجوز أن يُلقَى بنفسه إلى التَّهْلُكَةِ ، معتمداً على أنَّ الأجل مقدَّر ، وأنَّ الرِّزْقَ مقسومٌ ، وأنَّ الإنسان متى غلب على ظنِّه أنَّ الظالم يقتله ويقيم على ذلك المنكر ، ويضيف إليه منكراً آخر لم يحزْ له الإنكار .

فأما كلمة العدل عند الإمام الجائر فتحو ماروِي أنَّ زيد بن أرقم رأى عبيد الله بن زياد - ويقال : بل يزيد بن معاوية - يضرب مَضِيْبٍ في يده ثنائياً الحسين عليه السلام حين حِلَّ إليه رأسه ، فقال له : إِيهًا ! ارفع يدك ؛ فطالما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقبلها !

[فصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]

ونحن نذكر خلاصة ما يقوله أصحابنا في النهي عن المنكر ، ونترك الاستقصاء فيه للكتب الكلامية التي هي أولى ببسط القول فيها من هذا الكتاب .

قال أصحابنا : الكلام في ذلك يقع من وجوه : منها وجوبه ، ومنها طريق وجوبه ، ومنها كيفية وجوبه ، ومنها شروط حسنه ، ومنها شروط وجوبه ، ومنها كيفية إيقاعه ، ومنها الكلام في النَّاهي عن المنكر ، ومنها الكلام في التَّهْي عن المنكر .

أما وجوبه ؛ فلا ريب فيه ؛ لأنَّ المنكر قبيح كله ، والتقيح يجب تركه ، فيجب التَّهْي عنه .

وأما طريق وجوبه فقد قال الشيخ أبو هاشم رحمه الله : إنه لا طريق إلى وجوبه إلا السمع ، وقد أجمع المسلمون على ذلك ، ووَرَدَ به نصُّ القرآن في غير موضع .

قال الشيخ أبو علي - رحمه الله : العقل يدلّ على وجوبه ، وإلى هذا القول مال شيخنا أبو الحسين رحمه الله .

وأما كفيّة وجوبه فإنّه واجب على الكفاية دون الأعيان ، لأنّ الغرض ألا يقع المنكر ، فإذا وقع لأجل إنكار طائفة لم يبق وجهٌ لوجوب الإنكار على من سواها .
وأما شروطُ حسنه فوجوه :

منها أن يكون ما ينكره قبيحاً ، لأنّ إنكار الحسن وتحرّيمه قبيح ، والتبّيح على ضروب : فمنه ما يقبّح من كلّ مكلف ، وعلى كلّ حال ، كالظلم . ومنه ما يقبّح من كلّ مكلف على وجهٍ دون وجه ، كالرّمى بالسهم ، وتصريف الحمام ، والعلاج بالسّلاح ، لأنّ تعاطى ذلك لمعرفة الحرب والتقوى على العدو ، ولتعرف أحوال البلاد بالحمام حسنٌ لا يجوز إنكاره ، وإن قصد بالاجتماع على ذلك الاجتماع على السّخف واللّهو ومعاشرة ذوى الرّيب والمعاصي فهو قبيحٌ يجب إنكاره .

ومنه ما يقبّح من مكلف ويحسن من آخر على بعض الوجوه ، كشرب النّبذ ، والتشاغل بالشطرنج ، فأما من يرى خطرها ، أو يختار تقليد من يُفتى بحظرهما فحرامٌ عليه تعاطيهما على كلّ حال ، ومتى فعاهما حسن الإنكار عليه ، وأما من يرى إباحتهما أو من يختار تقليد من يُفتى بإباحتهما ، فإنّه يجوز له تعاطيهما على وجهٍ دون وجه ؛ وذلك أنّه يحسن شرب النّبذ من غير سُكرو ولا مُعاقرة والاشتغال بالشطرنج للفرجة وتخريج الرأى والعقل ، ويقبّح ذلك إذا قصد به السخف ، وقصد بالشرب المُعاقرة والسُّكر ، فالثاني يحسن إنكاره ويجب ، والأوّل لا يحسن إنكاره لأنّه حسنٌ من فاعله .

ومنها أن يعلم المنكر أنّ ما ينكره قبيح ، لأنّه إذا جوّز حسنه كان بإنكاره له وتحرّيمه إيّاه محرّماً لما لا يأمن أن يكون حسناً ، فلا يأمن أن يكون ما فعله من التّهي

نَهْيًا عَنْ حَسَنٍ ، وَكُلُّ فَعْلٍ لَا يَأْمَنُ فَاعِلُهُ أَنْ يَكُونَ مَخْتَصًا بِوَجْهِ قَبِيحٍ فَهُوَ قَبِيحٌ ، الْآتِي
أَنَّهُ يَقْبَحُ مِنَ الْإِنْسَانِ أَنْ يَخْبِرَ عَلَى الْقَطْعِ بِأَنْ زِيدًا فِي الدَّارِ إِذَا لَمْ يَأْمَنِ إِلَّا يَكُونُ فِيهَا ؛
لأنه لا يأمن أن يكون خبره كَذِبًا !

ومنها أن يكون ما ينهى عنه واقعًا ، لأنَّ غير الواقع لا يحسنُ النهي عنه ، وإنَّما
يحسنُ الذمُّ عليه ، والنهيُّ عن أمثاله .

ومنها ألا يغلب على ظنِّ المنكر أنه إن أنكر المنكر ، ففعله المنكر عليه ، وضمَّ
إليه منكراً آخر ، ولو لم ينكر عليه لم يفعل المنكر الآخر ، فتى غلب على ظنِّه ذلك قَبِيحٌ
الإنكاره ، لأنه يصير مَفْسُدةً ، نَجْوً أَنْ يَغْلِبَ عَلَى ظَنِّنا أَنَّا إِن أنكرنا على شارب الخمر
شُرْبُهَا شَرِبَهَا وَقَرْنَ إِلَى شَرِبَهَا الْقَتْلُ ، وَإِنْ لَمْ نُنْكِرْ عَلَيْهِ شَرِبَهَا وَلَمْ يَقْتُلْ أَحَدًا .

ومنها ألا يغلب على ظنِّ الناهي عن المنكر أن نهيه لا يؤثر ، فإن غلب على ظنه
ذلك قَبِيحٌ نهيه عند من يقول من أصحابنا إنَّ التكليف من المعلوم منه أنه يكفر بإيحيى ،
إلا أن يكون فيه لطف لغير ذلك المكلف . وأما من يقول من أصحابنا إنَّ التكليف
من المعلوم منه أنه يكفر حسن ، وإن لم يكن فيه لطف لغير المكلف ، فإنه لا يصحُّ منه
القول بقبح هذا الإنكار

فأما شرائط وجوب النهي عن المنكر فأمر :

منها أن يغلب على الظنِّ وقوع المعصية نحو أن يضيق وقتُ صلاة الظهر ، ويرى الإنسان
لا تهيئاً للصلاة ، أو يراه تهيئاً لشرب الخمر بإعداد آلتيه ، ومتى لم يكن كذلك حَسُنَ
مَنْ أَنْ نَدْعُوهُ إِلَى الصَّلَاةِ ، وَإِنْ لَمْ يَجِبْ عَلَيْنَا دَعَاؤُهُ .

ومنها ألا يغلب على ظنِّ الناهي عن المنكر أنه إن أنكر المنكر لحقته في نفسه
وأعضائه مضرّة عظيمة ، فإن غلب ذلك على ظنِّه وأنه لا يمتنع من ينكر عليه من فعل

ما يُنْكِرُهُ عليه أيضا ، فإنه لا يجب عليه الإنكار ، بل ولا يحسن منه لأنه مفسدة . وإن غلب على ظنه أنه لا يفعل ما أنكره عليه ولكنه يضرب به ؛ نظر فإن كان إضراره به أعظم قُبْحاً مما يتركه إذا أنكر عليه ، فإنه لا يحسن الإنكار عليه ، لأن الإنكار عليه قد صار والحالة هذه مفسدة ؛ نحو أن يُنكر الإنسان على غيره شرب الخمر ، فيترك شرابها ويقتله . وإن كان ما يتركه إذا أنكر عليه أعظم قُبْحاً مما ينزل به من المصرة ، نحو أن يَهْمَّ بالكفر ، فإذا أنكر عليه تركه وجرح المنكر عليه أو قتله فإنه لا يجب عليه الإنكار ، ويحسن منه الإنكار ؛ أما قولنا : لا يجب عليه الإنكار ؛ فلأن الله تعالى قد أباحنا التكلم بكلمة الكفر عند الإكراه ، فبأن يبيحنا ترك غيرنا أن يتلفظ بذلك عند الخوف على النفس أولى ؛ وأما قولنا : إنه يحسن الإنكار ، فلأن في الإنكار مع الظن لما ينزل بالنفس من المصرة إعزازا للدين ، كما أن في الامتناع من إظهار كلمة الكفر مع الصبر على قتل النفس إعزازا للدين ، لأفضل بينهما .

فأما كيفية إنكار المنكر فهو أن يبتدىء بالسهل ، فإن نفع وإلا ترقى إلى الصعب ؛ لأن الغرض ألا يقع المنكر ، فإذا أمكن ألا يقع بالسهل فلا معنى لتكلف الصعب ، ولأنه تعالى أمر بالإصلاح قبل القتال في قوله : ﴿ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فقاتلوا التي تبغى ﴾ (١) .

فأما الناهي عن المنكر من هو ؟ فهو كل مسلم تمسك منه واختص بشرائطه ، لأن الله تعالى قال : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (٢) ، وإلجام المسلمين على أن كل من شاهد غيره تاركاً للصلاة غير محافظ عليها فله أن يأمره بها ، بل يجب عليه ، إلا أن الإمام وخلفاءه أولى بالإنكار بالقتال ، لأنه أعرف بسياسة الحرب وأشد استعداداً لآلاتها .

(١) سورة الحجرات ٩ .

(٢) سورة آل عمران ١٠٤ .

فَأَمَّا النِّهْيُ مَنْ هُوَ؟ فَهُوَ كُلُّ مَكْلَفٍ أُخْتَصَّ بِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الشَّرُوطِ، وَغَيْرِ الْمَكْلَفِ إِذَا هُمَ بِالْإِضْرَارِ لغيرِهِ يَمْنَعُ مِنْهُ، وَيَمْنَعُ الصَّبِيَّانِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ حَتَّى لَا يَتَعَوَّدُوهُ، كَمَا يُوَازِنُونَ بِالصَّلَاةِ حَتَّى يَمْرِنُوا عَلَيْهَا، وَهَذَا مَا ذَكَرَهُ أَصْحَابُنَا.

فَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: « وَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ، وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ، فَذَلِكَ مَتَمَسِّكٌ بِخَصْلَتَيْنِ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ، وَمَضِيْعٌ خَصْلَةٌ »، فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ مَنْ يَعْجِزُ عَنِ الْإِنْكَارِ بِالْيَدِ الْمَانِعِ، لِأَنَّهُ لَمْ يُخْرِجْ هَذَا الْكَلَامَ مَخْرَجَ الذِّمِّ، وَلَوْ كَانَ لَمْ يَعْنِ الْعَاجِزَ لَوَجِبَ أَنْ يُخْرِجَ الْكَلَامَ مَخْرَجَ الذِّمِّ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَعْذُورٍ فِي أَنْ يُنْكَرَ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ إِذَا أَخْلَءَ بِالْإِنْكَارِ بِالْيَدِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى ذَلِكَ، وَارْتِفَاعِ الْمَوَانِعِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: « ضَبِيعُ أَشْرَفِ الْخَصْلَتَيْنِ » فَالْأَمُّ زَائِدَةٌ، وَأَصْلُهُ « ضَبِيعُ أَشْرَفِ خَصْلَتَيْنِ مِنَ الثَّلَاثِ »، لِأَنَّهُ لَا وَجْهَ لِتَعْرِيفِ الْمَعْبُودِ هَاهُنَا فِي الْخَصْلَتَيْنِ، بَلْ تَعْرِيفِ الثَّلَاثِ بِالْأَمِّ أَوَّلَى؛ وَيَجُوزُ حَذْفُهَا مِنَ الثَّلَاثِ، وَلَكِنْ إِبْتِغَاءُ أَحْسَنِ، كَمَا تَقُولُ: قَتَلْتُ أَشْرَفَ رَجُلَيْنِ مِنَ الرِّجَالِ الثَّلَاثَةِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: « فَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ »، فَهُوَ نِهْيَةٌ مَا يَكُونُ مِنَ الذِّمِّ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ النِّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ عِنْدَ أَصْحَابِنَا أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ: وَإِلَيْهِ تَذَهَبُ الْخَوَارِجُ الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى السُّلْطَانِ، مَتَمَسِّكِينَ بِالدِّينِ وَشِعَارِ الْإِسْلَامِ، مُجْتَهِدِينَ فِي الْعِبَادَةِ، لِأَنَّهُمْ إِتَمَّ خَرَجُوا لِمَا غَلَبَ عَلَى ظَنُونِهِمْ، أَوْ عَلِمُوا جَوْرَ الْوَلَاةِ وَظُلْمَهُمْ، وَأَنَّ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ قَدْ غُيِّرَتْ، وَحُكْمٌ بِمَا لَمْ يَحْكُمُ بِهِ اللَّهُ، وَعَلَى هَذَا الْأَصْلِ تَبَنَّى الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ مِنَ الشَّيْعَةِ قَتْلَ وَلاةِ الْجَوْرِ غِيْلَةً، وَعَلَيْهِ بِنَاءُ أَصْحَابِ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا الْإِنْكَارَ عَلَى الْأَمْرَاءِ وَالْخُلَفَاءِ، وَمُوَاجَهَتَهُمْ بِالْكَلَامِ الْفَلِيطِ لِمَا عَجَزُوا عَنِ الْإِنْكَارِ بِالْيَدِ، وَبِالْجَلَّةِ فَهُوَ أَصْلُ شَرِيفٍ أَشْرَفُ مِنْ جَمِيعِ أَبْوَابِ الْبِرِّ وَالْعِبَادَةِ، كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٣٨١)

الأضل :

وروى أبو جَحِيْفَةَ قَالَ : سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ :
 إِنَّ أَوَّلَ مَا تُنْكَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ ، الْجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ ، ثُمَّ بِالْسِنَتِكُمْ ، ثُمَّ
 بِقُلُوبِكُمْ ، فَمَنْ لَا يَعْرِفَ بَقَلْبِهِ مَعْرُوفًا وَلَمْ يُنْكَرْ مُنْكَرًا ، قُلُوبَ فُجَعِلَ أَعْلَاهُ
 أَسْفَلَهُ ، وَأَسْفَلَهُ أَعْلَاهُ .

الشرح :

إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْكَارَ بِالْقَلْبِ آخِرُ الْمَرَاتِبِ ، وَهُوَ الَّذِي لَا بَدْءَ مِنْهُ عَلَى كُلِّ
 حَالٍ ، فَأَمَّا الْإِنْكَارُ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ فَقَدْ يَكُونُ مِنْهُمَا بَدْءٌ ، وَغَنِيْمَةٌ عَظِيمَةٌ ، فَمَنْ تَرَكَ
 النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَارِ بِقَلْبِهِ ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ بِقَلْبِهِ ، فَقَدْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ لِمَعْصِيَانِهِ ، فَصَارَ
 كَالْمَسْخُوحِ الَّذِي يَجْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ ، وَأَسْفَلَهُ أَعْلَاهُ تَشْوِيْهًا خَلَقْتَهُ ، وَمَنْ يَقُولُ
 بِالْأَنْفُسِ الْجَسَدَانِيَّةِ ، وَإِنَّمَا بَعْدَ الْمَفَارِقَةِ يَصْعَدُ بَعْضُهَا إِلَى الْعَالَمِ الْعُلُوِّ : وَهِيَ نَفُوسُ الْأَهْرَارِ
 وَبَعْضُهَا يَنْزِلُ إِلَى الْمَرْكَزِ ، وَهِيَ نَفُوسُ الْأَشْرَارِ ، يَتَأَوَّلُ هَذَا الْكَلَامَ عَلَى مَذْهَبِهِ ، فَيَقُولُ :
 إِنَّ مَنْ لَا يَعْرِفُ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفًا ، أَيْ لَا يَعْرِفُ مِنْ نَفْسِهِ بَاعِثًا عَلَيْهِ وَلَا مُتَقَاضِيًا بِفِعْلِهِ ،
 وَلَا يُنْكَرُ بِقَلْبِهِ مُنْكَرًا ، أَيْ لَا يَأْتِفُ مِنْهُ وَلَا يَسْتَقْبِحُهُ ، وَيَمْتَعِضُ مِنْ فِعْلِهِ يَقْلِبُ نَفْسَهُ
 الَّتِي قَدْ كَانَ سَبِيلُهَا أَنْ تَصْعَدَ إِلَى عَالَمِهَا فَتُجْعَلَ هَاوِيَّةً فِي حَضِيضِ الْأَرْضِ ، وَذَلِكَ عِنْدَهُمْ
 هُوَ الْعَذَابُ وَالْعِقَابُ .

(٣٨٢)

الأفضل :

إِنَّ الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيٌّ ، وَإِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَبِيٌّ .

الشرح :

تقول : مرؤ الطعام بالضم ، يمرؤ مראה فهو مريٌّ على « فَعِيل » مثل خفيف و ثقيل ، وقد جاء مريُّ الطعام بالكسر ، كما قالوا فقه الرجل وفقه . ووبى البلد بالكسر يوبأ وبأة فهو وبى على « فَعِيل » أيضا ، ويجوز فهو وبى على « فَعِل » مثل حذر وأثير .

يقول عليه السلام : الحق وإن كان ثقيلا إلا أن عاقبته محمودة ، ومغبته صالحة ، والباطل وإن كان خفيفا إلا أن عاقبته مذمومة ، ومغبته غير صالحة ، فلا يحملن أحدكم حلاوة عاجل الباطل على فعله ، فلا خير في لذة قليلة عاجلة ، يتعقبها مضارٌ عظيمة آجلة ، ولا يصرفن أحدكم عن الحق ثقله فإنه سيحمد عقبى ذلك ، كما يحمد شارب الدواء المرّ شرّبه فيما بعد إذا وجد لذة العافية .

(٣٨٣)

الأفضل:

لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى خَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَذَابَ اللَّهِ ، لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ^(١) وَلَا تَيَأْسَنَّ لِشَرِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ تَعَالَى ، ﴿ إِنَّهُ لَا يَيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ^(٢) .

الشيخ :

هذا كلامٌ ينبغي أن يُحمَل على أنه أراد عليه السلام النهيَ عن القطع على مغيبٍ أحدٍ من الناس ، وأنه لا يجوز لأحد أن يقول : فلان قد نجا ، ووجبت له الجنة ، ولا فلان قد هلك ووجبت له النار ، وهذا القول حق ، لأن الأعمال الصالحة لا يُحكم لصاحبها بالجنة إلاّ بسلامة العاقبة ، وكذلك الأعمال السيئة لا يُحكم لصاحبها بالنار إلاّ إن مات عليها ؛ فأمّا الاحتجاج بالآية الأولى فللقائل أن يقول : إنها لا تدلّ على ما أفتى عليه السلام به ، وذلك لأنّ معناها أنه لا يجوز للعاصي أن يأمن مكرّ الله على نفسه ، وهو مقيمٌ على عصيانه ، ألا تَرَى أنّ أولها : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ^(٣) ، وليست دالة على ما نحن

(٢) سورة يوسف - ٨٧ .

(١) سورة الأعراف - ٩٩ .

(٣) سورة الأعراف - ٩٧ - ٩٩ .

فيه ، لأن الذى نحن فيه : هل يجوز لأحدٍ أن يأمن على الصالحين من هذه الأمة عذاب الله .

فأما الآية الثانية فالاحتجاج بها جيد لا شبهة فيه ، لأنه يجوز أن يتوب العاصى والتوبة من روح الله .

فإن قلت : وكذلك يجوز أن يكفر المسلم المطيع .

قلت : صدقت ، ولكن كفره ليس من مكر الله ، فدلّ على أن المراد بالآية أنه لا ينبغى للعاصى أن يأمن من عقوبة الله ما دام عاصياً ، وهذا غير مسألتنا .

(٣٨٤)

الأنثى :

البُخلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِي الْعُيُوبِ ، وَهُوَ زِمَامٌ يُقَادُّ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ .

الْبُخْلُ :

قد نقدّم القول في البخل والشح . ونحن نذكر ها هنا زيادات أخرى .

[أقوال مأثورة في الجود والبخل]

قال بعض الحكماء : السخاء هيئة للإنسان ، داعية إلى بذل المقتنيات ، حصل معه البذل لها أو لم يحصل ، وذلك خلق ، ويقابله الشح ؛ وأما الجود ، فهو بذل المقتنى ؛ ويقابله البخل ؛ هذا هو الأصل ، وإن كان كل واحد منها قد يستعمل في موضع الآخر ، والذي يدل على صحة هذا الفرق أنهم جعلوا اسم الفاعل من السخاء والشح على بناء الافعال الغريزية ، فقالوا : شحيح وسخي ، فبنوه على « فَعِيل » كما قالوا : حلِيم وسفيه وعَفِيف ، وقالوا : جائد وباخل ، فبنوهما على « فاعل » كضارب وقَاتِل ؛ فأما قولهم : بخيل ، فمصرف عن لفظ « فاعل » للمبالغة ، كقولهم في راحم رَحِيم ، ويدل أيضا على أن السخاء غريزة وخلق أنهم لم يصفوا البارئ سبحانه ، به فيقولوا سَخِي ، فأما الشح فقد عظم أمره وخوف منه ، ولهذا قال عليه السلام : « ثلاثٌ مَهلكات : شحٌ مُطَاع ، وهوىٌ مُتَّبَعٌ ، وإعجابٌ بالبرء بنفسه » ، نفص الطاع تنبيها على أن وجود الشح

في النفس فقط ليس مما يستحقّ به ذمّ لأنه ليس من فعله ، وإنما يذمّ بالإتياده ؛ قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ وَأَحْضَرْتَ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ﴾ ^(٢) . وقال عليه السلام : لا يجتمع شحّ وإيمان في قلب أبدا .

فأمّا الجود فإنّه محمود على جميع ألسنة العالم ، ولهذا قيل : كفى بالجود مدحا أن اسمه مطلقا لا يقع إلّا في سجد ، وكفى بالبخل ذمّا أن اسمه مطلقا لا يقع إلّا في ذم . وقيل الحكيم : أى أفعال البشر أشبه بأفعال البارّ سبحانه ؟ فقال : الجود . وقال النبي صلى الله عليه وآله : « الجود شجرة من أشجار الجنة ، من أخذ بغصن من أغصانها أدّاه إلى الجنة ، والبخل شجرة من أشجار النار من أخذ بغصن من أغصانها أدّاه إلى النار » .

ومن شرف الجود أن الله سبحانه قرّن ذكره بالإيمان ، ووصف أهله بالفلاح ، والفلاح اسم جامع لسعادة الدارين ؛ قال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٣) . وقال : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٤) .

وحقّ للجود بأن يُقرّن بالإيمان ، فلا شيء أخصّ به وأشدّ مجانسة له منه ، فإن من صفة المؤمن انشراح الصدر ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَمَّا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ ^(٥) ؛ وهذا من صفات الجواد والبخیل ، لأنّ الجواد واسع الصدر ، منشرح مستبشر للإنفاق والتبذل ، والبخیل قنوط ضيق الصدر ، حرج القلب ممسك .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : « وأى داء أدوأ من البخل » . والبخل على ثلاثة أضرب : بخل الإنسان بماله على نفسه ، وبخله بماله على غيره ، وبخله

(٢) سورة النساء ١٢٨ .

(٤) سورة الحشر ٩ .

(١) سورة التغابن ١٦

(٣) سورة البقرة ٣ - ٥

(٥) سورة الأنعام ١٢٥

بمال غيره على نفسه أو على غيره وأخشئها بئجله ببال غيره على نفسه ، وأهونها - وإن كان لا هيئ فيها - بئجله بباله على غيره .

وقال عليه السلام : « اللهم اجعل لمنفق خلفاً ؛ ولمسك تلفاً » .

وقال : « إن الله عز وجل يُنزل المعونة على قدر المؤونة » .

وقال أيضاً : « من وسع وسع عليه » .

وقالت الفلاسفة : الجود على أقسام : فمنها الجود الأعظم ، وهو الجود الإلهي ، وهو الفيض العام المطلق ، وإنما يختلف باختلاف المواد واستعداداتها ، وإلا فالفيض في نفسه عام غير خاص ، وبعده جود الملوك ، وهو الجود بجزء من المال على من تدعوم الدواعي والأغراض إلى الجود عليه ، ويتلوه جود السوقة ، وهو بذل المال للنفقة أو التهامي والشرب والمعاشرين والإحسان إلى الأقارب .

قالوا : واسم الجود مجاز ، إلا الجود^(١) الإلهي العام ؛ فإنه عارٍ عن الغرض والداعي . وأما من يعطى لغرض وداعٍ نحو أن يحب الثناء والحمد ، فإنه مستعيب وتاجر يعطى شيئاً ليأخذ شيئاً ، قالوا قول أبي نواس :

فتي يشتري حسن الثناء بماله ويعلم أن الدائرات تدور

ليس بغاية في الوصف بالجود التام ، بل هو وصف بتجارة محمود ، وأحسن منه قول

ابن الرومي :

وتاجر البر لا يزال له ربحان في كل متجر تجرة

أجرٌ وحده وإنما طلب الأجر ولكن كلاً ما اعتوره

وأحسن منهما قول بشار :

ليس يعطيك الرجاء ولا الخو فـ ولكن يلد طعم العطاء^(٢)

ونحن قد ذكرنا ما في هذا الموضع من البحث العقلي في كتبنا العقلية .

(١) ب : « على الجود » .

(٣٨٥)

الأفضل

يَا بَنَ آدَمَ ، الرِّزْقُ رِزْقَانِ : رِزْقٌ تَطْلُبُهُ ، وَرِزْقٌ يَطْلِيكَ ، فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ ،
فَلَا تَحْمِلْ هَمَّ سَلَمَتِكَ عَلَى هَمِّ يَوْمِكَ ، كَفَاكَ كُلُّ يَوْمٍ مَا فِيهِ ، فَإِنْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ
عُمْرِكَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيُؤْتِيكَ فِي كُلِّ غَدٍ جَدِيدٍ مَا قَسِمَ لَكَ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنِ السَّنَةُ
مِنْ عُمْرِكَ فَمَا تَصْنَعُ بِأَهْمٍ فِيمَا لَيْسَ لَكَ ، وَلَمْ يَسْبِقْكَ إِلَى رِزْقِكَ طَالِبٌ ، وَلَنْ
يُعْذِبَكَ عَلَيْهِ غَالِبٌ ، وَلَنْ يُبْطِئَ عَنْكَ مَا قَدَّرَ لَكَ .

قَالَ : وَقَدْ مَضَى هَذَا الْكَلَامُ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ هَذَا الْبَابِ ، إِلَّا أَنَّهُ هَاهُنَا أَوْضَحُ
وَأَشْرَحُ ، فَلِذَلِكَ كَرَّرْنَاهُ عَلَى الْقَاعِدَةِ الْمَقَرَّرَةِ فِي أَوَّلِ هَذَا الْكِتَابِ .

الْبُرْجُ :

قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي مَعَانِي هَذَا الْفَصْلِ ، وَرُوي أَنَّ جَمَاعَةً دَخَلُوا عَلَى الْجُنَيْدِ ،
فَاسْتَأْذَنُوهُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ ، فَقَالَ : إِنْ عَلِمْتُمْ فِي أَيْ مَوْضِعٍ هُوَ فَاطْلُبُوهُ : قَالُوا : فَتَسْأَلُ
اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ ، قَالَ : إِنْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ يَنْسَاكُمْ فَذَكِّرُوهُ ، قَالُوا : فَتَدْخُلُ الْبَيْتَ وَتَتَوَكَّلُ
وَتَنْتَظِرُ مَا يَكُونُ ، فَقَالَ : التَّوَكَّلْ عَلَى التَّجَرُّبَةِ شَكٌّ ، قَالُوا : فَمَا الْحِيلَةُ ؟ قَالَ :
تَرْكُ الْحِيلَةِ .

وَرُوي أَنَّ رَجُلًا لَزِمَ بَابَ عَمَرَ فَضَجَّرَ مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا ، هَاجَرْتَ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى أَمْ إِلَى بَابِ عَمَرَ ! اذْهَبْ فَتَعَلِّمِ الْقُرْآنَ ، فَإِنَّهُ سَيُعْطِيكَ عَنْ بَابِ عَمَرَ ، فَذَهَبَ الرَّجُلُ

و غاب مدّة حتى افتقده عمرٌ ، فإذا هو معتزل مشغول بالعبادة ، فأتاه عمرٌ فقال له إني اشتقت إليك ، فما الذي شغلك عنا ! قال : إني قرأت القرآن فأغتنى عن عمر وآل عمر ، فقال : رحمك الله ! فما وجدت فيه ؟ قال : وجدت فيه : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾^(١) ، فقلت : رزقي في السماء ، وأنا أطلبه في الأرض ، إني لبئس الرجل ، فبكى عمرٌ وقال : صدقت ، وكان بعد ذلك ينتابه ويجلس إليه .

— ٣٢١ —

(٣٨٦)

الأضل :

رُبَّ مُسْتَقْبِلٍ يَوْمًا لَيْسَ بِمُسْتَدِيرِهِ ، وَمَغْبُوطٍ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ قَامَتْ بَوَاكِيهِ
فِي آخِرِهِ ^(١) .

الشُّنْخ :

مثلُ هذا قولُ الشاعر :

يَارَاقِدَ اللَّيْلِ مَسْرُورًا بِأَوَّلِهِ إِنَّ الْخَوَاطِثَ قَدْ يَطْرُقُنَ أَصْحَارًا
وَمِثْلُهُ :

لَا يَمُرُّ نَفْسٌ عِشَاءً سَاكِنَةٌ قَدْ يُوَافِي بِالْمَنِيَّاتِ السَّحَرُ

(١) لى د « ومغبوط في أول ليل قامت بواكبه في آخره » .

(٣٨٧)

الأضل :

الكلامُ في وثاقِكَ ما لمَ تَتَكَلَّمْ بِهِ ، فإذا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ فِي وَثاقِهِ ؛
فاخزُنْ لِسَانَكَ كما تَخزُنُ ذَهَبَكَ وَوَرَقَكَ ؛ قُرْبَ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً .

الشنخ :

قد تقدم القولُ في مدح الصمت وذم الكلام الكثير .
وكان يقال : لا خير في الحياة إلا لصموت وابع ، أو ناطق مُحسِن .
وقيل لحذيفة : قد أطلت سجن لسانك ! فقال : لأنه غيرُ مأمون [إذا أُطلق]^(١) .
ومن أمثال العرب : رَبُّ كَلِمَةٍ يَقُولُ : دَعْنِي .
وقالوا : أصلها أن بعض ملوك الحيرة كان قد استراب ببعض خَوَلِهِ ، فنزل يوما وهو
يتصيد على ثَلَمَةٍ ، ونزل أصحابُه حوله فأفاضوا في حديث كثير ، فقال ذلك الإنسان :
أترى لو أن رجلا ذُبِحَ على رأس هذه الثَلَمَةِ هل كان يسيلُ دُمُهُ إلى أوَّلِ الغائط ؟ فقال
أَمَلِكُ : هَلُمُّوا فاذْ بَحُوهُ لِنَنْظُرَ ، فذَبَحُوهُ ، فقال المَلِكُ : رَبُّ كَلِمَةٍ يَقُولُ : دَعْنِي .
وقال أ كَثْمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : من إ كرام الرَّجُلِ نَفْسُهُ أَلَّا يَتَكَلَّمَ بِكَلِّ ما يَعْلَمُ .
وتذاكر قومٌ من العرب وفيهم رجلٌ باهليٌّ ساكت ، فقيل له : بِحَقِّ ما سَمَّيْتُمْ
خُرْسَ الْعَرَبِ^(٢) ، فقال : أما علمتم أن لسان المرء لغيره ، وسمعته لنفسه !

(١) من ا ، د .

(٢) كذا في ا ، وبعدها في ب : فنالوا له : لم لا تتكلم ؟ فقال : أما علمتم . . . « .

(٣٨٨)

الأفضل :

لَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ ؛ بَلْ لَا تَقُلْ كَلَّ مَا تَعْلَمُ ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ فَرَضَ عَلَى جَوَارِحِكَ كُلِّهَا فَرَائِضَ يَحْتَاجُ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

الشرح :

هَذَا نَهَى عَنْ الكَذِبِ ، وَأَنْ تَقُولَ مَا لَا تَأْمَنُ مِنْ كَوْنِهِ كَذِبًا ، فَإِنَّ الْأَمْرَيْنِ كِلَيْهِمَا قَبِيحَانِ عَقْلًا عِنْدَ أَصْحَابِنَا .

فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ يَقُولُ أَصْحَابُكُمْ : إِنْ أَخْبَرَ الَّذِي لَا يَأْمَنُ كَوْنَهُ كَذِبًا قَبِيحٌ ، وَالنَّاسُ يَسْتَحْسِنُونَ الْأَخْبَارَ عَنِ الْمُظَنُّونِ^(١) .

قُلْتُ : إِذَا قَالَ الْإِنْسَانُ : زَيْدٌ فِي الدَّارِ وَهُوَ يَظُنُّهُ فِي الدَّارِ وَلَا يَقْطَعُ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ الْحَسَنَ مِنْهُ أَنْ يُخْبَرَ عَنْ ظَنِّهِ كَأَنْ يَقُولَ : أَخْبِرْ عَنْ أُنَى أَظُنُّ أَنَّ زَيْدًا فِي الدَّارِ ، وَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ تَقْدِيرُهُ فَأَخْبِرْ إِذَنْ خَبْرًا عَنْ مَعْلُومٍ لَا عَنْ مَظْنُونٍ ، لِأَنَّهُ قَاطِعٌ عَلَى أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ زَيْدًا فِي الدَّارِ .

فَأَمَّا إِذَا فَرَضَ الْخَبْرَ لَا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ بَلْ عَلَى الْقَطْعِ بِأَنْ زَيْدًا فِي الدَّارِ وَهُوَ لَا يَقْطَعُ عَلَى أَنَّ زَيْدًا فِي الدَّارِ ، فَقَدْ أَخْبَرَ بِخَبْرٍ لَيْسَ عَلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُ ، لِأَنَّهُ أَخْبَرَ عَنْ أَنَّهُ قَاطِعٌ ، وَلَيْسَ بِقَاطِعٍ ، فَكَانَ قَبِيحًا .

(١) كَذَا فِي أ ، ب وَفِي د : « الْمَظْنُونَاتِ » .

(٣٨٩)

الأضل :

احذرُ أن يراك الله عند معصيته ؛ ويفقدك عند طاعته ، فتكون من
الخاسرين ؛ وإذا قويت فأقو على طاعة الله ، وإذا ضعفت فاضعف عن
معصية الله .

الشرح :

من علم يقيناً أن الله تعالى يراه عند معصيته، كان أجدر الناس أن يجتنبها ؛ كما إذا علمنا
يقيناً أن الملك يرى الواحد منا وهو يراد جاريته عن نفسها ، أو يحدث ولده ليفجر به ،
ولكن اليقين في البشر ضعيف جداً ، أو أنهم أحق الحيوان وأجهله ، وبحق أقول : إنهم
إن اعتقدوا ذلك اعتقاداً لا يخالطه الشك ، ثم واقعوا المعصية ، وعندهم عقيدة أخرى
ثابتة أن العقاب لاحق بمن عصى ، فإن الإبل والبقر أقرب إلى الرشد منهم .

وأقول : إن الذي جرأ الناس على المعصية الطمع في المغفرة ، والعفو العام . وقولهم :
الحلم والكرم والصفح من أخلاق ذوى النباهة والفضل من الناس ، فكيف لا يكون
من البارئ سبحانه عفو عن الذنوب !

وما أحسن قول شيخنا أبي علي رحمه الله : لولا القول بالإرجاء ، لما عصى الله
في الأرض .

(٣٩٠)

الأصل :

الرُّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا مَعَ مَا تُعَايِنُ مِنْهَا جَهْلٌ ، وَالتَّقْصِيرُ فِي حُسْنِ الْعَمَلِ
إِذَا وَثِقَتْ بِالثَّوَابِ عَلَيْهِ غَبْنٌ ، وَالطَّمَأْنِينَةُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَ الْاِخْتِبَارِ
لَهُ عَجْزٌ .

الشرح :

قد تقدّم الكلام في الدنيا وُحُوق من يَرَكُنُ إليها مع معاينة غلريها ، وقلة وفائدها
ونقضها عهودها ، وقتلها عشاقها .

ولا ريبَ أن الغبنَ وأعظمُ الغبنِ هو التقصير في الطاعة مع يقين الثواب عليها ،
وأما الطمأنينة إلى مَنْ لم يعرف ولم يختبر فإنها عجز - كما قال عليه السلام - يعني عجزاً
في العقل والرأى ، فإن الوثوق مع التجربة فيه ما فيه ، فكيف قبل التجربة !

وقال الشاعر :

وكنْتُ أرى أن التجاربَ عدَّةٌ نَفَخَتْ ثِقَاتُ النَّاسِ حِينَ التَّجَارِبِ

(٣٩١)

الأصل :

مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا ، وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا .

الشرح :

هذا الكلام نسبته القزالي في كتاب ” إحياء علوم الدين “ ، إلى أبي الدرداء ، والصحيح أنه من كلام علي عليه السلام ، ذكره شيخنا أبو عثمان الجاحظ في غير موضع من كتبه ، وهو أعرف بكلام الرجال .

[نبذ مما قيل في حال الدنيا وهوانها واغترار الناس بها]

وقد تقدّم من كلامنا في حال الدنيا وهوانها على الله واغترار الناس بها وغدرها بهم^(١) ، وذمّ العقلاء لها ، وتحذيرهم منها ما فيه كفاية . ونحن نذكرها هنا زيادةً على ذلك .

يقال : إنّ في بعض كتب الله القديمة : الدّنيا غنيمة الأكياس ، وُغفلة الجُهّال ، لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرّجعة فلم يرجعوا . وقال بعض العارفين : مَنْ سأل الله [تعالى]^(٢) الدّنيا فإنما سألها طول الوقوف بين يديه .

(١) : « وغدرهم بها » .

(٢) من د .

وقال الحسن : لا تخرج نفسك من الدنيا إلا بحسرات ثلاث : أنه لم يشبع مما جمّع ، ولم يدرك ما أتمّل ، ولم يحسن الزاد لما يُقدّم^(١) عليه .
ومن كلامه : أهينوا الدنيا ، فوالله ما هي لأحدٍ بأهناً منها لمن أهانها .

وقال محمد بن النكدر^(٢) : أرأيت لو أن رجلاً صام الدهر لا يفطر ، وقام الليل لا يفتّر ، وتصدق بماله ، وجاهد في سبيل الله ، واجتنب محارم الله تعالى ، غير أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال : إن هذا مع ما قد عمل كان يعظم في عينه ماصغر الله ، ويصغر في عينه ما عظم الله ، كيف ترى يكون حاله ! فمن منا ليس هكذا ؛ الدنيا عظيمة عنده مع ما أفتّرنا من الذنوب والخطايا .

وقد ضربت الحكماء مثلاً للدنيا نحن نذكره هاهنا ، قالوا : مثل الدنيا وأهلها كقوم ركبوا سفينةً فأنهت بهم إلى جزيرة ، فأمرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم المقام ، وخوفهم مرور السفينة ؛ واستعجالها ، فتفرقوا في نواحي الجزيرة ، فقضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة ؛ فصادف المكان خالياً ، فأخذ أوسع المواضع وألحها وأوقفها لمراده . وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر إلى أزهارها وأنوارها العجيبة ، وغياضها الملتفة ، ونفثات طيورها الطيبة ، وألحائها الموزونة الغريبة ، ولحظ في تزيينها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الألوان ذوات الأشكال الحسنّة المنظر ، العجيبة النقش ، السالبة أعين الناظرين بحسن زبرجها ، ومجائب صورها ، ثم تنبّه لخطر قوات السفينة ، فرجع إليها فلم يصادف إلا مكاناً ضيقاً حرجاً ، فاستقرّ فيه . وبعضهم أكب فيها على تلك الأصداف والأحجار ، وقد أعجبه حسنها ، ولم تسمع نفسه بإهمالها ونزكها ، فاستصحب منها جملةً ، فجاء إلى السفينة فلم يجد إلا مكاناً ضيقاً ، وزاده ماحله ضيقاً ، وصار نقلاً عليه ووبالاً ، فندم على أخذه ، ولم تطعمه نفسه على رميه ، ولم يجد موضعاً له ، فحمّله على عنقه

(٢) كذا في ١ ، وهو الصواب ، وفي ب ، د : « المنذر » .

(١) : « قدم عليه » .

ورأسه ، وجلس في المكان الضيق في السفينة ؛ وهو متأسف على أخذه ونادى ، وليس
ينفعه ذلك . وبعضهم تولج بتلك الأنوار والغياض ، ونسى السفينة وأبعد في متفرجته
ومنزّهه ، حتى إن نداء الملاح لم يبلغه لاشتغاله بأكل تلك الثمار ، واشتغاله تلك
الأنوار ، والتفرج بين تلك الأشجار ، وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع ،
والسقطات والنكبات ، ونهش الحيات ، وليس ينفك عن شوك يشبث بشيا به ، وغصن
يخرج جسمه ، ومروية تدمي رجله ، وصوت هائل يفرع منه ، وعوسج يملأ طريقه ،
ويمنعه عن الانصراف لو أراد ، وكان في جماعة ممن كان معه في السفينة حالهم حاله ، فلما
بلغهم نداء السفينة راح بعضهم مثقلا بما معه فلم يجد في السفينة موصلا واسعا ولا ضيقا ،
فبقي على الشط حتى مات جوعا . وبعضهم بلغه النداء ، فلم يعرج عليه ، واستغرقته اللذة ،
وسارت السفينة ؛ فمنهم من أفرسته السباع ، ومنهم من تاه وهام على وجهه حتى هلك ،
ومنهم من ارتطم في الأوحال ، ومنهم من نهشته الحيات ، ففترقوا هلكى كالخيف
المنينة . فأما من وصل إلى السفينة مثقلا بما أخذه من الأزهار والفاكهة اللذيذة ،
والأحجار المعجبة ، فإنها استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من ذهابها عن جميع
أموره ؛ وضاق عليه بطريقها مكانه ، فلم تلبث أن ذبلت تلك الأزهار ، وفستت تلك
الفاكهة الغضة ، وكمدت ألوان الأحجار وحالت ، فظهر له نثن رأتحتها ، فصارت مع
كونها مضيق عليه مؤذية له بلتنيها ووحشتها ، فلم يجد حيلة إلا أن ألقاها في البحر هربا منها وقد
أثر في مزاجه ما أكله منها ، فلم يذته إلى بلده إلا بعد أن ظهرت عليه الأسقام بما أكل
وما شتم من تلك الروائح ، فبلغ سقيا وقيدا مدبرا ، وأما من كان رجع عن قريب ومافاته
إلا سعة المحل ؛ فإنه تأذى بضيق المكان مدة ، ولكن لما وصل إلى الوطن استراح ،
وأما من رجع أولا فإنه وجد المكان الأوسع ، ووصل إلى الوطن سالما طيب القلب
مسرورا .

فهذا مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بمخطوطهم العاجلة ، ونسيانهم موردهم ومصنوعهم ، وغفلتهم عن عاقبة أمرهم ، وما أقبح حال من يزعم أنه بصير عاقل وتغره حجارة الأرض ، وهي الذهب والفضة ، وهشيم النبت وهوزينة الدنيا ، وهو يعلم يقينا أن شيئا من ذلك لا يصحبه عند الموت ، بل يصير ككله وبالا عليه ، وهو في الحال الحاضرة شاغل له بالخوف عليه ، والحزن والهَمّ لحفظه ، وهذه حال الخلق كلهم إلا من عصمه الله .

وقد ضرب أيضا لها مثال آخر في عبور الإنسان عليها ؛ قالوا : الأحوال ثلاثة : حال لم يكن الإنسان فيها شيئا ، وهي ما قبل وجوده . إلى الأزل ، وحال لا يكون فيها موجودا مُشاهداً للدنيا ، وهي بعد موته إلى الأبد ، وحالة متوسطة بين الأزل والأبد ، وهي أيام حياته في الدنيا ، فلينظر العاقل إلى الطرفين الطويلين ، ولينظر إلى الحالة المتوسطة ، هل يجد لها نسبة إليها^(١) ، وإذا رأى العاقل الدنيا بهذه العين لم يركن إليها ، ولم يُبالِ كيف تقضت أيامه فيها ؛ في ضرّ وضيق ، أو في سعة ورفاهة ، بل لا يبني لبننة على لبننة ؛ توقى رسول الله صلى الله عليه وآله وما وضع لبننة على لبننة ، ولا قصبة على قصبة . ورأى بعض الصحابة بنى بيتا من جص فقال : أرى الأمر أعجل من هذا ، وأنكر ذلك ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله : مالى والدنيا ؛ إنما ملى ومثلها كراكب سار في يوم صائف ، فرُفعت له شجرة فقام تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها ؛ وإلى هذا أشار عيسى بن مريم حيث قال : الدنيا قنطرة ، فأعبروها ولا تعمروها ، وهو مثل صحيح ، فإن الحياة الدنيا قنطرة إلى الآخرة ، والمهد هو أحد جانبي القنطرة ، واللحد الجانب الآخر ، وبينهما مسافة محدودة ، فمن الناس من قطع نصف القنطرة ، ومنهم من قطع ثلثيها ، ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها ؛ وكيفما كان فلا بد من العبور والانتهاء ، ولا ريب أن عمارة هذه القنطرة ، وتزينها بأصناف الزينة لمن

(١) كذا في ١ ، وفي ب ، د : « إليها » .

هو محمول قسراً وقهراً على عبورها ، يسوقه سائقٌ عنيف ، غاية الجهل والخلدان .
وفي الحديث المرفوعُ : « إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله مرَّ على شاةٍ ميّنةٍ ، فقال :
أترون أن هذه الشاة هينةٌ على أهلها : قالوا : نعم ، ومن هوانها ألقوها ، فقال : والذي
نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ، ولو كانت الدنيا تعدل عند
الله جناحَ بعوضة لما سقى كافراً منها شربةَ ماء » .

وقال صلى الله عليه وآله : « الدنيا سجنٌ للمؤمن ، وجنةٌ للكافر » .
وقال أيضاً : « الدنيا ملعونة ، ملعونٌ ما فيها ، إلا ما كان لله منها » .
وقال أيضاً : « مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ ،
فَاثَرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى » .
وقال أيضاً : « حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ » .

وروى زيدُ بنُ أرقم قال : كنّا مع أبي بكر ، فدعا بشارب ، فأُتيَ بهاءٌ وعسلٌ ،
فلما أدناه مِن فيه بكى حتى أبكى أصحابه ، فسكتوا وما سكّت ، ثم عاد ليشرّب ، فبَكَى
حتى ظنُّوا أنّهم لا يقْدِرون على مسألته ، ثم مسح عينيه ، فقالوا : يا خليفةَ رسول الله ،
ما أبكاك ؟ قال : كنتُ مع رسول الله صلى الله عليه وآله فرأيتُه يدفع بيده عن نفسه
شيئاً ، ولم أر معه أحداً ، فقلت : يا رسول الله ، ما الذي تدفع عن نفسك ؟ قال : هذه
الدنيا مُثَلَّتْ لِي ، فقلتُ لها : إِيَّاكَ عَنِي ، فرجعتُ وقالت : إِنَّكَ إِنْ أَفْلَتَ مِنِّي لَمْ يَفْلِتْ
مَنِّي مَنْ بَعْدَكَ . وقال صلى الله عليه وآله : « يَاعَجَبَا كُلَّ الْعَجَبِ لِلْمَصْدَقِ بَدَارِ الْخُلُودِ
وَهُوَ يَسْعَى لِدَارِ الْغُرُورِ ! » .

ومن الكلام المأثور عن عيسى عليه السلام : لا تتخذوا الدنيا ربّاً فتتخذكم الدنيا
عبيداً ؛ فاكنزوا كنزكم عند من لا يضيّعهُ ؛ فإن صاحب كنز الدنيا يخافُ عليه
الآفة ، وصاحب كنز الآخرة لا يخاف عليه .

(٣٩٢)

الأضل

مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ .
وفي روايةٍ أُخْرَى : مَنْ فَاتَهُ حَسَبُ نَفْسِهِ ، لَمْ يَنْفَعَهُ حَسَبُ آبَائِهِ .

الْبُشْحُ :

قد تقدّم مثلُ هذا ، وقد ذكرنا ما عندنا فيه ، وقال الشاعر :

لئن نفرتَ بآباءِ ذَوِي حَسَبٍ لقد صدقتَ ولكنْ بئس ما وُلِدُوا

وكان يقال : أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ افْتَخَرَ بِالْعِظَامِ الْبَالِيَةِ ، وَتَبَجَّحَ بِالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ ، وَاتَّكَلَ عَلَى الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ .

وكان يقال : مَنْ طَرِيفَ الْأُمُورِ حَتَّى يَتَّكِلَ عَلَى مَيِّتٍ . وكان يقال : ضَعَةُ الدُّنْيَا فِي نَفْسِهِ وَالرَّفِيعُ فِي أَصْلِهِ ، أَقْبَحُ مِنْ ضَعَةِ الْوَضِيعِ فِي نَفْسِهِ وَأَصْلِهِ ؛ لِأَنَّ هَذَا تَشَبُّهُ بِآبَائِهِ وَسَلَفِهِ ، وَذَلِكَ قَصْرٌ عَنْ أَصْلِهِ وَسَلَفِهِ ، فَهُوَ إِلَى الْمَلَامَةِ أَقْرَبُ ، وَعَنِ الْعُذْرِ أَبْعَدُ .

افتخر شريفٌ بأبيه ، فقال خصمه : لو وُفِّقْتَ ، لما ذكرتَ أباك ، لأنه حُجَّةٌ عَلَيْكَ تُنَادِي بِنُقْصِكَ ، وَتَقَرُّ بِتَخْلُفِكَ .

كان جعفر بنُ يحيى يقول : ليس من الكِرَامِ مَنْ افْتَخَرَ بِالْعِظَامِ .

وقال الفضل بن الرِّبِّيع : كُنْ بِأَرَاءِ عَارِئٍ أَنْ يَفْتَخِرَ بغيره .

وقال الرشيد : من افتخر بآبائه فقد نادى على نفسه بالعجز ، وأقر على
همته بالدناءة .

وقال ابن الرومي :

وما الحسبُ الموروثُ لا درَّ درُّهُ بمحتسبٍ إلا بآخرٍ مكتسبٍ
إذا العود لم يثمر وإن كان شعبةً من الثمرات اعتده الناس في الخطبِ
وقال عبدُ الله بن جعفر :

لسنا - وإن أحسبنا كرمتم - يوما على الآباء نتكلمُ
نبيي كما كانت أوائلنا تبني ، ونفعلُ مثلَ ما فعلوا

وقال آخر :

وما نفري بمجدٍ قام غيري إليه إذا رقدت الليل عنه
إلى حسب الفتى في نفسه أنظرُ ولا تنظرُ هُديت إلى ابن من هو

وقال آخر :

إذا نفرتُ بآبائي وأجدادي فقد حكمتُ على نفسي لأضدادي
هل نافي إن سعى جدِّي لكرمةٍ ونمت عن أختها في جانب الوادي !

وقال آخر :

أيقنعي كوني بمن كوني ابنه أبا لي أن أرضي لفخري بمجدي
إذا المرء لم يحو العلاء بنفسه فليس بجوارٍ للعلاء بمجده
وهل يقطع السيف الحسام بأصله إذا هو لم يقطع بصارم حده !

وقيل لرجل يدل بشرف آبائه : لعمري لك أول ، ولكن ليس لأولك آخر .

ومثله أن شريفاً بأبائه فاخر شريفاً بنفسه ، فقال الشريف بنفسه : انتهى إليك شرف
أهلك ، ومضى ابتداء شرف أهلى ، وشتان بين الابتداء والانتهاى !
وقيل لشريف ناقص الأدب : إن شرفك بأبيك لغيرك ، وشرفك بنفسك
لك ، فافرق بين مالك وما لغيرك ، ولا تفرح بشرف النسب ، فإنه دون شرف
الأدب .

(٣٩٣)

الأضل :

مَنْ طَلَبَ شَيْئًا نَالَهُ أَوْ بَعْضُهُ .

الشرح :

هذا مثل قولهم : مَنْ طَلَبَ وَجَدَ وَجَدَ .
وقال بعض الحكماء : مَا لَزِمَ أَحَدٌ بَابَ الْمَلِكِ فَاحْتَمَلَ الدَّلَّ وَكَلَّمَ الْغِيْظَ وَرَفَقَ
بِالْبَوَابِ وَخَالَطَ الْحَاشِيَةَ إِلَّا وَصَلَ إِلَى حَاجَتِهِ مِنَ الْمَلِكِ .

(٣٩٤)

الأفضل :

مَا خَيْرُهُ بِخَيْرِ بَعْدَهُ النَّارُ ، وَمَا شَرُّهُ بِشَرِّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ ؛ وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْجَنَّةِ
مَحْقُورٌ ، وَكُلُّ بَلَاءٍ دُونَ النَّارِ عَاقِبَةٌ .

الشرح :

موضع « بعده النار » رَفَعُ لَأَنَّهُ صِفَةُ « خير » الذى بعد « ما » ، وخير يرفع لأنه اسمٌ ما ، وموضع الجار والمجرور نَصَبٌ لَأَنَّهُ خَيْرٌ ما ، والباء زائدةٌ ، مثلها فى قولك : ما أنت بزيد ، كما تزداد فى خبر ليس ، والتقدير ماخيرٌ تتعقبه النار بخير ، كما تقول : مالدّة تتلوها نفصة بلدّة ، ولا ينقدح فى ما : الوجهان اللذان ذكرهما أربابُ الصنعة النحوية فى « لا » فى قولهم : لا خير بخير بعده النار ، أحدهما ما ذكرناه فى ما ، والآخر أن يكون موضع « بعده النار » جرّاً لَأَنَّهُ صِفَةُ خَيْرِ المجرور ، ويكون معنى الباء معنى فى كقولك : زيدٌ بالدار وفى الدار ، ويصير تقديرُ الكلام : لا خير فى خيرٍ تعقبه النار ، وذلك أن ما تستدعى خبراً موجوداً فى الكلام ، بخلاف لا ، فإن خبرها محذوف فى مثل قولك : لا إله إلا الله ، ونحوه ، أى فى الوجود أو لنا أو ما أشبه ذلك ، وإذا جعلت بعده صفة خير المجرور لم يبق معك ما تجعله خبر ما .

وأيضاً فإن معنى الكلام يفسد فى ما بخلاف لا ، لأن لا لنفى الجنس ، فكأنه

نَقَى جَنَسَ الْخَيْرِ عَنْ خَيْرٍ تَتَعَقَّبُهُ النَّارُ ؛ وَهَذَا مَعْنَى صَحِيحٌ ، وَكَلَامٌ مُنْتَظَمٌ ، وَمَا هَاهُنَا
 إِنْ كَانَتْ نَافِيَةً أَحْتَاجَتْ إِلَى خَيْرٍ يَنْتَظِمُ بِهِ الْكَلَامُ ، وَإِنْ كَانَتْ اسْتِفْهَامًا فَسَدَ الْمَعْنَى ،
 لِأَنَّ « مَا » لَفْظٌ يُطْلَبُ بِهِ مَعْنَى الْأَسْمِ ، كَقَوْلِهِ : مَا الْعَنْقَاءُ ؛ أَوْ يُطْلَبُ بِهِ حَقِيقَةُ الذَّاتِ ،
 كَقَوْلِكَ : مَا الْمَلِكُ ؟ وَلَسْتُ تَطِيقُ أَنْ تَدَّعِي أَنْ مَا لِلِاسْتِفْهَامِ هَاهُنَا عَنْ أَحَدِ الْقِسْمَيْنِ
 مَدْخُلًا لِأَنَّكَ تَكُونُ كَأَنَّكَ قَدْ قُلْتَ : أَيُّ شَيْءٍ هُوَ خَيْرٌ فِي خَيْرٍ تَتَعَقَّبُهُ النَّارُ ؟ وَهَذَا
 كَلَامٌ لَا مَعْنَى لَهُ .

(٣٩٥)

الأفضل :

أَلَا وَإِنَّ مِنَ الْبَلَاءِ الْفَاقَةَ ، وَأَشَدُّ مِنَ الْفَاقَةِ مَرَضُ الْبَدَنِ ، وَأَشَدُّ مِنْ مَرَضِ الْبَدَنِ مَرَضُ الْقَلْبِ ؛ أَلَا وَإِنَّ مِنَ النِّعَمِ سَعَةَ الْمَالِ ، وَأَفْضَلُ مِنْ سَعَةِ الْمَالِ صِحَّةُ الْبَدَنِ ، وَأَفْضَلُ مِنْ صِحَّةِ الْبَدَنِ تَقْوَى الْقَلْبِ .

الشَّرْحُ :

قد تقدّم الكلام في الفاقة والغنى ، فأما المرض والعافية ففي الحديث المرفوع : « إِيَّاكَ أَنْتَ الْأَمَانِيُّ يَا صَاحِبَ الْعَافِيَةِ » . فأما مَرَضُ الْقَلْبِ وصِحَّتُهُ فالمراد به التَّقْوَى وضدّها ، وقد سبق القول في ذلك .

وقال أحمدُ بن يوسفَ الكاتب :

المالُ للمرءِ في معيشتِهِ	خيرٌ من الوالدَيْنِ والولدِ
وإنْ تَدُمُ نِعْمَةً عَلَيْكَ تَجِدُ	خيراً من المالِ صِحَّةَ الْجَسَدِ
وما بمن نالَ فضلَ عَافِيَةٍ	وقوتَ يَوْمٍ فَقَرُّهُ إِلَى أَحَدٍ

(٣٩٦)

الأضل

المؤمن ثلاث ساعات : فساعة يُناجى فيها ربه ، وساعة يرم فيها معايشه ، وساعة يُخلّي فيها بين نفسه وبين لذتها فيما يحل ويحرم ؛ وليس للعاقل أن يكون شاخصاً إلا في ثلاث : مرمة لِمَعَاشٍ ، أو خطوة في معادٍ ، أو لذة في غير مُحَرَّمٍ .

الشنخ :

تقدير الكلام : ينبغي أن يكون زمانُ العاقل مقسوماً ثلاثة أقسام : ويرم معاشه . يُصلحه . وشاخصا : راحلا . خطوة في معاد ، يعنى في عمل المعاد ، وهو العبادة والطاعة .

وكان شيخنا أبو علي رحمه الله يقسم زمانه على ما أصف لك : كان يُصلي الصبح والكواكب طالعة ، ويجلس في محرابه للذكر والتسبيح إلى بعد طلوع الشمس بقليل ، ثم يتكلم مع التلامذة وطلبة العلم إلى ارتفاع النهار ، ثم يقوم فيصلي الضحى ، ثم يجلس فيتم البحث مع التلامذة إلى أن يؤذن للظهر ، فيصلّيها بنوافلها ، ثم يدخل إلى أهله فيُصلح شأنه ، ويقضى حوائجه ، ثم يخرج للعصر فيصلّيها بنوافلها ، ويجلس مع التلامذة إلى المغرب فيصلّيها ، ويصلي المساء ، ثم يشتغل بالقرآن إلى ثلث الليل ، ثم ينام الثلث الأوسط ، ثم يقعد فيصلّي الثلث الأخير كله إلى الصبح .

(٣٩٧)

الأصل :

ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا مُبَصِّرُكَ اللَّهُ عَوْرَاتِهَا ، وَلَا تَفْعَلْ فَاسْتَ بِمَفْعُولٍ عَنْكَ .

الشرح :

أمره بالزهد في الدنيا ، وجعل جزاء الشرط تبصير الله تعالى له عورات الدنيا ، وهذا حق ، لأن الراغب في الدنيا عاشق لها ، والعاشق لا يرى عيب معشوقه ، كما قال القائل :

وعين الرضا عن كل عيب كائلة^(١) ولكن عين السخط تبدى المساويا^(٢)
فإذا زهد فيها فقد سخطها وإذا سخطها أبصر عيوبها مشاهدة لا رواية .
ثم نهى عن الغفلة ، وقال له : إنك غير مفعول عنك ، فلا تفعل أنت عن نفسك ،
فإن أحق الناس وأولاهم ألا يفعل عن نفسه من ليس بمفعول عنه ؛ ومن عليه رقيب
شاهد يناقشه على الفتيل والنقير^(٣) .

(١) هو عبدالله بن معاوية ، الأغاني ١٢ : ٢١٤ (طبعة دار الكتب) .

(٢) الفتيل : ما يكون في شق النواة ، والنقير : النقرة التي في ظاهر النواة .

(٣٩٨)

الأضل :

تَكَلَّمُوا تُعَرَفُوا ، فَإِنَّ الْمَرْءَ مَحْبُودٌ تَحْتَ لِسَانِهِ .

السنخ :

هذه إحدى كلماته عليه السلام التي لا قيمة لها ، ولا يقدر قدرها ؛ والمعنى قد تدأوله
الناسُ قال :

وكأئن ترى من صامت لك معجب
لسانُ القتي نصفٌ ونصفٌ فؤادهُ
فلم يبقَ إلَّا صورةُ اللحمِ والدمِ
وكان يحيى بن خالد يقول : ما جلسَ إلَّا أحدٌ قطَّ إلَّا هبته حتى يتكلم ، فإذا
تكلمَ إِمَّا أن تزدادَ أهيبته أو تنقص .

(١) ينسبَان لزهير ، من معلقته بشرح الزوزنى ٩٤ ، وينسبَان أيضا للأحنف بن قيس ، وانظر
شرح العيون ١١٢ .

(٣٩٩)

الأفضل :

نِعْمَ الطَّيِّبُ الْمِسْكُ ، خَفِيفٌ مَحْمَلُهُ ، عَطِرٌ رِيحُهُ .

[فصل فيما ورد في الطيب من الآثار]

الشَّرخ :

كان النبي صلى الله عليه وآله كثيرَ التطيب بالمسك وبغيره من أصناف الطيب .
وجاء الخبر الصحيح عنه : « حُبُّ إِيَّايَ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ : الطيب ، والنِّسَاء ، وَقُرَّةُ
عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ » .

وقد رُوِيَ لَفْظَةً أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْهُ مَرْفُوعَةً . ونحوها : « لَا تَرُدُّوا
الطِّيبَ فَإِنَّهُ طِيبُ الرِّيحِ ، خَفِيفُ الْمَحْمَلِ » .

سَرَقَ أَعْرَابِيٌّ نَافِجَةً مِسْكً ، فَقِيلَ لَهُ : ﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ^(١) ،
قَالَ : إِذَنْ أَحْمِلْهَا طَيِّبَةَ الرِّيحِ ، خَفِيفَةَ الْمَحْمَلِ .

وفي الحديث المرفوع أنه عليه السلام بايع قومًا كان بيد رجلٍ منهم رَدْعٌ ^(٢) خَلُوقٌ ،
فبايعه بأطراف أصابعه ، وقال : « خَيْرُ طِيبِ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ ، وَخَيْرُ
طِيبِ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ » .

وعنه عليه السلام في صفة أهل الجنة : « وَبَجَائِرُهُمُ الْأَلْوَةُ ^(٣) » ، وهي العودُ الهندي .

(١) سورة آل عمران ١٦١ . (٢) ردع الزعفران : لطفه . (٣) نهاية ابن الأثير ٤ : ٧٠ .

وروى سهل بن سعد عنه عليه السلام : « إن في الجنة لمرآغا من مسكٍ مثل مرايح دوابكم هذه » .

وروى عنه عليه السلام أيضا في صفة الكوثر : جاله المسك - أى جانبه - ورَضْرَاضُه الثَّومُ ، وحَصَبَاؤُهُ اللُّؤلؤُ^(١) .

وقالت عائشة : كَأَنِّي أَنظُرُ إِلَى وَبَيْصِ الْمِسْكِ فِي مَفَارِقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ مُحَرِّمٌ^(٢) .

وكان ابنُ عمرَ يَسْتَجِيرُ بَعْدَ غَيْرِ مُطَرَّئٍ وَيَجْعَلُ مَعَهُ الْكَافُورَ ، ويقول : هكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَصْنَعُ .

وروى أنس بن مالك قال : دخل علينا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وآله فقال عندنا والوقتُ صَيْفٌ ، فَعَرِقَ ، فجاءت أُمِّي بِقَارُورَةٍ لَجَعَلْتُ تَسْلُتُ عَرَقَهُ ، فَاسْتَيْقِظَ وَقَالَ : يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ، مَا تَصْنَعِينَ ؟ قَالَتْ : هَذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طَيْبِنَا ، فَإِنَّهُ مِنْ أَطْيَبِ الطَّيِّبِ ، وَنَرْجُو بِهِ بَرَكَهَ صَبِيحَانَا ؛ فَقَالَ : أَصَبْتَ .

ومن كلامِ عمرَ : لو كُنْتُ تَاجِرًا مَا اخْتَرْتُ غَيْرَ الْعِطْرِ ، إِنْ فَاتَنِي رِيحُهُ لَمْ يَفْتِنِي رِيحُهُ .

نَاقِلُ الْمُتَوَكِّلِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي فَنَنْ فَاةَ مِسْكِ ، فَأَنشَدَهُ :

لَئِنْ كَانَ هَذَا طَيْبِنَا وَهُوَ طَيْبٌ لَقَدْ طَيَّبْتَهُ مِنْ يَدَيْكَ الْأَنَامِلُ

قَالُوا : سُمِّيَتْ الْغَالِيَةُ غَالِيَةً ، لِأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ أَهْدَى لِمَعَاوِيَةَ قَارُورَةً مِنْهَا ، فَسَأَلَهُ ، كَمْ أَفْنَقَ عَلَيْهَا ، فَذَكَرَ مَالًا ، فَقَالَ : هَذِهِ غَالِيَةٌ فَسُمِّيَتْ غَالِيَةً .

شَمَّ مَالِكُ بْنُ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ الْفَزَارِيَّ مِنْ أُخْتِهِ هِنْدَ بِنْتِ أَسْمَاءَ رِيحَ غَالِيَةٍ ، وَكَانَتْ تَحْتَ الْحِجَابِ ، فَقَالَ : عَلَّمَنِي طَيْبُكَ ؛ قَالَتْ : لَا أَفْعَلُ ، أَتُرِيدُ أَنْ تَعْلَمَهُ

(١) الثوم : الدر . ومى من « د » .
(٢) الوبيص : البريق :

جَوَارِيكَ ! هُوَ لَكَ عِنْدِي مَا أَرَدْتَهُ ، ثُمَّ ضَحَكَتْ وَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا تَعْلَمْتُهُ إِلَّا مِنْ شِعْرِكَ حَيْثُ قُلْتَ :

أَطِيبُ الطَّيِّبِ طِيبُ أُمِّ أَبَانٍ فَأَرْمَسُكَ بِعَنْبَرٍ مَسْحُوقٍ
خَلَطْتُهِ بِعُودِهَا وَبَيَانٍ فَهُوَ أَحْوَى عَلَى الْيَدَيْنِ شَرِيقُ

وَرَوَى أَبُو قِلَابَةَ قَالَ : كَانَ أَبُو مَسْعُودٍ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ عَرَفَ مَنْ فِي الطَّرِيقِ أَنَّهُ قَدْ مَرَّ مِنْ طِيبٍ رِيحِهِ .

وَرَوَى الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ حِينَ أَحْرَمَ وَالْغَالِيَةَ عَلَى صَلَّعَتِهِ كَأَنَّهَا الرُّثْبُ .

أَوْ لَمْ التَّوَكَّلْ فِي طَهْرِ بَيْتِهِ ، فَلَمَّا كَثُرَ اللَّعِبُ قَالَ لِيَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ : انصَرِفْ أَبْهَا الْقَاضِي ، قَالَ : وَلَمْ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يَخْلَطُوا ؛ قَالَ : أَحْوَجَ مَا يَكُونُونَ إِلَى قَاضٍ إِذَا خَلَطُوا ، فَاسْتَظَرَفَهُ وَأَمَرَ أَنْ تُغْلَفَ لِحْيَتُهُ ؛ فَفَعَلَ ؛ فَقَالَ يَحْيَى : إِنَّا لِلَّهِ ! ضَاعَتِ الْغَالِيَةُ ، كَانَتْ هَذِهِ تَكْفِينِي دَهْرًا لَوْ دُفِعَتْ إِلَيَّ ، فَأَمَرَ لَهُ بِزَوْرَقٍ لَطِيفٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءٍ مِنْ غَالِيَةٍ وَدُرُجٍ بِخُورٍ ، فَأَخَذَهَا وَأَنْصَرَفَ .

وَرَوَى عِكْرَمَةُ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَطْلِي جَسَدَهُ بِالْمِسْكِ ، فَإِذَا مَرَّ بِالطَّرِيقِ قَالَ النَّاسُ : أَمَرَ ابْنَ عَبَّاسٍ أُمُّ الْمِسْكِ ؟

وَقَالَ أَبُو الضُّحَى : رَأَيْتُ عَلَى رَأْسِ ابْنِ الزَّيَّيرِ مِنَ الْمِسْكِ مَا لَوْ كَانَ لِي لَكَانَ رَأْسُ مَالِي . لَمَّا بَنَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمَلِكِ أُسْرِجَ فِي مَسَارِجِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ الْغَالِيَةُ إِلَى أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ .

كَانَتْ لِأَبْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ مِسْكِ يَبُوكُهَا بَيْنَ رَاخَتَيْهِ فَتَفْجُوحُ رَاخَتُهَا^(١) .

كَانَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي إِمَارَتِهِ الْمَدِينَةَ يَجْعَلُ الْمِسْكَ بَيْنَ قَدَمَيْهِ وَنَعْلِهِ ، فَقَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ يَمْدَحُهُ :

لَهُ نَعْلٌ لَا تَطْطِي السَّكَبَ رِيحُهَا^(٢) وَإِنْ وُضِعَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ مُنِمَّتْ

(١) يَبُوكُهَا بَيْنَ رَاخَتَيْهِ أَيُّ قَلْبِهَا . (٢) يَطْطِي : يَسْتَمِيلُ . وَابْتِالَ كَثِيرٌ ، انْظُرْ خَزَاةَ الْأَدَبِ ١٤٧ : ٤

سَمِعَ عَمْرٌ قَوْلَ سُحَيْمِ عَبْدِ بَنِي الْحَسْحَاسِ :
 وَهَبْتَ شَمَالُ آخِرِ اللَّيْلِ قِرَّةً وَلَا تَوْبَ إِلَّا دِرْعَهَا وَرِدَائِيَا^(١)
 فَمَا زَالَ بُرْدِي طَيِّبًا مِنْ ثِيَابِهَا مَدَى الْخَوْلِ حَتَّى أَنْهَجَ الْبُرْدَ بِأَلْيَا
 فَقَالَ لَهُ : وَيَحْكُ ! إِنَّكَ مَقْتُولٌ ، فَلَمْ تَمُضْ عَلَيْهِ أَيَّامٌ حَتَّى قُتِلَ .
 قَالَ الشَّعْبِيُّ : الرَّاحَةُ الطَّيِّبَةُ تَزِيدُ فِي الْعَقْلِ .
 كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ يَتَخَلَّقُ بِالتَّخْلُوقِ ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِي الْجُلُوسِ .
 وَكَانُوا يَسْتَحِبُّونَ إِذَا قَامُوا مِنَ اللَّيْلِ أَنْ يَمْسَحُوا مَقَادِيمَ لِحَافِهِم بِالطَّيِّبِ .
 وَاشْتَرَى تَمِيمُ الدَّارِيُّ حُلَّةً بِثَمَانِ مِائَةِ دِرْهَمٍ ، وَهِيَ طَيِّبَةٌ ، فَكَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ
 تَطَيَّبَ وَلَبَسَ حُلَّتَهُ ، وَقَامَ فِي الْمَحْرَابِ .
 وَقَالَ أَنَسٌ : يَا جَمِيلَةَ ، هَيِّئِي لَنَا طَيِّبًا أَمْسَحَ بِهِ يَدِي ، فَإِنَّ ابْنَ أُمِّ ثَابِتٍ إِذَا جَاءَ قَبْلَ
 يَدِي - يَعْنِي ثَابِتًا الْبَنَانِيَّ .
 وَقَالَ سَلَمُ بْنُ قُتَيْبَةَ : لَقَدْ شَمَمْتُ مِنْ فُلَانٍ رَاحَةً أَطْيَبَ مِنْ مَسْطَةِ الْعُرُوسِ الْحَسَنَاءِ
 فِي أَيِّفِ الْعَاشِقِ الشَّبَقِ .
 وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ الصَّالِحِينَ : الْفَاسِقُ رَجَسٌ وَلَوْ تَضَمَّنَ بِالْغَالِيَةِ .
 عَرَضْتُ مَدِينَةَ لَكُنْثِيرٍ فَقَالَتْ لَهُ : أَنْتَ الْقَائِلُ :
 فَمَارُوضَةٌ بِالْحَزَنِ طَيِّبَةُ الثَّرَى يَمِجُّ النَّدَى جَنَاجَاهُا وَعَرَارُهَا
 بِأَطْيَبَ مِنْ أَرْدَانٍ عَزَّةَ مَوْهِنَا وَقَدْ أَوْقَدْتُ بِالْمَنْدَلِ الرَّطْبَ نَارُهَا
 لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ لَزُنْجِيَّةٌ تَجْتَلِي الْحُلَّةَ لَطَابَتْ ، هَلَّا قُلْتُ كَمَا قَالَ سَيِّدُكَ^(٢)
 أَمْرُو الْقَيْسِ :

ألم تَرَينى كَلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طَيِّبًا وَإِنْ لَمْ تَطَيِّبِ^(١)
 وقال الزَّخَشَرِيُّ : إِنَّ التَّوَيَّ الْمُنَقَّعَ بِالْمَدِينَةِ يَنْتَابُ أَشْرَافُهَا الْمَوَاضِعَ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا
 التَّمَّاسُ لَطِيبَ رِيحِهِ ، وَإِذَا وَجَدُوا رِيحَهُ بِالْعِرَاقِ هَرَبُوا مِنْهَا لُحْبُهَا ؛ قَالَ : وَمِنْ اخْتَلَفَ
 فِي طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ وَجَدَ رَائِحَةً طَيِّبَةً وَبَنَةً^(٢) عَجِيبَةً ؛ وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ طَيِّبَةً ، وَالزَّخْجِيَّةُ بِهَا
 تَجَمَّلُ فِي رَأْسِهَا شَيْئًا مِنْ بَلَحٍ وَمَالٍ قِيمَةٍ لَهُ ، فَتَجِدُ لَهُ خُمْرَةً لَا يَعْدِلُهَا بَيْتُ عَرُوسٍ مِنْ
 ذَوَاتِ الْأَقْدَارِ .

قال : وَلَوْ دَخَلْتُ كُلَّ غَالِيَةِ وَعَطَرِ قَصْبَةِ الْأَهْوَازِ وَقَصْبَةِ أَنْطَاكِيَّةٍ لَوَجَدْتُهَا قَدْ تَغَيَّرَتْ
 وَفَسَدَتْ فِي مَدَّةٍ يَسِيرَةٍ .

أَرَادَ الرَّشِيدُ الْمَقَامَ فِي أَنْطَاكِيَّةٍ ، فَقَالَ لَهُ شَيْخٌ مِنْهَا : إِنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ بِلَادِكَ ، فَإِنَّ
 الطَّيِّبَ الْفَاخِرَ يَتَغَيَّرُ فِيهَا حَتَّى لَا يُنْتَفِعَ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَالسَّلَاحُ يَصْدَأُ فِيهَا .
 سِيرَافٌ : مِنْ بِلَادِ فَارَسَ ، لَهَا فُفْمَةٌ طَيِّبَةٌ .

فَأَرَادَ الْمِسْكَ دُوبَّةً شَبِيهَةً بِالْحَشَفِ^(٣) تَكُونُ فِي نَاحِيَةٍ تُبْتُّ تُصَادُ لِأَجْلِ سُرَّتِهَا ،
 فَإِذَا صَادَهَا الصَّائِدُ عَصَبَ سُرَّتِهَا بِعَصَابٍ شَدِيدٍ وَهِيَ مَدْلَاةٌ ، فَيَجْتَمِعُ فِيهَا دَمُهَا ، ثُمَّ
 يَذْبَحُهَا ، وَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَأْكُلُهَا ، ثُمَّ يَأْخُذُ السَّرَّةَ فَيَدْفِنُهَا فِي الشَّعْرِ حَتَّى يَسْتَحِيلَ
 الدَّمُ الْحَمِيقُ فِيهَا مَسْكًا ذَكِيًّا بَعْدَ أَنْ كَانَ لَا يَرَامُ نَقْنًا ، وَقَدْ يَوْجَدُ فِي الْبُيُوتِ
 جِرْدَانٌ سُودٌ يَقَالُ لَهَا : فَأَرِ الْمِسْكَ لَيْسَ عِنْدَهَا إِلَّا رَائِحَةٌ لَازِمَةٌ لَهَا .

وَذَكَرَ شَيْخُنَا أَبُو عُمَانَ الْجَاهِظُ قَالَ : سَأَلْتُ بَعْضَ أَصْحَابِنَا الْمُعْزِلَةَ عَنْ شَأْنِ الْمِسْكَ
 فَقَالَ : لَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ تَطَيَّبَ بِالْمِسْكِ لَمَا تَطَيَّبْتُ بِهِ ، لِأَنَّهُ دَمٌ ؛ فَأَمَّا

(٢) البنة : الرائحة مطلقاً .

(١) ديوانه ٤١ .

(٣) الحشف : ولد الظبي .

الزباد فليس مما يقرب ثيابي ، فقلت له : قد يرتضع الجدى من لبن خنزيرة فلا يحرم لحمه ، لأن ذلك اللبن أستحال لحما ، وخرج من تلك الطبيعة ، وعن تلك الصورة ، وعن ذلك الاسم ، وكذا لحم الجلالة ، فالمسك غير الدم ، والخل غير الخمر ، والجوهر لا يحرم لذاته ونعيمه ، وإنما يحرم للأعراض والعِلل فلا تَقْرَزُ^(١) منه عند ذِكْرِكَ الدم ، فليس به بأس .

قال الزمخشري : والزبادة هِرَّة . ويقال للزَيْلَع ، وهم الذين يجتلبون الزباد يازَيْلَع الزبادة ماتت ، فيَغْضَب .

وقال ابن جَرِّلة الطَّيِّب في المنهاج^(٢) : الزباد طيب يؤخذ من حيوان كالسَّئور يقال : إنه وَسَخ في رَجِجها .

وقال الزمخشري : العنبر يأتي طُفاوَةً على الماء لا يدرى أحد معدنه ، يقذفه البحر إلى البر فلا يأكل منه شيء إلا مات ، ولا ينقره طائر إلا بقي منقاره فيه ، ولا يقع عليه إلا نصلت أظفاره ، والبحريّون والقطارون ربّما وجدوا فيه المنقار والظفر .

قال : والبال ، وهو سَمَكَة طولها خمسون ذراعا ، يؤكل منه اليسير فيموت . قال : وسمعتُ ناسا من أهل مكة يقولون : هو ضفَع^(٣) ثور في بحر الهند ، وقيل : هو من زبد بحر سَرَنديب ، وأجوده الأشهب ، ثم الأزرق ، وأدونه الأسود .

وفي حديث ابن عباس : ليس في العنبر زكاة ، إنما هو شيء يدسُّره البحر ، أى يدفنه .

(١) تقرز منه : تباعد .

(٢) كتاب المنهاج لابن جرلة الطيب ؛ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب رقم ١٠٧ - طب .

(٣) ضفَع الثور : نحوه .

فأما صاحب المنهاج في الطبّ فقال : العنبر من عين في البحر ، ويكون جماجم كبرها وزنه ألف مثقال ، والأسود أردأ أصنافه ، وكثيرا ما يوجد في أجواف السمك التي تأكله وتموت . وتوجد فيه سهوكة .

وقال في المسك : إنه سُرّة دابة كالظبي ، له نابان أبيضان معقّان إلى الجانب الإنسي كقرنين . جاء في الحديث المرفوع : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ، وليخرجن إذا خرجن نِفَلَاتٍ » ، أى غير متطيّبات ^(١) .

وفي الحديث أيضا : « إذا شهدت إحداكن العشاء فلا تمسّ طيبا » ؛ والمراد من ذلك ألا تهيج عليهن شهوة الرجال .

قال الشاعر :

والمسك بينا تراه ممتنّعا بفهر عطاره وساحقه
حتى تراه في عارضى ملك أو موضع التاج من مفارقة
الصنوبرى في استهداء المسك :

المسك أشبه شيء بالشباب فهب بعض الشباب لبعض العُصبة الشيب
يقال : إن رجلا وجد قرطاسا فيه اسم الله تعالى ، فرمّعه ، وكان عنده دينار ، فاشترى به مسكا ، فطيّبه ، فرأى في المنام قائلا يقول له كما طيّبت اسمي لأطيبن ذكرك .

قال خالد بن صفوان ليزيد بن المهلب : مارأيت صدا المغفر ، ولا عبق العنبر بأحد أليق منه بك ، فقال : حاجتك ؛ قال : ابن أخ لي في حبسك ، فقال : يسبقك إلى المنزل .

شاعر :

كَانَ دُخَانَ النَّدَى مَا يَنْ بَجَرِهِ بقايا ضبابٍ في رياضٍ شقيقٍ
قالوا : خيرُ العود المندليّ ، وهو منسوبٌ إلى مندل : قريةٌ من قرى الهند ،
وأجوده أصله ، وامتحان رطبه أن ينطبع فيه نقش الخاتم ، واليابس تُفصح عنه
النار ، ومن خاصية المندليّ أنّ رائحته تثبت في الثوب أسبوعاً ، وأنه لا يقل
مادامت فيه .

قال صاحبُ المنهاج^(١) : العود عروقُ أشجارٍ تُقْلَع وتُدفن في الأرض حتى تتعفن ،
منها الخشبية والقشرية ، ويبقى العود الخالص ، وأجوده المندليّ ، ويُجلب من وسط بلاد
الهند ، ثم العود الهنديّ ، وهو يفضل على المندليّ بأنه لا يولّد القمل ، وهو أعبق بالثياب .
قال : وأفضل العود أرسبه في الماء ، والطافي رديّ .

قال أبو العباس الأعمى :

ليت شعري من أين رائحةُ المسكِ لك وما إن أخال بالخيف أنسى
حين غابت بنو أمية عنه والبهايلُ من بني عبدِ شمس
خطباءُ على المنابر فرسا نَّ على الخيلِ قالةٌ غيرُ خُرس
بحلويمٍ مثلِ الجبالِ رِزانٍ ووجوهٍ مثلِ الدنانيرِ مُلسٍ

المسيّب بن علس^(٣) .

تبیت الملوكُ على عتبتها وشيخان إن غضبتُ تعتَبُ^(٤)
وكالشهد بالراح الفاظهم وأخلاقهم منها أعذب

(١) المنهاج الورقة ١٧٤ .

(٢) ديوان الأعشى ٣٥٠ .

وَكَاكِسِكُ تُرْبُ مَقَامَاتِهِمْ وَتُرْبُ قُبُورِهِمْ أَطِيبُ
أَخَذَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ فَقَالَ :

وَأَنْتَ إِذَا مَا وَطِئْتَ التُّرَا بَكَ تَرَابُكَ لِلنَّاسِ طِيبًا
وَهَجَا بَعْضُ الشُّعْرَاءِ الْعَمَّالِ فِي أَيَّامِ عَمْرِ ، وَوَقَعَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ فِي بَعْضِ شَعْرِهِ :
تُتُوبُ إِذَا آهَوَا وَنَفَزُوا إِذَا غَزَوْا فَأَتَيْتُ لَهُمْ وَفَرَمْتُ وَلَسْنَا ذَوِي وَفَرٍ
إِذَا التَّاجِرُ الدَّارِيُّ جَاءَ بِفَارَةٍ مِنْ الْمِسْكِ رَاحَتْ فِي مَفَارِقِهِمْ تَجْرِي
فَقَبِضَ عَمْرٌ عَلَى الْعَمَالِ وَصَادَرَهُمْ .

قَالُوا فِي الْكَافُورِ : إِنَّهُ مَا فِي شَجَرٍ مَكْفُورٍ فِيهِ يَفْرَزُونَهُ بِالْحَدِيدِ ، فَإِذَا خَرَجَ إِلَى
ظَاهِرِ ذَلِكَ الشَّجَرِ ضَرَبَهُ الْهَوَاءُ فَانْمَعَدَ كَالصَّمُوغِ الْجَامِدَةِ عَلَى الْأَشْجَارِ .
وَقَالَ صَاحِبُ الْمَنَاهِجِ ^(١) : هُوَ أَصْنَافٌ : مِنْهَا الْفَنْصُورِيُّ ^(٢) ، وَالرَّابَاحِيُّ ^(٣) ،
وَالْأَزَادُ ، وَالْإِسْفَرَكُ ^(٤) الْأَزْرَقُ ، وَهُوَ الْمُخْتَطُّ بِخَشْبِهِ ، وَقِيلَ إِنَّ شَجَرَتَهُ عَظِيمَةٌ تُظِلُّ
أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ فَارَسٍ ، وَهِيَ بَحْرِيَّةٌ ، وَخَشَبُ الْكَافُورِ أَيْبُضٌ إِلَى الْحُمْرَةِ خَفِيفٌ ، وَالرَّابَاحِيُّ
يُوجَدُ فِي بَدَنِ شَجَرَتِهِ قِطْعٌ كَالثَّلْجِ ، فَإِذَا شَقَّقْتَ الشَّجَرَةَ تَنَاقَرَتْ مِنْهَا الْكَافُورُ .

النَّدَّ : هُوَ الْغَالِيَّةُ ، وَهُوَ الْعُودُ الْمَطْرِيُّ بِالْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ وَدُهْنِ الْبَانِ ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ
لَا يَضِيفُ إِلَيْهِ دُهْنَ الْبَانِ ، وَيَجْعَلُ عَوْضَهُ الْكَافُورَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَضِيفُ إِلَيْهِ الْكَافُورَ
أَيْضًا ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَرْكَبُ الْغَالِيَّةَ مِنَ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ وَالْكَافُورِ وَدُهْنِ النَّيْلُوفَرِ .

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قُلْتُ لِأَبِي الْمَهْدِيَّةِ الْأَعْرَابِيِّ : كَيْفَ تَقُولُ ؛ لَيْسَ الطَّيِّبُ إِلَّا الْمِسْكِ ؟
فَلَمْ يَحْفَلِ الْأَعْرَابِيُّ ، وَذَهَبَ إِلَى مَذْهَبِ آخَرٍ ، فَقَالَ : فَأَيْنَ أَنْتَ عَنِ الْعَنْبَرِ ؟ فَقُلْتُ :
كَيْفَ تَقُولُ : لَيْسَ الطَّيِّبُ إِلَّا الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرُ ؟ قَالَ : فَأَيْنَ أَنْتَ عَنِ الْبَانِ ، قُلْتُ : فَكَيْفَ

(١) المنهاج : ورقة ١٧٧ .

(٢) فنصور : جزيرة سرنديب . انظر المفردات لابن البيطار ج ٤ : ٥٢ طبع بولاق .

(٣) نسبة إلى ملك اسمه رباح انظر نهاية الأرب ج ١١ : ٢٩٤ .

(٤) كذا في قانون ابن سينا وشرح الأدوية المفردة للكارزوني ونهاية الأرب ج ١١ : ٢٩٤ .

تقول : ليس الطَّيِّبُ إِلَّا الْمِسْكُ وَالْعَنْبَرُ وَالْبَانُ ؟ قال : فأين أنت عن أدهان بحجرٍ - يعنى الليمامة ، قلت : فكيف تقول ليس الطَّيِّبُ إِلَّا الْمِسْكُ وَالْعَنْبَرُ وَالْبَانُ وأدهان بحجرٍ ؟ قال : فأين أنت عن فارة الإبل صادرة ؟ فرأيت أنى قد أكرثت عليه ، فتركته قال : وفارة الإبل ريحها حين تصدر عن الماء . وقد أكلت العُشب الطيب .

وفى فارة الإبل يقول الشاعر :

كَأَنَّ فَارَةَ مَسْكٍ فِي مَبَاءِهَا إِذَا بَدَأَ مِنْ ضِيَاءِ الصَّبْحِ تَنْتَشِرُ
كَانَ لِأَبِي أَيُّوبَ الْكَرْزُبَانِيِّ وَزِيرِ الْمَنْصُورِ دُهْنٌ طَيِّبٌ يَدُهْنُ بِهِ إِذَا رَكِبَ إِلَى الْمَنْصُورِ
فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ غَلَبَتَهُ عَلَى الْمَنْصُورِ وَطَاعَتَهُ لَهُ فِيمَا يَرِيدُهُ ، حَتَّى إِنَّهُ رُبَّمَا كَانَ يَسْتَحْضِرُهُ
لِيُوقِعَ بِهِ ، فَإِذَا رَأَهُ تَبَسَّمَ إِلَيْهِ وَطَابَتْ نَفْسُهُ قَالُوا : دُهْنُ أَبِي أَيُّوبَ مِنْ عَمَلِ السَّحَرَةِ ،
وَضَرَبُوا بِهِ الْمَثَلَ ، فَقَالُوا لِمَنْ يَغْلِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ : مَعَهُ دُهْنُ أَبِي أَيُّوبَ .
أَعْرَابِيٌّ : فِيهَا مَدْرُكٌ وَمَشَمٌّ أَنْفٌ .

وقال عيينة بن أسماء بن خارجة الفزارى :

لَوْ كُنْتُ أَحْمَلُ خَيْرًا حِينَ زُرْتُكُمْ لَمْ يَنْكُرِ الْكَلْبُ أَنَّيَ صَاحِبُ الدَّارِ
لَكِنْ أَتَيْتُ وَرِيحَ الْمِسْكِ يَقْدُمْنِي وَالْعَنْبَرُ الْوَرْدَ مَشْبُوبًا عَلَى النَّارِ
فَأَنْكَرَ الْكَلْبُ رِيحِي حِينَ خَالَطَنِي وَكَانَ يَأْلَفُ رِيحَ الزُّقِّ وَالْقَارِ
قال الأصمعي : ذكر لأبي أيوب هؤلاء الذين يتفشفون ، فقال : ما علمت أن القَدَرِ
وَالذَّفَرِ مِنَ الدِّينِ .

رِيحُ الْكَلْبِ مَثَلٌ فِي النَّتَنِ ، قال الشاعر :

رِيحُهَا رِيحُ كَلَابٍ هَارِشَتْ فِي يَوْمٍ طَلَّ
وقال آخر :

يَزْدَادُ لَوْ مَا عَلَى الْمَدِيحِ يَزْدَادُ نَتْنُ الْكَلَابِ فِي الْمَطْرِ

وقالت امرأة امرئ القيس له وكان مُفَرَّكًا عند النساء : إذا عرقت عرقت بريح
كلب . قال : صدقت : إن أهلى أرضعوني مرةً بلبن كلبة .

قال سَلَمَةُ بْنُ عِيَّاش ، يقول لجعفر بن سليمان :

فما شَمُّ أنفى رِيحٍ كَفِّ رَأْيَتِهَا من الناس إلّا رِيحٌ كَفِّكَ أَطْيَبُ

فأمر له بألف دينار ومائة مثقال من المسك ومائة مثقال من العنبر .

وَجَّهَ عمرُ إلى مَلِكِ الرُّومِ بريدًا فاشتريتُ أمَّ كلثوم امرأة عمر طيبًا بدنائير وجعلته
في قارورتين وأهدتهما إلى امرأة ملك الروم ، فرجع البريد إليها ومعه ملء القارورتين
جواهر ، فدخل عليها عمر ، وقد صبّت الجواهر في حجرها ، فقال : من أين لك هذا ؟
فأخبرته ، فقبض عليه ، وقال : هذا للمسلمين ؛ قالت : كيف وهو عَوْضُ هَدِيَّتِي ! قال :
يبنى وبينك أبوك ، فقال علىَّ عليه السلام : لك منه بقيمة دينارك ، والباقي للمسلمين
جملة لأن بريد المسلمين حمّله .

قيل لخديجة بنت الرشيد : رُسِلَ العباس بن محمد على الباب ، معهم زنبيل يحمله
رجلان . فقالت : تراه بعث إلىّ بأقلاء ؟ فكشف الزنبيل عن جرّة مملوءة غالية فيها مسحات
من ذهب ، وإذا برُقعة : هذه جرّة أصيبتُ هى وأختها في خزائن بنى أمية ، فأما
أختها فقلب عليها الخلفاء ، وأما هذه فلم أرَ أحداً أحقَّ بها منك .

(٤٠٠)

الأصل :

ضَعُ فَخْرَكَ ، وَاحْطُطْ كِبْرَكَ ، وَأَذْكُرْ قَبْرَكَ .

الشرح :

قد تقدّم القول في العجب والكبر والفخر .

[نبذ ممّا قيل في التّيه والفخر]

في الحديث المرفوع : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُيْبَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَغَرَهَا بِالْأَبَاءِ ، النَّاسُ لِأَدَمَ ، وَأَدَمُ مِنْ تَرَابٍ ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ ، لِيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَتَفَاخَرُونَ بِرِجَالٍ إِنَّمَا هُمْ فَخْمٌ مِنْ فَخْمٍ جَهَنَّمَ أَوْ لَيْسَ كَوْنُ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنْ جُعَلَاتٍ ^(١) تَدْفَعُ النَّعْنَ بِأَنْفِهَا » .

ومن وصيّته صلى الله عليه وآله إلى عليّ عليه السلام : « لَا فَقْرَ أَشَدَّ مِنَ الْجَهْلِ ، وَلَا وَحْشَةَ أَفْخَسَ مِنَ الْعُجْبِ » .

أتى وائلُ بنُ حُجْرٍ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله فأَقْطَعَهُ أَرْضًا ، وَأَمَرَ مَعَاوِيَةَ أَنْ يَمْضِيَ مَعَهُ فَبَرِيَّةَ الْأَرْضِ وَيَرْضَاهَا عَلَيْهِ ، وَيَكْتُبَهَا لَهُ ، فَفَرَجَ مَعَ وَائِلٍ فِي هَاجِرَةٍ .

(١) الجعلات : جمع جعل ؛ بضم جـ ، دوبيه معروفة تغشى الأمكنة القفرة .

شاوية ، ومشى خلف ناقته فأحرقت الرَّمضاء ، فقال : أردفنى : قال : لست من أرداف الملوك ، قال : فادفع إلى نعليك ، قال : ما تجل يَمْنَعنى يا بن أبى سُفْيَان ، ولكن أكره أن يبلغ أقيال^(١) اليمين أنك لبست نعلى ، ولكن امش فى ظلّ ناقتى فحسبك بذلك شرفا ، ويقال : إنه عاش حتى أدرك زمن معاوية فأجلسه معه على سريريه .

قيل لحكيم : ما الشيء الذى لا يحسن أن يقال وإن كان حقا ؟ فقال : الفخر .

حبس هشامُ بن عبد الملك الفرزدقَ فى سجن خالد بن عبد الله القسرى ؛ فوفد جرير إلى خالد ليشفع فيه ، فقال له خالد : ألا يسرك أن الله قد أخزى الفرزدقَ ؟ فقال : أيها الأمير ، والله ما أحب أن يخزيه الله إلا بشعرى ، وإلّا قدمت لأشفع فيه . قال : فاشفع فيه فى ملأ ليكون أخزى له^(٢) ، فشفع فيه ، فدعا به فقال : إني مُطلقك بشفاعة جرير ، فقال : أسيرُ قسرى ، وطلقُ كلبي ، فبأى وجه أفاخر العرب بعدها ! ردّنى إلى السجن .

ذكر أعرابي قوما فقال : مانالوا بأناملهم شيئا إلا وقد وطئناه بأخامص أقدامنا ، وإن أقصى مُناهم لأدنى فعالنا .

نظر رجل إلى بعض ولد أبى موسى يَحْتال فى مشيته ، فقال : ألا ترون مشيته ؟ كأن أباه خدع عمرو بن العاص !

وسمع الفرزدقُ أبا بُردة يقول : كيف لا أتبختر وأنا ابن أحد الحكمين ، فقال : أحدهما مائق ، والآخر فاسق ، فكن ابن أيّهما شئت .

نظر رسولُ الله صلى الله عليه وآله إلى أبى دُجّانة وهو يتبختر بين الصّفين ، فقال : « إن هذه مشية يبغضها الله إلا فى هذا الوطن » .

(١) الأقيال : جمع قيل ؛ وهو الملك . (٢) فى د : « أذل له » ؛ وهو مستقيم أيضا .

لما بلغ الحسن بن علي عليه السلام قول معاوية : إذا لم يكن الهاشمي جوادا والأموي حليما والعموي شجاعا والخزومي تياها لم يشبهوا آباءهم ؛ فقال : إنه والله ما أزد بها النصيحة ، ولكن أراد أن يُفنى بنو هاشم مافي أيديهم فيحتاجوا إليه ، وأن يشجع بنو العموم فيقتلوا ، وأن ينيه بنو مخزوم فيمقتلوا ، وأن يحلم بنو أمية فيحبهم الناس .
كان قاضي القضاة محمد بن أبي الشوارب الأموي تأمها ، فهجاء عبد الأعلى البصري فقال :

إني رأيتُ محمداً متشاورساً مستصغرا لجميع هذى الناس^(١)
ويقول لما أن تنفس خالياً نفساً له يعلو على الأنفاس
ويح الخلافة في جوانب الحيتي تستن دون ربحى بنى العباس !
بعض الأموية :

إذا تأته من عبد شمس رأيتُهُ يتيه فرشه لكل عظيم
وإن تاه تياه سواه فإنه يتيه لحي أو يتيه للوم
لبعض الأموية أيضاً :

ألсна بنى مروان كيف تبدلت بنا الحال أو دارت علينا الدوائر !
إذا وُلد المولود منا تهلت له الأرض واهتزت إليه المنابر
بعض التياهين :

أتيه على إنس البلاد وجنّها ولو لم أجد خلقة أتيه على نفسى
أتيه فلا أدري من التيه من أنا سوى ما يقول الناس في وفى جنسى
فإن زعموا أنى من الإنس مثلهم فالى عيب غير أنى من الإنس

بعض العلوية :

لقد نازعتنا من قريش عصابةً بمطّ خدودٍ وامتدادِ أصابعٍ
فلَمَّا تنازعنا الفَخَارَ قَضَى لنا عليهم بما نهوى نداء الصوامع
ترانا سُكوتًا والشَّهيدُ بفضلنا عليهم أذانُ الناس في كلّ جامع
بأن رسول الله لاشكّ جدُّنا وأنّ بَنِيهِ كالنجوم الطوالع
كان عُمارَةُ بن حمزة بن ميمون مولى بنى العباس مثلاً في التَّيِّه ؛ حتّى قيل : أتَيْهُ
من عُمارَة . وكان يتولّى دواوين السِّفاح والمنصور ، وكان إذا أخطأ مضى على خطئه
تسكّبراً عن الرجوع ، ويقول : نقض وإبرام في حالة واحدة ، الإصرار على الخطأ
أهون من ذلك .

وافتخرت أمّ سلمة الخزومية امرأة السِّفاح ذات ليلة بقومها على السِّفاح ، وبنو
مغزوم يضرب بهم المثل في الكِبَر والتَّيِّه ، فقال : أنا أحضرك الساعة على غير أهبة
مولى من موالى ليس فى أهلك مثله ، فأرسل إلى عُمارَة ، وأمر الرسول أن يُعجّله عن
تغيير زِيَّه ، فجاء على الحال التى وجده عليها الرسول فى ثياب ممسكة مزرّرة بالذهب ،
وقد غآف لحيته بالغالية حتّى قامت ، فرمى إليه السِّفاح بمُدَّهن ذهب مملوء غالية ، فلم
يلتفت إليه ، وقال : هل ترى لها فى لحيته موضعاً ؟ فأخرجت أمّ سلمة عقداً لها ثميناً ،
وأمرت خادماً أن يضعه بين يديه ، فقام وتركه ، فأمرت الخادم أن يتبعه به ، ويقول :
إنها تسألك قبوله ، فقال للخادم : هو لك ، فأنصرف بالعقد إليها ، فأعطت الخادم
فكاًكه عشرة آلاف دينار ، واسترجعته ، وعجبت من نفس عُمارَة ، وكان عُمارَة لا يذل
للخلفاء وهم مواليه ويتّيه عليهم .

نظر رجل إلى المهدى ويده فى يد عُمارَة ، وهما يمشيان ، فقال : يا أمير المؤمنين

مَنْ هذا؟ قال : هذا أخى ، وابنُ عَمِّ عُمارة بنِ حَزْرة ، فلَمَّا وَلَّى الرجل ذكر المهدى
الكلمة كالمأزح لعمارة ، فقال عُمارة : والله لقد أنتظرت أن تقول : مولاي فأنفُض
يدى من يديك ، فتبسّم المهدى .

وكان أبو الربيع الغنوى أعرابياً جافياً تيّها شديد الكبر ، قال أبو العباس المبرد
في الكامل : فذكر الجاحظ أنه أتاه ومعه رجل هاشمى ، قال : فنأيتُ : أبو الربيع هنا؟
فخرج إلى وهو يقول : خرج إليك رجلٌ أكرم الناس ، فلَمَّا رأى الهاشمى أستجيباً وقال :
أكرمُ الناس رديفاً ، وأشرفهم حليفاً^(١) - أراد بذلك أبا مرثد الغنوى ، لأنه كان
رديف رسول الله صلى الله عليه وآله وحليف أبي بكر - قال : حدثنا ساعة ثم نهض
الهاشمى فقلت له : مَنْ خير الخلق ؟ قال : الناس والله ، قلت : مَنْ خيرُ الناس ؟ قال :
العرب والله ؛ قلت : فمَنْ خيرُ العرب ؟ قال : مُضَر والله ؛ قلت : فمَنْ خيرُ مُضَر ؟
قال : قيس والله ؛ قلت : فمَنْ خيرُ قيس ؟ قال : يَمُصِر والله ، قلت : فمَنْ خيرُ يَمُصِر ، قال :
غنى والله ، قلت : فمَنْ خيرُ غنى ؟ قال : الخاطبُ لك والله ؛ قلت : أفأنت خيرُ الناس ؟
قال : إى والله ؛ قلت : أيسرك أن تكون تحتك أبنَةُ يزيد بنِ المهلب ؟ قال : لا والله
قلت : ولك ألف دينار ؛ قال : لا والله ؛ قلت : فألفا دينار ؛ قال : لا والله ؛ قلت : ولك
الجنة ، قال : فأطرق ثم قال : على ألا تُلدَ منى ، ثم أنشد :

تأبى ليمصّر أعراق^(٢) مهذبةً من أن تُناسب قوماً غيرَ أكفاء
فإن يكن ذاك حتماً لامرء له فأذكر حذيفَ فإنى غيرُ أباء^(٣)

(١) قال أبو العباس : قوله : « وأشرفهم حليفاً » ؛ كان أبو مرثد حليف حزة بن عبد المطلب .

(٢) في د : « أخلاق » والمعنى عليه يستقيم أيضاً .

(٣) قال أبو العباس : قوله : « فأذكر حذيف » ؛ أراد حذيفة بن بدر الفزارى ؛ وإنما ذكره من
بين الأشراف لأنه أقربهم إليه نسباً ؛ وذاك يعمر بن سعد بن قيس ، وهؤلاء بنو ريث بن غطفان بن
سعد بن قيس .

أراد حذيفة بن بدر الفزاري ، وكان سيد قيس في زمانه ^(١) .
 رأى عمر رجلا يمشي مُرخيا يديه ، طارحا رجليه ، يتبختر ، فقال له : دع هذه
 المشية ، فقال : ما أطيق ، فجلبده ثمّ خلّاه ، فترك التبختر ، فقال عمر : إذا لم أجلد في هذا
 ففيم أجلد ؛ فجاءه الرجل بعد ذلك فقال : جزاك الله يا أمير المؤمنين خيرا ، إن كان
 إلّا شيطانا سُلط على فأذهب به الله بك .

(٤٠١)

الأصل :

خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ ، وَتَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّى عَنْكَ ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأُجِبْ
فِي الطَّلَبِ .

الشرح :

كان يقال : اجعل الدنيا كغريم السوء حصِّلْ مِنْهُ مَا يَرْضَخُ لَكَ بِهِ ، وَلَا تَأْسَ عَلَى
مَا دَفَعَكَ عَنْهُ ؛ ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأُجِبْ فِي الطَّلَبِ ، وَهِيَ مِنَ الْأَلْفَاظِ
النَّبَوِيَّةِ : « لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا ، فَأُجِبُوا فِي الطَّلَبِ » .
قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : مَا الْغَنَى ؟ فَقَالَ : قُلَّةُ تَمَنِّيكَ ، وَرِضَاكَ بِمَا يَكْفِيكَ .

(٤٠٢)

الأصل

رُبَّ قَوْلٍ ، أَنْفَعُ مِنْ صَوْلِ .

الشرح

قد قيل هذا المعنى كثيرا ، فمنه قولهم :

* والقولُ يَنْفَعُ ما لا تَنْفَعُ الإِبْرُ *

ومن ذلك : القولُ لا تَمْلِكُ إِذَا تَمَّ ، كالسهم لا تَمْلِكُ إِذَا رَمَى ، وقال الشاعر :

وقافيةٌ مثلُ حَدِّ السَّنا نِ تَبْقَى وَيَذْهَبُ مَنْ قَالَهَا
تَخَيَّرْتُهَا ثُمَّ أَرْسَلْتُهَا وَلَمْ يُطِقِ النَّاسُ إِرسَالَهَا

وقال محمود الرزاق :

أَتَانِي مِنْكَ مَا لَيْسَ عَلَى مَكْرُوهِهِ صَبْرُ
فَأَغْضَيْتُ عَلَى عَمْدٍ وَكَمْ يُفْضِي النَّتَى الْحُرُ
وَأَدَّبْتُكَ بِالْهَجْرِ فَمَا أَدَبَكَ الْهَجْرُ
وَلَا رَدَّكَ عَمَّا كَأَنَّكَ نِ مِنْكَ الصَّفْحُ وَالْبِرُّ
فَلَمَّا اضْطَرَّنِي الْمَكْرُ هُ وَاشْتَدَّ بِي الْأَمْرُ
تَنَاوَلْتُكَ مِنْ شِعْرِي بِمَا لَيْسَ لَهُ قَدْرُ
فَحَرَّكَتَ جَنَاحَ الضَّرِّ لَمَّا مَسَّكَ الضَّرُّ
إِذَا لَمْ يُصْلِحِ الْخَيْرُ أَمْ رَأَى أَصْلَحَ الشَّرِّ

وقال الرضى رحمه الله :

سأَمْضِغُ بِالْأَقْوَالِ أَعْرَاضَ قَوْمِكُمْ وَلِلْقَوْلِ أُنْيَابٌ لَدَى حِدَادُ^(١)
يُرَى لِلْقَوَافِ وَالسَّمَاءِ جَلِيَّةٌ عَلَيْكُمْ بَرُوقٌ بِجَمَّةٍ وَرِعَادُ

وقال أيضا :

كَعَمْتُ لِسَانِي أَنْ يَقُولَ وَإِنْ يَقُلْ قُلْ فِي الْجِرَازِ الْعَضْبُ إِنْ فَارَقَ الْغَمْدَا^(٢)
وَإِنْ بَرُوداً لِلْمَخَازِي مُعَدَّةٌ فَمِنْ شَاءَ مَنْ ذَا الْحَيِّ أَسْحَبَتْهُ بُرْدَا
قَلَانْدٌ فِي الْأَعْنَاقِ بِالْعَارِ لَا تَهَيَّ عَلَى مَرَّةٍ أَيَّامَ الزَّمَانِ وَلَا تَصْدَا
إِذَا صَلَصَتْ بَيْنَ الْقَنَا قَضَتِ الْقَنَا وَإِنْ زَفَرَتْ فِي السَّرْدِ قَطَعَتِ السَّرْدَا^(٣)

(١) ديوانه : ٣١٢ .

(٢) ديوانه ١ : ٣٠٩ كعمت : شددت . والجراز العضب : السيف القاطم .

(٣) صلصت : صوتت . والسرد : الدروع .

— ٣٦١ —

(٤٠٣)

الأصل:

كلُّ مُقْتَصِرٍ عَلَيْهِ كَافٍ .

الشرح :

هذا من باب القناعة ، وإنَّ من أقتصر على شيءٍ وتغنَّى به نفسه فقد كفاه ، وقام
مقام الفضول التي يرغب فيها المترفون ؛ وقد تقدّم القولُ في ذلك .

— ٣٦٢ —

(٤٠٤)

الأصل :

الْمَنِيَّةُ وَلَا الدَّيَّةُ ، وَالتَّقَلُّ وَلَا التَّوَسُّلُ .

الشُّنْح :

قد تقدّم من كلامنا في هذا الباب شيء كثير ، وقال الشاعر :

أُقْسِمُ بِاللّهِ لَمْصُ النُّوَى وشربُ ماءِ القُلُبِ المالحِ^(١)
أَحْسَنُ بِالْإِنْسَانِ مِنْ ذُلِّهِ ومن سؤَالِ الْأَوْجِهِ الكالحِ
فاسْتَغْنِ بِاللّهِ تَكُنْ ذَا غِنَى مغتبطاً بالصفقةِ الرَّابِحِ
فَالزَّهْدُ عِزٌّ وَالتَّقَى سُودٌ وذِلَّةُ النَّفْسِ لَهَا فَاضِحَةٌ
كَمْ سَالِمٍ صَبِيحَ بِهِ بَفْتَةٌ وقَائِلٍ عَهْدِي بِهِ الْبَارِحَةُ
أَمْسَى وَأَمْسَتْ عِنْدَهُ قَيْنَةٌ وَأَصْبَحَتْ تَنْدُبُهُ نَائِحَةٌ
طَوْبِي لِمَنْ كَانَتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ يَلَاقِي رَبَّهُ رَاجِحَةٌ

وقال أيضا :

لَمْصُ الثُّمَادِ وَخَرْطُ الْقَتَادِ وشربُ الْأَجَاجِ أَوْانُ الظَّمَا
عَلَى الْمَرْءِ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ يُرَى ذَلِيلًا لَخَلْقٍ إِذَا أَعْدَمَا
وَجَيْرُ لَعِينِكَ مِنْ مَنْظَرٍ إِلَى مَا بِأَيْدِي اللَّثَامِ الْعَمَى

قلتُ : لحاء الله ، هَلَا قَالَ : بِأَيْدِي الرِّجَالِ !

(١) القلب بضمّين : جمع قلب ؛ ومى البئر .

(٤٠٥)

الأضل :

مَنْ لَمْ يُعْطَ قَاعِدًا ، لَمْ يُعْطَ قَائِمًا .

الشرح :

مراده أن الرزق قد قَسَمَهُ اللهُ تعالى ، فمن لم يرزقه قاعدا لم يجب عليه القيام والحركة .

وقد جاء في الحديث : أنه صَلَّى اللهُ عليه وآله ناول أعرابياً تَمْرَةً ، وقال له : « خُذْهَا فلو لم تأتِهَا لَأَتَيْتُكَ » .

وقال الشاعر :

جَرَى قَلَمُ الْقَضَاءِ بِمَا يَكُونُ فسيان التحرك والسكونُ
جُنُونٌ مِنْكَ أَنْ تَسْعَى لِرِزْقٍ ويُرزق في غشاوته الجنينُ

(٤٠٦)

الأضل

الدَّهْرُ يَوْمَانِ : يَوْمٌ لَكَ ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ ، فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطُرُ ، وَإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ .

الشرح :

قد بما قيل هذا المعنى : الدهر يومان : يوم بلاء ، ويوم رخاء . والدهر : ضربان : حبة وعبرة . والدهر وقتان : وقت سرور ، ووقت ثبور^(١) .

وقال أبو سفيان يوم أحد : يومٌ بيومٍ بدر ، والدنيا دُول .

قال عليه السلام : فإذا كان لك فلا تبطر ، وإذا كان عليك فاصبر .

قد تقدّم القول في ذمّ البطر ومدح الصبر ، ويحمل ذمّ البطر هاهنا على محلين . أحدهما البطر بمعنى الأثر ، وشدة المرح ، بطر الرجل بالكسر يبطر ، وقد أبطره المال ، وقالوا : بطر فلان معيشته ، كما قالوا : رشّد فلان أمره . والثاني البطر بمعنى الحيرة والدهش ، أي إذا كان الوقت لك فلا تقطن زمانك بالحيرة والدهش عن شكر الله ومكافأة النعمة بالطاعة والعبادة والحمل الأول أوضح .

(١) الثبور : الهلاك .

(٤٠٧)

الأفضل :

إِنَّ لِلْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ حَقًّا ، وَإِنَّ لِلْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ حَقًّا ، فَحَقُّ الْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ أَنْ يُطِيعَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَحَقُّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ أَنْ يُحْسِنَ اسْمَهُ ، وَيُحْسِنَ آدَبَهُ ، وَيُعَلِّمَهُ الْقُرْآنَ .

الشيخ :

أما صدرُ الكلامِ فمن قولِ الله سبحانه: ﴿ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْ دَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴾ وإن جَاهَدَكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ ^(١) .

[طرائف حول الأسماء والكنى]

وأما تعليم الوالد الولد القرآن والأدب فأمور به ، وكذلك القول في تسميته باسم حسن ؛ وقد جاء في الحديث : « تسموا بأسماء الأنبياء ، وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن . وأصدقها حارث وهمام . وأقبحها حرب ومرة » .

وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله : « إنكم تدعون يوم القيامة بأسماءكم وأسماء آبائكم ، فأحسنوا أسماءكم » .

(١) سورة لقمان ١٤ ، ١٥ .

وقال عليه السلام : « إذا سَمَّيْتُمْ فَعَبِّدُوا » أى سَمُّوا بَنِيكُمْ عَبْدَ اللَّهِ ونَحْوَهُ مِنْ أَسْمَاءِ
الإِضَافَةِ إِلَيْهِ عَزَّ اسْمُهُ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يَغَيِّرُ - بعض الأسماء ، سَمَّى أَبَا بَكْرٍ عَبْدَ اللَّهِ ،
وكان اسْمُهُ فِي الجَاهِلِيَّةِ عَبْدَ الكَعْبَةِ ، وسَمَّى ابن عوف عبد الرحمن ، وكان اسْمُهُ عبد الحارث ،
وسَمَّى شُعْبَ الضَّلَّالَةَ شُعْبَ الهُدَى ، وسَمَّى يَثْرِبَ طَيْبَةَ ، وسَمَّى بنى الرَّيْبَةِ بنى الرُّشْدَةِ ،
وبنى معاوية بنى مُرْشِدَةٍ .

كان سعيدُ بنُ المسيَّبِ بن حَزْنٍ الحِزْوَئِيَّ أحدَ الفقهاء المشهورين ، أتى جَدُّهُ
رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له : ما اسمك ؟ قال : حَزْنٌ ؛ قال : لا ، بل أنت
سَهْلٌ ، فقال : لا ، بل أنا حَزْنٌ ، عاودَهُ فيها ثلاثاً ، ثم قال : لا أَحِبُّ هَذَا الاسمَ ،
السَّهْلُ يوطأ وَيُمْتَهَنُ ، فقال : فأنت حَزْنٌ ، فكان سعيد يقول : فازلتُ أعْرِفَ
تلك الحِزْوَنةَ فِينَا .

وروى جابر عنه عليه السلام : « ما من بيت فيه أحدٌ اسْمُهُ محمدٌ إلا وسَّعَ اللهُ عليه الرِّزْقَ
فإذا سَمَّيْتُمُوهم بِهِ فلا تَضْرِبُوهم ولا تَسْتَمُوهم ، ومن وُلِدَ لَهُ ثلاثة ذُكُورٍ ولم يسمَّ أَحَدَهُم
أَحْمَدَ أو مُحَمَّدًا فقد جَفَانِي » .

أبو هريرة عنه عليه السلام ، أنه نَهَى أن يجمع بين اسمه وكنيته لأحد .
وروى أنه أذن لعلي بن أبي طالب عليه السلام في ذلك ، فسَمَّى ابنه محمد بن الحنفية
محمداً ، وكناه أبا القاسم .

وقد رُوِيَ أَنَّ جماعةً من أبناء الصَّحابة جَمِعَ لَهُم بين الاسم والكنية .
وقال الزُّنْخَشَرِيُّ : قد قدَّم الخلفاء وغيرُهم من الملوك رجالاً يُحْسِنُ أَسْمَاءَهُمْ ، وأَقْصَوْا
قوماً لِسُنْاعةِ أَسْمَاءَهُمْ ، وتعلَّقَ المدح والذَّمُّ بذلك في كثير من الأمور .

وفي رسالة الجاحظ إلى أبي الفرج نجاح بن سلمة : قد أظهر الله في أسمائكم وأسماء آبائكم وكنائكم وكنى أجدادكم من برهان الفأل الحسن ، ونفى طيرة السوء ، ما جمع لكم صنوف الأمل ، وصرف إليكم وجوه الطلب ، فأسمائكم وكنائكم بين فرج ونجاح ، وسلامة وفضل ، ووجوهكم وأخلاقكم وفق أعرافكم وأفعالكم ، فلم يضرب التفاوت فيكم بنصيب .

أراد عمر الاستعانة برجل ! فسأله عن اسمه واسم أبيه ، فقال : سراق بن ظالم ، فقال : تسرق أنت ويظلم أبوك ! فلم يستعن به .

سأل رجل رجلاً : ما اسمك ؟ فقال : بحر ؟ قال : أبو من ؟ قال : أبو الفيض ؛ قال : ابن من ؟ قال : ابن الفرات ، قال : ما ينبغي لصديقك أن يلقاك إلا في زورق . وكان بعض الأعراب اسمه وثاب ، وله كلب اسمه عمرو ، فهجاه أعرابى آخر فقال :

ولو هيا له الله من التوفيق أسبابا
لسمى نفسه عمراً وسمى الكلب وثابا
قالوا : وكلما كان الاسم غريباً كان أشهر لصاحبه وأمنع من تعلق النبز^(١) به
قال رؤبة :

قد رَفَعَ العَجَّاجُ ذِكْرِي فَادْعُنِي بِاسْمِي إِذَا الْأَسْمَاءُ طَلَّتْ تَكْفِينِي

ومن ها هنا أخذ الأمرى قوله يمدح الرضى والمرضى رحمهما الله :

أنتم ذوو النسب القصير فطولكم باد على الكبراء والأشراف^(٢)
والراح إن قيل ابنة العنب اكتفت بأبي عن الأسماء والأوصاف

(٢) سقط الزند ١٣٠٢ .

(١) النبز : أن يلقب الإنسان بما يكره .

وسأل النسابة البكرى روبة عن نسبه ولم يكن يعرفه ، قال : أنا ابن العجاج ؛ قال : قصرت وعرفت .

صاح أعرابي بعبد الله بن جعفر : يا أبا الفضل ! قيل : ليست كنيته ، قال : وإن لم تكن كنيته فإنها صفته . نظر عمر إلى جارية له سوداء تبكي فقال : ما شأنك ؟ قالت : ضربني ابنك أبو عيسى ، قال : أوقد تكني بأبي عيسى ! على به ، فأحضره ، فقال : ويحك ! أكان لعيسى أب فتكني به ! أتدري ما كني العرب ! أبو سلمة ، أبو عرفة ، أبو طلحة ، أبو حنظلة ، ثم أدبه .

لما أقبل قحطبة بن شبيب نحو ابن هبيرة أراد ابن هبيرة أن يكتب إلى مروان يخبره ، وكره أن يسميه ، فقال : اقبلوا اسمه ، فوجدوه هبط حق ، فقال : دعوه على هيئته .

قال برصوما الزامر لأمه : ويحك ! أما وجدت لي اسماً تسميني به غير هذا ! قالت : لو علمت أنك تجالس الخلفاء والملوك سميتك يزيد بن مزيد .

قيل لبعض صبيان الأعراب : ما اسمك ؟ قال : قراد ، قيل : لقد ضيق أبوك عليك الاسم ، قال : إن ضيق الاسم لقد أوسع الكنية ، قال : ما كنيته ؟ قال : أبو الصحاري .

نظر المأمون إلى غلام حسن الوجه في الموكب ، فقال له : يا غلام ، ما اسمك ؟ قال : لا أدري ، قال : أو يكون أحد لا يعرف اسمه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، اسمي الذي أعرف به « لا أدري » ؛ فقال المأمون :

وسميت لا أدري لأنك لا تدري بما فعل الحب المبرح في صدري

ولد لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ولد ذكر ، فبشر به وهو عند معاوية

ابن أبي سُفْيَان ، فقال له معاوية ؛ سَمِّه باسمي ولكَ خَمْسَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ؛ فَسَمَّاهُ مَعَاوِيَةَ ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ ، وَقَالَ اشْتَرِ بِهَا لِسَمِيَّ ضَبْعَةَ .

وَمِنْ حَدِيثٍ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « إِذَا سَمَّيْتَ الْوَلَدَ مُحَمَّدًا فَأَكْرَمَهُ مَوَهُ ، وَأَوْسَعُوا لَهُ فِي الْمَجْلِسِ ، وَلَا تَتَّبِعُوا لَهُ وَجْهًا » .
وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « مَا مِنْ قَوْمٍ كَانَتْ لَهُمْ مَشُورَةٌ فَخَضَرَ مَعَهُمْ عَلَيْهَا مِنْ اسْمِهِ مُحَمَّدًا أَوْ أَحْمَدَ فَأَدْخَلُوهُ فِي مَشُورَتِهِمْ إِلَّا خَيْرَ لَهُمْ ؛ وَمَا مِنْ مَائِدَةٍ وُضِعَتْ فَخَضَرَ عَلَيْهَا مِنْ اسْمِهِ مُحَمَّدًا أَوْ أَحْمَدَ إِلَّا قُدِّسَ ذَلِكَ لِلنَّزْلِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ » .

مِنْ أَيْيَاتِ الْمَعَانِي :

وَحَلَّتْ مِنْ مَضَرٍ بِأَمْنَعِ ذُرْوَةٍ مَنَعَتْ بِحَدِّ الشُّوكِ وَالْأَحْجَارِ
قَالُوا : يَرِيدُ بِالشُّوكِ أَخْوَالَهُ ، وَهِيَ : قَتَادَةُ وَطَلْحَةُ وَعَوْسَجَةُ ، وَبِالْأَحْجَارِ أَعْمَامُهُ ، وَهِيَ صَفْوَانٌ وَفَيْهْرٌ وَجَنْدَلٌ وَصَخْرٌ وَجَرُولٌ .

سَمَّى عَبْدُ الْمَلِكِ ابْنًا لَهُ الْحَجَّاجَ لِحُبِّهِ الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسَفَ وَقَالَ فِيهِ :

سَمِيَّتُهُ الْحَجَّاجُ بِالْحَجَّاجِ النَّاصِحِ الْكَاشِفِ الْمُدَاجِي

اسْتَأْذَنَ الْجَاهِظُ وَالشَّكَّاكَ - وَهُوَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ - عَلَى رَئِيسٍ ، فَقَالَ الْخَادِمُ لِمَوْلَاهُ :
الْجَاهِدُ وَالشَّكَّاكَ ، فَقَالَ : هَٰذَانِ مِنَ الزَّانِقَةِ لَا تَحَالَةَ ! فَصَاحَ الْجَاهِظُ : وَيْحَكَ ! ارْجِعْ
قُل : الْحَدَقُ (١) بِالْبَابِ - وَبِهِ كَانَ يُعْرَفُ - فَقَالَ الْخَادِمُ : الْحَلَقُ بِالْبَابِ ، فَصَاحَ الْجَاهِظُ
وَيَلَّكَ ! ارْجِعْ إِلَى الْجَاهِدِ .

جَمَعَ ابْنُ دُرَيْدٍ ثَمَانِيَةَ أَسْمَاءَ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ فَقَالَ :

فَنَقَمَ أَخُو الْجُلَى وَمُسْتَنْبَطُ النَّدَى وَمَلْجَأُ مَكْرُوبٍ وَمَفْزَعُ لَاهِثٍ
عِيَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْجَلِيسِ نَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَنْظُورِ بْنِ زَيْدِ بْنِ وَارِثٍ .

(٤) الْحَدَقُ ، مِنْ أَلْفَابِ الْجَاهِظِ .

قال محمد بن صدقة المقرئ ليموت بن المززع : صدق الله فيك اسمك ! فقال له :
أحوَجَك الله إلى اسم أبيك .

سأل رجلٌ أبا عبيدة عن اسم رجلٍ من العرب ، فلم يَعْرِفْهُ ، فقال : كَيْسَانُ غلامُهُ :
أنا أعْرِفُ الناسَ به ، هو خِرَاشٌ أو خِدَاشٌ أو رِياشٌ^(١) أو شَيْءٌ آخَرُ ، فقال أبو عبيدة
ما أحسنَ ماعرفته يا كَيْسَانُ ! قال : إِي والله ، وهو قرشيٌّ أيضاً ، قال : وما يدُرِيكَ به ؟
قال : أما ترى كيف احتوشته الشَّيْنَاتُ من كلِّ جانبٍ ! قال الفرزدق :

وقد تَلَمَّتِي الأسماءُ في النَّاسِ والكُنى كَثِيراً ولكنَّ مُيزُوا في الخِلائقِ^(٢)
رَأَى الإسكندرُ في عسكره رجلاً لا يزالُ يَنْهَزِمُ في الحَرْبِ ، فسأله عن اسمه ؟
فقال : اسمي الإسكندر ، فقال : يا هذا ، إمَّا أن تَغَيِّرَ اسمك ، وإمَّا أن تَغَيِّرَ فِعْلَكَ .

قال شيخنا أبو عثمان : لولا أن القدماء من الشعراء سَمَّوْا الملوكَ وكنَّها في أشعارها ،
وأجازتْ واصطلحت عليه ما كان جزاء مَنْ فعل ذلك إلا العقوبة ؛ على أن ملوك بني
سَلمان لم يُكنَّها أحد من رعاياها قط ، ولا سماها في شعر ولا خُطبة ، وإنما حَدَّثَ هذا
في ملوك الحيرة ؛ وكانت الجُفَاءُ من العرب لسوء أدبها وغلظ تركيبها إذا أتوا النبيَّ
صلى الله عليه وسلم خاطبوه باسمه وكنيته ، فأما أصحابه فكانت مخاطبتهم له :
يا رسولَ الله ، وهكذا يجب أن يقال للملك في المخاطبة : يا خليفة الله ، ويا أمير المؤمنين .

وينبغي للدَّاخل على الملك أن يتلطف في مراعاة الأدب ، كما حكى سعيدُ بن مِرَّة
الكنديّ ، دخل على معاوية فقال : أنت سعيد ؟ فقال : أمير المؤمنين السعيد ، وأنا ابن مِرَّة .
وقال للمأمون للسَّيد بن أنس الأزدِيّ : أنت السَّيد ؟ فقال : أنت السَّيد يا أمير
المؤمنين ، وأنا ابن أنسٍ .

(١) ب : « دياس » . (٢) ديوانه ٥٧٨ هـ ، وروايته : « ولكن لا تلاق الخلائق » .

شاعر :

لعمرك ما الأسماء إلا علامةٌ مَنَارٌ وَمِنْ خَيْرِ الْمَنَارِ ارْتِفَاعُهَا
 كَانَ قَوْمٌ مِنَ الصَّحَابَةِ يَخَاطَبُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « يَا نَبِيَّ اللَّهِ » بِالْهَمْزَةِ ،
 فَأَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ : « لَسْتُ بِنَبِيِّ اللَّهِ ، وَلَكِنِّي نَبِيُّ اللَّهِ » .
 وَكَانَ الْبَحْتَرِيُّ إِذَا ذَكَرَ الْخُلُوعِيَّ الشَّاعِرَ يَقُولُ : ذَاكَ الْغَثَّ الْعَمِي .
 وَكَانَ صَاحِبَ رِبْعٍ يَتَشَبَّعُ ، فَارْتَفَعَ إِلَيْهِ خَصْمَانُ : اسْمُ أَحَدِهِمَا عَلِيٌّ ، وَالْآخَرُ
 مَعَاوِيَةُ ، فَأُلْحَقَنِي عَلَى مَعَاوِيَةَ فَضَرَبَهُ مِائَةَ سَوْطٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَتَجَهَّتْ عَلَيْهِ حِجَّةٌ ، فَفُطِنَ مِنْ
 أَيْنَ أَتَيْتُ فَقَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! سَلْ خَصْمِي عَنْ كُنْيَتِهِ ، فَإِذَا هُوَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ -
 وَكَانَتْ كُنْيَةُ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ - فَبَطَّحَهُ وَضَرَبَهُ مِائَةَ سَوْطٍ ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ : مَا أَخَذْتَهُ
 مِنِّي بِالْإِسْمِ اسْتَرْجَعْتُهُ مِنْكَ بِالْكُنْيَةِ .

(٤٠٨)

الأضل :

العينُ حقٌّ ، والرُّقَى حقٌّ ، والسَّحَرُ حقٌّ ، والفألُ حقٌّ والطَّيْرَةُ لَيْسَتْ بِحَقٍّ ،
والعدوى لَيْسَتْ بِحَقٍّ . والطَّيْبُ نُشْرَةٌ ، والعسلُ نُشْرَةٌ ، والرُّكُوبُ نُشْرَةٌ^(١) ،
والنَّظَرُ إِلَى الْخُضْرَةِ نُشْرَةٌ .

السنخ :

ويروى : « والغسل نُشْرَةٌ » بالعين المعجمة ، أى التطهير بالماء .

[أقوال في العين والسحر والفأل والعدوى والطيرة]

وقد جاء في الحديث المرفوع : « العينُ حقٌّ ، ولو كان شيء يسبق القدر لسبقته
العين ، وإذا استغسلتم فاغسلوا » ؛ قالوا في تفسيره : إنهم كانوا يطلبون من العائن أن
يتوضأ بماء ثم يسقى منه العين^(٢) ويغتسل بسائره .
وفي حديث عائشة : « العين حق كما أن محمدا حق » .

وللحكما في تعليل ذلك قول لا بأس به ، قالوا : هذا عائد إلى نفس العائن ،
وذلك لأن الهيولى مطيعة للأَنْفُس ، متأثرة بها ؛ ألا ترى أن نفوس الأفلاك تؤثر
فيها بتعاقب الصور عليها ! والنفوس البشرية من جوهر نفوس الأفلاك ، وشديدة
الشبه بها ؛ إلا أن نسبتها إليها نسبة السراج إلى الشمس ، فليست عامّة التأثير ، بل
تأثيرها في أغلب الأمر في بدنها خاصة ، ولهذا يحصى مزاج الإنسان عند الغضب ،
(١) النشرة : كالموذة والرقية .
(٢) العين : الميون ، أى المصاب بالعين .

يستعدّ للجماع عند تصوّر النفس صورة العشق ، فإذن قد صار تصوّر النفس مؤثراً فيما هو خارج عنها؛ لأنها ليست حالة في البدن ، فلا يستبعد وجود نفس لها جوهر مخصوص مخالف لغيره من جواهر النفوس تؤثر في غير بدنها ، ولهذا يقال : إن قوماً من الهند يقتلون بالوهم ؛ والإصابة بالعين من هذا الباب ، وهو أن تستحسن النفس صورة مخصوصة وتتعجب منها ، وتكون تلك النفس خبيثة جداً ؛ فيفعل جسم تلك الصورة مطيعاً لتلك النفس كما يفعل البدن للسم .

وفي حديث أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله رأى في وجه جارية لها سعة^(١) ، فقال : « إن بها نظرة فاسترقوا لها » .

وقال عوف بن مالك الأشجعي : كنّا نرقى في الجاهلية ، فقلت : يا رسول الله ، ما ترمى في ذلك ؟ فقال : « اعرضوا على رقاكم فلا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك » . كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر ، فرأوا بحى من أحياء العرب ؛ فاستضافوهم فلم يضيفوهم وقالوا لهم : هل فيكم من راقٍ ، فإن سيد الحى لذيغ ؟ فقال رجل منهم : نعم ، فأتاه فرّقه بفاتحة الكتاب فبرى ، فأعطى قطعاً من الغنم ، فأبى أن يقبلها حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال : وعيشك مارقته إلا بفاتحة الكتاب ، فقال : « ما أدراك إنها رقية ! خذوا منهم ، واضربوا لي معكم بسهم » .

وروى بريدة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وقد ذكرت عنده الطيرة : « من عرض له من هذه الطيرة شيء فليقل : اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » .

وعنه عليه السلام : « ليس منّا من تطير أو تطير له ، أو تكهن أو تكهن له » .

(١) السعة : قروح تخرج على رأس الصبي . واسترقوا ، أى اطلبوا من يرقها .

أَنَسَ بْنُ مَالِكٍ يَرْفَعُهُ : « لَا عَذْوَى وَلَا طَيْرَةَ ، وَيُعْجِبُنِي الْفَالُ الصَّالِحُ » ؛ قَالُوا : فَمَا الْفَالُ الصَّالِحُ ؟ قَالَ : الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ .

وعنه عليه السلام : « تَفَاءَلُوا وَلَا تَطَّيَّرُوا » .

وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ لَا يَتَطَيَّرُ مِنْ شَيْءٍ ، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ عَامِلًا سَأَلَ عَنْ أَسْمِهِ ، فَإِذَا أَعْجَبَهُ سُرَّ بِهِ ، وَرَأَى بِشْرُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ، وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهُ رُئِيَ تِلْكَ الْكَرَاهَةُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَإِذَا دَخَلَ قَرْيَةً سَأَلَ عَنْ أَسْمِهَا فَإِنْ أَعْجَبَهُ ظَهَرَ عَلَى وَجْهِهِ .

بَنَى عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ بِالْبَصْرَةِ دَارًا عَظِيمَةً ، فَمَرَّ بِهَا بَعْضُ الْأَعْرَابِ ، فَرَأَى فِي دِهْلِيزِهَا صُورَةَ أَسَدٍ وَكَلْبٍ وَكَبْشٍ ، فَقَالَ : أَسَدٌ كَالْحِ ، وَكَبْشٌ نَاطِحٌ ، وَكَلْبٌ نَاجِحٌ ، وَاللَّهِ لَا يُمْتَنِعُ بِهَا ؛ فَلَمْ يَلْبَثْ عَبْدُ اللَّهِ فِيهَا إِلَّا أَيَّامًا يَسِيرَةً .

أَبُو هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ : « إِذَا ظَنَنْتُمْ فَلَا تُحَقِّقُوا ، وَإِذَا تَطَّيَّرْتُمْ فَاْمُضُوا ، وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا » . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَحْسَنُ الْفَالِ ، وَلَا يَرُدُّ قَدْرًا ، وَلَكِنْ إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ » .

وقال بعضُ الشعراء :

لَا يَمْلِكُ الْمَرْءُ لَيْلًا مَا يُصْبِحُهُ إِلَّا كَوَازِبِ مَا يَجْرِي بِهِ الْفَالُ
وَالْفَالُ وَالزَّجْرُ وَالْكُفَّانُ كُلُّهُمْ مُضَلَّلُونَ وَدُونَ الْغَيْبِ أَقْفَالُ

وعن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « الْقِيَافَةُ وَالطَّرْقُ وَالطَّيْرَةُ مِنَ الْخَبَثِ » .

ابن عباس يَرْفَعُهُ : « مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنْ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السَّحَرِ » .

أَبُو هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ : « مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ فَمَا يَقُولُ فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى

أَبِي الْقَاسِمِ » .

شاعر :

لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الطَّوَارِقُ بِالْحَصَى وَلَا زَاغِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ^(١)
وقال آخر :

لَا يُقْعِدَنَّكَ عَنْ بَغَا ۚ الْخَيْرُ تَعْقَادُ الْعَزَائِمِ^(٢)
فَلَقَدْ غَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا أَغْدُو عَلَى رَاقٍ وَحَائِمٍ
فَإِذَا الْأَشْيَاءُ كَالْأَيَا مِنْ وَالْأَيَامِ كَالْأَشْيَاءِ
وَكَذَاكَ لَا خَيْرَ وَلَا شَرٌّ عَلَى أَحَدٍ بَدَائِمٍ

تفكّل هشامُ بنُ عبد الملك بنصر بن سيّار فقلّده خُرَاسانَ ، فبقي فيها عشرَ سنين .
وتفكّل عامرُ بنُ إسماعيل قاتل مروان بنِ محمد باسم رجل لقيّه ، فسأله عن اسمه ،
فقال : منصور بن سعد ، قال : من أيّ العرب ؟ قال : من سَعْدِ الْعَشِيرَةِ ، فاستصحبه
وطلب مروان فظفر به وقتله .

وتفكّل المأمونُ بمنصور بنِ بسّام فكان سببَ مكانته عنده .
قالوا : إنما أصل اليد اليُسرى العُسرَى ؛ إلا أنهم أبدلوا اليُسرى من اليسر تَفَاؤُلًا .
مزرد بنِ ضرار :

وإِنِّي امْرُؤٌ لَا تَقْشَعِرُّ ذُؤَابَتِي مِنَ الذَّنْبِ كَعَوِي وَالْغَرَابِ الْحَجَلِ
الْكُمَيْتِ :

وَلَا أَنَا مِمَّنْ يَزْجُرُ الطَّيْرَهُمْ أَصْحَاغَ غُرَابٍ أَمْ تَعْرِضُ لِقَلْبِ^(٣)
وقال بعض العرب : خرجتُ في طلب ناقةٍ ضلّت لي ، فسمعتُ قائلاً يقول :
وَلْتَن بَعِثْ لَهَا بُغَا ۚ فَمَا الْبَغَاةُ بِوَاجِدِينَ^(٤)

(١) اللبيد ، ديوانه ١٧٢ . (٢) عيون الأخبار ١ : ١٤٥ ، ونسبها إلى الرقش .

(٣) الهاشميات ٣٦ . (٤) اللبيد ، ديوانه ٣٢٣ .

فلم أَتَطَيَّرْ ومضيتُ لوجهي ، فلقيني رجلٌ قبيح الوجه به ماشئت من عاهة ؛ فلم أَتَطَيَّرْ
وتقدّمت فلاحَت لي أكمة^(١) فسَمِعْتُ منها صائحا :

* والشرّ يلقي مطاليع الأكرم *

فلم أكرث ولا انثنيت وعلوتها ، فوجدتُ ناقتي قد تفاجّت^(٢) للولادة فنتجتها^(٣) ،
وعدتُ إلى منزلي بها ومعها ولدها .

وقيل لعلّي عليه السلام : لا تحاربهم اليوم فإن القمر في العقرب ، فقال : يَقرُّنا
أم قمرهم !

وروي عنه عليه السلام أنه كان يكره أن يسافر أو يتزوج في تحاق^(٤) الشهر ،
وإذا كان القمر في العقرب .

وروي أن ابن عباس قال على منبر البصرة : إن الكلاب من الحنّ وإن الحنّ من
ضعفاء الجنّ ؛ فإذا غشيكم منهم شيء فألقوا إليه شيئا أو اطروده ، فإن لها أنفُسَ سوء .
وقال أبو عثمان الجاحظ : كان علماء الفرس والهند وأطبّاء اليونانيين ودُعاة العرب
وأهل التجربة من نازلة الأمصار وحُذّاق المتكلمين يكرهون الأكل بين يدي السباع
يخافون عيونها للذي فيها من النهم والشرّ ، ولما ينحلّ عند ذلك من أجوافها من البخار
الرديّ ، وينفصل من عيونها مما إذا خالط الإنسان نقض بنية قلبه وأفسده . وكانوا
يكرهون قيامَ الخدم بالمذاب والأشربة على رؤوسهم خوفا من أعينهم وشدة ملاحظتهم
لبائهم ؛ وكانوا يأمرّون بإشباعهم قبل أن يأكلوا ، وكانوا يقولون في الكلب والسنور
إما أن يُطرَد أو يُشغل بما يُطرح له .

(١) الأكمة : الموضع يكون أشد ارتفاعا مما حوله ، وانظر عيون الأندبار ١ : ١٤٥ .

(٢) تفاجّت : وسعت ما بين رجلها .

(٣) نتجتها أي أولدتها .

(٤) الحاق مثلثة : آخر الشهر أو ثلاث ليال من آخره ، أو أن يستتر القدر فلا يرى غدوة ولا
عشية ، سمي تحاقاً لأنه طلع مع الشمس فحفته .

وقالت الحكماء: نفوسُ السَّباعِ أَرْدأُ النفوسِ وأَخْبَثُها لَفَرَطِ شَرِّها وشَرِّها. قالوا:
وقد وجدنا الرجل يضرب الحية بعضا فيموت الضارب والحية ، لأن سمَّ الحية فُصِّلَ منها
حتى خالط أحشاء الضارب وقلبه ، ونفذ في مسامِّ جسده .

وقد يَدِّيمُ الإنسانُ النظرَ إلى العينِ الحمرة فتعتري عينه حُمرة ، والتشاؤبُ يُعْدِي
إعداءَ ظاهراً ، ويكره دنو الطامث من اللبَنِ لتسوطه ، لأن لها رائحةً وبُخاراً يُفسِدُ
اللبنُ المسُوط^(١).

وقال الأصمعيّ : رأيت رجلاً عَيوناً^(٢) كان يَذْكُرُ عن نفسه أنه إذا أعجبه شيءٌ
وَجَدَ حرارةً تَخْرُجُ من عينه .

وقال أيضاً : كان عندنا عَيونان فرَّ أحدهما بِحَوْضٍ من حجارة ؛ فقال : تالله ما رأيتُ
كاليوم حَوْضاً ! فانصدعَ فِلَقَتَيْنِ ، فرَّ عليه الثاني ، فقال : وأبيك لقلما ضررت أهلك
فيك ! فتظايرَ أربعَ فِلَقٍ .

وسمع آخر صوت بَوَلٍ من وراءِ جِدَارٍ حائِطٍ ، فقال : إنك كثيرُ الشَّخْبِ ، فقالوا:
هُوَ أَبْنُكَ ؟ فقال : أوه انقطعَ ظَهْرُهُ ! فقيل : لا بأسَ عليه إن شاء الله ، فقال : والله
لا يَبُولُ بَعْدَها أبداً ، فما بال حتى مات .

وسمِعَ آخَرَ صوتِ شُخْبٍ نَاقَةٍ بِقُوَّةٍ فَأعجبه ، فقال : أيتهنَّ هذه ؟ فوروا بأخرى
عنها ، فهلكنا جميعاً ؛ المورَّى بها والمورَّى عنها .

قال رجلٌ من خاصّة المنصور له قبل أن يَقْتُلَ أباً مسلماً بيومٍ واحدٍ : إني رأيتُ
اليوم لأبي مسلماً ثلاثاً تطيّرت له منها . قال : ما هي ؟ قال : ركب فوقعت قَلَنَسُوتُهُ

(١) الطامث : الحائض . والمسوط : المخلوط .

(٢) العيون : الشدید الإصابة بالعين .

عن رأسه ، فقال المنصور : الله أكبر ! تَبِعْهَا وَاللهُ رَأْسُهُ ، فقال : وَكَبَّابُهُ فَرُسُهُ ، فقال :
الله أكبر ! كَبَّابُ اللهِ جَدُّهُ ، وَأَصْلُهُ زَنْدُهُ ، فَمَا الثَّالِثَةُ ؟ قال : إِنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : أَنَا
مَقْتُولٌ ، وَإِنَّمَا أَخَادِعُ نَفْسِي ، وَإِذَا رَجُلٌ يُنَادِي آخِرَ مَنْ الصَّحْرَاءَ : الْيَوْمَ آخِرُ
الْأَجَلِ يَا فُلَان . فقال : الله أكبر ! انْقَضَى أَجَلُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ ؛ وَانْقَطَعَ مِنَ الدُّنْيَا أَثَرُهُ .
فَقَتِلَ فِي غَدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

تَجَهَّزَ النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيُّ لِلْغَزْوِ - وَاسْمُهُ زِيَادُ بْنُ عَمْرٍو - مَعَ زَبَّانِ بْنِ سَيَّارِ الْفَزَارِيِّ - فَلَمَّا
أَرَادَ الرِّحِيلَ سَقَطَتْ عَلَيْهِ جَرَادَةٌ فَتَطَيَّرَ ، وَقَالَ : ذَاتُ لَوْنَيْنِ تَجْرِدُ ، غُرِّيَ مِنْ خُرْجِ ،
فَأَقَامَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ زَبَّانٌ إِلَى طَيْرَتِهِ ، فَذَهَبَ وَرَجَعَ غَانِمًا ، فَقَالَ :

تَطَيَّرَ طَيْرَةٌ يَوْمًا زِيَادٌ لِتَخْبِرَهُ وَمَا فِيهَا خَيْرٌ^(١)
أَقَامَ كَأَنَّ لِقْمَانَ بْنَ عَادٍ أَشَارَ لَهُ بِحِكْمَتِهِ مُشِيرٌ
تَعَلَّمَ أَنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا عَلَى مَتَطَيَّرٍ وَهُوَ الثُّبُورُ
بَلَى شَيْءٌ لَا يُوَافِقُ بَعْضُ شَيْءٍ أَحَابِينَا وَبَاطِلُهُ كَثِيرٌ

حَضَرَ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ الْمَوْسِمُ ، فَصَاحَ بِهِ صَاحِحٌ : يَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللهِ ، فَقَالَ رَجُلٌ
مِنْ بَنِي لِهَبٍ ؛ وَهُمْ أَهْلُ عِيَافَةَ وَزَجَرٍ : دَعَاهُ بِاسْمِ مَيِّتٍ : مَاتَ وَاللهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،
فَلَمَّا وَقَفَ النَّاسُ لِلْجِمَارِ إِذَا حَصَاةٌ صَكَّتْ صَلْعَةً عُمَرُ ، فَأُدِّمِي مِنْهَا ، فَقَالَ ذَلِكَ الْقَائِلُ : أَشْعَرُ
وَاللهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا وَاللهِ مَا يَقِفُ هَذَا الْمَوْقِفَ أَبَدًا ، فَقَتِلَ عَمْرُ قَبْلَ أَنْ يَحُولَ الْحَوْلُ ،
وَقَالَ كَثِيرٌ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ :

تَيَمَّمَتْ لِهَبًا أَبْتَغَى الْعِلْمَ عِنْدَهَا وَقَدَصَارَ عِلْمَ الْعَافِينَ إِلَى لِهَبٍ^(٢)

(١) الحيوان ٣ : ٤٤٧ .

(٢) عبون الأخبار ١ : ١٤٩ .

كان للعرب كاهنان اسمُ أحدهما شِقّ ، وكان نصف إنسان ، واسم الآخر
سَطِيح ، وكان يُطَوَّى طَيّ الحَصِير ، ويتكلمان بكلِّ عَجُوبَةٍ في الكهانة ، فقال
ابنُ الرُّومِيّ :

لَكَ رَأْيٌ كَأَنَّهُ رَأَى شِقّاً وَسَطِيحٌ قَرِيبِي الْكُهَّانِ
يَسْتَشْفِ الْغُيُوبَ عَمَّا تَوَارَى بَعِيونَ جَلِيَّةِ الْإِنْسَانِ

وقال أبو عثمان الجاحظ : كان مُسَيْلَمَةُ قبل أن يَنْتَبَأَ يدور في الأسواق التي كانت
بين دُور العرب والعجم كسُوق الأَبَلَةِ وسوق بَقَّة وسوق الأَنْبَار وسوق الحِيرَةِ يلتمس
تَعْلُمَ الحِيلِ والتَّيَرِ نَجْمَاتٍ واحتِيالاتِ أَصْحَابِ الرُّقَى والعَزَائِمِ والنَّجُومِ ، وقد كان أَحْكَمَ عِلْمِ
الْحَزَازَةِ وَأَصْحَابِ الزَّجَرِ والْخَطِّ ، فَعَمِدَ إِلَى بَيْضَةِ فَصَبَّ إِلَيْهَا خَلًّا حَازِقًا قَاطِعًا ، فَلَانَتْ ،
حَتَّى إِذَا مَدَّهَا الْإِنْسَانُ اسْتَطَالَتْ وَدَقَّتْ كَالْعَلَكِ ؛ ثُمَّ أَدْخَلَهَا قَارُورَةً ضَيِّقَةَ الرَّأْسِ وَتَرَكَهَا
حَتَّى انْضَمَّتْ وَاسْتَدَارَتْ وَجَدَتْ ، فَعَادَتْ كَهَيْئَتِهَا الْأُولَى ، فَأَخْرَجَهَا إِلَى قَوْمٍ وَهُمْ أَعْرَابٌ
وَاسْتَفْوَاهُمْ بِهَا ، وَفِيهِ قِيلُ :

بَيْضَةُ قَارُورٍ وَرَايَةِ شَادِنٍ وَتَوْصِيلُ مَقْطُوعٍ مِنَ الطَّيْرِ حَازِقٍ

قالوا : أَرَادَ بَرَايَةَ الشَّادِنِ الَّتِي يَعْمَلُهَا الصَّبِيُّ مِنَ الْقِرْطَاسِ الرَّقِيقِ ، وَيَجْعَلُ لَهَا ذَنْبًا
وَجَنَاحَيْنِ وَيُرْسِلُهَا يَوْمَ الرِّيحِ بِخَيْطٍ طَوِيلٍ .

كَانَ مُسَيْلَمَةُ يَعْمَلُ رَايَاتٍ مِنْ هَذَا الْجَنْسِ ، وَيَعَلِّقُ فِيهَا الْجَلَالِجِلَ ، وَيُرْسِلُهَا لَيْسَ
فِي شِدَّةِ الرِّيحِ ، وَيَقُولُ : هَذِهِ الْمَلَائِكَةُ نَزَلَتْ عَلَيَّ ، وَهَذِهِ خَشْخَشَةُ الْمَلَائِكَةِ وَزَجَلُهَا ،
وَكَانَ يَصِلُ جَنَاحُ الطَّيْرِ الْمَقْصُوفِ بِرَيْشٍ مَعَهُ فَيَطِيرُ وَيَسْتَفْوِي بِهِ الْأَعْرَابَ .
شَاعَرُهُ فِي الطَّيْرَةِ :

وأمنع الياسمين الغضَّ من حَذَرِي عليكِ إذ قيل لي نصفُ اسمِهِ ياس
وقال آخر :

أهدتُ إليه سَفَرَجَلاً فَتَطَيَّرَا منه وظلَّ مفكِّراً مستعبِراً^(١)
خوف الفراق لأن شطر هِجائِهِ سَفَرٌ وحقُّ له بأن يتطَيَّرَا
وقال آخر :

يا ذا الذي أهدى لنا سَوْسَنًا ما كنت في إهدائه محسنا
نصفُ اسمه سَوْثٌ فقد ساءني ياليت أني لم أر السَّوْسَنَا
ومثله :

لا ترائي طَوالَ دَهْ رى أهوى الشَّقَائِقَا
إن يكن يُشبه الخلدو دَ فنصف اسمِهِ شَقَا
وكانوا يتفادون بالأس لدوامه ، ويتطَيَّرون من النرجس لسرعة انقضائه ،
ويسمونه الغدَّار .

وقال العباس بن الأحنف :

إن الذي سَمَّاكَ يا منيَّ بالنرجس الغدَّار ما أنصفا^(٢)
لو أنه سَمَّاكَ بالآسَةِ وفيت إن الآسَ أهلُ الوفا
خرج كثيرٌ يريد عَزَّةَ ومعه صاحبٌ له من نَهْدٍ ، فرأى غرابا ساقطاً فوق بَانَةٍ
ينتف ريشه ، فقال له النهدى : إن صدق الطير فقد ماتت عَزَّةُ ، فوافى أهلها وقد
أخرجوا جنازتها ، فقال :

وما أعيفَ النهديَّ لا دَرَّ دَرُّهُ وأزجره للطير لا عَزَّ ناصِرُهُ^(٣)
رأيتُ غراباً ساقطاً فوقَ بَانَةٍ ينتفُ أعلى ريشِهِ ويُطَايرُهُ

(٢) ديوانه ١٩٠ .

(١) مستعبراً ؛ أى سالت عبرته ، أى دموعه .

(٣) عيون الأخبار ١ : ١٤٨ .

فقال غرابٌ لاغترابٍ ، وبانةٌ لِبَيْنٍ ، وفقدٌ من حبيبٍ تُعَاشِرُهُ
وقال الشاعر :

وسَمَّيْتَهُ يَحْيَى لِيَحْيَا ولم يكنْ إلى رَدِّ حُكْمِ اللَّهِ فِيهِ سَبِيلُ
تِيَمَّةٌ فِيهِ الْفَالُ حِينَ رُزِقْتُهُ ولم أَدْرِ أَنَّ الْفَالَ فِيهِ يَفِيلُ

فأما القول في السِّحْرِ فَإِنَّ الْفُقَهَاءَ يُثَبِّتُونَهُ وَيَقُولُونَ : فِيهِ الْقَوَدُ ، وقد جاء في الخبر
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَحَرَهُ لَبِيدُ بْنُ أَعْسَمٍ الْيَهُودِيَّ حَتَّى كَانَ يُحْيِلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ
تَحْمِلُ الشَّيْءَ وَلَمْ يَعْمَلْهُ .

وَرُوي أَنَّ امْرَأَةً مِنْ يَهُودِ سَحَرَتْهُ بِشَعْرِ وَقُصَاصِ ظُفْرِ وَجَعَلَتْ السِّحْرَ فِي بَثْرٍ ، وَأَنَّ
اللَّهُ تَعَالَى دَلَّهَ عَلَى ذَلِكَ ، فَبَعَثَ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَاسْتَخْرَجَهُ وَقَتَلَ الْمَرْأَةَ .
وَقَوْمٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ يَنْفُونَ هَذَا عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَيَقُولُونَ : إِنَّهُ مَعْصُومٌ
مِنْ مِثْلِهِ .

وَالْفَلَّاسِفَةُ تَزْعُمُ أَنَّ السِّحْرَ مِنْ آثَارِ النَّفْسِ النَّاطِقَةِ ، وَأَنَّهُ لَا يَتِمُّدُ أَنْ يَكُونَ فِي
النَّفُوسِ نَفْسٌ تَتَوَثَّرُ فِي غَيْرِ بَدَنِهَا الْمَرَضِ وَالْحُبِّ وَالْبُغْضِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، وَأَصْحَابُ
الْكُوَاكِبِ يَجْعَلُونَ لِلْكُوَاكِبِ فِي ذَلِكَ تَأْثِيرًا ، وَأَصْحَابُ خَوَاصِّ الْأَحْجَارِ وَالنَّبَاتِ
وغيرها يُسَيِّدُونَ ذَلِكَ إِلَى الْخَوَاصِّ ، وَكَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَالٌّ عَلَى تَصْحِيحِ
مَا يُدْعَى مِنَ السِّحْرِ .

وَأَمَّا الْعَدَوَى فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « لَا عَدَوَى فِي الْإِسْلَامِ » .
وَقَالَ لِمَنْ قَالَ : أَعْدَى بَعْضُهَا بَعْضًا - يَعْنِي الْإِبِلَ : فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلُ ؟ « وَقَالَ : « لَا عَدَوَى
وَلَا هَامَةٌ وَلَا صَفَرٌ » ، فَالْعَدَوَى مَعْرُوفَةٌ ، وَالْهَامَةُ : مَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَزْعُمُهُ فِي الْمَقْتُولِ

لا يؤخذ بشأريه ، والصَّفر : ما كانت العرب تزرعه من الحية في البطن تعض عند الجوع .

[نسكت في مذاهب العرب وتخيلائها]

وسندكرها هنا نكتاً ممتعةً من مذاهب العرب وتخيلائها ، لأنّ الموضوع قد ساقنا إليه ، أنشد هشام بن الكلبي لأمية بن أبي الصلت :

سنة أزيمة تبرّح بالناس ترى للعضاء فيها صريراً^(١)
لا على كوكب تنوء ولا ريح جنوب ولا ترى طحوراً^(٢)
ويستقون باقر السهل للطور دمهازيل خشية أن تبورا
عاقدين النيران في ثكن الأذ ناب منها لكي تهيج البحورا
سلع ما ومثله عشر ما عامل ما وعالت البيقورا

يروي أن عيسى بن عمر قال : ما أدرى معنى هذا البيت ! ويقال : إن الأصمعيّ صحف فيه ، فقال : « وعالت البيقورا » بالعين المعجمة ، وفسره غيره فقال : عالت بمعنى أثقلت البقر بما حملتها من السلع والعشير ، والبيقور : البقر . وعائل : غالب ، أو مُنقل . وكانت العرب إذا أجذبت وأمسكت السماء عنهم وأرادوا أن يستمطروا عمدوا إلى السلع والعشير فزموها وعقدوها في أذنان البقر ، وأضرموها فيها النيران ، وأصعدوها في جبل وعير ، واتبوها يدعون الله ويستسقونه ؛ وإلّا يضرّ مون النيران في أذنان البقر تفاؤلاً للبرق بالنار ، وكانوا يسوقونها نحو المغرب من دون الجهات . وقال أعرابي :
شفعنا ببيقور إلى هاطل الحيا فلم يُغن عنا ذاك بل زادنا جذبا
فعدنا إلى ربّ الحيا فأجارنا وصير جذب الأرض من عنده خصباً
(١) شعراء الصراية ٢٣٥ ، في وصف سنة وجماعة . (٢) الطحور : القطع من السحاب .

وقال آخر :

قُلْ لِبَنِي نَهْشَلٍ أَصْحَابِ الْحَوَزِ : أَتَطْلُبُونَ الْفَيْثَ جَهْلًا بِالْبَقَرِ !
 وَسَلِّعَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَعُشْرُ لَيْسَ بِذَا يُجَلِّلُ الْأَرْضَ الْمَطَرُ
 ويمكن أن يُحْمَلَ تفسيرُ الأصمعيّ على محمل صحيح ، فيقال : غالت بمعنى أهلكت ،
 يقال : غالته كذا واغتاله أى أهلكه ، وغالتهم غُولٌ ؛ يعنى المنية ، ومنه الغضب
 غُولُ الحِلْمِ .

وقال آخر :

لَمَّا كَسَوْنَا الْأَرْضَ أَذْنَابَ الْبَقَرِ بِالسَّلْعِ الْعَقُودِ فِيهَا وَالْعُشْرِ
 وقال آخر :

يَا كُحْلُ قَدْ أَثْقَلْتَ أَذْنَابَ الْبَقَرِ بِسَلْعٍ يَعْقِدُ فِيهَا وَعُشْرُ
 * فَلَ تَجُودِينَ بَبَرْقٍ وَمَطَرُ *

وقال آخر يعيب العربَ بفعلهم هذا :

لَا دَرَّ دَرَّ رِجَالٍ خَابَ سَعِيهِمْ يَسْتَمِطِرُونَ لَدَى الْإِعْسَارِ بِالْعُشْرِ
 أَجَاعِلُ أَنْتَ يَقُورًا مَسْلَعَةً ذَرِيعَةً لَكَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْمَطَرِ

وقال بعضُ الأذكياء : كلُّ أمةٍ قد تتخذو في مذاهبها مذاهبَ مِثْلَةِ أُخْرَى ، وقد
 كانت الهند تزعمُ أنَّ البقرَ ملائكة ، سَخَطَ اللهُ عليها فجعلها في الأرض ، وأنَّ لها
 عنده حرمة ، وكانوا يُلطِّخون الأبدانَ بأخنائها^(١) ، وَيَغْسِلُونَ الوجوهَ بَبَوْلِهَا وَيَجْعَلُونَهَا
 مُهَوَّرَ نِسَائِهِمْ ، ويتبركون بها في جميع أحوالهم ، فلعلَّ أوائلَ العربِ حَدَّوْا هذا الحدو ،
 واتَّهَجَوْا هذا المَسْلَكُ .

(١) الأخناء : جمع خنة ؛ وهى البقرة البينة .

وللْعَرَبِ فِي الْبَقْرِ خِيَالٌ آخَرٌ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ إِذَا أَوْزَدَوْهَا فَلَمْ تَرِدْ ، ضَرَبُوا الثَّوْرَ لِيَقْتَحِمَ الْمَاءَ ، فَتَقْتَحِمَ الْبَقْرَ بَعْدَهُ ، وَيَقُولُونَ : إِنَّ الْجَنِّ تَصُدُّ الْبَقْرَ عَنِ الْمَاءِ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَرْكَبُ قَرْنَيْ الثَّوْرِ ، وَقَالَ فَاثِلُهُمْ :

إِنِّي وَقَتْلِي سُنِّيكَأَ حِينَ أُعْقِلُهُ كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لِمَا عَافَتْ الْبَقْرُ^(١)
وَقَالَ نَهْشَلُ بْنُ حَرِيٍّ :

كَذَاكَ الثَّوْرُ يُضْرَبُ بِالْهَرَاوِيِّ إِذَا مَا عَافَتْ الْبَقْرُ الظَّمَاءَ
وَقَالَ آخَرٌ :

كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لِلْوَرْدِ إِذَا تَمَنَّعَتِ الْبَقْرُ
فَإِنْ كَانَ لَيْسَ إِلَّا هَذَا فَلَيْسَ ذَلِكَ بِعَجِيبٍ مِنَ الْبَقْرِ وَلَا بِمَذْهَبٍ مِنْ مَذَاهِبِ الْعَرَبِ :
لَأَنَّهُ قَدْ يَجُوزُ أَنْ تَمْتَنِعَ الْبَقْرُ مِنَ الْوَرْدِ حَتَّى يَرِدَ الثَّوْرُ كَمَا تَمْتَنِعُ الْغَنَمُ مِنْ سُلُوكِ الطَّرِيقِ أَوْ دُخُولِ الدَّوْرِ وَالْأَخْبِيَةِ حَتَّى يَتَقَدَّمَهَا الْكَبْشُ أَوْ التَّيْسُ ، وَكَانَتْ تَتَّبِعُ الْيَعْسُوبَ ، وَالْكَرَاكِيَّ تَتَّبِعُ أُمِيرَهَا ، وَلَكِنْ الَّذِي تَلَدَّ عَلَيْهِ أَشْعَارُهَا أَنَّ الثَّوْرَ يَرِدُ وَيَشْرَبُ وَلَا يَمْتَنِعُ ، وَلَكِنَّ الْبَقْرَ تَمْتَنِعُ وَتَعَافُ الْمَاءَ وَقَدْ رَأَتْ الثَّوْرَ يَشْرَبُ ، فَيُخَيِّدُ يَضْرَبُ الثَّوْرَ مَعَ إِجَابَتِهِ إِلَى الْوَرْدِ فَتَشْرَبُ الْبَقْرُ عِنْدَ شُرْبِهِ ، وَهَذَا هُوَ الْعَجَبُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

فَإِنِّي إِذَنْ كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ جَنْبُهُ إِذَا لَمْ يَعْفُ شَرِبًا وَعَافَتْ صَوَاحِبُهُ
وَقَالَ آخَرٌ :

فَلَا تَجْعَلُونِي كَالْبَقْرِ وَفَحَامِهَا يَكْسَرُ ضَرْبًا وَهُوَ لِلْوَرْدِ طَائِعُ
وَمَا ذَنْبُهُ إِنْ لَمْ يَرِدْ بِقَرَاتِهِ وَقَدْ فَاجَأَتْهَا عِنْدَ ذَلِكَ الشَّرَائِعُ

(١) لِلْسَّيْلِكِ بْنِ السَّلَكَةِ ، وَابْنِ شَوَاهِدِ بْنِ عَقِيلٍ ٢ : ٢٨٢ .

وقال الأعشى :

لَكَالْتُورِ وَالْجِنِّيَّ يُضْرَبُ وَجْهُهُ وَمَا ذَنْبُهُ إِنْ عَافَتِ الْمَاءُ مَشْرَبًا !^(١)
وَمَا ذَنْبُهُ إِنْ عَافَتِ الْمَاءُ بَاقِرًا وَمَا إِنْ يَعَافُ الْمَاءُ إِلَّا لِيُضْرَبَا
قالوا في تفسيره : أما كان أمتناعها يتعقبه الضرب ، حسن أن يقال : عافت الماء
لتُضْرَبَ ، وهذه اللام هي لام العاقبة ، كقوله : « لِدُوا لِدَوَاتِ » ، وعلى هذا فسر
أصحابنا قوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ﴾^(٢) .

ومن مذاهب العرب أيضا تعليق الحلي والجلال على اللديغ يرون أنه يفيد بذلك ،
ويقال : إنه إنما يعلق عليه لأنهم يرون [أنه] إن نام يسري السم فيه فيهلك ، فشعلوه
بالحلي والجلال وأصواتها عن النوم ، وهذا قول النضر بن شميل ، وبعضهم يقول :
إنه إذا علق عليه حلي الذهب برأ ، وإن علق الرصاص أو حلي الرصاص مات .
وقيل لبعض الأعراب : أتريدون شهرة ؟ فقال : إن الحلي لا تشهر ، ولكنها
سنة ورثناها .

وقال النابغة :

خَبِتَ كَأَنِّي سَاوَرْتُ ضَيْلَهُ مِنْ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السَّمُّ نَاقِعٌ^(٣)
يُسَهِّدُ مِنْ لَيْلِ الْبَتَامِ سَائِمُهَا كَلِيَّ النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعُ
وقال بعض بني عذرة :

كَأَنِّي سَائِمٌ نَالَهُ كُلُّ حَيَّةٍ تَرَى حَوْلَهُ حَلِيَّ النِّسَاءِ مَرَصَّعًا

(٢) سورة الأعراف ١٧٩ .

(١) ديوانه ٩٠ .

(٣) ديوانه ٥١ .

وقال آخر :

١ وقد علّوا بالبطل في كل موضع ونغزوا كما غرّ السليم الجلاجل
وقال جميل وظرف في قوله ، ولو قاله العباس بن الأحنف لكان ظريفا :
إذا ما لديغ أبرأ الحلي داءه فحكلك أمسى يا بُدَيِّنة دائياً^(١)
وقال عويمر النّهاني وهو يؤكد قول النضر بن شميل :
فبت معنى بالهموم كأنتي سليم نفي عنه الرقاد الجلاجل
ومثله قول الآخر :

كأني سليم سهد الحلي عينه فراقب من ليل التمام الكواكب
ويشبه مذهبهم في ضرب الثور مذهبهم في العرّ يصيب الإبل فيكوى الصحيح
ليبراً السقيم . وقال النابغة :

وكلفتني ذنب أسرى وتركته كذى العرّ يكوى غيره وهو رافع^(٢)
وقال بعض الأعراب :

كمن يكوى الصّاح يروم بُرّاً به من كل جرّاء الإهاب
وهذا البيت يُبطل رواية من روى بيت النابغة « كذى العرّ » بضم العين ، لأنّ
العرّ بالضم : قرّح في مشافر الإبل غير الجرب ، والعرّ بالفتح : الجرب نفسه ، فإذا دلّ
الشعر على أنه يكوى الصحيح ليبراً الأجرب ، فالواجب أن يكون بيت النابغة
« كذى العرّ » بالفتح .

ومثل هذا البيت قول الآخر :

فأزمتني ذنبا وغيري جرّه حنانيك لا يكوى الصحيح بأجرها
إلا أن يكون إطلاق لفظ الجرب على هذا المرض الخصوص من باب المجاز لمشابهته له .

ومن تَحِيَّلاتِ الْعَرَبِ ومذاهبها أَنَّهُمْ كانوا يَفْقَهُونَ عَيْنَ الْفَعْلِ من الإِبِلِ إِذَا بلغت أَلْفًا ، كَأَنَّهُمْ يَذْفَعُونَ الْعَيْنَ عَنْهَا ، قال الشاعر :

فَقَأْنَا عِيونًا من فُحُولِ بَهَازِيرٍ وَأَنْتُمْ بَرَعِي الْبُهْمِ أُولَى وَأَجْدَرُ
وقال آخر :

وَهَبَّتْهَا وَكُنْتَ ذَا امْتِنَانٍ تَفَقَّأَ فِيهَا أَعْيُنَ الْبُغْرَانِ
وقال الآخر :

أَعْطَيْتَهَا أَلْفًا وَلَمْ تَبْخَلْ بِهَا فَفَقَأَتْ عَيْنَ فُجَيْلِهَا مُعْتَقَا
وقد ظَنُّ قَوْمٌ أَنَّ بَيْتَ الْفَرَزْدَقِ وَهُوَ :

غَلَبْتُكَ بِالْمُقَيِّءِ وَالْمُعْنَى وَبَيْتَ الْمُحْتَبَى وَالْخَافِقَاتِ^(١)

من هذا الباب ، وليس الأمر على ذلك ، وإنما أراد بالفقء قوله لجرير :

وَلَسْتُ وَلَوْ فَقَأْتُ عَيْنَكَ وَاجِدًا أَخًا كَلْقَيْطٍ أَوْ أَبًا مِثْلَ دَارِمٍ^(٢)
وَأَرَادَ بِالْمُعْنَى قوله لجرير أيضا :

وَلِإِنَّكَ إِذْ تَسْعَى لَتُدْرِكَ دَارِمًا لَأَنْتَ الْمَعْنَى يَاجْرِيرُ الْمَكْفَفُ^(٣)
وَأَرَادَ بقوله : « بَيْتَ الْمُحْتَبَى » قوله :

بَيْتُ زُرَّارَةٍ مُحْتَبٍ بِفَنَائِهِ وَبُجَاشَعُ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ^(٤)
وبَيْتِ الْخَافِقَاتِ ، قوله :

وَمَعْصَبٍ بِالتَّاجِ يَخْفِقُ فَوْقَهُ خِرْقَ الْمُلُوكِ لَهُ سَخِمِسُ جَحْفَلُ^(٥)

(١) ديوانه ١٣١ . والخافقات : انرايات . (٢) في شرح ديوانه : « أو أبا مثل نهشل .

(٣) ديوانه ٤٣٦ . (٤) ٧١٤ .

(٥) ديوانه ٧١٥ ؛ وفي شرح الديوان . والخافقات يريد قوله :

وَأَيْنَ تَقْضَى الْمَالِكُ أُمُورَهَا بِحَقِّ وَأَيْنَ الْخَافِقَاتُ اللُّوَامِعُ

قال أبو الهيثم : « نغز الفرزدق في هذا البيت على جرير ؛ لأن العرب كانت إذا بلغ لأحدهم ألف بعير فقأ عين بعير منها ؛ فإذا تمت ألفان أعماه ؛ فافتخر عليه بكثرة ماله » .

فأما مذهبهم في البلية ، وهي ناقةٌ تُعَقَلُ عند القبر حتى تموت ، فمذهبٌ مشهور ، والبلية أنهم إذا مات منهم كريمٌ بلوا ناقةً أو بعيره ، فمكسوا عنقه ، وأدازوا رأسها إلى مؤخرها ، وتركوها في حفيرة لا تطعم ولا تُسقى حتى تموت ، وربما أحرقت بعد موتها ، وربما سلخت وملئ جلدُها ثمما . وكانوا يزعمون أن من مات ولم يُبَلِّ عليه حُشْرَ ماشيا ، ومن كانت له بليّة حُشْرَ راكبا على بليته ، قال جرّية^(١) بن الأشيم الفقعسي لابنه :

يأسدُ إما أهليكن - فإنني أوصيك إن أخوا الوصاة الأقربُ
لاعرفن أباك يحشر خلفكم - تعباً يُجرُّ على اليدين وينكبُ
واحمل أباك على بعيرٍ صالحٍ وتقي الخطيئة إنّه هو أصوبُ
ولعل لي بما جمعت مطية في الحشر أركبها إذا قيل أركبوا
وقال جرّية أيضا :

إذا ميتٌ فادفني بجذاء ما بها - سيوى الأصرخين أوفوز راكبُ
فإن أنت لم تعقر على مطيتي فلا قام في مالٍ لك الدهر جالبُ
ولاندفتني^(١) في صوي وأدفتني بدئيمومة تنزو عليها الجنادبُ

وقد ذكرت في مجموعي المسمى « بالعقبى الحسان » أن أبا عبد الله الحسين بن محمد ابن جعفر الخالغ رحمه الله ذكر في كتابه في آراء العرب وأديانها هذه الأبيات ، واستشهد بها على ما كانوا يعتقدون في البلية ، وقلت : إنه وهم في ذلك ، وإنه ليس في هذه الأبيات دلالة على هذا المعنى ، ولا لها به تعلق ، وإنما هي وصية لولده أن يعقر مطيته بعد موته ؛ إمّا ليكثّر يركبها غيره بعده ، أو على هيئة القرّبان كالهدي المعفور

بمكة، أو كما كانوا يعقرون عند القبور؛ ومذهبهم في العقر على القبور، كقول زياد الأعجم في المغيرة بن المهلب :

إِنَّ السَّاحَةَ وَالْمَرْوَةَ ضُمْنَا قَبْرًا بَمَرْوَةٍ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ^(١)
فَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَاعْقِرْ بِهِ كَوْمَ الْهَيْجَانِ وَكُلَّ طَرْفٍ سَابِحِ^(٢)
وَقَالَ الْآخَرُ :

نَفَرْتُ قَلْوَصِي عَنْ حِجَارَةِ حَرَّةٍ مُبْنِيَتْ عَلَى طَلْقِ الْيَدَيْنِ وَهَوْبِ^(٣)
لَا تَنْفِرِي يَا نَاقُ مِنْهُ فَإِنَّهُ شَرِيبُ خَمْرٍ مِسْعَرٌ لِحُرُوبِ
لَوْلَا السَّفَارُ وَبُؤْدُ خَرْقٍ مَهْمِهِ لَتَرَكْتُهَا تَحْبُو عَلَى الْعُرْقُوبِ

ومذهبهم في العقر على القبور مشهور ، وليس في هذا الشعر ما يدل على مذهبهم في البلية ، فإن ظنَّ ظانُّ أن قوله : « أَوْ يُفَوِّزُ رَاكِبٌ » ، فيه إيماء إلى ذلك ، فليس الأمر كما ظنه . ومعنى البيت ادْفُئِي بِفَلَاةٍ جَدَاءٍ مَقْطُوعَةٍ عَنِ الْإِنْسِ ، ليس بها إلا الذئب والغراب ، أو أن يعتسف راكبها المفازة وهي المهلكة ، سموها مفازة على طريق الغال . وقيل : إنها تسمى مفازة ؛ من فوز أى هلك ، فليس في هذا البيت ذكر البلية ، ولكن الخالغ أخطأ في إيراده في هذا الباب ، كما أخطأ في هذا الباب أيضا في إيراده قول مالك ابن الرِّيب :

وَعَطَّلَ قَلْوَصِي فِي الرَّكْبِ فَإِنَّهَا سَتُبْرِدُ أَكْبَادًا وَتُبْكِي بَوَاكِيًا^(٤)
فَظَنُّ أَنْ ذَلِكَ مِنْ هَذَا الْبَابِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ ، وَلَمْ يُرِدِ الشَّاعِرُ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ

(٢) بعده في الشعر والشعراء :

(١) الشعر والشعراء ٣٩٧ .

وَالنَّصْحُ جَوَانِبَ قَبْرِهِ بِدُمَائِهَا فَلَقَدْ يَكُونُ أَخَا دِيمٍ وَذُبَابُحٍ

(٣) من أبيات في رثاء ربيعة بن مكدم ، تنسب إلى ضرار بن الخطاب ، وتنسب لحسان أيضا ؛ وانظر

(٤) أمالي القالي ٣ : ١٣٨ .

الأغاني ١٦ : ٥٨ ، ٥٩ (طبعة دار الكتب) .

لَا تَرَكَبُوا رَاحَتِي بَعْدِي ، وَعَطَّلُوهَا بِحَيْثُ لَا يَشَاهِدُهَا أُعَادِي وَأَصَادِقِي ذَاهِبَةً جَائِيَةً
تَحْتَ رَاكِبِهَا ، فَيَشْتَمُ الْعَدُوَّ وَيُسَاءُ الصَّدِيقُ ، وَقَدْ أَخْطَأَ الْخَالِعُ فِي مَوَاضِعَ عِدَّةٍ مِنْ هَذَا
الْكِتَابِ ، وَأَوْرَدَ أَشْعَارًا فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا ، وَظَنَّهَا مُنَاسِبَةً لِمَا هُوَ فِيهِ ، فَهِيَ مَا ذَكَرْنَاهُ ،
وَمِنْهَا أَنَّهُ ذَكَرَ مَذْهَبَ الْعَرَبِ فِي الْخُلْيِ وَوَضِعِهِ عَلَى اللَّدْبِغِ ، وَاسْتَشْهَدَ عَلَيْهِ
بِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

يَلَاغِي مَنْ تَذَكَّرَ آلَ لَيْلَى كَمَا يَلْتَقِي السَّيِّمُ مِنَ الْعِدَادِ ^(١)
وَلَا وَجْهَ لِإِيرَادِ هَذَا الْبَيْتِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَالْعِدَادُ مُعَاوَدَةُ السَّمِّ الْمُسَوِّغِ فِي كُلِّ
سَنَةٍ فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَدِغٍ فِيهِ ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ الْخُلْيِ بِسَبِيلِ .
وَمِنْ ذَلِكَ إِيرَادُهُ قَوْلَ الْفَرَزْدَقِ « غَلَبْتُكَ بِالْمَفْقِّ » ^(٢) فِي بَابِ فَقٍّ عَيْنِ
الْفُحُولِ ، إِذَا بَلَغَتْ الْإِبِلُ أَلْفًا ، وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُنَا الْمَوْضِعَ الْوَهْمِ فِي ذَلِكَ . وَسَنَذْكُرُ
هَاهُنَا كَثِيرًا مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي وَهَمَ فِيهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَمِمَّا وَرَدَ عَنِ الْعَرَبِ فِي الْبَلِيَّةِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :
أُبْنَى زَوْدَنِي إِذَا فَارَقْتَنِي فِي الْقَبْرِ رَاحِلَةٌ بِرَحْلِ فَاتِرٍ
لِلْبَيْعِ أَرْكَبُهَا إِذَا قِيلَ ارْكَبُوا مَسْتَوْثِقِينَ مَعًا لِحْشَرِ الْخَاشِرِ
وَقَالَ عُوَيْمُ النَّبَهَائِيُّ :
أُبْنَى لَا تَلْسَى الْبَلِيَّةَ إِنَّهَا لِأَبْيَكِ يَوْمَ نُشُورِهِ مَرْكُوبُ

(٢) وهو قوله :

غَلَبْتُكَ بِالْمَفْقِّ وَالْمَعْنَى وَبَيْتِ الْحَتْبِيِّ وَالْخَافِقَاتِ

(١) اللسان ٤ : ٢٧٤ .

ومن تخيلات العرب ومذاهبها ما حكاه ابن الأعرابي ، قال : كانت العرب إذا
نفرت الناقة فسُميت لها أمها سكنت من النفار ، قال الراجز :
أقول والوَجْناءُ بى تَقَعَمُ وَيَلِكُ قُلُ ما اسمُ أمِّها يا عَلَكُمُ
عَلَكُمُ : اسمُ عبدٍ له ، وإنما سأل عبده ترفُّعا أن يَعْرِفَ اسمَ أمِّها ، لأنَّ العبيد
بالإبل أعرَفَ ، وهُم رُعاثُها .
وأنشد السَّكْرَى :

فقلتُ له ما اسمُ أمِّها هاتِ فادْعُها تُجِبْكَ وَيَسْكُنُ روعُها ونِفارُها

ومما كانت العرب كالجمعة عليه الهامة ، وذلك أنهم كانوا يقولون : ليس من مَيِّت
يموت ولا قَتِيل يُقْتَلُ ، إلا ويخرج من رأسه هامةٌ ، فإن كان قَتِيلٌ ولم يُؤْخَذْ بئاره
نادت الهامةُ على قَبْرِه : اسْقُونى ، فَإِنِّى صَدِيقَةٌ ، وعن هذا قال النَبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وآلِه : « لا هامةٌ » .

وحكى أن أبا زيد كان يقول : الهامةُ مشددة الميم إحدى هَوَامِ الأرض ، وأنها
هى المتلوثة المذكورة .

وقيل : إنَّ أبا عبيد قال : ما أَرَى أبا زيد حَفِظَ هذا ، وقد يُسَمَّونها الصَّدى والجمع
أصداء ، قال :

* وكيف حَيَاةُ أَصداءِ وهامٍ *

وقال أبو دُواد الإيادى :

سَلَطَ الموتُ وَالْمَنُونُ عَلَيْهِمْ فَلَهُمْ فى صَدَى المَقَابِرِ هامٌ^(١)

وقال بعضهم لابنه :

ولا تَزُقُونِ لِي هَامَةً فوقَ مَرَقِبٍ فَإِنَّ زُفَاءَ الْمَامِ لِلْعَرِّ عَائِبٌ
تُنَادِي أَلَا اسْقُونِي وَكُلَّ صَدَى بِهِ وَتِلْكَ الَّتِي تَبْيِضُ مِنْهَا الذَّوَائِبُ
يقول له : لا تترك ثأري إن قتلت ، فإنك إن تركته صاحت هامتي : اسقوني ،
فإن كل صدى - وهو هاهنا العطش - بأبيك ، وتلك التي تبيض منها الذوائب ، لصعوبتها
وشدتها ، كما يقال : أمرٌ يُشيب رأس الوليد ، ويحتمل أن يريد به صعوبة الأمر عليه ،
وهو مقبور إذا لم يثأر به ، ويحتمل أن يريد به صعوبة الأمر على ابنه ، يعنى أن ذلك عارٌ
عليك ، وقال ذو الإصبع :

يَا عَمْرُو إِلَّا تَدْعُ شَتِيَّ وَمَنْقَصَتِي أَضْرِبَكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةُ اسْقُونِي^(١)
وقال آخر :

فِيَارَبِّ إِنَّ أَهْلَكَ وَلَمْ تَرَوْ هَامَتِي بَلِيلِي أُمْتُ لَا قَبَرَ أَعْطَشُ مِنْ قَبْرِي^(٢)
ويحتمل هذا البيت أن يكون خارجاً عن هذا المعنى الذي نحن فيه ، وأن يكون
رى هامته الذي طلبه من ربه هو وصال ليلتي وهما في الدنيا . وهم يَكُونُونَ عما يشفيهم
بأنه يُرَوِي هَامَتَهُمْ .

وقال مغلس الفقي :

وإن أخاكم قد علمت مكانه بَسَفَحَ قُبَاً تَسْفِي عَلَيْهِ الْأَعَاصِرُ
له هامةٌ تدعو إذا الليل جَهَّأَ بَنِي عَامِرٍ هَلْ لِلْهَلَالِيِّ نَائِرُ
وقال توبة بن الحمير :

ولو أن ليلى الأخيالية سلمت على ودوني جندلٌ وصفاحُ

(١) الفضلية ٣١ .

(٢) للمجنون ، ديوانه ١٦٥ .

لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْزَقَا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَاحُ^(١)
وَقَالَ قَيْسٌ بْنُ الْمُلَوَّحِ ، وَهُوَ الْجَنْحُونُ :

وَلَوْ تَلْتَقَى أَصْدَاؤُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا وَمِنْ دُونِنَا رَمْسٌ مِنَ الْأَرْضِ أَنْكَبُ^(٢)
لِظِلِّ صَدَى رَمْسِي وَإِنْ كُنْتُ رِمَةً لِصَوْتِ صَدَى لَيْلَى يَهْشُ وَيَطْرَبُ
وَقَالَ حَمِيدُ بْنُ ثَوْرٍ :

أَلَا هَلْ صَدَى أُمِّ الْوَلِيدِ مَكَلَّمٌ صَدَايَ إِذَا مَا كُنْتُ رَمْسًا وَأَعْظَمُ^(٣)؟

وبما أبطله الإسلام قول العرب بالصَّفر ، زعموا أن في البطن حَيَّةٌ إذا جاع الإنسان
عَضَّتْ عَلَى شُرْشُوفِهِ وَكَبَدِهِ ، وَقِيلَ : هُوَ الْجُوعُ بَعَيْنُهُ ، لَيْسَ أَنَّهَا تَعَضُّ بَعْدَ حَصُولِ
الْجُوعِ ، فَأَمَّا لَفْظُ الْحَدِيثِ : « لَا عَدُوَّ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ وَلَا غَوْلَ » ، فَإِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ
مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ : هُوَ صَفَرُ الشَّهْرِ الَّذِي بَعْدَ الْحَرَمِّ ، قَالَ : نَهَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ تَأْخِيرِهِمُ
الْحَرَمَّ إِلَى صَفَرٍ ، يَعْنِي مَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ مِنَ النَّسْيِ ، وَلَمْ يُوَافِقْ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَبَا عُبَيْدَةَ
عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ ، وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لَا يَتَأَرَّى لِمَا فِي الْقَدْرِ يَرْقُبُهُ وَلَا يَعْصُ عَلَى شُرْشُوفِهِ الصَّفَرُ^(٤)

وَقَالَ بَعْضُ شُعَرَاءِ بَنِي عَبْسٍ يَذْكُرُ قَيْسَ بْنَ زَهِيرٍ لَمَّا هَجَرَ النَّاسَ وَسَكَنَ الْفِيَّافِي

(١) ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ٣ : ٢٦٧ .

(٢) ديوانه ٤٦ ، وروايته : * ومن دون رمسينا من الأرض سبب * .

(٣) ديوانه ٣٠ .

(٤) لأعشى باهلة ؛ الكامل للبرد (٤ : ٦٥ ، والرواية فيه :

لَا يَتَأَرَّى لِمَا فِي الْقَدْرِ يَرْقُبُهُ وَلَا تَرَاهُ أَمَامَ الْقَدْرِ يَغْتَفِرُ

لَا يَفِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَلَا وَصْبٍ وَلَا يَعْصُ عَلَى شُرْشُوفِهِ الصَّفَرُ

وَأَنَسَ بِالْوَحْشِ ، ثُمَّ رَأَى لَيْلَةً نَارًا فَعَسَا إِلَيْهَا ، فَشَمَّ عِنْدَهَا فُتَارَ اللَّحْمِ ، فَنَازَعَتْهُ
شَهْوَتُهُ ، فَعَلَبَهَا وَقَهَرَهَا ، وَمَالَ إِلَى شَجَرَةٍ سَلَمَ فَلَمْ يَزَلْ يَكْدُمُهَا وَيَأْكُلُ مِنْ خَبَاطِهَا (١)
إِلَى أَنْ مَاتَ :

إِنَّ قَيْسًا كَانَ مَيْتَةً كَرَمٌ وَالْحَيَّ مَنْطِقُ
شَامَ نَارًا بِالْهَوَى فَهَوَى وَشُجَاعَ الْبَطْنِ يَخْتَفِقُ
فِي دَرِيْسٍ لَيْسَ يَسْتُرُهُ رَبُّ حُرِّ ثَوْبِهِ خَلَقُ

وقوله : « بالهوى » اسمُ موضعٍ يَعْنِيهِ .

وقال أبو النجيم العجلي :

إِنَّكَ يَا خَيْرَ فِتَى نَسْتَعْدِي عَلَى زَمَانٍ مَسْنِيٍّ بِمَجْهَدٍ
* عَصًا كَعَضَّ صَفَرٍ بِكَبْدٍ *

وقال آخر :

أَرَدْتُ شُجَاعَ الْبَطْنِ قَدْ تَعَلَّمِينِي وَأَوْثَرَ غَيْرِي مِنْ عِيَالِكَ بِالطَّعْمِ

ومن خُرَافَاتِ الْعَرَبِ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ إِذَا أَرَادَ دُخُولَ قَرْيَةٍ نَفَافٍ وَبَاءَهَا
أَوْ جَنَّهَا ، وَقَفَ عَلَى بَابِهَا ، قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا فَتَهَيَّأَ نَهَيْقَ الْحِمَارِ ، ثُمَّ عَلَّقَ عَلَيْهِ كَعْبَ أَرْنَبٍ ،
كَأَنَّ ذَلِكَ عُودَةٌ لَهُ وَرُقِيَّةٌ مِنَ الْوَبَاءِ وَالْجُنِّ ، وَيَسْمُوثُونَ هَذَا النَّهَيْقَ التَّعْشِيرَ ،
قال شاعرُهم :

وَلَا يَنْفَعُ التَّعْشِيرُ أَنْ حُمِّ وَقِعَ وَلَا زَعَزَعٌ وَلَا كَغَبِ أَرْنَبٍ

وقال الهيثم بن عدي : خَرَجَ عُروَةُ بْنُ الْوَرْدِ إِلَى خَيْرٍ فِي رُقْفَةٍ لِيَتَارَوْا ، فَلَمَّا
قَرَّبُوا مِنْهَا عَشَرُوا ، وَعَافَ عُروَةُ أَنْ يَفْعَلَ فَعَاهَمَ ، وَقَالَ :

لَعَمْرِي لئن عَشَرْتُ مِنْ خَيْفَةِ الرَّدَى نُهَاقَ حَمِيرٍ إِنِّي لَجَزُوعٌ^(١)
 فَلَا وَأَلَتْ تِلْكَ النُّفُوسُ وَلَا أَتَتْ قُفُولًا إِلَى الْأَوْطَانِ وَهِيَ جَمِيعُ
 وَقَالُوا أَلَا أَنهَقَ لَا تَضْرُكَ خَيْبَرٌ وَذَلِكَ مِنْ فَعْلِ الْيَهُودِ وَلُوعُ
 الْوُلُوعِ بِالْضَّمِّ : الْكَذِبُ ، وَلَمِ الرَّجُلُ إِذَا كَذَبَ ، فَيَقَالُ إِن رُقِقَتْ مَرْضَاؤُهُ وَمَاتَ
 بَعْضُهُمْ ، وَنَجَا عُرْوَةٌ مِنَ الْمَوْتِ وَالْمَرَضِ .
 وَقَالَ آخَرُ :

لَا يُنَجِّيَنَّكَ مِنْ حِمَامٍ وَقَعَ كَعْبٌ تَعَلَّقَهُ وَلَا تَعَشِيرُ

وَيُشَابِهَ هَذَا أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ إِذَا ضَلَّ فِي فَلَاةٍ قَلْبَ قَيْصِهِ ، وَصَفَّقَ يَدَيْهِ كَأَنَّهُ
 يَوْمِيٌّ بِهِمَا إِلَى إِنْسَانٍ فِيهِتَدِي ، قَالَ أَعْرَابِيٌّ :
 قَلْبْتُ نِيَابِي وَالظُّنُونُ تَجُولُ بِي وَتَرْمِي بِرَحْلي نَحْوَ كُلِّ سَبِيلِ
 فَلَايَا بِلَايٍ مَا عَرَفْتُ جَلَّتِي وَأَبْصَرْتُ قَصْدًا لَمْ يَصْبِ بِدَلِيلِ
 وَقَالَ أَبُو الْعَمَلِّسِ الطَّائِيٌّ :
 فَلَوْ أَبْصَرْتَنِي بِلَوَى بَطَانٍ أَصْفَقَ بِالْبَنَانِ عَلَى الْبَنَانِ
 فَأَقْلَبُ تَارَةً خَوْفًا رَدَائِي وَأَصْرُخُ تَارَةً بِأَبِي فُلَانِ
 لَقَلْتُ أَبُو الْعَمَلِّسِ قَدْ دَهَاهُ مِنَ الْجِنَانِ خَالَعَةُ الْعِنَانِ
 وَالْأَصْلُ فِي قَلْبِ الثِّيَابِ التَّفَاوُلُ بِقَلْبِ الْحَالِ ، وَقَدْ جَاءَ فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ نَحْوُ
 ذَلِكَ فِي الْأُسْتِسْقَاءِ .

ومن مذاهب العرب أنّ الرجل منهم كان إذا سافر عمداً إلى خَيط فَعَقَدَه في غُصْنِ شجرة أو في ساقها، فإذا عادَ نظرَ إلى ذلك الخيط، فإنَّ وجَدَه بِحالِهِ عَليمٌ أنّ زوجته لم تَحْنُه، وإن لم يجدْه أو وجده مَحلولاً، قال: قد خانتني، وذلك العَقْدُ يُسمَّى الرِّثَمَ، ويقال: بل كانوا يَعْقِدُونَ طَرَفًا من غُصْنِ الشَّجَرَةِ بِطَرَفِ غُصْنِ آخَرَ، وقال الراجز:

هل ينفعنك اليومَ إنْ هَمَّتْ بِهِمْ كَثْرَةُ مَا تُوصِي وتَعْقَدُ الرِّثَمَ^(١)

وقال آخر:

خانتني لما رأت شَيْباً بِمَفْرِقِهِ وَغَرَّهُ حَلْفُهَا والعَقْدُ للرِّثَمِ

وقال آخر:

لا تَحْسَبَنَّ رَتَائِمًا عَقَدْتَهَا تُنْبِيكَ عَنْهَا بِالْيَقِينِ الصَّادِقِ

وقال آخر:

يَعْلَلُ عَمْرُلُو بِالرَّتَائِمِ قَلْبَهُ وَفِي الْحَيِّ ظَلِيٌّ قَدْ أُحْلَتْ تَحَارِمُهُ

فما نَعَتُ تلك الوَصَايَا وَلَا جَنَّتْ عَلَيْهِ سِوَى مَا لَا يَحِبُّ رَتَائِمُهُ

وقال آخر:

ماذا الَّذِي تَنْفَعُكَ الرَّتَائِمُ إِذَا أَصْبَحْتَ وَعِشْقُهَا مُلَازِمُ

وهي على لَذَائِبِهَا تُدَاوِمُ يَزُورُهَا طَبُّ الْفَوَادِ عَارِمُ

* بَكلِّ أدواءِ النِّساءِ عَالِمُ *

وقد كانوا يَعْقِدُونَ الرِّثَمَ لِلْحَمَى، وَيَرَوْنَ أَنَّ من حَتَّهَا انتقلتُ الْحَمَى إِلَيْهِ،

وقال الشاعر:

حَلَّتْ رُتَيْمَةً فَكَشَتْ شَهْرًا أكَابِدُ كُلِّ مَكْرُوهِ الدَّوَاءِ

(١) اللسان (رثم) من غير نسبة.

وقال ابنُ السكيتِ : إنَّ العربَ كانت تقول : إنَّ المرأةَ المُقلاتِ وهى التى لا يعيشُ لها ولد ، إذا وَطِئَت القَتيلَ الشريفَ عاشَ ولدُها ، قال بشرُ بنُ أبى خازم :
تَظَلُّ مَقَالِيَتُ النِّسَاءِ تَطْلَأُهُ أَنَّهُ يَقْلُنُ أَلَا يُلْقَى عَلَى الْمَرْءِ مِثْرُ^(١)
وقال أبو عبيدة : تتخطاهُ المُقلاتِ سبعَ مرَّات ، فذلك وَطؤها له .
وقال ابنُ الأعرابى : يمرُّون به ويطئون حوله وقيل : إنما كانوا يفعلون ذلك
بالشريف يُقتل غَدْرًا أو قَوْدًا .

وقال الكُميت :

وَتُطِيلُ الْمَرْزَاتُ الْمَقَالِيَةَ تُوَلِّيه الْقُعُودَ بَعْدَ الْقِيَامِ

وقال الآخر :

تَرْكُنَا الشَّعْثَمِينَ بِرَمْلٍ خَبْتِ تَزُورُهَا مَقَالِيَتُ النِّسَاءِ

وقال الآخر :

بِنَفْسِي الَّتِي تَمْشَى الْمَقَالِيَتُ حَوْلَهُ يُطَافُ لَهُ كَشْحًا هَضِيماً مُهْشِماً

وقال آخر :

تَبَاشَرَتِ الْمَقَالِيَتُ حِينَ قَالُوا ثَوَى عَمْرُو بْنُ مَرْةٍ بِالْحَفِيرِ

ومن تخیلات العربِ وخرافاتِها ، أنَّ الفَلامَ مِنهم كان إذا سقطتْ له سِنَّ أَخَذَهَا بَيْنَ
السَّبَابَةِ وَالْإِبْهَامِ وَأَسْتَقْبَلَ الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ وَقَذَفَ بِهَا ، وقال : يَأْشَسُ أَبْدِلْنِي بَسَنَ
أَحْسَنَ مِنْهَا ، وَلِيَجْرَ فِي ظِلِّهَا إِيَّاتِكَ ، أو تقول : « إِيَّائُكَ » ، وهما جميعاً شعاع الشمس ،
قال طرفة :

* سَقَّتْهُ إِيَاةُ الشَّمْسِ ^(١) *

وإلى هذا الخيال أشار شاعرهم بقوله :

شَادِنٌ يَجْلُو إِذَا مَا ابْتَسَمَتْ عَنْ أَقَاحِ كَأَفَاحِ الرَّمْلِ غَرٌّ
بَدَّلَتْهُ الشَّمْسُ مِنْ مَنِيَّتِهِ بَرْدًا أبيضَ مَصْقُولَ الْأَشَرِّ

وقال آخر :

وَأَشْنَبُ وَاضِحٌ عَذْبُ الثَّنَايَا كَأَنَّ رُضَابَهُ صَافِي الْمَدَامِ
كَسَتْهُ الشَّمْسُ لَوْثًا مِنْ سَنَاهَا فَلَاحَ كَأَنَّهُ بَرَقَ الْغَامِ

وقال آخر :

بَذَى أَشْرٌ عَذْبُ الْمَذَاقِ تَفَرَّدَتْ بِهِ الشَّمْسُ حَتَّى عَادَ أبيضَ نَاصِعَا
وَالنَّاسُ الْيَوْمَ فِي صَبِيَانِهِمْ عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ .

وكانت العرب تعتقد أن دَمَ الرِّئِيسِ يَشْفِي مِنَ عَضَّةِ الْكَلْبِ الْكَلْبِ ؛

قال الشاعر :

بُنَاةٌ مَكَارِمٍ وَأَسَاةٌ جُرِيحٍ دِمَاؤُهُمْ مِنَ الْكَلْبِ الشِّفَاءُ
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيَّيرِ الْأَسَدِيُّ :

مِنْ خَيْرِ بَيْتٍ عَلِمْنَاهُ وَأَكْرَمِهِ كَانَتْ دِمَاؤُهُمْ تَشْفِي مِنَ الْكَلْبِ
وَقَالَ الْكَمَيْتُ :

أَحْلَامَكُمْ لِسِقَامِ الْجَهْلِ شَافِيَةٌ كَمَا دِمَاؤُكُمْ تَشْفِي مِنَ الْكَلْبِ

وَمِنْ تَحْيِيلَاتِ الْعَرَبِ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا خَافُوا عَلَى الرَّجْلِ الْجُنُونِ وَتَعَرَّضَ الْأَرْوَاحَ

(١) البيت بتمامه :

سَقَّتْهُ إِيَاةُ الشَّمْسِ إِلَّا لثَاتِهِ أَسَفَ وَلَمْ تَكْدَمْ عَلَيْهِ بِإِعْدِ

الخبينة له نجسوه بتعليق الأقدار عليه ، كخريقة الحيز وعظام الموتى ، قالوا : وأنفع من ذلك أن تعلق عليه طامث عظام موتى ، ثم لا يراها يومه ذلك ، وأنشدوا للمزق العبدى :

فلو أن عندى جارتين وراقياً وعلق أنجاسا على المعلق
قالوا : والتنجيس يشفى إلا من العشق ، قال أعرابي :
يقولون علق يالك الخير رمة وهل ينفع التنجيس من كان عاشقا !
وقالت امرأة - وقد نجست ولدها فلم ينفعه ومات :

تجسسته لو ينفع التنجيس والموت لا تنقوته النفوس
وكان أبو مهدي يعلق في عنقه العظام والصوف حذر الموت ، وأنشدوا :
أتوتى بأنجاس لهم ومنجس فقلت لهم ما قدر الله كائن

ومن مذاهبهم أن الرجل منهم كان إذا خدرت رجله ذكر من يحب أو دعاها
فيذهب خدرها.

وروى أن عبد الله بن عمر خدرت رجله ، فقيل له : ادع أحب الناس إليك ، فقال :
يا رسول الله

وقال الشاعر :

على أن رجلى لا يزال أمذلاًها مقيماً بها حتى أجيبك في فكرى
وقال كثير :

إذا مذلت رجلى ذكرتك أشتى بدعواك من مذل بها فيهن^(١)
وقال جميل :

وأنت لئبى قرّة حين نلتقى وذكرك يشفينى إذا خدرت رجلى^(٢)

وقالت امرأة :

إِذَا خَدِرْتُ رَجُلِي دَعَوْتُ أَبْنَ مَصْعَبٍ فَإِنْ قَاتُ عَبْدَ اللَّهِ أَجَلِي فُتُورُهَا
وقال آخر :

صَبَّ مَحَبَّةً إِذَا مَارِجُهُ خَدِرَتْ نَادَى كُبَيْشَةَ حَتَّى يَذْهَبَ الْخَدَرُ
وقال المؤمل :

وَاللَّهِ مَا خَدِرْتُ رَجُلِي وَلَا عَثَرْتُ إِلَّا ذَكَرْتُكَ حَتَّى يَذْهَبَ الْخَدَرُ
وقال الوليد بن يزيد :

أُمِّي هَائِمًا كَلِفًا مُعَيَّ إِذَا خَدِرْتُ لَهُ رَجُلٌ دَعَاكَ
ونظير هذا الوهم أن الرجل منهم كان إذا اختلجت عينه قال : أَرَى مَنْ أَحِبَّهُ ،
فإن كان غائبا توقع قدومه ، وإن كان بعيدا توقع قربه .
وقال بشر :

إِذَا اخْتَلَجَتْ عَيْنِي أَقُولُ لَعَلَّهَا فَتَاةُ بَنِي عَمْرِو بْنِ الْعَيْنِ تَلْعَعُ^(١)
وقال آخر :

إِذَا اخْتَلَجَتْ عَيْنِي تَيَقَّنْتُ أَنَّي أَرَاكَ وَإِنْ كَانَ الْمَزَارُ بَعِيدَا
وقال آخر :

إِذَا اخْتَلَجَتْ عَيْنِي أَقُولُ لَعَلَّهَا لَرُؤَيْتَهَا تَهْتَاجُ عَيْنِي وَتَطْرِفُ
وهذا الوهم باقٍ في الناس اليوم .

ومن مذهبهم أن الرجل منهم كان إذا عَشِقَ ولم يَسْلُ وأَفْرَطَ عليه العِشْقُ حَمَلَهُ

رجلٌ على ظهره كما يحمل الصبي ، وقام آخر فأتى حديدةً أو ميلاً ، وكوى به بين
أليتيه فيذهب عشقه فيما يزعمون .
وقال أعرابي :

كوتيم بين رانفتي جَهلاً ونارُ القلب يُضرمُها الغرامُ
وقال آخر :

شكوتُ إلى رفيقي اشتياقي فجاءني وقد جمعا دواء
وجاءا بالطبيب ليكوياني ولأبني - عَدِمْتُهُمَا - اِكْتَوَا
ولو أنيا بسألي حين جاءا لعاضاني من السَّقم الشَّفَاء
واستشهد الخالغ على هذا المعنى بقول كثير :

أغاضرَ لو شهدتِ غداةَ بِنْتُمُ حُنُوءَ العائِذاتِ على وسادِي
أَوَيْتِ لعاشقٍ لم تَرْحِمِيهِ بواقِـدةٍ تلذّع بالزَّنادِ

هذا البيت ليس بصريح في هذا الباب ، ويحتمل أن يكون مرادُه فيه المعنى المشهور
المطروق بين الشعراء من ذكر حرارة الوجد ولذعه ، وتشبيهه بالنار ، إلا أنه قد
روى في كتابه خبراً يؤكّد المقصد الذي عزاه وادّعاه ، وهو عن محمد بن سليمان
ابن فليح ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كنتُ عندَ عبدِ الله بنِ جعفر ، فدخل
عليه كثيرٌ وعليه أثرُ عِلّةٍ ، فقال عبدُ الله : ما هذا بك ؟ قال : هذا ما فعلتُ بي أمُّ
الحوِيرِث ، ثم كَشَفَ عن ثوبه وهو مكوى ، وأنشد :

عفا الله عن أمِّ الحوِيرِثِ ذَنْبَهَا علامُ تُعَنِّينِي وتكِي دَوَائِي !
ولو آذَنُونِي قبلَ أن يرقُمُوا بها لقلتُ لهم : أمُّ الحوِيرِثِ دائِيَا

وَمِنْ أَوْهَامِهِمْ وَتَحْيَلَاتِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا أَحَبَّ امْرَأَةً وَأَحْبَبَتْهُ
فَشَقَّ بَرْقِعَهَا ، وَشَقَّتْ رِدَاءَهُ ، صَلَحَ جَبْهُمَا وَدَامَ ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلَا ذَلِكَ فَسَدَ جَبْهُمَا ؛ قَالَ
سُجَيْمٌ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ :

وَكَمْ قَدْ شَقَقْنَا مِنْ رِدَاءِ مُحَبِّرٍ وَمَنْ بُرِّعَ عَنْ طِفْلَةٍ غَيْرِ عَابِسٍ^(١)
إِذَا شُقَّ بُرْدُ شُقٍّ بِالْبَرْدِ بُرِّعَ دَوَالِيكَ حَتَّى كَلْنَا غَيْرَ لَابِسٍ
نَرُومُ بِهَذَا الْفِعْلِ بَقِيًّا عَلَى الْهُوَى وَلِإِلْفِ الْهُوَى يَغْرِى بِهَذَى الْوَسَاوِسِ
وَقَالَ آخَرُ :

شَقَقْتُ رِدَائِي يَوْمَ بَرْقَةٍ عَالِجٍ وَأَمَكْنِي مِنْ شُقِّ بَرْعِكَ السَّحْنَا
فَمَا بَالُ هَذَا الْوُدِّ يَفْسُدُ بَيْنَنَا وَيَمَحَقُ حَبْلَ الْوَصْلِ مَا بَيْنَنَا مَحَقًا

وَمِنْ مَذَاهِبِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ أَكْلَ لَحُومِ السَّبَاعِ تَزِيدُ فِي الشَّجَاعَةِ وَالْقُوَّةِ ،
وَهَذَا مَذْهَبُ طَبِئٍ ، وَالْأَطْبَاءُ يَمْتَقِدُونَهُ ، قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَبَا الْمَعَارِكِ لَا تَتَشَبَّ بِأَكْلِكَ مَا تَنْظُنَّ أَنَّكَ تُلْنِي مِنْهُ كَرَارًا
فَلَوْ أَكَلْتُ سَبَاعَ الْأَرْضِ قَاطِبَةً مَا كُنْتُ إِلَّا جَبَانًا قَلْبَ خَوَارَا
وَقَالَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ - وَأَكْلُ فُؤَادِ الْأَسَدِ لِيَكُونَ شَجَاعًا - فَعَدَا عَلَيْهِ نَمِرٌ فَجَرَحَهُ :
أَكَلْتُ مِنَ اللَّيْثِ الْمَهْصُورِ فُؤَادَهُ لِأَصْبِيحَ أَجْرَى مِنْهُ قَلْبًا وَأَقْدَمًا
فَأَذْرَكَ مِنِّي ثَأْرَهُ بِابْنِ أُخْتِهِ فَيَالِكَ ثَأْرًا مَا أَشَدَّ وَأَعْظَمًا
وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا لَمْ يَكُنْ قَلْبُ الْفَتَى غُدُوَّةَ الْوَعَى أَصَمَّ قَلْبُ الْلَيْثِ لَيْسَ بِنَافِعِ

(١) ديوانه ١٦ ، ولم يذكر البيت الثالث .

وما نفع قلب الليث في حومة الوغى إذا كان سيف المرء ليس بقاطع !

ومن مذهبهم أن صاحب الفرس المهقوع إذا ركبه ففرق تحتته اغتلمت امرأته وطمحت إلى غيره ، والتهقعة : دائرة تكون بالفرس ، وربما كانت على الكتف في الأكثر ، وهي مستقبحةٌ عندهم ، قال بعضهم لصاحبه :

إذا عرق المهقوع بالمرء أنعطت حليلته وازداد حراً عجائبها ،
فأجابه صاحبه :

قد يركب المهقوع من ليس مثله وقد يركب المهقوع زوج حصان^(١)

ومن مذهبهم أنهم كانوا يؤقدون النار خلف المسافر الذي لا يحبون رجوعه ، يقولون في دعائهم : أبعد الله وأسحقه ، وأوقد ناراً أثره ! قال بعضهم :
صحت وأوقدت للجهل ناراً ورد عليك الصبا ما أستعارا
وكانوا إذا خرجوا إلى الأسفار أوقدوا ناراً بينهم وبين المنزل الذي يريدونه ، ولم يؤقدوها بينهم وبين المنزل الذي خرجوا منه تفاؤلاً بالرجوع إليه .

ومن مذهبهم المشهورة تعليق كعب الأرنب ، قال ابن الأعرابي : قلت لزيد بن كثوة : أتقولون : إن من علق عليه كعب أرنب لم تقربه جنان الدار ، ولا عُمار الحلى ؟ قال : إي والله ، ولا شيطان الخماطة ولا جار العسيرة ، ولا غول القفر . وقال
أمرؤ القيس :

(١) اللسان (هج) دون نسبة .

أَيَاهُنْدُ لَا تَنْكِحِي بُوهَةً عَلَيْهِ عَقِيقَتُهُ أَحْسَبًا^(١)
 مَرَسَعَةً بَيْنَ أَذْبَاقِهِ بِهِ عَسَمٌ يَبْتَغِي أَرْنبًا
 لِيَجْعَلَ فِي رِجْلِهِ كَعْبَهَا حِذَارَ الْمَنِيَّةِ أَنْ يَعْطَبَا
 وَالتَّخْلُاطَةُ : شَجَرَةٌ ، وَالْعَشِيرَةُ : تَصْغِيرُ الْعَشْرَةِ ، وَهِيَ شَجَرَةٌ أَيْضًا .

وَقَالَ أَبُو حَجَلٍ : كَانَتْ الْعَرَبُ تُلَقِّقُ عَلَى الصَّبِيِّ سِنَّ تَلْعَبُ وَسِنَّ هِرَّةٍ خَوْفًا مِنْ
 الْخَطْفَةِ وَالنَّظَرَةِ ، وَيَقُولُونَ : إِنْ جَنِّيَّةً أَرَادَتْ صَبِيَّ قَوْمٍ فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَيْهِ ، فَلَا مَهَا قَوْمُهَا
 مِنَ الْجِنِّ فِي ذَلِكَ ؛ فَقَالَتْ تَعْتَذِرُ إِلَيْهِمْ :

كَأَنَّ عَلَيْهِ نَفْرَةً تَعَالَبُ وَهِيَ رَرَةٌ
 * وَالْخَيْضُ حَيْضُ السَّمُرَةِ *

وَالسَّمُرَةُ شَيْءٌ يَسِيلُ مِنَ السَّمْرِ كَدَمِ الْغَزَالِ ؛ وَكَانَتْ الْعَرَبُ إِذَا وَلَدَتِ الْمَرْأَةُ أَخَذُوا
 مِنْ دَمِ السَّمْرِ - وَهُوَ صَمْغُهُ الَّذِي يَسِيلُ مِنْهُ - يَنْقُطُونَهُ بَيْنَ عَيْنَيْ النِّفْسَاءِ ؛ وَخَطُّوا عَلَى
 وَجْهِ الصَّبِيِّ خَطًّا ، وَيُسَمَّى هَذَا الصَّمْغُ السَّائِلُ مِنَ السَّمْرِ الدَّوْدَمَ ؛ وَيُقَالُ بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ
 أَيْضًا ، وَتُسَمَّى هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي تُلَقِّقُ عَلَى الصَّبِيِّ : النَّفْرَاتُ .

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أُخْيٍ الْأَصْمَعِيُّ : إِنْ بَعْضَ الْعَرَبِ قَالَ لِأَبِي : إِذَا وَلَدَ لَكَ وَلَدٌ
 فَفَرِّعْ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَبِي ، وَمَا التَّنْفِيرُ ؟ قَالَ : غَرَّبَ أَسْمَهُ ؛ فَوُلِدَ لَهُ وَلَدٌ فَسَمَّاهُ قُنْفُذًا ،
 وَكَفَّاهُ أَبَا الْعَدَاءِ ؛ قَالَ : وَأَنْشَدَ أَبِي :

كَاتَلْتُمْ مَزُجُ دَوَائِمِهَا مِنْهَا بِهَا تَشْفَى الصُّدَاعَ وَتُبْرِئُ الْمَنْجُودَا^(٢)
 قَالَ : يَرِيدُ أَنْ الْقُنْفُذُ مِنْ مَرَاكِبِ الْجِنِّ ؛ فَدَاوَى مِنْهُمْ وَلَدَهُ بِمَرَاكِبِهِمْ .

ومن مذاهبهم أن الرجل منهم كان إذا ركب مفازةً وخاف على نفسه من طوارق الليل عمد إلى وادي شجر فأناخ راحلته في قرارته ، وعقلها وخطّ عليها خطاً ثم قال : أعود بصاحب هذا الوادي ، وربما قال : بعظيم هذا الوادي ، وعن هذا قال الله سبحانه في القرآن : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ (١) .

واستعاذ رجل منهم ومعه ولدٌ فأكله الأسد ، فقال :
قد استعذنا بعظيم الوادي من شرٍّ ما فيه من الأعدى
* فلم يُجِرْنَا من هزبرٍ عادٍ *

وقال آخر :
أعودُ من شرِّ البلاد البِيدِ بسيدٍ معظّمٍ مجيدٍ
أصبحَ يأوى بلوى زردٍ ذى عِزّةٍ وكاهلٍ شديدٍ
وقال آخر :

ياجنّ أجراء اللوى من عاجلٍ عاذَ بكم سارى الظلام الدالجِ
* لا تُرهقوه بغويّ هائجٍ *

وقال آخر :
قد بتّ ضيفاً لعظيم الوادي المانعي من سطوة الأعدى
* راحلتى فى جاريه هزادى *

وقال آخر :
هياً صاحبَ الشجراء هل أنت مانعٍ فإني ضيفٌ نازلٌ بينائكما

وإنك للجنان في الأرض سيدٌ ومثلك آوى في الظلام الصعاليكا

ومن مذاهبهم أن المسافر إذا خرج من بلده إلى آخر فلا ينبغي له أن يلتفت ،
فإنه إذا ألتفت عاد ، فلذلك لا يلتفت إلا العاشق الذي يريد العود ؛ قال بعضهم :
دع التلفت يا مسعود وأرم بها وجه الهواجر تأمن رجعة البكدي
وقال آخر ؛ أنشد الخالع :

عيل صيرى بالعلبية لما طال ليلى وملنى قرنائى
كلما سارت المطايا بنامى لأ تنفست والتفت ورأى

هذان البيتان ذكرهما الخالع في هذا الباب ، وعندى أنه لا دلالة فيهما على ما أراد ،
لأن التلفت في أشعارهم كثير ، ومُرَادُهم به الإبانة والإعراب عن كثرة الشوق ،
والتأسف على المفارقة ، وكون الراحل عن المنزل حيث لم يمكنه المقام فيه بجثمانه يُتبعه
بصره ، ويتزود من رؤيته ؛ كقول الرضى رحمه الله :

ولقد مررت على طولهم ورؤسومهم بيد البلى نهب^(١)
فوقفت حتى ضج من لغب نضوى ولج بعدلى الركب
وتلفتت عني فذ خفيت عني الطلول تلفت القلب

وليس يقصد بالتلفت ها هنا التفاؤل بالرجوع إليها ، لأن رؤسومها قد صارت نهبا
ليد البلى ، فأى فائدة في الرجوع إليها ! وإنما يريد ما قدمنا ذكره من الحنين والتذكر
لما مضى من أيامه فيها ، وكذلك قول الأول :

تلفت نحو الحى حتى وجدتني وجمعت من الإصغاء ليتاً وأخذت^(١)
 ومثل ذلك كثير ، وقال بعضهم فى المذهب الأول :
 تلفت أرجور رجعة بعد رية فكان التفات زائداً فى بلائيا
 أرجور رجوعاً بعد ما حال بيننا وبينكم حزن الفلا والقيافيا !
 وقال آخر ، وقد طلق امرأته فتلفت إليه :
 تلفت ترجور رجعة بعد فرقة وهيات مما ترتجى أم مازن !
 ألم تعلمى أنى جموح عنانه إذا كان من أهواه غير ملاين

ومن مذاهبهم ، إذا بُثِرَت شفة الصبي حمل مُنْخُلاً على رأسه ، ونادى بين بيوت
 الحى : الحلا الحلا ، الطعام الطعام ، فتلقى له النساء كسر الخبز وأقطع التمر واللحم فى
 المنخل ، ثم يلقى ذلك للكلاب فتأكله فيبرأ من المرض ، فإن أكل صبي من
 الصبيان من ذلك الذى ألقاه للكلاب ثمرة أو لقمة أو لحمة أصبح وقد بُثِرَت شفته .
 وأنشد لامرأة :

ألا حلا فى شفة مشقوقة فقد قضى مُنْخُلنا حَقوقه

ومن مذاهبهم أن الرجل منهم كان إذا طرِفَت عينه بثوب آخر مسح الطارف عين
 المطروف سبع مرات ؛ يقول : فى الأولى : يا حدى جاءت من المدينة ، وفى الثانية : يا ثنتين
 جاءتا من المدينة ، وفى الثالثة بثلاث جئن من المدينة ، إلى أن يقول فى السابعة : بسبع
 جئن من المدينة ، فتبرأ عين المطروف .

(١) للصمة بن عبدالله ، ديوان الحماسة - بشرح التبريزى ٣ : ١٩٩ .

وفيه من يقول : بإحدى من سَبْعِ جُن من المدينة ، باثنتين من سبعٍ ، إلى أن يقول
بَسْبَعٍ من سَبْعٍ .

ومن مذاهبهم أن المرأة منهم كان إذا عَسِرَ عليها خاطبُ النِّكاحِ نَشَرَتْ جانباً
من شعرها ، وكَلَّتْ إحدى عَيْنَيْهَا مخالفةً للشَّعرِ المنشور ، وَحَجَلَتْ على إحدى رِجْلَيْهَا
ويكون ذلك لَيْلاً ، وتقول : يالْكَاح ، أبغى النِّكاح ، قَبْلَ الصِّباح ؛ فَيَسْهَلُ أمرُها
وتزَوِّجَ عن قُرْب ، قال رجل لصديقه وقد رأى امرأةً تَفْعَلُ ذلك :

أما تَرَى أَمَكِ تَبْقَى بَعْلًا قد نَشَرَتْ من شعرها الأَقْلًا
ولم تُوفِّ مَقْلَتَيْهَا كُحْلًا تَرَفَعَ رِجْلًا وَتَحُطَّ رِجْلًا
هذا وقد شابَ بَنُوها أَصْلًا وأَصْبَحَ الأصغرُ مِنْهُمْ كَهْلًا
خَذَ القَطِيعَ ثُمَّ سَمَّيَها الذَّلَّالَ ضَرَبًا بِهِ تَتْرَكَ هَذَا الفِعْلًا

وقال آخر :

قد كَلَّتْ عَيْنًا وَأَعْفَتَ عَيْنًا وَحَجَلَتْ وَنَشَرَتْ قُرَيْنًا
* تَظُنُّ زَيْنًا مَا تَرَاهُ شَيْنًا *

وقال آخر :

تَصْنَعِي مَا شِئْتِ أَنْ تَصْنَعِي وَكَحْلِي عَيْنِيكَ أَوْ لَا فَدَعِي
ثُمَّ احْجِلِي فِي الْبَيْتِ أَوْ فِي الْجَمْعِ مَالِكٍ فِي بَعْلِ أَرَى مِنْ مَطْمَعِ

ومن مذاهبهم كانوا إذا رَحَلَ الضيف أو غيره عنهم وأحبَّوا ألا يعودَ كَسروا

شيئا من الأواني وراءه ، وهذا مما تعلمه الناس اليوم أيضا ، قال بعضهم :
كسرنا القدر بعد أبي سواح فعادَ وقدرنا ذهبَ ضياعاً
وقال آخر :

ولا تكسر الكيزان في إثر ضيفنا ولكننا نقفيه زاداً ليرجينا
وقال آخر :

أما والله إنَّ بني نُفيلٍ لحلالون بالشرف اليفاع
أناسٌ ليس تكسر خلف ضيفٍ أو انيهم ولا شعب القصاص

ومن مذاهبهم قولهم : إنَّ من ولد في القمراء تقلصت غرله^(١) ، فكان كالمختون .
ويجوز عندنا أن يكون ذلك من خواص القمر ، كما أنَّ من خواصه إبلاء الكتان ،
وإنتان اللحم ، وقد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام : إذا رأيت الغلام طويل الغرلة
فأقرب به من السؤدد ، وإذا رأيت قصير الغرلة كأنما ختمته القمر فأبعد به .

وقال امرؤ القيس لقيصر ، وقد دخل معه الحمام فرآه أقلف :
إني حلفت يميناً غير كاذبةٍ لأنك أغلف إلا ما جنى القمر^(٢)

ومن مذاهبهم التشاؤم بالعطاس ، قال امرؤ القيس :

* وقد أغتدي قبل العطاس بهيكل^(٣) *

وقال آخر :

(١) الغرلة : القلفة ، وهي الجدة في رأس الإحليل قبل الختان .

(٢) ديوانه ٢٨٠ . (٣) البيت بتمامه :

وقد أغتدي قبل العطاس بهيكلٍ شديدٍ منبعٍ الجنبِ قعرٍ المنطقِ

ديوانه ١٧٣ .

وخرقٍ إذا وجهت فيه لغزوة مضيت ولم يحبسك عنه العواطسُ

ومن مذاهبهم قولهم في الدعاء : لا عشت إلا عيش القراد ! يضربونه مثلاً في الشدة والصبر على المشقة ، ويزعمون أن القراد يعيش ببطنه عاماً وبظهره عاماً ، ويقولون : إنه يُترك في طينة ويُرعى بها الحائط فيبقى سنة على بطنه ، وسنة على ظهره ولا يموت ، قال بعضهم :

فلا عشت إلا كمعيش القرا د عاماً ببطنٍ وعاماً بظهرٍ
ومن مذاهبهم كانت النساء إذا غاب عنهن من يحببنه أخذن ثراباً من موضع
رجله كانت العرب تزعم أن ذلك أسرع لرجوعه .

وقالت امرأة من العرب - واقتبضت من أثره :

يارب أنت جاره في سفره وجار خضيئه وجار ذكركه
وقالت امرأة :

أخذت ثراباً من مواطئ رجله غداة غدا كيما يؤوب مسلماً

ومن مذاهبهم ، أنهم كانوا يسمون العشا في العين الهدبد ، وأصل الهدبد ، اللبن الخائر ، فإذا أصاب أحدهم ذلك عمد إلى سنام فقطع منه قطعة ومن الكبد قطعة ، وقلأها ، وقال عند كل لقمة يأكلها بعد أن يمسح جفنه الأعلى بسبابته :

فيا سناما وكبد
ألا أذهبا بالهدبد^(١)
ليس شفاء الهدبد إلا السنام والكبد

(١) انظر اللسان ٤ : ٤٤٦ .

قال : فيذهب العشاء بذلك .

ومن مذاهبهم اعتقادهم أن الورل والقنفذ والأرنب والظبي واليزبوع والتعام
مراكب الجن يمتطونها ، ولهم في ذلك أشعار مشهورة ، ويزعمون أنهم يرون الجن
ويظاهرونهم ويخاطبونهم ، ويشاهدون الغول ، وربما جامعوها وتزوجوها ، وقالوا : إن
عمرو بن يزبوع تزوج الغول وأولدها بنين ، ومكثت عنده دهرًا ؛ فكانت تقول له :
إذا لاح البرق من جهة بلادى - وهى جهة كذا - فاستره عنى ، فإنى إن لم تستره عنى
تركتُ ولدك عليك ، وطُرتُ إلى بلاد قوى ؛ فكان عمرو بن يزبوع كلما برق البرق
غَطَّى وجهها بردائه فلا تبصره ؛ وإلى هذا المعنى أشار أبو العلاء المعرى فى قوله يذكر
الإبل وحينها إلى البرق :

طَرِبْنَ لَضَوْءَ الْبَارِقِ الْمُتَعَالَى	بِبَغْدَادَ وَهَنًا مَا لَهَنَ وَمَالِي ^(١)
سَمَتْ نَحْوَهُ الْأَبْصَارُ حَتَّى كَانَهَا	بِنَارِيهِ مِنْ هُنَا وَتَمَّ صَوَالِي
إِذَا طَالَ عَنْهَا سَرَّهَا لَوْ رَمَوْسَهَا	تَمَدُّ إِلَيْهِ فِي صُدُورِ عَوَالِي
تَمَنَّتْ قَوِيْقًا وَالصَّرَاةَ أَمَامَهَا	تَرَابٌ لَهَا مِنْ أَيْنُقٍ وَجَالِ
إِذَا لَاحَ إِيْمَاضٌ سَتَرَتْ وَجُوهَهَا	كَأَنِّي عَمْرُو وَالْمَطَى سَعَالِي
وَكَمْ هُمْ نِضْوَةٌ أَنْ يَطِيرَ مَعَ الصَّبَا	إِلَى الشَّامِ لَوْلَا حَبْسُهُ بِعِقَالِي

قالوا : ففعل عمرو بن يزبوع عنها ليلة وقد لمع البرق فلم يستر وجهها، فطارت وقالت له

وهى تطير :

أَمْسِكْ بَنِيكَ عَمْرُو إِنِّي آبِقُ بَرَقَ عَلَى أَرْضِ السَّعَالَى آبِقُ^(٢)

(١) سقط الزند ١١٦٢ .

(٢) شروح سقط الزند ١١٦٨ .

ومنهم من يقول : ركبتُ بعيراً وطارت عليه - أى.أسرعتُ - فلم يُذركُها . وعن هذا قال الشاعر :

رأى برقاً فأوضعَ فوقَ بكرٍ
فلا بكَ ما أسالَ ولا أغاماً^(١)
قال : فبنو عمرو بن يربوع إلى اليوم يُدْعَوْنَ بنى السَّعْلاة ، ولذلك قال
الشاعر يهجوهم :

يا قَبِّحَ اللهُ بنى السَّعْلاةِ عمرو بن يربوع شِرَارَ النَّاسِ^(٢)
* ليسوا بأبطالٍ ولا أكْيَاتِ *
فأبدلَ السَّيْنُ ناءً ، وهى لغةُ قومٍ من العرب .

ومن مذاهبهم فى القول قولهم : إنها إذا ضُربتُ ضربةً واحدةً بالسَّيْفِ هَلَكْتُ ،
فإن ضُربتُ ثانيةً عاشتُ ، وإلى هذا المعنى أشارَ الشاعرُ بقوله :
فَقالتُ : ثَنِّ ، قلتُ : لها رُوَيْدًا مكانك ، إننى ثَبْتُ الجنانِ

وكانت العربُ تسمَّى أصواتَ الجنِّ العزيف وتقول : إن الرجلَ إذا قَتَلَ قُنْفُذاً أو
وَرَلًا لم يأمنَ الجنُّ على فحلِّ إبله ، وإذا أصابَ إبله خَطْبٌ أو بلاءٌ سَمَلَه على ذلك ،
ويزعمون أنهم يسمعون الهاتِفَ بذلك ، ويقولون مثله فى الجنانِ من الحياتِ ، وقتله
عندهم عظيم .

ورأى رجلٌ منهم جانا فى قمرٍ بئرٍ لا يستطيعُ الخروجَ منها ، فنزل وأخرَجَه
منها على خَطَرٍ عظيمٍ ، وغمضَ عينَيْه لئلا يرى أين يدخل ، كأنه يريد بذلك التقربَ
إلى الجنِّ .

(١) شروح سقط الزند ١١٦٨ . نوادر أبي زيد ١٤٦ ، وروايته : « ردما أسال وما أعاما » .

وقال أبو عثمان الجاحظ : وكانوا يُسمّون من يُجاوِر منهم الناس عامراً ، والجمع عُمار ، فإن تعرّض للصبيان فهو رُوح ، فإن خَبِثَ وتعرّم فهو شيطان ، فإن زاد على ذلك فهو مارِد ، فإن زاد على ذلك في القوّة فهو عِفْريت ، فإن طَهَّرَ ولطف وصار خيراً كلّهُ فهو مَلَكٌ ؛ ويفاضلون بينهم ، ويعتقدون مع كلّ شاعر شيطاناً ، ويسمونهم بأسماء مختلفة قال أبو عثمان : وفي النهار ساعات يُرى فيها الصغيرُ كبيراً ويوجد لأوساط الفياض والرمال والحرار مثل الدّوى ، وهو طبع ذلك الوقت ، قال ذو الرّمة :

إذا قال حادينا لترنيم نبأه لم يكن إلا دوى المسامع^(١)

وقال أبو عثمان أيضاً في الذين يذكرون عذيف الجنّ وتعوّل الفيلان : إن أثر هذا الأمر وابتداء هذا الخيال أن القوم لما نزلوا بلاد الوحش علمت فيهم الوحشة^(٢) ، ومن انفرد وطال مقامه في البلاد الخلاء استوحش ، ولا سيما مع قلة الأشغال وقدّ المذاكرين ؛ والوحدة لا تقطع أيامها إلا بالتمنى والأفكار ، وذلك أحد أسباب الوسواس^(٣) .

ومن عجائب اعتقادات العرب ومذاهبها اعتقادهم في الديك والغراب والحمامة وساق حُرّ - وهو الهديل - والحية ، فمنهم من يعتقد أن للجنّ بهذه الحيوانات تعلّقات ، ومنهم من يزعم أنها نوع من الجنّ ، ويعتقدون أن سهيلاً والزّهرة الصّبّ والذئب والضبع مسوخ ، ومن أشعارهم في مراكب الجنّ قول بعضهم في قنفذٍ رآه ليلاً :

فما يُعجِبُ الجنان منك عدمتهم وفي الأسد أفراس لهم ونجائب^(٤)
أيسرّجُ يربوعٍ ويلجَم قنفذٌ لقد أعوزتكم ما علمت النجائب^(٥) !

(١) ديوانه ٣٦٠ .

(٢) كذا في ١ والحيوان ، وفي ب : « الوحشية » .

(٣) الحيوان ٦ : ٢٤٩ .

(٤) الحيوان ٦ : ٢٤٩ .

(٥) الحيوان : « المراكب » .

فإن كانت الجنان جُنَّتْ فبالحرى ولا ذَنْبَ للآقوامِ واللهُ غالبٌ^(١)
ومن الشعر المنسوب إلى الجن :

وكل المطايا قد ركبنا فلم نجد الذَّوْأشهى من رُكوب الأرابِ
ومن عَصَرَ فوطٍ عن لي قرِيبته أبادِرُ سِرِّباً من عطاء قوارِبِ^(٢)

وقال أعرابي يكذب بذلك :

أيسمِع الأسرار راكبٌ قنْفُذٍ لقد ضاع سِرُّ الله يا أمَّ معبدٍ !

ومن أشعارهم وأحاديثهم في رواية الجن وخِطابهم وهتافهم ما رواه أبو عثمان
الجاحظ السمر بن الحارث الضبي :

ونارٍ قد حَضَّتْ بُعَيْدَ وَهْنٍ بدار لا أريدُ بها مُقاماً^(٣)
سَوَى تحليل راحلةٍ وَعَيْنِ^(٤) أكلها مخافة أن تناماً
أتوا نارِي فقلتُ : مَنْون أنتم ؟ فقالوا : الجن قلتُ : عِوَاظِلاماً

ويزعمون أن عُمر بن ضبيعة رأى غلماناً ثلاثة يلعبون نهاراً ، فوثب غلامٌ منهم
فقام على عاتقٍ صاحبه ، ووثب الآخر ، فقام على عاتق الأعلى منهما ، فلما رأهم كذلك
تحل عليهم فصدمهم فوقعوا على ظهورهم وهم يضحكون ، فقال عمير بن ضبيعة : فما
مررت يومئذ بشجرة إلا وسمعت من تحتها ضحكاً ؛ فلما رجع إلى منزله مريض
أربعة أشهر .

(١) الحيوان : « ولا ذنب للآقدار » .

(٢) العَصْر فوط : دويبه بيضاء ناعمة ؛ وهي ضرب من العطاء .

(٣) الحيوان ٤ : ٤٨١ ، ٦ : ١٩٦ ، ونوادِر أبي زيد ؛ وفيه : « شمير بن الحارث الضبي » وانظر
المخزاة ٣ : ٣ ، والمخص ١ : ٩٤ ، والميداني ١ : ٣٢ . حضأت : أشعلت .

(٤) قوله : « سوى تحليل راحلة » ، أراد سوى راحلة أقت بها فيها بعد نحلة اليمين .

وحكى الأصمعي عن بعضهم أنه خرج هو وصاحب له يسيران ، فإذا غلام على الطريق ، فقالا له : من أنت ؟ قال : أنا مسكين قد قُطِعَ بي فقال أحدهما لصاحبه : أَرَدِفْهُ خَلْفَكَ ، فَأَرَدَفَهُ ، فالتفت الآخر إليه فرأى فمه يتأجج نارا ، فشدّ عليه بالسيف فذهبت النار فرجع عنه ، ثم التفت فرأى فمه يتأجج نارا فشدّ عليه فذهبت النار ، ففعل ذلك مرارا ، فقال ذلك الغلام : قَاتِلْكَمَا اللَّهُ ! مَا أَجَلَدَ كَمَا ! وَاللَّهِ مَا فَعَلْتُهَا بِأَدْمَى إِلَّا وَانْتَحَمَ فَوَادُهُ ، ثُمَّ غَابَ عَنْهُمَا فَلَمْ يَعْلَمَا خَبْرَهُ .

وقال أبو البلاد الطهمي - ويروى لتأبط شراً :

لَهَّانَ عَلَى جُهَيْنَةَ مَا أَلَا فِي من الرّوعات يومَ رَحَا بَطَانِ^(١)
لَقِيتُ الْغَوْلَ تَسْرِي فِي ظَلَامٍ بسَهْبٍ كَالْعَبَاءَةِ صَحَصَحَانِ^(٢)
فَقُلْتُ لَهَا : كَلَانَا نَقْضُ أَرْضٍ أخو سَفَرٍ نَحْلِي لِي مَكَانِ^(٣)
فَشَدَّتْ شَدَّةً نَحْوِي فَأَهْوَى لَهَا كَفِي بِمَقُولِ يَمَانِي
فَقَالَتْ : زِدْ فَقُلْتُ : رُوَيْدًا إِنِّي على أمثالها ثَبْتُ الْجَنَانِ

والذين يَرَوُونَ هذا الشعر لتأبط شراً يَرَوُونَ أوله :

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ فَتَيَاتِ جَهَمٍ بما لاقيتُ عندَ رَحَا بَطَانِ
بَأَنِّي قَدْ لَقِيتُ الْغَوْلَ تَلَوِي بَمَرَّتِ كَالصَّحِيفَةِ صَحَصَحَانِ
فَصَدَّتْ فَانْتَحَيْتُ لَهَا بَعْضُ حُسامٍ غيرِ مُؤْتَشَبِ يَمَانِي
فَقَدَّتْ سَرَاتِهَا وَالْبَرْكَ مِنْهَا نَفَرْتُ لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجِرَانِ^(٤)
فَقَالَتْ : ثَنِّ قُلْتُ لَهَا : رُوَيْدًا مَكَانَكَ إِنِّي ثَبْتُ الْجَنَانِ

(١) الحيوان ٦ : ٢٣٤ ، وانظر الأغاني ١٨ : ٢١٢، ٢١ ، ومعجم البلدان ٨ : ٢٣١ . ورحا بطنان : موضع في بلاد هذيل .
(٢) الصحصحنان : ما استوى من الأرض .
(٣) النقض : المهزول قد نقضه السفر .
(٤) السراة ، بالفتح ، الظهر ، والبرك : الصدر .

ولم أنفك مضطجعا لديهما لأنظر مصبها ماذا دهاني
إذا عنيان في رأسٍ دقيق كـرأس الهرِّ مشقوق اللسان
وساقا مخدج ولسان كلبٍ وثوب من عباء أو شنان
وقال البهراني :

وتزوجت في الشبية غولا بفزالٍ وصدقتي زق^(١) نحر
وقال الجاحظ : أصدقها الخمر لطيب ريحها ، والفزال لأنه من مراكب الجن .
وقال أبو عبيد بن أيوب العنبري أحد لصوص العرب :
تقول - وقد ألمست بالإنس كمة^(٢) مخضبة الأطراف خرس الخلاخل^(٣)
أهذا خدين الغول والذئب والذي يهيم بربات الحجال الهراكل^(٤)
رأت خلق الدرسين أسود شاجبا من القوم بساما كريم الشمايل^(٥)
تعود من آبائه فتكاثمهم^(٦) وإطعامهم في كل غبراء شاميل^(٧)
إذا صاد صيدا لفته بضرامه^(٨) وشيكا ولم ينظر لقل المراجيل^(٩)
ونهما كنهن الصقر ثم مراسه^(١٠) بكفيه رأس الشيخة الممايل^(١١)
ومن هذه الأبيات :

إذا ما أراد الله ذل قبيلة رماها بتشتيت الهوى والتخاذل
وأول عجز القوم عما ينوبهم تقاعدتهم عنه وطول التواكل
وأول خبث الماء خبث ترابه وأول لؤم القوم لؤم الخلائل

(١) الحيوان ٦ : ٢٢٥ .
(٢) الحيوان ٦ : ١٦٧ . وخرس الخلاخل : كناية عن امتلاء الساق .
(٣) الهراكل : جمع هركلة ؛ وهي الحسنة الجسم التامة الخلق .
(٤) الدرس : البالي من الثياب . وفي الحيوان : « خلق الأدراس » .
(٥) الغبراء : السنة الجديدة .
(٦) الحيوان : « لنصب المراجيل » .
(٧) المراس : المسح والدلك ، والشيخة : نبتة .

وهذا الشعر من جيد شعر العرب ، وإنما كان غرضنا منه متعلّقاً بأوله ، وذكرنا
مآثره لما فيه من الأدب .

وقال عبيد بن أيوب أيضاً في المعنى الذي نحن بصدده :

وصار خليل الغول بعد عداوة صفيّاً وربته الفقار البساس^(١)
وقال أيضاً :

فله دَرُّ الغول أئى رفيقة لصاحب قفرى الماهية يذعر^(٢)
أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت حوالى نيراناً تلوح وتزهر
وقال أيضاً :

وغولاً قفري : ذكرته وأنتى كأنّ عليهما قطع الجاد^(٣)
وقال أيضاً :

فقد لاقى الغزلان منى بليّة وقد لاقى الغيلان منى الدواهيّة^(٤)
وقال البهرانيّ فى قتل الغول :

ضربت صربة فصارته هباء فى تحاقى القمراء آخر شهر^(٥)
وقال أيضاً ، يزعم أنه لما ثنى عليها الضرب عاشت :

فثنيت والمقدار يحرس أهله فليت يمينى يوم ذلك شلت !
وقال تأبط شراً يصف الغول ويذكر أنه راودها عن نفسها فأمتنعت عليه فقتلها :
فأصبحت والغول لى جارة فيا جارة أنتى مأغولا

(٢) الحيوان ٦ : ١٦٥ .

(٤) الحيوان ٦ : ١٦٦ .

(١) الحيوان ٦ : ٢٣٥ .

(٣) الحيوان ٦ : ١٥٩ .

(٥) الحيوان ٦ : ٢٣٣ .

وطالبتهَا بُضْعَهَا فَالتَوَتْ فكان من الرأي أن تُقتَلَ
فجَلَّتْهَا مُرْهَفًا صَارِمًا أبان الرافق والمفصلاً
فطارَ بقحفِ ابنة الجنِّ ذا شقاشق قد أخلقَ المحملاً
فمن يكُ يسأل عن جارتي فإن لها باللوى منزلاً
عظاءةً أرضي لها حُلَّتَا ن من ورق الطلح لم تُنزلاً
وكنتُ إذا ما هممتُ أبتهلتُ وأخرى إذا قلتُ أن أفعلاً

ومن أعاجيبهم أنهم كانوا إذا طالت علة الواحد منهم وظنوا أن به مساً من الجن، لأنه قتل حية أو يربوعاً أو قنفذاً، عملوا جلالاً من طين، وجعلوا عليها جوالق، وملئوها حنطةً وشعيراً وتمراً، وجعلوا تلك الجمل في باب جحر إلى جهة المغرب وقت غروب الشمس، وباتوا ليلتهم تلك، فإذا أصبحوا نظروا إلى تلك الجمل الطين، فإن رأوا أنها بحالها قالوا: لم تقبل الدية، فزادوا فيها، وإن رأوها قد تساقطت وتبددت ما عليها من الميرة قالوا: قد قبلت الدية، وأستدلوا على شفاء المريض وضربوا بالدُّفِّ، قال بعضهم:

قالوا وقد طال عنائي والسقم أحمل إلى الجنِّ جمالاتٍ وضتم
فقد فعلتُ^(١) والسقام لم يرم فبالذي يملك بُرئي أعصم
وقال آخر:

فياليت أن الجنَّ جازوا جمالتي وزحزح عني ما عنائي من السقم
ويا ليتهم قالوا أنطينا كلَّ ماحوت يمينك في حربٍ عاصٍ وفي سلم
أعلل قلبي بالذي يزعمونه فياليتني عوفيتُ في ذلك الزعم

(١) في د: « نكلت » .

وقال آخر :

أرى أن جنان النورية أصبحوا وهم بين غضبان على وآسف
حملت ولم أقبل إليهم حالة تسكن عن قلب من الشقم تالف
ولو أنصفوا لم يطلبوا غير حقهم ومن لى من أمثالهم بالتناصف !
تفظوا بثوب الأرض عني ولو بدوا لأصبت منهم آمناً غير خائف

وكانوا إذا غم عليهم أمر الغائب لم يعرفوا له خبراً جاءوا إلى بئر عادية^(١) أو حفرة
قديم ونادوا فيه : يا فلان ، أو يا أبا فلان ، ثلاث مرات ، ويؤمنون أنه إن كان ميتاً لم
يسمعوا صوته ، وإن كان حياً سمعوا صوتاً ربما توهموه وهما ، أو سمعوه من الصدى ، فبنوا
عليه عقيدتهم ، قال بعضهم :

دعوت أبا المغوار في الجفر دعوة فما أض صوتي بالذي كنت داعياً
أظن أبا المغوار في قعر مظلم تجرّ عليه الذاريات السوافياً

وقال :

وكم ناديتُهُ والليل ساجٍ بعادي البشار فما أجاباً

وقال آخر :

غاب فلم أرج له إياباً والجفر لا يرجع لي جواباً
وما قرأت منذ نأى كتاباً حتى متى أستشيد الرّكبا

* عنه وكلّ يمنع الخطاباً *

(١) عادية : قديعة .

وقال آخر :

ألم تَلِىْ أُنِّ دَعَوْتُ مُجَاشِعًا من الجَفَرِ وَالظَّالِمَاءِ بَادٍ كُسُورُهَا
مُجَاوِبَنِى حَتَّى ظَنَنْتُ بِأَنَّهُ سَيَطْلُعُ مِنْ جَوْفَاءِ صَعْبٍ خَدُورُهَا
لَقَدْ سَكَنْتُ نَفْسِي وَأَيَقَنْتُ أَنَّهُ سَيُقَدِّمُ وَالِدَنِيَا عَجَابُ أُمُورُهَا
وقال آخر :

دَعَوْنَاهُ مِنْ عَادِيَّةٍ نَضَبَ مَاؤُهَا وَهَدَّمْ جَائِلُهَا أُخْتِلَافُ عُصُورِ
فَرَدَّ جَوَابًا مَا شَكَّكَتُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ إِلَيْنَا بِالْإِيَابِ يَصِيرُ
أَقْوَى فِي الْبَيْتِ الثَّانِي ، وَسَكَنَ « نَضَبَ » ضَرُورَةً كَمَا قَالَ :
* لَوْ عُصِرَ مِنْهُ الْبَانُ وَالْمِسْكُ انْمَصَرَ *

وَمِنْ أَعَاجِبِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الْحَرْبِ رَبَّمَا أَخْرَجُوا النِّسَاءَ فَيَبْلُغْنَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ ؛
يَرَوْنَ أَنَّ ذَلِكَ يُطْفِئُ نَارَ الْحَرْبِ وَيَقُودُهُمْ إِلَى السَّلَامِ .
قال بعضهم :

لَقَوْنَا بِأُهْوَالِ النِّسَاءِ جَهَالَةً وَنَحْنُ نُلَاقِيهِمْ بِبَيْضٍ قَوَاضِبِ
وقال آخر :
بَالَتْ نِسَاءُ بَنِي خُرَاشَةَ خِيفَةً مِنَّا وَأُدْبِرَتْ الرِّجَالُ شِلَالًا
وقال آخر :

بَالَتْ نِسَاؤُهُمْ وَالْبَيْضُ قَدْ أَخَذَتْ مِنْهُمْ مَا خِذَ يُسْتَشْفَى بِهَا الْكَلْبُ
وهذان البيتان يُمكنُ أَنْ يَرَادَ بِهِمَا أَنَّ النِّسَاءَ يَبْلُغْنَ خِيفَةً وَذُعْرًا ، لَا عَلَى الْمَعْنَى
الَّذِي نَحْنُ فِي ذِكْرِهِ ، فَإِذَنْ لَا يَكُونُ فِيهِمَا دَلَالَةٌ عَلَى الْمُرَادِ .

وقال الآخر :

هيات ردّ الخيل بالأبوال إذا غدت في صور السعالِ

وقال آخر :

جعلوا السيوف المشرّفة منهم بول النساء وقلّ ذلك غناء

فأما ذكرهم عزيف الجن في المفاوز والسباسب فكثير مشهور ، كقول بعضهم :

وخرق تحدّث غيطانه حديث العذارى بأسرارها

وقال آخر :

ودويّة سبّسب سملقي من اليد تعزف جنباتها^(١)

وقال الأعشى :

وبهماء تعزف جنباتها مناهلها آجنات سدّم^(٢)

وقال :

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة للجنّ بالليل في حافات زجل^(٣)

وقال آخر :

* بيضاء في أرجائها الجن تعزف *

وقال الشرق بن القطامي : كان رجل من كلب - يقال له عبيد بن الحمارس - شجاعا ،

وكان نازلا بالهامة أيام الربيع ، فلما حسر الربيع ، وقلّ ماؤه ، وأقلعت أنواؤه ، تحمّل إلى

وادي تبّل ، فرأى روضة وغديراً ، فقال : روضة وغدير ، وخطب يسير ؛ وأنا لما

(٢) ديوانه ٢٩ .

(١) السملق : القاع الصفص .

(٣) ديوانه ٤٤ .

حَوَيْتُ بِحَيْرٍ ، فَبَزَلَ هُنَاكَ ، وَلَهُ اسْرَأْتَانُ : اسْمُ إِحْدَاهَا الرَّبَابُ ، وَالْأُخْرَى خَوْلَةٌ ،
فَقَالَتْ لَهُ خَوْلَةٌ :

أَرَى بِلَدَةً قَفْرًا قَلِيلًا أَنْيْسَهَا وَإِنَّا لَنَخْشَى إِنْ دَجَا اللَّيْلُ أَهْلَهَا
وَقَالَتْ لَهُ الرَّبَابُ :

أَرْنَتْكَ بِرَأْيِي فَاسْتَمِعْ عَنْكَ قَوْلَهَا وَلَا تَأْمَنْ جَنَّ الْعَزِيفِ وَجَهْلَهَا
فَقَالَ بِحَيَّا لَهَا :

أَلَسْتُ كَيْفًا فِي الْحُرُوبِ مُجَرَّبًا شُجَاعًا إِذَا شَبَّتْ لَهُ الْحَرْبُ مُخَرَّبًا
سَرِيعًا إِلَى الْهَيْجَا إِذَا حَسَّ الْوَعَى فَأَقْسَمَ لَا أَعْدُو الْقَدِيرَ مِنْكَ
ثُمَّ صَعِدَ إِلَى جَبَلٍ تُبَلُّ فَرَأَى شَيْئَةً - وَهِيَ الْأُنْثَى مِنَ الْقَنَافِذِ - فَرَمَاهَا فَأَقْعَصَهَا (١)
وَمَعَهَا وَلَدُهَا ، فَارْتَبَطَ ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ هَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ مِنَ الْجَنِّ :

يَا بَنُ الْحُمَارِ قَدْ أَسَأْتَ جَوَارِنَا وَرَكِبْتَ صَاحِبِنَا بِأَمْرِ مُفْطِعِ
وَعَقَرْتَ لَفَحَتَهُ وَقُدَّتْ فَصِيلُهَا قَوْدًا عَنِيفًا فِي الْمَنِيْعِ الْأَرْفَعِ
وَنَزَلْتَ مَرْغَى شَائِنًا وَظَلَمْتَنَا وَالظَّلْمُ فَاعِلُهُ وَخِيْمُ الْمَرْتَعِ
فَلَنَنْظُرُ قَتْلَكَ بِالَّذِي أَوْلَيْتَنَا شَرًّا يَجِيئُكَ مَالَهُ مِنْ مَذْفَعِ
فَأَجَابَهُ ابْنُ الْحُمَارِ :

يَا مَدْعَى ظُلْمِي وَلَسْتُ بِظَالِمٍ اِسْمِعْ لَدَيْكَ مَقَالَتِي وَتَسْمَعْ
إِنْ كُنْتُمْ جِنًّا ظَلَمْتُمْ فَنَفُذًا عَقَرْتُ فَشَرَّ عَقِيرَةٍ فِي مَصْرَعِ
لَا تَطْمَعُوا فِيمَا لَدَى فَالْكُمُ فِيمَا حَوَيْتُ وَحُزْنُهُ مِنْ مَطْمَعِ
فَأَجَابَهُ الْجِنِّي :

يَا ضَارِبَ اللَّفْحَةِ بِالْعَضْبِ الْأَقْلُ قَدْ جَاءَكَ الْمَوْتُ وَأَوْفَاكَ الْأَجَلَ

(١) أَقْعَصَهَا : قَتَلَهَا فِي مَكَانِهَا .

وسأفك الحين إلى جنّ تبّل فاليوم أقرّيت وأعيتك الحيل^(١)
فأجابه ابن الحمارس :

يا صاحب اللقحة هل أنت بجّل مستمع منى فقد قلت الخطل
وكثرة المنطق في الحرب فشل هيّجت قمقاما من القوم بطل^(٢)
ليث ليوث وإذا همّ فعل لا يرهّب الجنّ ولا الإنس أجل
* من كان بالعقوة من جنّ تبّل^(٣) *

قال : فسَمِعَها شيخ من الجنّ ، فقال : لا والله لا نرى قتل إنسانٍ مثل هذا ثابت
القلب ما ضى العزيمة ، فقام ذلك الشيخ وحمد الله تعالى ثمّ أنشد :

يا ابن الحمارس قد نزلت بلادنا فأصبت منها مشربا ومنا
فبدأتنا ظلما بعقر لقوحنا وأسأت لما أن نطقت كلاما
فاعمد لأمر الرشد واجتنب الردى إنا نرى لك حرمة وذيما
واغرم لصاحبنا لقوحا متبعا فلقد أصبت بما فعلت أنا
فأجابه ابن الحمارس :

الله يعلم حيث يرفع عرشه أنى لأكره أن أصيب أنا
أما ادعائك ما ادعيت فإننى جئت البلاد ولا أريد مقاما
فأسمت فيها مالنا ونزلتها لأريح فيها ظهرنا أياما
فليفسد صاحبكم علينا نعظه ما قد سألت ولا نراه غراما
ثم غرم للجنّ لقوحا متبعا للنفذ وولدها .

وهذه الحكاية وإن كانت كذبا إلا أنها تتضمن أدبا ، وهى من طرائف

(٢) القمقام : السيد .

(١) الحين : الهلاك .

(٣) العقوة : المحلة .

أحاديث العرب فذكرناها لأدبها وإمتاعها ؛ ويقال : إنَّ الشرقيَّ بن القطاميَّ كان يصنع أشعاراً وينحها غيره .

فأما مذهب العرب في أنَّ لكلِّ شاعر شيطانا يلقي إليه الشعر فمذهب مشهور ، والشعراء كافة عليه ، قال بعضهم :

إني وإن كنتُ صغيرَ السنِّ وكان في العين نبوءة عني
فإنَّ شيطانيَّ أميرُ الجنِّ يذهب بي في الشعر كلَّ فنِّ
وقال حسان بن ثابت :

إذا ماترعرع فينا الغلام فما إنَّ يقال له : مَنْ هُوَ ؟
إذا لم يسدَّ قبل شدِّ الإزارِ فذلك فينا الذي لا هُوَ
ولى صاحبٌ من بني الشيصبانِ فطورا أقولُ وطورا هُوَ
وكانوا يزعمون أنَّ اسمَ شيطان الأعشى مسحل ، واسم شيطان الخبيل عمرو ، وقال الأعشى :

دعوتُ خلييَ مسحلا ودعواله جهنَّام جدعا للهجين المذمم^(١)
وقال آخر :

لقد كان جنِّي الفرزدق قُدوةً وما كان فينا مثل فحل الخبيل
ولا في القوافي مثل عمرو وشيخه ولا بعد عمرو شاعرٌ مثل مسحل
وقال الفرزدق يصف قصيدته :

كأنَّها الذهب المعيانُ حبرها لسانُ أشعرِ خلقِ الله شيطاناً

(١) وجهنَّام تابعة الأعشى .

وقال أبو النّجّمْ :

إني وكلّ شاعرٍ من البَشَرِ شيطانه أنثى وشيطاني ذَكَرٌ
وأُشدّ الخالِعُ فيما نحن فيه لبعض الرُّجَّازِ :
إن الشياطينَ أَتَوْنِي أَرْبَعَةً في غَلَسِ اللَّيْلِ وفيهم زَوْبَعَةٌ
وهذا لا يدلّ على ما نحن بصده من أمر الشعر وإلقائه إلى الإنسان ؛ فلا وَجْهَ
لإدخاله في هذا الموضع .

وَمِنْ مَذاهِبِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قَتَلُوا الثُّعْبَانَ خَافُوا مِنَ الْجَنِّ أَنْ يَأْخُذُوا بِثَأْرِهِ ،
فَيَأْخُذُونَ رَوْثَةً وَيَفْتَتُونَهَا عَلَى رَأْسِهِ ، وَيَقُولُونَ : رَوْثَةُ رَاثٍ ثَأْرُكَ .

وقال بعضهم :

طَرَحْنَا عَلَيْهِ الرَّوْثَ وَالزَّجْرُ صَادِقٌ فَرَاثَ عَلَيْنَا ثَأْرُهُ وَالطَّوَائِلُ
وَقَدْ يُدْرِكُ عَلَى الْحَيَّةِ الْمَقْتُولَةِ يَسِيرُ رَمَادٌ ، وَيَقَالُ لَهَا : قَتَلْتَ الْعَيْنَ فَلَا تَأْرَ لَكَ ؛ وَفِي
أَسْطَهِمْ لِمَنْ ذَهَبَ دَمُهُ هَدْرًا : وَهُوَ قَتِيلُ الْعَيْنِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :
وَلَا أَكُنْ كَقَتِيلِ الْعَيْنِ وَسَطَكُمُ وَلَا ذَبِيحَةَ تَشْرِيقٍ وَتَنْجَارٍ

فَأَمَّا مَذْهَبُهُمْ فِي الْخَرَزَاتِ وَالْأَحْجَارِ وَالرُّقَى وَالْعَزَائِمِ فَمَشْهُورٌ ، فَهِيَ السُّلْوَانَةُ
- وَيَقَالُ السُّلْوَةُ - وَهِيَ خَرَزَةٌ يُسْقَى الْعَاشِقُ مِنْهَا فَيَسْلُبُ فِي زَعْمِهِمْ ، وَهِيَ بَيضاءُ شَقَافَةٌ ،

قال الراجز :

لَوْ أَشْرَبْتُ السُّلْوَانَ مَا سَلَيْتُ مَا بِي غِنَى عَنْكُمْ وَإِنْ غَنَيْتُ
السُّلْوَانَ : جَمْعُ سُلْوَانَةٍ .

وقال اللحياني : السَّوَانَةُ تُرَابٌ مِنْ قَبْرِ يُسْقَى مِنْهُ الْعَاشِقُ فَيَسْلُو ، وقال عُرْوَةُ

ابن حزام :

جَعَلْتُ لِعَرَافِ الْيَمَامَةِ حُكْمَهُ وَعَرَافِ نَجْدٍ إِنَّهُمَا شَفِيَانِي
فَقَالَا نَعَمْ : نَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كُلِّهِ وَقَامَا مَعَ الْعَوَادِ يَبْتَدِرَانِ
فَمَا تَرَكََا مِنْ رُقِيَّةٍ يَعْرِفَانَهَا وَلَا سَلْوَةٍ إِلَّا وَقَدْ سَقِيَانِي
وقال آخر :

سَقَوْنِي سَلْوَةً فَسَلَوْتُ عَنْهَا سَقَى اللَّهُ الْمَنِيَّةَ مَنْ سَقَانِي
أَي سَلَوْتُ عَنِ السَّلْوَةِ وَاشْتَدَّ بِي الْعِشْقُ وَدَامَ . وقال الشَّعْرَدِلُ :
وَلَقَدْ سَقَيْتُ بِسَلْوَةٍ فَكَأَنَّمَا قَالَ الْمُدَاوِي لِلْخِيَالِ بِهَا أُرْدَدِ

وَمِنْ خُرَزَاتِهِمُ الْهِنْمَةُ تُجْتَلَبُ بِهَا الرِّجَالُ وَتُعْطَفُ بِهَا قُلُوبُهُمْ ، وَرُقِيَّتُهَا : أَخَذَتْهُ
بِالْهِنْمَةِ ؛ بِاللَّيْلِ زَوْجًا وَبِالنَّهَارِ أُمَّهُ .

وَمِنْهَا الْفَطَسَةُ وَالْقَبْلَةُ وَالذَّرْدَيْسُ ؛ كَلَّمَهَا لِاجْتِلَابِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

جَمَعَنْ مِنْ قَبْلِ لَهْنٍ وَفَطَسَةٍ وَالذَّرْدَيْسُ تَمَامًا فِي مَنْظَمٍ
فَأَنْقَادَ كُلِّ مُشَدِّبٍ مَرِسِ الْقُوَى لِحِبَاهُنَّ وَكُلِّ جَلْدٍ شَيْظَمٍ^(١)

وَقِيلَ : الذَّرْدَيْسُ خُرْزَةٌ سُودَاءُ يَتَحَبَّبُ بِهَا النِّسَاءُ إِلَى بُعُولَتِهِنَّ ، تَوْجَدُ فِي
الْقُبُورِ الْعَادِيَّةِ ، وَرُقِيَّتُهَا : أَخَذَتْهُ بِالذَّرْدَيْسِ ، تُدِيرُ الْعَرَقَ الْيَبِيسَ ، وَتَذَرُ الْجَدِيدَ
كَالدَّرِيسِ ، وَأَنْشَدَ :

قَطَعْتُ الْقَيْدَ وَالْخُرَزَاتِ عَنِّي فَمَنْ لِي مِنْ عِلَاجِ الذَّرْدَيْسِ !

(١) الشَيْظَمُ : الطَوِيلُ الْجَسْمَ .

وأصل الدَّرْدِيسِ الداهية ، ونُقِلَ إلى هذه لقوة تأثيرها .

ومِنْ خَرَزَاتِهِمُ الْقِرْزَحْلَةُ ، أنشد ابن الأعرابي :
 لَا تَنْفَعُ الْقِرْزَحْلَةُ الْعِجَازَا إِذَا قَطَعْنَ دُونَهَا الْمَفَاوِزَا
 وهى من خَرَزِ الضَّرَائِرِ ، إِذَا لَبَسَتْهَا الْمَرْأَةُ مَالٌ إِلَيْهَا بَعْلُهَا دُونَ ضَرَّتِهَا .
 ومنها خَرَزَةُ الْعُقْرَةِ تُشَدُّهَا الْمَرْأَةُ عَلَى حَقْوِيهَا فُتَمْنَعُ الْحَبِيلُ ، ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ
 السَّكَيْتِ فِي إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ .
 ومنها الْيَنْجَلِبُ ، وَرُقِيَّتُهَا : أَخَذَتْهُ بِالْيَنْجَابِ ، فَلَا يَرْمُ وَلَا يَغِيبُ ، وَلَا يَزَلُ
 عِنْدَ الطُّنْبِ .
 ومنها كَرَارٍ ، مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْكَسْرِ ، وَرُقِيَّتُهَا : يَا كَرَارِ كَرِّيهِ ، إِنْ أَقْبَلَ فَسُرِّيهِ ،
 وَإِنْ أَدْبَرَ فَضُرِّيهِ ، مِنْ فَرَجِهِ إِلَى فِيهِ .
 ومنها الْهَمْرَةُ وَرُقِيَّتُهَا : يَاهَمْرَةُ أَهْمَرِيهِ ، مِنْ أَسْتِهِ إِلَى فِيهِ ، وَمَالِهِ وَبَنِيهِ .
 ومنها الْخَصْمَةُ ، خَرْزَةٌ لِلدَّخُولِ عَلَى السُّلْطَانِ وَالْخَصُومَةِ ، تُجْعَلُ تَحْتَ قَصِّ الْخَاتَمِ
 أَوْ فِي زُرِّ الْقَمِيصِ أَوْ فِي حَاثِلِ السَّيْفِ ، قَالَ بَعْضُهُمْ :
 يُعَلَّقُ غَيْرِي خَصْمَةً فِي لِقَائِهِمْ وَمَالِي عَلَيْكُمْ خَصْمَةً غَيْرُ مَنْطِقِي
 ومنها الْوَجِيهَةُ ، وَهِيَ كَالْخَصْمَةِ حَرَاهُ كَالْعَقِيقِ .
 ومنها الْمَغْطَفَةُ ، خَرْزَةُ الْعَطْفِ ، وَالْكَخْلَةُ ، خَرْزَةُ سُودَاهُ تُجْعَلُ عَلَى الصَّبَّانِ لِدَفْعِ
 الْعَيْنِ عَنْهُمْ ، وَالْقَبْلَةُ خَرْزَةٌ بِيضَاهُ تُجْعَلُ فِي عُنُقِ الْفَرَسِ مِنَ الْعَيْنِ ، وَالْفُطْسَةُ خَرْزَةٌ
 يَمْرَضُ بِهَا الْعَدُوُّ وَيُقْتَلُ ، وَرُقِيَّتُهَا : أَخَذَتْهُ بِالْفُطْسَةِ ، بِالثُّوبَاءِ وَالْعُطْسَةِ ، فَلَا يَزَالُ فِي
 نَعْسَةٍ ، مِنْ أَمْرِهِ وَنَكْسَةٍ ، حَتَّى يَزُورَ رَمْسَهُ .

ومن رُقامه للحُبِّ : هَوَايَ هَوَايَ ، البرقُ والسَّحَابُ ، أخذتهُ بمرْكنٍ ، فحبّه تَمَكَّن .
أخذته يابره ، فلا يَزَلُ في عَبره . خَلِيَّتُهُ بِإِشْفَى ^(١) ، فقلْبُهُ لَا يَهْدَا . خَلِيَّتُهُ بِمَبْرَدٍ ، فقلْبُهُ لَا يَبْرُدُ .
وترقِي الفَارِكُ زَوْجَهَا إِذَا سَافَرَ عَنْهَا فَتَقُولُ : بِأُفُولِ الْقَمَرِ ، بِمَوْظِلِّ الشَّجَرِ ، شِمَالُ تَشْمَلُهُ ،
وَدَبُورُ تَدْبِرُهُ ، وَنَكَبَاءُ تَنْكُبُهُ ، شَيْكَ فَلَاحُ انتَعَشَ ؛ ثُمَّ تَرْمِي فِي أَثَرِهِ بِحَصَاةٍ وَنَوَاةٍ
وَرُوْتَةٍ وَبَعْرَةٍ ، بِمَوْتَقُولٍ : حَصَاةٌ حَصَّتْ أَثَرَهُ ، نَوَاةٌ أَنْأَتْ دَارَهُ ، رُوْتَةٌ رَاثَ خَبْرَهُ
لَقَعْتَهُ بِبَعْرَةٍ .

وقالت فَارِكٌ فِي زَوْجِهَا :

أَتَبَعْتُهُ إِذْ رَحَلَ الْعَيْسَ ضُحًى بَعْدَ النَّوَاةِ رُوْتَةٌ حَيْثُ أَنْتَوَى
* الرُّوْتُ لِلرَّثَى ، وَلِلنَّأَى النَّوَى *

وقال آخَرُ :

رِمَتْ خَلْفَهُ لَمَّا رَأَتْ وَشَكَ بَيْنَهُ نَوَاةٌ تَلْتَهَا رُوْتَةٌ وَحَصَاةٌ
وَقَالَتْ : نَأَتْ مِنْكَ الدِّيَارُ فَلَا دَنْتَ وَرَأَيْتُ بِكَ الْأَخْبَارُ وَالرَّجَعَاتُ
وَحَصَّتْ لَكَ الْأَثَارَ بَعْدَ ظُهُورِهَا وَلَا فَارَقَ التَّرْحَالَ مِنْكَ شَتَاتُ

وقال آخَرُ يُخَاطِبُ أَمْرَأَتَهُ :

لَا تَقْذِفِي خَلْفِي إِذَا الرِّكْبُ اغْتَدَى رُوْتَةٌ عَائِرٌ وَحَصَاةٌ وَنَوَى
لَنْ يَدْفَعَ الْمَقْدَارُ أَسْبَابَ الرُّقَى وَلَا التَّهَاقُلُ عَلَى جِنِّ الْفَلَا

هذا الرِّجْزُ أَوْرَدَهُ الْخَالِعُ فِي هَذَا الْمَعْرُضِ ، وَهُوَ بَأَن يَدُلَّ عَلَى عَكْسِ هَذَا الْمَعْنَى أَوَّلِي ،
لِأَنَّ قَوْلَهُ : « لَنْ يَدْفَعَ الْمَقْدَارُ بِالرُّقَى ، وَلَا بِالتَّهَاقُلِ عَلَى الْجِنِّ » كَلَامٌ يُشْعِرُ بِأَن قَدْ ذَفَّ
الْحَصَاةَ وَالنَّوَاةَ خَلْفَهُ كَالْعُوْذَةِ لَهُ ، لَا كَمَا تَفْعَلُهُ الْفَارِكُ الَّتِي تَتَمَنَّى الْفِرَاقَ .

(١) الْإِشْفَى : الْإِسْكَافُ .

فأما مذهبهم في القيافة والزجر والكهانة واختلافهم في السائح والبارح ، وتشاتمهم باللفظة والكلمة وتأويلهم لها وتيمّمهم بكلمة أخرى ، وما كانوا يفعلونه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى فكلّه مشهورٌ معروف لا حاجة لنا إلى ذكره هاهنا .

فأما لفظ أمير المؤمنين عليه السلام في قوله : « نشره » ، فإنّ النشرة في اللغة كالعودّة والرئية ، قالوا : نشرت فلانا تنشيرا ، أى رقيته وعودته . وقال الكلابى : إذا نشر المسفوع فكأنما أنشط من عقال ، أى يذهب عنه ما به سريعا .
وفي الحديث أنّه قال : « فلعلّ طبأ أصابه » يعنى سحرا ، ثم عوّده : « قلّ أعودُ برَبّ الناس » ، أى رقيه ، وكذلك إذا كُتب له النشرة .
وقد عدّ أمير المؤمنين عليه السلام أمورا أربعة ذكر منها النشرة ، ولم يكن عليه السلام ليقول ذلك إلّا عن توقيف من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تم الجزء التاسع عشر من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد
ويليه الجزء العشرون

فهرسالموضوعات

صفحة	
٣٧٤ - ٧	تابع ماورد من حكمه عليه السلام ومختار أجوبة مسائله وكلامه
٤٧ - ٤٥	فصل فى الحياء وما قيل فيه
٦٢ - ٦٠	مثل من شجاعة على عليه السلام
٦٤ - ٦٢	قصة غزوة الخندق
٩٤ - ٩١	ماجرى بين يحيى بن عبد الله وعبد الله بن مصعب عند الرشيد
١٠٠ ، ٩٩	من كلامه عليه السلام لكميل بن زياد النخعى وشرح ذلك
١٢٤ - ١١٦	نبذ من غريب كلام الإمام على وشرحه لأبى عبيد
١٣٠ - ١٢٤	نبذ من غريب كلام الإمام على وشرحه لابن قتيبة
١٤٣ - ١٤٠	خطبة منسوبة للإمام على خالية من حرف الألف
١٥١ - ١٤٩	نبذ مما قيل فى السلطان
١٨٤ ، ١٨٣	من كلامه عليه السلام فى وصف صديق وشرح ذلك
١٩٠ - ١٨٤	نبذ من الأقوال الحكيمة فى حمد القناعة وقلة الأكل
٢٣١ - ٢٢٧	نبذا من الأقوال الحكيمة فى الفقر والغنى
٢٤٩ ، ٢٤٨	نبذ من الأقوال الحكيمة فى الوعد والمطل
٢٩٧ - ٢٨٧	نبذ من الأقوال الحكيمة فى وصف حال الدنيا وصروفها
٣١٨ - ٣١٦	أقوال مأثورة فى الجود والبخل
٣٣٠ - ٣٢٦	نبذ مما قيل فى حال الدنيا وهوانها واغترار الناس بها

صفحة	
٣٥١ - ٣٤١	مما ورد في الطيب من الآثار
٣٥٧ - ٣٥٢	نبذ مما قيل في التيه والفخر
٣٧١ - ٣٦٥	طرائف حول الأسماء والسكنى
٣٨٢ - ٣٧٢	أقوال في العين والسحر والعدوى والطيرة والفعال
٤٢٩ - ٣٨٣	نكت في مذاهب العرب وتحليلاتها

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

بتحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء العشرون

دار الجيل
بيروت

محقق الطبع محفوظہ للناسر
طبعة ثانية
١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٤٠٩)

الأضل :

وقال عليه السلام :

مُقَارَبَةُ النَّاسِ فِي أَخْلَاقِهِمْ أَمْنٌ مِنْ غَوَائِلِهِمْ .

الشَّيْخُ :

إلى هذا نَظَرَ الْمُتَنَبِّي فِي قَوْلِهِ :

وَحَلَّةٍ فِي جَلِيسٍ أَتَّقِيهِ بِهَا كَيْمَا يَرَى أَنَّنَا مِثْلَانِ فِي الْوَهْنِ^(١)
وَكَلِمَةٍ فِي طَرِيقٍ خِفْتُ أُعْرِبُهَا فَيُهْتَدَى لِي فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى اللَّحْنِ
وقال الشاعر :

وما أنا إِلَّا كالزَّمانِ إِذَا صَحَا صَحُوتُ وَإِنْ مَاتَ الزَّمانُ أُمُوتُ^(٢)
وكان يقال : إِذَا نَزَلَتْ عَلَى قَوْمٍ فَتَشَبَّهَ بِأَخْلَاقِهِمْ ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مِنْ حَيْثُ يَوْجَدُ ،
لَا مِنْ حَيْثُ يُوَلَّدُ . وفي الأمثال القديمة : مَنْ دَخَلَ ظَفَارِ حَمْرٍ .

شاعر :

أَحَامِقُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أُعَاقِلُهُ

(١) ديوانه ٤ : ٢١٢ .

(٢) لبشار ، الأغاني ٣ : ٢٢٥ .

(٤١٠)

الأنضد

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبَعْضِ مُخَاطِبِيهِ وَقَدْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يُسْتَضْفَرُ مِنْهُ عَنْ
قَوْلٍ مِنْهَا :
لَقَدْ طَرَّتْ شَكِيرًا ، وَهَدَرَتْ سَقْبًا .

قَالَ : الشَّكِيرُ هَاهُنَا : أَوَّلُ مَا يَنْبُتُ مِنْ رِيشِ الطَّائِرِ قَبْلَ أَنْ يَقْوَى وَيَسْتَخْصِفَ .
وَالسَّقْبُ : الصَّغِيرُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَلَا يَهْدِرُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَسْتَفْجِلَ .

الشَّنْخُ :

هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِمْ : قَدْ زَبَبَ قَبْلَ أَنْ يُحْصِرَ .
وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَامَّةِ : يقرأ بالشَّوَاذَ ، وَمَا حَفِظَ بَعْدُ جُزْءَ الْمَفْصَلِ .

(٤١١)

الأصل :

وقال عليه السلام :

مَنْ أَوْمَأَ إِلَى مُتَفَاوِتٍ خَذَلَتْهُ الْحِيلُ .

الشرح :

قيل في تفسيره : من أسدلّ بالمتشابه من القرآن في التوحيد والعَدْل انكشفت حيلته ، فإن علماء التوحيد قد أوضحوا تأويل ذلك .

وقيل : من بنى عقيدة له مخصوصة على أمرين مختلفين : حقّ وباطل ، كان مُبطلا .

وقيل : من أومأ بطمعه وأمله إلى فائتٍ قد مضى وأنقضى لن تنفعه حيلة ، أى لا يُبْعِنُ أحَدُكم أمله ماقد فاته ؛ وهذا ضعيفٌ لأنّ المتفاوت في اللغة غيرُ الفائت .

(٤١٢)

الأفضل :

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِمْ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ :
إِنَّا لَا نَمْلِكُ مَعَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا نَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَكَنَا ، فَمَتَى مَلَكَنَا مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ
مِنَّا كَلَّفْنَا ، وَمَتَى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَلَيْنَا .

الشرح :

مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَعَلَ الْحَوْلَ عِبَارَةً عَنِ الْمِلْكِيَّةِ وَالتَّصَرُّفِ ،
وَجَعَلَ الْقُوَّةَ عِبَارَةً عَنِ التَّكْلِيفِ ، كَأَنَّهُ يَقُولُ : لَا تَمْلِكُ وَلَا تَصَرُّفٌ إِلَّا بِاللَّهِ ،
وَلَا تَكْلِيفٌ لِأَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ إِلَّا بِاللَّهِ ؛ فَنَحْنُ لَا تَمْلِكُ مَعَ اللَّهِ شَيْئًا ، أَيْ لَا نَسْتَقِلُّ بِأَنْ
نَمْلِكُ شَيْئًا ؛ لِأَنَّهُ لَوْلَا إِقْدَارُهُ إِيَّانَا وَخَلْقَتُهُ لَنَا أَحْيَاءَ لَمْ نَكُنْ مَالِكِينَ وَلَا مُتَصَرِّفِينَ ،
فَإِذَا مَلَكَنَا شَيْئًا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ - أَيْ أَقْدَرُ عَلَيْهِ مِنَّا - صَرُّنَا مَالِكِينَ لَهُ كَالْمَالِ مِثْلَ حَقِيقَةٍ ،
وَكَالْعَقْلِ وَالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ تَحَاجُزًا ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ مَكْلَفُنَا لَنَا أَمْرًا يَتَعَلَّقُ بِمَا مَلَكَنَا إِيَّاهُ ،
نَحْوُ أَنْ يَكْلَفُنَا الزَّكَاةَ عِنْدَ تَمْلِكِنَا الْمَالَ ، وَيَكْلَفُنَا النَّظَرَ عِنْدَ تَمْلِكِنَا الْعَقْلَ ، وَيَكْلَفُنَا
الْجِهَادَ وَالصَّلَاةَ وَالْحَجَّ وَغَيْرَ ذَلِكَ عِنْدَ تَمْلِكِنَا الْأَعْضَاءَ وَالْجَوَارِحَ ، وَمَتَى أَخَذَ مِنَّا الْمَالَ
وَضَعَ عَلَيْنَا تَكْلِيفَ الزَّكَاةِ ، وَمَتَى أَخَذَ الْعَقْلَ سَقَطَ تَكْلِيفُ النَّظَرِ ، وَمَتَى أَخَذَ الْأَعْضَاءَ
وَالْجَوَارِحَ سَقَطَ تَكْلِيفُ الْجِهَادِ وَمَا يَجْرِي مِجْرَاهُ .

هَذَا هُوَ تَفْسِيرُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ فَأَمَّا غَيْرُهُ فَقَدْ فَسَّرَهُ بِشَيْءٍ آخَرَ ، قَالَ

أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام : فلا حَوْلَ على الطاعة ولا قُوَّةَ على ترك المعاصي إلا بالله ؛ وقال قوم - وهم المجبرة : لا فعل من الأفعال إلا وهو صادر من الله ، وليس في اللفظ ما يدل على ما ادَّعَوْا ، وإنما فيه أنه لا اقتدار إلا بالله ، وليس يلزم من نفى الاقتدار إلا بالله صِدْق قولنا : لا فعل من الأفعال إلا وهو صادر عن الله ؛ والأولى في تفسير هذه اللفظة أن تُحمَل على ظاهرها ، وذلك أن الحَوْل هو القوة ، والقُوَّة هي الحَوْل كلاهما مُترادِفان ؛ ولا ريب أن القدرة من الله تعالى ، فهو الَّذِي أَقْدَرَ الْمُؤْمِنَ على الإيمان ، والكافر على الكفر ، ولا يلزم من ذلك مخالفة القول بالعدل ؛ لأنَّ القدرة ليست موجبة .

فإن قلت : فأى فائدة في ذكر ذلك وقد علم كل أحد أن الله تعالى خَلَقَ الْقُدْرَةَ في جميع الحيوانات ؟

قلت : المراد بذلك الرد على من أثبت صانعاً غير الله ، كالجوس والثنوية ، فإنهم خالوا بالهين : أحدهما يَخْلُقُ قدرة الخير ، والآخر يَخْلُقُ قدرة الشر .

(٤١٣)

الأصل :

وقال عليه السلام لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَقَدْ سَمِعَهُ يُرَاجِعُ الْمُغِيرَةَ
ابْنَ شُعْبَةَ كَلَامًا :

دَعَهُ يَا عَمَّارُ ، فَإِنَّهُ لَنْ يَأْخُذَ مِنَ الدِّينِ إِلَّا مَا قَارَبَهُ مِنَ الدُّنْيَا ، وَعَلَى عَمْدٍ لَبَسَ
عَلَى نَفْسِهِ ، لِيَجْعَلَ الشُّبُهَاتِ عَازِرًا لِسَقَطَاتِهِ .

الشرح :

[المغيرة بن شعبة]

أصحابنا غير متفقين على السكوت على المغيرة ، بل أكثر البغداديين يفسقونه ،
ويقولون فيه ما يقال في الفاسق ؛ ولما جاء عروة بن مسعود الثقفي إلى رسول الله صلى
الله عليه وآله عام الحديبية نظر إليه قائما على رأس رسول الله مقلدا سيفا ، فقيل :
من هذا ؟ قيل : ابن أخيك المغيرة ، قال : وأنت ها هنا يا غدر ! والله إنني إلى الآن
ما غسلتُ سوءتك .

وكان إسلام المغيرة من غير اعتقاد صحيح ، ولا إجابة ونية جميلة ، كان قد صحب قوما
في بعض الطرق ، فاستغفلهم وهم نيام ، فقتلهم وأخذ أموالهم وهرب خوفا أن يلحق
فيقتل ، أو يؤخذ ما فاز به من أموالهم ؛ فقدم المدينة فأظهر الإسلام ، وكان رسول الله

صلى الله عليه وآله لا يردّ على أحدٍ إسلامه : أسلم عن علة أو عن إخلاص ، فامتنع بالإسلام ، واعتصم ، وحى جانبه .

ذكر حديثه أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب ” الأغاني “ ،^(١) قال : كان المغيرة يحدث حديث إسلامه ، قال : خرجت مع قوم من بني مالك ونحن على دين الجاهلية إلى المقوقس ملك مصر ، فدخلنا إلى الإسكندرية ، وأهدينا للملك هدايا كانت معنا ، فكنت أهون أصحابي عليه ، وقبض هدايا القوم ، وأمر لهم بجواز ، وفضل بعضهم على بعض ، وقصر بي فأعطاني شيئاً قليلاً لا ذكر له ، وخرجنا ، فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم وهم مسرورون ، ولم يعرض أحدٌ منهم على مواساة ، فلهذا خرجوا حملوا معهم خرا ، فكانوا يشربون منها ، فأشرب معهم ، ونفسي تأتي أن تدعني معهم ، وقلت : ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا ، وما حباهم به الملك ، ويخبرون قومي بتقصيره بي وازدراؤه إياي ! فأجمعت على قتلهم ، فقلت : إني أجد صداعاً ، فوضعوا شرابهم ودعوني ، فقلت : رأسي يصدع ، ولكن اجاسوا فأسقيكم ، فلم ينكروا من أسرى شيئاً ، فجلست أسقيهم وأشرب القدح بعد القدح ، فلما دبت الكأس فيهم اشتبهوا الشراب ، فجعلت أصرف لهم وأترع الكأس ، [فيشربون ولا يدرون ^(٢)] ، فأهدتهم الخمر حتى ناموا ، ما يعقلون ، فوثبت إليهم فقتلتهم جميعاً ، وأخذت جميع ما كان معهم .

وقدِمَت المدينة فوجدتُ النبي صلى الله عليه وآله بالمسجد وعنده أبو بكر - وكان بي عارفاً - فلما رأيته قال : ابن أخي عروة ؟ قلت : نعم ، قد جئتُ أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمداً رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : الحمد لله : فقال أبو بكر من مصر أقبلت ؟ قلت : نعم ؟ قال : فما فعل المالكيون الذين كانوا معك ؟ قلت : كان

(١) الأغاني ١٦ : ٨٠ - ٨٢ (طبعة دار الكتب) مع اختلاف الرواية .

(٢) من الأغاني .

بينى وبينهم بعض ما يكون بين العرب ، ونحن على دين الشرك ، فقتلتهم ، وأخذت أسلابهم ، وجئتُ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليُخَمِّسَهَا [ويرى فيها رأيه^(١)] ؛ فإنها غنيمة من المشركين ، فقال رسول الله : أَمَا إِسْلَامُكَ فَقَدْ قَبَلْتَهُ ، وَلَا نَأْخُذُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ شَيْئًا وَلَا نُخَمِّسُهَا ، لِأَنَّ هَذَا غَدْرٌ ، وَالْغَدْرُ لَا خَيْرَ فِيهِ ، فَأَخَذَنِي مَاقْرُبٌ وَمَا بَعْدُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّمَا قَتَلْتَهُمْ وَأَنَا عَلَى دِينِ قَوْمِي ، ثُمَّ أَسَلْتُ حِينَ دَخَلْتُ إِلَيْكَ السَّاعَةَ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْإِسْلَامُ يَجِبُ مَاقْبَلُهُ . قَالَ : وَكَانَ قَتَلَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ إِنْسَانًا ، وَاحْتَوَى عَلَى مَامِعِهِمْ ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ ثَقِيفًا بِالطَّائِفِ ، فَتَدَاعَوْا لِلْقِتَالِ ، ثُمَّ اصْطَلَحُوا عَلَى أَنْ حَمَلَ عُمَى عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ثَلَاثَ عَشْرَةَ دِيَّةً .

قال : فذلك معنى قولِ عُرْوَةَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ : « يَا غَدْرُ ، أَنَا إِلَى الْأَمْسِ أَغْسِلُ سَوْءَ تَكِّ ، فَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَغْسِلَهَا » ، فلهذا قال أصحابنا البغداديون : مَنْ كَانَ إِسْلَامُهُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ ، وَكَانَتْ خَاتِمَتُهُ مَاقَدَ تَوَاتَرَ الْخَبَرُ بِهِ ؛ مِنْ لَعْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَنَابِرِ إِلَى أَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا الْفِعْلِ ، وَكَانَ الْمُتَوَسِّطُ مِنْ عَمَرِهِ الْفُسْطُ وَالْفُجُورُ وَإِعْطَاءُ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ سُؤْلَهُمَا ، وَمِمَّا لَمْ يَنْفَسِقِيْنِ ، وَصَرَفَ الْوَقْتَ إِلَى غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ ، كَيْفَ تَتَوَلَّاهُ ! وَأَيُّ عُدْرٍ لَنَا فِي الْإِمْسَاكِ عَنْهُ ، وَأَلَّا نَكْشِفَ لِلنَّاسِ فِسْقَهُ !

[إيراد كلام لأبي المعالى الجوينى فى أمر الصحابة والرد عليه]

وحضرت عند النقيب أبى جعفر يحيى بن محمد العلوى البصرى فى سنة إحدى عشرة وستمائة ببغداد ، وعنده جماعة ، وأحدُهم يقرأ فى الأغاني لأبى الفرج ، فرَدَّ ذكر المغيرة بن شعبة وخاض القوم ، فذمَّه بعضهم ، وأثنى عليه بعضهم ، وأمسك عنه آخرون ؛ فقال

(١) من الأغاني .

بعض فقهاء الشيعة ممن كان يشتغل بطرف من علم الكلام على رأى الأشعرى : الواجب الكف والإمسك عن الصحابة ، وعمّا شجر بينهم ، فقد قال أبو المعالي الجوينى : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن ذلك ، وقال : « إياكم وما شجر بين صحابى » ، وقال : « دَعُوا لى أصحابى ، فلو أنفق أحدكم مثل أحدٍ ذهباً لما بلغ مدّ أحدكم ولا نصيفه » ؛ وقال : « أصحابى كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم » ، وقال : « خيركم القرن الذى أنا فيه ثم الذى يليه ، ثم الذى يليه ، ثم الذى يليه » ، وقد ورد فى القرآن الثناء على الصحابة وعلى التابعين ؛ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : وما يُدريك لعلّ الله أطع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ! وقد روى عن الحسن البصرى أنه ذكر عنده الجمل وصيفين فقال : تلك دماء طهر الله منها أسيافنا ، فلا نلطّخ بها أسننتنا .

ثم إنّ تلك الأحوال قد غابت عنا وبعدت أخبارها على حقائقها ؛ فلا يليق بنا أن نخوض فيها ؛ ولو كان واحد من هؤلاء قد أخطأ لوجب [أن يُحفظ رسول الله صلى الله عليه وآله فيه ، ومن المروءة]^(١) أن يُحفظ رسول الله صلى الله عليه وآله فى عائشة زوجته ، وفى الزبير ابن عمتّه ، وفى طلحة الذى وقاه بيده . ثمّ ما الذى ألزَمنا وأوجب علينا أن نلَمَن أحداً من المسلمين أو نبرأ منه ! وأى ثواب فى اللعنة والبراءة ! إنّ الله تعالى لا يقول يوم القيامة للمكلف : لِمَ لَمْ تَلَمَن ؟ بل قد يقول له : لِمَ لَعَنْتَ ؟ ولو أنّ إنساناً عاش عمره كله لم يلعن إبليس لم يكن عاصياً ولا آثماً ، وإذا جعل الإنسان عوض اللعنة أَسْتَغْفِر الله كان خيراً له . ثم كيف يجوز للعامة أن تدخل أنفسها فى أمور الخاصة ، وأولئك قوم كانوا أمراء هذه الأمة وقادتها ، ونحن اليوم فى طبقة سافلة جدا عنهم ؛ فكيف يحسُن بنا التعرّض لذكرهم ! أليس يقبَح من الرعية أن تخوض فى دقائق أمور الملك وأحواله وشئونهِ التى تجرى بينه وبين أهله وبني عمّه ونسائه وسراريّه ! وقد كان

(١) تكملة من ١ .

رسول الله صلى الله عليه وآله صهراً لمعاوية . وأخته أم حبيبة تحته ، فالأدب أن تحفظ أم حبيبة وهي أم المؤمنين في أخيها .

وكيف يجوز أن يلعن من جعل الله تعالى بينه وبين رسوله مودة! أليس المفسرون كلهم قالوا : هذه الآية أنزلت في أبي سفيان وآله ، وهي قوله تعالى : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً ﴾ ^(١) ! فكان ذلك مصاهرة رسول الله صلى الله عليه وآله أبا سفيان وتزويجه ابنته . على أن جميع ما تنقله الشيعة من الاختلاف بينهم والمشاجرة لم يثبت ، وما كان القوم إلا كبنى أم واحدة ولم يتكدر باطن أحد منهم على صاحبه قط ، ولا وقع بينهم اختلاف ولا نزاع .

فقال أبو جعفر رحمه الله : قد كنت منذ أيام علقت بخطى كلاما وجدته لبعض الزيدية في هذا المعنى نقضا وردا على أبي المعالي الجويني فيما اختاره لنفسه من هذا الرأي ، وأنا أخرجه إليكم لأستغنى بتأمله عن الحديث على ما قاله هذا الفقيه ، فإنه أجد لما يمتنع من الإطالة في الحديث ؛ لاسيما إذا خرج مخرج الجدل ومقاومة الخصوم . ثم أخرج من بين كتبه كراسا قرأناه في ذلك المجلس وأستحسنه الحاضرون ، وأنا أذكرها هنا خلاصته .

قال : لولا أن الله تعالى أوجب معاداة أعدائه ، كما أوجب موالاة أوليائه ، وضيق على المسلمين تركها إذا دل العقل عليها ، أو صح الخبر عنها بقوله سبحانه : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ ^(٢) ، وبقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ ^(٣) ، وبقوله سبحانه : ﴿ لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا

(٢) سورة المجادلة ٢٢ .

(١) سورة المتحنة ٧ .

(٣) سورة المائدة ٨١ .

غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴿١﴾ ؛ ولإجماع المسلمين على أن الله تعالى فرضَ عداوة أعدائه ،
 وولاية أوليائه ، وعلى أن : البغض في الله واجب ، والحب في الله واجب - لما تعرّضنا
 لمعاداة أحدٍ من الناس في الدين ، ولا البراءة منه ، ولكانت عداوتنا للقوم تكلفا .
 ولو ظننا أن الله عزّ وجلّ يَمْدِرنا إذا قلنا : ياربّ غاب أمرهم عنا ، فلم يكن تلخّوصنا في
 أمرٍ قد غاب عنا معنًى ، لأعتمدنا على هذا المَدْر ، ووالّيناهم ، ولكنا نخاف أن يقول
 سبحانه لنا : إن كان أمرهم قد غاب عن أبصاركم ، فلم يقب عن قلوبكم وأسماعكم ؛ قد
 أنتمكم به الأخبارُ الصحيحة التي بمثلها ألزمت أنفسكم الإقرار بالنبىّ صلى الله عليه وآله
 وموالاته من صدّقه ، ومعاداة من عصاه وجحدّه ، وأمرتم بتدبر القرآن وما جاء به
 الرسول ، فهلاّ حذرتهم من أن تكونوا من أهل هذه الآية غداً : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا
 سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَصْلَحْنَا السَّبِيلَا ﴾ ﴿٢﴾ ١

فأمّا لفظة اللعن فقد أمر الله تعالى بها وأوجّبها ، ألا تَرى إلى قوله : ﴿ أُولَئِكَ
 يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ ﴿٣﴾ ، فهو إخبارٌ بمعناه الأمر ، كقوله : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ
 يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ ﴿٤﴾ ؛ وقد لعن الله تعالى العاصين بقوله : ﴿ لَعْنُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ ﴾ ﴿٥﴾ ، وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ ﴿٦﴾ ، وقوله : ﴿ مَلْعُونِينَ
 أَيُّهَا ثَقُفُوا أَخَذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا ﴾ ﴿٧﴾ ، وقال الله تعالى لإبليس : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى
 يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ﴿٨﴾ وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ ﴿٩﴾ .

(١) سورة الممتحنة ١٣ .

(٢) سورة الأحزاب ٦٧ .

(٣) سورة البقرة ٢٢٨ .

(٤) سورة الأحزاب ٥٧ .

(٥) سورة ص ٧٨ .

(٦) سورة البقرة ١٥٩ .

(٧) سورة المائدة ٧٨ .

(٨) سورة الأحزاب ٦١ .

(٩) سورة الأحزاب ٦٤ .

فأما قول من يقول : « أى ثواب فى اللعن ! وإن الله تعالى لا يقول للمكلف لم تلعن ؟ بل قد يقول له : لم لعنت ؟ وأنه لو جعل مكان لعن الله فلانا ، اللهم اغفر لى لكان خيراً له ، ولو أن إنسانا عاش عمره كله لم يلعن إبليس لم يؤاخذ بذلك » ؛ فكلام جاهل لا يدري ما يقول ؛ اللعن طاعة ، ويستحق عليها الثواب إذا فعلت على وجهها ، وهو أن يلعن مستحق اللعن لله وفى الله ، لافى العصبية والهوى ، ألا ترى أن الشرع قد ورد بها فى نفي الولد ، ونطق بها القرآن ، وهو أن يقول الزوج فى الخامسة : ﴿ أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ﴾ ^(١) ، فلو لم يكن الله تعالى يريد أن يتلفظ عباده بهذه اللفظة وأنه قد تعبد بهم بها ، لما جعلها من معالم الشرع ، ولما كررها فى كثير من كتابه العزيز ، ولما قال فى حق القاتل : ﴿ وغضب الله عليه ولعنه ﴾ ^(٢) ، وليس المراد من قوله : « ولعنه » إلا الأمر لنا بأن نلعنه ، ولو لم يكن المراد بها ذلك لكان لنا أن نلعنه ، لأن الله تعالى قد لعنه ، أفيلعن الله تعالى إنسانا ولا يكون لنا أن نلعنه ! هذا ما لا يسوغ فى العقل ؛ كما لا يجوز أن يمدح الله إنسانا إلا ولنا أن نمدحه ، ولا يذمه إلا ولنا أن نذمه ؛ وقال تعالى : ﴿ هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله ﴾ ^(٣) ، وقال : ﴿ ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا ﴾ ^(٤) ، وقال عز وجل : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا ﴾ ^(٥) . وكيف يقول القاتل : إن الله تعالى لا يقول للمكلف : لم تلعن ؟ ألا يعلم هذا القاتل أن الله تعالى أمر بولاية أوليائه ، وأمر بعداوة أعدائه ، فكما يسأل عن التولى يسأل عن التبرى ! ألا ترى أن اليهودى إذا أسلم يطالب بأن يقال له : تلفظ بكلمة الشهادتين ، ثم قل : برئت

(٢) سورة النساء ٩٣ .
(٤) سورة الأحزاب ٦٨ .

(١) سورة النور ٧ .
(٣) سورة المائدة ٦٠ .
(٥) سورة المائدة ٦٤ .

من كلِّ دينٍ يُخالف دين الإسلام ، فلا بدّ من البراءة ، لأنّ بها يتمّ العمل ! ألم يسمع هذا القائل قول الشاعر :

تَوَدُّ عَدُوِّيَ ثُمَّ تَزْعُمُ أَنِّي صَدِيقُكَ ، إِنِّ الرِّأْيَ عَنْكَ لِعَازِبُ
فَوَدَّةُ الْعَدُوِّ خُرُوجٌ عَنْ وَلَايَةِ الْوَلِيِّ ، وَإِذَا بَطَلَتِ الْمَوَدَّةُ لَمْ يَبْقِ إِلَّا الْبَرَاءَةُ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ فِي دَرَجَةٍ مَتَوَسِّطَةٍ مَعَ أَعْدَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَعُصَايِهِ بِأَلَّا يُوَدِّعَهُمْ وَلَا يَبْرَأَ مِنْهُمْ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى نَفْيِ هَذِهِ الْوَاسِطَةِ .

وأما قوله : « لو جَعَلَ عِوَضَ اللَّعْنَةِ أَسْتَغْفِرَ اللَّهُ لَكَ خَيْرًا لَهُ » ، فإنه لو استغفر من غير أن يَلْعَنَ أو يَمْتَقِدَ وجوب اللّعن لما نَفَعَهُ استغْفَارُهُ وَلَا قَبْلَ مِنْهُ ، لِأَنَّهُ يَكُونُ عَاصِيًا لِلَّهِ تَعَالَى ، مُخَالِفًا أَمْرَهُ فِي إِمْسَاكِهِ عَنْ أَوْجَبِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ الْبَرَاءَةَ مِنْهُ ، وَإِظْهَارِ الْبَرَاءَةِ ، وَالْمَصِرِّ عَلَى بَعْضِ الْمَعَاصِي لَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ وَاسْتَغْفَارُهُ عَنِ الْبَعْضِ الْآخَرِ ، وَأَمَّا مَنْ يَمِيشُ عَمْرَهُ وَلَا يَلْعَنُ إبْلِيسَ ، فَإِنْ كَانَ لَا يَمْتَقِدُ وَجوبَ لَعْنَتِهِ فَهُوَ كَافِرٌ ، وَإِنْ كَانَ يَمْتَقِدُ وَجوبَ لَعْنَتِهِ وَلَا يَلْعَنُهُ فَهُوَ مُخْطِئٌ ؛ عَلَى أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَرْكِ لَعْنَتِهِ رَعُوسُ الضَّلَالِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَا وَبِهَا وَالْمَغِيرَةُ وَأَمثالهما ، أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْرِثُ عَنْدهُ الْإِمْسَاكُ عَنْ لَعْنِ إبْلِيسَ شَبَهَةً فِي أَمْرِ إبْلِيسَ ، وَالْإِمْسَاكُ عَنْ لَعْنِ هَؤُلَاءِ وَأَضْرَابِهِمْ يَثِيرُ شَبَهَةً عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَمْرِهِمْ ، وَتَجُنَّبُ مَا يُؤْرِثُ الشَّبَهَةَ فِي الدِّينِ وَاجِبٌ ، فَلِهَذَا لَمْ يَكُنِ الْإِمْسَاكُ عَنْ لَعْنِ إبْلِيسَ لَظِيْرًا لِلْإِمْسَاكِ عَنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ .

قال : ثمّ يقال للمخالفين : أَرَأَيْتُمْ لو قال قائلٌ : قد غاب عنا أمر يزيد بن معاوية والحجاج بن يوسف ، فليس ينبغي أن نخوض في قصتهما ، ولا أن نلعنهما ونعاديهما ونبرأ منهما ؛ هل كان هذا إلّا كقولكم : قد غاب عنا أمر معاوية والمغيرة بن

شعبة وأضرأبهما ، فليس لخوضنا في قصتهم معني !

وبعد ، فكيف أدخلتم أيها العامة والحشوية وأهل الحديث أنفسكم في أمر عثمان وخضتم فيه ، وقد غاب عنكم ! وبرئتم من قتلته ، ولعنتموه ! وكيف لم تحفظوا أبا بكر الصديق في محمد ابنه فإنكم لعنتموه وفسقتموه ، ولا حفظتم عائشة أم المؤمنين في أخيها محمد المذكور ، ومنعتمونا أن نخوض وندخل أنفسنا في أمر عليّ والحسن والحسين ومعاوية الظالم له ولهما ، المتغلب على حقه وحقوقهما ! وكيف صار لعن ظالم عثمان من السنة عنديكم ، ولعن ظالم عليّ والحسن والحسين تكلّفا ! وكيف أدخلت العامة أنفسها في أمر عائشة وبرئتم من نظر إليها ، ومن القائل لها : يا حميراء ، أو إنما هي حميراء ، ولعنّته بكشفه سترها ، ومنعتمنا نحن عن الحديث في أمر فاطمة وما جرى لها بعد وفاة أبيها .

فإن قلتم : إن بيت فاطمة إنما دخل ، وسترها إنما كشف ، حفظا لنظام الإسلام ، وكَيْلا يَنْتَشِرَ الأمرُ ويُخْرِجَ قومٌ من المسلمين أعناقهم من رِبقة^(١) الطاعة ولزوم الجماعة .

قيل لكم : وكذلك ستر عائشة إنما كشف ، وهو دجها إنما هتك ، لأنها نشرت^(٢) حبل الطاعة ، وشقت عصا المسلمين ، وأراقت دماء المسلمين من قبل وصول عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى البصرة ، وجرى لها مع عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة ومن كان معها من المسلمين الصالحين من القتل وسفك الدماء ما تنطق به كتب التواريخ والسير ؛ فإذا جاز دخول بيت فاطمة لأمر لم يقع بعدُ جاز كشف ستر عائشة على ما قد وقع وتحقق ، فكيف صار هتك ستر عائشة من الكبائر التي يجب معها التخليد في النار ،

(١) رِبقة الطاعة : عروتها .

(٢) نشرت حبل الطاعة : أي قطعتة .

والبراءة من فاعله ، ومن أُوكد عُرَى الإيمان ، وصار كُشف بيت فاطمة والدخول عليها منزلاً وجمع حطب بيابها ، وتهديها بالتجريق من أُوكد عُرَى الدين ، وأثبت دعائم الإسلام ؛ ومما أعز الله به المسلمين وأطفأ به نار الفتنة ؛ والحرمات واحدة ، والستران واحد . وما نحب أن نقول لكم : إن حرمة فاطمة أعظم ، ومكانها أرفع ، وصياتها لأجل رسول الله صلى الله عليه وآله أولى ، فإنها بضعة منه ، وجزء من لحمه ودمه ، وليست كالزوجة الأجنبية التي لا نسب بينها وبين الزوج ، وإنما هي وُصلة مستعارة ، وعقد يجري مجرى إجارة المنفعة ، وكما يملك رق الأمة بالبيع والشراء ، ولهذا قال الفرضيون : أسباب التوارث ثلاثة : سبب ، ونسب ، وولاء ؛ فالنسب القرابة ، والسبب النكاح ، والولاء : ولاء العتق ؛ فجعلوا النكاح خارجاً عن النسب ؛ ولو كانت الزوجة ذات نسب لجعلوا الأقسام الثلاثة قسمين .

وكيف تكون عائشة أو غيرها في منزلة فاطمة ، وقد أجمع المسلمون كلهم من يحبها ومن لا يحبها منهم أنها سيّدة نساء العالمين !

قال : وكيف يلزمنا اليوم حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في زوجته ، وحفظ أم حبيبة في أخيها ، ولم تلزم الصحابة أنفسهم حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل بيته ، ولا ألزمت الصحابة أنفسهم حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في صهره وابن عمه ابن عفان ، وقد قتلوه ولعنوه ؛ ولقد كان كثير من الصحابة يلعن عثمان وهو خليفة ؛ منهم عائشة كانت تقول : اقتلو نَعَثَلًا ، لعن الله نَعَثَلًا ؛ ومنهم عبد الله بن مسعود ؛ وقد لعن معاوية على بن أبي طالب وابنيه حسنًا وحسينًا وهم أحياء يرزقون بالعراق ، وهو يلعنهم بالشام على المنابر ، ويقنت عليهم في الصلوات ، وقد لعن أبو بكر وعمر سعد بن عبادة وهو حي ، وبرثا منه ، وأخرجاه من المدينة إلى الشام ، ولعن عمر

خالد بن الوليد لما قتل مالك بن نويرة ، وما زال اللعن فاشيا في المسلمين إذا عرفوا من الإنسان معصية تقتضى اللعن والبراءة .

قال : ولو كان هذا أمراً معتبراً وهو أن يُحفظ زيد لأجل عمرو فلا يُلعن ، لوجب أن يُحفظ الصحابة في أولادهم ، فلا يُلعنوا لأجل آبائهم ، فكأن يجب أن يُحفظ سعد بن أبي وقاص فلا يُلعن ابنه عمر بن سعد قاتل الحسين ، وأن يحفظ معاوية فلا يُلعن يزيد صاحب وقعة الحرة وقاتل الحسين ، ويخيف المسجد الحرام بمكة ، وأن يُحفظ عمر بن الخطاب في عبيد الله ابنه قاتل الهرمزان ، والمحارب علياً عليه السلام في صفين .

قال : قلّي أنه لو كان الإمساك عن عداوة من عادى الله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في أصحابه ورعاية عهده وعقده لم نُعاديهم ولو ضربت رقابنا بالسيوف ، ولكن محبة رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه ليست كمحبة الجهال الذين يصنع أحدهم محبته لصاحبه موضع العصبية ، وإنما أوجب الله رسول الله صلى الله عليه وآله محبة أصحابه لطاعتهم لله ، فإذا عصوا الله وتركوا ما أوجب محبتهم ؛ فليس عند رسول الله صلى الله عليه وآله محابة في ترك لزوم ما كان عليه من محبتهم ، ولا تفطرس في العدول عن التمسك بموالاتهم ، فلقد كان صلى الله عليه وآله يحب أن يُعادي أعداء الله ولو كانوا عترته ، كما يحب أن يوالي أولياء الله ولو كانوا أبعدَ أخلق نسباً منه ، والشاهد على ذلك إجماع الأمة على أن الله تعالى قد أوجب عداوة من ارتد بعد الإسلام ، وعداوة من نافق وإن كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي أمر بذلك ودعا إليه

وذلك أنه صلى الله عليه وآله قد أوجب قطع السارق وضرب القاذف ، وجلد البكر إذا زنى ، وإن كان من المهاجرين أو الأنصار ؛ ألا ترى أنه قال : لو سَرَقَتْ فاطمة لقطعناها ؛ فهذه ابنته ، الجارية تُجَرَى نفسه ، لم يُحَاسِبْها في دين الله ، ولا راقبها في حدود الله ، وقد جلد أصحاب الإفك ، ومنهم مسطح بن أثانة ، وكان من أهل بذر .

قال : وبعد ، فلو كان محل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله محل من لا يعادى إذا عصى الله سبحانه ولا يُذكر بالقبیح ، بل يجب أن يُراقب لأجل اسم الصُّحبة ، ويفضَى عن عُيوبه وذُنُوبه ، لكان كذلك صاحبُ موسى المسطور ثناؤه في القرآن لما اتبع هواه ، فانسَلَخَ مما أُوتى من الآيات وغَوَى ، قال سبحانه : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ ^(١) ، ولما كان ينبغي أن يكون محل عبدة العجل من أصحاب موسى هذا المحل ، لأن هؤلاء كلهم قد صحبوا رسولاً جليلاً من رُسُل الله سبحانه .

قال : ولو كانت الصحابة عند أنفسهم بهذه المنزلة ؛ لعلمت ذلك من حال أنفسهم ، لأنهم أعرف بمحلهم من عوام أهل دهرنا ، وإذا قدرت أفعال بعضهم ببعض دلتك على أن القصة كانت على خلاف ما قد سبق إلى قلوب الناس اليوم ؛ هذا على وعمار ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وخزيمة بن ثابت ، وجميع من كان مع علي عليه السلام من المهاجرين والأنصار ، لم يروا أن يتغافلوا عن طلحة والزبير حتى فعلوا بهما وبمن معهما ما يفعله الشرافي عصرنا ، وهذا طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم في جانبهم لم يروا أن يُمسكوا عن علي حتى قصدوا له كما يُقصد للمتغلبين في زماننا ، وهذا معاوية وعمر بن الخطاب

عليًا بالعين التي يرى بها العاصي صديقه أو جاره ، ولم يُقَصِّرْ دُونَ ضَرْبِ وَجْهِهِ بِالسِّيفِ وَلَعْنِهِ وَلَعْنِ أَوْلَادِهِ وَكُلِّ مَنْ كَانَ حَيًّا مِنْ أَهْلِهِ ، وَقَتْلِ أَصْحَابِهِ ، وَقَدْ لَعَنَهُمَا هُوَ أَيْضًا فِي الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ ، وَلَعْنِ مَعَهُمَا أَبَا الْأَعْمُورِ السُّلَمِيِّ ، وَأَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ ، وَكُلَّاهُمَا مِنْ الصَّحَابَةِ ، وَهَذَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ، وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ، وَبَنُو عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَسَّانٍ ، وَأَنْسُ بْنُ مَالِكٍ ، لَمْ يَرَوْا أَنْ يَقْلُدُوا عَلِيًّا فِي حَرْبِ طَلْحَةَ ، وَلَا طَلْحَةَ فِي حَرْبِ عَلِيٍّ ، وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَعْدُودِينَ ، لِأَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ قَدْ خَافُوا أَنْ يَكُونَ عَلَى قَدْ غَلَطَ وَزَلَّ فِي حَرْبِهِمَا ، وَخَافُوا أَنْ يَكُونَا قَدْ غَلَطَا وَزَلَّا فِي حَرْبِ عَلِيٍّ ؛ وَهَذَا عُثْمَانُ قَدْ نَبَى أَبَا ذَرٍّ إِلَى الرَّبْدَةِ كَمَا يُفْعَلُ بِأَهْلِ اتْلُنَا وَالرَّيْبِ ، وَهَذَا عَمَّارُ وَابْنُ مَسْعُودٍ تَلْقِيَا عُثْمَانَ بِمَا تَلْقِيَاهُ بِهِ لَمَّا ظَهَرَ لَهَا - بَزْعُمُهُمَا - مِنْهُ مَا وَعَّظَاهُ لِأَجَلِهِ ، ثُمَّ فَعَلَ بِهِمَا عُثْمَانُ مَا تَنَاهَى إِلَيْكُمْ ، ثُمَّ فَعَلَ الْقَوْمُ بِعُثْمَانَ مَا قَدْ عَلِمْتُمْ وَعَلِمَ النَّاسُ كُلُّهُمْ ، وَهَذَا عَمْرُ يَقُولُ فِي قِصَّةِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ لَمَّا أَسْتَأْذَنَهُ فِي الْغَزْوِ : هَا إِنِّي مِمَّا يَبْأَسُ بِهَذَا الشَّعْبِ أَنْ يَتَفَرَّقَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ فِي النَّاسِ فَيَضَلُّوهُمْ ، وَزَعِمَ أَنَّهُ وَأَبُو بَكْرٍ كَانَا يَقُولَانِ : إِنَّ عَلِيًّا وَالْعَبَّاسَ فِي قِصَّةِ الْمِيرَاثِ زَعَمَاهُمَا كَاذِبَيْنِ ظَالِمَيْنِ فَاجْرَيْنِ ؛ وَمَا رَأَيْنَا عَلِيًّا وَالْعَبَّاسَ اعْتَدَرَا وَلَا تَنَصَّلَا ، وَلَا نَقْلُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ ذَلِكَ ، وَلَا رَأَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْكَرُوا عَلَيْهِمَا مَا حَكَاهُ عَمْرُ عَنْهُمَا ، وَنَسَبَهُ إِلَيْهِمَا ، وَلَا أَنْكَرُوا أَيْضًا عَلَى عَمْرِو قَوْلِهِ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنَّهُمْ يَرِيدُونَ إِضْلَالَ النَّاسِ وَيَهْمُونَ بِهِ ، وَلَا أَنْكَرُوا عَلَى عُثْمَانَ دَوَسَ بَطْنِ عَمَّارٍ ، وَلَا كَبَّرَ ضَلَعَ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَلَا عَلَى عَمَّارِ وَابْنِ مَسْعُودٍ مَا تَلْقِيَاهُ بِهِ عُثْمَانُ ، كَانِكَا الْعَامَّةُ الْيَوْمَ الْخُلُوصَ فِي حَدِيثِ الصَّحَابَةِ ، وَلَا اعْتَقَدْتَ الصَّحَابَةَ فِي أَنْفُسِهَا مَا يَتَقَدَّهُ الْعَامَّةُ فِيهَا ؛ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَزْعَمُوا أَنَّهُمْ أَعْرَفَ بِحَقِّ الْقَوْمِ مِنْهُمْ . وَهَذَا عَلَى

وفاطمة والعبّاس مازالوا على كَلْبَةٍ واحدة يكذبون الرواية : « نحن معاشرَ الأنبياء لا نُورَث » ، ويقولون ؛ إنّها مختلقة .

قالوا : وكيف كان النّبي صلّى الله عليه وآله يُعرّف هذا الحكم غيرنا ويكتُمه عنا ونحن الورثة ؛ ونحن أولى الناس بأن يُؤدّى هذا الحكم إليه ، وهذا عمرُ بنُ الخطاب يشهد لأهل الشورى أنّهم النّفَر الذين تُوفّي رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وهو عنهم راضٍ ، ثمّ يأمر بضرب أعناقهم إنْ أخروا فصل حال الإمامة ، هذا بعد أن تكلمهم ، وقال في حقهم ما لوسمعتَه العامّة اليومَ من قائل لوضعتُ ثوبَه في عنقه سَحْبا إلى السلطان ، ثمّ شهدتْ عليه بالرّفض واستحلّت دمه ، فإن كان الطعن على بعض الصّحابة رفضا فعمرُ بن الخطاب أَرَفَضَ الناس وإمام الرّوافض كلّهم . ثمّ ماشاع وأشتهر من قول عمر : كانت بيعةُ أبي بكر فلتة ، وقى الله شرّها ؛ فن عاد إلى مثلها فاقتلوه ؛ وهذا طعنٌ في العَقْد ، وقَدَح في البيعة الأصليّة .

ثمّ مانقل عنه من ذِكر أبي بكر في صلّاته ، وقوله عن عبد الرحمن أبنه : دُويّة سوء وهو خيرٌ من أبيه . ثمّ عمر القائل في سعد بن عبّادة ، وهو رئيس الأنصار وسيّدُها : اقتلوا سعدا ، قَتَلَ الله سعدا ، اقتلوه فإنّه منافق . وقد شتمَ أباه ريرة وطعنَ في روايته ، وشتمَ خالدَ بنَ الوليد وطعنَ في دينه ، وحكّم بفسقه وبُوجوب قتله ، وخَوّن عمرو بن العاص ومعاويةَ بنَ أبي سُفيان ونسبهما إلى سرقةِ مالِ النّبي وأقتطاعه ، وكان سريعا إلى المساءة ، كثيرَ الجنبه والشتم والسبّ لكلّ أحد ، وقلّ أن يكون في الصّحابة من سلّم من معرفة لسانه أو يديه ، ولذلك أبفضوه وملّوا أيتامه مع كثرة الفُتوح فيها ، فهلاّ احترم عمرُ الصّحابة كما تحترمهم العامّة ! إمّا أن يكون عمر مخطئا ، وإمّا أن تكون العامّة على الخطأ !

فإن قالوا : عمرُ ماشَمَ ولا ضَرَبَ ، ولا أساءَ إلَّا إلى عاصٍ مستحقٍّ لذلك ، قيل لهم : فكأنَّنا نحن نقول : إنَّا نريد أن نبرأ ونعادي من لا يستحقُّ البراءة والمعاداة أكلاً ما قلنا هذا ، ولا يقول هذا مسلم ولا عاقل .

ولإنَّما غرضنا الذي إليه نجرى بكلامنا هذا أن نوضح أنَّ الصحابة قومٌ من النَّاس لهم مال للناس ، وعليهم ما عليهم ، من أساء منهم ذمناه ، ومن أحسنَ منهم حمَدناه ، وليس لهم على غيرهم من المسلمين كبيرُ فضلٍ إلَّا بمشاهدة الرسول ومعاصرته لا غير ، بل ربَّما كانت ذنوبهم أفتح من ذنوب غيرهم ، لأنهم شاهدوا الأعلام والمعجزات ، فقرُبَتْ أعتقاداتهم من الضرورة ، ونحن لم نشاهد ذلك ، فكانت عقائدنا تخض النظر والفكر ، ويعرضية الشبهة والشكوك ، فمعاصينا أخفت لأنَّا أعذر .

ثمَّ نعود إلى ما كنَّا فيه فنقول : وهذه عائشة أمُّ المؤمنين ؛ خرجت بقميص رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت للناس : هذا قميصُ رسول الله لم يَبَلْ ، وعثمانُ قد أبلى سنته ؛ ثم تقول : اقتلوا نَعْتَلًا ، قَتَلَ الله نَعْتَلًا ، ثم لم ترض بذلك حتَّى قالت : أشهد أنَّ عثمانَ جيفةٌ على الصراط غدأ . فمن الناس من يقول : رَوَتْ في ذلك خبراً ، ومن النَّاس من يقول : هو موقوفٌ عليها ؛ وبدون هذا لو قاله إنسان اليوم يكون عند العامة زنديقاً . ثمَّ قد حصر عثمان ؛ حصرته أعيانُ الصحابة ، فما كان أحدٌ يُنكر ذلك ، ولا يُعظمه ولا يسعَى في إزالته ، وإنَّما أنكَرُوا على من أنكر على المحاصرين له ، وهو رجلٌ كما علمتم من وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثمَّ من أشرافهم ، ثمَّ هو أقرب إليه من أبي بكر وعمر ؛ وهو مع ذلك إمامُ المسلمين ، والمختارُ منهم للخلافة ، وللإمام حقٌّ على رعيته عظيم ، فإن كان القومُ قد أصابوا فإذنْ ليست الصحابةُ في الموضع الذي وضعتها به العامة ، وإن كانوا ما أصابوا فهذا هو الذي نقول ؛ من أنَّ الخطأ جائزٌ على

أَحَادِ الصَّحَابَةِ ؛ كما يجوز على أَحَادِنَا الْيَوْمَ . وَلَسْنَا نَقْدَحُ فِي الْإِجْمَاعِ ، وَلَا نَدْعَى إِجْمَاعًا حَقِيقِيًّا عَلَى قَتْلِ عُمَانَ ، وَإِنَّمَا نَقُولُ : إِنِّ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَعَلُوا ذَلِكَ وَانْخَلَصُوا يَسْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ خَطَاً وَمَعْصِيَةً ، فَقَدْ سَلَّمَ أَنَّ الصَّحَابَةَ يَجُوزُ أَنْ يُخْطِئَ وَيَعْصِيَ ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ .

وهذا المُنْغِيرَةُ بن شُعْبَةَ وهو من الصحابة ، ادَّعَى عَلَيْهِ الزَّنا ، وشهد عليه قومٌ بذلك ، فلم يُنْكَرْ ذَلِكَ عَمْرٌ ، وَلَا قَالَ : هَذَا مُحَالٌ وَبَاطِلٌ لِأَنَّ هَذَا صَحَابِيٌّ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الزَّنا . وَهَلَّا أَنْكَرَ عَمْرٌ عَلَى الشُّهُودِ وَقَالَ لَهُمْ : وَيَحْكُمُ هَلَّا تَغَافَلْتُمْ عَنْهُ لِمَا رَأَيْتُمُوهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَوْجَبَ الْإِمْسَاكَ عَنْ مَسَاوِيِّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَأَوْجَبَ السَّتْرَ عَلَيْهِمْ ! وَهَلَّا تَرَكْتُمُوهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي قَوْلِهِ : « دَعُّوا إِلَى أَصْحَابِي » ! مَا رَأَيْنَا عَمْرًا إِلَّا قَدْ انْتَصَبَ لِسَمَاعِ الدَّعْوَى ، وَإِقَامَةِ الشَّهَادَةِ ، وَأَقْبَلَ يَقُولُ لِلْمَغِيرَةِ : يَا مَغِيرَةُ ، ذَهَبَ رُبُعُكَ ، يَا مَغِيرَةُ ، ذَهَبَ نِصْفُكَ ، يَا مَغِيرَةُ ، ذَهَبَ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِكَ ، حَتَّى اضْطَرَبَ الرَّابِعُ ، فَجُنِدَ الثَّلَاثَةُ . وَهَلَّا قَالَ الْمَغِيرَةُ لِعَمْرٍ : كَيْفَ تَسْمَعُ فِي قَوْلِ هَؤُلَاءِ ، وَلَيْسُوا مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَأَنَا مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ قَالَ : « أَصْحَابِي كَالنَّجُومِ ، بِأَيُّهُمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ » ! مَا رَأَيْنَاهُ قَالَ ذَلِكَ ، بَلِ اسْتَسْلَمَ لِحُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى . وَهَاهُنَا مَنْ هُوَ أَمْثَلُ مِنَ الْمَغِيرَةِ وَأَفْضَلُ ، قَدَامَةُ بْنُ مَظْعُونٍ ، لَمَّا شَرِبَ الْخَمْرَ فِي أَيَّامِ عُمَرَ ، فَأَقَامَ عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ عِلْيَةِ الصَّحَابَةِ وَمِنْ أَهْلِ بَدْرٍ ، وَالْمَشْهُودُ لَهُمُ بِالْجَنَّةِ ، فَلَمْ يَرُدَّ عَمْرُ الشَّهَادَةَ ، وَلَا دَرَأَ عَنْهُ الْحَدَّ لَعَلَّهُ أَنَّهُ بَدْرِيٌّ ، وَلَا قَالَ : قَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ ذِكْرِ مَسَاوِيِّ الصَّحَابَةِ . وَقَدْ ضَرَبَ عَمْرٌ أَيْضًا ابْنَهُ حَدًّا فَمَاتَ ، وَكَانَ مِمَّنْ عَاوَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَمْ تَمْنَعْهُ مَعَاصِرَتُهُ لَهُ مِنْ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ .

وهذا على عليه السلام يقول : مَا حَدَّثَنِي أَحَدٌ بِحَدِيثٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وآله إلا استخلفته عليه ، أليس هذا اتهاماً لهم بالكذب ! وما استفتى أحداً من المسلمين إلا أبا بكر على ماورد في الخبر ، وقد صرح غير مرة بتكذيب أبي هريرة ، وقال : لا أحداً كذب من هذا الدؤوسى على رسول الله صلى الله عليه وآله . وقال أبو بكر في مرضه الذى مات فيه : ودِدْتُ أنى لم أكشف بيت فاطمة ولو كان أغلى على حرب ، فندم والندم لا يكون إلا عن ذنب .

ثم ينبغى للعاقل أن يفكر فى تأخر على عليه السلام عن بيعة أبي بكر بن ستة أشهر إلى أن ماتت فاطمة ، فإن كان مصيباً فأبو بكر على الخطأ فى انتصابه فى الخلافة ، وإن كان أبو بكر مصيباً فعلى على الخطأ فى تأخره عن البيعة وحضور المسجد ؛ ثم قال أبو بكر فى مرض موته أيضاً للصحابه : فلما استخلفت عليكم خيركم فى نفسى - يعنى عمر - فكلكم وريم لذلك أنفه يريد أن يكون الأمر له ، لما رأيت الدنيا قد جاءت ، أما والله لتتخذن ستائر الديباج ونضائد الحرير^(١) . أليس هذا طعناً فى الصحابة ، وتصريحاً بأنه قد نسبهم إلى الحسد لعمر ، لما نص عليه بالعهد ! ولقد قال له طلحة لما ذكر عمر للأمر : ماذا تقول لربك إذا سألك عن عبادى ، وقد وليت عليهم فظاً غليظاً ! فقال أبو بكر : أجلسونى أجلسونى ، بالله تخوفنى ! إذا سألتى قلت : وليت عليهم خير أهلك ، ثم شتمه بكلام كثير منقول ، فهل قول طلحة إلا طعن فى عمر ، وهل قول أبي بكر إلا طعن فى طلحة !

ثم الذى كان بين أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود من السباب حتى نفي كل واحد منهما الآخر عن أبيه وكلمة أبي بن كعب مشهورة منقولة : مازالت هذه الأمة مكبوبة على وجهها منذ فقدوا نبيهم ، وقوله : ألا هلك أهل العقيدة ، والله ما أسى عليهم إنما أسى على من يضلون من الناس .

(١) الكامل للبرد ١ : ٧ .

ثم قولُ عبد الرحمن بن عوف : ما كنت أرى أن أعيش حتى يقول لي عثمان : يا منافق ؛ وقوله : لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرتُ ما ولّيت عثمان شِيعَ نعلي^(١) ؛ وقوله : اللهم إن عثمان قد أبى أن يقيم كتابك فافعلْ به وافعل .

وقال عثمانُ لعليّ عليه السلام في كلامٍ دارَ بينهما : أبو بكر وعمرُ خيرُ منك ؛ فقال عليّ : كذبت ، أنا خيرُ منك ومنهما ، عبدتُ الله قبلهما ، وعبدته بعدهما .

وروى سُفيانُ بن عُيينة عن عمرو بن دينار ، قال : كنت عند عروة بن الزبير ، فتذاكرناكم أقام النبيُّ بمكة بعد الوَحْي ؟ فقال عروة : أقام عشرة ، فقلت : كان ابنُ عباس يقول : ثلاث عشرة ، فقال : كذب ابنُ عباس . وقال ابنُ عباس : المتعة^(٢) حلال ؛ فقال له جبير بن مطعم : كان عمرُ ينهى عنها ، فقال يا عدوّ نفسه ، من ها هنا ضلّتم ، أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتحدثني عن عمر ! وجاء في الخبر عن عليّ عليه السلام ، لولا ما فعلَ عمرُ بنُ الخطاب في المتعة ما زلّني إلا شقيّ ؛ وقيل : ما زلّني إلا شفاً ، أى قليلاً .

فأمّا سبّ بعضهم بعضاً وقدّح بعضهم في بعض في المسائل الفقهيّة فأكثرُ من أن يُحصَى ، مثلُ قول ابن عباس وهو يردّ على زيد مذهبه القول في الفرائض : إن شاء - أو قال : من شاء - بأهلته^(٣) ، إن الذي أحصى رَمَلَ عالج^(٤) عدداً أعدّل من أن يجعل في مال نصفاً ونصفاً وثلاثاً ، هذان النصفان قد ذهبا بالمال ، فأين موضعُ الثلث !

(١) الشيع : قبال النعل .

(٢) نكاح المتعة ؛ هو أن يتزوج الرجل المرأة يستمتع بها إماماً ثم يتركها .

(٣) بأهل القوم بعضهم بعضاً وابتهلوا : تلاعنوا .

(٤) عالج : موضع به رمل ، معروف .

ومثل قول أبي بن كعب في القرآن : لقد قرأت القرآن وزيد هذا غلام ذو ذؤابتين يلعب بين صبيان اليهود في المكتب .

وقال علي عليه السلام في أمهات الأولاد وهو على المنبر : كان رأي ورأي عمر ألا يُبْعَنَ ، وأنا أرى الآن بيعهن ، فقام إليه عبيدة السلماني ، فقال : رأيك في الجماعة ^(١) أحب إلينا من رأيك في الفرقة .

وكان أبو بكر يرى التسوية في قسم الغنائم ، وخالفه عمر وأنكر فعله .
وأنكرت عائشة على أبي سلمة بن عبد الرحمن خلافه على ابن عباس في عِدَّة المتوفى عنها زوجها وهي حامل ؛ وقالت : فرَّج يصقع ^(٢) مع الديكة .
وأنكرت الصحابة على ابن عباس قوله في الصرف ، وسفَّهوا رأيَه حتى قيل : إنه تاب من ذلك عند موته .

واختلفوا في حدِّ شارب الخمر حتى خطأ بعضهم بعضاً .
وروى بعض الصحابة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : الشُّوم في ثلاثة : المرأة والدار ، والفرس ، فأنكرت عائشة ذلك ، وكذَّبت الراوى وقالت : إنه إنما قال عليه السلام ذلك حكاية عن غيره .

وروى بعض الصحابة عنه عليه السلام أنه قال : التاجرُ فاجرٌ ، فأنكرت عائشة ذلك ، وكذَّبت الراوى وقالت : إنما قاله عليه السلام في تاجر دلس .
وأنكر قوم من الأنصار رواية أبي بكر : « الأئمة من قريش » ، ونسبوه إلى افتعال هذه الكلمة .

(٢) صقع الديك صقعا : صاح .

(١) ب : « لجماعة » .

وكان أبو بكر يقضى بالقضاء فينقضه عليه أصاغِرُ الصحابة كبلال وصُهَيْب ونحوهما .
قد رُوِيَ ذلك في عِدَّة قضايا .

وقيل لأبن عباس : إنَّ عبد الله بن الزبير يزعم أنَّ موسى صاحبَ الخضر ليس مُوسَى
بنى إسرائيل ؛ فقال : كَذَبَ عدُوُّ الله ! أَخْبَرَنِي أَبِي بْنُ كُعب ، قال : خَطَبَنَا رسولُ الله
صَلَّى الله عليه وآله وذَكَرَ كَذَا ؛ بكلامٍ يدلُّ على أنَّ موسى صاحبَ الخضر هو موسى
بنى إسرائيل .

وباع معاويةُ أوانيَ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ بأكْثَر من وزنها ، فقال له أبو الدرداء : سمعتُ
رسولَ الله صَلَّى الله عليه وآله يَنْهَى عن ذلك ، فقال معاوية : أَمَا أَنَا فَلَا أَرَى بِهِ بَأْسًا ؛
فقال أبو الدرداء : مَنْ عَذِيرِي من معاوية ! أَخْبَرَهُ عن الرسولِ صَلَّى الله عليه وسلَّم ،
وهو يُخْبِرُنِي عن رَأْيِهِ ! والله لَا أَسَاكُنُكَ بِأَرْضِي أَبَدًا .

وطعن ابنُ عباس في أبي هريرة ، عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله :
« إِذَا اسْتَيْقِظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلَا يُدْخِلَنَّ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَتَوَضَّأَ » ، وقال : فما
نَصْنَعُ بِالْمِهْرَاسِ ^(١) !

وقال عليٌّ عليه السلام لعمَرَ وقد أَفتاه الصحابة في مسألة وأَجْمَعُوا عليها : إنَّ كانوا
راقِبوكَ فقد غَشُّوكَ ، وإنَّ كانَ هذا جَهدُ رَأْيِهِمْ فقد أَخْطَئُوا .

وقال ابنُ عباس : أَلَا يَتَّقِي اللهَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، يَجْعَلُ ابْنَ الْإِبْنِ ابْنًا ، وَلَا يَجْعَلُ
أَبَ الْأَبِ أَبًا !

وقالت عائشة : أَخْبَرُوا زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ أَنَّهُ قد أَحْبَطَ جِهَادَهُ مع رسولِ الله صَلَّى
الله عليه وسلَّم .

(١) المهراس : إناء مستطيل منقور يتوضأ فيه .

وأنكرت الصحابة على أبي موسى قوله : إنَّ النوم لا يَنْقُضُ الوضوء ، ونسبته إلى الغفلة وقلة التحصيل ، وكذلك أنكرت على أبي طلحة الأنصاري قوله : إنَّ أكل البرد لا يفطر الصائم ، وهزئت به ونسبته إلى الجهل .

وسمع عمرُ عبدَ الله بنَ مسعود وأبي بن كعب يختلفان في صلاة الرجل في الثوب الواحد، فصعد المنبر وقال: إذا اختلف اثنان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن أيُّ فتياكم يصدر المسلمون ! لا أسمع رجلين يختلفان بعد مُقامي هذا إلاّ فعلتُ وصنعتُ .

وقال جرير بنُ كليب : رأيتُ عمرَ ينهى عن المُتعة ، وعلى عليه السلام يأمرُ بها ، فقلت : إنَّ بينكما لشراً ، فقال عليّ عليه السلام : ليس بيننا إلاّ الخير ، ولكن خيرُنا أتبعُنا لهذا الدين .

قال هذا للتكلم : وكيف يصحُّ أن يقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » ؛ لا شبهة أن هذا يُوجب أن يكون أهلُ الشام في صفين على هُدًى ، وأن يكون أهلُ العراق أيضاً على هُدًى ؛ وأن يكون قاتل عمار بن ياسر مهتدياً ؛ وقد صحَّ الخبرُ الصحيحُ أنه قال له : « تقتلك الفئة الباغية » ، وقال في القرآن : ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ ؛ فدلَّ على أنها مدامت موصوفة بالمقام على البغي ، مُفارقة لأمر الله ، ومن يفارق أمر الله لا يكون مهتدياً .

وكان يجب أن يكون بُسرُ بن أبي أرطاة الذي ذبح ولدى عُبيد الله بن عباس الصغيرين مهتدياً ، لأنَّ بُسرّاً من الصحابة أيضاً ، وكان يجب أن يكون عمرو بنُ العاص ومعاوية اللذان كانا يلعبان عليّاً أديباً الصلاة وولديه مهتدين ؛ وقد كان في الصحابة من يزني ومن يشرب الخمرَ كأبي مخنفٍ الثقفي ، ومن يرتدّ عن الإسلام كطلحة ابن خويلد ، فيجب أن يكون كلٌّ من اقتدى بهؤلاء في أفعالهم مهتدياً .

قال : وإنما هذا من موضوعات متعصبة الأموية ، فإن لهم من ينصرهم بلسانه ، وبوضعه الأحاديث إذا عجز عن نصرهم بالسيف .

وكذا القول في الحديث الآخر ، وهو قوله : « القرن الذي أنا فيه » ، وتما يدل على بطلانه أن القرن الذي جاء بعده بخمسين سنة شرّ قرون الدنيا ، وهو أحد القرون التي ذكرها في النص ، وكان ذلك القرن هو القرن الذي قتل فيه الحسين ، وأوقع بالمدينة ، وحوصرت مكة ، ونقضت الكعبة ، وشربت خلفاؤه والقائمون بمقامه والمتنصبون في منصب النبوة الخمر ، وارتكبوا الفجور ، كما جرى ليزيد بن معاوية وليزيد بن عاتكة والوليد بن يزيد ، وأريق الدماء الحرام ، وقُتل المسلمون ، وسُبي الحريم ، واستعبد أبناء المهاجرين والأنصار ، ونُقش على أيديهم كما يُنقش على أيدي الرُّوم ، وذلك في خلافة عبد الملك وإمرة الحجاج . وإذا تأملت كتب التواريخ وجدت الخمسين الثانية شرّاً كلها لاخير فيها ، ولا في رؤسائها وأمرائها ، والناس برؤسائهم وأمرائهم ، والقرن خمسون سنة ، فكيف يصح هذا الخبر .

قال : فأما ماورد في القرآن من قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١) . وقوله : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ ^(٢) .

وقول النبي صلى الله عليه وآله : إن الله اطّلع على أهل بدر ؛ إن كان الخبر صحيحا فكله مشروط بسلامة العاقبة ، ولا يجوز أن يخبر الحكيم مكلفا غير معصوم بأنه لاعقاب عليه ، فليفعل ما شاء .

قال هذا المتكلم : ومن أنصف وتأمل أحوال الصحابة وجدّم مثلنا ، يجوز عليهم مايجوز علينا ، ولا فرق بيننا وبينهم إلا بالصحبة لاغير ، فإن لها منزلة وشرفا ،

ولكن لا إلى حدٍّ يمتنع على كلِّ من رأى الرسولَ أو صحبه يوماً أو شهراً أو أكثر من ذلك أن يخطيء ويَزَلَّ ، ولو كان هذا صحيحاً ما احتاجت عائشةُ إلى نزول براءتها من السماء ، بل كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله من أوَّل يومٍ يعلم كَذِبَ أهل الإفك ، لأنَّها زوجتُه ، وصُحبتُها له آكدُ من صُحبة غيرها . وصَفْوَانُ بن المَعْلَلِ أيضاً كان من الصَّحابة ، فكان ينبغى ألاَّ يضيق صدرُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله ، ولا يَحْمِل ذلك الهمَّ والغمَّ الشديدين اللَّذَيْن حَمَلهما ويقول : صَفْوَانُ من الصَّحابة ، وعائشة من الصَّحابة ، والمعصيةُ عليهما ممتنعة .

وأمثالُ هذا كثير ، وأكثر من الكثير ؛ لمن أراد أن يستقريَّ أحوالَ القوم ، وقد كان التابعونَ يَسْلُكون بالصَّحابة هذا المسلك ، ويقولون في العَصاة منهم مِثْلَ هذا القول ، وإنما اتَّخذهم العامةُ أرباباً بعد ذلك .

قال : وَمَنْ الَّذِي يَحْتَرِي عَلَى الْقَوْلِ بَأْنَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ لَا تَجُوزُ الْبِرَاءَةُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَإِنْ أَسَاءَ وَعَصَى بَعْدَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لِلَّذِي شَرَّفُوا بِرُؤْيَاهُ : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^(١) بعد قوله : ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(٢) وبعد قوله : ﴿ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ ^(٣) ، إلّا من لفهم له ولا نظراً معه ، ولا تمييزاً عنده .

قال : وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اخْتِلَافِ الصَّحَابَةِ ، واطعن بعضهم في بعض وردَّ بعضهم على بعض ، وما ردَّ به التابعون عليهم واعترضوا به أقوالهم ، واختلاف التابعين أيضاً فيما بينهم ، وقدح بعضهم في بعض ، فليُنظر في كتاب النِّظام ، قال الجاحظ : كان النظام

أشدّ الناس إنكاراً على الرافضة ، لظنهم على الصحابة ، حتى إذا ذكّر القُتَيَّا وتنقّل الصحابة فيها ، وقضايهم بالأمور المختلفة ، وقول من استعمل الرأى فى دين الله ، انتنم مطاعن الرافضة وغيرها ، وزاد عليها ؛ وقال فى الصحابة أضعاف قولها .

قال : وقال بعض رؤساء المعتزلة : غلط أبى حنيفة فى الأحكام عظيم ، لأنه أضل خلقاً وغلط حماد^(١) أعظم من غلط أبى حنيفة ، لأن حماداً أصل أبى حنيفة الذى منه تفرّع ، وغلط إبراهيم أغلظ وأعظم من غلط حماد ، لأنه أصل حماد وغلط علقمة^(٢) والأسود^(٣) أعظم من غلط إبراهيم ؛ لأنهما أصله الذى عليه اعتمد ، وغلط ابن مسعود أعظم من غلط هؤلاء جميعاً ، لأنه أول من بدّر إلى وُضع الأذيان برأيه ، وهو الذى قال : أقول فيها برأى ، فإن يكن صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأ فتنى .

قال : واستأذن أصحاب الحديث على ثمامة^(٤) بخراسان حيث كان مع الرّشيد بن المهديّ ، فسأله كتابه الذى صنّفه على أبى حنيفة فى اجتهد الرأى ، فقال : لست على أبى حنيفة كتبت ذلك الكتاب ، وإنما كتبت على علقمة والأسود وعبد الله بن مسعود لأنهم الذين قالوا بالرأى قبل أبى حنيفة .

قال : وكان بعض المعتزلة أيضاً إذا ذكر ابن عباس استصغره وقال : صاحب الذّوابة يقول فى دين الله برأيه .

وذكر الجاحظ فى كتابه المعروف « بكتاب التوحيد » أنّ أباهريرة ليس بثقة فى الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ قال : ولم يكن علىّ عليه السلام يوثقه فى الرواية ، بل يتهمه ، ويقده فيه ، وكذلك عمر وعائشة .

(٢) علقمة بن قيس .

(٤) ثمامة بن أشرس .

(١) حماد هو حماد بن أبى سليمان .

(٣) الأسود بن يزيد .

وكان الجاحظ يفسق عمر بن عبد العزيز ويستهزئ به ويكفره ، وعمر بن العزيز وإن لم يكن من الصحابة فأكثر العامة يرى له من الفضل ما يراه لواحد من الصحابة .

وكيف يجوز أن نحكم حكماً جزماً أن كل واحد من الصحابة عدل ، ومن جملة الصحابة الحكم بن أبي العاص ، وكفالك به عدواً مبغضاً لرسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن الصحابة الوليد بن عتبة الفاسق بنص الكتاب ، ومنهم حبيب بن مسلمة الذي فعل ما فعل بالمسلمين في دولة معاوية ، وبشر بن أبي أرطاة عدو الله وعدو رسوله ، وفي الصحابة كثير من المنافقين لا يعرفهم الناس . وقال كثير من المسلمين : مات رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يعرفه الله سبحانه كل المنافقين بأعينهم ، وإنما كان يعرف قوماً منهم ، ولم يعلم بهم أحداً إلا حذيفة فيما زعموا ، فكيف يجوز أن نحكم حكماً جزماً أن كل واحد ممن صحب رسول الله أو رآه أو عاصره عدل مأمون ، لا يقع منه خطأ ولا معصية ، ومن الذي يمكنه أن يتحجر واسعا كهذا التحجر ، أو يحكم هذا الحكم ؟

قال : والعجب من الحشوية وأصحاب الحديث إذ يجادلون على معاصي الأنبياء ، ويثبتون أنهم عصوا الله تعالى ، وينكرون على من ينكر ذلك ، ويطعنون فيه ، ويقولون : قدرى معتزلى ، وربما قالوا : ملحد مخالف لنص الكتاب ، وقد رأينا منهم الواحد والمائة والألف يجادل في هذا الباب ، فتارة يقولون : إن يوسف قعد من امرأة العزيز مقعد الرجل من المرأة ، وتارة يقولون : إن داود قتل أوريا لينكح امرأته ، وتارة يقولون : إن رسول الله كان كافراً ضالاً قبل النبوة ، وربما ذكروا زينب بنت جحش وقصة الفداء يوم بدر .

فأما قدحهم في آدم عليه السلام ، وإثباتهم معصيته ومناظرتهم من يذكر ذلك

فهو دأبهم ودَيْدَنُهُمْ ، فإذا تكلّم واحد في عمرو بن العاص أو في معاوية وأمثالهم ونسبهم إلى المعصية وفعل القبيح ، احمرّت وجوههم ، وطالت أعناقهم ، وتنازرت أعينهم ، وقالوا : مبتدع رافضى ، يسبّ الصحابة ، ويشتم السلف ، فإن قالوا : إنما اتبعنا في ذكر معاصي الأنبياء نصوص الكتاب ؛ قيل لهم : فاتبعوا في البراءة من جميع النصّة نصوص الكتاب ، فإنه تعالى قال : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلَا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ ^(٢) ، وقال : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ^(٣) .

ثمّ يسألون عن بيعة على عليه السلام : هل هي صحيحة لازمة لكلّ الناس ؟ فلا بدّ من « بلى » ، فيقال لهم : فإذا خرّج على الإمام الحقّ خارجاً أليس يجب على المسادين قتاله حتّى يعود إلى الطاعة ؟ فهل يكون هذا القتال إلّا البراءة التي نذكرها لأنه لا فرق بين الأمرين ، وإلّا برئنا منهم لأنّا لسنا في زمانهم ، فيمكننا أن نقاتل بأيدينا ، فقصارى أمرنا الآن أن نبرأ منهم ونلعنهم ، وليكون ذلك عوضاً عن القتال الذي لا سبيل لنا إليه .

قال هذا المتكلّم : على أنّ النّظام وأصحابه ذهبوا إلى أنّه لا حُجّة في الإجماع ، وأنّه يجوز أن تجتمع الأمة على الخطأ والمعصية ، وعلى الفسق بل على الرّدة ، وله كتاب موضوع في الإجماع يطعن فيه في أدلّة الفقهاء ، ويقول : إنّها ألفاظ غير صريحة في كون الإجماع حجة ، نحو قوله : ﴿ جعلناكم أمة وسطاً ﴾ ^(٤) وقوله : ﴿ كنتم خير أمة ﴾ ^(٥) وقوله : ﴿ ويتبع غير سبيل المؤمنين ﴾ ^(٦) .

(٢) سورة المجرات ٩

(٤) سورة البقرة ١٤٣

(٦) سورة النساء ١١٥

(١) سورة المجادلة ٥

(٣) سورة النساء ٥٩

(٥) سورة آل عمران ١١٠

وأما الخبر الذى صورته : « لا تجتمع أمتى على الخطأ » ، فخيرٌ واحد ، وأمثلةٌ دليل للفقهاء قولهم : إنَّ الهمم المختلفة ، والآراء المتباينة ، إذا كان أربابها كثيرة عظيمة ، فإنه يستحيل اجتماعهم على الخطأ ، وهذا باطل باليهود والنصارى وغيرهم من فرق الضلال . هذه خلاصة ما كان النقيب أبو جعفر ، علَّقه بخطه من الجزء الذى أقرأناه .

ونحن نقول : أمَّا إجماع المسلمين فحجّة ، ولسنا نرتضى ما ذكره عنا من أنه أمثلة دليل لنا أنَّ الهمم المختلفة ، والآراء المتباينة ، يستحيل أن تتفق على غير الصواب ؛ ومن نظر في كتبنا الأصولية علم وثاقّة أدلتنا على صحّة الإجماع وكونه صوابا ، وحجّة تحريم مخالفته ، وقد تكلمتُ في اعتبار الذريعة للمرئضى على ما طعن به المرئضى في أدلة الإجماع .

وأما ما ذكره من الهجوم على دارِ فاطمة وجمع الخطب لتحريقها فهو خبرٌ واحد غير موثوق به ، ولا معول عليه في حق الصحابة ، بل ولا في حق أحد من المسلمين ممن ظهرت عدالته .

وأما عائشة والزبير وطلحة فذهبنا أنهم أخطئوا ، ثم تابوا ، وأنهم من أهل الجنة . وأن عليا عليه السلام شهد لهم بالجنة بعد حرب الجمل .

وأما طعن الصحابة بعضهم في بعض ، فإن الخلاف الذى كان بينهم في مسائل الاجتهاد لا يوجب إثما ، لأن كل مجتهد مُصيب ، وهذا أمرٌ مذكور في كتب أصول الفقه وما كان من الخلاف خارجا عن ذلك فالكثير من الأخبار الواردة فيه غير موثوق بها وما جاء من جهة صحيحة نظر فيه ورجح جانب أحد الصحابيّن على قدر منزلته في الإسلام كما يروى عن عمر وأبي هريرة .

فَأَمَّا عَلَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ عِنْدَنَا بِمَنْزِلَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي تَصْوِيبِ قَوْلِهِ ،
وَالْأَحْتِجَاجِ بِفِعْلِهِ ، وَوَجُوبِ طَاعَتِهِ ؛ وَمَتَى صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ قَدْ بَرَّئَ مِنْ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ
بِرُثْنَانِهِ كَأَنَّهُمَا مَنْ كَانَ ، وَلَكِنَّ الشَّأْنَ فِي تَصْحِيحِ مَا يُرَوَى عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَدْ أَكْثَرَ
الْكَذِبَ عَلَيْهِ ، وَوَلَدَتِ الْعَصْبِيَّةُ أَحَادِيثَ لَا أَصْلَ لَهَا .

فَأَمَّا بَرَاءَتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْغَيْبَةِ وَعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ وَمَعَاوِيَةَ ، فَهُوَ عِنْدَنَا مَعْلُومٌ
جَارٍ تَجَرَّى الْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ ، فَلِذَلِكَ لَا يَتَوَلَّاهُمْ أَصْحَابُنَا ، وَلَا يُثْنُونَ عَلَيْهِمْ ، وَهُمْ عِنْدَ
الْمُعْتَزِلَةِ فِي مَقَامٍ غَيْرِ مَحْمُودٍ ، وَحَاشَ لِلَّهِ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَكَرًا مِّنْ سَلَفٍ مِنْ شَيْوِخِ
الْمُهَاجِرِينَ إِلَّا بِالْجَلِيلِ وَالذِّكْرِ الْحَسَنِ بِمُوجِبِ مَا تَقْتَضِيهِ رِئَاسَتُهُ فِي الدِّينِ ، وَإِخْلَاصُهُ
فِي طَاعَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَمَنْ أَحَبَّ تَتَبَعَ مَا رَوَى عَنْهُ مِمَّا يُؤْمَرُ فِي الظَّاهِرِ خِلَافَ ذَلِكَ
فَلْيَرْاجِعْ هَذَا الْكِتَابَ ، أَعْنَى شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ، فَإِنَّا لَمْ نَتْرِكْ مَوْضِعًا يُؤْمَرُ خِلَافَ
مَذْهَبِنَا إِلَّا وَأَوْضَحْنَاهُ وَفَسَّرْنَاهُ عَلَى وَجْهِ يُوَافِقُ الْحَقَّ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ .

[عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَطَرَفٌ مِنْ أَخْبَارِهِ]

فَأَمَّا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَنَحْنُ نَذْكُرُ نَسَبَهُ وَطَرَفًا مِنْ حَالِهِ مِمَّا ذَكَرَهُ ابْنُ
عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِ الْأَسْتِيعَابِ ^(١) ، قَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ .

هُوَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرِ بْنِ عَامِرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ حَصِينِ بْنِ لَوْذِ بْنِ
ثَعْلَبَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ عَاصِرِ بْنِ نَافِ بْنِ عَنَسٍ - بِالْهَوْنِ - بْنِ مَالِكِ بْنِ أَدَدِ الْعَنْسِيِّ
أَذْجَجِيٍّ ، يَكْنَى أَبَا الْيَقْظَانَ ، حَلِيفُ لَبْنَى مَخْزُومٍ ، كَذَا قَالَ ابْنُ شَهَابٍ وَغَيْرُهُ .

(١) الاستيعاب ٤٣٤ وما بعدها (طبعة الهند) .

وقال موسى بن عقبة : ومَن شهد بذرا عمار بن ياسر حليفَ لبني مخزوم بنِ بَقَّة .

وقال الواقدي وطائفة من أهل العلم : إنَّ ياسراً والد عمار بن ياسر عربيّ قحطانيّ من عَنَس ، من مذحج ، إلَّا أن ابنه عماراً مولى لبني مخزوم ، لأنَّ أباه ياسراً تزوج أمةً لبعض بني مخزوم فأولدها عماراً ، وذلك أنَّ ياسراً قدِمَ مكَّةَ مع أخوين له يقال لهما : الحارث ومالك في طلب أبيخ لهم رابع ، فرجع الحارث ومالك إلى اليمن ، وأقام ياسر بمكة ، فخالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فزوجه أبو حذيفة أمةً له يقال لها سُمَيَّة بنت خياط ، فولدت له عماراً فأعتقه أبو حذيفة ، فصار ولأومه لبني مخزوم ، وللحليف والولاء الذي بين بني مخزوم وعمار بن ياسر كان أجمع بني مخزوم إلى عثمان حين نال من عمار غلمانُ عثمان ما نالوا من الضرب ، حتَّى انفَتَقَ له فَتَقٌ في بطنه وكسروا ضلعاً من أضلاعه ، فاجتمعتُ بنو مخزوم ؛ وقالوا : والله لئن مات لا تقتلنا به أحداً غيرَ عثمان .

قال أبو عمر : وأسلمَ عمار وعبد الله أخوه وياسر أبوهما وسُمَيَّة أمهما ، وكان إسلامُهم قديماً في أول الإسلام فعذبوا في الله عذاباً عظيماً ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وآله يَمْزُ بهم وهم يَعْذَّبون فيقول : « صبراً يا آلَ ياسر ، فإنَّ مَوْعِدَكم الجنة » ، ويقول لهم أيضاً : « صَبِّرا يا آلَ ياسر ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لآلِ ياسر ، وقد فعلت » (٢) .

قال أبو عمر : ولم يزل عمار مع أبي حذيفة بن المغيرة حتَّى مات وجاء الله بالإسلام .

فأمَّا سُمَيَّة فقتلها أبو جهل ، طعنها بحربة في قُبْلِها فماتت ، وكانت من الخِيار

الفاضلات وهي أول شهيدة في الإسلام، وقد كانت قريش أخذت يأسر أو تُسمية وأبديهما؛ وبلا وبلا وخبابا وصهيبا فألبسوه أدرع الحديد، وصهروهم في الشمس حتى بلغ الجهد منهم كل مبلغ، فأعطوهم ماسألوا من الكفر، وسب النبي صلى الله عليه وآله، ثم جاء إلى كل واحد منهم قومه بأنطاع الأدم فيها الماء فالتقوهم فيها، ثم تحلوا بجوانبها، فلما كان العشي جاء أبو جهل فجعل يشتم سمية ويرث، ثم وجأها بحربة في قبلها فقتلها؛ فهي أول من استشهد في الإسلام، فقال عمار للنبي صلى الله عليه وآله : يا رسول الله بلغ العذاب من أمي كل مبلغ، فقال : « صبراً يا أبا اليقظان ، اللهم لا تعذب أحدا من آل ياسر بالنار » ، قال أبو عمر : وفيهم أنزل : ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرِهَ وَقُلِبَهُ مَطْمِئِنَّةً بِالْإِيمَانِ ۝ (١) 》 .

قال : وهاجر عمار إلى أرض الحبشة وصلى القبلتين ، وشهد بدرا والشاهد كلها وأبلى بلاء حسنا ، ثم شهد اليمامة ، فأبلى فيها أيضا ، ويومئذ قطعت أذنه .

قال : وذَكَرَ الواقدي عن عبد الله بن نافع ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمر ، قال : رأيتُ عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف بصيح : يا معشر المسلمين ، أمِنَ الجنة تفرؤون ؟ أنا عمار بن ياسر ، هلموا إليّ ، وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت ، فهي تذذب وهو يقاتل أشد القتال .

قال أبو عمر : وكان عمار طويلا أشهلا ، بعيد ما بين المنكبين ، قال : وقد قيل في صفته : كان آدم طوالا مضطربا ، أشهل العينين ، بعيد ما بين المنكبين ، رجلا لا يغير شيبه .

قال : وكان عمار يقول : أنا ترَبُّ^(١) رسول الله صلى الله عليه وآله ، لم يكن أحداً أقرب إليه سِناً مِنِّي .

قال : وقُتِلَ عمار وهو ابنُ ثلاثٍ وتسعين سنةً ، والخبرُ المرفوعُ مشهور في حَقِّه : « تقتلُك الفئةُ الباغية » ، وهو من دلائل نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأنه إخبارٌ عن غَيْبٍ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في عمار : « مُلِئَ إيماناً إلى مُشاشِه^(٢) » ، ويروى :- « إلى أخمص قَدَمَيْهِ » .

وفضائلُ عمار كثيرة ، وقد تقدم القولُ في ذِكرِ عمار وأخبارِه ، وما ورد في حَقِّه .

(١) ترب الإنسان : من ولد معه في الامام الذي ولد فيه .
(٢) المشاشه : الأصل .

(٤١٤)

الأصل :

وقال عليه السلام :

ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله ، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله سبحانه .

الشرح :

قد تقدم شرح مثل هذه الكلمة مراراً .

وقال الشاعر :

ففتت فاعتقت نفسي ولن	أملك ذا ثروة رفقها
ونزّهتها عن سؤال الرجال	ومنة من لا يرى حقها
وإن القناعة كنز لا يب	إذا ارتقت فتت رفقها
سبعث رزق الشفاه الغراث	وخص البطون الذي شقها ^(١)
فما فارقت مهجة جسمها	لعمرك أو وفيت رزقها
مواعيد ربك مصدوقة	إذا غيرها فققدت صدقها

(١) الغراث : الجباع .

(٤١٥)

الأفضل

قال عليه السلام :

ما استودع الله امرأ عقلاً إلا لِيَسْتَنْقِذَهُ بِهِ يَوْمَ مَا .

البَينُ :

لا بدّ أن يكون للبارئ تعالى في إيداع العقل قلبَ زيد مثلاً غرض ، ولا غرض إلا أن يستدلّ به على ما فيه نجاته وخلّصه ، وذلك هو التّكليف ، فإن قصّر في النّظر وجهل وأخطأ الصّواب فلا بدّ أن يُنقّذه عقله من ورطة من ورطات الدّنيا ، وليس يخلّوا أحدٌ عن ذلك أصلاً ، لأن كلّ عاقل لا بدّ أن يتخلّص من مضرّة سبيلها أن تُنال بإعمال فكرته وعقله في الخلاص منها ؛ فالحاصل أنّ العقل إما أن ينقذ الإنقاذ الدّيني ، وهو الفلاح والنّجاة على الحقيقة ، أو يُنقذ من بعض مهالك الدّنيا وآفاتِها ، وعلى كلّ حال فقد صحّ قولُ أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد رُويت هذه الكلمة مرفوعةً ، ورُويت : « إلا استنقذه به يوماً ما » .

وعنه صلّى الله عليه وآله : « العقل نورٌ في القلب يُفرّق به بين الحقّ والباطل » .
وعن أنسٍ قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الرّجل يكون حسن العقل كثير الذنوب ، فقال : ما من بشرٍ إلا وله ذنوب وخطايا يقرّبها ، فمن كانت سجيّته العقل ، وغريزته اليقين ، لم تضرّه ذنوبه ؛ قيل : كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال :

كَلَّمَا أَخْطَأَ لَمْ يَدَّبْثْ أَنْ يَتَذَكَّرَ ذَلِكَ بَتُوبَةٍ وَنَدَامَةٍ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ ، فَيَمْحُو ذُنُوبَهُ ،
وَيَبْقَى لَهُ فَضْلٌ يَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ .

[نُسَكَّتْ فِي مَدْحِ الْعَقْلِ وَمَا قِيلَ فِيهِ]

وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِنَا فِي الْعَقْلِ وَمَا ذُكِرَ فِيهِ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ؛ وَنَحْنُ نَذْكُرُ هَاهُنَا شَيْئًا آخَرَ:
كَانَ يُقَالُ : الْعَاقِلُ يُرَوِّى ثُمَّ يَرْوِى وَيُنْخَبِرُ ثُمَّ يُنْخَبِرُ .
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَعْتِزِ : مَا أَبْيَنَ وَجْهَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِي مِرَاةِ الْعَقْلِ !
لَقَمَانُ : يَا بَنِيَّ ، شَاوِرْ مَنْ جَرَّبَ الْأُمُورَ فَإِنَّهُ يُعْطِيكَ مِنْ رَأْيِهِ مَا قَامَ عَلَيْهِ بِالْغَلَاءِ
وَتَأْخُذْهُ أَنْتَ بِالْمَجَّانِ .

أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابِكٍ : أَرْبَعَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى أَرْبَعَةٍ : الْحَسَبُ إِلَى الْأَدَبِ ، وَالسُّرُورُ إِلَى
الْأَمْنِ ، وَالْقَرَابَةُ إِلَى الْمَوَدَّةِ ، وَالْعَقْلُ إِلَى التَّجَرُّبَةِ .

الْإِسْكَندَرُ : لَا تَحْتَقِرِ الرَّأْيَ الْجَزِيلَ مِنَ الْحَقِيرِ ، فَإِنَّ الدُّرَّةَ لَا يُسْتَهَانَ بِهَا
لِهُوَانِ غَائِصِهَا .

مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : مَا ابْتَدَأْتُ أَمْرًا قَطُّ بِحَزْمٍ فَرَجَعْتُ عَلَى نَفْسِي بِلَأُئْمَةٍ ، وَإِنْ
كَانَتْ الْعَاقِبَةُ عَلَىَّ ، وَلَا أَضَعْتُ الْحَزْمَ فَسُرُرْتُ وَإِنْ كَانَتْ الْعَاقِبَةُ لِي .

وَصَفَّ رَجُلٌ عَضَدَ الدَّوْلَةِ بْنِ بُؤْيَةَ ، فَقَالَ : لَوْ رَأَيْتَهُ لَرَأَيْتَ رَجُلًا لَهُ وَجْهٌ فِيهِ
أَلْفُ عَيْنٍ ، وَفَمٌّ فِيهِ أَلْفُ لِسَانٍ ، وَصَدْرٌ فِيهِ أَلْفُ قَلْبٍ .

أَتَيْتُ قَوْمًا مِنَ الصَّحَابَةِ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ
وِخْصَالِ الْخَيْرِ حَتَّى بِالْعَوَا ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : كَيْفَ عَقَلُهُ ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ

نَحْبِرْكَ بِاجْتِهَادِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَضُرُوبِ الْخَيْرِ ، وَتَسْأَلُ عَنْ عَقْلِهِ ! فَقَالَ : إِنَّ الْأَحَقَّ لِيَصِيبُ بِحُجْمِهِ أَعْظَمُ مِمَّا يَصِيبُهُ الْفَاجِرُ بِفُجُورِهِ ، وَإِنَّمَا تَرْتَفِعُ الْعِبَادَةُ غَدًّا فِي دَرَجَاتِهِمْ ، وَيَنَالُونَ مِنَ الزُّلْفَى مِنْ رَبِّهِمْ عَلَى قَدَرِ عُقُولِهِمْ .

الرَّيْحَانِيُّ : الْعَقْلُ مَلِكٌ ، وَالْحِصَالُ رَعِيَّتُهُ ، فَإِذَا ضَعُفَ عَنِ الْقِيَامِ عَلَيْهَا ، وَصَلَّ الْخَلَلُ إِلَيْهَا . وَتَمِيعُ هَذَا الْكَلَامِ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : هَذَا كَلَامٌ يَقْطُرُ عَسَلُهُ .
قَالَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ : مَا رَأَيْتُ قَفًّا رَجُلٌ إِلَّا عَرَفْتُ عَقْلَهُ ؛ قِيلَ : فَإِنْ رَأَيْتَ وَجْهَهُ ؟
قَالَ : ذَا كِتَابٌ يُقْرَأُ .

بعض الفلاسفة : عقلُ الغريزة مُسلمٌ إلى عقلِ التجربة .
بعضهم : كلُّ شيءٍ إذا كَثُرَ رَخُصٌ إِلَّا الْعَقْلُ ، فَإِنَّهُ إِذَا كَثُرَ غَلَا .
قالوا في قوله تعالى : ﴿ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ﴾ ^(١) ، أَيْ مِنْ كَانَ عَاقِلًا .
ومن كلامهم : الْعَاقِلُ بِخَشَوَةِ الْعَيْشِ مَعَ الْعَقْلَاءِ آتَسُ مِنْهُ بِلَيْنِ الْعَيْشِ مَعَ السُّفَهَاءِ .

أَعْرَابِيٌّ : لَوْ صُوِّرَ الْعَقْلُ أَظْلَمَتْ مَعَهُ الشَّمْسُ ، وَلَوْ صُوِّرَ الْحَقُّ لِأَضَاءِ مَعَهُ اللَّيْلُ .

قِيلَ لِحَكِيمٍ : مَتَى عَقَلْتَ ؟ قَالَ : حِينَ وُلِدْتُ ، فَأَنْكَرُوا ذَلِكَ ، فَقَالَ : أَمَّا أَنَا فَقَدْ بَكَيْتُ حِينَ جُعْتُ ، وَطَلَبْتُ الثَّدْيَ حِينَ احْتَجَجْتُ ، وَسَكَتُ حِينَ أُعْطِيتُ ؛ يَرِيدُ أَنْ مَنْ عَرَفَ مَقَادِيرَ حَاجَتِهِ فَهُوَ عَاقِلٌ .

الْمَأْمُونُ : إِذَا أَنْكَرْتَ مِنْ عَقْلِكَ شَيْئًا فَاقْدَحْهُ بِعَاقِلٍ .
بُزْرُجِيهِرٌ : الْعَاقِلُ الْحَازِمُ إِذَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ الرَّأْيُ بِمَنْزِلَةٍ مِنْ أَضْلَلِ لَوْلُؤَةٍ فَجَمَعَ مَاحُولَ مَسْقَطِهَا مِنَ الثَّرَابِ ، ثُمَّ التَّمَسَّهَا حَتَّى وَجَدَهَا ، وَكَذَلِكَ الْعَاقِلُ يُجَمِّعُ وَجُوهَ

الرأى فى الأمر المُشكِل ، ثم يَضْرِبُ بعضها فى بعض حتى يَسْتَخْلِصَ الرأى الأصَوْبَ .
كان يقال : هجينٌ عاقلٌ خيرٌ من هيجانٍ جاهِلٍ .

كان بعضهم إذا استُشِيرَ قال لمشاورِهِ : أنظرنى حتى أصقُلَ عَقْلِي بنوْمَةٍ .
إذا نزلت المقادير ، نزلت التدابير . من نَظَرَ فى الْمَغَابِّ ، ظَفَرَ بِالْحَبَابِ . من استدَّتْ
عزائمِهِ اشْتَدَّتْ دَعَائِمُهُ . الرأى السَّديد ، أَجْدَى من الأيدِ الشَّديد .
بعضُهم :

وما أَلَفَ مَطْرُورُ السَّنَانِ مَشْدَدَ يُعَارِضُ يَوْمَ الرُّوعِ رَأْيًا مَسْدَدًا
أَبُو الطَّيِّبِ :

الرأىُّ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشَّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْحُلِّ الْثَانِي^(١)
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعِلْيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ
وَلَرَّبَّمَا طَعَنَ النَّفْسَ أَقْرَانَهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَقْرَانِ
لَوْلَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَذْنَى ضَعِيفٍ أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ
وَلَمَّا تَفَاضَلَتِ النُّفُوسُ وَدَبَّرَتْ أَيْدَى الْكُفَاةِ عَوَالَى الْمُرَانِ

ذَكَرَ الْمَأْمُونُ وَلَدَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : خُصُّوا بِتَدْيِيرِ الْآخِرَةِ ، وَخُرِّمُوا
تَدْيِيرَ الدُّنْيَا .

كان يقال : إذا كان الهوى مقهوراً تحت يَدِ الْعَقْلِ ، وَالْعَقْلُ مُسَلِّطٌ عَلَيْهِ ، صُرِفَتْ
مَسَاوِيءُ صَاحِبِهِ إِلَى الْحَاسَنِ ، فُعِدَّتْ بِلَادَتُهُ حُلماً ، وَحِدَّتْهُ ذَكَاءً ، وَحَدَّرَهُ بِلَاغَةً ، وَعَيَّيْهِ
صَمْتًا ، وَجُبْنَهُ حَدَرًا ، وَإِسْرَافَهُ جُودًا .

(١) ديوانه ٤ : ٣٨٦ .

وذكر هذا الكلام عند بعضهم فقال : هذه خِصِيصَة الحِظِّ نقلها مرتب هذا الكلام إلى العقل .

سمع محمد بن يزيد كاتب المأمون قول الشاعر :

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإنَّ فسادَ الرأي أن تترددا
فأضاف إليه :

وإن كنت ذا عزمٍ فَأَنْفِذه عاجلاً فإنَّ فسادَ العزم أن يتفنَّدا

(٤١٦)

الأضل :

وقال عليه السلام :

مَنْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَعَهُ .

الشَّرْحُ :

هذا مِثْلُ قوله في موضع آخر : مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ ، ونحو هذا

قول الطائي :

وَمَنْ قَامَرَ الْأَيَّامَ عَنْ ثَمَرَاتِهَا فَأُحْجِرَ بِهَا أَنْ تَنْجِلِيَ وَلَهَا الْقَمَرُ

(٤١٧)

الأصل :

وقال عليه السلام :
القلب مصحف البصر .

الشرح :

هذا مثل قول الشاعر :

تخبرني العينا ما القلب كاتم وما جنّ بالبغضاء والنظر الشرير^(١)
يقول عليه السلام : كما أن الإنسان إذا نظر في المصحف قرأ ما فيه ، كذلك
إذا أبصر الإنسان صاحبه فإنه يرى قلبه بوساطة رؤية وجهه ، ثم يعلم ما في قلبه
من حُبٍّ وبُغْضٍ وغيرهما ، كما يعلم برؤية الخطّ الذي في المصحف ما يدلّ
الخطّ عليه .

وقال الشاعر :

إنّ العيون لتبدي في تقلّبها ما في الضمائر من ودٍّ ومن حَقِّق^(٢)

(٢) الحقيق : البصير .

(١) يقال : نظر إليه شزراً : إذا نظر بمؤخر عينيه .

(٤١٥)

الأضل :

وقال له عليه السلام :

الثقى رئيس الأخلاق .

الشرح :

يعنى رئيس الأخلاق الدينية ، لأن الأخلاق الحميدة كالجود والشجاعة والحلم والعفة وغير ذلك ، لو قدرنا انتفاء التكليف العقلية والشرعية ، لم يكن الثقى رئيساً لها ، وإنما رئاسة الثقى لها مع ثبوت التكليف ، لاسيما الشرعى . والثقى فى الشرع هو الورع والخوف من الله ، وإذا حصل حصلت الطاعات كلها ، وانتفت القبايح كلها ؛ فصار الإنسان معصوما ، وتلك طبقة عالية ، وهى أشرف من جميع الطبقات التى يمدح بها الإنسان ، نحو قولنا : جواد أو شجاع أو نحوها ، لأنها طبقة ينتقل الإنسان منها إلى الجنة ودار الثوات الدائم ، وهذه مزية عظيمة يفضل بها على سائر طبقات الأخلاق .

(٤١٩)

الأضل :

وقال عليه السلام :

لَا تَجْعَلَنَّ ذَرْبَ لِسَانِكَ عَلَى مَنْ أَنْطَقَكَ ، وَبَلَاغَةَ قَوْلِكَ عَلَى مَنْ سَدَّدَكَ .

البُخْرُ :

يقول : لا شبهة أن الله تعالى هو الذي أنطقك ، وسدد لفظك ، وعلمك البيان كما قال سبحانه : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾^(١) ، فقبیح أن يجعل الإنسان ذرب لسانه وفصاحة منطقته على من أنطقه وأقدره على العبادة ، وقبيح أن يجعل الإنسان بلاغة قوله على من سدد قوله ، وجعله بليفا حسن التعبير عن المعاني التي في نفسه ، وهذا كمن يُنعم على إنسانٍ بسيفٍ فإنه يقبَح منه أن يقتله بذلك السيف ظلماً قبحا زائداً على مألوف قتله بغير ذلك السيف ، وما أحسن قول المتنبي في سيف الدولة :

ولما كسا كعباً ثياباً طمؤناً بهما رَمَى كُلَّ ثَوْبٍ مِنْ سِنَانٍ بِخَارِقٍ^(٢)
وما يوجع الحرمان من كَفٍّ حازمٍ كما يوجع الحرمان من كَفٍّ رازِقٍ

(٤٢٠)

الأُسْل

وقال عليه السلام :

كَفَّاكَ أَدَبًا لِنَفْسِكَ أَجْتَنَابُ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ .

الشُّنْجُ :

قد قال عليه السلام هذا اللفظ أو نحوه مرارا ، وقد تكلمنا نحن عليه ، وذكرنا
نظائره له كثيرة نثرًا ونظما .

وكتب بعض الكتاب إلى بعض الملوك في حال انتصت ذلك :
ما على ذا افترقنا بشبذان^(١) إذ كنّا ولا هكذا عهدنا الإخاء
تضرب الناس بالمهنة البيض على غدرهم وتلّسّى الوفاء^(٢)

(١) كذا في د ؛ وهو الصواب والذي في « ابشذر » ، وهو تصحيف .

(٢) المهنة : السيوف .

(٤٢١)

الأصل :

وقال عليه السلام يمزى قوما :
 من صبر صبر الأحرار ، وإلا سلا سلو الأغمار .
 وفي خبر آخر أنه عليه السلام قال ، للأشعث بن قيس مزمياً عن ابن له :
 إن صبرت صبر الأكارم ، وإلا سلوت سلو البهائم .

الشرح :

أخذ هذا المعنى أبو تمام بل حكاه فقال :
 وقال علي في التمازي لأشعث وخاف عليه بعض تلك الماشم^(١)
 أنصبر للبلوى عزاء وحسبة فتجر أم تسلو سلو البهائم !

(٤٢٢)

الأصل

وقال عليه السلام في صفة الدنيا :
الدنيا تمر وتضر وتمر ؛ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَرْضَهَا ثَوَاباً لأُولِيائِهِ ،
ولا عِقَاباً لأَعْدَائِهِ .

الشَرْحُ :

قد تقدّم لنا كلام طويل في ذم الدنيا .
ومن الكلام المستحسن قوله : « تَمُرُّ وَتَضُرُّ وَتَمُرُّ » ، والكلمة الثانية أحسن وأجل .
وقرأت في بعض الآثار أن عيسى عليه السلام مرّ بقرية وإذا أهلها موتى في
الطَّرِيقِ والأَفْنِيَةِ ، فقال للتلامذة : إِنَّ هَؤُلَاءِ مَاتُوا عَنْ سَخَطَةٍ ، ولو مَاتُوا عَنْ غَيْرِ ذَلِكَ
لتدافنوا ، فقالوا يا سَيِّدَنَا ، وَدِدْنَا أَنَا عَلِمْنَا خَبَرَهُمْ ، فسأل الله تعالى ، فقال له : إذا كان
الليل فنادهم يحييوك ؛ فلما كان الليلُ أَشْرَفَ على نَشْرِ ثَمِّ ناداهم ، فأجابه مجيب ، فقال :
ما حالكم ، وما قصتكم ؟ فقال : بتنا في عافية ، وأصبحتنا في الهاوية ، قال : وكيف
ذلك ؟ قال : لحبنا الدنيا ، قال : كيف كان حبكم لها ؟ قال : حبّ الصبيّ لأمه ، إذا
أقبلت ففرح بها ، وإذا أدبرت حزّن عليها وبكى ، قال : فما بال أصحابك لم يحييوني ؟
قال : لأنهم ملجَمون بلُجْمٍ من نارٍ بأيدي ملائكةٍ غِلاظٍ شِدَادٍ ؛ قال : فكيف أجبنتي
أنت من بينهم ؟ قال : لأنني كنتُ فيهم ، ولم أكن منهم ، فلما نزل بهم العذابُ
أصابني معهم ، فأنا معلق على شفير جهنم لا أدري أنجو منها أم أكتب فيها ؟ فقال
المسيح لتلامذته : لأَكُلْ خُبْزَ الشَّعِيرِ بالملح الجَرِيشِ ولبسَ المُسُوحِ والنَّوْمِ على المزابلِ
وسِباحِ الأرضِ في حرِّ الصيف ، كثيرٌ مع العافية من عذاب الآخرة .

(٤٢٣)

الأصل :

وَإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَّ كَبٍ ، بَيْنَاهُمْ حُلُولًا إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ فَارْتَحَلُوا .

الشرح :

رُوي : « بَيْنَاهُمْ حُلُول » ، وبيناهم بَيْنَ نفسها ، ووزنها « قَعْلَى » ، أَشْبَعَتْ فَتَحَةُ النون فصارت ألفا ؛ ثم قالوا : « بَيْنَا » فزادوا « ما » ، والمعنى واحد ، تقول : بَيْنَا فَعَلْنَا كَذَا جاء زيد ، أى بين أَوْقَاتِ فَعَلْنَا كَذَا جاء زيدٌ ، والجلُّ قد يضافُ إليها أسماءُ الزمان نحو قولهم : « أَتَيْتُكَ زَمَنَ الْحِجَّاجِ أَمِير » ، ثم حذفوا المضافَ الذى هو أَوْقَاتِ ، وَوَلَّى الظَّرْفَ الذى هو بين الجملة التى أَقْبَسْتُ مَقَامَ المحذوف .

وكان الأصمى يَخْفِضُ بَعْدَ « بَيْنَا » إِذَا صَلَحَ فى موضعه « بَيْن » ، وَيُسَيِّدُ قول أبى ذؤيب بالكسر :

بَيْنَا تَعْنِيهِ الْكَمَاءُ وَرَوَّغِهِ يَوْمَا أُتِيحَ لَهُ جَرِيٌّ سَلَفُ

وغيره يَرْفَعُ ما بعد « بَيْنَا » و « بَيْنَا » على الابتداء والخبر ، فَأَمَّا إِذْ وَإِذَا فَإِنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَمْنَعُونَ مِنْ تَجْيِئِهِمَا بَعْدَ بَيْنَا وَبَيْنَا ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُجَيِّزُهُ ، وَعَلَيْهِ جَاءَ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنشَدُوا :

بَيْنَا النَّاسُ عَلَى عَلَيَّاهَا إِذْ هَوَّأَ فى هَوَّءٍ مِنْهَا فَنَارُوا

وقالت الحرقة بنت الثمان بن المنذر :
وَبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَسْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سَوْقَةٌ نَنْصَفُ^(١)
وقال الشاعر :

استقدر الله خيراً وارضى به فبينما العُسر إذ دارت مياسيرُ
وبينما المرء في الأحياء مُغْتَبِطٌ إذ صار في اللحدِ تَعْفُوهُ الأعاصيرُ
ومثلاً جاء في وصفه الدنيا مما يناسب كلامَ أمير المؤمنين قولُ أبي العتاهية :
إن داراً نحن فيها لدارٌ ليس فيها لمقيم قرارُ
كم وكم قد حلما من أناسٍ ذهبَ الليلُ بهم والنهارُ
فهم الركب قد أصابوا مناخاً فاستراحوا ساعة ثم ساروا
وكذا الدنيا على مارأينا يذهب الناس وتخلو الديارُ

(١) في الأصل « ن نصف » وهو غير مستقيم ، والصواب ما أثبتنا .

(٤٢٤)

الأبْصَلُ :

وقال عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام:
يَا بُنَيَّ ؛ لَا تُخْلَفَنَّ وَرَاءَكَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ تُخْلَفُهُ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ : إِمَّا رَجُلٌ
عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ فَسَعَدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ ، وَإِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ
فَشَقِيَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ ؛ فَكُنْتَ عَوْنًا لَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ؛ وَلَيْسَ أَحَدٌ هَذَيْنِ حَقِيقًا
أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ .

وَيُرْوَى هَذَا الْكَلَامُ عَلَى وَجْهِ آخَرَ ، وَهُوَ :
أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ الَّذِي فِي يَدَيْكَ مِنَ الدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ ، وَهُوَ صَائِرٌ
إِلَى أَهْلِ بَعْدِكَ ، وَإِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ : رَجُلٌ عَمِلَ فِيمَا جَمَعْتَهُ بِطَاعَةِ
اللَّهِ فَسَعَدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ ، أَوْ رَجُلٌ عَمِلَ فِيمَا جَمَعْتَهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ ؛
وَلَيْسَ أَحَدٌ هَذَيْنِ أَهْلًا أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ ، أَوْ تُحْمِلَ لَهُ عَلَى ظَهْرِكَ ؛ فَارْجُ لِمَنْ
مَضَى رَحْمَةُ اللَّهِ ، وَلِمَنْ بَقِيَ رِزْقُ اللَّهِ تَعَالَى .

الْبِشْرُخُ :

رَوَى : « فَإِنَّكَ لَا تُخْلَفُهُ إِلَّا لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ » ، وهذا الفصل نَهَى عَنْ الْإِدْخَارِ ، وَقَدْ
سَبَقَ لَنَا فِيهِ كَلَامٌ مُتَّفَعٌ .

وِخْلَاصَةُ هَذَا الْفَصْلِ أَنَّكَ إِنْ خَلَفْتَ مَا لَا ؛ فَإِمَّا أَنْ تُخْلَفَهُ لِمَنْ يَعْمَلُ فِيهِ بِطَاعَةِ
اللَّهِ ، أَوْ لِمَنْ يَعْمَلُ فِيهِ بِمَعْصِيَتِهِ ، فَالْأَوَّلُ يَسْعَدُ بِمَا شَقِيتَ بِهِ أَنْتَ ، وَالثَّانِي يَكُونُ مُعَانًا

منك على المعصية بما تركته له من المال ، وكلا الأمرين مذموم ، وإنما قال له : « فارجُ
لمن مضى رحمة الله ، ولمن بقى رزق الله » ، لأنه قال في أوّل الكلام : « قد كان لهذا المال
أهل قبلك ، وهو صائرٌ إلى أهلٍ بمدك » .

والكلامُ في ذمّ الادّخار والجمع كثيرٌ ، وللشعراء فيه مذاهبٌ واسعة ومعانٍ حسنة .
وقال بعضهم :

يا جامعاً مانعاً والدّهرُ يرمقه	مدبراً أىّ باب عنه يُفلقه
وناسياً كيف تأتيه منيته	أغادياً أم بها يسرى فتطرّقه
جمعت مالا فقل لي هل جمعت له	يا جامع المال أيا ما تُفرّقه
المالُ عندك مخزونٌ لوارثه	ما المالُ مالكٌ إلا يوم تُنفقه
أرّفه ببالٍ فتى يندو على ثقةٍ	أنّ الذى قَسَمَ الأرزاقَ يرزقه
فالعرض منه مَصُونٌ لا يدنسه	والوجهُ منه جديدٌ ليس يُخلقه
إنّ القناعة من يحلُّ بساحتها	لم يلق في ظلّها همّاً يؤرّقه

(٤٢٥)

الأفضل :

وقال عليه السلام لقائل قال بحضرتہ استغفرُ الله : نَكَلْتِكَ أَثْمَكَ ! أَتَدْرِي مَا الاسْتِغْفَارُ؟ إِنَّ للاِسْتِغْفَارِ دَرَجَةَ الْعَلِيِّينَ ، وَهُوَ اسْمٌ وَاقِعٌ عَلَى سِتَّةِ مَعَانٍ : أَوَّلُهَا الذَّمُّ عَلَى مَا مَضَى ، وَالثَّانِي الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَدًا ، وَالثَّالِثُ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ ، وَالرَّابِعُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيْعَتَهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا ، وَالخَامِسُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اللَّعْظِ الَّذِي نَبَتَ عَلَى الشَّحْتِ فَتُذَيِّبَهُ بِالْأَحْزَانِ حَتَّى تُلْصِقَ الْجِلْدَ بِالْعَظْمِ ، وَيَلْشَأَ بَيْنَهُمَا عِلْمٌ جَدِيدٌ ، السَّادِسُ أَنْ تُذَيِّقَ الْجَنَسَ أَلَمَ الطَّاعَةِ سَمَا أَدَقَّتْهُ حَلَاوَةُ الْمَعْصِيَةِ ، فَمَعِنَدَ ذَلِكَ تَقُولُ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ .

الشرح :

قد روي : « إِنَّ الاسْتِغْفَارَ دَرَجَةُ الْعَلِيِّينَ » ، فيكون على تقدير حذف مضاف ، أي أَنَّ دَرَجَةَ الاسْتِغْفَارِ دَرَجَةُ الْعَلِيِّينَ ، وعلى الرواية الأولى يكون على تقدير حذف مضاف ، أي أَنَّ لصاحب الاستغفار دَرَجَةُ الْعَلِيِّينَ . وهو هاهنا جمعٌ على « فَعِيل » كضليل وخير ، تقول : هذا رجلٌ على ؛ أي كثيرُ العلوِّ ، ومنه العلية للغرفة على إحدى اللغتين ، ولا يجوز أن يفسر بما فسّر به الراوندي من قوله : إنه اسمُ السماء السابعة ، ونحو قوله : « هو سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى » ، ونحو قوله : « هو موضعٌ تحت قَائِمَةِ الْعَرْشِ الْيَمْنِيِّ » ؛ لأنه لو كان كذلك لكان

علماً ، فلم تدخله اللام . كما لا يقال : « الجهنم » ، وكذلك أيضاً لا يجوز تفسيره بما فسره الراوندى أيضاً ؛ قال : العليين ، جمع على : الأمكنة في السماء ، لأنه لو كان كذلك لم يجمع بالنون لأنها تختص بمن يعقل ، وتصلح أن تكون الوجوه الأولى تفسيراً لقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ ^(١) .

قوله : « نَبَتَ عَلَى الشَّجَتِ » ، أى على الحرام ؛ يقال : سُحِتَ ، بالنسكين ، وسُحِتَ بالضم ، وأسحت الرجل في تجارته ؛ أى اكتسب الشجته .

[فصل في الاستغفار والتوبة]

وينبغي أن نذكر في هذا الموضوع كلاماً مختصراً مما يقوله أصحابنا في التوبة ؛ فإن كلام أمير المؤمنين هو الأصل الذي أخذ منه أصحابنا مقالاتهم ، والذي يقولونه في التوبة ، فقد أتى على جوامعه عليه السلام في هذا الفصل على اختصاره .

قال أصحابنا : الكلام في التوبة يقع من وجوه : منها الكلام في ماهية التوبة والكلام في إسقاطها الذم والعقاب ، والكلام في أنه يجب علينا فعلها ، والكلام في شرطها .

أما ماهية التوبة فهي الندم والعزم ، لأن التوبة هي الإنابة والرجوع ، وليس يمكن أن يرجع الإنسان عما فعله إلا بالندم عليه ، والعزم على ترك معاودته ، وما يتوب الإنسان منه ؛ إما أن يكون فعلاً قبيحاً ، وإما أن يكون إخلالاً بواجب ، فالتوبة من الفعل القبيح هي أن يندم عليه ، ويعزم ألا يعود إلى مثله ، وعزمه على ذلك هو كراهيته لفعله ، والتوبة من الإخلال بالواجب هي أن يندم على إخلاله بالواجب

(١) الطففين : ١٨ .

ويعزم على أداء الواجب فيما بعد .

فأما القول في أن التوبة تُسقط العذاب فعندنا أن العقل يقتضي قُبْح العقاب بعد التوبة ، وخالف أكثر المُرَجَّة في ذلك من الإمامية وغيرهم ؛ واحتج أصحابنا بقُبْح عقوبة المسيء إلينا بعد ندمه واعتذاره وتنصُّله ، والعلم بصدقه والعلم بأنه عازمٌ على ألا يعود .

فأما القول في وجوب التوبة على العصاة ؛ فلا ريب أن الشرع يوجب ذلك ، فأما العقل فالقول فيه أنه لا يخلو المكلف إما أن يعلم أن معصيته كبيرة ، أو يعلم أنها صغيرة ، أو يجوز فيها كلا الأمرين ، فإن علم كونها كبيرة وجب عليه في العقول التوبة منها ، لأن التوبة مُرَبِّلة لضرر الكبيرة ، وإزالة المضار واجبة في العقول ، وإن جَوَز كونها كبيرة وجَوَز كونها صغيرة ، لزمه أيضا في العقل التوبة منها ، لأنه يأمن بالتوبة من مَضَرَّة مخوفة ، وفعل ما يؤمن من المضار الخوفة واجب ، وإن علم أن معصيته صغيرة ؛ وذلك كمعاصي الأنبياء ، وكن عصى ثم علم بإخبار نبي أن معصيته صغيرة محبطة ، فقد قال الشيخ أبو علي : إن التوبة منها واجبة في العقول ، لأنه إن لم يتب كان مُصِرًّا والإصرار قبيح .

وقال الشيخ أبو هاشم : لا تجب التوبة منها في العقل بالشرع ، لأنَّ فيها مصلحة يعلمها الله تعالى ، قال : إنه يجوز أن يخلو الإنسان من التوبة عن الذنب ، ومن الإصرار عليه ، لأنَّ الإصرار عليه هو العزم على مُعاوَدَةِ مثله ، والتوبة منه أن يَكْرَه معاوَدَةَ مثله مع الندم على ما مضى ، ويجوز أن يخلو الإنسان من العزم على الشيء ، ومن كراهته .

ومال شيخنا أبو الحسين رحمه الله إلى وجوب التوبة هاهنا عقلا ، لدليل غير دليل أبي علي رحمه الله .

فأما القولُ في صفات التَّوْبَةِ وشروطها فإنها على ضربين :

أحدهما يعمّ ^(١) كلَّ توبة ، والآخر يختلف بحسب اختلاف ما يتاب منه ، فالأول هو الندم والعزم على ترك المعاودة .

وأما الضرب الثاني ؛ فهو أن ما يتوب منه المكلف إما أن يكون فعلاً أو إخلالاً بواجب ؛ فإن كان فعلاً قبيحاً وجب عند الشيخ أبي هاشم رحمه الله أن يندم عليه ، لأنه فعل قبيح ، وأن يكره معاودة مثله لأنه قبيح ، وإن كان إخلالاً بواجب وجب عليه عنده أن يندم عليه ، لأنه إخلالٌ بواجب ، وأن يعزم على فعلٍ مثله ما أخلَّ به لأنه واجب ؛ فإن ندم خوف النار فقط ، أو شوقاً إلى الجنة فقط ، أو لأن القبيح الذي فعله يضرّ ببدنه كانت توبته صحيحة ^(٢) ، وإن ندم على القبيح لقبحه وخوف النار ، وكان لو انفرد قبحه ندم عليه ، فإن توبته تكون صحيحة ، وإن كان لو انفرد القبح لم يندم عليه ؛ فإنه لا تكون توبته صحيحة عنده ، والخلاف فيه مع الشيخ أبي عليٍّ وغيره من الشيوخ رحمهم الله ؛ وإنما اختار أبو هاشم هذا القول لأن التوبة تجري مجرى الاعتذار بيننا ؛ ومعلوم أن الواحد منا لو أساء إلى غيره ثم ندم على إساءته إليه واعتذر منها خوفاً من معاقبته له عليها ، أو من معاقبة السلطان حتى لو أمن العقوبة ، لما اعتذر ولا ندم ، بل كان يؤاويل الإساءة ، فإنه لا يسقط ذمّه ، فكذلك التوبة خوف النار لا يقبح الفعل .

وقد نقل قاضي القضاة هذا المذهب عن أمير المؤمنين عليه السلام والحسن البصريّ وعليّ بن موسى الرضا والقاسم بن إبراهيم الزينبيّ .

قال أصحابنا : وللتوبة شروط آخر تختلف بحسب اختلاف المعاصي ، وذلك أن

(٢) في ب : « توبة كانت صحيحة » . . وصوابه من : د ، ا .

(١) د : « يعم » .

ما يتوب منه المكلف ؛ إما أن يكون فيه لآدمي حقٌ أولاً حقٌ فيه لآدمي ، فما ليس
الآدمي فيه حقٌ فنحو ترك الصلاة ، فإنه لا يجب فيه إلا الندم والعزم على ما قدمنا
وما لآدمي فيه حقٌ على ضربين : أحدهما أن يكون جنائياً عليه في نفسه أو أعضائه أو
ماله أو دينه ، والآخر ألا يكون جنائياً عليه في شيء من ذلك ، فما كان جنائياً عليه في
نفسه أو أعضائه أو ماله ، فالواجب فيه الندم والعزم ، وأن يشرع في تسليم بدل
ما أثلف ، فإن لم يتمكن من ذلك لفقر أو غيره عزم على ذلك إذا تمكن منه ، فإن مات
قبل التمكن لم يكن من أهل العقاب ، وإن جنى عليه في دينه بأن يكون قد أضلَّ بشبهة
استزله بها ؛ فالواجب عليه مع الندم والعزم والأجتهاد في حلِّ شتمته من نفسه ، فإن
لم يتمكن من الاجتماع به عزم على ذلك إذا تمكن ، فإن مات قبل التمكن ، أو تمكن
منه وأجهده في حلِّ الشبهة فلم تنحل من نفس ذلك الضالِّ ، فلا عقاب عليه ؛
لأنه قد استفرغ جهده ؛ فإن كانت المعصية غير جنائية نحو أن يفتابه أو يسمع غيبته فإنه
يلزمه الندم والعزم ، ولا يلزمه أن يستحله أو يعتذر إليه ، لأنه ليس يلزمه أرش^(١)
لمن أغتابه فيستحله ، ليستط عنه الأرش ، ولا غمّه فيزيل غمّه بالاعتذار ، وفي ذكر الغيبة
له ليستحله فيزيل غمّه منها إدخال غمٍّ عليه ، فلم يجز ذلك ، فإن كان قد أسمع المعتاب
غيبته فذلك جنائياً عليه ، لأنه قد أوصل إليه مضرّة النعم ، فيلزمه إزالة ذلك بالاعتذار .

(١) الأرش : دية الجراحات ؛ وقيل هو الجراحات نفسها تكون على قدر معلوم .

(٤٢٦)

الأصل :

وقال عليه السلام : الحِلْمُ عَشِيرَةٌ .

الشرح :

كان يقال : الحلم جنودٌ مجنّدة لأرزاقِ لها .

وقال عليه السلام : وجدتُ الأحمالَ أنصَرَ لي من الرجال .

وقال الشاعر :

وَلَلْكَفُّ عَنْ شَتْمِ اللّٰثِمِ تَكْرُمًا أَضَرُّ لَهُ مِنْ شَتْمِهِ حِينَ يَشْتَمُ

وكان يقال : مَنْ غَرَسَ شَجَرَةَ الْحِلْمِ ، اجْتَنَى ثَمَرَهُ ^(١) السَّلَامَ .

وقد تقدّم من القول في الحِلْمِ ما فيه كفاية .

(١) في ب « شجرة » وهو تصحيف .

(٤٢٧)

الأفضل :

وقال عليه السلام :

مِسْكِينُ ابْنِ آدَمَ ! مَكْتُومُ الْأَجَلِ ، مَكْنُونُ الْعِلَالِ ، مُحْفُوظُ الْعَمَلِ ، يُؤْلِمُهُ
الْبَقَّةُ ، وَتَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ ، وَتُنْقِضُهُ الْعَرَقَةُ .

الشرح :

قد تقدم هاهنا خبر المبتدأ عليه ، والتقدير : «ابنُ آدمِ مسكين» ، ثم بين مسكنته من
أين هي ؟ فقال : إنها من ستة أوجه : أجله مكتوم لا يدري متى يُخْتَرَمُ ، وعِله باطنة
لا يدري بها حتى تهيج عليه ، وعمله محفوظ ؛ ﴿ مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً
وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ ^(١) ، وقرص البقة يؤلمه ، والشرقة بالماء تقتله ، وإذا
عرق أنقضته العرقة الواحدة وغيّرت ريحه ؛ فمن هو على هذه الصفات فهو مسكين
لاحالة ، لا ينبغي أن يأمن ولا أن يفخر .

(١) سورة الكهف ٤٩ .

(٤٢٨)

الأُضَلُ :

وَيُرَوَّى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ جَالِسًا فِي أَصْحَابِهِ إِذْ مَرَّتْ بِهِمْ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ فَرَمَقَهَا الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
إِنَّ أَبْصَارَ هَذِهِ الْفُجُولِ طَوَامِحُ ، وَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبُ هَبَابِهَا ؛ فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى امْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيَلَامِسْ أَهْلَهُ ، فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَأَمْرَأَتِهِ .
فَقَالَ رَجُلٌ مِّنْ أَتْلُوَارِجٍ : قَاتَلَهُ اللَّهُ كَافِرًا ، مَا أَفْقَهُهُ !
قَالَ : فَوَيْتَبَ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ ؛ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
رُؤُودًا ، إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبِّ ، أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ .

الْبَرْخُ :

تَقُولُ : هَبَّ الْفَيْحَلُ وَالتَّيْسَ يَهَبُ بِالْكَسْرِ هَبِيبًا أَوْ هَبَابًا ؛ إِذَا هَاجَ لِلضَّرَابِ أَوْ لِلسَّفَادِ ، وَالْهَبَابُ أَيْضًا : صَوْتُ ، وَالتَّيْسُ إِذَا هَبَّ فَهُوَ مِنْهَبَابٍ ؛ وَقَدْ هَبَّهَبْتُهُ ، أَيْ دَعَوْتُهُ لِيَنْزُوَ ^(١) فَتَهَبِبُ ؛ أَيْ تَزْعَزَعُ .

وَسَأَلَنِي صَدِيقُنَا عَلِيُّ بْنُ الْبَطْرِيقِ عَنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ فَقَالَ : مَا بَالُهُ عَفَا عَنْ الْخَارِجِيِّ وَقَدْ طَعَنَ فِيهِ بِالْكَفْرِ ، وَأَنْكَرَ عَلَى الْأَشْعَثِ قَوْلَهُ : « هَذِهِ عَلَيْكَ لَا لَكَ » ، فَقَالَ :

(١) نَزَا : وَثَبَ .

ما يُدْرِيكَ عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي ! حَائِثُكَ ابْنُ كَافِرٍ ! وَمَا وَاجِبُهُ
بِهِ الْخَارِجِيُّ أَفْطَحَ مِمَّا وَاجِبُهُ الْأَشْعَثُ ! فَقُلْتُ : لَا أُدْرِي .

قال : لِأَنَّ كُلَّ صَاحِبِ فَضِيلَةٍ يَعْظُمُ عَلَيْهِ أَنْ يُطْعَمَ فِي فَضِيلَتِهِ تِلْكَ ، وَيُدَّعَى عَلَيْهِ
أَنَّهُ فِيهَا نَاقِصٌ ، وَكَانَ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْتَ الْعِلْمِ ، فَلَمَّا طَعِنَ فِيهِ الْأَشْعَثُ طَعِنَ بِأَنَّكَ
لَا تَدْرِي مَا عَلَيْكَ مِمَّا لَكَ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَأُمْتَعَصَ مِنْهُ ، وَجَبَّهِ وَلَعْنَهُ ؛
وَأَمَّا الْخَارِجِيُّ فَلَمْ يُطْعَمَ فِي عِلْمِهِ ، بَلْ أُثْبِتَهُ لَهُ ، وَاعْتَرَفَ بِهِ ، وَتَعَجَّبَ مِنْهُ ، فَقَالَ :
« قَاتَلَهُ اللَّهُ كَافِرًا مَا أَقَمَّهُ ! » ، فَأَعْتَقَهُ لَهُ لَفْظَةً « كَافِر » بِمَا أَعْتَرَفَ لَهُ بِهِ مِنْ عُلُوِّ طَبَقَتِهِ
فِي الْفِقْهِ ، وَلَمْ يَحْشُنْ عَلَيْهِ خُسُونَتَهُ عَلَى الْأَشْعَثِ ، وَكَانَ قَدْ مَرَّنَ عَلَى سَمَاعِ قَوْلِ الْخَوَارِجِ :
أَنْتَ كَافِرٌ ، وَقَدْ كَفَرْتَ ، يَمْنُونُ التَّحْكِيمَ ، فَلَمْ يَحْفَلِ بِتِلْكَ اللَّفْظَةِ وَهِيَ أَصْحَابُهُ عَنْ قَتْلِهِ
مَحَافَظَةً وَرَعَايَةً لَهُ عَلَى مَا مَدَحَهُ بِهِ .

(٤٢٩)

الأسئل

وقال عليه السلام :

كَفَاكَ مِنْ عَقْلِكَ ، مَا أَوْضَحَ لَكَ سُبُلَ غَيْبِكَ مِنْ رُشْدِكَ .

الشرح :

يقول عليه السلام : كَفَى الْإِنْسَانُ مِنْ عَقْلِهِ مَا يَفْرِقُ بِهِ بَيْنَ الْغَيِّ وَالرَّشَادِ ، وَبَيْنَ الْحَقِّ مِنَ الْعَقَائِدِ وَالْبَاطِلِ ، فَإِنَّهُ بِذَلِكَ يَتِمُّ تَكْلِيفُهُ ، وَلَا حَاجَةَ فِي التَّكْلِيفِ ، وَالْفَرْقِ بَيْنَ الْغَيِّ وَالرَّشْدِ إِلَى زِيَادَةِ عَلَى ذَلِكَ ، نَحْوِ التَّجَارِبِ الَّتِي تُفِيدُهُ الْحَزْمُ التَّامُّ ، وَمَعْرِفَةِ أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا ، وَأَيْضًا لَا حَاجَةَ لَهُ إِلَى أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ مِنَ الْفِطْنَةِ الثَّاقِبَةِ وَالذِّكَاءِ التَّامِّ مَا يَسْتَنْبِطُ بِهِ دَقَائِقَ الْكَلَامِ فِي الْحِكْمَةِ وَالْمُهَنْدَسَةِ وَالْعُلُومِ الْفَاعِلَةِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ فَضْلٌ مُسْتَغْنَى عَنْهُ ، فَإِنْ حُصِّلَ لِلْإِنْسَانِ فَقَدْ كَمُلَ ، وَإِنْ لَمْ يُحْصَلِ لِلْإِنْسَانِ فَقَدْ كَفَاهُ فِي تَكْلِيفِهِ وَنَجَاتِهِ مِنْ مَعَاطِبِ الْعِصْيَانِ مَا يَفْرِقُ بِهِ بَيْنَ الْغَيِّ وَالرَّشَادِ ، وَهُوَ حَصُولُ الْعُلُومِ الْبَدِيعِيَّةِ فِي الْقَلْبِ ، وَمَا جَرَسَى تَجْرَاهَا مِنْ عُلُومِ الْعَادَاتِ ، وَمَا يَذْكُرُهُ أَصْحَابُنَا فِي بَابِ التَّكْلِيفِ .

(٤٣٠)

الأصل :

وقال عليه السلام :

افعلوا الخير ، وَلَا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئًا ، فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ ، وَقَلِيلُهُ كَثِيرٌ
وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : إِنْ أَحَدًا أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي ، فَيَكُونَ وَاللَّهِ كَذَلِكَ .

الشرح :

القليلُ من الخير خيرٌ منَ عدمِ الخيرِ أصلاً .

قال عليه السلام : لا يقولَنَّ أحدُكم إِنْ فلاناً أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي ، فيكون والله
كذلك ، مثاله قومُ مُوسِرُون في محلة واحدة ، قَصَدَ واحداً منهم سائلٌ فردّه ، وقال له :
اذهبْ إلى فلان ، فهو أَوْلَى بأن يتصدقَ عليك مِنِّي ، فإنّ هذه الكلمة تقال دائماً ، ههـ
عليه السلام عن قولها وقال : « فيكونَ والله كذلك » ، أى أنّ الله تعالى يوفِّقُ ذلك
الشخصَ الذي أُحيلَ ذلك السائلُ عليه ، ويُيسِّرُ الصدقةَ عليه ، ويُقوِّى دواعيه إليها ، فيفعلها
فتكون كلمة ذلك الإنسان الأول قد صادفتُ قَدَرًا وقضاءً ، ووقعَ الأمرُ بموجِبِها .

(٤٣١)

الأصل :

إِنَّ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَهْلًا ، فَمَهْمَا تَرَكَتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَا كُمُوهُ أَهْلُهُ .

الشرح :

يقول عليه السلام : إِنَّ عَنْ لَكَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ وَتَرَكَتَهُ ، فَسَوْفَ يَكْفِيكَهُ
بَعْضُ النَّاسِ مِمَّنْ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلًا لِلْخَيْرِ وَإِسْدَاءَ الْمَعْرُوفِ إِلَى النَّاسِ ، وَإِنْ عَنْ لَكَ
بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الشَّرِّ فَتَرَكَتَهُ ، فَسَوْفَ يَكْفِيكَهُ بَعْضُ النَّاسِ مِمَّنْ جَعَلَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ وَسُوءَ
اخْتِيَارِهِمْ أَهْلًا لِلشَّرِّ وَأَذَى النَّاسِ ؛ فَأَخْتَرُ لِنَفْسِكَ أَيُّمَا أَحَبَّ إِلَيْكَ ، أَنْ تَحْطَى بِالْمَحْمَدَةِ
وَالثَّوَابِ ، وَتَفْعَلَ مَا إِنْ تَرَكَتَهُ فَعَلَهُ غَيْرُكَ وَحَظِيَ بِحَمْدِهِ وَثَوَابِهِ ، أَوْ أَنْ تَتْرُكَهُ ! وَأَيُّمَا
أَحَبَّ إِلَيْكَ : أَنْ تَشْقَى بِالذَّمِّ عَاجِلًا ، وَالْعِقَابِ آجِلًا ، وَتَفْعَلَ مَا إِنْ تَرَكَتَهُ كَفَاكَ
غَيْرُكَ ، وَبَلَغْتَ غَرَضَكَ مِنْهُ عَلَى يَدِ غَيْرِكَ ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَ ؟ وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْعَاقِلَ يَخْتَارُ
فَعْلَ الْخَيْرِ وَتَرْكَ الشَّرِّ إِذَا أَفْكَرَ حَقَّ الْفِكْرِ فِيمَا قَدْ أَوْضَحْنَاهُ^(١) .

(٤٣٢)

الأضل :

وقال عليه السلام :

مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتُهُ ، أَصْلَحَ اللَّهُ عِلَاقَتَهُ ، وَمَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ ، كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَهُ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ ، أَحْسَنَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ .

الشنخ :

لا ريبَ أنَّ الأعمالَ الظاهرةَ تبعُ للأعمالِ الباطنة ، فَمَنْ صَلَحَ باطنُهُ صَلَحَ ظاهرُهُ وبالعكس ، وذلك لأنَّ القلبَ أميرٌ مسلطٌ على الجوارح ، والرعيةُ تتبعُ أميرَها ولا ريبَ أنَّ مَنْ عَمِلَ لدينه كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ ، وقد شهد بذلك الكتابُ العزيزُ في قوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (١) .

ولهذا أيضا علةٌ ظاهرة ؛ وذلك أنَّ مَنْ عَمِلَ لله سبحانه وللدِّينِ فإنه لا يخفى حاله في أكثر الأمر عن الناس ، ولا شبهة أنَّ الناس إذا حسنت عقيدتهم في إنسان وعلموا متانة دينه بوبوا له إلى الدنيا أبواباً لا يحتاج أن يتكلفها ، ولا يتعب فيها ، فيأتيه رزقه من غير كلفة ولا كد ؛ ولا ريبَ أنَّ مَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَحْسَنَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، وذلك لأنَّ القلوبَ بالضرورة تميلُ إليه وتحبه ، وذلك لأنه إذا كان مُحْسِنًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ عَفَّ عن أموالِ الناس ودِمَائِهِم وأعراضِهِم ، وترك الدخولَ فيما لا يَمْنِيهِ ، ولا شبهة أنَّ مَنْ كان بهذه الصِّفة فإنه يحسن ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ .

(١) سورة الطلاق آية (٣، ٢) .

(٤٣٣)

الاضليل :

وقال عليه السلام :
الْحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ ، وَالْعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ ، فَاسْتُرْ خَلْلَ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ ، وَقَاتِلْ
هَوَاكَ بِعَقْلِكَ .

الشنخ :

لَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْحِلْمَ غِطَاءً ، وَالْعَقْلَ حُسَامًا ، أَمَرَهُ أَنْ يَسْتُرَ خَلْلَ خُلُقِهِ بِذَلِكَ الْغِطَاءِ
وَأَنْ يُقَاتِلَ هَوَاهُ بِذَلِكَ الْحُسَامِ ، وَقَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ فِي الْحِلْمِ وَالْعَقْلِ .

(٤٣٤)

الأصل

وقال عليه السلام :

إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا يَخْتَصُّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ ، فَيَقْرُهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا ، فَإِذَا مَتَّعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ، ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ .

الشرح :

قد ذكرنا هذا المعنى فيما تقدم ، وقد قالت الشعراء فيه فأكثرُوا ، وقريبٌ من ذلك قولُ الشاعر :

وبالناس عاشَ الناسُ قَدَمًا ولم يَزَلْ	من الناسِ مَرغوبٌ إليه وَرَاقِبُ
وأشدَّ تصريحًا بالمعنى قول الشاعر :	
لم يُعطِكَ اللهُ ما أُعْطَاكَ من نِعَمٍ	إِلَّا لِتُوسِعَ من يَرْجُوكَ إِحْسَانًا
فإنْ مَنَعْتَ فَأَخْلَقْ أَنْ تُصَادِفَهَا	تطيرُ عنكَ زرافاتٍ وَوَحْدَانًا

(٤٣٥)

الأفضل :

وقال عليه السلام :

لَا يَلْبِغِي الْعَبْدُ أَنْ يَثِقَ بِخَصْلَتَيْنِ : الْعَافِيَةِ وَالْغِنَى ، بَيْنَمَا تَرَاهُ مُعَافًى إِذَا سَقِمَ
وَبَيْنَمَا تَرَاهُ غَنِيًّا إِذَا افْتَقَرَ .

الشرح :

قد تقدّم القولُ في هذا المعنى .

وقال الشاعر :

وَبَيْنَمَا الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ مُغْتَبِطٌ إِذْ صَارَ فِي اللَّحْدِ تَسْفِيهِ الْأَعَاصِرُ
وقال آخرُ :

لَا يُغَرِّبُكَ عِشَاءٌ سَاكِنٌ قَدْ يُوَارِي بِالْمَنِيَّاتِ السَّحَرُ
وقال عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ :

وَإِذَا مَا أَعَارَكَ الدَّهْرُ شَيْئًا فَهُوَ لَا بَدَّ أَخِيذٌ مَا أَعَارَا
آخر :

يَفْرُ الْفَتَى مَرُّ اللَّيَالِي سَلِيمَةً وَهُنَّ بِهِ عَمَّا قَلِيلٍ عَوَائِرُ
وقال آخر :

وَرُبَّ غَنِيٍّ عَظِيمِ الثَّرَاءِ أَمْسَى مُقْلًا عَدِيمًا فَقَتِيرًا
وَكَمْ بَاتَ مِنْ مُتَرَفٍّ فِي الْقُصُورِ فَعُوْضٌ فِي الصَّبْحِ عَنْهَا الْقُبُورَا

(٤٣٦)

الأصل :

وقال عليه السلام :

مَنْ شَكَا الْحَاجَةَ إِلَى مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّمَا شَكَاهَا إِلَى اللَّهِ ، وَمَنْ شَكَاهَا إِلَى كَافِرٍ فَكَأَنَّمَا شَكَاهَا إِلَى اللَّهِ .

الشرح :

قد تقدّم القولُ في شكوى الحالِ وكراهيتها ، وكلامُ أمير المؤمنين عليه السلام يدلُّ على أنه لا يكره شكوى الحالِ إلى المؤمن ، ويكرهها إلى غير المؤمن ، وهذا مذهبُ دينيٍّ غيرُ المذهبِ العُرْفِيِّ .

وأكثر مذاهبه ومقاصده عليه السلام في كلامه ينحرف فيها نحو الدين والورع والإسلام ، وكأنّه يجعل الشكوى إلى المؤمن كالشكوى إلى الخالق سبحانه ، لأنه لا يشكو إلى المؤمن إلّا وقد خلت شكواه من التسخط والتأفف ، ولا يشكو إلى الكافر إلّا وقد شاب شكواه بالاستزادة والتّضجّر ، فافترقت الحالُ في الموضعين .

فأما المذهب المشهورُ في العُرف والعادة فاستهجن الشكوى على الإطلاق لأنّها دليلٌ على ضعف النفس وخذلانها ، وقلة الصبر على حوادث الدهر ، وذلك عندهم غير محمود .

(٤٣٧)

الأصل :

وقال عليه السلام في بعض الأعياد :

إِنَّمَا هُوَ عِيدٌ لِمَنْ قَبِلَ اللَّهُ صِيَامَهُ ، وَشَكَرَ قِيَامَهُ ، وَكُلَّ يَوْمٍ لَا نَعَصِي اللَّهَ فِيهِ فَهُوَ يَوْمٌ عِيدٌ .

الشرح :

المعنى ظاهرٌ ، وقد نقله بعضُ المحدثين إلى الغزل فقال :

قالوا أتى العيدُ قلتُ أهلاً إن جاء بالوصل فهو عيدُ
من ظفرتُ بالمنى يداهُ فكل أيامه سُعودُ

ورأيتُ بعض الصوفيّة وقد سمع هذين البيتين من مُغنٍ حاذقٍ ، فطرب وصَفَّق وأخذها لمعنى عنده .

وقد قال بعضُ المحدثين في هذا المعنى أيضاً :

قالوا أتى العيدُ والأيامُ مشرقةٌ وأنت تبكى وكل الناسِ مسرورُ
فقلتُ إن واصلَ الأحبابُ كان لنا عيداً وإلا فهذا اليومُ عاشورُ

(٤٣٨)

الأصل :

وقال عليه السلام :

إِنَّ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالًا فِي غَيْرِ طَاعَةِ
اللَّهِ ؛ فَوَرَّثَهُ رَجُلًا فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ ، وَدَخَلَ الْأَوَّلُ
بِهِ النَّارَ .

الشرح :

كان يقال لعمر بن عبد العزيز بن مروان : السعيد ابن الشقي ، وذلك أن عبد العزيز
ابن مروان ملك ضياعا كثيرة بمصر والشام والعراق والمدينة من غير طاعة الله ، بل بسلطان
أخيه عبد الملك ، وبولاية عبد العزيز نفسه بمصر وغيرها ، ثم تركها لابنه عمر ، فكان يُنفقها
في طاعة الله سبحانه وفي وجوه البر والقربات ، إلى أن أفضت الخلافة إليه ، فلما أفضت
إليه أخرج سجلات عبد الملك بها لعبد العزيز فمزقها بمحض من الناس ، وقال : هذه
كُتبت من غير أصل شرعي ، وقد أعدتها إلى بيت المال .

(٤٣٩)

الأفضل

وقال عليه السلام :

إِنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفَقَةً ، وَأَخْيَبَهُمْ سَعْيًا ، رَجُلٌ أَخْلَقَ بَدَنَهُ فِي طَلَبِ
أَمَلِهِ ، وَلَمْ تُسَاعِدْهُ الْقَادِرُ عَلَى إِرَادَتِهِ ، فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِحَسْرَتِهِ ، وَقَدِمَ عَلَى
الْآخِرَةِ بِتَبِعَتِهِ .

الشرح :

هذه صورة أكثر الناس ، وذلك لأن أكثرهم يكذب بدنه ونفسه في بلوغ الآمال
الدنيوية ، والقليل منهم من تساعده القادر على إرادته ، وإن ساعدته على شيء منها بقي
في نفسه مالا يبلغه ، كما قيل :

نَرَوْهُ وَنَفَدُوا لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةً مِنْ عَاشٍ لَا تَنْقُضِي
تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ

فأكثرهم إذن يخرج من الدنيا بحسرتة ، ويقدم على الآخرة بتبعته ، لأن تلك
الآمال التي كانت الحركة والسعي فيها ليست متعلقة بأمور الدين والآخرة ، لا جرم
أنها تبعات وعقوبات ، ونسأل الله عفوّه .

(٤٤٠)

الأصل :

وقال عليه السلام :

الرَّزْقُ رِزْقَانِ : طَالِبٌ وَمَطْلُوبٌ ، فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَهُ الْمَوْتُ حَتَّى يُخْرِجَهُ عَنْهَا ، وَمَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَ مِنْهَا رِزْقَهُ ^(١) .

الشرح ::

هذا تحريض على طلب الآخرة ، ووعد لمن طلبها بأنه سيُكفى طلب الدنيا ، وإن الدنيا ستطلبه حتى يستوفى رزقه منها .

وقد قيل : مثَل الدنيا مثل ظَلِّكَ ، كلما طلبته بُعد عنك ، فإن أدبرت عنه تبعك .

(١) « رزقه منها » .

(٤٤١)

الأضل :

وقال عليه السلام :

إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا ،
وَاشْتَفَلُوا بِأَجْلِهَا إِذَا اشْتَفَلَ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا ، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمَيِّتَهُمْ
وَتَرَكُوا مِنْهَا مَا عَمِلُوا أَنَّهُ سَيَتَرَكُهُمْ ، وَرَأَوْا اسْتِكْنَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا اسْتِقْلَالًا ، وَدَرَكَهُمْ
لَهَا فَوَاتًا ، أَعَدَّاهُمْ لِمَا سَلَّمَ النَّاسُ ، وَسَلَّمَهُ لِمَنْ عَادَى النَّاسُ ، بِهِمْ عِلْمُ الْكِتَابِ ، وَبِهِ
عُلُومُهَا ، وَبِهِمْ قَامَ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَبِهِ قَامُوا ، لَا يَرَوْنَ مَرَجًا فَوْقَ مَا يَرَوْنَ جُونَ ،
وَلَا خَوْفًا فَوْقَ مَا يَخَافُونَ .

الشرح :

هذا يصلح أن يجعله الإمامية شرح حال الأئمة المعصومين على مذاهبهم ، لقوله :
فَوْقَ مَا يَرَوْنَ جُونَ ، بِهِمْ عِلْمُ الْكِتَابِ ، وَبِهِ عُلُومُهَا ؛ وَأَمَّا مَنْ فَجَعَلَهُ شَرْحَ حَالِ الْعُلَمَاءِ
العارفين وهم أولياء الله الذين ذكروهم عليه السلام لما نظر الناس إلى ظاهر الدنيا
وَزُخْرُفِهَا مِنَ الْمَنَاحِكِ وَالْمَلَابِسِ وَالشَّهَوَاتِ الْحِسِّيَّةِ ، نَظَرُوا هُمْ إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا ، فَاشْتَفَلُوا
بِالْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ وَالْعِبَادَةِ وَالزَّهْدِ فِي الْمَلَاذِ الْجَسْمَانِيَّةِ ، فَأَمَاتُوا مِنْ شَهَوَاتِهِمْ وَقَوَاهِمِ
الْمَذْمُومَةِ كَقُوَّةِ الْغَضَبِ وَقُوَّةِ الْحَسَدِ مَا خَافُوا أَنْ يُمَيِّتَهُمْ ، وَتَرَكُوا مِنَ الدُّنْيَا اقْتِنَاءَ الْأَمْوَالِ
لَعَلَّهُمْ أَنَّهُ سَيَتَرَكُهُمْ ، وَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ دَوَامُ الصُّحْبَةِ مَعَهَا ، فَكَانَ اسْتِكْنَارُ النَّاسِ مِنْ تِلْكَ
الصفات استقلالاً عندهم ، وبلوغ الناس لها فَوَاتًا أَيْضًا عندهم ، فَهِيَ خَصْمٌ لِمَا سَالَهُ النَّاسُ

من الشهوات ، وسَلِّمَ لِمَا عَادَاهُ النَّاسُ مِنَ الْعُلُومِ وَالْعِبَادَاتِ ، وَبِهِمْ عِلْمُ الْكِتَابِ ، لِأَنَّهُ لَوْلَاهُمْ لِمَا عُرِفَ تَأْوِيلُ الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَاتِ ، وَلَأَخَذَهَا النَّاسُ عَلَى ظَوَاهِرِهَا فَضَلُّوا وَبِالْكِتَابِ عُلِمُوا ، لِأَنَّ الْكِتَابَ دَلَّ عَلَيْهِمْ ، وَنَبَّهَ النَّاسَ عَلَى مَوَاضِعِهِمْ ، نَحْوُ قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ^(١) .

وقوله : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ ^(٣) .

ونحو ذلك من الآيات التي تنادي عليهم ، وتخطب بفضائلهم ، وبهم قام الكتاب لأنهم قرروا البراهين على صدقه وصحة وروده من الله تعالى على لسان جبريل عليه السلام ولولاهم لم يبقَ على ذلك دلالة للعوام ، وبالكتاب قاموا ، أى باتباع أوامر الكتاب وآدابه قاموا ، لأنه لولا تأديبهم بآداب القرآن ، وامتناعهم بأوامره ؛ لما أغنى عنهم علمهم شيئاً ، بل كان وبأله عليهم ، ثم قال : إنهم لا يرون مرجوفاً فوق ما يرفجون ، ولا يخوفوا فوق ما يخافون ، وكيف لا يكونون كذلك ومرجوفاً مجاوراً لله تعالى في حظائر قدسه ، وهل فوق هذا مرجوفاً لراج ، وخوفهم سخط الله عليهم وإبعادهم عن جنابه ، وهل فوق هذا مخوفٌ لخائف .

(٢) سورة الزمر ٩ .

(١) سورة فاطر ٢٨ .

(٣) سورة البقرة ٢٦٩ .

(٤٤٢)

الأضل :

وقال عليه السلام :
أذْكُرُوا انْقِطَاعَ اللَّذَاتِ ، وَبَقَاءَ التَّبِعَاتِ .

الشنخ :

قد تقدّم القولُ في نحو هذا مرارا ؛ وقال الشاعر :

تفنى اللذّاذةُ ممن نال بُغْيَتَهُ من الحرام ، ويبقى الإثمُ والعارُ
تبقى عواقبُ سُوءٍ في مَغْبَتِهَا لاخير في لذّةٍ من بعدها النارُ

ورأودَ رجل امرأة عن نفسها ، فقالت له : إن امرأً يبيع جنّةً عرضها السموات
والأرض بمقدار إصبعين لجاهلٍ بالمساحة ؛ فاستحيا ورجع .

(٤٤٣)

الأضلل :

وقال عليه السلام : أَخْبِرْ تَقْلَهُ .

قال الرضى رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : ومن النَّاسِ مَنْ يَرَوِي هذا الرسولِ اللهُ صلى الله عليه وآله ، وَبِمَا يَقْوَى أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ أميرِ المؤمنين عليه السلامُ مَا حَكَاهُ ثعلب قال : حَدَّثَنَا ابنُ الأعرابي قال : قال المأمون : لولا أن عَلِيًّا عليه السلامُ قال : أَخْبِرْ تَقْلَهُ ، لَقُلْتُ أَنَا : أَقْلَهُ تَخْبُرُ .

الْبُخ :

المعنى اخْتَصِرِ النَّاسَ وَجَرِّبِهِمْ تُبْغِضِهِمْ ، فَإِنَّ التَّجَرِبَةَ تَكْشِفُ لَكَ مَسَاوِيَهُمْ وَسُوءَ أَخْلَاقِهِمْ ، فَضَرْبَ مَثَلٍ لِمَنْ يُظَنَّ بِهِ الْخَيْرُ وَلَيْسَ هُنَاكَ ، فَأَمَّا قولُ المأمون : لولا أن عَلِيًّا قاله لَقُلْتُ : أَقْلَهُ تَخْبُرُ ، فليس المراد حقيقة القلي ، وهو البغض بل المراد الهجر والقطيعة ، يقول : قاطِعُ أَخَاكَ جَرِّبًا لَهُ هَلْ يَبْقَى عَلَى عَهْدِكَ أَمْ يَنْقُضُهُ وَيَحْوِلُهُ عَنْكَ .

ومن كلام عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ : طَيَّرُوا الدَّمَ فِي وَجْهِ الشَّبَابِ ، فَإِنْ حَلَمُوا وَأَحْسَنُوا الْجَوَابَ فَهَمْ ، وَإِلَّا فَلَا تَطْمَعُوا فِيهِمْ ، يقول : أَغْضِبُوهُمْ لِأَنَّ الْغَضْبَانَ يَحْمَرُّ وَجْهَهُ ، فَإِنْ ثَبَتُوا لِذَلِكَ الْكَلَامِ الْمُغْضِبِ وَحَلَمُوا وَأَجَابُوا جَوَابَ الْحَلِيمِ الْعَاقِلِ ، فَهَمْ مِمَّنْ يُعْقَدُ عَلَيْهِ الْخِصَرُ وَيُرْجَى فَلَاحُهُ ، وَإِنْ سَفَهُوا وَشَتَمُوا وَلَمْ يَثْبُتُوا لِذَلِكَ الْكَلَامِ فَلَا رَجَاءَ لِفَلَاحِهِمْ . ومن المعنى الأول قولُ أَبِي الْعَلَاءِ :

جَرَبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكْتُ لِي التَّجَارِبُ فِي وَدِّ امْرِي غَرَضًا^(١)
وقال آخر:

وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ التَّجَارِبَ عُدَّةٌ نَخَانَتْ نِثْقَاتُ النَّاسِ حَتَّى التَّجَارِبُ
وقال عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب:
رَأَيْتُ فُضَيْلًا كَانَ شَيْئًا مَلْفَفًا فَأَبْرَزَهُ التَّمْحِيصُ حَتَّى بَدَأَ لِيَا^(٢)
آخر:

عَتَبْتُ عَلَى سَلَمٍ فَلَمَّا فَقَدْتُهُ وَجَرَبْتُ أَقْوَامًا رَجَعْتُ إِلَى سَلَمٍ
مِثْلُهُ:

ذَمُّكَ أَوَّلًا حَتَّى إِذَا مَا بَلَوْتُ سِوَاكَ عَادَ الذَّمُّ حَمْدًا
وَلَمْ أَتَّخِذْكَ مِنْ خَيْرٍ وَلَكِنْ وَجَدْتُ سِوَاكَ شَرًّا مِنْكَ جِدًّا
فَعُدْتُ إِلَيْكَ مُضْطَرًا ذَلِيلًا لِأَنِّي لَمْ أَجِدْ مِنْ ذَاكَ بُدًّا
كَجَهْدِ تَحَامِي أَوْ كُلِّ نَيْتٍ فَلَمَّا اضْطُرَّ عَادَ إِلَيْهِ شَدًّا
الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ غَرَضُنَا مِنَ الْآيَاتِ هُوَ الْبَيْتُ الْأَوَّلُ ، وَذَكَرْنَا سَائِرَهَا لِحُسْنِهَا .

(٢) الأغاني ١٢ : ٢١٤ ، وروايته « رأيت قصيا » .
(٦ - نهج - ٢٠)

(١) إسقط الزند ٦٥٦ .

(٤٤٤)

الأصل :

وقال عليه السلام :

ما كان الله عز وجل ليفتح على عبد باب الشكر ، ويُفلق عنه باب الزيادة ، ولا
ليفتح على عبد باب الدعاء ، ويُفلق عنه باب الإجابة ، ولا ليفتح عليه باب التوبة ،
ويُفلق عنه باب المغفرة .

الشرح :

قد تقدم القول في الشكر واقتضائه الزيادة [و] ^(١) اقتضاء الدعاء الإجابة ؛ والتوبة :
المغفرة ؛ على وجه الاستقصاء في الجميع .

(١) تكملة من د

(٤٤٥)

الأصل

وقال عليه السلام :

أُولَى النَّاسِ بِالكَرَمِ مَنْ عَرَقَتْ فِيهِ الْكَرَامُ .

الشرح :

أَعَرَقَتْ وَعَرَقَتْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَعْنَى ، أَيْ ضَرَبَتْ عُرُوقَهُ فِي الْكَرَمِ ، أَيْ لَهُ سَلَفٌ وَأَبَاءٌ كَرَامٌ . وَقَالَ لِلْبَرَدِ : أَنْشَدْنِي أَبُو عَمَلٍ السَّعْدِيُّ :

إِنَّا سَأَلْنَا قَوْمَنَا نَحْيَارُهُمْ مِنْ كَانَ أَفْضَلُهُمْ أَبُوهُ الْأَفْضَلُ^(١)
أَعْطَى الَّذِي أَعْطَى أَبُوهُ قَبْلَهُ وَتَبَخَّلْتُ أَبْنَاءَهُ مِنْ يَتَبَخَّلُ
قَالَ : وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا فِي الْمَعْنَى :

لَطَلْحَةَ بْنِ خَثِيمٍ حِينَ تَسْأَلُهُ أَنْدَى وَأَكْرَمُ مِنْ فِنْدِ بْنِ هَطَّالٍ^(٢)
وَبَيْتُ طَلْحَةَ فِي عَزٍّ وَمَكْرُمَةٍ وَبَيْتُ فِنْدٍ إِلَى رَبِيقٍ وَأَحْمَالٍ^(٣)
أَلَا فِتَى مِنْ بَنِي ذُبْيَانَ يَحْمِلُنِي وَلَيْسَ يَحْمِلُنِي إِلَّا ابْنُ حَمَّالٍ^(٤)
فَقُلْتُ طَلْحَةُ أُولَى مَنْ عَمَدَتْ لَهُ وَجِئْتُ أَمْشِي إِلَيْهِ مَشَى مُخْتَالٍ
مُسْتَيْقِنًا أَنَّ حَبْلِي سَوْفَ يُعْلِقُهُ فِي رَأْسِ ذِيَالَةٍ أَوْ رَأْسِ ذِيَالٍ^(٥)

(١) الكامل ١ : ٣٦٣ ، وروايته : « أبوه الأول » .

(٢) الكامل ١ : ٣٦٣ ، وروايته : « لطلحة بن حبيب » .

(٣) ربيق : حبل ، فيه عدة عرا ، تشد به البهم . وأحمال : جمع جل ، بالتحريك ؛ وهو الخروف .

(٤) قال أبو العباس : « يعني ذبيان بن بغيض بن ربث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر » .

(٥) قوله : « في رأس ذِيَالَةٍ » ، يعني فرساً أُنثى أو حصاناً . والذِيَال : الطويل الذنب .

وقال آخر :

عندَ الملوك مَضَرَّةٌ وَمَنَافِعٌ وَأَرَى الْبَرَامِكَ لَا تَضُرُّ وَتَنَفَعُ
 إِنَّ العُرُوقَ إِذَا اسْتَسَرَّتْ بِهَا الثَّرَى أَثْرَى النَّبَاتُ بِهَا وَطَابَ المَزْرَعُ
 وَإِذَا جَهَلَتْ مِنْ أَمْرِ أَعْرَاقِهِ وَقَدِيمُهُ فَانْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ
 وقال آخر :

إِنَّ السَّرِيَّ إِذَا سَرَى فَيَنْفُسِهِ وَإِنْ السَّرِيَّ إِذَا سَرَى أَسْرَاهَا
 وقال البُحْتَرِيُّ :

وَأَرَى التَّجَابَةَ لَا يَكُونُ تَمَامُهَا لِنَجِيبٍ قَوْمِ لَيْسَ بَابِنِ نَجِيبٍ^(١)

(٤٤٦)

الأضل :

وسئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَيُّمَا أَفْضَلُ ؟ الْعَدْلُ أَوْ الْجُودُ ؟ فَقَالَ :
الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا ، وَالْجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا ، وَالْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ ؛
وَالْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ ، فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَأَفْضَلُهُمَا .

السُّنْحُ :

هذا كلامٌ شريفٌ جليلٌ القَدْرُ ؛ فَضَّلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْعَدْلَ بِأَمْرَيْنِ :
أحدهما أن العدل وضعُ الأمور مواضعها ، وهكذا العَدَالَةُ فِي الاصْطِلَاحِ الْحُكْمِيِّ ،
لأنها المَرْتَبَةُ المتوسطة بين طَرَفَيِ الإفراط والتفريط ، وَالْجُودُ يُخْرِجُ الْأَمْرَ مِنْ مَوْضِعِهِ ،
والمُرَادُ بِالْجُودِ هَاهُنَا هُوَ الْجُودُ الْعُرْفِيُّ ، وَهُوَ بَذْلُ الْمُتَعَنِّيَّاتِ لِلْغَيْرِ ، لَا الْجُودَ الْحَقِيقِيَّ ،
لأنَّ الْجُودَ الْحَقِيقِيَّ لَيْسَ يُخْرِجُ الْأَمْرَ مِنْ جِهَتِهِ ، نَحْوُ جُودِ الْبَارِئِ تَعَالَى .
والوجه الثاني : أَنَّ الْعَدْلَ سَائِسٌ عَامٌّ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَالْدُنْيَوِيَّةِ ، وَبِهِ
نِظَامُ الْعَالَمِ وَقَوَامُ الْوُجُودِ ؛ وَأَمَّا الْجُودُ فَأَمْرٌ عَارِضٌ خَاصٌّ ، لَيْسَ عَمُومُ نَفْعِهِ كَعَمُومِ
نَفْعِ الْعَدْلِ .

(٤٤٧)

الأفضل :

وقال عليه السلام :
النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا .

الشَّرْحُ :

هذه من ألفاظه الشريفة التي لا نظير لها ، وقد تقدّم ذكرها وذكر ما يناسبها .
وكان يقال : مَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَادَاهُ .

وقال الشاعر :

جهلتَ أمراً فأبديتَ النكيرَ له والجاهلون لأهلِ العلمِ أعداءُ
وقيل لأفلاطون : لِمَ يُبغِضُ الجاهلُ العالمَ ، ولا يُبغِضُ العالمُ الجاهلُ ؟ فقال :
لأنَّ الجاهلَ يَسْتَشِيرُ النقصَ في نفسه ، ويظنُّ أنَّ العالمَ يَحْتَقِرُهُ ، وَيَزِدُّ رِيهَ فِيُبْغِضُهُ ،
والعالمُ لا نَقْصَ عنده ولا يَظُنُّ أنَّ الجاهلَ يَحْتَقِرُهُ ، فليس عنده سببٌ
لِبُغْضِ الجاهلِ .

(٤٤٨)

الأصل :

وقال عليه السلام :
 الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ ؛ قَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا
 عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ ^(١) ، وَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَاضِي وَلَمْ يَفْرَحْ
 بِالْآتِي فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِعَرَفَتَيْهِ .

الشرح :

قد تقدّم القولُ في هذين الممتنين بما فيه كفاية .

(٤٤٩)

الأصل :

وقال عليه السلام :
أُولَايَاتُ مَضَامِيرُ الرِّجَالِ .

الشرح :

أى تعرف الرجال بها كما تُعرف الخيل بالمضمار ، وهو الموضع أو المدة التى تُضمر فيها الخيل ، فمن الولاية من يظهر منه أخلاق حميدة ، ومنهم من يظهر منه أخلاق ذميمة ..
وقال الشاعر :

سكراتٌ خمسٌ إذا مُنِيَ المرءُ بها صارَ عُرضَةً للزمانِ
سكرةُ المالِ والحدائثِ والعشْرِ قى وسكرُ الشرابِ والسلطانِ

وقال آخر :

يابنَ وهبٍ والمرءُ في دولةٍ السَّطْرِ طانٍ أعمى مادامَ يُدعى أميراً
فإذا زالتِ الولايةُ عنه واستوى بالرجالِ عادَ بصيراً

وقال البحتري :

وتاه سعيدهُ أن أعيرَ رياسةً وقلدَ أمراً كان دونَ رجالِهِ
وضاقَ على حقِّ بعقبِ اتساعِهِ فأوسعتهُ عذراً ليضيقَ أحمالِهِ
فأدبرَ عني عند إقبالِ حظِّهِ وغيرَ حالي عندهُ حُسنُ حالِهِ
فليتَ أبا عثمانَ أمسَكَ ريتَهُ كما مساكِهِ عند الحقوقِ بماله

(٤٥٠)

الأصل :

وقال عليه السلام :

مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ !

الشرح :

هذه الكلمة قد سبقت ، وتكلمنا عليها ، وما أحسن قول المعري :

مَا قَضَى الْحَاجَاتِ إِلَّا شَيْئًا نَوْمُهُ فَوْقَ فِرَاشٍ مِنْ نَمَالٍ^(١)

وقال الرضى رحمه الله :

عليها أخاميسٌ مثلُ الصَّغُورِ طُوالِ الرِّجْلِ جِسْمِ الأَرَبِ
وكلَّ فتى حَظُّ أجنانه من النومِ مَضْمُضَةٌ يُسْتَلَبُ^(٢)
فبينما يقال كَرَى جَفْنُهُ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ إِذْ قِيلَ هَبْ

(٢) يقال : مضض النعاس في عينه ، إذا دب .

(١) الفصل : السريع

(٤٥١)

الأضل

وقال عليه السلام:

لَيْسَ بَلَدٌ بِأَحَقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ؛ خَيْرُ الْبِلَادِ مَا حَلَّكَ .

الشرح :

هذا المعنى قد قيل كثيراً ، ومن ذلك قول الشاعر :

لَا يَصْدِقُنَّكَ عَنْ أَمْرِ تُحَاوِلُهُ فِرَاقُ أَهْلٍ وَأَحِبَابٍ وَجِبْرَانِ^(١)

تَلْقَى بِكُلِّ دِيَارٍ مَا حَلَّتْ بِهَا^(٢) أَهْلًا بِأَهْلٍ وَأَوْطَانًا بِأَوْطَانٍ

وقال شيخنا أبو جعفر يحيى بن أبي زيد نقيب البصرة :

أُسَيِّتَنِي بَلَدِي وَأَرْضَ عَشِيرَتِي وَنَزَلْتُ مِنْ نِعْمَاكَ أَكْرَمَ مَنَزِلٍ

وَأَخَذْتُ فِيكَ مَدَائِحِي فَكَأَنَّهَا فِي آلِ شَتْمَاسٍ مَدَائِحُ جَرَوَلٍ

أبو عبادة البحتري :

فِي نِعْمَةٍ أَوْطَنْتُهَا وَأَقَمْتُ فِي أَكْنَافِهَا فَكَأَنَّنِي فِي مَنِيَجٍ^(٣)

ومَنِيَجٌ ، هي مدينة البحتري .

أبو تمام :

كُلُّ شَيْءٍ كُنْتُمْ بِهِ آلَ وَهَبٍ فَهُوَ شَيْءِي وَشَيْءُ كُلِّ أَدِيبٍ^(٤)

(١) في د : « فراق ربع » والمعنى عليه يستقيم أيضاً (٢) في د « بلاد » وهو مستقيم أيضاً .

(٤) ديوانه ١ : ١٣١

(٣) ديوانه ١ : ١٠٣

إِنَّ قَلْبِي لَكُمْ لَكَابِدِ الْحَرَّى وَقَلْبِي لَنِيرِكُمْ كَالْقُلُوبِ
 وقد ذهب كثيرٌ من الناس إلى غير هذا المذهب ، فجعلوا بعض البلاد أحقَّ بالإنسان
 من بعض ، وهو الوطن الأول ومسقط الرأس ، قال الشاعر :

أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مَنَبِجٍ إِلَىَّ وَسَلَى أَنْ يَصُوبَ سَخَابُهَا^(١)
 بِلَادٌ بِهَا نَيْطَتْ عَلَى تَمَائِي وَأَوَّلُ أَرْضِ مَسِّ جِلْدِي تَرَابُهَا
 وكان يقال : مَيْلُكَ إِلَى مَوْلِدِكَ مِنْ كَرَمٍ تَحْتَدِكُ .

وقال ابن عباس : لو قنع الناسُ بأرزاقهم قنعتهم بأوطانهم ، لما اشتكى
 أحدُ الرزق .

وكان يقال : كما أَنَّ الْحَاضِرِيَّكَ حَقَّ لَبَنِهَا فَلِأَرْضِكَ حُرْمَةُ وَطَنِهَا .
 وكانت العربُ تقول : هِمَّاكَ أَحَقُّ لَكَ ، وَأَهْلُكَ أَحَقُّ بِكَ .

وقال الشاعر :

وَكُنَّا أَلِفْنَاهُمَا وَلَمْ تَكْ مَا لَفَا وَقَدْ يُؤَلَّفُ الشَّيْءُ الَّذِي لَيْسَ بِالْحَسَنِ
 كَمَا تُؤَلَّفُ الْأَرْضُ الَّتِي لَمْ يَطْبُ بِهَا هَوَا وَلَا مَلَا وَلَكِنَّا وَطَنُ
 أَعْرَابِي :

رَمْلَةٌ حَضَنْتُنِي أَحْسَاؤُهَا ، وَأَرْضَعْتُنِي أَحْسَاؤُهَا .
 كانت العرب إذا سافرت حلت معها من تربة أرضها ما تستنشق ريحه ، وتطرَّحه
 في الماء إذا شربته ، وكذلك كانت فلاسفةُ يونانَ تفعل .

وقال الشاعر في هذا المعنى :

نَسِيرُ عَلَى عِلْمٍ بِكُنْهٍ مَسِيرِنَا بَعْفَةُ زَادَ فِي بَطُونِ الْمَزَاوِدِ^(٢)

(١) معجم البلدان ٨ : ١٨٠ إلى ثلاثة أبيات نسبها إلى بعض الأعراب .

(٢) البقية : بقية المتن إلى الفرع بعد أن يجلب أكثر ما فيه .

ولا بدّ في أسفارنا من قبيصةٍ من التّرب نُسقاها حبّ الموالدِ
وقالت الهند : حُرمة بلدك عليك كحرمة أبويك ، كان غداؤك منهما وأنت جنين
وكان غداؤهما منك .

ومن الكلام القديم : لولا الوطنُ وحبُّه تُخرّب بلاد السّوء .
ابن الرّومي :

وحبّ أوطان الرّجال إليهمُ ما ربّ قضاها الشبابُ هُنالكَا
إذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهمُ عهد الصّبا فيها فحنّوا لذلّكا

(٤٥٢)

الأُسْلُ:

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ جَاءَهُ نَعْيُ الْأَشْتَرِ رَحِمَهُ اللَّهُ :
 مَالِكُ ، وَمَالِكُ ؟ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ جَبَلًا لَكَانَ فِنْدًا ، أَوْ كَانَ حَجَرًا لَكَانَ صُلْدًا
 لَا يَرْتَقِيهِ الْحَافِرُ ، وَلَا يُوفِي عَلَيْهِ الطَّائِرُ .
 قَالَ الرَّضَى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :
 الْفِنْدُ : الْمُنْفَرِدُ مِنَ الْجِبَالِ .

الْهِنَجُ:

يَقَالُ : إِنَّ الرَّضَى خَتَمَ كِتَابَ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ بِهَذَا الْفَصْلِ ، وَكُتِبَتْ بِهِ نُسُخٌ مُتَعَدِّدَةٌ
 ثُمَّ زَادَ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ وَفَى الزِّيَادَاتِ الَّتِي نَذَرَهَا فِيمَا بَعْدَ .
 وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ الْأَشْتَرِ ، وَإِنَّمَا قَالَ : لَوْ كَانَ جَبَلًا لَكَانَ فِنْدًا ، لِأَنَّ الْفِنْدَ قِطْعَةٌ
 مِنَ الْجِبَلِ طَوَّلًا ، وَلَيْسَ الْفِنْدُ الْقِطْعَةُ مِنَ الْجِبَلِ كَيْفَمَا كَانَتْ ، وَلِذَلِكَ قَالَ : لَا يَرْتَقِيهِ الْحَافِرُ ،
 لِأَنَّ الْقِطْعَةَ الْمَأْخُذَةَ مِنَ الْجِبَلِ طَوَّلًا فِي دِقَّةٍ لَا سَبِيلَ لِلْحَافِرِ إِلَى صُعُودِهَا ، وَلَوْ أُخِذَتْ
 عَرْضًا لَا مَكْنَ صُعُودِهَا .
 ثُمَّ وَصَفَ تِلْكَ الْقِطْعَةَ بِالْمَوْ الْعَظِيمِ ، فَقَالَ : وَلَا يُوفِي عَلَيْهِ الطَّائِرُ ، أَيْ لَا يَصْعَدُ
 عَلَيْهِ ، يُقَالُ : أَوْفَى فُلَانٌ عَلَى الْجَبَلِ : أَشْرَفَ .

(٤٥٣)

الأضل :

وقال عليه السلام :

قليل مدوم عليه ، خير من كثير مملول منه .

الشريح :

هذا كلام يخاطب به أهل العبادات والصلاة ، قال : قليل من النوافل يدوم المرء عليه خير له من كثير منها يمله ويتركه .

والجيد النادر في هذا قول رسول الله صلى الله عليه وآله : إن هذا الدين متين ، فأوغل فيه بروق ، فإن المنيب لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى .

وكان يقال : كل كثير مملول .

وقالوا : كل كثير عدو للطبيعة .

وقال الشاعر :

إني كثرت عليه في زيارته فلّ والشيء مملول إذا كثرا
ورأيت منه أني لا أزال أرى في طرفه قصراً عني إذا نظرا

(٤٥٤)

الأصل :

وقال عليه السلام :

إذا كان في رجل خلة رابعة ، فانتظروا منه أخواتها .

الشرح :

مثال ذلك إنسان مستور الحال عنا رأيناه وقد صدرت عنه حركة ترعك وتعيبك ، إما لحسنها أو لقبحها ، مثل أن يتصدق بشيء له وقع ومقدار من ماله ، أو ينكر مفكراً ، هز غيره عن إنسكاره أو يسرق أو يزني ؛ فينبغي أن ينتظر ويترقب منه أخوات ، ما وقع منه ؛ وذلك لأن العقل والطبيعة التي فيه الحركة له إلى فعل تلك الحركة ، لا بد أن تحركه إلى فعل ما يناسبها ، لأنها مادعته إلى فعل تلك الحركة لخصوصية تلك الحركة ، بل لما فيها من المعنى المقتضي وقوعها ، وهذا يتعدى إلى غيرها مما يجانسها ، ولذلك لا ترى أحداً قد اطلعت من حاله يوماً على أنه قد شرب الخمر إلا وسوف تطلع فيما بعد منه على أنه يشربها ، وبالعكس في الأمور الحسنة لا ترى أحداً قد صدر عنه فعل من أفعال الخير والمروءة إلا وستراه فيما بعد فاعلاً نظيره أو ما يقاربه .

وشتم بعض سفهاء البصرة الأحنف شتماً قبيحاً فحلم عنه ، فقبل له في ذلك ؛ فقال : دعوه فإنني قد اتته بالحلم عنه ، وسيقتل نفسه بجرأته ؛ فلما كان بعد أيام جاء ذلك السفیه فشتم زليلاً ؛ وهو أمير البصرة حينئذ ، وظن أنه كالأحنف ، فأمر به ففقطع لسانه ويده .

(٤٥٥)

الأصل :

وقال عليه السلام لغالِبِ بْنِ صَعَصَعَةَ أَبِي الْفَرَزْدَقِ فِي كَلَامٍ دَارَ بَيْنَهُمَا :
مَا فَعَلْتَ لِإِبْلِكَ الْكَثِيرَةِ ؟ قَالَ : ذَعَدَعْتُهَا الْحُقُوقُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ : ذَلِكَ أَحْمَدُ سُبُلِهَا .

الشرح :

ذَعَدَعْتُهَا بِالذَّالِ المعجمة مكررة : فَرَّقْتُهَا ، ذَعَدَعْتُه فَنَدَعَدَعَ ، وَذَعَدَعَةُ السَّرِّ :
إِذَاعَتُهُ . وَالذَّعَاذِعُ : الْفِرَقُ الْمُتَفَرِّقَةُ ، الْوَاحِدَةُ ذَعَدَعَةٌ ، وَرَبَّمَا قَالُوا : تَفَرَّقُوا ذَعَاذِعَ .

دَخَلَ غَالِبُ بْنُ صَعَصَعَةَ بْنِ نَاجِيَةَ بْنِ عَقَالِ الْجَاشَعِيِّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
أَيَّامَ خِلَافَتِهِ ، وَغَالِبٌ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، وَمَعَهُ ابْنُهُ هَمَّامُ الْفَرَزْدَقِ وَهُوَ غُلَامٌ يَوْمِئِذٍ ، فَقَالَ لَهُ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَنْ الشَّيْخُ ؟ قَالَ : أَنَا غَالِبُ بْنُ صَعَصَعَةَ ؛ قَالَ : ذُو الْإِبِلِ
الْكَثِيرَةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : مَا فَعَلْتَ لِإِبْلِكَ ؟ قَالَ : ذَعَدَعْتُهَا الْحُقُوقَ ، وَأَذْهَبْتُهَا الْحِمَلَاتِ
وَالنَّوَائِبِ ؛ قَالَ : ذَاكَ أَحْمَدُ سُبُلِهَا ؛ مَنْ هَذَا الْغُلَامُ مَعَكَ ؟ قَالَ : هَذَا ابْنِي ، قَالَ :
مَا أَسْمُهُ ؟ قَالَ هَمَّامٌ ؛ وَقَدْ رَوَيْتُهُ الشُّعْرَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَكَلَامَ الْعَرَبِ ، وَيُوشِكُ أَنْ
يَكُونَ شَاعِرًا مُجِيدًا ؛ فَقَالَ : لَوْ أَقْرَأْتَهُ ^(١) الْقُرْآنَ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ؛ فَكَانَ الْفَرَزْدَقُ بَعْدَ يَرَوِي
هَذَا الْحَدِيثَ وَيَقُولُ : مَا زَالَتْ كَلِمَتُهُ فِي نَفْسِي حَتَّى قَيَّدَ نَفْسَهُ بِقَيْدِ وَآلِي الْأَيْفُكَةِ
حَتَّى يَحْفَظَ الْقُرْآنَ ، فَمَا فَكَّهَ حَتَّى حَفِظَهُ .

(١) فِي د « أَقْرَأْتَهُ » وَالْمَعْنَى عَلَيْهِ يَسْتَقِيمُ أَيْضًا .

(٤٥٦)

الأصل :

وقال عليه السلام :

مَنْ أُتِجَرَ بِغَيْرِ فِقْهِ فَقَدْ ارْتَطَمَ فِي الرَّبَا .

الشرح :

يقول : تَجَرَ فلانٌ وأُتِجَرَ فهو تاجر ، والجمع تَجَر ، مثل صاحب وصَحْب ، والتجارة والتَّجَر بمعنى واحد ؛ إذا أخذتهما مصدرين لـ « تَجَرَ » ، وأرض متَجَرَّة ، يُتَجَر فيها .

وارتطم فلانٌ في الوَحْل والأمر إذا ارتبك فيه ولم يقدر على الخروج منه ، وإنما قال عليه السلام ذلك لأنَّ مسائل الرِّبَا مُشْتَبِهَةٌ بمسائل البَيْع ، ولا يَفْرَق بينهما إلَّا الفقيه ؛ حتى إنَّ العُظماء من الفقهاء قد اشتبه عليهم الأمرُ فيها فاختلَفوا فيها أشدَّ اختلاف ؛ كبيع لحْم البقر بالغنم متفاضلا ، هل يجوز أم لا ؟ وكذلك لَبَن البقر بلبَن الغنم ، وجلود البَقَر بجلود الغنم ، فقال أبو حنيفة : اللَّحُوم والألبان والجلودُ أجناسٌ مختلفة ، فيجوز بيعُ بعضها ببعض متفاضلا ، نظرا إلى أنَّ أصولها أجناسٌ مختلفة ، والشافعي لا يُجِيزُ ذلك ويقول : هو ربَا ، وكذلك القول في مَدَى عَجْوَةٍ ودرهم بمَدَى عَجْوَةٍ . وكذلك بَيْع الرطَب بالتمر متساوياً كَيْلًا ، كلٌّ ذلك يقول الشافعي : إنَّه ربَا ، وأبو حنيفة يُخْرِجه عن كونه ربَا ، ومسائلُ هذا الباب كثيرة .

(٤٥٧)

الأضل

وقال عليه السلام :

مَنْ عَظَّمَ صِغَارَ الْمَصَائِبِ ؛ ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِكِبَارِهَا .

الشِنْخُ :

إِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَشْكُو اللَّهُ وَيَتَسَخَّطُ قَضَاءَهُ ، وَيَجْعِدُ النِّعْمَةَ فِي التَّخْفِيفِ عَنْهُ ، وَيَدَّعَى فِيهَا لَيْسَ بِمُجْجِفٍ بِهِ مِنْ حَوَادِثِ الدَّهْرِ أَنَّهُ مُجْجِفٌ ، وَيَتَأَلَّمُ بَيْنَ النَّاسِ ؛ لِذَلِكَ أَكْثَرَ مِمَّا تَقْتَضِيهِ نَكَبَتُهُ ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ اسْتَوْجَبَ السُّخْطَ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ، وَابْتُلِيَ بِالْكَثِيرِ مِنَ النَّكَبَةِ ، وَإِنَّمَا الْوَاجِبُ عَلَى مَنْ وَقَعَ فِي أَمْرٍ يَشُقُّ عَلَيْهِ ، وَيَتَأَلَّمُ مِنْهُ وَيَنَالُ مِنْ نَفْسِهِ ، أَوْ مِنْ مَالِهِ نَيْلًا مَا ، أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ ، وَيَقُولَ : لَعَلَّهُ قَدْ دَفَعَ بِهَذَا عَنِّي مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ ، وَلَئِنْ كَانَ قَدْ ذَهَبَ مِنْ مَالِي جُزْءٌ فَلَقَدْ بَقِيَ أَجْزَاءٌ كَثِيرَةٌ .

وقال عروةُ بْنُ الزَّيْرِ لَمَّا وَقَعَتِ الْأَكَلَةُ فِي رِجْلِهِ فَقَطَعَهَا وَمَاتَ ابْنُهُ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَخَذْتَ عُضْوًا وَتَرَكْتَ أَعْضَاءَ ، وَأَخَذْتَ ابْنًا وَتَرَكْتَ أَبْنَاءَ ، فَلْيَهْنِكْ ؛ لَئِنْ كُنْتَ أَخَذْتَ لَقَدْ أَبْقَيْتَ ، وَلَئِنْ كُنْتَ ابْتَلَيْتَ لَقَدْ عَافَيْتَ .

(٤٥٨)

الأضل :

وقال عليه السلام :

مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ ، هَانَتْ عَلَيْهِ شَهْوَتُهُ .

الشيخ :

قد تقدّم مثل هذا المعنى مراراً ، ومن الكلام المشهور بين العامة : قَبِحَ اللهُ أَمْرًا تَغْلِبُ
شَهْوَتُهُ عَلَى نَحْوَتِهِ .

والجيد النادر في هذا قول الشاعر :

فإِنَّكَ إِنْ أَعْطَيْتَ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ وَقَرَّجَكَ نَالَا مُنْتَهَى الدَّمِّ أَجْمَعاً^(١)

(١) لحاتم الطائي ، ديوانه ١١٤ .

(٤٥٩)

الأصل :

وقال عليه السلام .

ما مزح امرؤ مزحةً ، إلا مَجَّ مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةً .

الشرح :

قد تقدّم القولُ في المزاح .

وكان يقال : خيرُ المزاح لا يُنال ، وشره لا يُستقال .

وقيل : إنما سُمِّيَ المزاحُ مزاحاً لأنه أزيح عن الحق .

(٤٦٠)

الأضلل :

وقال عليه السلام :

رُهِدُكَ فِي رَاغِبٍ فِيكَ نُقْصَانُ حَظِّ ، وَرَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ ذُلُّ نَفْسٍ

الشرح :

أى نقصانُ حظِّ لك ، وذلك لأنه ليس من حقِّ مَنْ رَغِبَ فِيكَ أَنْ تَزْهَدَ فِيهِ
لأنَّ الإحسان لا يُكَافَأُ بالإساءة ، وللقصد حُرْمَةٌ ، وللأمل ذمام ، ومن طَلَبَ مودَّتَكَ
فقد قَصَدَكَ وأَمَّا ، فلا يجوزُ رفضُهُ واطِّراحُهُ والزَّهْدُ فِيهِ ، وإذا زَهِدْتَ فِيهِ
فذلك لنُقْصَانِ حَظِّكَ لا لنُقْصَانِ حَظِّهِ ، فَأَمَّا رَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ فمَذَلَّةٌ ، لأنَّكَ
تطرح نفسك لمن لا يعبا بك ، وهذا ذُلٌّ وصغار .

وقال العباسُ بْنُ الْأَحْنَفِ فِي نَسِيدِهِ ، وَكَانَ جَيِّدَ النَّسِيبِ :

ما زلتُ أَزْهَدُ فِي مودَّةِ رَاغِبٍ حَتَّى ابْتُلَيْتُ بِرَغْبَةٍ فِي زَاهِدٍ
هَذَا هُوَ الدَّاءُ الَّذِي ضَاقَتْ بِهِ حِيلُ الطَّيِّبِ وَطَالَ يَأْسُ الْعَائِدِ

أى ما زلتُ عَزِيزًا حَتَّى أَذَلَّنِي الْحُبُّ .

(٤٦١)

الأفضل :

وقال عليه السلام :

ما زال الزبير رجلاً منا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشثوم عبد الله .

الشنخ :

ذكر هذا الكلام أبو عمر بن عبد البر في كتاب " الاستيعاب " ، عن أمير المؤمنين عليه السلام في عبد الله بن الزبير ، إلا أنه لم يذكر لفظة المشثوم .

[عبد الله بن الزبير وذكر طرف من أخباره]

ونحن نذكر ما ذكره ابن عبد البر في ترجمة عبد الله بن الزبير ، فإن هذا المصنف يذكر مجمل أحوال الرجل دون تفاصيلها ، ثم نذكر تفصيل أحواله من مواضع أخرى .

قال أبو عمر رحمه الله : يُكنى ^(١) عبد الله بن الزبير أبا بكر ، وقال بعضهم : أبا بكر ، ذكر ذلك أبو أحمد الحاكم الحافظ في كتابه في الكنى . والجمهور من أهل السير وأهل الأثر على أن كنيته أبو بكر ، وله كنية أخرى أبو خبيب بابنه خبيب

(١) الاستيعاب ٩٠٤ ، طبعة نهضة مصر .

وكان أَسَنُّ وَلَدِهِ ، وَخُبَيْبٌ هُوَ صَاحِبُ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الَّذِي مَاتَ مِنْ ضَرْبِهِ إِذْ كَانَ وَالِيًا عَلَى الْمَدِينَةِ لِلْوَلِيدِ ، وَكَانَ الْوَلِيدُ أَمْرَهُ بِضَرْبِهِ فَمَاتَ مِنْ أَذِيَّةِ ذَلِكَ فَوَدَّاهُ عَمْرٌ بَعْدُ .

قال أبو عمر : ^(١) وسمَّاهُ رسولُ الله صلى الله عليه وآله باسمِ جدِّه ، وَكَتَبَهُ بِكُنْيَةِ جَدِّهِ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي بَكْرٍ ^(٢) ، وَهَاجَرَتْ أُمُّهُ أَسْمَاءُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهِيَ حَامِلَةٌ بِهِ ، فَوَلَدَتْهُ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ لِعِشْرِينَ شَهْرًا مِنَ النَّارِخِ ، وَقِيلَ : وَلِدَ فِي السَّنَةِ الْأُولَى ، وَهُوَ أَوَّلُ مَوْلُودٍ وَلِدَ فِي الْإِسْلَامِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ .

وَرَوَى هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَسْمَاءَ قَالَتْ : حَمَلْتُ بِعَبْدِ اللَّهِ بِمَكَّةَ ، وَفَرَجْتُ وَأَنَا مُتِمَّةٌ ^(٣) فَأَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَزِلْتُ بَقَاءً ، فَوَلَدَتْهُ بَقَاءً ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِهِ ، فَدَعَا بِتَمْرَةٍ فَمَضَغَهَا ثُمَّ تَقَلَّ فِي فِيهِ ، فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ، ثُمَّ حَنَّكَهُ بِالتَّمْرَةِ ، ثُمَّ دَعَا لَهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَوْلُودٍ وَلِدَ فِي الْإِسْلَامِ لِلْمُهَاجِرِينَ بِالْمَدِينَةِ ، قَالَ : فَفَرَحُوا بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ كَانَ قِيلَ لَهُمْ : إِنَّ الْيَهُودَ قَدْ سَحَرَتْكُمْ فَلَا يُؤَلِّدُ لَكُمْ .

قال أبو عمر : وَشَهِدَ عَبْدُ اللَّهِ الْجَمَلَ مَعَ أَبِيهِ وَخَالَتِهِ ، وَكَانَ ثَمَمًا ذَكَرًا ذَا أَنْفَةٍ ، وَكَانَ لَهُ لَسَنٌ وَقَصَاحَةٌ وَكَانَ أَطْلَسَ لَا لِحِيَّةَ لَهُ وَلَا شَعْرَ فِي وَجْهِهِ ، وَكَانَ كَثِيرَ الصَّلَاةِ ، كَثِيرَ الصِّيَامِ ، شَدِيدَ الْبَاسِ ، كَرِيمَ الْجِدَاتِ وَالْأَمَّاتِ وَالْخِلَالَاتِ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فِيهِ خِلَالٌ لَا يَصَاحُ مَعَهَا لِلْخِلَافَةِ ، فَإِنَّهُ كَانَ بِخِيَلَا ضَيِّقِ الْعَطَنِ سَيِّءِ الْخُلُقِ حَسُودًا ، كَثِيرًا الْخِلَافِ ، أَخْرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ مِنْ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَتَفَى عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ عَبَّاسٍ إِلَى الطَّائِفِ .

(١-١) عبارة الاستيعاب : « كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم باسمِ جدِّه أَبِي أُمِّهِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ ، وَسَمَّاهُ بِاسْمِهِ » .
(٢) التَّم : التي اكتملت مدة حملها .

وقال عليُّ عليه السلام في أمره : مازال الزبيرُ يعدُّ منّا أهلَ البيتِ حتّى نشأ ابنُه عبدُ الله . قال أبو عمر : وبُويع له بالخلافة سنة أربع وستين في قول أبي معشر . وقال المدائني : وبُويع له بالخلافة سنة خمس وستين .

وكان قبلَ ذلك لا يدعى باسمِ الخلافة ، وكانت يبعثه بعد موتِ معاوية بن يزيد ابن معاوية ، على طاعته أهل الحجاز واليمن والمراق وخراسان ، وحبّج بالناس ثماني حجاج ، وقتل في أيام عبد الملك بن مروان يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقين من جمادى الأولى ؛ وقيل : من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ؛ وصُلب بمسكة بعد قتله ، وكان الحجاج قد ابتدأ بحصاره من أوّل ليلة من ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين ، وحبّج الحجاج بالناس في ذلك العام ، ووقف بعرفة وعليه درع ومغفر ، ولم يطوفوا بالبيت في تلك السنة . فحاصره ستة أشهر وسبعة عشر يوماً إلى أن قتله .

قال أبو عمر : فروى هشامُ بنُ عروة عن أبيه ، قال : لما كان قبلَ قتلِ عبد الله بعشرة أيام دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر وهي شاكية ، فقال : كيف تجدِينكِ يا أمّ ؟ قالت : ما أجِدُنِي إلّا شاكية ، فقال لها : إن في الموت لراحة ؛ فقالت : لعلّك تمنّيته لي ، وما أحبُّ أن أموت حتّى يأتني على إحدى حالتَيْك ، إمّا قُتِلت فأحسنَ بكَ ، وإمّا ظفرتَ بـمدوكَ فقررتَ عيني .

قال عروة : فالتفت عبدُ الله إلى وضجك ، فلمّا كان اليوم الذي قُتل فيه دخل عليها في المسجد ، فقالت : يا بُنَيّ لا تقبل منهم خُطة تخاف فيها على نفسك الذلّ [مخافة القتل] ^(١) ؛ فوالله لأضربهُ سيفٍ في عزٍّ خيرٌ من ضربةٍ سوطٍ في مدلّة ، قال : فخرج

(١) من د

عبدُ الله وقد نُصِبَ له مِصرَاعٌ عند الكعبة ، فكان يكون تحته ، فأتاه رجلٌ من قريش فقال له : ألا تفتَح لك بابَ الكعبة فتدخلها ؟ فقال : والله لو وَجَدَوكم تحتَ أَسْتارِ الكعبة لَقَتَلُوكم عن آخِرِكُمْ ، وهل حُرْمَةُ البيتِ إِلَّا كحُرْمَةِ الحَرَمِ ! ثم أنشد :

ولستُ بمُبْتَاعٍ الحِياةِ بِسَبْإٍ ولا مُرْتَقٍ مِن خَشْيَةِ الموتِ سُبُلًا

ثم شَدَّ عليه أصحابُ الحِجَابِ ، فسأل عنهم ، فقليل : هؤلاء أهلُ مِصرَ ، فقال لأصحابه : اكسروا أَعْمَادَ سِوْفِكُمْ ، واحملوا معي ، فإنني في الرَّعِيلِ الأول ، ففعلوا ، ثم حَمَلَ عليهم وحَمَلُوا عليه ، فكان يضرب بِسَيْفَيْنِ ، فَلاحَ رجلًا فَضَرَبَهُ فَقَطَعَهُ ، وانهزموا وجعل يضربُهم حتى أخرجهم من بابِ المسجد ، وجعل رجلٌ منهم أَسودَ يَسَبِّهِ ، فقال له : اصبر يا بنِ حَامٍ ، ثم حمل عليه فَضَرَعَهُ ، ثم دخل عليه أهلُ خِمْصٍ من بابِ بَنِي شَيْبَةَ فسأل عنهم ، فقليل : هؤلاء أهلُ خِمْصٍ ، فَشَدَّ عليهم وجَعَلَ يضربُهم بِسيفه حتى أخرجهم من المسجد ، ثم انصرف وهو يقول :

لو كان قِرْنِي واحِداً أَرْدَيْتُهُ أوردتُهُ الموتَ وقد ذَكَّيْتُهُ

ثم دخل عليه أهلُ الأَرْدُنِّ من بابِ آخر ، فقال : مَنْ هؤلاء ؟ قيل : أهلُ الأَرْدُنِّ ، فجعل يضربُهم بِسيفه حتى أخرجهم من المسجد ، ثم انصرف وهو يقول :

لا عهد لي بفارَةٍ مِثْلِ السَّيْلِ لا يَنْجَلِي قَتَامُهَا حَتَّى اللَّيْلِ

فَأَقْبَلَ عليه حَجَرٌ من نَاحِيَةِ الصَّفَا فأصابه بين عَيْنَيْهِ ، فَنكَّسَ رَأْسَهُ وهو يقول :

ولسنا على الأعقابِ تَدَمَّى كَلُومُنَا ولكن على أقدامنا تَطَرُّ الدِّمَاءُ^(١)

(١) للحصين بن الحمام المروى من الفضلية ١٢ .

أنشدَه مَتمثِّلاً ، وَحَمَاهُ مَوَلِيَّانِ لَهُ ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَرْتَجِزُ فَيَقُولُ :

* الْعَبْدُ يَحْمِي رَبَّهُ وَيَحْتَمِي *

قال : ثُمَّ اجتمعوا عليه ، فلم يزلوا يضربونه ويضربهم حتى قتلوه وموليتيه جميعا ، فلما قُتِلَ كَبُرَ أَهْلُ الشَّامِ ، فقال عبد الله بن عمر : المكبرون يومَ وَلَدِ خَيْرٍ مِنَ الْمَكْبَرِينَ يومَ قُتِلَ .

قال أبو عمر : وقال يعلى بن حَرْمَلَةَ : دخلتُ مَكَّةَ بعد ما قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْرِ بثلاثةِ أيامٍ ، فإذا هو مصلوب ، فجاءت أمه أسما ، وكانت امرأةً عجوزاً طويلة مكفوفة البَصَرِ تقاد ، فقالت للحجاج : أما آن لهذا الراكب أن ينزل ؟ فقال لها : المنافق ؟ ! قالت : والله ما كان مُنافِقاً ، ولكنه كان صَوَّاماً قَوَّاماً بَرّاً ؛ قال : انصرفي فإنك عجزوز قد خَرِفْتَ . قالت : لا والله ما خَرِفْتُ ، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « يَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ ^(١) » ، أما الكَذَّابُ فقد رأينا - تعنى المختار - وأما المُبِيرُ فانت .

قال أبو عمر : وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ الْخَرَّازِيُّ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، قال : كنت الأذن لمن بَشَّرَ أَسْمَاءَ بِنَزُولِ ابْنِهَا عَبْدِ اللَّهِ مِنَ الْخَشْبَةِ ، فدعتُ بمرْكن ^(٢) وشبَّ يمانٍ ، فأمرتني بفسله ، فكنا لا نتناول منه عُصْواً إلَّا جاء معنا ، فكنا نفسل العضو ونُدْعِيهِ في أَكْفَانِهِ وَتَتَنَاوَلُ العضو الذي يليه فنفسله ، ثم نضعه في أَكْفَانِهِ ، حتى فرغنا منه ، ثم قامت فصلت عليه ، وقد كانت تقول : اللَّهُمَّ لَا تَمْتِنِي حَتَّى تَقَرَّ عَيْنِي بِجُثَّتِهِ ، فلما دفنته لم يأت عليها جمعة حتى ماتت .

قال أبو عمر : وقد كان عُروَةُ بْنُ الزَّيْرِ رَحَلَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، فرَغِبَ إِلَيْهِ فِي إِنْزَالِ عَبْدِ اللَّهِ مِنَ الْخَشْبَةِ ، فأَسْعَفَهُ بِذَلِكَ ، فَأَنْزَلَ .

(١) المبير : المهلك .

(٢) الركن : الإناء .

قال أبو عمر : وقال علي بن مجاهد : قُتل مع ابن الزبير مائتان وأربعون رجلاً ، إنَّ منهم لَمَنْ سَالَ دَمُهُ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ .

قال أبو عمر : وَرَوَى عِيسَى عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ، قَالَ : كَانَ ابْنُ الزَّبِيرِ أَفْضَلَ مِنْ مَرْوَانَ وَأَوَّلَى بِالْأَمْرِ مِنْهُ وَمِنْ أَبِيهِ ، قَالَ وَقَدْ رَوَى عَلِيٌّ بْنُ الْمَدَائِنِيِّ ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ ، أَنَّ عَامِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ مَكَثَ بَعْدَ قَتْلِ أَبِيهِ حَوْلًا لَا يَسْأَلُ اللَّهَ لِنَفْسِهِ شَيْئًا إِلَّا الدَّعَاءَ لِأَبِيهِ .

قال أبو عمر : وَرَوَى إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْعَلَاءِ ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَتِيْقٍ ، قَالَ : قَالَتْ عَائِشَةُ : إِذَا مَرَّ ابْنُ عَمْرٍاءُ رُؤْيَاهُ ، فَلَمَّا مَرَّ قَالُوا : هَذَا ابْنُ عَمْرٍاءُ فَقَالَتْ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، مَا مَنَعَكَ أَنْ تَنْهَانِي عَنْ مَسِيرِي ، قَالَ : رَأَيْتُ رَجُلًا قَدْ غَلَبَ عَلَيْكَ ، وَرَأَيْتُكَ لَا تُخَالِفِيهِ - يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزَّبِيرِ - فَقَالَتْ : أَمَا إِنَّكَ لَوْ نَهَيْتَنِي مَا خَرَجْتُ .

فَأَمَّا الزَّبِيرُ بْنُ بُكَارٍ فَإِنَّهُ ذَكَرَ فِي كِتَابِ "أَنْسَابِ قُرَيْشٍ" مِنْ أَخْبَارِ عَبْدِ اللَّهِ وَأَحْوَالِهِ جُمْلَةً طَوِيلَةً نَحْنُ نَخْتَصِرُهَا ، وَنَذَكُرُ اللَّبَابَ مِنْهَا ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ أَطْنَبَ فِي ذِكْرِ فُضَائِلِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ مَعْدُورٌ فِي ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَلَامُ الرَّجُلَ عَلَى حُبِّ قَوْمِهِ ، وَالزَّبِيرِ ابْنُ بُكَارٍ أَحَدُ أَوْلَادِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ ، فَهُوَ أَحَقُّ بِتَقْرِيطِهِ وَتَأْيِينِهِ .

قال الزبير بن بكار : أُمُّهُ أَسْمَاءُ ذَاتُ النَّطَّاقِينَ ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ ذَاتُ النَّطَّاقِينَ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا تَجَهَّزَ مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ لَمْ يَكُنْ لِسَفَرَتِهِمَا شِنَاقٌ ^(١) ؛ فَشَقَّتْ أَسْمَاءُ نَطَاقَهَا فَشَنَقَتْهَا بِهِ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ

(١) الشناق : الحبل .

صلى الله عليه وآله : قد أبدلك الله تعالى بنطاقك هذا نطاقين في الجنة ، فسميت ذات النطاقين . قال : وقد روى محمد بن الضحاك : عن أبيه أن أهل الشام كانوا وهم يقتاتلون عبد الله بمكة يصيحون : يا بن ذات النطاقين ، يظنونهم عبيدا ، فيقول ابنها : والاله ، ثم يقول : إني وإياكم لكما قال أبو ذؤيب :

وعيرني الواشون أني أحبها وتلك شكاة ظاهره عنك عارها^(١)
فإن أعذر عنها فإني مكذب وإن تعذر يردد عليك أعذارها
ثم يقبل على ابن أبي عتيق - وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر - فيقول : ألا تسمع يا بن أبي عتيق !

قال الزبير : وزعوا أن عبد الله بن الزبير لما ولد أتى به رسول الله صلى الله عليه وآله ، فنظر في وجهه وقال : « أهو هو ؟ ليمنعن البيت أو ليموتن دونه » . وقال العقبلي في ذلك :

بر تبين ما قال الرسول له وذو صلاة بضاحي وجهه علم^(٢)
حامة من حاتم البيت قاطنة لا تتبع الناس إن جاروا وإن ظلموا
قال : وقد روى نافع بن ثابت ، عن محمد بن كعب القرظي ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله دخل على أسماء حين ولد عبد الله فقال : أهو هو ؟ فتركت أسماء رضاعه ، فقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله : إن أسماء تركت رضاع عبد الله لما سمعت كلمتك ، فقال لها : « أرضعيه ولو بماء عينيك ، كبش بين ذئب عايبا ثياب ، ليمنعن الحرم أو ليموتن دونه » .

قال : وحدثني عمي مصعب بن عبد الله ، قال : كان عبد الله بن الزبير يقول : هاجرت بي أمتي في بطنها ، فما أصابها شيء من نصب أو محمصة^(٣) إلا وقد أصابني .

(١) ديوان الهذليين ١ : ٢١ ، قال : ظاهره عنك ، أي لا يعانى بك ، أي يظهر عنك وينبى .

(٢) رواية : « د » « يريني ذكر ما قال الرسول له » (٣) المحمصة : الجوع .

قال : وقالت عائشة : يا رسول الله ، ألا تكفيني ؟ فقال : تكفي بأمر ابن أخيتك عبد الله ، فكانت تكفي أم عبد الله .

قال : وروى هند بن القاسم ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، قال : اختجم رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم دفع إلى دمه ، فقال : اذهب به فواره حيث لا يراه أحد ، فذهبت به فشربته ، فلما رجعت قال : ما صنعت ؟ قلت : جعلته في مكان أظن أنه أخفى مكان عن الناس ، فقال : فلعلك شربته ؟ فقلت : نعم .

قال : وقال وهب بن كيسان : أول من صف رجليه في الصلاة عبد الله بن الزبير فاقتردى به كثير من العباد ، وكان مجتهدا .

قال : وخطب الحجاج بعد قتله رجلة^(١) بنت منظور بن زبآن بن سيار الفزارية ، وهي أم هاشم بن عبد الله بن الزبير ، فقلعت ثنيتها وردته ، وقالت : ماذا يريد إلى ذلفاء تكل حرمي ! وقالت :

أبعد عاندي بيت الله تحطبي
جهالاً جهلت وغيب الجمل مذموم
فاذهب إليك فإني غير ناكحة
بعد ابن أسماء ما استن الدياميم
من يعمل العير مصفراً جفافله
مثل الجواد وفضل الله مقسوم

قال : وحدثني عبد الملك بن عبد العزيز ، عن خاله يوسف بن الماجشون ، قال : قسم عبد الله بن الزبير الدهر على ثلاث ليال : فليلة هو قائم حتى الصباح ، وليلة هو راكع حتى الصباح ، وليلة هو ساجد حتى الصباح .

قال : وحدثنا سليمان بن حرب بإسناد ذكره ورفعه إلى مسلم السكي ، قال : رآه عبد الله بن الزبير يوماً ركعة ، فقرأت البقرة وآل عمران والنساء والمائدة ، وما رفع رأسه .

(١) ضبط في د : « رجلة » .

قال : وقد حَدَّثَ من لأُحصيه كثرةً من أصحابنا ، أن عبدَ الله كان يواصِلُ الصَّومَ سَبْعًا ، يصومُ يومَ الجمعة فلا يُفطِرُ إلا يومَ الجمعة الآخر ، ويصومُ بالمدينة فلا يُفطِرُ إلا بمكة ، ويصومُ بمكة فلا يُفطِرُ إلا بالمدينة .

قال : وقال عبد الملك بن عبد العزيز : وكان أوَّل ما يُفطِرُ عليه إذا أفطَرَ لَبَن لَقِحة بِسَمْنٍ بَقَرٍ ، قال الزبير : وزادَ غيره : وَصَبِر .

قال : وحدثني يعقوب بن محمد بن عيسى بإسنادٍ رَفَعَهُ إلى عُرْوَةَ بن الزبير ، قال : لم يكن أحدٌ أَحَبَّ إلى عائشةَ بعد رسولِ الله صَلَّى الله عليه وآله وبعد أبي بكرٍ من عبدِ الله بن الزبير .

قال : وحدثني يعقوب بن محمد بإسنادٍ يرفعه إلى عبدِ الرحمن بنِ القاسم ، عن أبيه قال : ما كان أحدٌ أعلمَ بالمناسِكِ من ابنِ الزبير .

قال : وحدثني مُصعب بنُ عثمان ، قال : أوصتْ عائشةُ إلى عبدِ الله بن الزبير وأوصى إليه حكيمُ بنُ حزام وعبدُ الله بن عامر بن كُرَيْز والأسودُ بن أبي البَخْتَرِيِّ وشيبة بنُ عثمان والأسودُ بنُ عوف .

قال الزبير : وحدث عمرُ بنُ قيس ، عن أمِّه قالت : دخلتُ على عبدِ الله بنِ الزبير بيته ، فإذا هو قائمٌ يصلي ، فسقطتُ حيةً من البيت على ابنه هاشم بن عبدِ الله فتطوّت^(١) على بطنه وهو نائمٌ ، فصاح أهلُ البيت : الحيةُ الحيةُ ! ولم يزلوا بها حتى قَتَلوها وعبدُ الله قائمٌ يصلي ما لَتَفَتْ ولا عَجِلَ ، ثم فرَغَ من صلاته بعد ما قُتِلَت الحيةُ فقال : ما بالكم ؟ فقالت أم هاشم : إِي رَحِمَكَ اللهُ ، أَرَأَيْتَ إِنْ كُنَّا هُنَا عَلَيْكَ أَيُّوْمٌ عَلَيْكَ ابْنُكَ ! قال : وَيَحْك ! وما كانت التِفَاتَةُ لو أَلْتَفَتَهَا مُبْقِيَةً من صَلَاتِي .

(١) في د : « فتطوت » والمعنى عليه يستقيم .

قال الزبير : وعبدُ الله أولُ من كسا الكعبةَ الديباجَ ، وإن كان كُيَطِّيها حتى يجِدَ رِيحَها مِن دَخَلِ الحَرَمِ . قال : ولم تكن كِسوةُ الكعبة من قَبْلِهِ إِلَّا المِسْوَحُ ^(١) والأنطاع ، فلَمَّا جَرَدَ المهديُّ بنُ المنصور الكعبةَ ، كان فيما نَزَعَ عنها كِسوةً مِن ديباجٍ مكتوبٍ عليها : لعبد الله أبي بكر أمير المؤمنين . قال : وحدثني يحيى بنُ معين بإسنادٍ رَفَعَهُ إلى هشام بن عروة ، أن عبد الله بنَ الزبير أخذ من بين القَتْلِ يومَ الجمل وبه بَضْعٌ وأربعون طَعْنَةً وَضَرْبَةً . قال الزبير : واعتَلَّتْ عائشةُ مرَّةً ، فدخل عليها بنو أُخْتِها أسماء : عبد الله وعروة والمُنْذِرُ ، قال عروة : فسألناها عن حالِها ، فشَكَتْ إلينا نَهْكَةً من عِلَّتِها فَمَزَّاهَا عبدُ الله عن ذلك ، فأجابته بنحو قولها ، فعاد لها بالكلام ، فعادت له بالجواب ، فصَمَتَ وبَكَى ، قال عروة : فما رأينا مُتَحَاوِرِينَ من خَلَقِ الله أبلغَ منهما . قال : ثم رفعت رأسها تنظر إلى وجهه ، فَأَبْهَتَتْ لِبَكاثِهِ ، فَبَكَتْ ثُمَّ قالت : ما أَحَقَّنِي منك يَا بَنِي ، مَا أَرَى . فلم أَعْلَمْ بعدَ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وآله وبعد أبويَّ أحدًا أَنْزَلَ عِنْدِي مَنَزِلَتَكَ ، قال عروة : وما سمعتُ عائشةَ وأُمِّي أسماءَ تَدْعُونِ لأَحَدٍ من أَخْلَاقِ دَعَاها لعبدِ الله ، قال : وقال موسى بن عقبة : أَفَرَأَيْتَ عامرُ بنُ عبد الله بن الزبير وصِيَّةَ عبدِ الله بنِ مسعود إلى الزبير بن العوام وإلى عبد الله بن الزبير مِن بعده ، وإِنَّهُمَا فِي وصِيَّتِي فِي حِلِّ وَبِلٍ ^(٢) .

قال : وروى أبو الحسن المدائني ، عن أبي إسحق التميمي ، أن معاويةَ سَمِعَ رجلاً يُنْشِدُ :

ابنُ رَقَاشٍ ماجِدٌ سَمِيدٌ يَأْبَى فُيُعْطَى عن يدٍ أَوْ يَمْنَعُ

(١) المسح : « الكساء من الشعر ؛ وجمعه مسوح .

(٢) في د « وتل » تصحيف . والبل : المباح ، قالوا : هو لك حل وبل .

فقال : ذلك عبدُ الله بنُ الزبير : وكان عبدُ الله من بُجلة النفر الذين ^(١) أمرهم عثمان بنُ عفان أن يَنسخوا القرآنَ في المصاحف .

قال : وحدثنا محمد بنُ حسن ، عن نوفل بن عُمارة ، قال : سئل سعيد بن المسيَّب عن خطباء قُرَيش في الجاهليَّة ، فقال : الأسود بن المطلب بن أسد ، وسُهَيْل بن عمرو . وسُئِلَ عن خطبائهم في الإسلام ، فقال : معاوية وابنه ، وسعيد بن العاص وابنه ، وعبدالله ابن الزبير .

قال : وحدثنا إبراهيم بنُ المنذر ، عن عثمان بن طلحة ، قال : كان عبدُ الله بنُ الزبير لا يُنارَع في ثلاثٍ : شجاعة ، وعبادة ، وبلاغة .

قال الزبير : وقال هشام بنُ عروة : رأيتُ عبدَ الله أيامَ حصاره والحبْر من المنجنيق يهوي حتى أقول : كاد يأخذ بلحيَّته ، فقال له أبي : أيا ابن أمِّ ، والله إن كاد ليأخذ بلحيَّتِكَ ، فقال عبدُ الله : دَغْنِي يا ابنَ أمِّ ، فوالله ما هي إلا هَبْسةٌ حتى كأنَّ الإنسان لم يكن ، فيقول أبي وهو يُقبِل علينا بوجهه : والله ما أخشى عليك إلا من تلك الهنة .

قال الزبير : فذكر هشامٌ ، قال : والله لقد رأيتُهُ يُرمَى بالمنجنيق فلا يَلْتَفِت ولا يُرْعِد صَوْتُهُ ؛ وربما مرَّت الشظية منه قريباً من نحره .

وقال الزبير : وحدثنا ابنُ الماجشون ، عن ابن أبي مُليكة عن أبيه قال : كنتُ أطوفُ بالبَيْت مع عُمر بن عبد العزيز ، فلما بلغتُ الملتزم تخلَّفتُ عنده أدعو ثم لحقتُ عمر ، فقال لي : ما خلفك ؟ قال : كنتُ أدعو في موضع رأيتُ عبدَ الله بنَ الزبير فيه يدعو ، فقال : ما تتركُ تحنَّاتِكَ على ابنِ الزبير أبداً ! فقلتُ : والله ما رأيتُ

(١) ب : « الذي » .

أحداً أشدَّ جِلداً على نَحْمٍ ، ولَحَمًا على عَظْمٍ من ابن الزبير ؛ ولا رأيتُ أحداً أثبتَ فأثماً ، ولا أحسنَ مصليةً من ابن الزبير ، ولقد رأيتُ حَجَرًا من المَنَجْنِيقِ جاءه فأصابَ شُرْفَةً من المسجد ، فمَرَّتْ قِذاذَةٌ مِنْهَا بينَ لَحْيَيْهِ ^(١) وَحَلَقَهُ ، فلم يَزُلْ من مُقامِهِ ، ولا عرفنا ذلك في صَوْتِهِ ، فقال عمر : لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، لجأ ما وَصَفْتَ !

قال الزبير : وسمعتُ إسماعيلَ بنَ يعقوبَ التيميَّ يحدثُ ، قال : قال عمر بنُ عبد العزيز لابن أبي مُليكة : صفْ لنا عبدَ الله بن الزبير ، فإنه ترَمَرَمَ على أصحابنا فتَغَشَّروا عليه ، فقال : عن أيِّ حالِهِ تَسألُ ؟ أَعنَ دينِهِ ، أم عن دُنْياه ؟ فقال : عن كُلِّ ، قال : والله ما رأيتُ جِلداً قطُّ رُكِبَ على نَحْمٍ ولا لَحْمًا على عَصَبٍ ، ولا عَصَبًا على عَظْمٍ ، مثلُ جِلْدِهِ على لَحْمِهِ ولا مثلُ لَحْمِهِ على عَصَبِهِ ، ولا مثلُ عَصَبِهِ على عَظْمِهِ ؛ ولا رأيتُ نفسًا رُكِبَتْ بينَ جنبَيْنِ مثلَ نفسٍ له رُكِبَتْ بينَ جنبَيْنِ ، ولقد قامَ يوماً إلى الصَّلَاةِ ، فمَرَّتْ به حَجَرٌ من حِجَارَةِ المَنَجْنِيقِ ؛ بَلْبَنَةٍ مطبُوخةً من شُرُفَاتِ المسجدِ ، فمَرَّتْ بينَ لَحْيَيْهِ وَصَدْرِهِ ، فوالله ما خَشَعَ لها بَصَرُهُ ، ولا قَطَعَ لها قِرَاءَتَهُ ، ولا رَكَعَ دونَ الرُّكُوعِ الَّذِي كانَ يركعُ ، ولقد كانَ إذا دَخَلَ في الصَّلَاةِ خَرَجَ من كُلِّ شَيْءٍ إِلَيْهَا ؛ ولقد كانَ يركعُ في الصَّلَاةِ فيَقَعُ الرَّخَمَ على ظَهْرِهِ وَيَسْجُدُ فَكَأَنَّهُ مطروح .

قال الزبير : وحدثَ هشامُ بنُ عُروَةَ ، قال : سمعتُ عُمَى ، يقول : ما أبالي إذا وجدتُ ثلاثمائةَ يَصِيرُونَ صَبْرِي ، لو أَجْلَبَ على أَهْلِ الأَرْضِ .

قال الزبير : وقَسَمَ عبدُ الله بن الزبير ثُلُثَ مَالِهِ وَهُوَ حَيٌّ ؛ وكان أبوه الزبير قد أَوْصَى أيضًا بثُلُثِ مَالِهِ . قال : وابنُ الزبير أحدُ الرَّهْطِ الخمسةِ الَّذِينَ وَقَعَ اتِّفَاقُ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ وَعُمَرُ بنُ العاصِ على إِحْضَارِهِمْ ، والاستشارةُ بِهِمْ في يومِ التَّحْكِيمِ

(١) في « لحيه » .

وهم : عبدُ الله بن الزبير ، وعبدُ الله بن عمرو ، وأبو الجهم بن حذيفة ، وجبير بن مُطعم ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام .

قال الزبير : وعبدُ الله هو الذى صَلَّى بالناس بالبصرة لما ظهر طلحة والزبير على عثمان بن حنيف بأمرٍ منهما له . قال : وأعطت عائشة من بشرها بأن عبد الله لم يُقتل يومَ الجمل عشرة آلاف درهم .

قلت : الذى يَقلب على ظنى أن ذلك كان يوم إفريقية ، لأنها يوم الجمل كانت فى شغل بنفسها عن عبدِ الله وغيره .

قال الزبير : وحدثني على بن صالح مرفوعاً أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله كلم فى صبية ترعرعوا ، منهم عبدُ الله بن جعفر ، وعبدُ الله بن الزبير ، وعمر بن أبى سلمة ، فقيل : يا رسول الله ، لو بايعتهم فتصيبهم بركتك ، ويكون لهم ذكر ، فأتى بهم فكأنهم تكفكعوا حين جىء بهم إليه ، واقتحم ابنُ الزبير ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال : إنه ابنُ أبيه ؛ وبايعهم .

قال : وسئل رأسُ الجالوت : ما عندكم من الفراسة فى الصبيان ؟ فقال : ما عندنا فيهم شيء ، لأنهم يُخلقون خلقاً من بعد خلق ؛ غير أننا نرمقهم ، فإن سمعناه منهم من يقول فى لعبه : من يكون معى ؟ رأيناها همة وخبء صدق فيه ، وإن سمعناه يقول : مع من أكون ؟ كرهناها منه . قال : فكان أول شيء سُمع من عبدِ الله بن الزبير أنه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان ، ففر رجل ، فصاح عليهم ، ففرُّوا منه ، ومشى ابنُ الزبير القهقري ، ثم قال : يا صبيان ؛ اجعلوني أميركم ، وشدوا بنا عليه . قال : ومر به عمر بن الخطاب وهو مع الصبيان ، ففرُّوا ووقف ، فقال لِمَ (١) لم تفر مع أصحابك ؟ فقال : لم أجري فأخافك ، ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع عليك !

وروى الزبير بن بكار ، أن عبدَ الله بن سعد بن أبى سرح غزا إفريقية فى خلافة

(١) فى د « مالك لانفر » ؛ وهو مستقيم أيضاً .

عثمان ، فقتل عبد الله بن الزبير جرّير أمير جيش الروم ، فقال ابن أبي سرح : إني موجه بشيراً إلى أمير المؤمنين بما فتح علينا ، وأنت أولى من هاهنا ، فانطلق إلى أمير المؤمنين فأخبره الخبر ، قال عبد الله : فلما قدمت على عثمان أخبرته بفتح الله وصنعه ونصره ، ووصفت له أمرنا كيف كان ، فلما فرغت من كلامي قال : هل تستطيع أن تؤدّي هذا إلى الناس ؟ قلت : وما يمنعني من ذلك ! قال : فأخرج إلى الناس فأخبرهم قال عبد الله : فخرجت حتى جئت المنبر فاستقبلت الناس ، فتلقاني وجه أبي ، فدخلتني له هبة عرفها أبي في وجهي ، فقبض قبضة من حصباء ، وجمع وجهه في وجهي وهم أن يحصبني فأخزمت ، فتكلمت .

فزعموا أن الزبير لما فرغ عبد الله من كلامه قال : والله لكانني أسمع كلام أبي بكر الصديق : من أراد أن يتزوج امرأةً فلينظر إلى أبيها وأخيها فإنها تأتيه بأحدهما . قال الزبير : ويلقب عبد الله بعائد البيت ، لاستعاذته به .

قال : وحدتني عني مصعب بن عبد الله ، قال : إن الذي دعا عبد الله إلى التعمّد بالبئس شيء سمي من أبيه حين سار من مكة إلى البصرة ؛ فإن الزبير التفت إلى الكعبة بعد أن ودّع وجهه يريد الركوب ، فأقبل على ابنه عبد الله ، وقال : تالله ما رأيت مثلاً لطالب رغبة أو خائف رهبة .

وروى الزبير بن بكار ، قال : كان سبب تعمّد ابن الزبير بالكعبة أنه كان يمشي بعد عتمة في بعض شوارع المدينة ؛ إذ لقي عبد الله بن سعد بن أبي سرح مثلاً لا يبدو منه إلا عيانه . قال : فأخذت بيده وقلت : ابن أبي سرح ! كيف كنت بعدى ؟ وكيف تركت أمير المؤمنين ؟ يعني معاوية . وقد كان ابن أبي سرح عنده بالشام . فلم يكلمني ، فقلت : مالك ؟ أمت أمير المؤمنين ؟ فلم يكلمني ، فتركته وقد أثبت معرفته ، ثم خرجت حتى لقيت الحسين بن علي رضي الله عنه ، فأخبرته خبره ، وقلت : ستأتيك رسل الوليد ، وكان الأمير على المدينة الوليد بن عتبة بن

أَبِي سُفْيَانَ، فَانْظُرْ مَا أَنْتَ صَانِعٌ ! وَأَعْلَمْ أَنَّ رَوَاحِلِي فِي الدَّارِ مُعَدَّةٌ، وَالْمَوْعِدَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَنْ تَغْفَلَ عَنَّا عِيُونُهُمْ ، ثُمَّ فَارَقْتَهُ فَلَمْ أَلْبِثُ أَنْ أَنَا نِي رَسُولُ الْوَلِيدِ ، فَجِئْتُهُ فَوَجَدْتُ الْحُسَيْنَ عِنْدَهُ ، وَوَجَدْتُ عِنْدَهُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ ، فَتَنَعَى إِلَيَّ مَعَاوِيَةَ ؛ فَاسْتَرْجَعْتُ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ ، وَقَالَ : هَلَمْ إِلَى بَيْعَةِ يَزِيدَ ، فَقَدْ كَتَبَ إِلَيْنَا يَا مُرُّنَا أَنْ نَأْخُذَهَا عَلَيْكَ ! فَقُلْتُ : إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ فِي نَفْسِهِ عَلَى شَيْئًا لَتَرَكِي بَيْعَتَهُ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ ، وَإِنْ بَايَعْتُ لَهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ تَوَهَّمُ أَنَّي مُكْرَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ، فَلَمْ يَقَعْ مِنْهُ ذَلِكَ بِحَيْثُ أُرِيدُ ، وَلَكِنْ أَصْبَحَ وَيَجْتَمِعُ النَّاسُ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَانِيَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ ؛ فَتَنَظَّرَ الْوَلِيدُ إِلَى مَرْوَانَ فَقَالَ مَرْوَانَ : هُوَ الَّذِي قُلْتُ لَكَ ؛ إِنْ يَخْرُجُ لَمْ تَرَهُ . فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَلْقَى بَيْنِي وَبَيْنَ مَرْوَانَ ثَبِيرًا نَتَشَاغَلَ بِهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : وَمَا أَنْتَ وَذَلِكَ يَا بَنَ الزَّرْقَاءِ ! فَقَالَ لِي ، وَقُلْتُ لَهُ ، حَتَّى تَوَائِبُنَا ، فَتَنَاصَيْتُ أَنَا وَهُوَ ، وَقَامَ الْوَلِيدُ فَخَجَزَ بَيْنَنَا ، فَقَالَ مَرْوَانَ : أَتَحْجِزُ بَيْنَنَا بِنَفْسِكَ ، وَتَدْعُ أَنْ تَأْمُرَ أَعْوَانَكَ ! فَقَالَ : قَدْ أَرَى مَا تُرِيدُ ، وَلَكِنْ لَا أَتَوَلَّى ذَلِكَ مِنْهُ وَاللَّهِ أَبَدًا ، أَذْهَبُ يَا بَنَ الزَّرِيرِ حَيْثُ شِئْتَ ؛ قَالَ : فَأَخَذْتُ بِيَدِ الْحُسَيْنِ ، وَخَرَجْنَا مِنَ الْبَابِ حَتَّى صِرْنَا إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَأَنَا أَقُولُ :

وَلَا تَحْسِبْنِي يَا مُسَافِرُ شَخْمَةً تَعَجَّلُهَا مِنْ جَانِبِ الْقَدْرِ جَائِعٌ

فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ أَفْتَرَقَ هُوَ وَالْحُسَيْنُ ، وَعَمَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى مُصَلَّاهُ يُصَلِّي فِيهِ ، وَجَعَلَتْ الرُّسُلُ تُتَخَلَّفُ إِلَيْهِمَا ، يَسْمَعُ وَقَعُ أَقْدَامِهِمْ فِي الْحُصْبَاءِ حَتَّى هَدَأَ عَنْهُمَا الْحَسَنُ ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى مَنَازِلِهِمَا ، فَاتَى ابْنَ الزَّرِيرِ رَوَاحِلُهُ ، فَقَعَدَ عَلَيْهَا ، وَخَرَجَ مِنْ أَدْبَارِ دَارِهِ ، وَوَفَاهُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ، فَخَرَجَا جَمِيعًا مِنْ لَيْلَتِهِمْ ، وَسَلَكَوا طَرِيقَ الْفُرْعِ حَتَّى مَرُّوا بِالْجُنَّجَانَةِ وَبِهَا جَعْفَرُ بْنُ الزَّرِيرِ قَدْ أُرْذَرَعَهَا ، وَغَمَزَ عَلَيْهِمْ بَعِيرٌ مِنْ إِبِلِهِمْ فَاتَّهَوْا إِلَى جَعْفَرٍ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالَ : مَاتَ مَعَاوِيَةُ ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : نَعَمْ ، انْطَلَقْتُ

معنا وأعطنا أحدَ جَحَنِيكَ - وكانَ يَنْصَحُ على جَمَلينَ له - فقال جعفر متمثلاً :

إِخْوَتِي لَا تَبْعُدُوا أَبَدًا وَيَلَى وَاللَّهِ قَدْ بَعْدُوا

فقال عبدُ الله - وتطيرُ منها : بغيرك التراب ! نخرَجوا جميعاً حتَّى قَدِمُوا مَكَّةَ ، قال الزبير : فأما الحسينُ عليه السلام فإنه خرج من مكَّة يومَ التَّزْوِيَةِ يَطْلُبُ الكوفةَ والعراقَ ، وقد كان قال لعبدِ الله بنِ الزبير : قد أَتَدَنِي بَيْعَةُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا يَحْلِفُونَ لِي بِالطَّلَاقِ والعِتَاقِ من أهلِ العراقَ ، فقال : أَتُخْرِجُ إِلَى قَوْمٍ قَتَلُوا أَبَاكَ وَخَذَلُوا أَهْلَكَ ! قال : وبعضُ الناسِ يزعمُ أن^(١) عبدَ الله بنَ عباسٍ هو الَّذي قال للحُسينِ ذلكَ . قال الزبير : وقال هشامُ بنُ عُرْوَةَ : كانَ أوَّلُ ما أَفْصَحَ بِهِ عَمَى عبدِ الله وهو صغيرٌ : السَّيْفُ ، فكانَ لَا يَضَعُهُ مِنْ فِيهِ ، وكانَ أبوه الزبيرُ إِذَا سَمِعَ مِنْهُ ذَلِكَ يَقُولُ : أَمَا وَاللَّهِ لِيَكُونَنَّ لَكَ مِنْهُ يَوْمٌ وَيَوْمٌ وَأَيَّامٌ !

فأما خبرُ مَقْبَلِ عبدِ الله بنِ الزبير فنحنُ نوردُه من تاريخِ أبي جعفر محمد بنِ جرير الطبري رحمه الله . قال أبو جعفر : حَصَرَ^(٢) الحَجَّاجُ عبدَ الله بنَ الزبير ثمانية أشهرٍ ، فرَوَى إِسْحَاقُ بنُ يُحْيَى عن يوسفَ بنِ ماهك ، قال : رأيتُ مُنْجَنِيْقَ أَهْلِ الشَّامِ يُرْمَى بِهِ ، فَرَعَدَتِ السَّمَاءُ وَبَرَقَتْ ، وَعَلَا صَوْتُ الرَّعْدِ عَلَى صَوْتِ الْمُنْجَنِيقِ ، فَأَعْظَمَ أَهْلُ الشَّامِ مَا سَمِعُوهُ ، فَأَمْسَكُوا أَيْدِيَهُمْ ، فَرَفَعَ الْحَجَّاجُ بِرْكَهَ^(٣) قَبَائِهِ ، فَنَزَّهَا فِي مَنْطِقَتِهِ ، وَرَفَعَ حَجَرَ الْمُنْجَنِيقِ فَوَضَعَهُ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : ارْمُوا ، وَرَمَى مَعَهُمْ ؛ قَالَ : ثُمَّ أَصْبَحُوا فُجَاءَتِ

(١) كذا في د ؛ وفي ب : « ابن » تصحيف .

(٢) تاريخ الطبري ٢ : ٨٤٤ ، وما بعدها (طبعة أوربا) ، مع تصرف واختصار .

(٣) بركة قبائه : مقدمه .

صاعقةٌ يَتَّبِعُهَا أُخْرَى ، فَتَقْتُلُ مِنْ أَصْحَابِ الْحِجَّاجِ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا ؛ فَأَنْكَرَ أَهْلُ الشَّامِ ، فَقَالَ الْحِجَّاجُ : يَا أَهْلَ الشَّامِ ، لَا تُنْكَرُوا هَذَا ، فَإِنِّي ابْنُ تِهَامَةَ ، هَذِهِ صَوَاعِقُ تِهَامَةٍ ، هَذَا الْفَتْحُ قَدْ حَضَرَ فَأَبْشِرُوا ، فَإِنَّ الْقَوْمَ يُصِيبُهُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَكُمْ ، فَصَعَقَتْ مِنَ الْغَدِ قَاصِبٌ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الزَّيْبِرِ عِدَّةٌ مَا أَصَابَ الْحِجَّاجُ ، فَقَالَ الْحِجَّاجُ : أَلَا تَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُصَابُونَ وَأَنْتُمْ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَهُمْ عَلَى خِلَافِ الطَّاعَةِ ! فَلَمْ تَزَلْ الْحَرْبُ بَيْنَ ابْنِ الزَّيْبِرِ وَالْحِجَّاجِ حَتَّى تَفْرُقَ عَامَّةُ أَصْحَابِ ابْنِ الزَّيْبِرِ عَنْهُ ، وَخَرَجَ عَامَّةُ أَهْلِ مَكَّةَ إِلَى الْحِجَّاجِ فِي الْأَمَانِ .

قَالَ : وَرَوَى إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجُثَمِ الْأَسْلَمِيِّ ، قَالَ : رَأَيْتُ ابْنَ الزَّيْبِرِ ، وَقَدْ خَذَلَهُ مِنْ مَعِهِ خِذْلَانَا شَدِيدًا ، وَجَعَلُوا يَخْرُجُونَ إِلَى الْحِجَّاجِ ، خَرَجَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ نَحْوُ عَشْرَةِ آلَافٍ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ مِمَّنْ فَارَقَهُ ، وَخَرَجَ إِلَى الْحِجَّاجِ أَبْنَاهُ : خَبِيبٌ وَحَمْرَةَ ، فَأَخَذَا مِنَ الْحِجَّاجِ لَأَنْفُسِهِمَا أَمَانًا .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : فَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي الزِّنَادِ ، عَنْ مَخْرَمَةَ بْنِ سَلْمَانَ الْوَالِيِّ ، قَالَ : دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ عَلَى أُمِّهِ حِينَ رَأَى مِنَ النَّاسِ مَا رَأَى مِنْ خِذْلَانِهِ ، فَقَالَ : يَا أُمَّهُ ، خَذَلَنِي النَّاسُ حَتَّى وَلَدَيْ وَأَهْلِي ، وَلَمْ يَبْقَ مَعِيَ إِلَّا الْيَسِيرُ مِمَّنْ لَيْسَ عَنْدَهُ مِنَ الدَّفْعِ أَكْثَرُ مِنْ صَبْرٍ سَاعَةٍ ، وَالْقَوْمُ يُعْطَوْنَنِي مَا أَرَدْتُ مِنَ الدُّنْيَا ، فَمَا رَأَيْكَ ؟ فَقَالَتْ : أَنْتَ يَا بُنَيَّ أَعْلَمَ بِنَفْسِكَ ، إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ عَلَى حَقٍّ وَإِلَيْهِ تَدْعُو فَأَمْضِ لَهُ ، فَقَدْ قُتِلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُكَ ، وَلَا تُتِمَّكَ مِنْ رَقَبَتِكَ يَتْلَبُ بِكَ غِلْمَانُ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَإِنْ كُنْتَ إِيَّانَا أَرَدْتَ الدُّنْيَا فَبُئْسَ الْعَبْدُ أَنْتَ ! أَهْلَكَ نَفْسَكَ وَأَهْلَكَ مِنْ قَتْلِ مَعِكَ ، وَإِنْ قُلْتَ : قَدْ كُنْتُ عَلَى حَقٍّ فَلَا وَهْنَ أَصْحَابِي وَهَنْتُ وَضَعْتُ ، فَلَيْسَ هَذَا فِعْلُ الْأَحْرَارِ وَلَا أَهْلِ

الدين ، وكم خلّوك في الدنيا ! القتل أحسن ، فدنا ابنُ الزبير فقبل رأسها ؛ وقال :
 هذا والله رأيي الذي قتُ به داعياً إلى يومى هذا ، وما ركنتُ إلى الدنيا ، ولا أحببتُ
 الحياة فيها ؛ ولم يدعني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تُسجّل محارمه^(١) ، ولكنني
 أحببتُ أن أعلم رأيك ، فزدني بصيرةً مع بصيرتي . فانظري يا أمّه ، فإني مقتول من
 يومى هذا ، فلا يشتدّ حزّك ، وسألى لأمر الله ، فإنّ ابنك لم يتعمّد إتيان منكر ، ولا
 عملاً بفاحشة ، ولم يجزّ في حكم ، ولم يفدّر في أمان ، ولم يتعمّد ظلم مسلم ولا معاهد ،
 ولم يبلّغني ظلم عن عمالي فرضيتُ به بل أنكرته ، ولم يكن شيءٌ آثرَ عندي من رضا
 ربى . اللهم إني لا أقول هذا تركيةً مني لنفسى ، أنت أعلم بي ، ولكنني أقوله تعزيةً
 لأمتي لتسلو عني . فقالت أمّه : إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسناً إن
 تقدّمتني ، فلا أخرج من الدنيا حتى أنظرَ إلى ما يصيرُ أمرُك ، فقال : جزاك الله يا أمّه
 خيراً ! فلا تدعى الدعاء لي قبلُ وبعد ؛ قالت : لا أدعه أبداً ، فمن قُتل على باطل فقد
 قُتِلَ على حق . ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل ، وذلك
 التحيب والظما في هواجر المدينة ومكة ، وبرّه بأبيه وبى ! اللهم إني قد سلّمته لأمرِك
 فيه ، ورضيت بما قضيت ، فأثبني في عبدِ الله ثواب الصّابرين الشاكرين .

قال أبو جعفر : وروى محمد بن عمر ، عن موسى بن يعقوب بن عبد الله ، عن
 حمّه ، قال : دخل ابنُ الزبير على أمّه وعليه الدرع والمِفرّ ، فوقّف فسلم ، ثمّ دنا فتناول
 يدها فقبّاه ، فقالت : هذا وداع فلا تبعد ، فقال : نعم ، إني جئتُ مودّعاً ، إني لا أرى
 أنّ هذا اليومَ آخرُ يوم من الدنيا يمرّ بي ؛ واعلى يا أمّه أني إن قُتلُ فإنما أنا لحمٌ
 لا يضرّه ما صنّع به ، فقالت : صدقت يا بُنى ، أتم على بصيرتك ، ولا تشكّن ابنَ

(١) الطبري : « أن يستحلّ حرمه » .

أبى عَقِيلُ مِنْكَ ، وادْنُ مِنِّي أودَّعَكَ ؛ فدنا منها فقبلها وعانقها ، فقالت حيث مسَّت الدَّرْعُ : ما هذا صَنِيعُ مَنْ يريدُ ما تريدُ ! فقال : ما لبستُها إلا لأشدَّ مِنْكَ ، فقالت : إنها لا تشدُّ مِنِّي ؛ فنزعها ، ثمَّ أخرجَ^(١) كميَّةً وشدَّ أسفلَ قميصه ، وعمدَ إلى جَبَّةٍ خَزَّ تحتَ القميص ، فأدخلَ أسفلَها في المِنطقة ، فقالت أمه : شمِّرْ ثيابَكَ ، فشمَّرَها ، ثمَّ انصرف وهو يقول :

إِنِّي إِذَا أَعْرِفَ يَوْمِي أَصْبِرُ إِذْ بَعْضُهُمْ يَعْرِفُ ثُمَّ يُنْكِرُ
فسمعت العجوز قوله ، فقالت : تصبر والله ، ولم لا تصبر وأبو بكر والزبير ، وأملك صفية بنت عبد المطلب !

قال وَرَوَى محمد بن عمر عن ثور بن يزيد عن رجل من أهل حمص قال : شهدتُ واللهِ ذلكَ اليومَ ونحنُ خمسمائة من أهلِ حمص ، فدخلَ من باب المسجد لا يدخلُ منه غيرنا ، وهو يشدُّ علينا ونحنُ مُنهزمون وهو يرتجز :

إِنِّي إِذَا أَعْرِفَ يَوْمِي أَصْبِرُ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ يَوْمِيهِ الْحَرْ
* وَبَعْضُهُمْ يَعْرِفُ ثُمَّ يُنْكِرُ *

فأقول : أنت واللهِ الحرُّ الشريف ، فلقد رأيتُه يقف بالأبطح ، لا يدنو منه أحدٌ حتى ظننَّا أنه لا يقتل .

قال وَرَوَى مُصْعَبُ بْنُ ثَابِتٍ ، عن نافع مولى بنى أسد ، قال : رأيتُ الأبوابَ قد شُحِنَتْ بأهل^(٢) الشام ، وجعلوا على كلِّ بابٍ قائدا ورجالا وأهل بلد ، فكان لأهل حمص الباب الذي يواجه باب الكعبة ، ولأهل دمشق باب بنى شَيْبَةَ ، ولأهل الأردن باب الصفا ، ولأهل فلسطين باب بنى جُمَح ، ولأهل قنسرین باب بنى سَهْمٍ ، وكان الحجاج وطريق بن عمرو في ناحية الأبطح إلى المَرَوَّة ، فمرة يحمل ابن الزبير

(٢) الطبرى : « من أهل الشام » :

(١) الثرى : « أدرج » .

في هذه الناحية ، ولكأنه أسد في أجمة ما يقدم عليه الرجال ، فيعدو في أثر الرجال وهم على الباب حتى يخرجهم ، ثم يصيح إلى عبدالله بن صفوان ، يا أبا صفوان ، ويل أمه فتجا لو كان له رجال ! ثم يقول :

* لو كان قرني واحدا كُنَيْتُهُ ^(١) *

فيقول عبدُ الله بن صفوان : إي والله وألفا .

قال أبو جعفر : فَمَا كَانَ يَوْمَ الثَّلَاثِ ، صَبِيحَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ ، وَقَدْ أَخَذَ الْحِجَابَ عَلَى ابْنِ الزَّيْرِ بِالْأَبْوَابِ ، بَاتَ ابْنُ الزَّيْرِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ يَصَلِّيُ عَامَّةَ اللَّيْلِ ، ثُمَّ احْتَبَى بِحِمَائِلِ سَيْفِهِ ، فَأَغْفَى ثُمَّ انْتَبَهَ بِالْفَجْرِ ، فَقَالَ : أَذُنٌ يَأْسَعِدُ ؛ فَأَذَّنَ عِنْدَ الْمَقَامِ ، وَتَوَضَّأَ ابْنُ الزَّيْرِ وَرَكَعَ رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ ، ثُمَّ تَقَدَّمَ وَأَقَامَ الْمُؤَذِّنُ ، فَصَلَّى ابْنُ الزَّيْرِ بِأَصْحَابِهِ فَقَرَأَ « ن وَالْقَلَمَ » حَرَفًا حَرَفَاتِهِمْ سَلَّمَ ، ثُمَّ قَامَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : اكْشِفُوا وُجُوهَكُمْ حَتَّى أَنْظَرَ ، وَعَلَيْهَا الْمَغْفِرِ وَالْعَمَامُ ، فَكَشَفُوا وَجُوهَهُمْ ، فَقَالَ : يَا آلَ الزَّيْرِ ، لَوْ طَبَّعْتُ لِي نَفْسًا عَنْ أَنْفُسِكُمْ كُنَّا أَهْلَ بَيْتٍ مِنَ الْعَرَبِ اصْطَلَمْنَا ، لَمْ تُصَبْنَا مَذَلَّةً ، وَلَمْ نَقْرَ عَلَى ضَيْمٍ . أَمَّا بَعْدُ يَا آلَ الزَّيْرِ ، فَلَا يُرْغَمُ وَقَعُ السَّيُوفِ ، فَإِنِّي لَمْ أَحْضِرْ مَوْطِنًا قَطُّ ارْتَثَتْ فِيهِ بَيْنَ الْقَتْلَى ، وَمَا أَجِدُ مِنْ دَوَاءٍ جَرَّاحٍ أَشَدَّ مِمَّا أَجِدُ مِنْ أَلَمٍ وَقَعَهَا . صَوْنُوا سَيُوفَكُمْ كَمَا تَصُونُونَ وَجُوهَكُمْ . لَا أَعْلَمُ امْرَأً كَسَرَ سَيْفَهُ وَاسْتَبَقَى نَفْسَهُ . فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ذَهَبَ سِلَاحُهُ فَهُوَ كَالْمَرْأَةِ اعْزَلٍ . غَضُّوا أَبْصَارَكُمْ عَنِ الْبَارِقَةِ ، وَلَيْسْغَلْ كُلُّ امْرِئٍ قَرْنَهُ ، وَلَا يُلْهِينَكُمْ السُّؤَالُ عَنِّي ، وَلَا تَقُولُنَّ : أَيْنَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزَّيْرِ ؟ أَلَا مِنْ كَانَ سَائِلًا عَنِّي فَإِنِّي فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ قَالَ :

(١) من أبيات لدويد بن زيد بن نهد ، طبقات الشعراء ٢٧ ، ٢٨ .

أَبَى لَابِنْ سَلَمَى أَنَّهُ غَيْرُ خَالِدٍ يُبْلِغُنِي الْمَنَافَا أَيْ وَجْهٍ تَيَمَّمًا ^(١)
 فَلَسْتُ بِمُبْتَاعٍ الْحَيَاةِ بِسُبَّةٍ وَلَا مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سَلَامًا
 ثُمَّ قَالَ : ااحملوا على بركة الله ، ثُمَّ حَمَلْ حَتَّى بَلَغَ بِهِمْ إِلَى الْحُجُجُونَ ، فَرُمِيَ
 بِحَجَرٍ ، فَأَصَابَ وَجْهَهُ ، فَأَرَعِشَ وَدَمِيَ وَجْهَهُ ، فَلَمَّا وَجَدَ سُخُونَةَ الدَّمِ تَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ
 وَلِحْيَتِهِ قَالَ :

وَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَاءُ ^(٢)
 قَالَ : وَتَقَاوُوا عَلَيْهِ ، وَصَاحَتْ مَوْلَاةٌ لَهُ بِمَجْنُونَةٍ : وَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ! وَقَدْ كَانَ هَوَى ،
 وَرَأَتْهُ حِينَ هَوَى فَأَشَارَتْ لَهُمْ إِلَيْهِ ، فَقَتِلَ وَإِنَّ عَلَيْهِ لثِيَابَ خَزٍّ ، وَجَاءَ الْخَبْرُ إِلَى
 الْحِجَااجِ ، فَسَجَدَ وَسَارَ هُوَ وَطَارِقُ بْنُ عَمْرٍو ، فَوَقَفَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ طَارِقُ : مَا وَلَدْتَ النِّسَاءَ
 أَذْكَرَ مِنْ هَذَا ، فَقَالَ الْحِجَااجُ : أَمَدَحَ مِنْ يُخَالِفُ طَاعَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ! فَقَالَ طَارِقُ : هُوَ
 أَعَذَرُ لَنَا ، وَلَوْلَا هَذَا مَا كَانَ لَنَا عُذْرٌ ، إِنَّا مُحَاصِرُوهُ وَهُوَ فِي غَيْرِ حَنْدَقٍ وَلَا حِصْنٍ
 وَلَا مَنَعَةٍ مِنْذُ ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ يَنْتَصِفُ مِنَّا ، بَلْ يَفْضُلُ عَلَيْنَا فِي كُلِّ مَا اتَّقَيْنَا نَحْنُ وَهُوَ ؛
 قَالَ : فَبَلَغَ كِلَاهُمَا عَبْدَ الْمَلِكِ ، فَصَوَّبَ طَارِقًا .

قَالَ : وَبَعَثَ الْحِجَااجُ بِرَأْسِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَرَأْسِ عَبْدِ بْنِ صَفْوَانَ وَرَأْسَ عَمَارَةَ بْنِ عَمْرٍو
 ابْنَ حَزْمٍ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَنَصَبَتْ الثَّلَاثَةَ بِهَا ، ثُمَّ حَمَلَتْ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ .

وَنَحْنُ الْآنَ نَذْكُرُ بَقِيَّةَ أَخْبَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ مُلْتَقِطَةً مِنْ مَوَاضِعٍ مُتَفَرِّقَةٍ :
 رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فِي أَيَّامِ مَعَاوِيَةَ وَاقِفًا بِبَابِ مِيَّةَ مَوْلَاةَ مَعَاوِيَةَ ، فَقِيلَ لَهُ :

(١) . للحصين بن الحمام المرى ، الأغاني ١٤ : ٨ .

(٢) . للحصين بن الحمام المرى ، ديوان الحماسة ١ : ١٩٢ - بشرح التبريزي .

يا أبا بكر ، مثلك يقف بباب هذه ! فقال : إذا أعيتكم الأمور من رؤوسها فخذوها من أذناها .

ذكر معاوية لعبد الله بن الزبير يزيد ابنه ، وأراد منه البيعة له ، فقال ابن الزبير : أنا أناديك ولا أناجيك ، إن أحاك من صدقك ، فانظر قبل أن تقدم ، وتفكر قبل أن تتقدم ؛ فإن النظر قبل التقدم ؛ والتفكر قبل التندم ؛ فصحك معاوية وقال : تعلمت يا أبا بكر الشجاعة عند الكبر .

كان عبد الله بن الزبير شديد البخل ، كان يطعم جنده تمرًا ، ويأمرهم بالحرب ، فإذا فرّوا من وقع السيوف لأمهم وقال لهم : أكلتم تمرى ، وعصيتكم أمرى فقتل بعضهم :

ألم تر عبد الله - والله غالب - على أمره - يبنى الخلافة بالتمر
وكسر بعض جنده خمسة أرماع في صدور أصحاب الحجاج ، وكلما كسر رُمحاً أعطاه رُمحاً ، فشق عليه ذلك ، وقال : خمسة أرماع ! لا يحتمل بيت مال المسلمين هذا .
قال : وجاءه أعرابي سائل فرده ، فقال له : لقد أحرقت الرّضاء قدى ؛ فقال : بل عليها يبردان .

جمع عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس في سبعة عشر رجلاً من بنى هاشم ، منهم الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، وحصرهم في شعب بمكة يعرف بشعب عارم ، وقال : لا تمضى الجمعة حتى تبايعوا إلى أو أضرب أعناقكم ، أو أحرقتكم بالنار ، ثم نهض إليهم قبل الجمعة يريد إحراقهم بالنار ، فالتزمه

ابن مسور بن مخزومة الزهرى ، وناشده الله أن يؤخرهم إلى يوم الجمعة ، فلما كان يوم الجمعة دعا محمد بن الحنفية بفسول وثياب بيض ، فاغتسل وتلبس وتحنط ، لا يشك في القتل ، وقد بعث المختار بن أبي عبيد من الكوفة أبا عبد الله الجدلى في أربعة آلاف ، فلما نزلوا ذات عرق ؛ تعجل منهم سبعون على رواحلهم حتى وافوا مكة صبيحة الجمعة ينادون : يا محمد ، يا محمد ! وقد شهروا السلاح حتى وافوا شعب عارم ، فاستخلصوا محمد ابن الحنفية ومن كان معه ، وبعث محمد بن الحنفية الحسن بن الحسن ينادى : من كان يرى أن الله عليه حقا فليشم سيفه ، فلا حاجة لى بأمر الناس ، إن أعطيها عفوا قبلها ، وإن كرهوا لم نبتزهم^(١) أمرهم .

وفى شعب عارم وحاصر ابن الحنفية فيه يقول كثير بن عبد الرحمن :

ومن ير هذا الشيخ بالخيف من مني من الناس يعلم أنه غير ظالم
سمي النبي المصطفى وابن عمه وحمال أقال وفكك عارم
تخبر من لا قيت أنك عائد بل المائد المحبوس في سجن عارم

وروى اللدائي ، قال : لما أخرج ابن الزبير عبد الله بن عباس من مكة إلى الطائف مر بنعمان ، فنزل فصلى ركعتين ، ثم رفع يديه يدعو ، فقال : اللهم إنك تعلم أنه لم يكن بلد أحب إلى من أن أعبدك فيه من البلد الحرام ، وأنتى لا أحب أن تقبض روى إلا فيه ، وأن الزبير أخرجنى منه ، ليكون الأقوى فى سلطانه . اللهم فأؤهين كيدته ، واجعل دائرة السوء عليه . فلما دنا من الطائف تلقاه أهلها ، فقالوا : مرحباً بابن عم رسول الله صلى الله عليه ! أنت والله أحب إلينا وأكرم علينا ممن أخرجك ؛ هذه منازلنا تحيها ، فانزل منها حيث أحببت ؛ فنزل منزلاً ، فكان

(١) لم نبتزهم أمرهم : لم تسلبه منهم عفوا .

يَجْلِسُ إِلَيْهِ أَهْلُ الطَّائِفِ بَعْدَ الْفَجْرِ وَبَعْدَ الْعَصْرِ ؛ فَيَتَكَلَّمُ بَيْنَهُمْ ، كَانَ يَحْمَدُ اللَّهَ وَيَذْكُرُ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْخُلَفَاءَ بَعْدَهُ ، وَيَقُولُ : ذَهَبُوا فَلَمْ يَدْعُوا أَمْثَالَهُمْ وَلَا أَشْبَاهَهُمْ
وَلَا مَنْ يُدَانِيهِمْ ؛ وَلَكِنْ بَقِيَ أَقْوَامٌ يَطْلُبُونَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ ، وَيَلْبَسُونَ جُلُودَ
الضَّانِّ ؛ تَحْتَ قُلُوبِ الدُّنْيَا وَالنُّمُورِ ، لِيُظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُمْ مِنَ الرَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا ، يُرَاجِعُونَ
النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ ، وَيُسَخِّطُونَ اللَّهَ بِسِرَائِرِهِمْ ؛ فَادْعُوا اللَّهَ أَنْ يَقْضِيَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ بِالْخَيْرِ
وَالْإِحْسَانِ ، فَيُوَلِّي أَمْرَهَا خَيْرَهَا وَأَبْرَارَهَا ، وَيُهْلِكَ فُجَّارَهَا وَأَشْرَارَهَا ، أَرْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ
إِلَى رَبِّكُمْ وَسَبِّحُوهُ ذَلِكَ ؛ فَيَفْعَلُونَ .

فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ الزُّبَيْرِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَجْلِسُ بِالطَّائِفِ الْعَصْرَيْنِ فَتُفْتِيهِمْ بِالْجَهْلِ ، تَعِيبُ أَهْلَ
الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ ؛ وَإِنَّ حِلْمِي عَلَيْكَ ، وَاسْتِدَامَتِي قَيْثِكَ جَرَّأَكَ عَلَيَّ ، فَكَفَّفْ لِي بِالْغَيْرِكَ -
مِنْ غَرَبِكَ ، وَأَرْبَعَ عَلَى ظِلْمِكَ^(١) ، وَاعْقِلْ إِنْ كَانَ لَكَ مَعْقُولٌ ، وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ فَإِنَّكَ
إِنْ تَهَنَّأْتَ بِتَجْدِهَا عَلَى النَّاسِ أَعْظَمُ هَوَانًا ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

فَنَفْسُكَ أَكْرَمُهَا فَإِنَّكَ إِنْ تَهَنَّأْتَ عَلَيْكَ فَلَنْ تَلْقَى لَهَا - الدَّهْرَ - مُكْرِمًا

وإِنِّي أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَنْ لَمْ تَنْتَهَ عَمَّا بَلَغَنِي عَنْكَ لِتَجِدَنَّ جَانِبِي خَسِنًا ، وَلِتَجِدَنِّي إِلَى
مَا يَرِدُ دَعَايَ عَنِّي عِجْلًا ، فَارْأَيْكَ ، فَإِنْ أَشْفَى بِكَ شَقَاؤُكَ عَلَى الرَّدَى فَلَا تَلُمْ إِلَّا نَفْسَكَ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ ؛ قُلْتُ : إِنِّي أَفْتِي النَّاسَ بِالْجَهْلِ ، وَإِنَّمَا يُفْتَى بِالْجَهْلِ
مَنْ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ الْعِلْمِ شَيْئًا ، وَقَدْ آتَانِي اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يُوْنِكْ . وَذَكَرْتُ أَنَّ حِلْمَكَ
عَنِّي ، وَاسْتِدَامَتَكَ قَيْثِي جَرَّأَنِي عَلَيْكَ ، ثُمَّ قُلْتُ : أَكْفَفُ مِنْ غَرَبِكَ ، وَارْبَعَ عَلَى

(١) يقال : اربع على ظلمك ؛ أي افعل بقدر ما تطيق ، ولا تحمل عليها أكثر مما تطيق :

ظَلَمَكَ ؛ وضربت لى الأمثال ، أحاديث الضَّبع ، متى رَأَيْتَنِي لِعُرَامِكَ^(١) هَائِبًا ، ومن حَدَثِكَ نَاكِلا ! وقلت : لئن لم تكف لتجدنَّ جانبي خَشِنًا ، فلا أبقى الله عليك إن أبقيت ، ولا أرى عليك إن أَرَعَيْت ! فوالله أَنتهى عن قول الحق ، وصفة أهل العدل والفضل ، وذمَّ الأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ، الذين ضَلَّ سَعِيَهُمْ في الحياة الدنيا وهم يحسبون أَنهم يُحْسِنُونَ صُنْعًا ؛ وَالسَّلَامُ .

قَدِمَ معاوية المدينة راجعا من حَجَّةِ حَجَّيْهَا ، فكَثُرَ النَّاسُ عَلَيْهِ في حَوَائِجِهِمْ ، فقال لصاحب إبائه : قَدِّمْ إِيَّاكَ لِيَأْتِيَ حَتَّى أُرْتَحِلَ ؛ ففعل ذلك ، وسار ولم يعلم بأمره إلا عبد الله بن الزبير ؛ فإنه ركب فرسه وقفًا أثره ، ومعاوية نائم في هَوْدَجِهِ ، فجعل يسيرُ إلى جانبه ، فانتبه معاوية ، وقد سمع وَقَعَ حافر الفرس ، فقال : من صاحب الفرس ؟ قال : أنا أبو خُبَيْبٍ ، لو قد قَتَلْتُكَ منذ الليلة ! يُتَمَازِحُهُ ، فقال معاوية : كَلَّا لستَ من قَتَلَةِ المُلُوكِ ، إنما يصيد كلُّ طائر قَدْرَهُ . فقال ابنُ الزبير : إلىَّ تقول هذا ، وقد وقفتُ في الصَّفِّ بإِزاءِ عليِّ بن أبي طالب ؛ وهو مَنْ تعلم ! فقال معاوية : لا جَرم ! إنه قَتَلَكَ وأَبَاكَ ييسرى يَدَيْهِ ، وبقيتُ يَدُهُ اليمى فارغة يطلب مَنْ يقتله بها . فقال ابنُ الزبير : أما والله ما كان ذاك إلا في نَصْرِ عثمان فلم يُجْزَ به ، فقال معاوية : خَلَّ هذا عنك ، فوالله لولا شِدَّةُ بُغْضِكَ ابنَ أبي طالب لجررتُ بِرِجْلِ عثمان مع الضَّبع . فقال ابنُ الزبير : أَفَعَلْتَهَا يا معاوية ! أما إِنَّا قد أَعْطَيْنَاكَ عَهْدَهُ ، ونحنُ وافون لك به ما دمتَ حَيًّا ، ولكن ليعلمَنَّ مَنْ بعدك ، فقال معاوية : أما والله ما أَخَافُكَ إِلَّا على نفسك ، ولكأني بك وأنتَ مشدودٌ مَرْبُوطٌ في الأَنْشُوطَةِ^(٢) ، وأنتَ تقول : ليت أبا عبد الرحمن كان حَيًّا ، وليتنى كنتُ حيا يومئذ ، فأَحَلَّكَ حَلًّا رَفِيقًا ، ولبئس المَطْلُوقُ والمعتق والمُسْنُونُ عليه أنتَ يومئذ !

(١) العرار : الشراسة والشدة .

دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْرِ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَعِنْدَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، فَتَكَلَّمَ عَمْرُو - وَأَشَارَ إِلَى ابْنِ الزَّيْرِ - فَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي غَرَّتْهُ أَنَاتُكَ ، وَأَبْطَرَهُ خِلْمُكَ ، فَهُوَ يَنْزُو فِي نَشِطَتِهِ نَزْوَ الْعِيرِ فِي حَبَالَتِهِ ، كُلَّمَا قَصَصْتَهُ الْغُلُوَاءُ وَالشَّرَّةُ سَكَنَتْ الْأَنْشُوطَةُ مِنْهُ التَّفَرُّةُ ، وَأَخْرَجَتْهُ أَنْ يَثُولَ إِلَى الْقَلَّةِ أَوْ الذَّلَّةِ ، فَقَالَ ابْنُ الزَّيْرِ : أَمَا وَاللَّهِ يَا ابْنَ الْعَاصِ ، لَوْلَا أَنَّ الْإِيمَانَ أَزْمَنَّا بِالْوَفَاءِ ، وَالطَّاعَةَ لِلْخُلَفَاءِ - فَنَحْنُ لَا نَزِيدُ بِذَلِكَ بَدَلًا ، وَلَا عَنْهُ حِيُولًا - لَكَانَ لَنَا وَلَهُ وَلَكَ شَأْنٌ ، وَلَوْ وَكَّلَهُ الْقَضَاءُ إِلَى رَأْيِكَ ، وَمَشُورَةُ نَظَرَاتِكَ - لَدَافَعْنَاهُ بِمَنْكِبٍ لَا تَتَوَدُّهُ الْمَرْأَجَةُ ، وَلَقَادَفْنَاهُ بِمَجَرٍّ لَا تَنْكَوُهُ الْمَرْأَجَةُ ؛ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَمَا وَاللَّهِ يَا ابْنَ الزَّيْرِ لَوْلَا إِثَارِي الْأَنَاءَةُ عَلَى الْعَجَلِ ، وَالصَّفْحَ عَلَى الْعُقُوبَةِ ، وَأَنْتَى كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

أَجَامِلُ أَقْوَامًا حَيَاءً وَقَدْ أَرَى قُلُوبَهُمْ تُغْلَى عَلَى مِرَاضِهَا
إِذَا لَقَرْتَنُكَ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْحَرَمِ تُسَكِّنُ بِهَا غُلُوَاءَكَ ، وَيَنْقَطِعُ عِنْدَهَا
طَمَعُكَ ، وَتَنْقُصُ مِنْ أَمْلِكَ ، مَا لَعَلَّكَ قَدْ لَوَيْتَهُ فَشَرَزْتَهُ ، وَفَتَلْتَهُ فَأَبْرَمْتَهُ . وَإِسْمُ اللَّهِ إِلَانُكَ
مِنْ ذَلِكَ كَلَى شَرَفٍ جُرُفٍ بَعِيدِ الْهُوَّةِ ؛ فَكُنْ عَلَى نَفْسِكَ وَلَهَا ، فَمَا تَوَرَّقَ وَلَا تَنْقُذْ
غَيْرَهَا ، فَشَأْنُكَ وَإِيَّاهَا .

قَطَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْرِ فِي الْخُلُطَةِ ذِكْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جَمَاعًا كَثِيرَةً ، فَاسْتَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنِّي لَا أَرْغَبُ عَنْ ذِكْرِهِ ، وَلَكِنْ لَهُ أَهْيَلُ سَوْءٍ إِذَا ذَكَرْتُهُ أَتَلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ ، فَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَكْتِبَهُمْ .

لَمَّا كَاشَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْرِ بَنِي هَاشِمٍ وَأَخْلَهَ بَعْضَهُمْ وَعَابَهُمْ ، وَهُمْ بِمَا هُمْ بِهِ فِي

أمرهم ، ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبة ، لا يوم الجمعة ولا غيرها ، عاتبه على ذلك قوم من خاصته ، وتشاءموا بذلك منه ، وخافوا عاقبته ، فقال : والله ما تركت ذلك علانية إلا وأنا أقوله سراً وأكثر منه ؛ لكتني رأيت بنى هاشم إذا سمعوا ذكره اشرأبوا واحمرت ألوانهم ، وطالت رقابهم ، والله ما كنت لأتني لهم سروراً وأنا أقدر عليه ، والله لقد هممت أن أحظر لهم حظيرة ثم أضرمها عليهم نارا ، فإني لا أقتل منهم إلا آثماً كفاراً سحاراً ، لا أنماهم ^(١) الله ولا بارك عليهم ، بيت سوء لا أول لهم ولا آخر ، والله ما ترك نبي الله فيهم خيراً ، استفرع نبي الله صدقهم فهم أكذب الناس .

فقام إليه محمد بن سعد بن أبي وقاص فقال : وفقك الله يا أمير المؤمنين ! أنا أول من أعانك في أمرهم ، فقام عبد الله بن صفوان بن أمية الجحفي ، فقال : والله ما قلت صواباً ، ولا هممت برشد ، أرهط رسول الله صلى الله عليه وآله تعيب ، وإياهم تقتل ، والعرب حولك ! والله لو قتلت عدتهم أهل بيت من الترك مسلمين ما سوغه الله لك ، والله لو لم ^(٢) ينصرهم الناس منك لنصرهم الله بنصره . فقال : اجلس أبا صفوان فلست بناموس ^(٣) .

فبلغ الخبر عبد الله بن العباس ، فخرج مفضباً ومعه ابنه حتى أتى المسجد ، فقصد قصد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال : أيها الناس ، إن ابن الزبير يزعم أن لا أول لرسول الله صلى الله عليه وآله ولا آخر ، فيأعجباً كل العجب لا فتراه ولكذبه ! والله إن أول من أخذ الإيلاف وسمي عيرت ^(٤)

(١) لا أنماهم : لا أكثر عددهم . (٢) في د « لولا » . (٣) الناموس : الماخذ .

(٤) العير - بالكسر : الإبل تحمل الميرة ؛ بلا واحد من لفظها ، وجمعه عيرات .

قريش لهاشم ، وإن أول من سقى بمكة عذبا ^(١) ، وجعل باب الكعبة ذهابا لعبد المطلب ، والله لقد نشأت ناشتونا مع ناشئة قريش ، وإن كنا لقاتلهم ^(٢) إذا قالوا ، وخطباءهم إذا خطبوا ؛ وما عدَّ نجد كجد أولنا ، ولا كان في قريش مجد لغيرنا ؛ لأنها في كفر ماحق ، ودين فاسق ، وضلة وضلالة ، في عشواء ^(٣) عثياء ، حتى اختار الله تعالى لها نورا ، وبعث لها سراجا ، فانتجبه ^(٤) طيباً من طيبين ، لا يسبه بمسبة ، ولا يبغي عليه ؛ غائلة ، فكان أحدا وولدنا ، وعمنا وابن عمنا ^(٥) . ثم إن أسبق السابقين إليه منا وابن عمنا ، ثم تلاه في السبق ، أهلنا ولحمنا ^(٦) واحدا بعد واحد .

ثم إننا نخير الناس بعده وأكرمهم أدبا ، وأشرفهم حسبا ، وأقربهم منه رحما . واءجبنا كل العجب لأبن الزبير ! يعيب بنى هاشم ، وإنما شرف هو وأبوه وجدّه بمصاهرتهم ؛ أما والله إنه لمسلوب قريش ، ومتى كان العوام بن خويلد يطمع في صفية بنت عبد المطلب ! قيل للتعل : من أبوك يا بعل ؟ فقال : خالي الفرس . ثم نزل .

خطب ابن الزبير بمكة على المنبر ؛ وأبن عباس جالس مع الناس تحت المنبر ، فقال : إن هاهنا رجلا قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره ، يزعم أن مئعة النساء حلال من الله ورسوله ، ويفتي في القملة والنملة ؛ وقد احتمل بيت مال البصرة بالأمس ، وترك المسلمين بها يرتضخون ^(٧) النوى ؛ وكيف ألومّه في ذلك ، وقد قاتل أم المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن وقاه بيده !

(١) في الطبرى : « وعبد المطلب هو الذى كشف عن زمزم بئر إسماعيل بن إبراهيم واستخرج ما كان فيها مدفونا » .

(٢) الغالة : جمع قائل .

(٣) فتنة عشواء ، مر العشى ؛ وهو سوء البصر بالليل والنهار .

(٤) انتجبه : انتخبه .

(٥) ابن عمنا ، أى على بن أبى طالب .

(٦) اللجمة : القرابة .

(٧) يرتضخون النوى : يكسروله .

فقال ابن عباس لقائده سعد بن جبير بن هشام مولى بنى أسد بن خزيمة : استقبل بى وجه ابن الزبير ، وارفع من صدرى ؛ وكان ابن عباس قد كفّ بصره فاستقبل به قائده وجه ابن الزبير ، وأقام قائمته فحسّر عن ذراعائه ، ثم قال يا بن الزبير :
قد أنصف القارة من رامها ^(١) إنا إذا ما في فلاة نلقاها
بردة أولاهنا على أخراها حتى تصير حرضا دعوها ^(٢)

يا بن الزبير ؛ أما المعنى فإن الله تعالى يقول : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ ^(٣) ؛ وأما فتياى فى القملة والنملة ؛ فإن فيها حكمين لا تعلمها أنت ولا أصحابك . وأما حلى المال فإنه كان مالا جبيناه فأعطينا كل ذى حق حقه ، وبقيت بقية هى دون حقتنا فى كتاب الله فأخذناها بحقتنا . وأما المنفعة فسل أمك أسماء إذا نزلت عن بردى عوسجة . وأما قتالنا أم المؤمنين فبنا سميت أم المؤمنين لا بك ولا بأبيك ؛ فانطلقت أبوك وخالك إلى حجاب مدّه الله عليها ، فمتكاه عنها ، ثم اتخذها فتنة يقاتلان دونها ، وصانا حلالتهما فى بيوتهما ، فأنصفا الله ولا محمدًا من أنفسهما أن أبرزا زوجة نبيّه وصانا حلالتهما . وأما قتالنا إياكم فإننا لقينا زحفا ، فإن كنا كفارا فقد كفرتم بفراركم منا ، وإن كنا مؤمنين فقد كفرتم بقتالكم إيانا ، وإيم الله لولا مكان صفية فيكم ، ومكان خديجة فينا ، لما تركت لبنى أسد بن عبد العزى عظما إلا كسرتة .

فلما عاد ابن الزبير إلى أمّه سألتها عن بردى عوسجة ، فقالت : ألم أنك من ابن عباس وعن بنى هاشم ! فإنهم كعم ^(٤) الجواب إذا بدّوها ، فقال : بلى ، وعصيتك .

(١) فى اللسان : القارة : قوم رماة من العرب ، وفى المثل : « قد أنصف القارة من رامها » .

(٢) الحرص : الفساد فى الذهن والعقل والبدن .

(٣) سورة الحج آية ٤٦ .

(٤) كعم البعير : شداه لثلا يعض أو يأكل ، والكمام - ككتاب - : ما يجعل على فمه ، والجمع كعم ، والمعنى أنهم ذوو أجوبة مسكتة مخرسة تلجم أفواه مناظرهم .

فَقَالَتْ : يَا بُنَيَّ ، احْذَرْ هَذَا الْأَعْمَى الَّذِي مَا أَطَاقَتْهُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ، وَأَعْلَمْ أَنَّ عِنْدَهُ
فَضْأَحَ قَرِيشٍ وَمَخَازِيهَا بِأَسْرِهَا ، فَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ آخِرُ الدَّهْرِ ، فَقَالَ : أَيْمَنُ بْنُ خُرَيْمِ بْنِ
فَاتِكِ الْأَسَدِيِّ :

يَا بْنَ الزَّيْرِ لَقَدْ لَاقَيْتَ بَائِقَةً	مِنْ الْبَوَائِقِ فَالطُّفُ لُطْفٌ مُخْتَالٍ
لَاقَيْتَهُ هَاشِمِيًّا طَابَ مَنَبَتُهُ	فِي مَغْرَسِيهِ كَرِيمَ الْعَمِّ وَالْخَالِ
مَا زَالَ يَقْرَعُ عَنْكَ الْعَظْمُ مُقْتَدِرًا	عَلَى الْجَوَابِ بِصَوْتٍ مُسْمَعٍ عَالٍ
حَتَّى رَأَيْتُكَ مِثْلَ الْكَلْبِ مُنْجَجِرًا	خَلْفَ الْغَبِيطِ وَكَتَفَ الْبَاذِخِ الْعَالِي
إِنْ ابْنَ عَبَّاسٍ الْمَعْرُوفِ حِكْمَتُهُ	خَيْرُ الْأَنَامِ لَهُ حَالٌ مِنَ الْخَالِ
عَيْرَتُهُ الْمُتَعَةِ الْمُتَبَوِّعِ سُنَّتُهَا	وَبِالْقِتَالِ وَقَدْ عَيَّرَتْ بِالْمَالِ
لَمَّا رَمَاكَ عَلَى رِسْلِ بِأَسْهُمِهِ	جَرَّتْ عَلَيْكَ بَسِيفِ الْخَالِ وَالْبَالِ
فَأَحْزَنَ مِقْوَلُكَ الْأَعْلَى بِشَفَرَتِهِ	حَزًّا وَحِيًّا بِلَا قِيلٍ وَلَا قَالٍ ^(١)
وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنْ عَاوَدْتَ غَيْبَتَهُ	عَادَتْ عَلَيْكَ نَخَازِ ذَاتِ أَذْيَالِ

وَرَوَى عُمَانُ بْنُ طَلْحَةَ الْعَبْدَرِيُّ ، قَالَ : شَهِدْتُ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مَشْهَدًا
مَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَجُلٍ مِنْ قَرِيشٍ ، كَانَ يُوضَعُ إِلَى جَانِبِ سَرِيرِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ - وَهُوَ
يَوْمَئِذٍ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ - سَرِيرُهُ آخِرُ أَصْفَرٍ مِنْ سَرِيرِهِ ؛ فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ إِذَا
دَخَلَ ، وَتُوضَعُ الْوَسَائِدُ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ ، فَأَذِنَ مَرْوَانُ يَوْمًا لِلنَّاسِ ، وَإِذَا سَرِيرُهُ آخِرُ
قَدْ أُحْدِثَ تَحْتَهُ سَرِيرُ مَرْوَانَ ، فَأَقْبَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِهِ ، وَجَاءَ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ الزَّيْرِ فَجَلَسَ عَلَى السَّرِيرِ الْمُحْدَثِ ، وَسَكَتَ مَرْوَانُ وَالْقَوْمُ ، فَإِذَا يَدُ ابْنِ الزَّيْرِ

(١) وحيا : سريما .

تتحرك فَعَلِمَ أَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَنْطِقَ ، ثُمَّ نَطَقَ فَقَالَ : إِنْ نَاسَا يَزْعُمُونَ أَنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ غَلْطًا وَفَلْتَةً وَمِغَالَبَةً ؛ أَلَا إِنْ شَأْنُ أَبِي بَكْرٍ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُقَالَ فِيهِ هَذَا ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَوْلَا مَا وَقَعَ لَكَانَ الْأَمْرُ لَهُمْ وَفِيهِمْ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَحَدٌ أَنْبَتَ إِيمَانًا ، وَلَا أَعْظَمَ سَابِقَةً مِنْ أَبِي بَكْرٍ ، فَمَنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ فَعَالِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ ! فَأَيْنَ هُمْ حِينَ عَقَدَ أَبُو بَكْرٍ لِعَمْرٍ ، فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا مَا قَالَ ، ثُمَّ أَلْقَى عَمْرُ حُظَّهُمْ فِي حُظُوظِ ، وَجَدَهُمْ فِي جُدُودٍ ، فَتَقَسَّمَتْ تِلْكَ الْحُظُوظُ ، فَأَخَّرَ اللَّهُ سَهْمَهُمْ ، وَأَدْحَضَ جَدَّهُمْ ، وَوَلَّى الْأَمْرَ عَلَيْهِمْ مَنْ كَانَ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُمْ ، نَفَخُوا عَلَيْهِ خُرُوجَ الْأَصْوَصِ عَلَى التَّاجِرِ خَارِجًا مِنَ الْقَرْيَةِ ، فَأَصَابُوا مِنْهُ غِرَّةً فَقَتَلُوهُ ، ثُمَّ قَتَلَهُمُ اللَّهُ بِهَ قِتْلَةٍ ، وَصَارُوا مَطْرُودِينَ تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ .

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : عَلَى رِسْلِكَ ^(١) أَيُّهَا الْقَاتِلُ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَالْخِلَافَةُ ، أَمَا وَاللَّهِ مَا نَالَا وَلَا نَالَ أَحَدٌ مِنْهُمَا شَيْئًا إِلَّا وَصَاحِبُنَا خَيْرٌ مِنْ نَالَا ، وَمَا أَنْكَرْنَا تَقَدَّمَ مِنْ تَقَدَّمَ لَعَيْبَ عَيْنَاهُ عَلَيْهِ ؛ وَلَوْ تَقَدَّمَ صَاحِبُنَا لَكَانَ أَهْلًا وَفَوْقَ الْأَهْلِ ، وَلَوْلَا أَنَّكَ إِنَّمَا تَذَكَّرَ حَظَّ غَيْرِكَ وَشَرَفَ أَمْرِي سِوَاكَ لَكَلَّمْتِكَ ، وَلَكِنْ مَا أَنْتَ وَمَا لَا حَظَّ لَكَ فِيهِ ! ائْتَصِرْ عَلَى حَظِّكَ ، وَدَعْ نِيًّا لِنَيْمٍ ، وَعَدِيًّا لَعَدِيٍّ ، وَأُمِّيَّةً لَأُمِّيَّةٍ ، وَلَوْ كَلَّمَنِي تَيْمِيٌّ أَوْ عَدَوِيٌّ أَوْ أُمُوِيٌّ لَكَلَّمْتُهُ وَأَخْبَرْتُهُ خَبْرًا حَاضِرٍ عَنْ حَاضِرٍ ، لَا خَبْرَ غَائِبٍ عَنْ غَائِبٍ ، وَلَكِنْ مَا أَنْتَ ، وَمَا لَيْسَ عَلَيْكَ ! فَإِنْ يَكُنْ فِي أَسَدٍ بَنِ عَبْدِ الْعُزَّى شَيْءٌ فَهُوَ لَكَ ، أَمَا وَاللَّهِ لَنَحْنُ أَقْرَبُ بِكَ عَهْدًا ، وَأَبْيَضُ عِنْدَكَ يَدًا ، وَأَوْفَرُ عِنْدَكَ نِعْمَةً مِمَّنْ أَمْسَيْتَ ؛ تَظُنُّ أَنَّكَ تَصُولُ بِهِ عَلَيْنَا ، وَمَا أَخْلَقَ ثَوْبُ صَفِيَّةٍ بَعْدَ ! وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ .

(١) الرسل : الرفق والتؤدة .

أوصى معاوية يزيداً ابنه لما عقده له الخلافة بعده ؛ فقال : إني لا أخاف عليك إلا مَن
أوصيكُ بحِفْظِ قرابته ورعاية حقِّ رَحْمه ، مَن القلوبُ إليه مائلة ، والأهواءُ نحوه جانحة ،
والأعينُ إليه طامحة ، وهو الحَسينُ بنُ عليٍّ ، فاقسِمَ له نصيباً من حِلْمِكَ ، وأخصُصْهُ
بقِسْطِ وإفْرِ من مالِكَ ؛ ومَتِّعْهُ بروحِ الحياة ، وأبلغْ له كلَّ ما أَحَبَّ في أَيْامِكَ ، فأما مَن
عداه فتلاثة : وهم عبدُ اللهِ بنُ عمرِ رجلٌ قد وقذته العِبادَةُ ؛ فليس يريدُ الدنيا إلا أن
تُجِيبَهُ طائفةٌ لا تراقُ فيها محجمةُ دَمٍ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ أبي بكرٍ ، رجلٌ هَقْلٌ^(١)
لا يحملُ ثِقْلاً ، ولا يستطيعُ نهوضاً ؛ وليس بذى هِمة ولا شَرَفٍ ولا أعوان ، وعبدُ اللهِ
ابنُ الزبيرِ وهو الذئبُ الماكر ، والثعلبُ الخائِرُ ؛ فوجَّهْ إليه جِدَّكَ وعَزِّمَكَ ونَكِيرَكَ
ومَكْرَكَ ؛ وأصْرِفْ إليه سَطَوَتَكَ ، ولا تَتَّقِ إليه في حالٍ ، فإنه كالثعلبِ ، راغٍ بالتخلُّلِ
عند الإرهاق ، والليثِ صالٍ بالجرأة عند الإطلاق ؛ وأما ما بعدَ هؤلاءِ فإني قد وطَّأتُ
لك الأُممَ ، وذَلَلْتُ لك أعناقَ المنايِرِ ، وكَفَيْتُكَ مَن قَرُبَ منك ، ومَن بَعُدَ عنك :
فكن للناسِ كما كان أبوك لهم يكونوا لك كما كانوا لأبيك .

* * *

خَطَبَ عبدُ اللهِ بنُ الزبيرِ أيامَ يزيدِ بنِ معاوية فقال في خطبته : يزيدُ القُرودُ ، يزيدُ
الفُهودُ ، يزيدُ الخُمُورُ ، يزيدُ الفُجُورُ ! أما والله لقد بلغني أنه لا يزالُ مخموراً يُخَطِّبُ الناسَ
وهو طافِحٌ في سُكرِهِ . فَبَلَغَ ذلكَ يزيدُ بنَ معاوية ، فما أَمْسَى ليلته حتى جَهَّزَ جيشَ الحرَّةِ ،
وهو عشرون ألفاً ، وجلسَ والشُّمُوعُ بين يديه ، وعليه ثيابٌ مُعَصْفَرَةٌ ، والجنودُ تُعرَضُ
عليه ليلاً ، فلما أصبحَ خرجَ فأبصرَ الجيشَ ، ورأى تَعْيِيسَتَهُ فقال :

أبلغُ أبا بكرٍ إذا الجيشُ أنْبرَى وأخذَ القومُ على وادى القُرَى

(١) الهقل : الفنى من النعام .

عِشْرِينَ أَلْفًا بَيْنَ كَهْلٍ وَفَتًى أَجْمَعَ سَكْرَانَ مِنَ الْقَوْمِ تَرَى
* أَمْ يَجْمَعُ لَيْثٌ دُونَهُ لَيْثُ الشَّرَى *

لَمَّا خَرَجَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْعِرَاقِ ضَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ بِيَدِهِ
عَلَى مِئْكَبِ ابْنِ الزَّيْرِ ؛ وَقَالَ :

يَا لَكَ مِنْ قُفْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَا لَكَ الْجَوْ فَبِیضِي وَاصْفِرِي^(١)
وَتَقَرِّي مَا شِئْتَ أَنْ تُنْقَرِي هَذَا الْحُسَيْنُ سَائِرَةً فَأَبْشِرِي

؛ خَلَا الْجَوْ وَاللَّهُ لَكَ يَا ابْنَ الزَّيْرِ ! وَسَارَ الْحُسَيْنُ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَقَالَ ابْنُ الزَّيْرِ : يَا ابْنَ
عَبَّاسٍ ، وَاللَّهِ مَا تَرَوْنَ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا لَكُمْ ، وَلَا تَرُونَ إِلَّا أَنْكُمْ أَحَقُّ بِهِ مِنْ جَمِيعِ
النَّاسِ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّمَا يَرَى مَنْ كَانَ فِي شَكٍّ ، وَنَحْنُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى يَقِينٍ
وَلَكِنْ أَخْبِرْنِي عَنْ نَفْسِكَ ، بِمَاذَا تَرَوْنَ هَذَا الْأَمْرَ ؟ قَالَ : بِشَرَفِي ، قَالَ : وَبِمَاذَا شَرُفْتَ
إِنْ كَانَ لَكَ شَرَفٌ ؟ فَإِنَّمَا هُوَ بَنِي ، فَنَحْنُ أَشْرَفُ مِنْكَ ، لِأَنَّ شَرَفَكَ مِنَّا . وَعَلَتْ
أَصْوَاتُهُمَا ، فَقَالَ غُلَامٌ مِنْ آلِ الزَّيْرِ : دَعْنَا مِنْكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ؛ فَوَاللَّهِ لَا نُحِبُّونَا يَا ابْنَ هَاشِمٍ
وَلَا نُحِبُّكُمْ أَبَدًا ؛ فَلَطَمَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْرِ بِيَدِهِ وَقَالَ : أَتَتَكَلَّمُ وَأَنَا حَاضِرٌ ! فَقَالَ
ابْنُ عَبَّاسٍ : لَمْ ضَرَبْتَ الْغُلَامَ ، وَاللَّهِ أَحَقُّ بِالضَّرْبِ مِنْهُ مَنْ مَزَقَ وَمَرَّقَ ، قَالَ :
وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : أَنْتَ .

قال : واعترض بينهما رجالٌ من قُرَيْشٍ فأسكتوهما .

(١) تنسب الأبيات إلى طرفة ، العقد الثمين ١٨٥ .

دخل عبدُ الله بنُ الزبير على معاوية ، فقال : اسمع أبياتاً قلتها عاتبْتُك فيها ، قال : هاتِ ، فأَنشدَه :

لَعَمْرِي مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ	عَلَى أَيُّنَا تَعْدُو النِّيْـةُ أَوَّلُ
وَإِنِّي أَخُوكَ الدَّائِمُ الْعَهْدِ لَمْ أَزَلْ	إِنْ أُعْيَاكَ خَصْمٌ أَوْ نَبَاً بَكَ مَنَزَلُ
أَحَارِبُ مِنْ حَارَبْتَ مِنْ ذِي عداوَةٍ	وَأَحْبِسُ يَوْمًا إِنْ حُبِسْتُ فَأَعْقِلُ
وَإِنْ سَوَّيْتَنِي يَوْمًا صَفَحْتُ إِلَى غَدٍ	لِيَعْقِبَ يَوْمٌ مِنْكَ آخِرُ مُقْبِلُ
سَتَقْطَعُ فِي الدُّنْيَا - إِذَا مَا قَطَعْتَنِي -	يَمِينِكَ ، فَانْظُرْ أَيَّ كَفٍّ تَبَدَّلُ !
إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ	عَلَى طَرَفِ الْهَيْجَرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ
وَيَرْكَبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تُضَيِّمَهُ	إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَعْدِلُ
وَكُنْتُ إِذَا مَا صَاحَبْتُ مَلًّا صَحْبَتِي	وَبَدَّلَ شَرًّا بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ
قَلْبْتُ لَهُ ظَهَرَ الْمِجَنِّ وَلَمْ أَقِمِّ	عَلَى الضَّمِيمِ إِلَّا رَيْثًا أَتَحَوَّلُ
وَفِي النَّاسِ إِنْ رَمَيْتَ حِبَالُكَ وَاصِلٌ	وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْقَلْبِ مَتَحَوَّلُ
إِذَا انْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكْذُ	إِلَيْهِ بَوَجْهِ آخِرِ الدَّهْرِ تَقْبَلُ

فقال معاوية : لقد شعرتُ بعدى يا أبا خُبَيْب ! وبينما هما في ذلك دخل معنُ بنُ أَوْسِ الْمَزْنِيِّ ، فقال له معاوية : إِيْهِ ! هَلْ أَحْدَثْتَ بَعْدَنَا شَيْئًا ؟ قال : نَعَمْ ، قال : قُلْ ؛ فَأَنشد هذه الأبيات ، فحجب معاوية وقال لابن الزبير : أَلَمْ تُنْشِدْهَا لِنَفْسِكَ آفَا ! فقال : أَنَا سَوَّيْتُ الْمَعَانِي ، وَهُوَ أَلَّفَ الْأَلْفَاظَ وَنَظَّمَهَا ، وَهُوَ بَعْدُ ظَنَّرَنِي ^(١) ، فَمَا قَالَ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ لِي - وَكَانَ ابْنُ الزَّبِيرِ مُسْتَرْضَعًا فِي مُزَيْنَةَ - فقال معاوية : وَكَذِبًا يَا أبا خُبَيْب ! فقام عبدُ الله فخرج .

(١) يقال : هُوَ ظَنَّرَهُ ، وَهُوَ ظَنَّرَهُ ، وَهُوَ مِنْ أَظْلَارِهِ ، أَيِ أَخَوَاتِهِ مِنَ الرِّضَاعَةِ .

وقال الشعبي : فقد رأيت عجبا بفناء الكعبة أنا وعبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير ، فقام القوم بعد ما فرغوا من حديثهم ، فقالوا : ليقم كل واحد منكم ؛ فليأخذ بالركن اليماني ، ثم يسأل الله تعالى حاجته ، فقام عبد الله بن الزبير فالتزم الركن وقال : اللهم إنك عظيم ترجى لكل عظيم ، أسألك بحُرمة وجهك وحُرمة عرشك وحرمة بيتك هذا ، ألا تخرجني من الدنيا حتى ألي الحجاز ، ويسلم علي بالخلافة ، وجاء فجلس .

فقام أخوه مصعب فالتزم الركن وقال : اللهم رب كل شيء ، وإليك مصير كل شيء ، أسألك بقدرتك على كل شيء ، ألا تميمني حتى ألي العراق ، وأنزج سكينه يفت الحسين بن علي ، ثم جاء فجلس .

فقام عبد الملك فالتزم الركن وقال : اللهم رب السموات السبع ، والأرض ذات البت والقفر ، أسألك بما سألك به المطيعون لأمرك ، وأسألك بحق وجهك ، وبحقك على جميع خلقك ، ألا تميمني حتى ألي شرق الأرض وغربها ، لا ينزعني أحد إلا ظهرت عليه ، ثم جاء فجلس .

فقام عبد الله بن عمر فأخذ بالركن وقال : يارحم يارحم ، أسألك برحمتك التي سبقت غضبك ، وبقدرتك على جميع خالقك ، ألا تميمني حتى توجب لي الرحمة .

قال الشعبي : فوالله ما خرجت من الدنيا حتى بلغ كل من الثلاثة ما سأل ، وأخلق بعبد الله بن عمر أن تجاب دعوته ، وأن يكون من أهل الرحمة .

قال الحجاج في خطبته يوم دخل الكوفة : هذا أدبُ ابنِ نهية، أما والله لأؤدّبَنكم غيرَ هذا الأدب .

قال ابن ما كولا في كتاب الإكمال : « يعنى مُصعب بن الزبير وعبد الله أخاه، وهى نهية بنتُ سعيد بن سهم بن هُصَيْنٍ ، وهى أم ولد أسد بن عبد العزى بن قُصَيٍّ » ، وهذا من المواضع الغامضة .

* * *

وروى الزبير بن بكّار في كتاب أنساب قريش قال : قدِم وفدٌ من العراق على عبد الله بن الزبير ، فأتوه في المسجد الحرام ، فسأموا عليه ، فسألهم عن مصعب أخيه وعن سيرته فيهم ، فاثبتوا عليه ، وقالوا : خيراً ، وذلك في يوم الجمعة ، فصلّى عبد الله بالناس الجمعة ، ثم صعد المنبر ، حمّد الله ثم تمثل :

قد جرّبوني ثم جرّبوني من غلوتينٍ ومن اللتين^(١)
حتى إذا شابوا وشيّبوني خلّوا عَنائي ثم سيّبوني^(٢)

أيها الناس ، إني قد سألتُ هذا الوفد من أهل العراق عن عاملهم مصعب بن الزبير فأحسنوا الثناء عليه ، وذكروا عنه ما أحبّ ، ألا إن مصعباً أطبى^(٣) القلوب حتى لا تعدل به ، والأهواء حتى لا تحول عنه ، واستمال الألسنُ بثنائها ، والقلوب بنصائحها ، والأنفس بمحبّتها وهو المحبوب في خاصّته ، المأمون في عامّته ، بما أطلق الله به لسانه من الخير وبسط به يديه من البذل ، ثم نزل .

وروى الزبير قال : لما جاء عبد الله بن الزبير نعى المصعب صعد المنبر فقال :

(٢) سيّوني : تركوني .

(١) الغلوة : الغاية .

(٣) اطى القلوب : استمالها .

الحمد لله الذي له الخلق والأمر ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويُعزّز من يشاء ، ويُذلّ من يشاء ، ألا وإنّه لم يُذلّ الله من كان الحقّ معه ولو كان فرداً ، ولم يُعزّز الله وليّ الشيطان وحزبه وإن كان الأنام كلّهم معه ، ألا وإنّه قد أتانا من العراق خبيرٌ أحزّننا وأفرحنا ، أتانا قتلُ المصعب رحمه الله ، فأما الذي أحزّننا فإنّ لفراق الحميم لذّة يجدها حميمه عند المصيبة ، ثم يَرَعَوِي بعدها ذو الرأي إلى جميل الصبر وكرم العزاء ، وأما الذي أفرحنا فإنّ قتله كان عن شهادة ، وأنّ الله تعالى جعل ذلك لنا وله ذخيرة . ألا إنّ أهل العراق ، أهل الفدّر والنفاق ، أساموه وباعوه بأقلّ الثمن ، فإن يُقْتَلَ المصعب فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ! ماتموت جَبَّحاً كما يموت بنو العاص ، ماتموت إلّا قتلاً ، قصصاً^(١) بالرماح ، وموتاً تحت ظلال السيوف ، ألا إنّما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه ولا يبيد ، فإنّ تقبيل الدنيا على لا آخذها أخذ الأشر البطر^(٢) ، وإن تدبر غنى لأبكى عليها بكاء الخريف المهتر ، وإن يهلك المصعب فإنّ في آل الزبير خلفاء . ثم نزل .

وروى الزبير بن بكار قال : خطب عبدُ الله بن الزبير بعد أن جاءه مَقْتَلُ المصعب ، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : لئن أُصِبتُ بمصعب فلقد أُصِبتُ بإمامي عثمان ، فعمّمت مصيبتُهُ ، ثمّ أحسن الله وأجّل ، ولئن أُصِبتُ بمصعب فلقد أُصِبتُ بأبي الزبير ، فعمّمت مصيبتُهُ ، فظننتُ أنّي لا أُحْيِزها ، ثمّ أحسن الله وسلّم ، واستمرت مريرتي ، وهل كان مصعب إلّا فتى من فتيانى ! ثم غلبه البكاء فسالت دموعه وقال : كان والله سريراً مريباً ، ثم قال :

(١) القصص : الموت السريع .

(٢) الأشر والبطر كلاماً بمعنى واحد .

هُمْ دَفَعُوا الدُّنْيَا عَلَى حِينٍ أَعْرَضَتْ كَرَامًا وَسَنُّوا لِلْكَرَامِ التَّاسِيًا

وَرَوَى أَبُو الْعَبَّاسِ فِي الْكَامِلِ أَنَّ عُرْوَةَ لَمَّا صَلَّبَ عَبْدُ اللَّهِ جَاءَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَوَقَفَ بِيَابِهِ ، وَقَالَ لِلْحَاجِبِ : أَعْلِمِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بِالْبَابِ ، فَدَخَلَ الْحَاجِبُ فَقَالَ : رَجُلٌ يَقُولُ قَوْلًا عَظِيمًا . قَالَ : وَمَاهُو ؟ فَتَهَيَّبَ ، فَقَالَ : قُل . قَالَ : رَجُلٌ يَقُولُ : قُلْ لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بِالْبَابِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : قُلْ لِعُرْوَةَ يَدْخُلُ ، فَدَخَلَ فَقَالَ : تَأْمُرُ بِإِنزَالِ حَبِيبَةِ أَبِي بَكْرٍ فَإِنَّ النِّسَاءَ يَحْزَنْنَ ، فَأَمَرَ بِإِنزَالِهِ . قَالَ : وَقَدْ كَانَ كَتَبَ الْحَاجِبُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يَقُولُ : إِنَّ خَزَائِنَ عَبْدِ اللَّهِ عِنْدَ عُرْوَةَ ، فَزِهِ فَلْيُسَلِّمْهَا ؛ فَدَفَعَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى عُرْوَةَ ، وَظَنَّ أَنَّهُ يَتَغَيَّرُ ، فَلَمْ يَحْفَلْ بِذَلِكَ كَأَنَّهُ مَا قَرَأَهُ ، فَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْحَاجِبِ أَلَّا يَعْرِضَ لِعُرْوَةَ .

وَمِنَ الْكَلَامِ الْمَشْهُورِ فِي بُحُلِّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ الْكَلَامَ الَّذِي يُحْكِي أَنَّ أَعْرَابِيًّا^(١) أَنَاهُ يَسْتَحْمِلُهُ ، فَقَالَ : قَدْ نَقَبَ خُفَّ رَاحِلَتِي فَاحْلَنِي^(٢) إِنِّي قَطَعْتُ الْهَوَاجِرَ إِلَيْكَ . فَلَمَّا قَالَ لَهُ : ارْقَمْعَا بِسَبْتٍ ، وَاحْصِفْهَا بِهَلْبٍ ، وَأَنْجِدْ بِهَا ، وَسِرْ بِهَا الْبَرْدِينَ^(٣) فَقَالَ : إِنَّمَا أَتَيْتُكَ مُسْتَحْمِلًا ، لَمْ آتِكَ مُسْتَوْصِفًا ، لَعَنَ اللَّهُ نَاقَةَ حَلْتَنِي إِلَيْكَ ، قَالَ : إِنَّ وَرَاقِبَهَا^(٤) .

(١) الخبر في الأغاني ١ : ١٥ ، ١٦ .

(٢) الأغاني : « نَفَدَتْ نَفَقَتِي ، وَنَقَبْتَ رَاحِلَتِي » . وَنَقَبَ الْعِيرُ ؛ إِذَا رَقَتْ أَخْفَافَهُ .

(٣) السبب : جلود البقر المدبوعة بالفرط تحذى منها النعال السبئية . والحصف : أن يظهر الجلد بين بعضهما إلى بعض ويخرزهما . والهلْب : شعر الخنزير الذي يخرر به ، الواحد هلبة ، وأنجد ، إذا دخل بلاد نجد ، وهو ، وصوف بالبرد . والبردان : النداء والعشى .

(٤) في الأغاني عن الزبيدي : « أن » هاهنا بمعنى نعم ، كأنه إقرار بما قال ، ومثله قول ابن قيس الرقيات :

وَيَقْلَنَ شَيْبٌ قَدْ عَلَا لَكَ وَقَدْ كَبُرْتَ ، فَقُلْتَ إِنَّهُ .

وهذا الأعرابي هو فضالة بن شريك ، فهجاه فقال :
أَرَى الْحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي خُبَيْبٍ نَكِيدُنْ وَلَا أُمِّيَّةَ بِالْبِلَادِ^(١)
مِنَ الْأَعْيَاصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ أَغْرَتْ كَفْرَةَ الْفَرَسِ الْجَوَادِ

دخل عبدُ الله بنُ الزبير على معاويةَ فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تدعنَّ مروانَ يرمى
جماهيرَ قُرَيْشٍ بِمَشَاقِصِهِ^(٢) ، وَيَضْرِبَ صَفَاتَهُمْ بِمَعْوَلِهِ . أما والله ، إنه لولا مكانُكَ لكانَ
أَخْفَ عَلَى رِقَابِنَا مِنْ فَرَّاشَةٍ ، وَأَقْلَ فِي أَنْفُسِنَا مِنْ خُشَّاشَةٍ^(٣) ، وإيمُ اللهِ لئنَ مَلَكَ أَعِثَّةُ
خَيْلٍ تَنْقَادُ لَهُ لَتَرْكَبَنَّ مِنْهُ طَبَقًا^(٤) تَخَافُهُ .

فقال معاوية : إِنْ يَطْلُبُ مَرْوَانَ هَذَا الْأَمْرُ فَقَدْ طَمَعَ فِيهِ مَنْ هُوَ دُونُهُ ، وَإِنْ
يَتْرُكُهُ يَتْرُكُهُ لِمَنْ فَوْقَهُ ، وَمَا أَرَأَيْكُمْ بِمَنْتَهَيْنَ حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ عَلَيْكُمْ مَنْ لَا يَمِطُّ عَلَيْكُمْ
بَقَرَابَةٍ ، وَلَا يَذْكُرُكُمْ عِنْدَ مُلَّةٍ ، يَسُومُكُمْ خَسْفًا ، وَيَسُوقُكُمْ عَسْفًا .
فقال ابنُ الزبير : إِذْنُ اللهِ يَطْلُقُ عَقَالَ الْحَرْبِ بِكَتَائِبِ تَمُورٍ^(٥) كَرِجَلِ الْجَرَادِ ،
تَتَّبِعُ غَطْرِيْفًا^(٦) مِنْ قُرَيْشٍ لَمْ تَكُنْ أُمُّهُ رَاعِيَةً ثَلَّةً^(٧) .

فقال معاوية : أَنَا ابْنُ هِنْدٍ ، أَطْلَقْتُ عَقَالَ الْحَرْبِ ، فَأَكَلْتُ ذِرْوَةَ السَّانِمِ ، وَشَرِبْتُ
عُنْفُوانَ الْمَكْرَعِ^(٨) وَلَيْسَ لِلَّآ كُلِّ بَعْدَى إِلَّا الْفَلَذَةُ^(٩) ، وَلَا لِلشَّارِبِ إِلَّا الرَنْقُ^(١٠) .

(١) من ستة أبيات في الأغاني . وأبو خبيب كنية ابن الزبير ؛ وخبيب ولده الأكبر . ويقال : نكده حاجته ، إذا منعه إياها .

(٢) المشاقص : جمع مشقص ؛ وهو النصل الطويل ، أو سهم فيه ذلك يرمى به الوحش .

(٣) الخشاشة : واحدة الخشاش ؛ وهي حشرات الأرض والصفير ونحوها .

(٤) الطبق : الحال ؛ وفق قوله تعالى : ﴿ لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴾ .

(٥) تمور : تضطرب . (٦) الغطريف : السيد الشريف .

(٧) الثلة : جماعة الغنم ؛ أو الكثيرة منها .

(٨) عنفوان الشيء : أوله ، أو أول بهجته . والمكراع : المورد ، مفعول من كرع في الماء أو الإناء .

(٩) الفلذة : القطعة من اللحم . (١٠) ماء رنق : كدر .

فسكت ابنُ الزبير .

قَدِمَ عبدُ اللهُ بنُ الزَّبيرِ على معاويةَ وافداً ، فرحَّبَ به وأدناه حتَّى أَجْلَسَهُ على سريره ، ثم قال : حاجَّتَكَ أبا حُبيِّب ! فسأله أشياء ، ثم قال له : سَلْ غيرَ ما سألتَ ؛ قال : نعم ، المهاجرون والأنصار تردُّ عليهم فيهم ، وتحفظُ وصيَّةَ نبيِّ الله فيهم ، تقبلُ من مُحْسِنِهِمْ ، وتتجاوزُ عن مُسيئِهِمْ .

فقال معاوية : هَيَّاتِ هَيَّاتِ ، لا والله ما تأمنُ النِّعْجَةُ الذَّئْبُ وقد أَكَلَ أَلْيَسَهَا^(١) .

فقال ابنُ الزَّبيرِ : مَهْلاً يا معاوية ، فَإِنَّ الشَّاةَ لتندَرُ للحالب وإنَّ المَدْيَةَ في يده ، وإنَّ الرجلَ الأريبَ يُصانِعُ ولَدَهُ الَّذي خَرَجَ من صُلْبِهِ ، وما تدور الرِّحَى إلَّا بِقُطْبِهَا ، ولا تَصْلُحُ القَوْسُ إلَّا بِمَعْجِسِهَا^(٢) .

فقال : يا أبا حُبيِّب ، لقد أجزرتِ الطُّرُوفَةُ قَبْلَ هَيْبِ الفَحْلِ^(٣) هَيَّاتِ ، وهى لا تصطكُ لحبائها اصطكك القروم السوامى^(٤) .

فقال ابنُ الزبير : العَطَنَ بعد العَلِّ ، والعلَّ بعد النَّهْلِ ، ولا بدَّ للرَّحَاءِ من الثُّفَالِ^(٥) ثمَّ نهض ابنُ الزبير .

فلما كان العِشاءُ أخذتْ قُرَيْشٌ مجالسَها ، وخرج معاويةُ على بنى أُمَيَّةَ فوجَدَ عمرو

(١) الألية : ما ركب في العظم من شحم ولحم . (٢) المعجس : المقبض .

(٣) ناقة طروقة الفحل : بلغت أن يضربها الفحل . وأجره رسنه : جعله يجره . وهب الفحل من الإبل وغيرها هباباً وهيباً ، أراد السفاد .

(٤) تصطك : تضطرب . والقروم جمع قرم ؛ وهو الفحل والسوامى : جمع سام ، وصف من سما الفحل سماوة : تناول إلى الناقة التي تشول بذنبها رغبة اللقاح .

(٥) العطن : مبرك الإبل حول الحوض . والعل والعلل : الشرب الثانى ، والنهل : الشرب الأول . والثفال : جلد أو نحوه يبسط تحت الرحى ليقم عليه الطحين .

ابن العاص فيهم ، فقال : ويحكم يا بنى أمية ! أفيكم من يكفيني ابن الزبير ؟ فقال عمرو : أنا أكفيك يا أمير المؤمنين ؛ قال : ما أظنك تفعل ؟ قال : بلى والله لأربدن وجهه^(١) ، ولأخرسن لسانه ، ولأردنه ألين من خيالة^(٢) .

فقال : دونك ، فأعرض له إذا دخل . فدخل ابن الزبير - وكان قد بلغه كلام معاوية وعمرو - فجلس نصب عيني عمرو ، فتحدثوا ساعة ثم قال عمرو :

وإني لنارٌ ما يطاق اصطلاؤها لدى كلامٍ مُعْضِلٍ مُتَفَاكِمٍ^(٣)
فأطرق ابن الزبير ساعةً ينكتُ في الأرض ، ثم رفع رأسه وقال :

وإني لبحرٌ ما يسامى عبابه متى يلق بحري حراً نارِك يَحْمَدُ

فقال عمرو : والله يا ابن الزبير إنك ما علمت لتجلبج جلايب الفتنة ، متأزر بوصائل^(٤)

التيه ، تتعاطى الذرا الشاهقة ، والمعالي الباسة . وما أنت من قريش في لباب جوهرها ولا مؤنق حسبها^(٥) !

فقال ابن الزبير : أما ما ذكرت من تعاطى الذرا فإنه طال بي إليها وسما ملا يطول بك مثله : أنفٌ حَيٌّ ، وقلبٌ ذَكِيٌّ ، وصارمٌ مشرقٌ ، في تليدٍ فارع^(٦) ، وطريفٍ مانع ، إذ قعد بك انتفاخ سحر^(٧) ، ووجيب قلبك^(٨) . وأما ما ذكرت من أني لست من قريش في لباب جوهرها ، ومؤنق حسبها ، فقد حضرته وإياك الأكفاء العالمون بي وبك ، فأجعلهم بيني وبينك .

(١) أى لأصبرنه أريد ، والردة : لون إلى العبرة .

(٢) الخيلة : القطيفة . (٣) تفاقم الأمر ، إذا عظم .

(٤) الوائل : جمع وصيلة ؛ ومى ثوب غطط يمان .

(٥) آتقنى الشيء : لمنافا ؛ أعجبني فهو مؤنق .

(٦) فارع : عال .

(٧) السحر : الرنة ؛ ويقال : انتفخ سحره ، أى عدا طوره .

(٨) وجيب القلب : خفقاؤه واضطرابه .

فقال القوم : قد أنصفك يا عمرو ، قال : قد فعلت .

فقال ابن الزبير : أما إذا أمكنني الله منك فلا أربدن وجهك ، ولأخبرسن لسانك .
ولترجمن في هذه الليلة ، وكان الذي بين منكبيك مشدود إلى عروقي أخذ عييك ؛ ثم
قال : أقسمت عليكم يا معاشر قريش ، أنا أفضل في دين الإسلام أم عمرو ؟ فقالوا :
اللهم أنت ، قال : فأبى أفضل أم أبوه ؟ قالوا : أبوك حوارى رسول الله صلى الله عليه
 وآله وأبى عمته ؛ قال : فأبى أفضل أم أمه ؟ قالوا : أمك أسماء بنت أبي بكر الصديق ،
 وذات النطاقين ؛ قال : فعمتي أفضل أم عمتي ؟ قالوا : عمتك سلمى ابنة العوام صاحبة رسول الله
 صلى الله عليه وآله أفضل من عمتي ، قال : فخالتي أفضل أم خالتي ؟ قالوا : خالك
 عائشة أم المؤمنين ، قال : فجدتي أفضل أم جدتي ؟ فقال : جدتك صفية بنت عبد المطلب
 عمة رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : فجدى أفضل أم جدته ؟ قالوا : جدك أبو بكر
 الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال :

قَضَتِ الْفَطَارُفُ مِنْ قُرَيْشٍ بَيْنَنَا فَاصْبِرْ لِفَصْلِ خِصَامِهَا وَقَضَائِهَا ^(١)

وإذا جَرَيْتَ فلا تَجَارِ مَبْرَزَا بَدَّ الْجِيَادِ عَلَى احْتِفَالِ جِرَائِهَا ^(٢)

أما والله يا ابن العاص ؛ لو أن الذي أمرك بهذا واجهني بمثله لقصرت إليه من سامي
بصره ، ولتركته يتلجلج لسانه ، وتضطرم النار في جوفه ؛ ولقد استعان منك بغير وافي
ولجأ إلى غير كافٍ ، ثم قام فخرج .

وذكر المسعودي في كتاب مروج الذهب أن الحجاج لما حاصر ابن الزبير لم
يزل يزحف حتى ملك الجبل المعروف بأبي قُبَيْس ، وقد كان بيد ابن الزبير ، فكتب

(١) النطارف : جمع غطريف ؛ وهو السيد .

(٢) برز تبرزوا : فاق أصحابه ، وبذ : فاق وغاب . واحتفل القوم : اجتمعوا . والجراء والمجارات ،
مصدر « جارى » .

بذلك إلى عبد الملك ، فلما قرأ كتابه كبر وكبر من كان في داره حتى اتصل التكبير بأهل السوق ، فكبروا ، وسأل الناس ما الخبر ؟ فقيل لهم : إن الحجاج حاصر ابن الزبير بمكة ، وظفر بأبي قبيس ، فقال الناس : لا نرضى حتى يُحمل أبو خبيب إلينا مكبلاً على رأسه بُرئس ، راكب جمل ، يُطاف به في الأسواق ، تراه العيون .

وذكر المسعودي أن عمه عبد الملك كانت تحت عروة بن الزبير ، وأن عبد الملك كتب إلى الحجاج يأمره بالكف عن عروة ، وذلك قبل أن يقتل عبد الله وألاً يسوءه إذا ظفر بأخيه في ماله ولا في نفسه ؛ قال : فلما اشتد الحصار على عبد الله خرج عروة إلى الحجاج فأخذ لعبد الله أماناً ورجع إليه ، فقال : هذا عمرو بن عثمان ، وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وهما فتيا بنى أمية يُعطيانك أمان عبد الملك ابن صهما على ما أحدثت أنت ومن معك ، وأن تنزل أي البلاد شئت ، ولك بذلك عهد الله وميثاقه ، فأبى عبد الله قبول ذلك ، ونهته أمه وقالت : لا تموتن إلا كريماً ، فقال لها : إني أخاف إن قُلتُ أن أصلب أو يُمثل بي ، فقالت : إن الشاة بعد الذبح لا تُحسّ بالسُلخ .

وروى المسعودي أن عبد الله بن الزبير بعد موت يزيد بن معاوية طلب من يؤمّره على الكوفة ، وقد كان أهلها أحبوا أن يليهم غير بنى أمية ، فقال له المختار بن أبي عبيد : اطلب رجلاً له رفق وعلم بما يأتي ، وتدبر قوله إياها يستخرج لك منها جندا تغلب به أهل الشام ، فقال : أنت لها ، فبعثه إلى الكوفة ، فأناها وأخرج ابن مطيع منها ، وابتنى لنفسه داراً ، وأنفق عليها مالا جليلاً ، وسأل عبد الله بن الزبير أن يحتسب له به من مال العراق ، فلم يفعل ، فخلعه وحجّج بيعته ، ودعا إلى الطالبين .

قال المسعودي : وأظهر عبدُ الله بنُ الزبير الزَّهْدَ في الدُّنْيَا ، وملازمةَ العبادة ،
مع الحِرْصِ على الخلافةِ وشَبْرِ بَطْنِهِ ، فقال : إنما بَطْنِي شَبْرٌ ، فما عَسَى أَنْ يَسَعَ
ذلك الشَّبْرُ ! وظهر عنه شُحٌّ عَظِيمٌ على سائرِ الناسِ ، ففي ذلك يقول أبو حمزة
مولى آل الزبير :

إن الموالى أُمستْ وهي عاتِبةٌ على الخليفةِ تشكو الجوعَ والحرباً
ماذا علينا وماذا كان يرزونا أيُّ الملوكِ على ما حولنا غلبا !
وقال فيه أيضا :

لو كان بطنك شَبْرًا قد شَبعتَ وقد فضلتَ فضلا كثيراً للمساكينِ
مازلتَ في سورةِ الأعرافِ تدرُسُها حتى فؤادى مثل الخزفي اللينِ
وقال فيه شاعرٌ أيضا ، لما كانت الحربُ بينه وبين الحُصَيْنِ بنِ نُميرٍ قبل أن يموتَ
يزيدُ بنُ معاويةَ :

فيا راكبًا إِمَّا عَرَضْتَ فبَلَّغْ كبيرَ بَنِي العَوَامِ إِنْ قِيلَ مَنْ تَعْنِي
تُخَبِّرُ مَنْ لَا قِيَتَ أُنْكَ عَائِدٌ وتُكْثِرُ قَتْلِي بَيْنَ زَمَمٍ والرُّكْنِ
وقال الضَّحَّاكُ بنُ فَيْرُوزِ الدَّيْلَمِيُّ :
تُخَبِّرُنَا أَنْ سَوْفَ تَكْفِيكَ قَبْضَةٌ وبَطْنُكَ شَبْرٌ أَوْ أَقْلٌ مِنَ الشَّبْرِ
وأنتَ إِذَا مَا نِلْتَ شَيْئًا قَضَمْتَهُ كما قَضَمْتَ نَارُ الفِضَا حَطَبَ السَّلْرِ
فلو كُنْتَ تَجْزِي أَوْ تُثِيبُ بِنِعْمَةٍ قَرِيبًا لَرَدَّتْكَ العُطُوفُ عَلَى عَمْرٍو
قال : هو عَمْرٍو بنُ الزَّبيرِ أخوه ، ضَرَبَهُ عبدُ الله حتى ماتَ وكان
مباينًا له ^(١) .

(١) مروج الذهب ٣ : ٨٤ ، ٨٥ .

كان يزيد بن معاوية قد ولي الوليد بن عتبة بن أبي سفيان المدينة ، فسترح الوليد منها جيشاً إلى مكة لحرب عبد الله بن الزبير ، عليه عمرو بن الزبير ، فلما تصاف القوم أنهزم رجال عمرو وأسلموه ، فظفر به عبد الله ، فأقامه للناس بباب المسجد مجرّداً ، ولم يزل يضربه بالسياط حتى مات^(١) .

وقد رأيت في غير كتاب المسعودي ، أن عبد الله وجد عمراً عند بعض زوجاته ، وله في ذلك خبر لا أحب أن أذكره .

قال المسعودي : ثم إن عبد الله بن الزبير حبس الحسن بن محمد بن الحنفية في حبس مظلم^(٢) ، وأراد قتله ، فأعمل الحيلة حتى تخلص من السجن ، وتعتف الطريق على الجبال ، حتى أتى منى ، وبها أبوه محمد بن الحنفية^(٣) .

ثم إن عبد الله جمع بني هاشم كلهم في سجن عارم ، وأراد أن يحرقهم بالنار ، وجعل في قم الشعب حطباً كثيراً ، فأرسل المختار أبا عبد الله الجدلي في أربعة آلاف ، فقال أبو عبد الله لأصحابه : ويحكم ! إن بلغ ابن الزبير الخبر عجل على بني هاشم فأتى عليهم ، فأنتدب هو نفسه في ثمانمائة فارس جريده ، فما شعر بهم ابن الزبير إلا والرايات تنفق بمكة ، فقصده قصده الشعب ، فأخرج الهاشميين منه ، ونادى بشعار محمد بن الحنفية ، وسماه المهدي ، وهرب ابن الزبير ، فلاذ بأستار الكعبة ، فهام محمد بن الحنفية عن طلبه

(١) مروج الذهب ٣ : ٨٥ .

(٢) مروج الذهب : « سجن عارم » .

(٣) في مروج الذهب : « فني ذلك يقول كثير :

تُخْبِرُ مَنْ لَاقَيْتَ أَنَّكَ عَائِدٌ
وَمَنْ يَرَى هَذَا الشَّيْخَ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى
سَمِيَّ نَبِيَّ اللَّهِ وَابْنُ وَصِيَّهِ
بَلِ الْعَائِدُ الْمَظْلُومُ فِي سِجْنِ عَارِمٍ
مَنْ النَّاسِ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ ظَالِمٍ
وَفَكَكْ أَغْلَالِ وَقَاضِ مَغَارِمِ

وعن الحرب ، وقال : لا أريد الخلافة إلا إن طلبني الناس كلهم ، واتفقوا على كلهم ، ولا حاجة لي في الحرب ^(١) .

قال المسعودي : وكان عروة بن الزبير يمدح أخاه عبد الله في حضر بني هاشم في الشعب ، وجعه الخطب ليحرقهم ويقول : إنما أراد بذلك ألا تنتشر الكلمة ، ولا يختلف المسلمون ، وأن يدخلوا في الطاعة ، فتكون الكلمة واحدة ، كما فعل عمر بن الخطاب بيني هاشم لما تأخروا عن بيعة أبي بكر ، فإنه أحضر الخطب ليحرق عليهم الدار ^(٢) .

قال المسعودي : وخطب ابن الزبير يوم قدم أبو عبد الله الجدلّي قبل قدومه بساعتين ، فقال : إن هذا الغلام محمد بن الحنفية قد أبي بيعتي ، والمؤعد بيني وبينه أن تغرب الشمس ، ثم أضرم عليه مكانه ناراً ، فجاء إنسان إلى محمد فأخبره بذلك ؛ فقال : سيمنعه مني حجاب قوي ، فجعل ذلك الرجل ينظر إلى الشمس ، ويرقب غيوبتها لينظر ما يصنع ابن الزبير ، فلما كادت تغرب حاست ^(٣) خيل أبي عبد الله الجدلّي ديار مكة وجعلت تتمعج ^(٤) بين الصفا والمروة ، وجاء أبو عبد الله الجدلّي بنفسه ، فوقف على قم الشعب ، وأستخرج محمداً ، ونادى بشعاره ، وأستأذنه في قتل ابن الزبير ، فكره ذلك ولم يأذن فيه ، وخرج من مكة فأقام بشعب رضوى حتى مات ^(٥) .

(١) مروج الذهب ٣ : ٨٥ .

(٢) مروج الذهب ٣ : ٨٦ .

(٣) حاست الخيل : أحاطت بها من كل جانب .

(٤) تتمعج : تشدد في عدوها يمينا وشمالا .

(٥) مروج الذهب ٣ : ٨٦ ، ٨٧ .

وروى السعدي عن سعيد بن جبير ، أن ابن عباس دخل على ابن الزبير فقال له
ابن الزبير : إلام^(١) تؤنّبني وتعتّني ! قال ابن عباس : إني سمعتُ رسولَ الله صلى الله
عليه وآله يقول : « بُسِ المرءُ المسلمَ يشبع ويَجوعُ جاره ! » ، وأنتَ ذلكَ الرجلُ ؛ فقال
ابن الزبير : واللهِ إني لأُكتمُ بفضلكم أهلَ هذا البيتِ منذُ أربعين سنةً . وتشاجراً ،
فخرجَ ابنُ عباسٍ من مكّة ، [خوفاً على نفسه] ، فأقام بالطائف حتّى مات^(٢) .

وروى أبو التّرج الأصفهاني^(٣) قال : أتى فضالة بن شريك الوالهي ثمّ الأسدى
من بني أسد بن خزّيمة عبدَ الله بن الزّبير فقال : نَفِدْتُ نَفَقَتِي ، وَنَقِيتُ نَاقَتِي ، فقال :
أَحْضَرْنِيهَا ، فَأَحْضَرَهَا ، فقال : أَقْبِلْ بِهَا ، أَدِيرْ بِهَا ، ففعل ، فقال : ارْقَعْهَا بِسِنِّتِ ، وَأَخْصِفْهَا
بِهَلْبٍ ، وَأَنْجِدْ بِهَا يَبْرُدُ خُفَهَا ، وَسِرِ الْبَرْدَيْنِ تَصْبِحَ . فقال فضالة : إني أتيتُكَ
مستَحِلاً ، ولم آتِكَ مستَوْصِفاً ، فلمنَ اللهُ ناقةً حَمَلْتَنِي إِلَيْكَ ! فقال : إنَّ وراكبها ؛
فقال فضالة :

أَقُولُ لِغُلْمَةٍ شُدُّوا رِكَابِي أَجَاوَزُ بَطْنَ مَكَّةَ فِي سَوَادِ
فَالِي حِينَ أَقْطَعُ ذَاتَ عِرْقِي إِلَى ابْنِ الْكَاهِلِيَّةِ مِنْ مَعَادِ^(٤)
سَيِّدٍ بَيْنَنَا نَصُّ الْمَطَايَا وَتَعْلِيْقُ الْأَدَاوِي وَالْمَزَادِ^(٥)
وَكُلِّ مَعْبَدٍ قَدْ أَعْلَمْتُهُ مَنَاسِمُهُنَّ طَلَّاعَ النَّجَادِ^(٦)

(٢) مروج الذهب ٣ : ٨٩ والزيادة منه .

(١) في د : « علام » .

(٣) الأغاني ١ : ١٥ ، ١٦ .

(٤) ذات عرق : مهل أهل العراق ؛ وهو الحد بين نجد وتهامة .

(٥) نص المطايا : استخراج أقصى ما عندها من السير ، والأدوى : جمع لإدواة ؛ وهي وعاء الماء .

والمزاد : جمع مزادة ؛ وهي الراوية يحمل فيها الماء .

(٦) المعبد : الطريق المذلل . وأعلمته مناسمهن : أثرت فيه بأخفافها . والنجاد : جمع نجد ؛ وهو ماغلظ

من الأرض .

أَرَى الْحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي خَبِيبٍ نَكِدْنَ وَلَا أُمِّيَةَ بِالْبِلَادِ
 مِنَ الْأَعْيَاصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ أَغْرَتْ كُفْرَةَ الْقَرْسِ الْجَوَادِ
 - قال : ابنُ الكاهلية هو عبدُ الله بنُ الزَّيْرِ ، والكاهلية هذه هي أمُّ خُوَيْلِدِ بْنِ
 أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ، وأسمُها زُهْرَةُ بنتُ عمرو بنِ حَنْثَرِ بْنِ رُوَيْنَةَ بْنِ هِلَالٍ ، من بني
 كَاهِلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ خَزِيمَةَ - قال : فقال عبدُ الله بنُ الزَّيْرِ لما بلغه الشعرُ : عَلِمَ أَنَّهَا شَرُّ
 أُمَّهَاتِي ، فَمَيَّزَنِي بِهَا ، وَهِيَ خَيْرُ عَمَّاتِهِ .

وَرَوَى أَبُو الْقَرَجِ قَالَ : كَانَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ أَبِي عُبَيْدِ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّةِ تَحْتَ عَبْدِ اللَّهِ
 ابْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَشَى أَبْنُ الزَّيْرِ إِلَيْهَا ، فَذَكَرَ لَهَا أَنْ خَرُوجَهُ كَانَ غَضَبًا
 لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنْ أَثَرَةِ مُعَاوِيَةَ وَابْنِهِ
 بِالْفَيْءِ ، وَسَأَلَهَا مَسْأَلَةَ زَوْجِهَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو ، فَلَمَّا قَدِمَتْ لَهُ عِشَاءً ذَكَرَتْ لَهُ
 أَمْرَ ابْنِ الزَّيْرِ وَعِبَادَتَهُ وَأَجْتِهَادَهُ ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ ، وَقَالَتْ : إِنَّهُ كَيْدَعُو^(١) إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ
 عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَكْثَرَتْ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهَا : وَيَمْحُكِ ! أَمَا رَأَيْتِ الْبَغْلَاتِ
 الشُّهْبَ الَّتِي كَانَ يَحْجُجُ مُعَاوِيَةُ عَلَيْهَا ، وَتَقْدُمُ إِلَيْنَا مِنَ الشَّامِ ؟ قَالَتْ : بَلَى ؛ قَالَ : وَاللَّهِ
 مَا يَرِيدُ ابْنُ الزَّيْرِ بِعِبَادَتِهِ غَيْرَهُنَّ^(٢) !

(٢) الْأَغَانِي ٧ : ٢٢ ، ٢٣ .

(١) د : « إِنَّهُ لَا يَدْعُو إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ » .

(٤٦٢)

الأفضل :

وقال عليه السلام :

مالأبنِ آدَمَ والفَخْرُ ! أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ ، وَآخِرُهُ جِيْفَةٌ . لَا يَرِزُقُ نَفْسَهُ ، وَلَا يَدْفَعُ حَتْفَهُ .

الشرح :

قد تقدّم كلامنا في الفخر ، وذكرنا الشعر الذي أخذ من هذا الكلام ، وهو قول القائل :

مَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ وَجِيْفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ
يُصْبِحُ مَا يَمْلِكُ تَقْدِيمَ مَا يَرْجُو وَلَا تَأْخِيرَ مَا يَحْذَرُ !

[فصل في الفخر وما قيل في النهي عنه]

وقال بعض الحكماء : الفخر هو المباهاة بالأشياء الخارجة عن الإنسان ، وذلك نهاية الحق لمن نظر بعين عقله ، وانحسر عنه قناع جهله ، فأعرض الدنيا عارية مستردة ، لا يؤمن في كل ساعة أن ترتجع ، والمباهي بها مباه بما في غير ذاته .
وقد قال لبعض من نفرت بثروته ووفره : إن افتخرت بفرسك فالحسن والفراة له دونك ، وإن افتخرت بشيابك وآلاتك فالجمال لهما دونك ، وإن افتخرت بأبائك

وسلِّفك فالفضلُ فيهم لا فيك ، ولو تكلمت هذه الأشياء لقالت لك : هذه محاسننا
فما محاسنك !

وأيضاً فإن الأعراس الدنيوية كما قيل : سحابةٌ صَيِّفٌ عن قليلٍ تَقْشَعُ ، وظلٌّ
زائلٌ عن قريبٍ يَضْمَحِلُّ ، كما قال الشاعر :

إِنَّمَا الدُّنْيَا كَرُؤْيَا فَرَّحْتَ مَنْ رَأَاهَا سَاعَةً ثُمَّ انْقَضَتْ

بل كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ
الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظَنَّ
أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرٌ نَالِيلاً أَوْ نَهَاراً فجعلناها حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَمْ
بِالْأَمْسِ ۝ (١) .

وإذا كان لا بدَّ من الفَخْرِ فليَفْخَرْ الإنسانُ بعلمه وبشريف خُلُقِهِ ، وإذا أُعْجِبَكَ
من الدُّنْيَا شَيْءٌ فَادْكُرْ فَنَاءَكَ وَبَقَاءَهُ ، أَوْ بَقَاءَكَ وَفَنَاءَهُ ، أَوْ فَنَاءَكَ كَاجْمِعاً ، وإذا رَأَيْتَكَ
مَا هُوَ لَكَ فَانْظُرْ إِلَى قُرْبِ خُرُوجِهِ مِنْ يَدِكَ ، وَبُعْدِ رَجُوعِهِ إِلَيْكَ ، وَطُولِ حِسَابِكَ
عَلَيْهِ وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ الْفَخْوَ فَقَالَ : ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝ (٢) .

(٤٦٣)

الأصل :

الغنى والفقر بعد العرض على الله تعالى .

الشرح :

أى لا يعد الغنى غنياً فى الحقيقة إلا من حصل له ثواب الآخرة الذى لا ينقطع أبداً ، ولا يعد الفقير فقيراً إلا من لم يحصل له ذلك ، فإنه لا يزال شقياً معذباً ، وذلك هو الفقر بالحقيقة .

فأما غنى الدنيا وفقرها فأمران عرَضيان ، زوالهما سريع ، وانقضاؤهما وشيك . وإطلاق هاتين اللفظتين على مسماهما الدنيوى على سبيل المجاز عند أرباب الطريقة ، أعنى العارفين .

(٤٦٤)

الأضل

وسُئِلَ عَنْ أَشْعَرَ الشُّعْرَاءِ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
إِنَّ الْقَوْمَ لَا يَجْرُوا فِي حَلْبَةٍ تُعْرِفُ الْغَايَةَ عِنْدَ قَصَبَتِهَا ، فَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ
فَالسَّيْلُ الضَّلِيلُ .
قال : يُرِيدُ أَمْرًا الْقَيْسُ .

[في مجلس علي بن أبي طالب]

بالشَّيْخ :

قَرَأْتُ فِي أَمَالِي ابْنَ دُرَيْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْجَرْمُوزِيُّ ، عَنْ ابْنِ الْمُهَلَّبِيِّ ، عَنْ
ابْنِ السَّكَلِيِّ ، عَنْ شَدَّادِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَنْبَرِيِّ ، عَنْ ابْنِ
عُرَادَةَ ، قَالَ : كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعَشِّي النَّاسَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ
بِاللَّحْمِ وَلَا يَتَمَشَّى مَعَهُمْ ، فَإِذَا فَرَّغُوا خُطْبَتَهُمْ وَوَعَّظَهُمْ ، فَأَفَاضُوا لَيْلَةً فِي الشُّعْرَاءِ
وَهُمْ عَلَى عَشَائِهِمْ ، فَلَمَّا فَرَّغُوا خُطْبَتَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ : اَعْلَمُوا أَنَّ
مَلَائِكَةَ أَسْرَكِ الدِّينَ ، وَعَصَمَتِكُمُ التَّقْوَى ، وَزِينَتُكُمُ الْأَدَبُ ، وَحُصُونُ أَعْرَاضِكُمُ
الْحِلْمُ ؛ ثُمَّ قَالَ : قُلْ يَا أَبَا الْأَسْوَدِ : فِيمَ ^(١) كُنْتُمْ تَفِيضُونَ فِيهِ ؟ أَى الشُّعْرَاءِ أَشْعَرُ ؟ فَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي يَقُولُ :

وَلَقَدْ أَغْتَدَى يَدَايَ رُكْنِي أَعُوْجِي ذُو مَبِيعَةٍ إِضْرِيحُ ^(٢)

(٢) ديوان أبي دؤاد ٢٩٩ .

(١) ل د « ما كنتم » ؛ وهو وجه أيضاً .

غَلَطَ مِزِيلٌ مَعْنٌ مِقْنٌ مَنفَحٌ مِطْرَحٌ سَبُوحٌ خَرُوجٌ

يعنى أبا دُواد الإيادى ، فقال عليه السلام : ليس به ، قالوا : فمن يا أمير المؤمنين ؟ فقال : لو رُفعتُ للقوم غايةً فخرًا إليها معًا علمنا من السابق منهم ، ولكن إن يكن فالذى لم يُقل عن رَغْبة ولا رَهْبة . قيل : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : هو الملك الضِّلِيلُ ذو القُرُوح ، قيل : امرؤ القيس يا أمير المؤمنين ؟ قال : هو . قيل : فأخبرنا عن ليلة القَدْر ؟ قال : ما أخلو من أن أكون أعلمها فأستُرعلها ، ولستُ أشك أن الله إنما يسترها عنكم نظرًا لكم ، لأنه لو أعلمكموها علمتم فيها وتركتم غيرها ، وأرجو أن لا تُخطئكم إن شاء الله ، انهضوا رَحِمَكُم الله .

وقال ابن دُرَيْد لما فرَغ من الخبر : إضْرِيح : ينبثق في عَدُوهِ ، وقيل واسعُ الصَّدْر ومنفَح : يُخْرِج الصَّيْدَ من مواضعه ، ومِطْرَح : يطرح ببَصَرِهِ . وخُرُوج : سابقٌ . والغاية بالغين المعجمة : الرأية ، قال الشاعر :

وإذا غايةٌ مجدي رُفعتُ نهَض الصَّلَّت إليها فحَواها

ويروى قولُ الشَّامِخ :

إذا ما رايةٌ رُفعتُ لجدٍ تلقاها عَراةٌ باليمِين^(١)

بالغين ، والراء أكثر . فأما البيت الأولُ فبالغين لا غير ، أنشده الخليل في عَرُوضه ، وفي حديثٍ طويلٍ في الصحيح : « فَيَأْتُونَكُمْ تحت ثمانين غايةً ، تحت كلِّ غايةٍ اثناعشر ألفا » . واللَّيعة : أوَّلُ جَرَى الفَرَسِ ؛ وقيل : الجَرى بعدَ الجَرى .

[اختلاف العلماء في تفضيل بعض الشعراء على بعض]

وأنا أذكر في هذا الموضع ما اختلف فيه العلماء من تفضيل بعض الشعراء على بعض، وأبتدى في ذلك بما ذكره أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب الأغاني .
قال أبو الفرج : الثلاثة المقدمون على الشعراء : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابعة ، لا اختلاف في أنهم مقدمون على الشعراء كلهم ، وإنما اختلف في تقديم بعض الثلاثة على بعض^(١) .

قال : فأخبرني أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، عن أبي قيس ، عن عكرمة بن جرير ، عن أبيه ، قال : شاعر أهل الجاهلية زهير .

قال : وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : حدثني عمر بن شبة ، عن هارون بن عمر ، عن أيوب بن سويد ، عن يحيى بن زياد ، عن عمر بن عبد الله الليثي ، قال : قال عمر بن الخطاب ليلة في مسيره إلى الجابية : أين عبد الله بن عباس ؟ فأتى به ، فشكا إليه تخلف علي بن أبي طالب عليه السلام عنه . قال ابن عباس : فقلت له : أو لم يعتذر إليك ؟ قال : بلى ، قلت : فهو ما اعتذر به . قال : ثم أنشأ يحدثني فقال : إن أول من راسكم عن هذا الأمر أبو بكر ؛ إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة . قال أبو الفرج : ثم ذكر قصة طويلة ليست من هذا الباب^(٢) ، فكرهت ذكرها ثم قال : يا ابن عباس ، هل تروى لشاعر الشعراء ؟ قلت : ومن هو ؟ قال : ويحك ! شاعر الشعراء ، الذي يقول :

فلو أن تحدا يُخلدُ الناسُ خلدوا ولكن تحدا الناس ليس بمخلدٍ

(١) الأغاني ١٠ : ٢٨٨ .

(٢) ذكرت هذه القصة مفصلة في الطبري ٤ : ٢٢٢ - ٢٢٤ (طبع المعارف) .

فقلتُ : ذاك زُهَيْر ، فقال : ذاك شاعرُ الشعراء ؛ قلتُ : وبم كان شاعرَ الشعراء ؟ قال : إنه كان لا يُعَاظِلُ الكلام ، ويتجنب وحشيَّه ، ولا يمدح أحداً إلا بما فيه .
يقال أبو الفرج : وأخبرني أبو خليفة قال : قال ابن سلام : وأخبرني عمرُ بنُ موسى الجُمَحِيّ ، عن أخيه قدامة بن موسى - وكان من أهلِ العِلْم - أنه كان يقدمُ زُهَيْرا ، قال : فقلتُ له : أيُّ شعره كان أعجب إليه ؟ فقال : الذي يقول فيه :

قد جعلَ المُبتَغُون الخَيْرَ في هَرِيمٍ والسائلون إلى أبوابه طرَقاً^(١)

قال ابن سلام : وأخبرني أبو قيس المَنْبَرِيّ - ولم أرَ بدويّاً يفتي به - عن عكرمة ابن جرير ، قال : قلت لأبي : يا أبت ، من أشعر الناس ؟ قال : أعن أهل الجاهلية تسألني ، أم عن أهل الإسلام ؟ قال : قلتُ : ما أردت إلا الإسلام ، فإذا كنت قد ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها ؛ فقال : زُهَيْر أشعرُ أهلها ، قلت : بل للإسلام ؟ قال : الفَرَزْدَقُ ثَبْعَةُ الشَّعْرِ ؛ قلت : فالأخطل ؛ قال : يُجِيدُ مدح الملوك ، ويصيب وصف الخمر ، قلت : فما تركت لنفسك ؟ قال : إني نَحَرْتُ الشَّعْرَ نَحْراً^(٢) .

قال : وأخبرني الحسن بن عليّ قال : أخبرنا الخارثُ بن محمد عن المدائنيّ ، عن عيسى بن يزيد ، قال : سألت معاويةَ الأحنف عن أشعر الشعراء ؟ فقال : زُهَيْر ؛ قال : وكيف ذاك ؟ قال : ألقى على المادحين فضول الكلام ، وأخذ خالصه وصفوته ، قال : مثل ماذا ؟ قال : مثل قوله :

وما يك من خير أتوه فإنما توارثه آباءُ آبائِهِمْ قَبْلُ
وهل يُنبتُ الخَطِيّ إلا وشِيجُهُ وتفرس إلا في منابها النخلُ !^(٣)

قال : وأخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز ، قال : حدثنا عمرُ بنُ شُبّة ، قال : حدثنا

(١) الأغاني ١٠ : ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

(٢) الأغاني ١٠ : ٢٨٩ ، ٢٩٠ وفي د « نجرت الشعر نجرا » .

(٣) الأغاني ١٠ : ٢٩٠ .

عبد الله بن عمرو القيسى قال : حدثنا خارجة بن عبد الله بن أبي سفيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : خرجتُ مع عمر في أول غزاة غزاها ، فقال لى ليلة : يا ابن عباس ، أنشدنى لشاعر الشعراء ؛ قلتُ : مَنْ هو ؟ قال : ابن أبي سلمى . قلتُ : ولم صار كذلك ؟ قال : لأنه لا يتَّبَع حُوشَى الكلام ، ولا يُعَاظِل في مَنْطِقِهِ ، ولا يقول إلا ما عِرف ، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه ، أليس هو الذى يقول :

إذا ابْتَدَرْتُ قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ غَايَةً إِلَى الْمَجْدِ مَنْ يَسْبِقُ إِلَيْهَا يُسَوِّدُ
سَبَقْتُ إِلَيْهَا كُلَّ طَلْقٍ مَبْرُزٍ سُبُوقٍ إِلَى الْغَايَاتِ غَيْرِ مُزْنَدٍ
قال : أى لا يحتاج إلى أن يجلد الفرس بالسَّوْطِ .

كفعل جَوَادٍ يسبق الخيل عَفْوُهُ السَّرع وإن يَجْهَد وَيَجْهَدَنَّ يَبْعُدُ
فلو كان حمداً يخلد الناس لم تَمُتْ^(١) ولكنَّ حمد النَّاسِ ليس بِمُخْلِدٍ
أنشدنى له ، فأنشدته حتى بَرَقَ الفَجَرُ ، فقال : حسبك الآن ، اقرأ القرآن .
قلت : ما أقرأ ؟ قال : الواقعة ، فقرأتها ، ونَزَلَ فَأَذَّنَ وَصَلَّى^(٢) .

وقال محمد بن سلام في كتاب ” طبقات الشعراء “ : دخل الحطيئة على سعيد بن العاص متسكراً ، فلما قام الناسُ وبقي الخواصُّ أراد الحاجبُ أن يقيمه ، فأبى أن يقوم ، فقال سعيد : دعه ؛ وتذاكروا أيام العرب وأشعارها ، فلما أسهبوا قال الحطيئة : ما صنعتُم شيئاً ؛ فقال سعيد : فهل عندك علمٌ من ذلك ؟ قال : نعم ، قال : فمن أشعرُ العرب ؟ قال : الذى يقول :

قد جَمَلَ الْمُبْتَغُونَ الخَيْرَ فِي هَرَمٍ وَالسَّائِلُونَ إِلَى أَبْوَابِهِ طُرُقًا
قال : ثمَّ من ؟ قال : الذى يقول :

(٢) الأغاني ١٠ : ٢٩٠ ، ٢٩١ .

(١) في د « خلدوا » .

فإنك شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طلعت لم يبدُ منهم كواكبٌ
يعنى زهيراً ، ثمّ النابغة ؛ ثمّ قال : وحسبك بي إذا وضعتُ إحدى رجليَّ على
الأخرى ، ثمّ عوّيت في إثر القوافي كما يعوى الفصيل في أثر أمه ! قال : فمن أنت ؟ قال :
أنا الخطيئة ، فرحب به سعيد ، وأمر له بألف دينار .

قال : وقال من احتج زهير : كان أحسنهم شعراً ، وأبعدهم من سُخف ، وأجمعهم
لكثير من المعنى في قليلٍ من المنطق ، وأشدّهم مبالغة في المدح ، وأبعدهم تكلفاً وعجرفة
وأكثرهم حكمة ومثلاً سائراً في شعره .

وقد روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضلُ شعرائكم
القاتل ومن من » ، يعنى زهيراً ، وذلك في قصيدته التي أولها : « أين أمّ أوفى »
يقول فيها :

ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخلُ بفضله	على قومه يُستغنَ عنه ويذمُّ
ومن لم يذُدْ عن حوضه بسلاحه	يهذمُ ، ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن هابَ أسبابَ المنايا ينلّنه	ولو نال أسبابَ السماء بسلم
ومن يجعلُ المعروف من دُونِ عِرْضِهِ	يفرّه ومن لا يتقَى الشتمَ يشتم

فأما القول في النابغة الذبيانيّ فإن أبا الفرج الأصفهانيّ قال في كتاب الأغاني :
كُنْيَةُ النابغة أبو أمامة ، واسمُه زياد بن معاوية ، ولُقّب بالنابغة لقوله ^(١) :

* فقد نبغت لهم مناشئون *

وهو أحدُ الأشراف الذين غَضَّ الشعر منهم ، وهو من الطبقة الأولى المقدّمين على

سائر الشعراء .

(١) الأغاني ١١ : ٣ .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر قالاً : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثني أبو نعيم ، قال : شريك عن مجالد ، عن الشعبي ، عن ربيع ابن حراش ، قال : قال لنا عمر : يامعشر غطفان ، من الذي يقول :

أَتَيْتُكَ عَارِيًا خَلَقًا ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تُظَنُّ بِي الظُّنُونُ
قلنا : النابغة ، قال : ذاك أشعر شعرائكم ^(١) .

قلتُ : قوله : « أشعر شعرائكم » ، لا يدل على أنه أشعر العرب ، لأنه جعله أشعر شعراء غطفان ، فليس كقوله في زهير شاعر الشعراء ، ولكن أبا الفرج قد روى بعد هذا خبراً آخر صريحاً في أن النابغة عند عمر أشعر العرب . قال : حدثني أحمد وحبيب ، عن عمر بن شبة ، قال : حدثنا عبيد بن جنادة ، قال : حدثنا معن بن عبد الرحمن ، عن عيسى بن عبد الرحمن السلمي ، عن جدّه ، عن الشعبي قال : قال عمر يوماً : من أشعر الشعراء ؟ ف قيل له : أنت أعلم يا أمير المؤمنين ؛ قال : من الذي يقول :

إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ لِلْمَلِكِ لَهُ قُمْ فِي الْبَرِّيَةِ فَاحْدُثْهَا عَنِ الْغَنَدِ ^(٢)
وَحَيْسَ الْجَنِّ إِنِّي قَدْ أَذْنْتُ لَهُمْ ^(٣) يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِالْصَّفَاحِ وَالْعَمَدِ ^(٤)
قالوا : النابغة ؛ قال : فمن الذي يقول :

أَتَيْتُكَ عَارِيًا خَلَقًا ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تُظَنُّ بِي الظُّنُونُ
قالوا : النابغة ؛ قال : فمن الذي يقول :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ
لَئِنْ كُنْتُ قَدْ بُلَّغْتُ عَنِّي خِيَانَةً لَمُبْلِغُكَ الْوَاشِيُ أَعَشُّ وَأَكْذِبُ ^(٥)

(١) الأغاني ١١ : ٣ ، ٤ . (٢) فاحدها : فمناها . والغند : الخطأ .

(٣) حيس الجن ، أي ذلهم ؛ وفي الأغاني : « وخبر الجن » .

(٤) تدمر : مدينة مشهورة قديمة كانت بيرة الشام . والصفاح : حجارة دقاق مرائض واحدها صفحة .

(٥) بعده في الأغاني :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبْقٍ أَخَا لَا تَلُهُ عَلَى شَعْتٍ ؛ أي الرجال المهذب!

قالوا : النابغة ، قال : فهو أشعر العرب ^(١) .

قال : وأخبرني أحمد ، قال : حدثنا عمر ، قال : حدثني علي بن محمد المدائني قال :
قام رجل إلى ابن عباس ، فقال له : أي الناس أشعر ؟ قال : أخبره يا أبا الأسود ، فقال
أبو الأسود : الذي يقول :

فإنك كالليل الذي هو مُدْرِكِي وإن خلت أن ألتأى عنك واسعُ
يعني النابغة ^(٢)

قال أبو الفرج : وأخبرني أحمد وحبيب ، عن عمر عن أبي بكر العليمي ، عن
الأصمعي : قال : كان يضرب للنابغة قبة أديم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض
عليه أشعارها ، فأنشده مرة الأعشى ، ثم حسان بن ثابت ، ثم قوم من الشعراء ، ثم
جاءت النساء فأنشدته :

وإن صخرًا لتأتم الهداة به كأنه عَلم في رأسه نارُ

فقال : لولا أن أبا بصير - يعني الأعشى - أنشدني آنفا لقلت : إنك أشعر الإنس
والجن . فقام حسان بن ثابت فقال : أنا والله أشعر منها ومنك ومن أبيك ، فقال له
النابغة : يا بن أخي ، أنت لا تُحسِن أن تقول :

فإنك كالليل الذي هو مُدْرِكِي وإن خلت أن ألتأى عنك واسعُ
خطايفُ حُجْنٍ في حبالٍ متينةٍ تَمُدُّ بها أيدٍ إليك نوازِعُ ^(٣)
قال : فخَسَّ حسان لقوله ^(٤) .

قال : وأخبرني أحمد وحبيب ، عن عمر ، عن الأصمعي ، عن أبي عمرو بن العلاء

(١) الأغاني ١١ : ٤ ، ٥ . (٢) الأغاني ١١ : ٥ .

(٣) الخطايف : جمع خطاف ، وخطاف البئر حديدة حجناء تستخرج بها الدلاء وغيرها . وحجن :
معوجة ، واحدها أحجن ، والأثني حجناء . ونوازع : جواذب .

(٤) خنس : انقبض ، والخبر في الأغاني ١١ : ٦ .

قال : حدثني رجل سمّاه أبو عمرو وأنسيته ، قال : بينما نحن نسير بين أنقضاء من الأرض ، فتذاكرنا الشعر ، فإذا راكب أطيّلس^(١) يقول : أشعر الناس زياد بن معاوية ، ثمّ تملّس فلم نره .

قال : وأخبرني أحمد بن عبد العزيز ، عن عمر بن شبة ، عن الأصمعي ؛ قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : ما ينبغي لزُهير إلّا أن يكون أجيراً للنابعة .

قال أبو الفرج : وأخبرنا أحمد عن عمر ، قال : قال عمرو بن المنتشر المرادي : وقدنا على عبد الملك بن مروان ، فدخلنا عليه ، فقام رجل فأعذّر من أمر وحلف عليه ، فقال له عبد الملك : ما كنت حريّاً أن تفعل ولا تعتذر ، ثم أقبل على أهل الشام فقال : أيكم يروى أعذار النابعة إلى الثعالب في قوله :

حلفت فلم أترك لنفسي ريبةً وليس وراء الله للمرء مذهبٌ

فلم يجد فيهم من يرويه ، فأقبل على وقال : أترويه ؟ قلت : نعم ، فأنشدته القصيدة كلّها ، فقال : هذا أشعر العرب .

قال : وأخبرني أحمد وحيب عن عمر ، عن معاوية بن بكر الباهلي ، قال : قلت لحاد الراوية : لم قدّمت النابعة ؟ قال : لا كتفائك بالبيت الواحد من شعره ، لا بل ينصف البيت ، لا بل برُب البيت ، مثل قوله :

حلفت فلم أترك لنفسي ريبةً وليس وراء الله للمرء مذهبٌ

ولست بمُستَبقٍ أخا لا تلمّه على شعثٍ ، أي الرجال المهذب

رُب البيت يُعنيك عن غيره ، فلو تمثّلت به لم تحتج إلى غيره .

قال : وأخبرني أحمد بن عبد العزيز ، عن عمر بن شبة ، عن هارون بن عبد الله

(١) الأتقاء : جمع نقا ، وهو القطعة من الرمل . وأطيّلس تصغير أطلس ؛ وهو ما في لونه غبرة إلى السواد . وتمّلس : تملّس وأفلت .

الزُّيْرِيُّ^(١)، قال: حدَّثني شيخٌ يُكْنَى أبا داود، عن الشعبي، قال: دخلتُ على عبدِ الملك وعنده الأخطل وأنا لا أعرفه، وذلك أوّل يومٍ وفدتُ فيه من العراق على عبدِ الملك، فقلتُ حينَ دخلتُ: عامر بن شراحيل الشَّعْبِيُّ يا أميرَ المؤمنين، فقال: على علمٍ ما أذِنَّا لك، فقلتُ: هذه واحدة على وافدِ أهلِ العراق - يعني أنه أخطأ - قال: ثمَّ إنَّ عبد الملك سألَ الأخطلَ: مَنْ أشعرُ الناس؟ فقال: أنا، فمجلتُ وقُلتُ لعبد الملك: مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ فتبسّم، وقال: الأخطل؛ فقلتُ في نفسي: اثنان على وافدِ أهلِ العراق، فقلتُ له: أشعرُ منك الذي يقول:

هذا غلامٌ حسنٌ وجهه مُستقبلُ الخيرِ سريعُ التَّمامِ
للحارثِ الأكبرِ والحارثِ الأصغرِ فالأعرجُ خيرُ الأنامِ
ثمَّ لعمرو ولعمرو وقد أسرعَ في الخيراتِ منه أمامُ^(٢)

- قال: هي أمانةُ أمِّ عمرو الأصغر بن المنذر بن أصرى القيس بن التيمان.
ابن الشقيقة:

خسةُ آباءِ هُم ما هُم أفضلُ مَنْ يشربُ صوبَ الغمامِ
والشُّعر للنابغة، فالتفت إلى الأخطل فقال: إنَّ أمير المؤمنين إنما سألتني عن أشعرِ أهلِ زمانه، ولو سألتني عن أشعرِ أهلِ الجاهليّة كنتُ حريّاً أن أقول كما قلتُ أو شبيهاً به؛ فقلتُ في نفسي: ثلاثٌ على وافدِ أهلِ العراق.
قال أبو الفرج: وقد وجدتُ هذا الخبرَ أتمَّ من هذه الرواية، ذكره أحمد بنُ الحارث الخزاز في كتابه، عن المدائني، عن عبد الملك بن مُسلم، قال: كتَّبتُ عبد الملك ابنُ مروان إلى الحجاج: إنّه ليس شيءٌ من لذة الدنيا إلّا وقد أصبتُ منه، ولم يبقَ

(١) ب: « الزهرى »، وصوابه في أ، د والأغاني.

(٢) في الأغاني: « ثمَّ لهند ولهند فقد ».

عندى شئ؛ ألدّ من مُناقلة الإخوان الحديث ، وقبلكَ عامرُ الشعبيّ فابعثْ به إلىّ ،
فدعا الحجاجُ الشعبيّ ، فجهره وبعثَ به إليه ، وقرّظه وأطراه في كتابه ، ففرج الشعبيّ
حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب : استأذن لي ، قال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا
عامرُ الشعبيّ قال : يرحمك^(١) الله ؛ قال : ثمّ نهض فأجلسني على كرسيّه ، فلم يلبث أن
خرج إلى فقال : ادخل يرحمك الله ؛ فدخلتُ ، فإذا عبد الملك جالسٌ على كرسيّ ،
وبين يديه رجلٌ أبيضُ الرأس واللحية ، جالسٌ على كرسيّ ، فسلمت ، فردّ عليّ السلام ،
فاوماً إلىّ بقضيبه ، فجلستُ عن يساره ، ثمّ أقبل على ذلك الإنسان الذي بين يديه
فقال له : مَنْ أشعر الناس ؟ فقال : أنا يا أمير المؤمنين ؛ قال الشعبيّ : فأظلم ما بيني وبين
عبد الملك ، فلم أصبر أن قلتُ : وَمَنْ هذا الذي يزعم أنه أشعر الناس يا أمير المؤمنين !
فعجّب عبد الملك من عَجَلتي قبل أن يسألني عن حالي ، فقال : هذا الأخطل ؛ فقلتُ :
يا أخطل ، أشعرُ والله منك الذي يقول :

هذا غلامٌ حسنٌ وجهُهُ مستقبلُ الخيرِ سريعُ التمامِ

الآيات . . .

قال : فاستحسنها عبدُ الملك ، ثم ردّتها عليه حتى حفظها ، فقال الأخطل : مَنْ
هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا الشعبيّ ؛ فقال : والجيلون ما أستاذت بالله من شرٍّ إلا
من هذا - أى والإنجيل - صدّق والله يا أمير المؤمنين ، النابغةُ أشعرُ مني ، قال الشعبيّ :
فأقبل عبدُ الملك حينئذ عليّ فقال : كيف أنت يا شعبيّ ؟ قلتُ : بخير يا أمير المؤمنين ،
فلا زلت به ثم ذهبت لأصنع معاذيرَ لما كان من خلافي مع ابن الأشعث على الحجاج :
فقال : مَهْ إنا لا نحتاج إلى هذا المنطق ، ولا تراه منّا في قولٍ ولا فعلٍ حتى تفارقنا ؛ ثمّ
أقبل عليّ فقال : ما تقول في النابغة ؟ قلتُ : يا أمير المؤمنين ، قد فضله عمرُ بن الخطاب

(١) رواية د « حياك الله » .

في غير موطنٍ على جميع الشعراء ، ثم أنشدته الشعر الذي كان عمره يُعجب به من شعره ،
وقد تقدم ذكره . قال : فأقبل عبدُ الملك على الأخطل فقال له : أتحب أن لك قياضاً
بشعرِكَ شعر أحدٍ من العرب ، أم تحب أنك قلته ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين إلا
أني وددت أني كنتُ قلتُ أبياناً قالها رجلٌ منا ، ثم أنشدته قول القطامي :

إِنَّا مُحْيُوكَ فَأُسَلِّمُ أَيُّهَا الطَّلُّ وَإِنْ بليتَ وَإِنْ طالتْ بكَ الطَّلُّ (١)
لَيْسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبَنَى بِشَاشَتُهُ (٢) إِلَّا قليلاً وَلَا ذُو خُلَّةٍ يَصِلُ
وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ وَلَا حَالٌ إِلَّا سَوْفَ تَذْتَفِلُ
إِنْ تُرْجِمِي مِنْ أَبِي عُمَانَ مُنْجِحَةً فَقَدْ يَهُونُ عَلَى الْمُسْتَنْجِحِ الْعَمَلُ (٣)
وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَانُلُونْ لَهُ مَا يَشْتَمِي وَلَا مٌ الْمُخْطِئُ الْهَبَلُ
قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَانِي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعِجِلِ الزَّلَلُ

قال الشعبي : فقلتُ : قد قال القطامي أفضلَ من هذا ؛ قال : وماتال ؟
قلتُ : قال :

طَرَقَتْ جَنُوبُ رَحَالِنَا مِنْ مَطَرٍ مَا كُنْتُ أَحْسَبُهَا قَرِيبَ الْمُعْنَى (٤)
إِلَى آخِرِهَا (٥) ، فقال عبدُ الملك : ثكلت القطامي أمه ! هذا والله الشعر ، قال :
فالتفت إليّ الأخطلُ فقال : يا شعبي ، إن لك فنوناً في الأحاديث ، وإنما لي فنٌ واحد
فإن رأيتَ ألا تحمِلني على أكتافِ قومِكَ فأدعهم حرصاً (٦) ! فقلتُ : لا أعرض
لك في شيء من الشعر أبداً ، فأقلني هذه المرة ، فقال : من يتكفل بك ؟ قلتُ :

(١) الضلل : ما شغص من آثار الديار . والطبل : جمع طبله ، وهي الدهر .
(٢) الضمر في « به » يعود إلى الدهر . (٣) منجحة : ظافرة . والمستنجح : طالب النجاح .
(٤) المعنى : المكان الذي أعنت منه ، والمعنى (بالتحريك) ضرب من السير السريع .
(٥) أو ردها صاحب الأغاني (٦) الحرص : الردي من الناس ، أي أجعلهم يهيجائي من أراذل الناس .

أمير المؤمنين ، فقال عبد الملك : هو عليّ أنه لا يعرض لك أبداً ؛ ثم قال عبد الملك :
ياشعبي ، أرى نساء الجاهلية أشعر ؟ قلت : ألتنساء ؟ قال : ولم فضلتها على غيرها ؟
قلت : لقولها :

وقائلة والنفس قد فات خطوها لتدريكه : يالهي نفسي على صخر !
ألا هبلت أم الذين غدوا به إلى القبر ، ماذا يحملون إلى القبر !
فقال عبد الملك : أشعر منها والله التي تقول (١) :

مُهَفِّفٌ أَهْضَمَ الْكَشْحَيْنِ مَنْخَرٍ (٢) عنه القميصُ بسير الليلى مُحْتَقِرُ
الأيامن الدهر ممسكه ومصبحه من كل أوْبٍ وإن لم يَنْزُرُ يُنْتَظَرُ
قال : ثم تبسم عبد الملك وقال : لا يشقن عليك يا شعبي ، فإنما أعلمتك هذا لأنه
بلغني أن أهل العراق يتطاولون على أهل الشام ، ويقولون : إن كان غلبونا على الدولة
فلم يغلبونا على العلم والرواية ، وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق من أهل العراق ، ثم
ردد على أبيات ليلى حتى حفظتها ، ثم لم أزل عنده أول داخل وآخر خارج ، فكنت
كذلك سنين ، وجعلني في ألفين من العطاء ، وجعل عشرين رجلاً من ولدي وأهل
بيتي في ألف ألف ، ثم بعثني إلى أخيه عبد العزيز بمصر ، وكتب إليه : يا أخی ، قد
بعثت إليك بالشعبي ، فانظر هل رأيت قط مثله (٣) !

قال أبو الفرج الأصبهاني في ترجمة أوس بن حَجَر : إن أبا عبيدة قال : كان أوس
شاعراً مُضَرَّ حتى أسقطه النابغة ؛ قال : وقد ذكر الأصمعي أنه سمع أبا عمرو بن العلاء
يقول : كان أوس بن حَجَر فحل العرب ، فلما نشأ النابغة طأطأ منه (٤) .

وقال محمد بن سلام في كتاب طبقات الشعراء : وقال من احتج للنابغة : كان أحسنهم

(١) هي ليلى أخت المنصور بن وهب الباهلي . (٢) مهفف الكشح : ضامره .

(٣) الأغاني ١١ : ٢١ - ٢٦

ديباجة شعر ، وأكثرهم رَونق كلام ، وأجزَلهم بيتا ؛ كأن شعره كلام ليس بتكلف ،
والنَّطِيق على المتكلم أوسَّع منه على الشاعر ، لأنَّ الشاعر يحتاج إلى البناء والعروض
والقوافي ، والمتكلم مطلق ، يتخير الكلام كيف شاء ، قالوا : والناطقة نَبَّغ بالشَّعر بعد
أن أحتنك ، وهلك قبل أن يهتر .

قلتُ : وكان أبو جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد العلويّ البصريّ يُفضِّل الناطقة ،
واستقرَّ أنى يوما ويدي ديوانُ الناطقة قصيدته التي يمدح بها التَّيمان بن المُنذِر ، ويذكر
مرضه ، ويعتذر إليه بما كان اتهم به ، وقدَّفه به أعداؤه ، وأولها :

كتمتُك لَيْلاً بالجمومين ساهراً وهمَّين : همَّاً مستكناً وظاهراً^(١)
أحاديث نفس تشكي مايرئها وورْد همومٍ لو يجذُن مصادراً
تُكلفني أن يُغفلَ الدهرُ همَّها وهل وجدتُ قبلي على الدهر ناصراً !
يقول : هذه النفس تكلفني ألا يحدث لها الدهر همّاً ولا حزناً ، وذلك ممَّا لم يسقطه
أحدٌ قبلي .

ألم تر خيرَ النَّاس أصبحَ نَعشه على فتيةٍ قد جاوزَ الحَيَّ سائراً !
كان للملكُ منهم إذا مَرِضَ حِمِل على نَعش وطيف به على أكتاف الرجال بين
الحبرة والخوزنق والنَّجف ، ينزّهونه .

ونحنُ لذيِّه نَسألُ اللهَ خُلده يردُّ لنا ملكاً وللأرضِ عامراً^(٢)
ونحنُ نرجى الخيرَ إن فازَ قدحنا ونرهبُ قدح الدهرِ إن جاء قائماً
لك الخيرُ إن وارت بك الأرضُ واحداً وأصبحَ جدُّ الناس بعدك عاثراً
ورُدَّت مطايا الراغبين وعُريتْ جِياذُك لا يُحفي لها الدهرُ حافراً

(١) ديوانه ٣٩ - ٤٢ . والجمومان : موضع .

(٢) الخلد : البقاء .

رَأَيْتَكَ تَرْعَانِي بَعِينَ بَصِيرَةً وَتَبْعُثُ حُرَّاسًا عَلَيَّ وَنَظِيرًا
وَذَلِكَ مِنْ قَوْلِ أَتَاكَ أَقُولُهُ وَمِنْ دَسٍّ أَعْدَاءُ إِلَيْكَ الْمَآبِرَا^(١)
فَأَلَيْتُ لَا أَتَيْكَ إِنْ كُنْتُ مُجْرِمًا وَلَا أَتْنِي جَارًا سِوَاكَ مُجَاوِرًا
أَيُّ لَا أَتَيْكَ حَتَّى يَثْبُتَ عِنْدَكَ أَنِّي غَيْرُ مُجْرِمٍ .

فَأَهْلِي فِدَاءٌ لِمَرِيءٍ إِنْ أَتَيْتُهُ تَقَبَّلَ مَعْرُوفِي وَسَدَّ الْمَفَاقِرَا^(٢)
سَارِبُ كَلْبِي أَنْ يَرِيكَ نَبِيحُهُ وَإِنْ كُنْتُ أَرَعَى مُسْحِلَانَ وَحَامِرَا^(٣)
أَيُّ سَأْمِسِكَ لِسَانِي عَنْ هِجَائِكَ وَإِنْ كُنْتُ بِالشَّامِ فِي هَذَيْنِ الْوَادِيَيْنِ
الْبُعِيدَيْنِ عَنْكَ .

وَحَلَّتْ بُيُوتِي فِي يَفَاعٍ مَمْنَعٍ تَحَالُ بِهِ رَاعِي الْحَمُولَةِ طَائِرَا^(٤)
تَزِلُّ الْوُعُولُ الْعُصْمَ عَنْ قَذَفَاتِهِ وَيُضْجِي ذُرَاهُ بِالسَّحَابِ كَوَافِرَا
حِذَارًا عَلَى آلَا تَنَالُ مَقَادَتِي وَلَا نِسَوَتِي حَتَّى يَمُتْنَ حَرَائِرَا
يقول: أَنَا لَا أَهْجُرُكَ وَإِنْ كُنْتُ مِنَ الْمَنْعَةِ وَالْعِصْمَةِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ .

أَقُولُ وَقَدْ شَطَّتْ بَنَى الدَّارِ عَنْكُمْ إِذَا مَالَقْتَ مِنْ مَعَدَّةٍ مُسَافِرَا
أَلَا أَبْلُغُ التَّعْمَانَ حَيْثُ لَقِيْتَهُ فَأَهْدِي لَهُ اللَّهُ الْغِيُوثَ الْبَوَاكِيرَا
وَأَصْبَحْهُ فُلْجًا وَلَا زَالَ كَعْبُهُ عَلَى كُلِّ مَنْ عَادَى مِنَ النَّاسِ ظَاهِرَا
وَرَبَّ عَلَيْهِ إِلَهُ أَحْسَنَ صُنْعُهُ وَكَانَ عَلَى كُلِّ الْمُعَادِينَ نَاصِرَا^(٥)

فَجَعَلَ أَبُو جَعْفَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَهْتَزُّ وَيَطْرَبُ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ لَوْ مُزِجْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ بِشِعْرِ
الْبَحْتَرِيِّ لَكَادَتْ تَمْتَزِجُ لِسَهْوَلَتِهَا وَسَلَامَةِ أَلْفَظِهَا ، وَمَا عَلَيْهَا مِنَ الدِّيَابِجَةِ وَالرُّؤُوقِ . مِنْ
يَقُولُ : إِنْ أَمْرًا الْقَيْسِ وَزَهِيرًا أَشْعَرُ مِنْ هَذَا ! هَهُؤُا فُلَيْحًا كَمُونِي .

(١) الْمَآبِرُ : النِّمَارُ . (٢) تَقَبَّلَ ، بِمَعْنَى قَبِلَ . وَالْمَفَاقِرُ : جَمْعُ فَقْرٍ .

(٣) الدِّبْوَانُ « سَأَ كَمِ كَلْبِي » أَيُّ سَأْمِسُكَ . وَمُسْحِلَانٌ وَعَامِرٌ : مَوْضِعَانِ .

(٤) الْيَفَاعُ : الشَّرَفُ مِنَ الْأَرْضِ . وَالْحَمُولَةُ : الْإِبِلُ الَّتِي أَطَاقَتْ الْحَمْلَ . (٥) رَبِّهِ : أَمْعُهُ .

فَأَمَّا امْرُؤُ الْقَيْسِ بْنُ حُجْرٍ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ الْجَمَحِيُّ فِي كِتَابِ "طَبَقَاتِ الشُّعْرَاءِ":
أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ أَنَّ عُلَمَاءَ الْبَصْرَةِ كَانُوا يَقْدُمُونَهُ عَلَى الشُّعْرَاءِ كُلِّهِمْ، وَأَنَّ
أَهْلَ الْكُوفَةِ كَانُوا يَقْدُمُونَ الْأَعْشَى، وَأَنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ وَالْبَادِيَةِ يَقْدُمُونَ
زُهَيْرًا وَالتَّابِغَةَ^(١).

قَالَ ابْنُ سَلَامٍ: فَالطَّبَقَةُ الْأُولَى إِذْنُ أَرْبَعَةٌ. قَالَ: وَأَخْبَرَنِي شُعَيْبُ بْنُ صَخْرٍ، عَنْ
هَارُونَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ لِلْفَرَزْدَقِ: مَنْ أَشْعَرَ النَّاسِ يَا أَبَا فِرَاسٍ؟
فَقَالَ: ذُو الْقُرُوحِ، يَعْنِي امْرَأَ الْقَيْسِ، قَالَ: حِينَ يَقُولُ مَاذَا؟ قَالَ حِينَ يَقُولُ:
وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بَيْنَى أَيْيَهُمْ وَبِالْأَشَقَّيْنِ مَا كَانَ الْعِقَابُ

قَالَ: وَأَخْبَرَنِي أَبَانُ بْنُ عُمَانَ الْبَجَلِيُّ، قَالَ: مَرَّ لَيْبِدٌ بِالْكُوفَةِ فِي بَنِي نَهْدٍ، فَاتَّبَعُوهُ
رَسُولٌ يَسْأَلُهُ: مَنْ أَشْعَرَ النَّاسِ؟ فَقَالَ: الْمَلِكُ الضَّلِيلُ. فَأَعَادُوهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ثُمَّ مَنْ؟
فَقَالَ: الْفَلَامُ الْقَتِيلُ - يَعْنِي طَرْفَةَ بِنْتِ الْعَبْدِ - وَقَالَ غَيْرُ أَبَانٍ: قَالَ: ثُمَّ ابْنُ الْعَشْرِينَ،
قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: الشَّيْخُ أَبُو عُقَيْلٍ يَعْنِي نَفْسَهُ^(٢).

قَالَ ابْنُ سَلَامٍ: وَاحْتَجَّ لَامِرِيُّ الْقَيْسِ مَنْ يَقْدُمُهُ فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ^(٣) قَالَ مَالِمٌ
يَقُولُهُ، وَلَكِنَّهُ سَبَقَ الْعَرَبُ إِلَى أَشْيَاءَ ابْتَدَعَهَا اسْتَحْسَنَتْهَا الْعَرَبُ، فَاتَّبَعَهُ فِيهَا
الشُّعْرَاءُ، مِنْهَا اسْتِيقَافُ صَحْبِهِ، وَالبُكَاءُ فِي الدِّيَارِ، وَرَقَّةُ النَّسِيبِ، وَقُرْبُ الْمَأْخُذِ،
وَتَشْبِيهُ النِّسَاءِ بِالطُّبَّاءِ وَبِالْبَيْضِ، وَتَشْبِيهُ الْخَيْلِ بِالْعِجْبَانِ وَالْعِصَى، وَقَيْدُ الْأَوَابِدِ،
وَأَجَادُ فِي النَّسِيبِ، وَفَصَلَ بَيْنَ النَّسِيبِ وَبَيْنَ الْمَعْنَى، وَكَانَ أَحْسَنَ الطَّبَقَةِ تَشْبِيهًا^(٤).

قَالَ: وَحَدَّثَنِي مُعَلَّمُ ابْنِ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُسِيرُ فِي الْبَادِيَةِ إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ
عَلَى ظَلِيمٍ قَدْزَمَهُ وَخَطَمَهُ وَهُوَ يَقُولُ:

(١) طبقات الشعراء ٤٤ (٢) طبقات الشعراء ٤٤
(٣) طبقات الشعراء: « ما قال مالم يقولوا » (٤) طبقات الشعراء ٤٦

هل يَبْلُغُنِيهِمْ إِلَى الصَّبَاحِ هَقْلٌ كَانَ رَأْسَهُ جَمَاحُ
 قال : فما زال يَذْهَبُ بِهِ ظَلِيمُهُ وَيَجِيءُ حَتَّى أُنْسَتْ بِهِ وَعِلِمَتْ أَنَّهُ لَيْسَ بِإِنْسِي
 فقلت : يا هذا ، من أشعر العرب ؟ فقال : الذي يقول :
 أَغْرَكِ مَنَى أَنْ حُبِّكَ قَاتِلِي وَأَنْتَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ
 يعني امرأ القيس ، قلت : ثم من ؟ قال : الذي يقول :
 وَيَبْزُدُ بَرْدُ رِداءِ الْعَرَوِ سِ بِالصَّيْفِ رَفْرَفَتْ فِيهِ الْعَيْبَرَا
 وَيَسْخُنُ لَيْلَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ نُبَاحُهَا الْكَلْبَ إِلَّا هَرِيرَا
 ثم ذَهَبَ بِهِ ظَلِيمُهُ فَلَمْ أَرَهُ ^(١) .

قال : وَحَدَّثَ عَوَانَةُ ، عَنْ الْحَسَنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ قَالَ لِحَسَّانَ بْنِ
 ثَابِتٍ : مَنْ أَشْعَرُ الْعَرَبِ ؟ قَالَ : الزُّرْقُ الْعَيُونُ مِنْ بَنِي قَيْسٍ ، قَالَ : لَسْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ
 الْقَبِيلَةِ ، إِنَّمَا أَسْأَلُكَ عَنْ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَقَالَ حَسَّانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنَّ مِثْلَ الشُّعْرَاءِ
 وَالشُّعْرِ كَمِثْلِ نَاقَةٍ تُحْمَرُ ، لَجَاءَ امْرَأُ الْقَيْسِ بْنُ حُجْرٍ فَأَخَذَ سَنَامَهَا وَأَطَايِبَهَا ، ثُمَّ جَاءَ
 الْمُتَجَاوِرَانِ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخُزَجِ فَأَخَذَا مَا وَآلَى ذَلِكَ مِنْهَا ، ثُمَّ جَعَلَتِ الْعَرَبُ تَمْرَعُهَا
 حَتَّى إِذَا بَقِيَ الْفَرْتُ وَالْدَمُ جَاءَ عَمْرُو بْنُ تَيْمٍ وَالنَّمِرُ بْنُ قَاسِطٍ فَأَخَذَاهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ : « ذَاكَ رَجُلٌ مَذْكُورٌ فِي الدُّنْيَا شَرِيفٌ فِيهَا خَامِلٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، مَعَهُ
 لَوَاءُ الشُّعْرَاءِ إِلَى النَّارِ » ^(٢) .

فَأَمَّا الْأَعَشَى فَقَدْ احْتَجَّ أَصْحَابُهُ لِتَفْضِيلِهِ بِأَنَّهُ كَانَ أَكْثَرَهُمْ عَرُوضًا ، وَأَذْهَبَهُمْ فِي فُنُونِ
 الشُّعْرِ ، وَأَكْثَرَهُمْ قَصِيدَةً طَوِيلَةً جَيِّدَةً ، وَأَكْثَرَهُمْ مَدْحًا وَهَجَاءً ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَأَلَ

بشعره ، وإن لم يكن له بيتٌ نادر على أفواه الناس كآبيات أصحابه الثلاثة .
وقد سُئِلَ خَلْفَ الْأَحْمَرُ : من أشعر الناس ؟ فقال : ما ينتهى إلى واحدٍ يُجَمِّعُ عليه
كما لا ينتهى إلى واحدٍ هو أشجع الناس ، ولا أخطب الناس ، ولا أجهل الناس ، قيل
له : يا أبا محرز فأبهم أعجب إليك ؟ فقال : الأعشى كان أجمعهم .
قال ابنُ سلام : وكان أبو الخطاب الأخفش مستهتراً به يقدمه ، وكان أبو عمرو بن
العلاء يقول : مثله مثل البازي يضرب كبير الطير وصغيره . ويقول : نظيره في الإسلام
جرير ، ونظيرُ النابغة الأخطل ، ونظيرُ زهير الفرزدق ^(١) .

فأما قولُ أمير المؤمنين عليه السلام « الْمَلِكُ الضَّلِيلُ » فإنما سُمِّيَ امرؤ القيس
ضَلِيلًا لما يُعْلَنُ به في شعره من الفِسْق ، والضَّلِيلُ : الكثيرُ الضلال ، كالشَّرِيب ،
والخَمِير ، والسَّكِر ، والفَسِيق ، للكثيرِ الشُّرْبِ وإِدْمانِ الخمر والسُّكْرِ والفِسْق ، فن
ذلك قوله :

فَمَثَلُ حُبْلَى قَدْ طَرَقَتْ وَمُرْضِعًا فَأَلْمَيْسُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مُحَوَّلٍ ^(٢)
إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ بِشَقٍّ وَتَحْتَى شِقُّهَا لَمْ يُحَوَّلِ
وقوله :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا سَمَوْتُ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ ^(٣)
فَقَالَتْ لِحَاكِ اللَّهِ إِنَّكَ فَاضِحِي أَلَسْتَ تَرَى السَّمَارَ وَالنَّاسَ أَخْوَالِي
فَقُلْتُ لَهَا تَاللهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت
فصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا
حلفت لها بالله حلفه فاجر
فأصبحت معشوقا وأصبح بعلمها
هصرت بفضي ذى شماريح ميال
ورضت فذلت صعبة أى إذلال
لناموا فما إن من حديث ولا صالى
عليه القتام كاسف الوجه والبال

وقوله فى اللامية الأولى :

وببضة خذر لا يرام خباؤها
تخطيت أبواباً إليها ومعشراً
فجئت وقد نضت لنوم ثيابها
فقلت يمين الله مالك حيلة
فقمْتُ بها أمشى تَجِرُ وراءنا
فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى
هصرت بفودى رأسها فما يلت
تمتعت من لهُو بها غير مُعجِل^(١)
على حِراساً لو يُسِرُّون مَقَتلى
لدى السُّرِّ إلا لبسة المتفضِّل
وما إن أرى عنك الغواية تنجلى
على إثرنا أذيال مِرْطٍ مُرجَلِ
بنا بطنُ خَبْتِ ذى حِفافٍ عَقَنِقِلِ
على هضم الكشح رباً المُخلخلِ

وقوله :

فبت أكابد ليلَ التما
فلما دنوت تسديتها
ولم يرنا كالى كاشح
وقد رابى قولها : يا هنا
م والقلب من خشية مقشع
فتوباً نسيت وثواباً أجر
ولم يبد منا لدى البيت سر
ه ونحك ألحقت شراً بشر !

وقوله :

تقولُ وقد جَرَدَتْهَا من ثِيَابِهَا كَارُغَتْ مَكْحُولُ المَدَامِيعِ أَثْلَمًا^(١)
 لَعَمْرُكَ لو شِئْتُ أَتَانَا رِسْوَلُهُ سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعًا
 فَبِتْنَا نَصُدُّ الوحشَ عَنَّا كَأَنَّا قَتِيلَانِ لَمْ يَعْلَمْ لَنَا النَّاسُ مَصْرَعًا
 تَجَافَى عَنِ المَآثُورِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَتُدْنِي عَلَيَّ السَّابِرَى المُضْلِمًا
 وفي شعر امرئ القيس مِنْ هَذَا الفَنِّ كَثِيرٌ ، فَمَنْ أَرَادَهُ فَلْيَطْلُبْهُ مِنْ
 مَجْمُوعِ شِعْرِهِ .

(٤٦٥)

الأصل :

وقال عليه السلام :

أَلَا حُرٌّ يَدْعُ هَذِهِ اللَّمَازَةَ لِأَهْلِهَا ! إِنَّهُ لَيْسَ لِنَفْسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةَ ، فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا .

الشرح :

اللامظة بفتح اللام : ما تبقى في الفم من الطعام ؛ قال يصف الدنيا :

* لماظة أيام كحلالم نائم *

ولمظ الرجل يلمظ بالضم لمظا ، إذا تتبع بلسانه بقية الطعام في فمه وأخرج لسانه فسح به شفتيه ، وكذلك التلظ ، يقال : تلظت الحية إذا أخرجت لسانها كما يتلظ الآكل .

وقال : « أَلَا حُرٌّ » ، مبتدأ ، وخبره تحذوف أى في الوجود . وألا حرف ، قال :

أَلَا رجلٌ جزاه الله خيراً يَدُلُّ على مُحَصِّلَةٍ تَبَيَّنَتْ

ثم قال : إنه ليس لأنفسكم ثمنٌ إلا الجنة ، فلا تبيعوها إلا بها ، من الناس من يبيع نفسه بالدراهم والدنانير ، ومن الناس من يبيع نفسه بأحقر الأشياء وأهونها ، ويتبع هواه فيهلك ، وهؤلاء في الحقيقة أحقُّ الناس ، إلا أنه قد رين على القلوب ، فغطتها الذنوب ، وأظلمت الأنفس بالجهل وسوء العادة ، وطال الأمد أيضا على القلوب فقست ، ولو أفكر الإنسان حق الفكر لما باع نفسه إلا بالجنة لا غير .

(٤٦٦)

الأضل :

وقال عليه السلام :

منهُومان لا يشبعان : طالبُ علمٍ وطالبُ دُنْيَا .

الشرح :

تقول : نهم فلان بكذا فهو منهُوم ، أى مُولع به ، وهذه الكلمة مرُويّة عن النّبيّ صلى الله عليه وآله : « منهُومان لا يشبعان : منهُومٌ بالمال ، ومنهُومٌ بالعلم » . والنهم بالفتح : إفراطُ الشّهوة في الطعام ، تقول منه : نهمتُ إلى الطعام بكسرِ الهاء أنهمُ فأنا نهم ، وكان في القرآن آيةٌ أنزلت ثم رفعت : « لو كان لابن آدم واديان من ذهبٍ لا بتغى لهما ثلثاء ولا يملأ عين ابن آدم إلّا التراب ، ويتوبُ الله على من تاب » . فأما طالبُ العلم العاشقُ له ، فإنه لا يشبع منه أبداً ، وكلما استكثر منه زادَ عشقه له ، وتهالكه عليه . مات أبو عثمان الجاحظ والكتابُ على صدره .

وكان شيخنا أبو عليّ رحمه الله في النّزع وهو يُملي على ابنه أبي هاشم مسائلَ في علم الكلام . وكان القاضي أحمدُ بنُ أبي دُواد يأخذُ الكتابَ في خُفّه وهو راكب ، فإذا جلسَ في دارِ الخليفة اشتغل بالنّظر فيه إلى أن يجلس الخليفة ، ويدخلُ إليه . وقيل : ما فارق ابنُ أبي دُواد الكتابَ قطّ إلّا في الخلاء . وأعرف أنا في زماننا من مكث نحو خمسِ سنين لا ينام إلّا وقتَ السّحر صيفاً وشتاءً مُكبّاً على كتابٍ صنّفه ، وكانت وسادته التي ينامُ عليها الكتاب .

(٤٦٧)

الأفضل

وقال عليه السلام :

علامة الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرُّك ، على الكذب حيث ينفعُك ،
وَأَلَّا يَكُونَ فِي حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ عِلْمِكَ ، وَأَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ فِي حَدِيثِ غَيْرِكَ .

الشيخ :

قد أخذ المعنى الأول القائل :

عليك بالصدق ولو أنه أخرجك الصدق بنار الوعيد

وينبغي أن يكون هذا الحكم مقيدا لا مطلقا ، لأنه إذا أضر الصدق ضررا عظيما
يؤدي إلى تلف النفس أو إلى قطع بعض الأعضاء لم يجز فعله صريحا ، ووجبت المعارض
حينئذ .

فإن قلت : فالمعارض صدق أيضا ، فالكلام على إطلاقه ! قلت : هي صدق
في ذاتها ، ولكن مستعملها لم يصدق فيما سئل عنه ، ولا كذب أيضا ، لأنه لم يخبر
عنه ، وإنما أخبر عن شيء آخر وهي المعارض ؛ والتارك للخبر لا يكون صادقا
ولا كاذبا ، فوجب أن يقيد إطلاق الخبر بما إذا كان الضرر غير عظيم ، وكانت نتيجة
الصدق أعظم نفعاً من تلك المصرة .

قال عليه السلام : « وأن يكون في حديثك فضل عن علمك » ، متى زاد منطق
الرجل على علمه فقد لغا وظهر نقصه ، والفاضل من كان علمه أكثر من منطق . قوله :
« وأن تتقي الله في حديث غيرك » ، أي في نقله وروايته فتزويه كما سمعته من غير تحريف .

(٤٦٨)

الأضل :

وقال عليه السلام :

يَغْلِبُ الْمَقْدَارُ عَلَى التَّقْدِيرِ ، حَتَّى تَكُونَ الْآفَةُ فِي التَّذْيِيرِ .

قال : وقد مضى هذا المعنى فيما تقدم برواية تُخالف بعض هذه الألفاظ .

الشَّنْح :

قد تقدَّ هذا المعنى ، وهو كثيرٌ جدا ، ومن جيده قول الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا لَمْ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ وَلَكِنَّهُ مِنْ يَخْذُلِ اللَّهُ يُخْذِلُ
لِجَاهِدٍ حَتَّى تَبْلُغَ النَّفْسُ عُذْرَهَا وَقَلْقَلِ يَبْنِي الْعِزَّ كُلَّ مُتَقَلِّقٍ

وقال أبو تمام :

وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلِ تَسْطُو غِيَاهِبُهُ (١)
لَأَمْرِ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ
وقال آخر :

فَإِنْ بَيْنَ حَيْطَانًا عَلَيْهِ فَإِنَّمَا أَوْلَئِكَ عُقَالَاتُهُ لَامَعَاتُهُ

(٤٦٩)

الأضل :

وقال عليه السلام :

الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ تَوْعَمَانِ ، يُنْتَجِمُهُمَا عُلُوُّ الْهَمَةِ .

الْبُشْحُ :

قد تقدّم هذا المعنى وشرحه مرارا .

وقال ابن هاني :

وَكَلَّ أَنَاةً فِي الْمَوَاطِنِ سَوْدُودٌ وَلَا كَأَنَاةٍ مِنْ تَدَبُّرٍ مُحْكَمٍ^(١)
وَمَنْ يَتَّبِعَنَّ أَبَ لِّلسَّيْفِ مَوْضِعًا مِنْ الصَّفْحِ يَصْفَحْ عَنْ كَثِيرٍ وَيَحْلُمُ
وَقَالَ أَرِيَابُ الْمَعَانِي : عَلَّمَنَا اللَّهُ تَعَالَى فَضِيلَةَ الْأَنَاةِ بِمَا حَكَاهُ عَنْ سُلَيْمَانَ : ﴿ سَنَنْظُرُ
أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾^(٢) .

وكان يقال : الْأَنَاةُ حِصْنُ السَّلَامَةِ ، وَالْعَجَلَةُ مِفْتَاحُ النَّدَامَةِ .

وكان يقال : التَّائِيَّ مَعَ الْخَلِيْبَةِ ، خَيْرٌ مِنَ التَّهَوُّرِ مَعَ النَّجَاحِ .

وقال الشاعر :

الرَّقِيقُ يُمِئُّ وَالْأَنَاةُ سَعَادَةٌ فَتَأَنَّ فِي أَمْرِ تُلَاقٍ نَبَاحًا

(١) ديوانه ١٢٣ وفيه « من تدبير محكم » . (٢) سورة النمل ٢٧ .

وقال من كره الأناة وذمها : لو كانت الأناة محمودة والعجلة مذمومة ، لما قال موسى لربه : ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾^(١) .
وأنشدوا :

عَيْبُ الْأَنَاةِ وَإِنْ سَرَتْ عَوَاقِبُهَا أَنْ لَا خُلُودَ وَأَنْ لَيْسَ الْفَتَى حَجَرًا
وقال آخر :

كَمْ مِنْ مُضِيعٍ فُرْصَةٍ قَدْ أُمَكَّنْتُ لَغَدٍ وَلَيْسَ لَهُ غَدٌ بِمُؤَاتِي
حتى إذا فاتت وفات طلابها ذهبت عليها نفسه حَسَرَاتٍ

(٤٧٠)

الأضل :

وقال عليه السلام :
الغيبَةُ جُهدُ العاجِزِ .

السُّنْحُ :

قد تقدّم كلامنا في الغيبة مُستقصى .
وقيل للأحنف : مَنْ أَشْرَفَ النَّاسَ ؟ قال : مَنْ إِذَا حَضَرَ هَابُوه ، وَإِذَا
غَابَ اغْتَابُوه .

وقال الشاعر :

وَيَعْتَابُنِي مَنْ لَوْ كَفَانِي اغْتِيَابُهُ لَكُنْتُ لَهُ الْعَيْنَ الْبَصِيرَةَ وَالْأُذُنَا
وَعِنْدِي مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَوْ ذَكَرْتُهَا إِذَا قَرَعَ الْمُغْتَابَ مِنْ نَدَمٍ سِنًا
وَقَدْ نَظَّمْتُ أَنَا كَلِمَةَ الْأَحْنَفِ فَقُلْتُ :

أَكُلُّ عِرْضِي إِنْ غِيبْتُ ذِمًّا فَإِنْ أَبَتْ فَدَحُّ وَرَهْبَةٌ وَسُجُودُ
هَكَذَا يَفْعَلُ الْجَبَانُ : شُجَاعٌ حِينَ يَخْلُو ، وَفِي الْوَعَى رِغْدِيدُ
لَكَ مِنِّي حَالَانِ : فِي عَيْنِكَ الْجَنَّةُ حُسْنًا وَفِي الْفَوَادِ وَقُودُ

(٤٧١)

الأصل :

وقال عليه السلام :

رُبَّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ .

الشرح :

طالما فتن الناسُ بثناء الناسِ عليهم ، فيقصّر العالم في اكتساب العلم اتكالا على ثناء الناس عليه ، ويقصّر العابد في العبادة اتكالا على ثناء الناس عليه ، ويقول كل واحد منهما : إنما أردتُ ، ما اشتهرتُ به للصيت ، وقد حصل ، فلماذا أتكلف الزيادة ، وأعاني التعب ! وأيضا فإن ثناء الناس على الإنسان يقتضى اعتراء العجب له ، وإعجاب المرء بنفسه مُهلك .

واعلم أن الرضى رحمه الله قطع كتاب نهج البلاغة على هذا الفصل ، وهكذا وجدتُ النسخة بخطه وقال : « هذا حين انتهاء الغاية بنا إلى قطع المنتزع من كلام أمير المؤمنين عليه السلام : حامدين لله سبحانه على ما آمن به من توفيقنا لضم ما انتشر من أطرافه وتقريب ما بعد من أقطاره ، مترين العزم كما شرطنا أولا على تفضيل أوراق من البياض في آخر كل باب من الأبواب ، لتكون لاقتناص الشارِد ، واستلحاق الوارد ، وماعساه أن يظهر لنا بعد الغموض ، ويقع إلينا بعد الشذوذ ، وما توفيقنا إلا بالله ، عليه توكلنا ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير » .

ثم وجدنا نسخة كثيرة فيها زيادات بعد هذا الكلام ؛ قيل : إنها وُجِدَتْ في نسخة كتبت في حياة الرضى رحمه الله وقرئت عليه فأمضاها ، وأذن في إلحاقها بالكتاب ونحن نذكرها .

(٤٧٢)

الأصل :

وقال عليه السلام :
الدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا ، وَلَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَا .

الشرح :

قال أبو العلاء المَعَرِّيّ مع ما كان يُرَمَى به - في هذا المعنى ما يُطابق إرادة أمير المؤمنين
عليه السلام بلفظه هذا :

خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمُ لِلنَّفَادِ^(١)
إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَا لِي إِلَى دَارِ شِقْوَةٍ أَوْ رَشَادٍ

(١) سقط الزند ٩٧٨ ، ٩٧٩ .

(٤٧٣)

الأفضل :

وقال عليه السلام :

إِنَّ لِبَنِي أُمَيَّةٍ مِرْوَدًا يَجْرُونَ فِيهِ ، وَلَوْ قَدْ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَوْ كَادَتْهُمْ
الضُّبَاعُ لَفَلَبَتْهُمْ .

قَالَ الرَضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : وَهَذَا مِنْ أَفْصَحِ الْكَلَامِ وَأَعْرَبِهِ ، وَالْمِرْوَدُ هَاهُنَا
مِفْعَلٌ مِنَ الْإِرْوَادِ ، وَهُوَ الْإِمْهَالُ وَالْإِنْفَارُ ، فَكَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَبَّهَ الْمُهْلَةَ الَّتِي
هِيَ فِيهَا بِالْمِضَارِ الَّذِي يَجْرُونَ فِيهِ إِلَى الْغَايَةِ ، فَإِذَا بَلَغُوا مُنْقَطِعَهَا انْتَقَضَ
نِظَامُهُمْ بَعْدَهَا .

الشرح :

هذا إخبارٌ عن غيب صريح ، لأن بنى أُمَيَّةٍ لم يزل مُلْكُهُمْ منتزِعًا لَمَّا لم يكن بينهم
اختلاف ، وإِنَّمَا كَانَتْ حُرُوبُهُمْ مَعَ غَيْرِهِمْ كَحَرْبِ مُعَاوِيَةَ فِي صِفِّينَ ، وَحَرْبِ يَزِيدَ
أَهْلَ الْمَدِينَةِ ، وَأَبْنِ الزَّيْرِ بِمَكَّةَ ، وَحَرْبِ مَرْوَانَ الضَّحَّاكَ ، وَحَرْبِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَبْنَ الْأَشْعَثِ
وَأَبْنِ الزَّيْرِ ، وَحَرْبِ يَزِيدَ ابْنِهِ بَنِي الْمُهَلَّبِ ، وَحَرْبِ هِشَامِ زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ ، فَلَمَّا وَلِيَ الْوَلِيدُ
ابْنَ يَزِيدَ وَخَرَجَ عَلَيْهِ أَبْنُ عَمِّهِ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَقَتْلَهُ ، اخْتَلَفَتْ بَنُو أُمَيَّةٍ فِيمَا بَيْنَهُمَا ، وَجَاءَ
الْوَعْدُ — وَصَدَّقَ مِنْ وَعْدِهِ — فَإِنَّهُ مِنْذُ قَتْلِ الْوَلِيدِ دَعَتْ دُعَاةُ بَنِي الْعَبَّاسِ بِخُرَّاسَانَ ، وَأَقْبَلَ

مروانُ بنُ محمدٍ من الجزيرة يَطْلُبُ الخلافةَ ، فخلع إبراهيم بن الوليد ، وقتل قوما من بني أمية ، واضطرب أمرُ الملك وانتشر ، وأقبلت الدولة الهاشمية ونمت ، وزال ملك بني أمية ، وكان زوال مُلكهم على يد أبي مُسلم ، وكان في بدايته أضعفَ خلقَ الله وأعظمهم فقرا ومسكنة ، وفي ذلك ، تصديقُ قوله عليه السلام : « ثم لو كادتهم الضُّباع لغلَبَتهم » .

(٤٧٤)

الأُضْلُ :

وقالَ عليه السلامُ في مدحِ الأنصارِ :

هُمْ وَاللَّهِ رَبُّوا الْإِسْلَامَ كَمَا يُرَبِّي الْفُلُؤُ مَعَ غَنَائِهِمْ بِأَيْدِيهِمُ السَّبَاطِ ،
وَالسِّنْتِهِمُ السَّلَاطِ .

السِّنْخُ :

الْفُلُؤُ : المهر .

ويُرْوَى : « بأيديهم البساط » ، أى الباسطة ، والأولى جَمْعُ سَبَطٍ يَعْنِي السَّاحِ ، وقد يقال
للحاذق بالطعن : إِنَّهُ لَسَبَطُ الْيَدَيْنِ ، يريدُ الثَّقَافَةَ . والسنتهم السَّلاط ، يعنى الفَصِيحَةُ .

وقد تقدّم القولُ في مدحِ الأنصار ، ولو لم يكن إلا قولُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله
فيهم : « إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ ، وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ » ، ولو لم يكن إلا ما قاله لعاصم
ابنِ الطُّفَيْلِ فيهم لما قال له : « لأَغْرُوتَكَ فِي كَذَا وَكَذَا مِنْ الْخَيْلِ » يتوعده ، فقال عليه السلام :
« يَكْفِيكَ اللَّهُ ذَلِكَ وَأَبْنَاءُ قَبِيلَةٍ » ، [لكان نغرا لهم] وهذا عظيمٌ جدًّا وفوقَ العَظِيمِ ،
ولا ريبَ أَنَّهُمُ الَّذِينَ أَيْدَى اللَّهُ بِهِمُ الدِّينَ ، وَأَظْهَرَ بِهِمُ الْإِسْلَامَ بَعْدَ خَفَائِهِ ، ولولا هم
لمَجَزَ المهاجرون عن حَرْبِ قُرَيْشٍ والعرب ، وعن حِمَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ،
ولولا مَدِينَتُهُمْ لَمْ يَكُنْ لِلْإِسْلَامِ ظَهْرٌ يَلْجَأُونَ عَلَيْهِ ، وَيَكْفِيهِمْ فَخْرًا يَوْمَ خَرَاءِ الْأَسَدِ ،

يوم خرج بهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قريش بعد أن كسار أصحابه، وقتل من قتل منهم، وخرجوا نحو القوم والجراح فيهم فاشية، ودماؤهم تسيل، وإنهم مع ذلك كالأسد الغرث تتوالب على قرائسها، وكلهم من يوم أغر محجل! وقالت الأنصار: لولا علي بن أبي طالب عليه السلام في المهاجرين لأبينا لأنفسنا أن يذكر المهاجرون معنا، أو أن يُقرنوا بنا، ولكن رب واحد كالف؛ بل كألوف.

وقد تقدم ذكر الشعر المنسوب إلى الوزير المغربي وماطن به القادر بالله الخليفة العباسي في دينه بطريقه، وكان الوزير المغربي يتبرأ منه ويحجده، وقيل: إنه وجدت مسودة بخطه فرفعت إلى القادر بالله.

ومما وجد بخطه أيضا - وكان شديد العصبية للأنصار ولقحطان قاطبة، على عدنان، وكان ينتهي إلى الأزد، أزد سنوءة - قوله:

إنا الذي أرسى دعائم أحمد	وعلا بدعوته على كيوان
أبناء قبيلة وارثو شرف العلاء	وعراير الأقيال من قحطان
بسيوفهم يوم الوغى وأكفهم	ضربت مصاعب ملكه بجران ^(١)
لولا مصارعهم وصدق قرائعهم	خرت عروش الدين للأذقان
فليشكرن محمد أسيف من	لولا كان كخالد بن سينان

وهذا إفراط قبيح، ولفظ شنيع؛ والواجب أن يسان قدر النبوة عنه، وخصوصا البئيت الأخير، فإنه قد أساء فيه الأدب، وقال مالا يجوز قوله، وخالد بن سينان كان من بني عبس بن بغيض: من قيس عيلان، ادعى النبوة، وقيل: إنه كانت تظهر عليه آيات ومُعجزات، ثم مات وانقرض دينه ودثرت دعوته، ولم يبق إلا اسمه، وليس يمرّ به كل الناس، بل البعض منهم.

(١) يقال: ضرب البعير بجرانه: إذا برك.

(٤٧٥)

الأضل:

وقال عليه السلام:

العين وكاه الستة .

قال الرضى رحمه الله تعالى: وهذه من الاستعارات العجيبة، كأنه شبه الستة بالوعاء، والعين بالوكاء، فإذا أطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء. وهذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النبي صلى الله عليه وآله، وقد رواه قوم لأمر المؤمنين عليه السلام؛ وذكر ذلك المبرّد في الكتاب المقتضب في باب اللفظ المعروف.

قال الرضى: وقد تكلمنا على هذه الاستعارة في كتابنا للموسوم بمجازات الآثار النبوية.

الشرح:

المعروف أن هذا من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله، ذكره المحدثون في كتبهم وأصحاب غريب الحديث في تصانيفهم، وأهل الأدب في تفسير هذه اللفظة في مجموعاتهم اللغوية، ولعل المبرّد اشتبه عليه فنسبه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، والرواية بلفظ التثنية: «العينان وكاه الستة»، والستة: الاست.

وقد جاء في تمام الخبر في بعض الروايات : « فإذا نامت العينان استطلق الوكاء » .
والوكاء : رباط القربة ، فجعل العينين وكاء - والمراد اليقظة - لستة كالوكاء للقربة ،
ومنه الحديث في اللقطة : « احفظ عفاصها ووكاءها ، وعرفها سنة ، فإن جاء صاحبها
ولم يفشأ نك بها » ، والعفاص : السداد ، والوكاء : السداد ، وهذه من الكنايات اللطيفة .

[فصل في ألفاظ الكنايات وذكر الشواهد عليها]

وقد كنا قد منّا قطعةً صالحةً من الكنايات المستحسنة ، ووعدنا أن نعاود ذكر طرف
منها ، وهذا الموضع موضع ، فمن الكناية عن الحدث الخارج - وهو الذي كنى عنه
أمير المؤمنين عليه السلام ، أو رسول الله صلى الله عليه - الكناية التي ذكرها يحيى بن
زياد في شعره ، قيل : إن يحيى بن زياد ومطيع بن إياس وحمّاد الراوية جلسوا على
شرب لهم ، ومعهم رجل منهم ، فأنحل وكأوه ، فاستحيا وخرج ، ولم يعد إليهم ،
فكتب إليه يحيى بن زياد .

أَمِنْ قُلُوصٍ غَدَتْ لَمْ يُؤْذِهَا أَحَدٌ إِلَّا تَذَكَّرُهَا بِالرَّمْلِ أَوْطَانَا
خَانَ الْعِقَالُ لَهَا فَاثْبَتَ إِذْ نَفَرَتْ وَلِإِنَّمَا الذَّنْبُ فِيهَا لِلَّذِي خَانَا
مَنْحَتْنَا مِنْكَ هِجْرَانًا وَمَقْلِيَّةً وَلَمْ تَزُرْنَا كَمَا قَدْ كُنْتَ تَفْشَانَا
خَفَضَ عَلَيْكَ فَمَا فِي النَّاسِ ذُو إِبِلٍ إِلَّا وَأَيْنَقَهُ يَشْرُدُنْ أَحْيَانَا

وليس هذا الكتاب أهلاً أن يضمّن حكاية سخيّة أو نادرة خليعة ، فنذكر فيه
ما جاء في هذا المعنى ، وإنما جردنا على ذكر هذه الحكاية خاصّة كناية أمير المؤمنين
عليه السلام أو رسول الله صلى الله عليه وآله عنها ، ولكننا نذكر كنايات كثيرة في
غير هذا المعنى مستحسنة ، ينتفع القارئ بالوقوف عليها .

يقال : فلان من قوم موسى ، إذا كان ملولاً ، إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد ﴾ (١) .

قال الشاعر :

فيا من ليس يكفيه صديقٌ ولا ألفاً صديقٍ كل عامٍ
أظنك من بقايا قوم موسى فهم لا يصبرون على طعامٍ
وقال العباس بن الأحنف :

كبتُ تلومُ وتستريثُ زيارتي وتقولُ : لست لنا كعهدِ العاهِدِ
فأجبتها ودُموعُ عيني سحيمٌ تجرى على الخدين غير جوامِدِ
يا فوزُ لم أهجرُكم لِمِلاةٍ عرّصتُ ولا لمقالٍ واشٍ حاسِدِ
لكنني جرّبتُكم فوجدتكم لا تصبرون على طعامٍ واحدٍ
ويقولون للجارية الحسناء : قد أبقت من رضوان ، قال الشاعر :

جستُ العودَ بالبنانِ الحِسانِ وتثنتُ كأنها غصنُ بانٍ
فسجدنا لها جميعاً وقلدنا إذ شجّتنا بالحسن والإحسانِ
حاشَ لله أن تكوني من الإساءة ولكن أبقت من رضوان

ويقولون للكشوف الأمر الواضح الحال : ابن جَلّا ، وهو كناية عن الصُّبح

ومنه ما تمثل به الحجاج :

أنا ابنُ جَلّا وطلّاعُ الثنايا متى أضعَ العمامةَ تعرفوني (٢)

ومنه قول القلاخ بن حزن :

(١) سورة البقرة ٦١ .

(٢) الكامل ٧ : ٢٢٤ ، ونسبه إلى سحيم بن وثيل الرياحي .

* أَنَا الْقُلَاحُ بْنُ الْقُلَاحِ بْنِ جَلَا *

ومنه قولهم : فلان قائدُ الجملِ لأنه لا يَخْفَى لعظم الجملِ وكِبَرِ جِثَّتِهِ ، وفي المثل :
ما سَتَرَ مَنْ قَادَ جَمَلًا . وقالوا : كَفَى بُرْغَائِهَا نِدَاءً ، ومِثْلُ هَذَا قولهم : ما يَوْمُ حَلِيمَةِ بَسِيرٍ
يقال : ذلك في الأمرِ المشهور الذي لا يُسْتَرُ ، ويَوْمُ حَلِيمَةِ يَوْمُ التَّقَى المنذرُ الأكبرُ
والحارثُ الفسَّانيُّ الأكبرُ ، وهو أشهرُ أَيَّامِ الْعَرَبِ ، يقال : إنه ارتَفَعَ من الْعَجَاجِ
ما ظَهَرَ مَعَهُ الْكُوَاكِبُ نَهَارًا ، وحَلِيمَةُ : اسمُ امرأةٍ أُضِيفَ اليَوْمُ إِلَيْهَا ، لأنها
أُخْرِجَتْ إلى المعركة مَرَاكِنَ الطَّيِّبِ ، فكانت تُطَيِّبُ بِهَا الدَّاخلينَ إلى القتالِ ،
فقاتلوا حتى تَفَانُوا .

ويقولون في الكِنَايَةِ عن الشَّيْخِ الضَّعِيفِ : قَائِدُ الْحِمَارِ ، وإِشارةً إلى ما أَنشَدَهُ الْأَصْمَعِيُّ :
أَتَى النَّدَى فَلَا يُقَرِّبُ مَجْلِسِي وَأَقْوَدُ لِلشَّرَفِ الرَّفِيعِ جِهَارِي
أَيُّ أَقْوَدِهِ مِنَ الْكِبَرِ إلى مَوْضِعٍ مَرْتَفِعٍ لَأَرْكَبَهُ لَضَعْفِي . ومِثْلُ ذَلِكَ كِنَايَتُهُمْ عَنْ
الشَّيْخِ الضَّعِيفِ بِالْعَاجِزِ ، لأنه إِذَا قامَ عَجِزٌ في الْأَرْضِ بَكَفِّهِ ، قال الشاعر :
فَأَصْبَحْتُ كُنْتِيًّا وَأَصْبَحْتَ عَاجِزًا وَشَرْتُ خِصَالِ الْمَرْءِ كُنْتُ وَعَاجِزُ
قالوا : الْكُنْتِيُّ الذي يَقُولُ كُنْتُ أَفْعَلُ كَذَا ، وَكُنْتُ أَرْكَبُ الْخَيْلَ ، يَتَذَكَّرُ
مَا مَضَى مِنْ زَمَانِهِ ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَ الْهَرَمِ أَوْ الْفَقْرِ وَالْعَجْزِ .

ومِثْلُهُ قولهم للشَّيْخِ : رَاكِعٌ ، قال لَبِيدٌ :
أَخْبِرْ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ أَدَبُ كَأَنِّي كَلَّمَا قَتَ رَاكِعٌ^(١)
وَالرَّكَوعُ : هُوَ التَّطَاطُؤُ وَالانْحِنَاءُ بَعْدَ الْإِعْتِدَالِ وَالِاسْتِواءِ ، وَيُقَالُ لِلْإِنْسَانِ إِذَا
انْتَقَلَ مِنَ الثَّرْوَةِ إِلَى الْفَقْرِ : قَدَرَ كَعٌ ، قال :
لَا تُهَيِّنَ الْفَقِيرَ عَلَّا أَنْ تَرَى كَعَ يَوْمًا وَالِدَهُ قَدَرَ رَفَعَهُ^(٢)

(٢) للأضبط بن قريع السعدي ، أمالي القالي ١ : ١٠٨ .

(١) ديوانه ١٧١ .

وفي هذا المعنى قال الشاعر .

ارفعْ ضَعِيفَكَ لَا يَحِزُّ بِكَ ضَعْفُهُ يوماً فُتَدِرِكَه الحَوَادِثُ قَدْ نَمَا^(١)
يَحِزُّ بِكَ أَوْ يُبْنِي عَلَيْكَ وَإِنْ مَنْ يُبْنِي عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى
ومثله أيضا :

وَأَكْرَمَ كَرِيماً إِنْ أَتَاكَ الْحَاجَةُ لِعَاقِبَةٍ إِنْ الْعِصَا تَرَوَّحُ
تَرَوَّحَ الشَّجَرُ : إِذَا انْفَطَرَ بِاللَّبَّتِ ، يَقُولُ : إِنْ كَانَ فَقِيراً فَقَدْ يَسْتَفْنِي ، كَمَا أَنَّ
الشَّجَرَ الَّذِي لَا وَرَقَ عَلَيْهِ سَيَكُنْسَى وَرَقًا ، وَيَقَالُ : رَكَمَ الرَّجُلُ ، أَيْ سَقَطَ .
وقال الشاعر :

خَرَقْتُ إِذَا رَكَمَ الْمَطِيُّ مِنَ الْوَجَى لَمْ يَطْوِ دُونَ رَفِيقِهِ ذَا الْمُرُودِ
حَتَّى يُوَوِّبَ بِهِ قَلِيلاً فَضْلُهُ حَمْدَ الرَّفِيقِ نَدَاكَ أَوْ لَمْ يَحْمَدِ
وكا يشبهون الشيخ بالراكع فيكفون به عنه ، كذلك يقولون : يَحْجِلُ فِي قَيْدِهِ
للتقارب خطوه ، قال أبو الطمَّحان القَيْنِي :

حَنَنْنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلٌ أَدْنُو لَصِيدِ
قَرِيبٌ أَنْخَطُو يَحْسَبُ مَنْ رَأَى - وَلَسْتُ مُقَيِّداً - أُنِّي بِقَيْدِ
ونحو هذا قولهم للكبير: بَدَتْ لَهُ الْأَرْنبُ ، وذلك أَنَّ مَنْ يَخْتَلِ الْأَرْنبَ لِيَصِيدَهَا
يَتَمَّيَّلُ فِي مَشْيَتِهِ ، وَأُنْشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي النَّوَادِر :

وَطَالَتْ بِي الْأَيَّامُ حَتَّى كَأَنَّنِي مِنَ الْكِبَرِ الْعَالِي بَدَتْ لِي أَرْنبُ
ونحوه يقولون للكبير: قَيْدَ بَفْلَانِ الْبَعِيرِ ، أَيْ لَا قُوَّةَ لِيَدِهِ عَلَى أَنْ يُصَرِّفَ
الْبَعِيرَ تَحْتَهُ عَلَى حَسَبِ إِرَادَتِهِ ، فَيَقُودُهُ قَائِدٌ يَحْمِلُهُ حَيْثُ يَرِيدُ .

(١) لاسمومل بن عادياء ، ملحق ديوانه ٥٣ .

ومن أمثالهم : لقد كنتُ وما يقادُ بىَ البعير : يضربُ ابنُ كانَ ذا قوَّةٍ وعزمٍ ، ثمَّ
هَجَزَ وفَتَرَ .

ومن الكنايات عن شَيْبِ العَنْفَقَةِ قولهمُ : قد عَصَّ على صُوفِهِ .
ويَكُونُ عن المرأة التي كَبُرَ سنُّها فيقولون : امرأةٌ قد جَعَتِ الثيابَ ، أى تَلْبَسُ
القِنَاعَ والخمارَ والإزارَ ، وليست كالفتاة التي تَلْبَسُ ثوبا واحدا .
ويقولون لمن يَحْضِبُ : يسودُّ وجهه النَّذِيرُ ، وقالوا فى قوله تعالى : ﴿وجاءكم النَّذِيرُ﴾^(١) :
إنه الشَّيْبُ . وقال الشاعر :

وقائلةٌ لىَ اخْضِبْ فالعَوَانِى تَطَّيِّرُ مِنْ مَلاحِظَةِ القَتِيرِ
فقلتُ لها المَشِيبُ نَذِيرُ مَوْتِى ولستُ مسودًّا وجهه النَّذِيرِ
وزاحمَ شابٌّ شيخًا فى طريقٍ فقال الشابُّ : كم ثمن القوسُ ؟ يعيِّره بأخناء الظَّهْرِ ،
فقال الشيخُ : يابنَ أخى : إن طال بك عُمرٌ فسوفَ تَشْتَرِيها بلا ثمنٍ .
وأشْدَ لابنِ خلف :

تعيِّرُنِى وخطَّ المَشِيبِ بعاريضى ولولا الحِجُولُ البُلُقُ لم تُعرَفِ الدُّهُمُ
حَتَّى الشَّيْبُ ظَهَرَ فاستمرَّتْ مَرِيرَتِى ولولا أخناء القوسِ لم يَنْفُذِ السَّهْمُ
ويقولون لبْنُ رِشا القاضى أو غيره : صَبَّ فى قِنْدِيلِهِ زَيْتًا ، وأنشد :
وعند قَضائِنا خُبٌّ ومَكْرٌ وزَرْعٌ حينَ تَسْقِيهِ بُسْبُلُ
إذا ما صَبَّ فى القِنْدِيلِ زَيْتٌ تَحَوَّلَتِ القَضِيَّةُ لِلقِنْدِيلِ
وكان أبو صالح كاتبُ الرِّشيدِ يُنسبُ إلى أخذِ الرِّشا ، وكان كاتبُ أمِّ جعفر .

وهو سعدان بن يحيى كذلك ، فقال لها الرشيد يوما : أما سمعتِ ما قيل في كاتيك ؟
قالت : ماهو ؟ فأنشدتها :

صَبَّ فِي قِنْدِيلِ سَعْدَانَ مَعَ التَّسْلِيمِ زَيْتَانًا^(١)
وَقَادِيلَ بَنِيهِ قَبْلَ أَنْ تَخْفَى الْكُمَيْتَانِ

قالت : فما قيل في كاتيك أشنع ، وأنشدته :

قِنْدِيلُ سَعْدَانَ عِلَا ضَوْءَهُ فَرَّخَ لِقِنْدِيلِ أَبِي صَالِحٍ^(٢)
تَرَاهُ فِي بَحْلِيهِ أَحْوَصًا مِنْ لَحِيهِ لِلدَّرْهِمِ السَّلَاحِ
ويقولون : لمن طاق ثلاثا : فدبحرهما بمثلته .
ويقولون أيضا : أعطاهما نصف السنة .

ويقولون لمن يفخر بأبائه : هو عظامي ، ولَمَنْ يَفْخَرُ بِنَفْسِهِ هُوَ عِصَامِي ، إشارة
إلى قول النابغة في عِصَامِ بْنِ سَهْلٍ حَاجِبِ النِّعَمَانِ :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامًا وَعَلَّمَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا^(٣)

* وَجَمَلَتْهُ مَلِكًا هُمَامًا *

وأشار بالعظامي إلى فخره بالأموات من آبائه ورهطه ، وقال الشاعر :

إِذَا مَا الْحَيُّ عَاشَ بِعَظْمٍ مَيِّتٍ فَذَلِكَ الْعَظْمُ حَيٌّ وَهُوَ مَيِّتٌ

ونحو هذا أن عبد الله بن زياد بن ظبيان التميمي دخل على أبيه وهو يجود
بنفسه فقال : ألا أوصي بك الأمير ؟ فقال : إذا لم يكن للحَيِّ إِلَّا وَصِيَّةُ الْمَيِّتِ فَالْحَيُّ
هُوَ الْمَيِّتُ ، ويقال : إن عطاء بن أبي سفيان قال ليزيد بن معاوية : أغني عن غيرك ، قال :

(١) ثمار القلوب . . . (٢) ثمار القلوب . . . (٣) العقد الثمين ، ملحق ديوانه ١٧٥ .

حَسْبُكَ مَا أَغْنَاكَ بِهِ مَعَاوِيَةُ ؛ قَالَ : فَهُوَ إِذَنْ الْحَيُّ وَأَنْتَ الْمَيِّتُ ، وَمِثْلُ قَوْلِهِمْ :
عِظَامِي ، قَوْلِهِمْ : خَارِجِي ، أَيْ يَفْخَرُ بِغَيْرِ أَوْلِيَّةٍ كَانَتْ لَهُ ، قَالَ : كَثِيرٌ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ :
أَبَا مَرْوَانَ لَسْتَ بِخَارِجِيٍّ وَلَيْسَ قَدِيمٌ تَجِدُكَ بِاتِّحَالٍ
وَيَكُونُونَ عَنِ الْعَزِيزِ وَعَنِ الدَّلِيلِ أَيْضًا فَيَقُولُونَ : بَيِّضَةُ الْبَلَدِ ، فَمَنْ يَقُولُهَا لِلْمَدْحِ
يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ الْبَيِّضَةَ هِيَ الْحَوْزَةُ وَالْحَمَى ، يَقُولُونَ : فَلَانُ يَحْمِي بَيِّضَتَهُ ، أَيْ يَحْمِي
حَوْزَتَهُ وَجَمَاعَتَهُ ، وَمَنْ يَقُولُهَا لِلذَّمِّ يَعْنِي أَنَّ الْوَاحِدَةَ مِنْ بَيِّضِ النِّعَامِ إِذَا فَسَدَتْ
تَرَكَهَا أَبَوَاهَا فِي الْبَلَدِ وَذَهَبَا عَنْهَا ، قَالَ الشَّاعِرُ فِي الْمَدْحِ :

لَكِنْ قَائِلُهُ مِنْ لَا كِفَاءَ لَهُ مَنْ كَانَ يُدْعَى أَبُوهُ بَيِّضَةَ الْبَلَدِ ^(١)
وَقَالَ الْآخَرُ فِي الذَّمِّ :

تَأْتِي قُضَاعَةٌ لَمْ تَعْرِفْ لَكُمْ نَسَبًا وَأَبْنَا نِزَارٍ فَاتَمَّ بَيِّضَةُ الْبَلَدِ ^(٢)
وَيَقُولُونَ لِلشَّيْءِ الَّذِي يَكُونُ فِي الدَّهْرِ مَرَّةً وَاحِدَةً : هُوَ بَيِّضَةُ الدَّيِّكِ ،
قَالَ بَشَّارُ :

يَا طَيْبَ النَّاسِ رِيقًا غَيْرَ مُخْتَبَرٍ إِلَّا شَهَادَةُ أَطْرَافِ السَّائِيكِ ^(٣)
قَدْ زُرْتِنَا زُورَةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً كَثْنِي وَلَا تَجْعَلِيهَا بَيِّضَةَ الدَّيِّكِ
وَيَكُونُونَ عَنِ الثَّقِيلِ بِالْقَذَى فِي الشَّرَابِ ، قَالَ الْأَخْطَلُ يَذْكُرُ الْخَمْرَ
وَالْأَجْمَاعَ عَلَيْهَا :

وَلَيْسَ قَذَاهَا بِالَّذِي قَدْ يَضِيرُهَا وَلَا بِذُبَابٍ نَزَعَهُ أَيْسَرُ الْأُمْرِ ^(٤)
وَلَكِنْ قَذَاهَا كُلُّ جِلْفٍ مَكْلَفٍ أَتَتْنَابَهُ الْأَيَّامُ مِنْ حَيْثُ لَا نَدْرِي

(١) مِنْ أَيْيَاتِ لَامِرَأَةَ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، تَرَّثَى عَمْرُو بْنُ وَدٍّ ، الْلسَانُ (بَيْضُ) .

(٢) الْلسَانُ (بَيْضُ) وَنَسَبَهُ إِلَى ابْنِ الرَّقَّاعِ . (٣) مِنْ أَمَالِي الْقَالِي ١ : ٢٢٨ .

(٤) كُنَايَاتُ الْمَجْرَجَاتِ ١١١ .

فَذاكَ الْقَدَى وَأَبْنُ الْقَدَى وَأَخُو الْقَدَى فَإِنَّ لَهُ مِنْ زَائِرِ آخِرِ الدَّهْرِ
وَيَكُونُونَ أَيْضًا عَنْهُ بِقَدَحِ اللَّبْلَابِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :
يَا ثَقِيلًا زَادَ فِي الثَّقِيلِ عَلَى كُلِّ ثَقِيلٍ ^(١)
أَنْتَ عِنْدِي قَدَحُ اللَّبْلِ لَابٍ فِي كَفِّ الْعَلِيلِ
وَيَكُونُونَ عَنْهُ أَيْضًا بِالْقَدَحِ الْأَوَّلِ ، لِأَنَّ الْقَدَحَ الْأَوَّلَ مِنَ الْخَمْرِ تَكَرَّرَهُ الدَّهْرُ
وَمَا بَعْدَهُ فَذُوهُ لَا عَتِيدَهُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَأَثْقَلُ مِنْ حُضَيْنِ بَادِيَاً وَأَبْنَضُ مِنْ قَدَحِ أَوَّلِ
وَيَكُونُونَ عَنْهُ بِالْكَائُونِ ، قَالَ الْخَطِيبَةُ يَهْجُو أُمَّهُ :
تَنْجَى فَاقْصِدِي عَنِّي بَعِيدًا أَرَاكِ اللَّهُ مِنْكِ الْعَالِيْنَا ^(٢)
أَغْرِبَالًا إِذَا اسْتَوْدِعْتَ سِرًّا وَكَانُونَا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَا
قَالُوا : وَأَصْلُهُ مِنْ كُنَنْتُ أَيْ سَتَرْتُ ، فَكَأَنَّهُ إِذَا دَخَلَ عَلَى قَوْمٍ وَهُمْ فِي حَسْرَةٍ
سَتَرُوهُ عَنْهُ ، وَقِيلَ : بَلِ الْمُرَادُ شِدَّةُ بَرْدِهِ .

وَيَكُونُونَ عَنِ الثَّقِيلِ أَيْضًا بِرَحَا الْبُزْرِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :
وَأَثْقَلُ مِنْ رَحَا بَزْرِ عَلَيْنَا كَأَنَّكَ مِنْ بَقَايَا قَوْمٍ عَادٍ ^(٣)
وَيَقُولُونَ لِمَنْ يَحْمَدُونَ جَوَارَهُ : جَارُهُ جَارُ أَبِي دُوَادٍ ، وَهُوَ كَعْبُ بْنُ مَامَةَ الْإِيَادِ
كَانَ إِذَا جَاوَزَهُ رَجُلٌ فَمَاتَ وَدَاهُ ، وَإِنْ هَلَكَ عَلَيْهِ شَاةٌ أَوْ بَعِيرٌ أَخْلَفَ عَلَيْهِ ، فَخِ
أَبُو دُوَادٍ الْإِيَادِيَّ ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، فَضْرِبَ بِهِ الْمَثَلَ .

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُمْ : هُوَ جَالِسٌ قَعْقَاعِ بْنِ شَوْرٍ ، وَكَانَ قَدْ قَدِمَ إِلَى مَعَاوِيَةَ فَدَنَّهُ
عَلَيْهِ ، وَالْمَجْلِسُ غَاصٌّ بِأَهْلِهِ لَيْسَ فِيهِ مَقْعَدٌ ، فَقَامَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ وَأَجْلَسَهُ مَكَانَهُ

(١) كُنَايَاتُ الْمَرْجَانِيِّ ١١١ . (٢) دِيْوَانُهُ ٦١ . (٣) كُنَايَاتُ الْمَرْجَانِيِّ ١١

يَبْرَحُ الْقَعْقَاعُ مِنْ ذَلِكَ لِلْوَضْعِ بِكَلِمِ مَعَاوِيَةَ وَمَعَاوِيَةُ يُخَاطِبُهُ حَتَّى أَمَرَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَأَحْضَرَتْ إِلَيْهِ ، فَجُعِلَتْ إِلَى جَانِبِهِ ، فَلَمَّا قَامَ قَالَ لِلرَّجُلِ الْقَائِمِ لَهُ مِنْ مَكَانِهِ : ضُمَّهَا إِلَيْكَ ، فَهِيَ لَكَ بِقِيَامِكَ لَنَا عَنْ مَجْلِسِكَ ، فَقِيلَ فِيهِ :

وَكُنْتُ جَالِسَ قَعْقَاعِ بْنِ شَوْزٍ وَلَا يَشْقَى بِقَعْقَاعٍ جَالِسٌ^(١)
ضَحُولُكَ السَّنَّ إِنْ نَطَقُوا بِخَيْرٍ وَعِنْدَ الشَّرِّ مِطْرَاقُ عَبُوسٍ
أَخَذَ قَوْلَهُ : « وَلَا يَشْقَى بِقَعْقَاعٍ جَالِسٌ » مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَالِسُهُمْ » .

وَيَكُونُونَ عَنِ السَّمِينِ مِنَ الرِّجَالِ بِقَوْلِهِمْ : هُوَ جَارُ الْأَمِيرِ وَضَيْفُ الْأَمِيرِ ، وَأَصَاهُ أَنَّ الْغَضْبَانَ بْنَ الْقُبَعْرِى كَانَ مَحْبُوسًا فِي سِجْنِ الْحِجَاجِ ، فَدَعَا بِهِ يَوْمًا فَكَلَّمَهُ ، فَقَالَ لَهُ فِي جُمْلَةِ خُطَابِهِ : إِنَّكَ لَسَمِينٌ يَا غَضْبَانُ ؛ فَقَالَ : الْقَيْدُ وَالرَّتْعَةُ ، وَانْخَفُضْ وَالِدَّةُ ، وَمَنْ يَكُنْ ضَيْفَ الْأَمِيرِ يَسْمَنَ .

وَيَكْنِي الْفَلَّاسِفَةُ عَنِ السَّمِينِ بِأَنَّهُ يُعَرِّضُ سُورَ حَبْسِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ أَفْلَاطُونَ رَأَى رَجُلًا سَمِينًا ، فَقَالَ : يَا هَذَا ، مَا أَكْثَرَ عِنَايَتَكَ بِتَعْرِيضِ سُورِ حَبْسِكَ !
وَنَظَرَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَجُلٍ جَيِّدِ الْكِدْنَةِ^(٢) ، فَقَالَ : أَرَى عَلَيْكَ قَطِيفَةً مُحْكَمَةً .
قَالَ : نَعَمْ ، ذَلِكَ عِنْدِي نِعْمَةٌ اللَّهُ عِنْدِي .

وَيَقُولُونَ لِلْكَذَّابِ : هُوَ قَوْصُ الْحَنْجَرَةِ ، وَأَيْضًا هُوَ زَلُوقُ الْكَبِدِ ، وَأَيْضًا لَا يُوثِقُ بِسَيْلِ بَلْقَعِهِ . وَأَيْضًا أَسِيرُ الْهِنْدِ لِأَنَّهُ يَدْعَى أَنَّهُ ابْنُ الْمَلِكِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَوْلَادِ السُّفَلَةِ .

وَيَكْنِي عَنْهُ أَيْضًا بِالشَّيْخِ الْغَرِيبِ ، لِأَنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يَتَزَوَّجَ فِي الْغُرْبَةِ فَيَدَّعَى أَنَّهُ ابْنُ خَمْسِينَ سَنَةً ، وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ .

(٢) الكدنة : كثرة الشحم واللحم .

(١) كنايات المبرجاني ١١١ .

ويقولون : هو فاختةُ البلد ، من قول الشاعر :

أَكْذَبُ مَنْ فَاخْتَهُ تَصِيحُ فَوْقَ الْكَرْبِ^(١)
وَالطَّلَعُ لَمْ يَبْدُ لَهَا : هَذَا أَوَانُ الرُّطْبِ

وقال آخر في المعنى :

حَدِيثُ أَبِي حَازِمٍ كُلُّهُ كَقَوْلِ الْفَوَاحِشِ : جَاءَ الرُّطْبُ^(١)
وَهُنَّ وَإِنْ كُنَّ يَشْبَهُنَّ فَلَسْنَ يُدَانِيْنَهُ فِي الْكَذِبِ

ويكنون عن النِّمَامِ بِالزَّجَاجِ ، لِأَنَّهُ يَشِفُّ عَلَى مَا تَحْتَهُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

أَنْتُمْ بَمَا أُسْتَوْدِعْتُهُ مِنْ زُجَاجَةٍ يُرَى الشَّيْءُ فِيهَا ظَاهِرًا وَهُوَ بَاطِنٌ
وَيَكُونُ عَنْهُ بِالنَّسِيمِ ، مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ :

وَلَا نَكَ كَلَّمَا أُسْتَوْدِعْتَ سِرًّا أَنْتُمْ مِنَ النَّسِيمِ عَلَى الرِّيَاضِ

ويقولون : إنه لصُّبْحٌ ، وإنه لطيبٌ ، كله في النِّمَامِ . ويقولون : ما زال يفتل له
في الذُّرْوَةِ وَالْغَارِبِ حَتَّى أَسْمَحَتْ قُرُونَتُهُ ، وَهِيَ النَّفْسُ ، وَالذُّرْوَةُ : أَعْلَى السَّنَامِ ،
وَالْغَارِبُ : مَقْدَمُهُ .

ويقولون في الكِنَايَةِ عَنِ الْجَاهِلِ : مَا يَدْرِى أَىَّ طَرَفِيهِ أُطَوِّلُ ، قَالُوا :
ذَكَرَهُ وَلِسَانُهُ .

وقالوا : هَلْ نَسَبُ أَبِيهِ أَفْضَلُ أَمْ نَسَبُ أُمِّهِ ؟

ومثله : لَا يَعْرِفُ قَطَانَهُ مِنْ لَطَانِهِ ، أَى لَا يَعْرِفُ جَبْهَتَهُ مِمَّا بَيْنَ وَرِكَيِهِ .

وقالوا : الْحِدَّةُ كُنْيَةُ الْجَهْلِ ، وَالْاِقْتِصَادُ كُنْيَةُ الْبُخْلِ ، وَالْاِسْتِقْصَاءُ كُنْيَةُ الظُّلْمِ .

(١) الكِنَايَاتُ لِلْجَرَاحِ ١١٢ .

وقالوا للجائع : عَصَهُ الصَّفَرُ ، وَعَصَهُ شُجَاعُ الْبَطْنِ .

وقال الهذلي :

أُرِدُّ شُجَاعَ الْبَطْنِ قَدْ تَعْلِمُنِيهِ وَأُوْثِرَ غَرْنِي مِنْ عِيَالِكِ بِالطُّعْمِ^(١)
مَخَافَةَ أَنْ أَحْيَا بِرَغْمِ وَذِلَّةٍ وَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى رَغْمٍ
ويقولون : زَوَّدَهُ زَادَ الضَّبِّ ، أَيْ لَمْ يَزَوِّدْهُ شَيْئًا ؛ لِأَنَّ الضَّبَّ لَا يَشْرَبُ الْمَاءَ ،
وَلَمَّا يَتَغَذَّى بِالرَّيْحِ وَالنَّسِيمِ ، وَيَأْكُلُ الْقَلِيلَ مِنْ عُشْبِ الْأَرْضِ .

وقال ابن المعتز :

يَقُولُ أَكَلْنَا لَحْمَ جَدْيٍ وَبَطَّةٍ وَعَشَرَ دَجَاجَاتٍ شِوَاءَ بِالْأُثَانِ^(٢)
وَقَدْ كَذَبَ الْمَلْعُونُ مَا كَانَ زَادُهُ سِوَى زَادِ ضَبٍّ يَبْلَعُ الرِّيحَ عَطْشَانٌ
وقال أبو الطَّيِّب :

لَقَدْ لَعِبَ الْبَنُّ الْبُتْنَ الْمِشْتُ بِهَا وَبِي وَزَوَّدَنِي فِي السَّيْرِ مَازُودَ الضَّبِّ^(٣)
ويقولون للمختلِّفين من النَّاسِ : هُمْ كَنَعَمِ الصَّدَقَةِ ، وَهُمْ كَبَعْرِ الْكَبْشِ ، قَالَ
عَمْرُو بْنُ لُجَأَ :

وَشِعْرَ كَبَعْرِ الْكَبْشِ أَلَفَ بَيْنَهُ لِسَانٌ دَعَى فِي الْقَرِيضِ دَخِيلُ^(٤)
وَذَلِكَ لِأَنَّ بَعَرَ الْكَبْشِ يَقَعُ مَتَفَرِّقًا .

وقال بعضُ الشعراء لشاعر آخر : أَنَا أَشْعَرُ مِنْكَ لِأَنِّي أَقُولُ الْبَيْتَ وَأَخَاهُ ، وَقَتُولُ
الْبَيْتِ وَابْنَ عَمِّهِ . فَأَمَّا قَوْلُ جَرِيرٍ فِي ذِي الرَّمَةِ : إِنَّ شَعْرَهُ بِعَرِظِيَاءَ وَنَقَطَ عَرُوسَ ، فَقَدْ
فَسَرَهُ الْأَصْمَعِيُّ فَقَالَ : يَرِيدُ أَنْ شَعْرَهُ حُلُوٌّ أَوَّلُ مَا تَسْمَعُهُ ، فَإِذَا كُرِّرَ إِنْشَادُهُ ضَعُفَ ،
لِأَنَّ أَعْيَانَ الظُّبَاءِ أَوَّلَ مَا تَسْمَعُ تَوْجِدَ لَهَا رَائِحَةً مَا أَكَلَتْ مِنْ الْجَنْجَاثِ وَالشَّيْحِ

(١) الأبي خراش الهذلي ، ديوان الهذليين ٢ : ١٢٨ . (٢) كُنَايَاتُ الْجُرْجَانِيِّ ١١٥ .

(٣) ديوانه ١ : ٦٠ . (٤) كُنَايَاتُ الْجُرْجَانِيِّ ١١٧ .

والقنصوم ، فإذا أَدِمْتَ شِمَهَا عُدِمَتْ تلك الرائحة ، ونقط العروس إذا غَسَلَتْهَا ذهبٌ .
ويقولون أيضا للمختلفين : أخفاف ، والخيف : سواد إحدى العينين وزرق الأخرى .
ويقولون فيهم أيضا : أولادُ علات كالإخوة لأمهاتٍ شتى ، والعلّة : الضرة .
ويقولون فيهم : خبزٌ كُتّاب ، لأنه يكون مختلفا ، قال شاعرٌ يهجو الحجاجَ
ابنَ يوسف :

أَبْنَسَى كَلِيبُ زَمَانَ الْهَزَالِ وتعليمه سورة الكوثر^(١)
رَغِيفٌ لَهُ فَلَكَةٌ مَاتَرَى وآخر كَالْقَمَرِ الْأَزْهَرِ

ومثله :

أَمَا رَأَيْتَ بَنِي سَلَمَ وَجُوهَهُمْ كَأَنَّهَا خَبْزُ كُتَّابٍ وَقَالَ^(٢)

ويقول للتساوين في الرداءة : كَأَسْنَانِ الْحِمَارِ ، قال الشاعر :
سِوَاءَ كَأَسْنَانِ الْحِمَارِ فَلَا تَرَى لَذِي شَيْبَةٍ مِنْهُمْ عَلَى نَاشِءٍ فَضْلًا^(٣)
وقال آخر :

شِبَابُهُمْ وَشَيْبُهُمْ سِوَاءٌ فَهُمْ فِي اللَّؤْمِ أَسْنَانُ الْحِمَارِ^(٣)

وَأُنْشِدُ الْمُبَرَّدَ فِي الْكَامِلِ لِأَعْرَابِي يَصِفُ قَوْمًا مِنْ طَيِّئٍ بِالتَّسَاوِي فِي الرِّدَاءَةِ :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ بَنِي جُوَيْنٍ جُلُوسًا لَيْسَ بَيْنَهُمْ جَلِيسٌ^(٣)

يَلِيسَتْ مِنْ الذِّى أَقْبَلْتُ ابْنِي لَدِيهِمْ ، إِنِّي رَجُلٌ يَتُّوسُ

إِذَا مَا قُلْتُ أَيْتَهُمْ لَأَيَّ تَشَابَهَتْ الْمُنَاكِبُ وَالرَّءُوسُ

قال : قوله : «لَيْسَ بَيْنَهُمْ جَلِيسٌ» هِجَاءٌ قَبِيحٌ ، يقول : لَا يَنْتَجِعُ النَّاسُ مَعْرُوفَهُمْ ،

(٢) كُنَايَاتُ الْجُرْجَانِي ١٢١ .

(١) سِرْحَ الْعَيْنِ ١٧٠ وَكُنَايَاتُ الْجُرْجَانِي ١١٨ .

(٣) الْكَامِلُ ١ : ١٧٢ ، وَنَسَبُهُ إِلَى أَعْرَابِيٍّ مِنْ طَيِّئٍ .

فليس بينهم غيرهم . ويقولون في المتساويين في الرِّدَاءَةِ أيضا : هما كَحِمَارَى الْعِبَادَى ،
 قيل له : أَيُّ حِمَارِيكَ شَرٌّ ؟ قال : هذا ثمّ هذا . ويقال في التَّساوَى في الشَّرِّ والخير : هم
 كَأَسْنَانِ الْمُسْطَ ، ويقال : وَقَعَا كَرَكَبَتِي الْبَعِيرِ ، وَكَرَّجَلِي النَّعْمَةِ .

وقال ابنُ الأعرابي : كلُّ طائرٍ إِذَا كُسِرَتْ إِحْدَى رِجْلَيْهِ تَحَامَلْ عَلَى الْآخَرَى إِلَّا
 النِّعَامَ فَإِنَّهُ مَتَى كُسِرَتْ إِحْدَى رِجْلَيْهِ جُمَ ، فَلِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ يَذْكُرُ أَخَاهُ :

وإني وإياه كَرَجَلِي نَعَامَةٍ عَلَى مَا بَنَا مِنْ ذِي غَنَى وَفَقِيرٍ^(١)

وقال أبو سفيان بنُ حَرْبٍ لِعَامِرِ بْنِ الطَّقِيلِ وَعَلَقَمَةَ بْنِ عَلَاتَةَ وَقَدْ تَنَافَرَا إِلَيْهِ :
 أَنْتَا كَرَكَبَتِي الْبَعِيرِ ؛ فَلَمْ يَنْفَرْ وَاحِدَا مِنْهُمَا ، فَقَالَا : فَأَيْنَا الْيُمْنَى ؟ فَقَالَ : كُلُّ
 مِنْكُمَا يُمْنَى .

وسأل الحِجَّاجُ رَجُلًا عَنْ أَوْلَادِ الْمُهَلَّبِ : أَيُّهُمْ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ : هُمُ كَالْحَلْقَةِ الْوَاحِدَةِ .
 وسُئِلَ ابْنُ دُرَيْدٍ عَنِ الْمُبَرَّدِ وَتَعْلَبِ ، فَأَثْنَى عَلَيْهِمَا ، فَقِيلَ : فَأَبْنُ قُتَيْبَةَ ؟ قَالَ :
 رَبْوَةٌ بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، أَيْ تَحَلَّ ذِكْرُهُ بِنَبَاهَتِهِمَا .

ويُكْنَى عَنِ الْمَوْتِ بِالْقَطْعِ عِنْدَ الْمُنَجِّمِينَ ، وَعَنِ السَّعَايَةِ بِالنَّصِيحَةِ عِنْدَ الْعَمَالِ ،
 وَعَنِ الْجَمَاعِ بِالْوَطْءِ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ ؛ وَعَنِ الشُّكْرِ بِطَيْبِ النَّفْسِ عِنْدَ النَّدَمَاءِ ، وَعَنِ
 السُّؤَالِ بِالزُّوَارِ عِنْدَ الْأَجْوَادِ ؛ وَعَنِ الصَّدَقَةِ بِمَا أَفَاءَ اللَّهُ عِنْدَ الصُّوفِيَةِ .

ويقال لِلْمُتَكَلِّفِ بِمَصَالِحِ النَّاسِ : إِنَّهُ وَصَّى آدَمَ عَلَى وَلَدِهِ ، وَقَدْ قَالَ شَاعِرُنَا فِي
 هَذَا الْبَابِ :

فَكَانَ آدَمَ عِنْدَ قَرَبِ وَفَاتِهِ أَوصَاكَ وَهُوَ يَجُودُ بِالْحَوْبَاءِ
 بَيْنِيهِ أَنْ تَرَاهُمْ فَرَعَيْتَهُمْ وَكَفَيْتَ آدَمَ عَيْلَةَ الْأَبْنَاءِ

ويقولون : فَلَا نَ خَلِيفَةُ الْخَضِرِ إِذَا كَانَ كَثِيرَ السَّفَرِ ، قَالَ أَبُو تَمَامٍ :

(١) كُنَايَاتُ الْجُرْجَانِ ١١٩ .

خليفة الخضر مَنْ يَرْبَعُ عَلَى وَطَنِ أَوْ بَلَدَةٍ فظُهُورِ الْعِيسِ أَوْطَانِي^(١)
بَغْدَادُ أَهْلِي وَالشَّامُ الْهَوَى وَأَنَا بِالزَّقَّتَيْنِ وَبِالْفُسْطَاطِ إِخْوَانِي
وَمَا أَظُنُّ النَّوَى تَرْضَى بِمَا صَنَعْتُ حَتَّى تُبَلِّغَ بِي أَقْصَى خُرَاسَانِ
ويقولون للشَّيءِ الْمُخْتَارِ لِلتَّنْخَبِ : هُوَ ثَمَرَةُ الْفُرَابِ لِأَنَّهُ يَنْتَقِي خَيْرَ الثَّمَرِ .

ويقولون : سَمْنُ فُلَانٍ فِي أُدَيْمِهِ ؛ كُنْيَاةٌ عَنْهُ لَا يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَيْ مَا خَرَجَ مِنْهُ
يَرْجِعُ إِلَيْهِ ، وَأَصْلُهُ أَنَّ نَحْيَا^(٢) مِنَ السَّمْنِ انْشَقَّ فِي ظَرْفٍ مِنَ الدَّقِيقِ ، فَقِيلَ ذَلِكَ ،
قَالَ الشَّاعِرُ :

تَرَحَّلْ فَمَا بَغْدَادُ دَارَ إِقَامَةٍ وَلَا عِنْدَ مَنْ أَضْحَى بِبَغْدَادَ طَائِلُ^(٣)
مَحَلِّ مُلُوكٍ سَمُّهُمْ فِي أُدَيْمِهِمْ وَكُلُّهُمْ مِنْ حَلِيَّةِ الْمَجْدِ عَاطِلُ
فَلَا غُرُورٌ أَنْ شَلَّتْ يَدُ الْمَجْدِ وَالْعُلَى وَقَلَّ سَمَاحٌ مِنْ رِجَالٍ وَنَائِلُ
إِذَا غَضَفَ الْبَحْرُ الْغَطَامِطُ مَاءَهُ فَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ تَفِيضَ الْجَدَاوِلُ^(٤)
ويقولون لِمَنْ لَا يَبْقَى بِالْعَهْدِ : فُلَانٌ لَا يَحْفَظُ أَوَّلَ الْمَائِدَةِ ، لِأَنَّهُ أَوَّلُهَا : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(٥) .

ويقولون لِمَنْ كَانَ حَسَنَ الْلبَاسِ وَلَا طَائِلَ عِنْدَهُ : هُوَ مِشْجَبٌ ، وَالْمِشْجَبُ : خَشْبَةٌ
الْقَصَّارُ الَّتِي يَطْرَحُ الثِّيَابَ عَلَيْهَا ، قَالَ ابْنُ الْحِجَّاجِ :

لِي سَادَةٌ طَائِرُ السَّرُورِ بِهِمْ يَطْرُدُهُ الْيَأْسُ بِالْمَقَالِيعِ^(٦)
مَسْجَبٌ لِلثِّيَابِ كُلِّهِمْ وَهَذِهِ عَادَةُ الْمَشَاقِيعِ
جَاثَرَتِي عِنْدَهُمْ إِذَا سَمِعُوا شِعْرِي : هَذَا كَلَامُ مَطْبُوعٍ

(٢) كُنْيَاةُ الْمَرْجَانِي ١٢٠ ، وَنَسَبَهَا إِلَى أَبِي الْعَالِيَةِ
(٤) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ١ .

(١) دِيَوَانُهُ ٣ : ٣٠٨ ، ٣١٠ .
(٣) بَحْرُ غَطَامِطٍ : كَثِيرُ الْأَمْوَاجِ .
(٥) كُنْيَاةُ الْمَرْجَانِي ١٢١ .

ولمهم يضحكون إن ضحكوا مني وأبكي أنا من الجوع
وقال آخر :

إذا لبسوا دُكْنَ الخروز وخُضَرها وراحوا فقد راحت عليك المشاجِبُ^(١)
وروي أن كيسانَ غلامَ أبي عبيدة وقد على بعض البرامكة قلم يعطيه شيئاً ، فلما
وافى البصرة قيل له : كيف وجدته ؟ قال : وجدته مشجباً من حيث ما أتيتُه وجدته .
ويكنون عن الطفيلي فيقولون : هو ذبابٌ ، لأنه يقع في القُدور ، قال الشاعر :
أتيتك زائراً لقضاء حقِّ فخال السَّترُ دونك والحجابُ^(٢)
ولست بواقعٍ في قَدْرِ قومٍ وإن كرهوا كما يقع الذُّبابُ
وقال آخر :

وأنت أخو السَّلام وكيف أنتم ولست أخا الملتاتِ الشَّدادِ^(٣)
وأطفل حين يُجنِّي من ذُّبابٍ وألزم حين يُدعى من قُرَادٍ
ويكنون عن الجرب بحبِّ الشباب ، قال الوزير المهلبى :
ياصُروف الدهرِ حسبي أى ذنب كان ذنبي^(٤)
عِلة خَصَّتْ وعَمَتْ فى حبيبٍ ومُحِبِّ
دَبٌّ فى كَفِّهِ يا مَنْ حُبُّهُ دَبٌّ بَقْلِي
فهو يشكو حرَّ حَبِّ وشكائِي حرَّ حُبِّ
ويكنون عن القصير القامة بأبي زبيبة ، وعن الطويل بخيط باطل . وكانت كُنية
مروان بن الحكم لأنه كان طويلاً مضطرباً ، قال فيه الشاعر :

لما الله قوماً أمروا خَيطَ باطلٍ على الناس يُعطى من يشاء ويمنع^(٥)
وفى خيط باطلٍ قولان : أحدهما أنه الهباء الذى يدخل من ضوء الشمس فى الكوة

(٢) كنايات الجرجاني ١٢٢ ، ونسبه لابن أبي عيينة .

(١) لدعل ، ديوانه ٢٢ .

(٣) كنايات الجرجاني ١٢٢ .

من البيت ، وتسميه العامة غَزَلَ الشَّمْس ، والثاني أنه الخيط الذي يَخْرُجُ من فَمِ العُنْكَبُوت ، وتسميه العامة مُحَاط الشَّيْطَان .

وتقول العرب للمَلُوق^(١) : لَطِمْ الشَّيْطَان .

وكان لقبُ عمرو بن سعيد الأشدق ، لأنه كان مَلُوقًا .

وقال بعضهم لآخر : ما حَدَثَ ؟ قال : قَتَلَ عبد الملك عمرا ، فقال : قَتَلَ أبو الذبان لَطِمْ الشَّيْطَان ، ﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَلَّى بعض الظَّالِمِينَ بعضًا بما كانوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

ويقولون للحزين المهموم : يَمُدَّ الحصى ، وَيَخُطُّ في الأرض ، وَيَفُتَّ الِيزْمَعُ^(٢) ؛ قال المجنون :

عَشِيَّةَ مَالِي حِيلَةٌ غَيْرَ أَتَى يَلْقُطُ الْحَصَى وَالْخَطَّ فِي الدَّارِ مُوَلِّعٌ^(٣)
أَخُطُّ وَأَنْحُو كُلَّ مَا قَدْ خَطَطْتُهُ بَدَمِي وَالْفَرَّانَ حَوْلِي وَقُفُّ
وهذا كالتأدب يَقْرَعُ السَّنَّ ، والبخيل يَنْكُتُ الأرضَ بِيَنَانِهِ ، أو بُعُودٍ عند الردِّ ، قال الشاعر :

عَبِيدُ إِخْوَانِهِمْ حَتَّى إِذَا رَكَبُوا يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فَالْأَسَادُ فِي الْأَجَمِ^(٤)
يُرْضُونَ فِي الْعُسْرِ وَالْإِسَارِ سَائِلِهِمْ لَا يَقْرَعُونَ عَلَى الْأَسْنَانِ مِنْ نَدَمٍ
وقال آخر في نَكَتِ الأرضِ بالعِيدانِ :

قَوْمٌ إِذَا نَزَلَ الْغَرِيبَ بَدَارِهِمْ تَرَكَوهُ رَبَّ صَوَاهِلٍ وَقِيَانٍ
لَا يَنْكُتُونَ الْأَرْضَ عِنْدَ سُؤْلِهِمْ لَتَطْلُبَ الْعَلَاتِ بِالْعِيدَانِ

ويقولون للفارغ : فَوَادُ أُمِّ مُوسَى .

(١) الملقو : المصاب بالقوة ، وهو مرض يمرض للوجه فيميله إلى أحد جانبيه .

(٢) اليزمغ : الحجارة الرخوة . (٣) ديوانه ١٨٨ .

(٤) كنايات الجرجاني ، ونسبه إلى عمر بن أمية بن أبي الصلت .

ويقولون للسُّرَى من المال : مُنْقَرَس ، وذلك أَنَّ عِلَّةَ النَّقْرِسِ أَكْثَرُ مَا تَعْتَرِي أَهْلَ الثَّرْوَةِ وَالتَّنَعُّمِ .

حَكِي الْمُبَرَّد ، قال : كَانَ الْحِرْمَازِيُّ فِي نَاحِيَةِ عَمْرُو بْنِ مَسْعُودَةَ ، وَكَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ ، فَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ مَسْعُودَةَ إِلَى الشَّامِ ، وَتَخَلَّفَ الْحِرْمَازِيُّ بِبَغْدَادَ ، فَأَصَابَهُ النَّقْرِسُ ، فَقَالَ :

أَقَامَ بِأَرْضِ الشَّامِ فَاخْتَلَّ جَانِبِي وَمَطْلَبُهُ بِالشَّامِ غَيْرُ قَرِيبٍ^(١) .
وَلَا سِيَّامَنْ مُفْلِسٍ حَلَفَ نَقْرِسٍ أَمَا نَقْرِسٌ فِي مُفْلِسٍ بِعَجِيبٍ !
وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو ابْنَ زَيْدَانَ الْكَاتِبَ :

تَوَاضَعَ النَّقْرِسُ حَتَّى لَقَدْ صَارَ إِلَى رِجْلِ ابْنِ زَيْدَانَ
عِلَّةُ إِنْسَانٍ وَلَكِنَهَا قَدْ وَجِدْتُ فِي غَيْرِ إِنْسَانٍ
ويقولون للمُتَرَفِّ : رَقِيقُ النَّعْلِ ، وَأَصْلُهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

رِقَاقُ النَّعَالِ طَيِّبٌ حُجْزَاتُهُمْ يُحْيُونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِيبِ^(٢)
يَعْنِي أَنَّهُمْ مَمْلُوكٌ ، وَالْمَلِكُ لَا يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَإِنَّمَا يَخْصِفُ نَعْلَهُ مِنْ يَمِينِهِ . وَقَوْلُهُ : « طَيِّبُ حُجْزَاتِهِمْ » ، أَيْ هُمْ أَعْقَاءُ الْفُرُوجِ ، أَيْ يَشْدُونَ حُجْزَاتِهِمْ عَلَى عِفَّةٍ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ :
فَلَانٌ مُسْمَطُ النَّعَالِ ، أَيْ نَعْلُهُ طَبَقَةٌ وَاحِدَةٌ غَيْرُ مُخْصُوفٍ ، قَالَ الْمُرَّارُ بْنُ سَعِيدٍ الْفُقَيْسِيُّ :

وَجَدْتُ بَنِي خَفَاجَةَ فِي عَقِيلٍ كِرَامِ النَّاسِ مُسْمَطَةُ النَّعَالِ^(٣)
وَقَرِيبٌ مِنْ هَذَا قَوْلُ النَّجَاشِيِّ :

وَلَا يَأْكُلُ الْكَلْبُ السَّرُوقُ نِعَالَنَا وَلَا يَنْتَقِي الْمُنْخَ الَّذِي فِي الْجَاهِجِ^(٤)

(٢) ديوانه ٣ .

(١) كُنَايَاتُ الْجُرْجَانِيِّ ١٢٥ .

(٣) كُنَايَاتُ الْجُرْجَانِيِّ ١٢٥ .

يريد أن نعلم سبب ، والسبب : جلود البقر المدبوغه بالقرظ ، ولا تقرّبها الكلاب ، وإنما تأكل الكلاب غير المدبوغ ؛ لأنه إذا أصابه المطر دسّمه فصار زهماً .

ويقولون للسيد : لا يطأ على قدم ، أى هو يتقدم الناس ولا يتبع أحداً فيطأ على قدمه .

ويقولون : قد اخضرت نعلهم ، أى صاروا فى خصب وسعة ، قال الشاعر :

يَتَأَيَّهُونَ إِذَا اخْضَرَّتْ نَعْلُهُمْ . وفى الحفيظة أبراّمٌ مضاجيرُ

وإذا دعوا على إنسان بالزمانة قالوا : خلع الله نعليه ، لأن المئعد لا يحتاج إلى نعل .

ويقولون : أطفأ الله نوره ، كناية عن العمى وعن الموت أيضاً ، لأن من يموت فقد طمّئت ناره .

ويقولون : سقاه الله جوفه ؛ دعاء عليه بأن يقتل ولده ، ويضطرّ إلى أخذ ديتيه إبلا فيشرب ألبانها .

ويقولون : رماه الله بليلة لا أخت لها ؛ أى ليلة موته ، لأن ليلة الموت لا أخت لها .

ويقولون : وقّعوا فى سلاّ جمل ، أى فى داهية لا يرى مثلها ، لأن الجمل لا سلا له ، وإنما السلا للناقة ، وهى الجليدة التى تكون ملفوفة على ولدها .

ويقولون : صاروا فى حولاء ناقة ، إذ صاروا فى خصب .

وكانوا إذا وصّفوا الأرض بالخصب قالوا : كأنها حولاء ناقة .

ويقولون لأبناء الملوك والرؤساء ومن يجري مجراهم : جُفَاءَ الْمَحَزِّ ،
قال الشاعر :

جُفَاءُ الْمَحَزِّ لَا يُصِيبُونَ مِفْصَلًا وَلَا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ إِلَّا تَخَذُّ مَا
يقول : هم ملوك ، وأشباه الملوك لا حِذْقَ لهم بِنَحْرِ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ وَلَا يَعْرِفُونَ
التَّجْلِيدَ وَالسَّلْخَ ، ولهم من يتولَّى ذلك عنهم ، وإذا لم يَحْضُرْهم من يَجْزُرُ الْجَزُورَ
تَكَلَّفُوا هم ذلك بأنفسهم ، فلم يُحْسِنُوا حَزَّ الْمِفْصَلِ كما يَفْعَلُهُ الْجَزَّازُ ، وقوله :
* وَلَا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ إِلَّا تَخَذُّ مَا *

أى ليس بهم شره فإذا أكلوا اللحم تَخَذُّوا قليلا قليلا ، والتَّخَذُّمُ : القَطْعُ ،
وأنشد الجاحظ في مثله :

وَصُلْعُ الرُّؤُوسِ عِظَامُ الْبُطُونِ جُفَاءُ الْمَحَزِّ غِلَاطُ الْقَصْرِ
لأن ذلك كله أمارات الملوك ؛ وقريب من ذلك قوله :

ليس براعى إبل ولا غنم ولا يجزار على ظهر وضم^(١)
ويقولون : فلان أملس ، يكونون عمن لا خير فيه ولا شر ، أى لا يثبت فيه
حملا ولا ذم .

ويقولون : ملحه على ركبته ، أى هو سبيء الخلق ، يُفْضِيهِ أَذْنَى شَيْءٍ ، قال :
لا تَلْمُهَا إِنِّهَا مِنْ عُصْبَةٍ مِلْحُهَا مَوْضُوعَةٌ فَوْقَ الرَّكْبِ^(٢)
ويقولون كناية عن تجوسى : هو ممن يخط على النمل ، والنمل جمع نملة ، وهى
قرحة بالإنسان ، كانت العرب تزعم أن الجوسى إذا كان من أخته وخط عليها برأت ،
قال الشاعر :

ولا عيبَ فينا غيرَ عِرْقٍ لِمَعْشَرٍ كِرَامٍ وَأَنَا لَا نَخْطُ عَلَى النَّمْلِ^(٣)

(٢) الجرجاني ١٢٧ ، ونسبه إلى مسكين .

(١) الكامل ٢١٨ (طبع أوروبا) .

(٣) اللسان (نمل) .

ويقولون للصبي: قد قُطِفَتْ ثمرته ، أى خُبِنَ . وقال عُمارة بنُ عقيل بنِ بلالِ
ابن جرير :

ما زال عَصِيانُنا لله يرذُلُنا حتَّى دُفِعنا إلى يَحْيَى ودينارِ^(١)
إلا عُلَيْجَيْنِ لم تُقَطَّفِ عِمَارُها قد طالما سَجَدَا للشمس والنار
ويقولون : قِذْرُ حليمة ، أى لا غَلِيانَ فيها .

ويقولون لمن يصلي صلاةً مختصرة : هو راجزُ الصلاة .
وقال أعرابيٌّ لرجل رآه يصلي صلاةً خفيفة : صلاتُك هذه رَجَزٌ .
ويقولون : فلانٌ عَفِيفُ الشَّقة ، أى قليلُ السَّوَال ، وفلانٌ خَفِيفُ الشَّفة ،
كثيرُ السَّوَال .

وتسكني العَرَبُ عن التَّيَقُّظِ بالقُطامي ، وهو الصَّغَرُ .
ويَكُونُ عن الشَّدَّةِ والمَشَقَّةِ بَعَرَقَ القِرْبَةِ ، يقولون : لقيتُ من فلانٍ عَرَقَ
القِرْبَةِ ، أى العَرَقَ الَّذِي يَحْدُثُ بك من حَمَلِها وثِقَلِها ؛ وذلك لأنَّ أَشَدَّ العملِ كانَ
عندهم السَّقْيُ وما ناسبه من معالجة الإبل .
وتسكني العرب عن الحَشَرَاتِ وهَوَامِّ الأرضِ بجنودٍ سَعَدَ ؛ يَعْنُونَ سَعَدَ الأخبية ،
وذلك لأنَّه إذا طَلَعَ انتشرتْ في ظاهرِ الأرضِ ، وخرج منها ما كان مستترًا في باطنها ،
قال الشاعر :

قد جاء سعدٌ مُنذِرًا بحرِّه موعِدَةً جُنودُه بشرِّه^(١)
ويَسْكِنِي قومٌ عن السَّائِلِينَ على الأبوابِ بِحُفَاطِ سورة يوسفَ عليه السلام ، لأنَّهم
يَعْتَنُونَ بِحِفْظِها دونَ غيرها ، وقال عُمارة يَهْجُو مُحَمَّدَ بنَ وَهَّيبٍ :
تَشَبَّهْتَ بالأعرابِ أَهْلُ التَّعْجُرُفِ فذلَّ على ما قَلَّتْ قُبْحُ التَّكْلِيفِ^(١)

(١) كذايات الجرجاني ١٢٩ ، ١٣٠ .

لسانٍ عِرَاقِيٍّ إِذَا مَا ضَرَفْتَهُ إِلَى لَعَةِ الْأَعْرَابِ لَمْ يَتَصَرَّفِ
وَلَمْ تَنْسَ مَا قَدْ كَانَ بِالْأَمْسِ حَاكِهِ أَبُوكَ وَعُودُ الْجَفِّ لَمْ يَتَقَصَّفِ
لَنْ كُنْتَ لِلْأَشْعَارِ وَالنَّحْوِ حَافِظًا لَقَدْ كَانَ مِنْ حُفَازِ سُورَةِ يُوسُفَ
وَيَكُونُونَ عَنِ اللَّقِيطِ بِتَرْبِيَةِ الْقَاضِي ، وَعَنِ الرَّقِيبِ بِنَائِي الْحَبِيبِ ، لِأَنَّهُ يُرَى مَعَهُ
أَبَدًا ، قَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ :

مَوْقِفُ الرَّقِيبِ لَا أَنْسَاهُ لَسْتُ أَخْتَارُهُ وَلَا أَبَاهُ
مَرْحَبًا بِالرَّقِيبِ مِنْ غَيْرِ وَعَدٍ جَاءَ يَجْلُو عَلَى مَنْ أَهْوَاهُ
لَا أَحِبُّ الرَّقِيبَ إِلَّا لِأَنِّي لَا أَرَى مِنْ أَحَبِّ حَتَّى أَرَاهُ
وَيَكُونُونَ عَنِ الْوَجْهِ الْمَلِيحِ بِحُجَّةِ الْمَذْنِبِ ، إِشَارَةً إِلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ :

قَدْ وَجَدْنَا غَفْلَةً مِنْ رَقِيبٍ فَسَرَقْنَا نَظْرَةً مِنْ حَبِيبٍ
وَرَأَيْنَا نَمًّا وَجْهًا مَلِيحًا فَوَجَدْنَا حُجَّةً لِلذَّنُوبِ
وَيَكُونُونَ عَنِ الْجَاهِلِ ذِي النِّعْمَةِ بِحُجَّةِ الزَّانِدَةِ ، قَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ :

مَهْلًا أَبَا الصَّقْرِ فَكَمْ طَائِرٍ خَرَّ صَرِيحًا بَعْدَ تَخْلِيقِ
لَا قُدُسَتْ نَعَى تَسْرَبَلَتْهَا كَمْ حُجَّةٍ فِيهَا لَزْنَدِيقٍ !
وَقَالَ ابْنُ بَسَّامٍ فِي أَبِي الصَّقْرِ أَيْضًا :

يَا حُجَّةَ اللَّهِ فِي الْأَرْزَاقِ وَالْقِسَمِ وَعِبْرَةً لِأُولَى الْأَلْسَابِ وَالْفَهْمِ
تَرَاكَ أَصْبَحْتَ فِي نَعْمَاءٍ سَابِقَةٍ إِلَّا وَرَبُّكَ غَضْبَانٌ عَلَى النَّعَمِ

فَهَذَا ضِدُّ ذَلِكَ الْمَقْصِدِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ جَعَلَهُ حُجَّةً عَلَى الزَّانِدَةِ ، وَهَذَا جَعَلَهُ حُجَّةً عَلَى
قُدْرَةِ الْبَارِئِ سُبْحَانَهُ عَلَى عَجَائِبِ الْأُمُورِ وَغَرَائِبِهَا ، وَأَنَّ النَّعَمَ لَا قَدْرَ لَهَا عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ ،
حَيْثُ جَعَلَهَا عِنْدَ أَبِي الصَّقْرِ مَعَ دَنَاءَةِ مَنْزِلَتِهِ . وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ :

وَقَيْنَةٍ أَبْرَدُ مِنْ ثَلَجَةٍ تَبَيَّتْ مِنْهَا النَّفْسُ فِي ضَجَّةٍ
كَأَنَّهَا مِنْ ثَنَاهَا صَخَّةٌ لَكَّهَافَا فِي اللَّوْنِ أَتْرُجَةٌ
تَفَاوَتْ خَلْقُهَا فَاعْتَدَتْ لِكُلِّ مَنْ عَطَّلَ مُحْتَبَةً

وقد يُشابه ذلك قول أبي عليّ البصير في ابن سعدان :

يَابْنَ سَعْدَانَ أَجْلَحَ الرِّزْقُ فِي أُمِّ رَكٍّ وَاسْتَحْسَنَ الْقَبِيحَ بِمَرَّةٍ
نَلَتْ مَا لَمْ تَكُنْ تَمْنَى إِذَا مَا أُسْرِفَتْ غَايَةُ الْأُمَانِيِّ عَشْرَةَ
لَيْسَ فِيمَا أَظُنُّ إِلَّا لَكَيْلًا يُبْكِرُ الْمُنْكَرُونَ لِلَّهِ قَدْرَهُ
وَالْمُنْجِعُ فِي قَرِيبٍ مِنْهُ :

إِنْ كُنْتُ خُنْتُكُمْ الْمَوَدَّةَ غَادِرًا أَوْحُلْتُ عَنْ سَنَنِ الْحَبِّ الْوَامِقِ
فَمُسِخَتْ فِي قُبْحِ ابْنِ طَلْحَةَ إِنَّهُ مَادَلَّ قَطًّا عَلَى كَمَالِ الْخَالِقِ

ويقولون : عَرَضَ فُلَانٌ عَلَى الْحَاجَةِ عَرَضًا سَابِرِيًّا ، أَيْ خَفِيفًا مِنْ غَيْرِ اسْتِقْصَاءٍ ،
تَشْبِيهًا لَهُ بِالثَّوْبِ السَّابِرِيِّ ، وَالدَّرْعِ السَّابِرِيَّةِ ، وَهِيَ الْخَفِيفَةُ .
وَيُحْكَى أَنْ مَرَّتْ مَرَّةً عَلَى قَوْمٍ يَأْكُلُونَ وَهُوَ رَاكِبٌ حِمَارًا ، فَقَالُوا : انْزِلْ
إِلَيْنَا ، فَقَالَ : هَذَا عَرَضٌ سَابِرِيٌّ ، فَقَالُوا : انْزِلْ يَا بَنَ الْفَاعِلَةِ . وَهَذَا ظَرْفٌ وَلِبَاقَةٌ .
وَيَقُولُونَ فِي ذَلِكَ : وَعَدٌ سَابِرِيٌّ ، أَيْ لَا يُقَرَّنُ بِهِ وَفَاءً ، وَأَصْلُ السَّابِرِيِّ ،
اللَّطِيفُ الرَّقِيقُ .

وقال المبرد : سَأَلْتُ الْجَاحِظَ : مَنْ أَشْعَرُ الْمُؤَلَّدِينَ ؟ فَقَالَ : الْقَائِلُ :

كَأَنَّ رِيَابَهُ أَطْلَمَ نَ مِنْ أَزْرَارِهِ قَمَرًا
يَزِيدُكَ وَجْهَهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا
بَعَيْنٍ خَالَطَ التَّفَتَةَ يَرُ فِي أَجْفَانِهَا الْحَوْرَا

ووجهٍ سايرٍي لو تَصَوَّبَ ماؤُه قَطْرًا

يعنى العباس بن الأحنف^(١) .

وتقول العرب فى معنى قولِ المحدثين : عَرَضَ عَلَيْهِ كَذَا عَرَضًا سَائِرِيًّا : عَرَضَ عَلَيْهِ عَرَضَ عَالَةٍ ، أى عَرَضَ الْمَاءَ عَلَى النِّعَمِ الْعَالَةِ الَّتِي قَدْ شَرِبْتَ شُرْبًا بَعْدَ شُرْبٍ ، وَهُوَ الْعَلَلُ ؛ لِأَنَّهَا تُعَرِّضُ عَلَى الْمَاءِ عَرَضًا خَفِيفًا لَا تَبَالُغُ فِيهِ .

ومن الكنايات الحسنة قولُ أعرابيةٍ قالت لقيس بن سعد بن عبادة : أَشْكُو إِلَيْكَ قِلَّةَ الْجِرْدَانِ فِي بَيْتِي ؛ فَاسْتَحْسَنَ مِنْهَا ذَلِكَ ، وَقَالَ لَا كَثُرَتْهَا ؛ املئوها لِيَّيْتَهَا خُبْرًا وَتَمْرًا وَتَمْنًا وَأَقِطًا وَدَقِيقًا .

وشبيهٌ بذلك ما رُوِيَ أَنَّ بَعْضَ الرُّؤَسَاءِ سَائِرَهُ صَاحِبُهُ لَهُ عَلَى يَرْدُونَ مَهْزُولٌ ، فَقَالَ لَهُ : مَا أَشَدَّ هُزَالَ دَابَّتِكَ ! فَقَالَ : يَدُهَا مَعَ أَيْدِينَا ، فَفُظِنَ لَذَلِكَ وَوَصَلَهُ .

وقريبٌ منه ما حُكِيَ أَنَّ الْمَنْصُورَ قَالَ لِلْإِنْسَانِ : مَا مَالُكَ ؟ قَالَ مَا أَصُونُ بِهِ وَجْهِي ، وَلَا أَعُودُ بِهِ عَلَى صَدِيقِي ؛ فَقَالَ : لَقَدْ تَلَطَّفْتَ فِي الْمَسْأَلَةِ ، وَأَمَرَ لَهُ بِصِلَةٍ .

وجاء أعرابيٌّ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٍ وَعِنْدَهُ أَصْحَابُهُ ، فَقَالَ لَهُ : مَا أَرَادَ الْقَائِلُ بِقَوْلِهِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَهُوبِ الْمَنَّانِ صَارَ الثَّرِيدُ فِي رُءُوسِ الْقُضْبَانِ

فَأَقْبَلَ ثَعْلَبٌ عَلَى أَهْلِ الْمَجْلِسِ فَقَالَ : أَجِيبُوهُ ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ جَوَابٌ ، وَقَالَ لَهُ تَفْطَوْنِيهِ : الْجَوَابُ مِنْكَ يَا سَيِّدِي أَحْسَنُ ، فَقَالَ : عَلَى أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَهُ ! قَالُوا : لَا نَعْلَمُهُ ، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ ، قَدْ سَمِعْتُ مَا قَالَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ : وَلَا أَنْتَ أَعَزَّكَ اللَّهُ تَعْلَمُهُ ، فَقَالَ ثَعْلَبٌ : أَرَادَ أَنَّ السُّنْبُلَ قَدْ أَفْرَكَ ، قَالَ : صَدَقْتَ فَأَيْنَ حَقَّ الْفَائِذَةِ ؟ فَأشارَ إِلَيْهِمْ ثَعْلَبٌ ،

(١) ديوانه ١٢٩ .

فبرؤه ، فقام قائلاً : بوركت من ثعلب ، ما أعظم برّك !
 ويكنون عن الشيب بغبار العسكر ، وبرغوة الشباب ، قال الشاعر :
 قالت أرى شيباً برأسك ، قلت لا هذا غبار من غبار العسكر
 وقال آخر - وسماء غبار وقائع الدهر :
 غضبت ظلوم وأزمت هجرى وصبت ضمائرهما إلى الغدر
 قالت أرى شيباً فقلت لها : هذا غبار وقائع الدهر
 ويقولون للسحاب : فحل الأرض .
 وقالوا : القلم أحد اللسانين ، ورداءة الخط أحد الزمانتين .

قال : وقال الجاحظ : رأيت رجلاً أعمى يقول في الشوارع وهو يسأل : ارحموا
 ذا الزمانتين ، قلت : وما هما ؟ قال : أنا أعمى وصوتى قبيح . وقد أشار شاعر إلى
 هذا فقال :

انسان إذا عداً حقيق بهما الموت
 فقير ماله زهد وأعمى ماله صوت

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إياكم وخضراء الدمن » ، فلما سُئل عنها
 قال : « المرأة الحسناء في المنبت السوء » .

وقال عليه السلام في صلح قوم من العرب : « إن بيننا وبينهم عيبة مكفوفة » ،
 أى لا نكشف ما بيننا وبينهم من ضغن وحقد ودم .

وقال عليه السلام : « الأنصار كرشى وعيتى » ، أى موضع سرى .
 وكرشى : جماعتي .

ويقال : جاء فلانٌ رَبيذٌ ^(١) العنان ، أى مُنهزماً .
وجاء ينفذ مِذْرَويَه ^(٢) ؛ أى يتوعد من غيرِ حقيقة .
وجاء يَنْظُرُ عن شماله ، أى مُنهزماً .
وتقول : فلانٌ عندي بالشَّمال ، أى منزلته خَسِيسَة . وفلانٌ عندي باليمين ، أى
بالمنزلة العُلْيَا ، قال أبو نُوَّاس :

أَقُولُ لَنَاقَتِي إِذْ بَلَغْتَنِي لقد أَصْبَحْتَ عِنْدِي بِالْيَمِينِ ^(٣)
فَلَمْ أَجْعَلْكَ لِلْغُرَبَانِ نَهَبًا ولم أَقْلِ اشْرَقِي بَدَمَ الْوَتِينِ
حَرَمْتِ عَلَى الْأَزْمَةِ وَالْوَلَايَا وَأَعْلَقِ الرَّحَالَةَ وَالْوَضِينَ
وقال ابن مِيَادَة :

أَيُّنِي أَفِي يُمْنَى يَدَيْكَ جَعَلْتَنِي فَأَفْرَحُ أَم صَبَّرْتَنِي فِي شِمَالِكِ !
وتقول العرب : التَّقَى الثَّرِيَانِ فِي الْأُمْرَيْنِ يَأْتِلِفَانِ وَيَتَفَقَّانِ ، أَو الرِّجْلَيْنِ ؛ قال
أبو عبيدة : وَالثَّرَى : التُّرَابُ النَّدَى فِي بَطْنِ الْوَادِي ، فَإِذَا جَاءَ الْمَطَرُ وَسَحَّ
فِي بَطْنِ الْوَادِي حَتَّى يَلْتَقِيَ نَدَاهُ وَالنَّدَى الَّذِي فِي بَطْنِ الْوَادِي يَقَالُ :
التَّقَى الثَّرِيَانِ .

ويقولون : هم فِي خَيْرٍ لَا يُطَايِرُ غُرَابُهُ ، يريدون أَنَّهُمْ فِي خَيْرٍ كَثِيرٍ وَخِصْبٍ عَظِيمٍ
فَيَقَعُ الْغُرَابُ فَلَا يُنْفِرُ لكَثْرَةِ الْخِصْبِ .
وكذلك أَمْرٌ لَا يُنَادَى وَلِيدُهُ ، أى أَمْرٌ عَظِيمٌ يُنَادَى فِيهِ الْكِبَارُ دُونَ الصِّغَارِ .
وقيل : المرادُ أَنَّ الْمَرْأَةَ تَشْتَغِلُ عَنْ وَلِيدِهَا فَلَا تَنَادِيهِ لِعَظَمِ الْخُطْبِ ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُ
الشَّاعِرِ يَصِفُ حَرْبًا عَظِيمَةً :

(١) فِي اللِّسَانِ : « رَبِذُ الْعِنَانِ ، أَيْ مُنْفَرِدًا مُنْهَزِمًا » .
(٢) الْمَذْرُوعَانِ : الْجَانِبَانِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَقَدْ بَطَلَقَانِ عَلَى الْمُنْكَبِينِ .
(٣) دِيْوَانُهُ ٦٥ .

إذا خَرِسَ الفَحْلُ وَسَطَ الحُجُورِ وصاحَ الكِلَابُ وَعَقَّ الوَلَدُ
يريد أن الفحل إذا عين الجيش والبارقة لم يلتفت لفت الحُجُور ولم يصهل، وتنبج
الكلاب أربابها، لأنها لا تعرفهم للبسم الحديد، وتذهل المرأة عن ولدها رعباً، فجعل
ذلك عقوقاً.

ويقولون : أصبح فلانٌ على قرنٍ أعفر ؛ وهو الظبي إذا أرادوا أصبح على
خطر ، وذلك لأن قرن الظبي ليس يصلح مكاناً ، فمن كان عليه فهو على خطر ،
قال امرئ القيس :

ولا مِثْلَ يومٍ بالعطالي قطعته كأتى وأصحابي على قرنٍ أعفراً^(١)
وقال أبو القلاء المعري :

* كأتى فوق روق الظبي من حذر^(٢) *

وأنشد ابنُ دريد في هذا المعنى :

وما خيرُ عيشٍ لا يزال كآته محالة يعسوبٍ برأسٍ سينٍ
يعني من القلق وأنه غير مطمئن .

ويقولون : به داء الظبي ، أى لا داء به ، لأن الظبي صحيح لا يزال ، والمرض قل
أن يعتريه . ويقولون للمتلون المختلف الأحوال : ظل الذئب ، لأنه لا يزال مرةً هكذا
ومرةً هكذا .

ويقولون : به داء الذئب ، أى الجوع .

(١) ديوانه ٧٠ وروايته :

ولا مِثْلَ يومٍ في قدران ظلتُهُ كأتى وأصحابي على قرنٍ أعفراً

(٢) سقط الزند ١٣١ ، صدره : * في بلدة مثل ظهر الظبي بت لها *

وعهدُ فلان عهدُ الغراب ، يَعْنُونَ أَنَّهُ غَادِرٌ ، قَالُوا : لَأَنَّ كُلَّ طَائِرٍ يَأْتِي أَنثَاهُ
إِلَّا الْغُرَابَ ، فَإِنَّهُ إِذَا بَاضَتْ الْأُنْثَى تَرَكَهَا وَصَارَ إِلَى غَيْرِهَا .
ويقولون : ذَهَبَ سَمْعُ الْأَرْضِ وَبَصَرُهَا ، أَيْ حَيْثُ لَا يُدْرَى أَيْنَ هُوَ !
وتقولون : أَلْتَمَى عَصَاهُ ؛ إِذَا أَقَامَ وَأَسْتَقَرَّ ، قَالَ الشَّاعِرُ :
فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنَا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرِ^(١)
وَوَقَعَ الْقَضِيبُ مِنْ يَدِ الْحَجَّاجِ وَهُوَ يَحْطُبُ ، فَتَطِيرُ بِذَلِكَ حَتَّى بَانَ فِي وَجْهِهِ ، فَقَامَ
إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ مَاسْبِقُ وَهُمْ الْأَمِيرُ إِلَيْهِ ، وَلَكِنَّهُ قَوْلُ الْقَائِلِ ، وَأُنْشَدَهُ
الْبَيْتَ ، فَسُرِّيَ عَنْهُ .

ويقال للمُخْتَلِفِينَ : طَارَتْ عَصَاهُمْ شِقَاقًا .
ويقال : فلانٌ مُنْقَطِعُ الْقَبَالِ^(٢) ، أَيْ لَا رَأْيَ لَهُ .
وفلانٌ عَرِيضُ الْبِطَانِ ، أَيْ كَثِيرُ الثَّرْوَةِ .
وفلانٌ رَجِيءُ اللَّبِّ ، أَيْ فِي سَعَةِ .
وفلانٌ وَاقِعُ الطَّائِرِ ، أَيْ سَاكِنٌ .
وفلانٌ شَدِيدُ الْكَاهِلِ ، أَيْ مَنِيْعُ الْجَانِبِ .
وفلانٌ يَنْظُرُ فِي أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغْرَبٍ ، أَيْ هُوَ نَادِمٌ آيِسٌ ، قَالَ الشَّاعِرُ :
فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْفَسَادَةِ كَنَاطِرٍ مَعَ الصَّبْحِ فِي أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغْرَبٍ^(٣)
وَسُقِطَ فِي يَدِهِ ، أَيْ أَتَقَنَّ بِالْهَلَكَةِ .
وقد رَدَدْتُ يَدَهُ إِلَى فِيهِ ، أَيْ مَنَعْتُهُ مِنَ الْكَلَامِ :
وَبَنُو فُلَانٍ يَدُّ عَلَى بَنِي فُلَانٍ ، أَيْ مَجْتَمِعُونَ .

(١) اللسان (عصا) .

(٢) القبال : زمام النعل .

(٣) للمجنون ، ديوانه ٧٩ .

وأعطاء كذا عن ظهر يد ، أى ابتداء لآعن مكافأة .
ويقولون : جاء فلان ناشراً أذنيه ، أى جاء طامعاً .
ويقال : هذه فرس غير محلفة ، أى لا تحوج صاحبها إلى أن يحلف أنها
كريمة ، قال :

كَيْتٌ غَيْرُ مُحَلِّفَةٍ وَلَكِنْ كَلَوْنَ الصَّرْفُ عُلَّ بِهِ الْأَدِيمُ
وَتَقُولُ : حَلَبَ فُلَانٌ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ ، أى مَرَّتْ عَلَيْهِ صُرُوبُهُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ .
وَقَرَعَ فُلَانٌ لِأَمْرِ ظَنُّوبِهِ ، أى جَدَّ فِيهِ وَاجْتَهَدَ .
وتقول : أَبْدَى الشَّرَّ نَوَاجِذَهُ ، أى ظَهَرَ .
وقد كَشَفَتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا ، وَكَثُرَتْ عَنْ نَابِهَا .
وتقول : اسْتَنَوَقَ الْجَمَلُ ؛ يُقَالُ ذَلِكَ لِلرَّجُلِ يَكُونُ فِي حَدِيثٍ يَنْتَقِلُ إِلَى غَيْرِهِ
يَخْلُطُهُ بِهِ .

وتقول لمن يهون بعد عِزٍّ : اسْتَأْتَنَ الْعَيْرَ .
وتقول للضعيف يَقْوَى : اسْتَنْسَرَ الْبُعَاثَ .
ويقولون : شَرَابٌ بَأْنَقُ ، أى مُعَاوِدٌ لِلْأُمُورِ ؛ وَقَالَ الْحِجَاجُ : يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ،
لِمَنْكُمْ شَرَابُونَ بَأْنَقُ ، أى مُعْتَادُونَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ . وَالْأَنْقُ : جَمْعُ نَقْعٍ ، وَهُوَ مَا اسْتَنْقَعَ
مِنَ الْغُذْرَانِ ، وَأَصْلُهُ فِي الطَّائِرِ الْحِذْرِ يَرِدُ الْمَنَاقِعَ فِي الْقُلُوبِ حَيْثُ لَا يَبْلُغُهُ قَانِصٌ ،
وَلَا يَنْصَبُ لَهُ شَرَكٌ .

[حديث عن امرئ القيس]

ونختم هذا الفصل في الكنايات بحكاية رواها أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني ؛ قال أبو الفرج : أخبرني^(١) محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني ابن عمي ، قال : حدثنا أحمد بن عبد الله ، عن الهيثم بن عدي . قال : وحدثني عمي ، قال : حدثنا محمد بن سعد الكرائي ؛ قال : حدثنا العمري ، عن الهيثم بن عدي ، عن مجالد بن سعيد ، عن عبد الملك بن عمير ، قال : قدِم علينا عمر بن هبيرة الكوفة أميراً على العراق ، فأرسل إلى عشرة من وجوه أهل الكوفة أنا أحدهم ، فسرنا عنده ، فقال : ليحدثني كل رجل منكم أحدثه وأبدأ أنت يا أبا عمرو ، فقلت : أصلح الله الأمير ! أحدث حق أم حديث باطل ؟ قال : بل حديث حق ؛ فقلت : إن امرأ القيس كان آلى آية^(٢) ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة وانتين ، فجعل يحطّب النساء ، فإذا سألهن عن هذا قلن : أربعة عشر ، فبينما هو يسير في جوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنة صغيرة له كأنها البدر لثمه ، فأعجبته ، فقال لها : يا جارية ، ما ثمانية ، وأربعة ، وانتان ؟ فقالت : أما ثمانية فأطباء الكلبة ، وأما أربعة فأخلاف الناقة ، وأما اثنتان فتذيا المرأة ؛ فخطبها إلى أبيها ، فزوجه إياها وشرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال ، فجعل لها ذلك ، وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل ، وعشرة أعبد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس ، ففعل ذلك ، ثم بعث عبداً إلى المرأة ، وأهدى إليها معه نحيماً^(٣) من سمن ونحيا من عسل وحلّة من عصب ، فنزل العبد على بعض المياه ، ونشر الحلّة فليسها فتعلقت بسمرة فانشقت ، وفتح النّحيين فأطعم أهل الماء منها فنقصا ، ثم قدِم على المرأة وأهلها خلوف^(٤) فسألها عن أبيها وأمها وأخيها ، ودفع إليها

(٢) الأغاني : « بأية » .

(١) الأغاني ٩ : ١٠١ - ١٠٣ .

(٤) خلوف : غيب .

(٣) النحي : الزق .

هديتها ، فقالت : أَعْلِمُ مولاك أنَّ أبى ذهب يقرَّب بعيداً ، ويبعِّد قريباً ، وأنَّ أُمى ذهب تشقَّ النفس نفسين ، وأنَّ أخى ذهب يُراعى الشمس ، وأنَّ سماءكم انشقت ، وأنَّ وعاءكم نضبا .

فقدِم الغلام على مولاة ، فأخبره فقال: أما قولها : إنَّ أبى ذهب يُقرَّب بعيداً ، ويبعِّد قريباً ، فإنَّ أباهما ذهب يُحالف قومًا على قومه ، وأما قولها : إنَّ أُمى ذهب تشقَّ النفس نفسين ، فإنَّ أمَّها ذهب تُقبِّل^(١) امرأةً نفساء . وأما قولها : إنَّ أخى ذهب يُراعى الشمس ، فإنَّ أخاها فى سَرَحٍ له يرعاه ، فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به ؛ وأما قولها : إنَّ سماءكم انشقت ، فإنَّ البُرد الذى بعثت به انشق ؛ وأما قولها إنَّ وعاءكم نضبا فإنَّ النّحيين اللذين بعثت بهما نقصاً ، فاصدقنى . فقال : يا مولاي ، إني نزلتُ بماءٍ من مياهِ العرب ، فسألوني عن نَسَبِي فأخبرتهم أني ابن عمك ، ونشرتُ الحُلَّةَ ولبستها وتحمّلتُ بها ، فتعلقتُ بسُرةٍ فانشقت ، وفتحتُ النّحيين فأطعمتُ منهما أهل الماء ، فقال : أوَّلَى لك ! ثم ساق مائةً من الإبل ، وخرج نحوها ومعه العبدُ يسقى الإبل ، فمَجَزَ ، فأعانه امرؤ القيس ، فرمى به العبدُ فى البئر ، وخرج حتى أتى إلى أهل الجارية بالإبل ، فأخبرهم أنه زَوْجُها ، فقبل لها : قد جاء زوجك ، فقالت : والله ما أدرى أزواجى هو أم لا ! ولكن انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذنبها ، ففعلوا ، فأكل ما أطعموه ، فقالت : استقوه لبناً حازراً وهو الحامضُ - فسقوه فشرب ، فقالت : افرشوا له عند الفَرث^(٢) والدم ، ففرشوا له ، فنام فلما أصبحت أرسلتُ إِيَّاه : إني أريدُ أن أسألك ، فقال لها : سَلِي عما بدا لك ، فقالت : ممَّ تحتلج شفتاك ؟ قال : مِنْ تَقَبِيلِ إِيَّاكَ ، فقالت : مِمَّ يَتَحَلَج كَشْحَاك ، قال : لا لتزأى إِيَّاكَ ، قالت : فممَّ يَتَحَلَج فِخْذاك ؟

(١) يقال : قبلت القابلة المرأة ؛ إذا تلقت ولدها عند ولادته .

(٢) الفَرث : السرجين ما دام فى الكرش .

قال : لتوركي إيتاك ، فقالت عليكم العبد فشدوا أيديكم به ، ففعلوا .

قال : ومرة قوم فاستخرجوا امراً القيس من البئر ، فرجع إلى حيّه وساق مائة من الإبل ، وأقبل إلى امرأته فقبل لها : قد جاء زوجك ، فقالت : والله ما أدرى أزوجى هو أم لا ! ولكن انحروا له جزوراً ، وأطعموه من كرشها وذنبها ، ففعلوا ، فلما توه بذلك قال : وأين الكبد والسنام والملاء^(١) ، وأبى أن يأكل ، فقالت اسقوه لبناً حارراً ، فأتى به ، فأبى أن يشربه ، وقال : فأين الضريب^(٢) والرثينة ؟ فقالتند : افرشوا الله عند القرث والدم ، ففرشوا له ، فأبى أن ينام ، وقال : افرشوا لي عند التلعة الحمراء ، واضربوا لي عليها خياء ، ثم أرسلت إليه : هلم شريطتى عليك في المسائل الثلاث ، فأرسل إليها أن سلى عما شئت ، فقالت : مم تختليج شفتاك ؟ فقال : لشربى المشعشات ، قالت : فمم يختليج كشحاك ؟ قال : للبسى الحبرات . قالت : فمم تختليج نغذاك ؟ قال : لرخصى المطهات^(٣) ، فقالت : هذا أزوجى لعمري ، فعليكم به . فأهدت إليه الجارية .

فقال ابن هبيرة : حسبكم ، فلا خير في الحديث سائر الليلة بعد حديث أبي عمرو ، ولن يأتينا أحداً منكم بأعجب منه ، فأنصرفنا وأمرنا إلى بجائزة .

(١) الملاء : لحم في الصلب ، من الكاهل إلى العجز من البعير . (٢) والضريب : هو اللبن يحلب من عدة لتاح ؛ وفي الأغاني : « الصريف » . وهو الحلب الحار ساعة يصرف من الضرع ، والرثينة : اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض ، فيروب من ساعته .
(٣) المطهات : الحبل التامة الحسن .

(٤٧٦)

الإِضْلُ :

وقالَ عليه السلامُ في كلامٍ له :

وَوَلِيَّيْهِمُ الْوَالِ فَأَقَامَ وَاسْتَقَامَ ، حَتَّى ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَانِهِ .

الشَّنْخُ :

الجران : مقدّم العُنُق ، وهذا الوالى هو عمرُ بنُ الخطاب .

وهذا الكلامُ من خطبةٍ خُطِبَها في أيامِ خلافته طويلاً ؛ يذكر فيها قُرْبَهُ من النَبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ واختصاصه له ، وإفضاءه بأسراره إليه ، حتى قال فيها :

فاختار المسلمون بعده بآرائهم رجلاً منهم ، فقاربَ وسَدَدَ حَسَبَ استطاعته على ضَعْفٍ وَحَدٍّ كَانَا فِيهِ ، وَلِيْهِمْ بَعْدَهُ وَالٍ ، فَأَقَامَ وَاسْتَقَامَ حَتَّى ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَانِهِ ، عَلَى عَسْفٍ وَغَجْرَقِيَّةٍ كَانَا فِيهِ ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا ثَالِثًا لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِ نَفْسِهِ شَيْئًا ، غَلَبَ عَلَيْهِ أَهْلُهُ فَقَادُوهُ إِلَى أَهْوَائِهِمْ كَمَا تَقْوُدُ الْوَلِيدَةُ الْبَعِيرَ الْخَطُومَ ، فَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ يَبْعُدُ تَارَةً وَيَقْرُبُ أُخْرَى حَتَّى نَزَوْا عَلَيْهِ فَمَتَّلَوْهُ ، ثُمَّ جَاءُوا بِى مَدَبَّ الدَّبَابِ ، يَرِيدُونَ بَيْعَتِى .

وتمام الخطبة معروف ، فليطلب من الكتب الموضوعة لهذا الفن .

(٤٧٧)

الأصل

وقال عليه السلام :

يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ ، يَعْضُ الْمَوِيرُ فِيهِ عَلَى مَا فِي يَدَيْهِ ، وَلَمْ يُؤْمَرْ
بِذَلِكَ ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ ؛ يَنْهَدُ فِيهِ الْأَشْرَارُ ،
وَيُسْتَذَلُّ الْأَخْيَارُ ، وَيُبَايِعُ الْمُضْطَرُّونَ ، وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
عَنْ بَيْعِ الْمُضْطَرِّينَ .

الشرح :

زَمَانٌ عَضُوضٌ ؛ أَيُّ كَلْبٍ عَلَى النَّاسِ ، كَأَنَّهُ يَعْضُّهُمْ ، وَفُعُولٌ لِلْمَبَالِغَةِ ، كَالْتَّفُورِ
الْعَقُوقِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ بَرُّ عَضُوضٍ ، أَيُّ بَعِيدَةُ الْقَعْرِ ضَيْقَةٍ ، وَمَا كَانَتْ
الْبَرُّ عَضُوضًا ، فَأَعَضَّتْ كَقَوْلِهِمْ : مَا كَانَتْ جَرُورًا فَأَجَرَّتْ ، وَهِيَ كَالْعَضُوضِ .
وَعَضَّ فَلَانٌ عَلَى مَا فِي يَدِهِ أَيُّ بَخِلٍ وَأَمْسَكٍ .

وَيَنْهَدُ فِيهِ الْأَشْرَارُ ، يَنْهَضُونَ إِلَى الْوَلَايَاتِ وَالرِّيَاسَاتِ ، وَتَرْتَفِعُ أَقْدَارُهُمْ فِي الدُّنْيَا .
وَيُسْتَذَلُّ فِيهِ أَهْلُ الْخَيْرِ وَالْدِّينِ ، وَيَكُونُ فِيهِ بَيْعٌ عَلَى وَجْهِ الْاضْطِرَارِ وَالْإِلْجَاءِ ؛ كَمَنْ
بِيعَتْ^(١) ضَيْعَتَهُ ؛ وَهُوَ ذَلِيلٌ ضَعِيفٌ ، مِنْ رَبٍّ ضَيْعَةٍ مَجَاوِرَةٍ لَهَا ذِي ثَرْوَةٍ وَعِزٍّ وَجَاهٍ
فِيلْجِئُهُ بِمَنْعِهِ الْمَاءِ وَاسْتِذْلَالِهِ الْأَكْرَةَ وَالْوَكِيلَ إِلَى أَنْ يَبِيعَهَا عَلَيْهِ ؛ وَذَلِكَ مِنْهُنَّ عَنْهُ ،
لَأَنَّهُ حَرَامٌ تَحَضُّ .

(١) ب : « يَبِيعُ » .

(٤٧٨)

الأضد

وقال عليه السلام :
يَهْلِكُ فِي رَجُلَانِ : مُحِبُّ مُفْرِطٌ ، وَبَاهِتٌ مُقْتَرٍ .

قال الرضّى رَحِمَهُ اللهُ تعالى : وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَهْلِكُ فِي اثْنَانِ :
مُحِبُّ غَالٍ ، وَمُبْغِضٌ قَالٍ .

الشرح :

قد تقدّم شرحٌ مِثْلُ هذا الكلام ؛ وَخِلاصُهُ هذا القول : أَنَّ الْهَالِكَ فِيهِ الْمَفْرِطُ
وَالْمُفْرِطُ ، أَمَّا الْمَفْرِطُ وَالْمُغَالَاةُ ، وَمِنْ قَالَ بِتَكْفِيرِ أَعْيَانِ الصَّحَابَةِ وَنَقْلِهِمْ أَوْ فِسْقِهِمْ ، وَأَمَّا
الْمُفْرِطُ فَمَنْ اسْتَنْقَصَ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ أَبْغَضَهُ أَوْ حَارَبَهُ أَوْ أَضْمَرَ لَهُ غِلًّا ؛ وَلِهَذَا كَلَّمَ
أَصْحَابُنَا أَصْحَابَ الدَّجَاةِ وَالْخِلَاصِ وَالْفَوْزِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، لِأَنَّهُمْ سَلَكَوا طَرِيقَةً مُقْتَصِدَةً ،
قَالُوا : هُوَ أَفْضَلُ أَلْخَلْقِ فِي الْآخِرَةِ ، وَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَفْضَلُ أَلْخَلْقِ فِي الدُّنْيَا ،
وَأَكْثَرُهُمْ خِصَائِصَ وَمَزَايَا وَمَنَاقِبَ ، وَكُلٌّ مِنْ عَادَاهُ أَوْ حَارَبَهُ أَوْ أَبْغَضَهُ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ
سُبْحَانَهُ وَخَالِدٌ فِي النَّارِ مَعَ الْكَفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ قَدْ ثَبَتَتْ تَوْبَتُهُ ، وَمَاتَ
عَلَى تَوَلَّيِهِ وَحُبِّهِ .

فَأَمَّا الْأَفْضَلُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ وَلَّوْا الْإِمَامَةَ قَبْلَهُ فَعَلَوْا أَنَّهُ أَنْكَرُ إِمَامَتِهِمْ

و غضب عليهم ، وسخط فعلهم ، فضلاً عن أن يُشهر عليهم السيف ، أو يُدعو إلى نفسه، لقُلنا : إنهم من الهالكين ، كما لو غضب عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأنه قد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له : « حربك حربى ، وسلمك سلمى » ، وأنه قال : « اللهم وال من ولاه ، وعاد من عاداه » ، وقال له : « لا يُحبك إلا مؤمن ، ولا ينفضك إلا منافق » ، ولكننا رأينا رضى إمامتهم وبايعهم وصلى خلفهم وأنكحهم وأكل من فيهم ، فلم يكن لنا أن نتعدى فعله ، ولا نتجاوز ما اشتهر عنه ؛ ألا ترى أنه لما برئ من معاوية برئنا منه ، ولما لعنه لعناه ، ولما حكم بضلال أهل الشام ومن كان فيهم من بقايا الصحابة كعمرو بن العاص وعبد الله ابنه وغيرها. حكنا أيضاً بضلالهم !

والحاصل أننا لم نجعل بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله إلا رتبة النبوة ، وأعطيناه كل ما عدا ذلك من الفضل المشترك بينه وبينه ^(١) ، ولم نطعن في أكابر الصحابة الذين لم يصحّ عندنا أنه طعن فيهم ، وعاملناهم بما عاملهم عليه السلام به .

[فصل فيما قيل في التفضيل بين الصحابة]

والقول بالتفضيل قول قديم ، قد قال به كثير من الصحابة والتابعين ، فمن الصحابة عمار ، والمقداد ، وأبو ذر ، وسلمان ، وجابر بن عبد الله ، وأبي بن كعب ، وحذيفة ، وبريدة ، وأبو أيوب ، وسهل بن حنيف ، وعثمان بن حنيف ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وخزيمة بن ثابت ، وأبو الطفيل عامر بن واثلة : والعباس بن عبد المطلب وبنوه ، وبنو هاشم كافة ، وبنو المطلب كافة .

وكان الزبير من القائلين به في بدء الأمر؛ ثم رجع، وكان من بنى أمية قومٌ يقولون بذلك، منهم خالد بن سعيد بن العاص، ومنهم عمر بن عبد العزيز.

وأنا أذكر هاهنا الخبر المروي المشهور عن عمر، وهو من رواية ابن الكلبي، قال: بينا عمر بن عبد العزيز جالسا في مجلسه، دخل حاجبه ومعه امرأة أذماء طويلة حسنة الجسم والقامة، ورجلان متعلقان بها، ومعهم كتاب من ميمون بن مهران إلى عمر، فدفعوا إليه الكتاب، ففضّه فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم. إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، من ميمون بن مهران، سلامٌ عليك ورحمةُ الله وبركاته، أما بعد، فإنه وردَ علينا أمرٌ ضاقت به الصدور، وعجزت عنه الأوساع^(١)، وهربنا بأنفسنا عنه، ووكلناه إلى عاليه، لقول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(٢)، وهذه المرأة والرجلان أحدهما زوجها والآخر أبوها، وإن أباهما أمير المؤمنين زعم أن زوجها حلف بطلاقها أن علي بن أبي طالب عليه السلام خير هذه الأمة وأولاهها برسول الله صلى الله عليه وآله، وأنه يزعم أن ابنته طلقته منه، وأنه لا يجوز له في دينه أن يتخذها صبورا، وهو يعلم أنها حرامٌ عليه كأمه. وإن الزوج يقول له: كذبت وأئمت، لقد برّ قسَمي، وصدقت مقالتي، وإنها أسرائي على رَغَم أنفك، وغَيِظ قلبك؛ فأجتمعا إلى مختصِمون في ذلك، فسألت الرجل عن يمينه، فقال: نعم، قد كان ذلك، وقد حلفت بطلاقها أن عليا خير هذه الأمة وأولاهها برسول الله صلى الله عليه وآله، عرفه من عرفه، وأنكره من أنكره؛ فليغضب من

(١) الأوساع: جمع وسع؛ وهو الطاقة.

(٢) سورة النساء ٨٣.

غَضِبَ ، وَلِيْرَضَ مِنْ رَضِي ، وَتَسَامَعَ النَّاسُ بِذَلِكَ ، فَاجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ كَانَتْ الْأَلْسُنُ
مَجْتَمِعَةً فَالْقُلُوبُ شَتَّى ، وَقَدَعَلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اخْتِلَافَ النَّاسِ فِي أَهْوَائِهِمْ ، وَتَسَرُّعِهِمْ
إِلَى مَا فِيهِ الْفِتْنَةُ ، فَأَحْجَمْنَا عَنْ الْحُكْمِ لِنَحْكُمَ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ . وَإِنَّمَا تَعَلَّقَا بِهَا ، وَأَقْسَمَ
أَبُوهَا أَلَّا يَدَعَهَا مَعَهُ ، وَأَقْسَمَ زَوْجُهَا أَلَّا يَفَارِقَهَا وَلَوْ ضُرِبَتْ عَنْقُهَا إِلَّا أَنْ يَحْكُمَ عَلَيْهِ
بِذَلِكَ حَاكِمٌ لَا يَسْتَطِيعُ مُخَالَفَتَهُ وَالْامْتِنَاعَ مِنْهُ ، فَرَفَعْنَاهُ إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَحْسَنَ
اللَّهُ تَوْفِيقَكَ وَأَرْشَدَكَ !

وَكُتِبَ فِي أَسْفَلِ الْكِتَابِ :

إِذَا مَا لِلْمَشِكَلَاتِ وَرَدَّنْ يَوْمًا فَاغَارَتْ فِي تَأْمُلِهَا الْعِيُونَ
وَضَاقَ الْقَوْمُ ذَرْعًا مِنْ نَبَاهَا فَأَنْتَ لَهَا أَبَا حَفْصٍ أَمِينُ
لَأَنَّكَ قَدْ حَوَيْتَ الْعِلْمَ طَرًّا وَأَحْكَمْتَ التَّجَارِبَ وَالشُّنُونَ
وَخَلَقْتَ الْإِلَهَ عَلَى الرَّعَايَا فَحَفِظْكَ فِيهِمُ الْحِظَّ الثَّمِينُ

قال : فجمعَ عمرُ بنُ عبد العزيزِ بنِي هاشمٍ وَبنِي أُمَيَّةَ وَأَنْفَازَ قُرَيْشٍ ، ثُمَّ قَالَ
لَأَبْنِ الْمَرْأَةِ : مَا تَقُولُ أَيُّهَا الشَّيْخُ ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ هَذَا الرَّجُلُ زَوَّجْتَهُ ابْنَتِي ،
وَجَهَّزْتُهَا إِلَيْهِ بِأَحْسَنِ مَا يَجْهِّزُ بِهِ مِثْلَهَا ، حَتَّى إِذَا أَتَلْتَ خَيْرَهُ ، وَرَجَوْتُ صَلَاحَهُ ، حَلَفَ
بِطُلَاقِهَا كَذِبًا ، ثُمَّ أَرَادَ الْإِقَامَةَ مَعَهَا ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا شَيْخَ ، لَعَلَّهُ لَمْ يُطْلَقِ امْرَأَتَهُ ،
فَكَيْفَ حَلَفَ ؟ قَالَ الشَّيْخُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! الَّذِي حَلَفَ عَلَيْهِ لِأَبْنِ حَنْتًا وَأَوْضَحَ كَذِبًا
مَنْ أَنْ يَحْتَلِجَ فِي صَدْرِي مِنْهُ شَكٌّ ، مَعَ سَنِي وَعِلْمِي ، لِأَنَّهُ زَعَمَ أَنَّ عَلِيًّا خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ
وَلَا فَا مَرَأَتُهُ طَالِقٌ ثَلَاثًا . فَقَالَ لِلزَّوْجِ : مَا تَقُولُ ؟ أَهَكَذَا حَلَفْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَقِيلَ :
إِنَّهُ لَمَّا قَالَ : نَعَمْ ، كَادَ الْجُلُوسُ يَرْتَمِجُ بِأَهْلِهِ ، وَبَنُو أُمَيَّةَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ شَزْرًا ، إِلَّا أَنَّهُمْ
لَمْ يَنْطَلِقُوا بِشَيْءٍ ، كُلٌّ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِ عُمَرَ .

فَأَكْبَ عَمْرَ مَلِيًّا يَنْكُتُ الْأَرْضَ بِيَدِهِ وَالْقَوْمُ صَامِتُونَ يَنْظُرُونَ مَا يَقُولُهُ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ :

إِذَا وَلِيَ الْحُكُومَةَ بَيْنَ قَوْمٍ أَصَابَ الْحَقُّ وَالتَّمَسَ السَّدَادَا
وَمَا خَيْرُ الْإِمَامِ إِذَا تَعَدَّى خِلَافَ الْحَقِّ وَأَجْتَنَبَ الرِّشَادَا
ثُمَّ قَالَ لِلْقَوْمِ : مَا تَقُولُونَ فِي يَمِينِ هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَسَكَتُوا ، فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ !
قُولُوا . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ : هَذَا حُكْمٌ فِي فَرْجٍ ، وَلَسْنَا نَجْتَرِئُ عَلَى الْقَوْلِ فِيهِ ،
وَأَنْتَ عَالِمٌ بِالْقَوْلِ ، مُؤْتِمِنٌ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ ، قُلْ مَا عِنْدَكَ ، فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا لَمْ يَكُنْ يُحَقِّقُ بِاطِّلَا
وَيُبْطِلُ حَقًّا جَائِزًا عَلَى فِي مَجْلِسِي .

قَالَ : لَا أَقُولُ شَيْئًا ؛ فَالتَفَتَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مِنْ وَلَدِ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ،
فَقَالَ لَهُ : مَا تَقُولُ فِيمَا حَلَفَ بِهِ هَذَا الرَّجُلُ يَا عَقِيلِي ؟ فَاعْتَنَمَهَا ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛
إِنْ جَعَلْتُ قَوْلِي حُكْمًا ، أَوْ حُكْمِي جَائِزًا قُلْتُ ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فَالْسَّكُوتُ
أَوْسَعُ لِي ، وَأَبْقَى لِلْمُودَةِ ؛ قَالَ : قُلْ وَقَوْلُكَ حُكْمٌ ، وَحُكْمُكَ مَاضٍ .

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ بَنُو أُمَيَّةَ قَالُوا : مَا أَنْصَفْتَنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ جَعَلْتَ الْحُكْمَ إِلَى
غَيْرِنَا ، وَنَحْنُ مِنَ لِحْمَتِكَ وَأُولَى رَحِمِكَ ! فَقَالَ عَمْرٌ : اسْكُتُوا ، أَعْجِزَا وَلَوْ مَا ! عَرَضْتُ ذَلِكَ
عَلَيْكُمْ آفَاقًا فَمَا اتَّذَبْتُمْ لَهُ . قَالُوا : لِأَنَّكَ لَمْ تُعْطِنَا مَا أُعْطِيَ الْعَقِيلِي ، وَلَا حَكَمْتَنَا كَمَا
حَكَمْتَهُ ، فَقَالَ عَمْرٌ : إِنْ كَانَ أَصَابَ وَأَخْطَأْتُمْ ، وَحَزَمَ وَعَجَزْتُكُمْ ، وَأَبْصَرَ وَعَمِيتُمْ ،
فَمَا ذَنْبُ عَمْرٍ ، لَا أَبَا لَكُمْ ! أَتَدْرُونَ مَا مِثْلُكُمْ ؟ قَالُوا : لَا نَذَرِي ، قَالَ : لَكِنَّ الْعَقِيلِيَّ
يَذَرِي ، ثُمَّ قَالَ : مَا تَقُولُ يَا رَجُلُ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

دُعِيتُمْ إِلَى أَمْرِ فَلَمَّا عَجَزْتُمْ تَنَاوَلَهُ مِنْ لَا يَدْخُلُهُ عَجْزُ
فَلَمَّا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ أَبَدْتُمْ نَفُوسَكُمْ نِدَامًا وَهَلْ يُغْنِي مِنَ الْقَدْرِ الْحَذَرُ !
فَقَالَ عَمْرٌ : أَحْسَنْتَ وَأَصْبَبْتَ ، فَقُلْ مَا سَأَلْتُكَ عَنْهُ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،

يَرْتَقِسْمُهُ ، وَلَمْ تَطْلُقْ امْرَأَتَهُ ، قَالَ : وَأَنْتَى عَلِمْتَ ذَاكَ ؟ قَالَ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَهُوَ عِنْدَهَا فِي بَيْتِهَا عَائِدٌ لَهَا : يَا بُنَيَّةُ ، مَا عِلَّتُكَ ؟ قَالَتْ : الْوَعَكُ يَا أَبَتَاهُ - وَكَانَ عَلَى غَائِبٍ فِي بَعْضِ حَوَائِجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَقَالَ لَهَا : أَتَشْتَهِينَ شَيْئًا ؟ قَالَتْ : نَعَمْ أَشْتَهِي عَيْنًا ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ عَزِيزٌ ، وَلَيْسَ وَقْتُ عَيْنٍ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنْ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُجِيبُنَا بِهِ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ ائْتِنَا بِهِ مَعَ أَفْضَلِ أُمَّتِي عِنْدَكَ مَنْزِلَةً ؛ فَطَرَقَ عَلَى الْبَابِ ، وَدَخَلَ وَمَعَهُ مِكَتَلٌ قَدْ أُلْقِيَ عَلَيْهِ طَرَفُ رِدَائِهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَا هَذَا يَا عَلِيُّ ؟ قَالَ : عَيْنُ التَّمَسُّعِ لِفَاطِمَةَ ، فَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُمَّ كَمَا سَرَرْتَنِي بِأَنْ خَصَّصْتَ عَلِيًّا بِدَعْوَتِي فَاجْعَلْ فِيهِ شِفَاءَ بَنِيَّتِي ، ثُمَّ قَالَ : كُلِّي عَلَى اسْمِ اللَّهِ يَا بُنَيَّةُ ، فَانْكَلَتْ ، وَمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى اسْتَقَلَّتْ وَبَرَأَتْ ، فَقَالَ عَمْرٌ : صَدَقْتَ وَبَرَزْتَ ، أَشْهَدُ لَقَدْ سَمِعْتُهُ وَوَعَيْتُهُ ، يَا رَجُلُ ، خَذِ بَيْدَ امْرَأَتِكَ فَإِنْ عَرَضَ لَكَ أَبُوْهَا فَاهْشِمْ أَنْفَهُ . ثُمَّ قَالَ : يَا بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ ، وَاللَّهِ مَا تَجْهَلُ مَا يَعْلَمُ غَيْرُنَا ، وَلَا بِنَاعِي فِي دِينِنَا ، وَلَكِنَّا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

تَصَيَّدَتِ الدُّنْيَا رَجَالًا بَفَخْهُمْ
فَلَمْ يُدْرِكُوا خَيْرًا بَلِ اسْتَقْبَحُوا الشَّرَّاءَ
وَأَعْمَاهُمْ حُبُّ الْغَنَى وَأَصَمَّهُمْ
فَلَمْ يُدْرِكُوا إِلَّا الْخُسَارَةَ وَالْوُزْرَاءَ

قِيلَ : فَكَاثِمًا أَلْقَمَ بَنِي أُمَيَّةَ حَجَرًا ، وَمَضَى الرَّجُلُ بِامْرَأَتِهِ .

وَكُتِبَ عُمَرُ إِلَى مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ :

عَلَيْكَ سَلَامٌ ، فَإِنِّي أَحَدٌ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي قَدْ فَهِمْتُ كِتَابَكَ ، وَوَرَدَ الرَّجُلَانِ وَالْمَرْأَةُ ، وَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ يَمِينَ الزَّوْجِ ، وَأَبْرَأَ قَسَمَهُ ، وَأَثْبَتَهُ عَلَى نِكَاحِهِ ، فَاسْتَقِينْ ذَلِكَ ، وَاعْمَلْ عَلَيْهِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

فأما مَنْ قال بتفضيله على النَّاسِ كافَّةً من التابعين فَخَلَقَ كثيرًا وِيسَ القَرَنِيَّ وزَيْدَ بنَ صُوحَانَ ، وصَمْعَةَ أخيه ، وجُنْدُبَ^(١) الخير ، وعُبَيْدَةَ السَّلْمَانِيَّ وغيرهم ممَّن لا يُحصى كثرةً ، ولم تكن لفظَةُ الشَّيعة تُعرف في ذلك العَصْرِ إلَّا لمن قال بتفضيله ، ولم تكن مقالةُ الإمامية وَمَنْ نَحْوَهَا من الطَّاعِنِينَ في إمامَةِ السَّلَفِ مشهورة حينئذٍ على هذا النحو من الاشتهار ، فكان القائلون بالتفضيل هم المسمَّون الشَّيعة ، وجميعُ ما وَرَدَ من الآثار والأخبار في فضل الشَّيعة وأنهم مَوْعُودُونَ بالجنة ، فهؤلاء هم المعنيون به دون غيرهم ، ولذلك قال أصحابنا المعتزلة في كُتُبِهِم وتصانيفِهِم : نحن الشَّيعة حقًا . فهذا القولُ هو أَقْرَبُ إلى السلامة وأشبهُ بالحقِّ من القولين المقتسمين طرفي الإفراط والتفريط إن شاء الله .

(١) في د « وحبيب ،

(٤٧٩)

الأفضل

وسُئِلَ عن التَّوْحِيدِ والعَدْلِ ، فقالَ :
التَّوْحِيدُ أَلَّا تَتَوَهَّمُهُ ، والعَدْلُ أَلَّا تَنِيَّهُ .

الشرح :

هذان الرُّكْنَانِ هما رُكْنَا علم الكلام ، وهما شِعَارُ أصحابنا المعتزلة ، لِنَفْيِهِم
المعاني القديمة التي يُثَبِّتُهَا الأشْعَرِيُّ وأَصْحَابُهُ ، وَلِتَنْزِيهِهِمُ الْبَارِئُ سُبْحَانَهُ عَنِ
فِعْلِ الْقَبِيحِ .

ومعنى قوله : « أَلَّا تَتَوَهَّمُهُ » أى أَلَّا تَتَوَهَّمُهُ جِسْماً أَوْ صُورَةً أَوْ فِي جِهَةٍ مُخْصِوَصَةٍ ،
أَوْ مَالِكاً لِكُلِّ الْجِهَاتِ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ قَوْمٌ ، أَوْ نُوراً مِنَ الْأَنْوَارِ ، أَوْ قُوَّةً سَارِيَةً فِي
جَمِيعِ الْعَالَمِ ، كَمَا قَالَ قَوْمٌ ، أَوْ مِنْ جِنْسِ الْأَعْرَاضِ الَّتِي تَحُلُّ الْحَالَ أَوْ تَحُلُّ لِلْحَلِّ ،
وَلَيْسَ بَعَرَضٍ كَمَا قَالَ النَّصَارَى وَغَلَاةُ الشَّيْعةِ ، أَوْ تَحُلُّ الْمَعَانِي وَالْأَعْرَاضَ ، فَتَنُفِثُ تَوْهَمَهُمْ
عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا فَقَدْ خُوِّلَ التَّوْحِيدُ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ جِسْمٍ أَوْ عَرَضٍ أَوْ حَالٍ فِي
تَحَلٍّ أَوْ مَحَلٍّ الْحَالِ ، أَوْ مُخْتَصٍ بِجِهَةٍ ، لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ مُنْقَسِماً فِي ذَاتِهِ ، لَا سِوَمَا عَلَى قَوْلِ
مَنْ نَفَى الْجِزَاءَ مُطْلَقاً ، وَكُلِّ مُنْقَسَمٍ فَلَيْسَ بِوَاحِدٍ ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ وَاحِدٌ . وَأَضَافَ
أَصْحَابُنَا إِلَى التَّوْحِيدِ نَفْيَ الْمَعَانِي الْقَدِيمَةِ ، وَنَفْيَ ثَنٍ فِي الْإِلَهِيَّةِ ، وَنَفْيَ الرُّؤْيَا ، وَنَفْيَ كَوْنِهِ
مُشْتَبِهاً أَوْ نَافِراً أَوْ مُبْتَدِئاً^(١) أَوْ آلياً أَوْ عَالِماً يَعْلَمُ مُحَدَّثٌ ، أَوْ قَادِراً بِقُدْرَةٍ مُحَدَّثَةٍ ، أَوْ حَيّاً
بِحَيَاةٍ مُحَدَّثَةٍ ، أَوْ نَفِي كَوْنِهِ عَالِماً بِالْمُسْتَقْبَلَاتِ أَبَداً ، أَوْ نَفِي كَوْنِهِ عَالِماً بِكُلِّ مَعْلُومٍ أَوْ قَادِراً

(١) في د « مثلئذا » .

على كل الأجناس وغير ذلك من مسائل علم الكلام التي يدخلها أصحابنا في الركن الأول ، وهو التوحيد .

وأما الركن الثاني فهو ألا تهمه ، أى لا تهمه في أنه أجبرك على القبيح ، ويعاقبك عليه ، حاشاه من ذلك ! ولا تهمه في أنه مكن الكذابين من المعجزات ، فأصل بهم الناس ، ولا تهمه في أنه كلّفك ما لا تطيقه ، وغير ذلك من مسائل العدل التي يذكّرها أصحابنا مقصّلة في كتبهم كالعوض عن الألم ، فإنه لا بدّ منه ، والثواب على فعل الواجب فإنه لا بدّ منه ، وصدق وعده ووعيده ، فإنه لا بدّ منه .

وجملة الأمر أن مذهب أصحابنا في العدل والتوحيد مأخوذ عن أمير المؤمنين . وهذا الموضع من اللّوَضِع التي قد صرّح فيها بمذهب أصحابنا بعينه ، وفي قرّش كلامه من هذا النمط ما لا يحصى .

(٤٨٠)

الأشجار :

وقال عليه السلام : في دُجَاهِ اسْتَسْقَى بِهِ :
اللَّهُمَّ اسْقِنَا ذُلَّ السَّحَابِ دُونَ صِعَابِهَا .

قال الرضی رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى :

وهذا مِنَ الْكَلَامِ الْعَجِيبِ الْفَصَاحَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَبَّهَ السُّحُبَ
ذَوَاتِ الرُّعُودِ وَالْبَوَارِقِ ، وَالرِّيَّاحِ وَالصَّوَاعِقِ ، بِالْإِبِلِ الصَّعَابِ الَّتِي تَقْمُصُ
بِرِحَالِهَا (١) ، وَتَتَوَقَّصُ بِرُكْبَانِهَا ، وَشَبَّهَ السَّحَابَ الْخَالِيَةَ مِنْ تِلْكَ الزَّوَابِعِ
بِالْإِبِلِ الذُّلِّلِ الَّتِي تَحْتَلِبُ طَيِّعَةً ، وَتُفْتَعِدُ مُسْمِحَةً .

الْبَيْضُ :

قد أَكْفَانَا الرضی - رَحِمَهُ اللهُ - بِشَرْحِهِ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مَثْنَوَةً الْخَلُوضِ فِي تَفْسِيرِهَا .

(١) في د « بصاحبها » .

(٤٧٨)

الأضل :

وقيل له عليه السلام : لو غيّرت شيبك يا أمير المؤمنين ! فقال :
ألخضابُ زينة ، ونحن قوم في مصيبة برسول الله صلى الله عليه وآله .

الشَّيْبُ :

[مختارات مما قيل من الشعر في الشيب والخضاب]

قد تقدّم لنا في الخضاب قول كافٍ ، وأنا أستملح قول الصّابي فيه :
خضابٌ تقاسمناه بيني وبينها ولكن شأني فيه خالف شأنها
فياقُبْه إذ حلّ مني بمفرقٍ وياحُسنه إذ حلّ منها بئانها
وسُحقّله عن لمتي حين شأنها وأهلاً به في كفّها حيث زانها
وقال أبو تمام :

لعب الشيبُ بالمفارق بل جدّ فأبكي تماضراً ولعوباً^(١)
خضبت خدّها إلى لؤلؤ المقدّمات أن رأّت شواتي خضيباً^(٢)
كلّ داء يُرجى الدّواء له إلّا الفظيعين : ميتة ومشيبة
يانسب الثّغام ذنبك أبقى حسّناي عند الحسان ذنوباً^(٣)

(١) ديوانه ١ : ١٦٦ ، وتماضر ولعوب من أسماء النساء .

(٢) الشّواة : جلدة الرأس . (٣) الثّغام : نبت أبيض يشبه به الشيب .

ولئن عَيْنَ مَا رَأَيْتَ لَقَدْ أَنْكَرَنَ مُسْتَنَكِرًا وَعَيْنُ مَعِيَا
لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنَّ فِي الشَّيْبِ فَضْلًا جَاوَرَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْئًا
وقال :

فَإِنْ يَكُنِ الشَّيْبُ طَنَى عَلَيْنَا وَأَوْدَى بِالْبَشَاشَةِ وَالشَّبَابِ
فَأَنَّى لَسْتُ أَدْفَعُهُ بِشَيْءٍ يَكُونُ عَلَيْهِ أَثَقَلٌ مِنْ خِضَابِ
أَرَدْتُ بِأَنَّ ذَلِكَ وَذَا عَذَابٌ فَسَلَّطْتُ الْعَذَابَ عَلَى الْعَذَابِ
ابنُ الرُّومِيِّ :

لَمْ أَخْضِبِ الشَّيْبَ لِلْغَوَانِي أَبْنِي بِهِ عَنْهُمْ وَدَادَا
لَكِنْ خِضَابِي عَلَى شَبَابٍ لَبَسْتُ مِنْ بَعْدِهِ حِدَادَا

ومن مختارٍ ماجاء من الشعر في الشَّيْبِ وإن لم يكن فيه ذِكْرُ الْخِضَابِ قَوْلُ
أَبِي تَمَّامٍ :

نَسَجَ الشَّيْبُ لَهُ لِفَاعًا مُغْدِفًا يَقَقَّا فَقَنَعَ مِذْرَوِيَهُ وَنَصَقَا
نَظَرَ الزَّمَانُ إِلَيْهِ قَطَعَ دُونَهُ نَظَرَ الشَّقِيقِ تَحَسَّرَا وَتَلَاهَا
مَا سَوَدَّ حَتَّى ابْيَضَّ كَالْكَرْمِ الَّذِي لَمْ يَبْدُ حَتَّى جِئَ كَيْمَا يَقْطَعُهَا
لَمَّا تَفَوَّتَ الْخَطُوبُ سَوَادَهَا بِيَاضِهَا عَبَثَتْ بِهِ فَتَفَوَّتَا
مَا كَانَ يَخْطُرُ قَبْلَ ذَا فِي فِكْرِهِ لِلْبَدْرِ قَبْلَ تَمَامِهِ أَنْ يُكْسِفَا
وقال أيضا :

غَدَا لَهْمٌ مَخْطَأٌ بِفَوْدَى خِطَّةٍ طَرِيقُ الرَّدَى مِنْهَا إِلَى الْمَوْتِ مَسِيرٌ^(١)

هو الزَّور يُجَنِّقُ ، والمعاشِرُ يُجْتَوَى
له مَنْظَرٌ فِي الْعَيْنِ أبيضُ ناصعٌ
ونحنُ نَرْجِيهِ على الكُرْه والَرْضَا
وقال أيضا :

شعلةٌ في الفَازِقِ استودعتني
تَسْتَبِيرُ المَومَ ما أكتن منها
غُرَّةُ مُرَّةٍ ألا إنما كد
دَقَّةٌ في الحَيَاةِ تُدعى جَلالاً
حَلَمَتْنِي زَعَمْتُمْ وأراني
وقال الصَّابِي وذَكَرَ الخُصَاب :

خَضِبْتُ مَشِيبي لِلتَّعْلُقِ بِالصَّبَا
فلَمَّا ادَّعى مِنِّي العِذارُ شَبِيبةً
فَكَمْ طُرَّةٌ طَارَتْ ودانت ذَوائِبُ
شَواهِدُ بالتزويرِ يَحْوِينَ رَبَّها
وأوهمتُ مَن أهوَاهُ أَنِّي لَمْ أَشِبْ
إِذَا صَلَّيْ قَدْ صَاحَ مِنْ فَوْقِهِ كَذَبُ
وَكَمْ وَجَنَةٍ حَالَتْ وَماءُ بِها نَضَبُ
فَهِجْرانُهُ عِنْدَ الأَحِبَّةِ قَدْ وَجَبُ
البَحْتَرَى :

بَانَ الشَّبَابُ فَلَا عَيْنَ وَلَا أَثَرَ
قَدْ كَذَبْتُ أَخْرَجَهُ عَنْ مُنْتَهَى عَدَدِي
سُوءَ العَوَاقِبِ يَأْسٌ قَبْلَهُ أَمَلُ
والمَرءِ طاعةُ أَيَّامٍ تُنْقَلُ
إِلَّا بَقِيَّةُ بُرْدٍ مِنْهُ أَسْمَالُ
يَأْساً وَأَسْفِطُهُ إِذْ فَاتَ مِنْ بَالِي
وَأَعْضَلُ الدَّاءِ نِكْسٌ بَعْدَ إِبْلالِ
تَنْقَلُ الظِّلُّ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالِ

(٣٨٢)

الأصل :

وقال عليه السلام :

ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً ممن قدر عَفَفاً ، لكاذب العفيف
أن يكون ملكاً من الملائكة .

[نبذ وحكايات حول العفة]

الشرح :

قد تقدم القول في العفة ، وهي ضروب : عفة اليد ، وعفة اللسان ، وعفة الفرج ،
وهي العظمى ، وقد جاء في الحديث المرفوع : « مَنْ عَشِقَ فَكَمَّ وَعَفَّ وَصَبَرَ فَمَاتَ
مَاتَ شهيداً ودخل الجنة » .

وفي حكمة سليمان بن داود : إن الغالب ليهواه أشد من الذي يفتح
المدينة وحده .

نزل خارجي على بعض إخوانه منهم مستترا من الحجاج ، فشخص المنزل عليه
لبعض حاجاته وقال لزوجته : يا ظمياء ، أوصيك بضيفي هذا خيراً - وكانت من أحسن
الناس - فلما عاد بعد شهر قال لها : كيف كان ضيفك ؟ قالت : ما أشغله بالعمى عن كل
شيء ؛ وكان الضيف أطبق جفنيه فلم ينظر إلى المرأة ولا إلى منزلها إلى أن
عاد زوجها .

وقال الشاعر :

إِنْ أَكُنْ طَامِحَ اللَّحَاطِ فَإِنِّي وَالَّذِي يَمْلِكُ الْقُلُوبَ عَفِيفُ
خَرَجْتُ امْرَأَةً مِنْ صَالِحَاتِ نِسَاءِ قَرِيشٍ إِلَى بَابِهَا لِتَغْلِقَهُ ، وَرَأْسُهَا مَكْشُوفٌ ، فَرَأَاهَا
رَجُلٌ أَجْنَبِيٌّ فَرَجَعْتُ وَحَلَقْتُ شَعْرَهَا ، وَكَانَتْ مِنْ أَحْسَنِ النِّسَاءِ شَعْرًا ، فَقِيلَ لَهَا فِي
ذَلِكَ ، قَالَتْ : مَا كُنْتُ لِأَدْعَى عَلَى رَأْسِي شَعْرًا رَأَاهُ مِنْ لَيْسَ لِي بِمَحْرَمٍ .
كَانَ ابْنُ سِيرِينَ يَقُولُ : مَا غَشِيَتْ امْرَأَةً قَطُّ فِي يَقْظَةٍ وَلَا نَوْمٍ غَيْرَ أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ
وَمَآئِي لِأَرَى الْمَرْأَةَ فِي الْمَنَامِ وَأَعْلَمُ أَنَّهَا لَا تَحِلُّ لِي فَأَصْرَفَ بَصَرِي عَنْهَا .

وقال بعضهم :

وَمَآئِي لَعَفَ عَنْ فُكَاهَةٍ جَارَتِي وَمَآئِي لَمَشَنُوا إِلَى اغْتِيَابِهَا
إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعْلُهَا لَمْ أَكُنْ لَهَا صَدِيقًا وَلَمْ تَأْنَسْ إِلَى كِلَابِهَا
وَلَمْ أَكُ طَلَابًا أَحَادِيثَ سِرِّهَا وَلَا عَالِمًا مِنْ أَيْ حَوْكٍ ثِيَابِهَا
دَخَلْتُ بُثَيْنَةَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ : مَا أَرَى فِيكَ يَا بُثَيْنَةُ شَيْئًا مِمَّا
كَانَ يَكْتَسِبُ بِهِ جَمِيلٌ ! فَقَالَتْ : إِنَّهُ كَانَ يَرْتَوِي إِلَيَّ بَعَيْنَيْنِ لَيْسَتْ فِي رَأْسِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
قَالَ : فَكَيْفَ صَادَقْتِهِ فِي عِفَّتِهِ ؟ قَالَتْ : كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ إِذْ قَالَ :

لَا وَالَّذِي تَسْجُدُ الْجِبَاهُ لَهُ مَالِي بِمَاضٍ ثَوْبُهَا خَبَرٌ (١)
وَلَا فِيهَا وَلَا تَهَمُّتُ بِهِ مَا كَانَ إِلَّا الْحَدِيثُ وَالنَّظَرُ

وقال أبو سهل الساعدي : دَخَلْتُ عَلَى جَمِيلٍ فِي مَرَضٍ مَوْتُهُ ، فَقَالَ : يَا أَبَا سَهْلٍ ،
رَجُلٌ يَلْتَقِي اللَّهَ وَلَمْ يَسِفْكَ دَمًا حَرَامًا ، وَلَمْ يَشْرَبْ خمرًا ، وَلَمْ يَأْتِ فَاحِشَةً ، أَتَرْجُو لَهُ
الْجَنَّةَ ؟ قُلْتُ : إِي وَاللَّهِ فَنَ هُوَ ؟ قَالَ : إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ ، فَذَكَرْتُ لَهُ بُثَيْنَةَ ،

(١) ديوانه ٨٩ ، ٩٠ .

فقال : إني لفي آخر يومٍ من أيام الدنيا ، وأول يومٍ من أيام الآخرة ، لآلتني شفاعة محمد إن كنت حدثتُ نفسي بريئةً معها أو مع غيرها قط .
قال الشاعر :

قلتُ تَرَفِّي فِصْلِي حَبْلُ أَمْرِي يُوْصَالِكُمْ صَبَّ
صادِقٌ إِذَا بَعْلِي قَلْتُ لَهَا الْفَذْرُ شَيْءٌ لَيْسَ مِنْ شَعْبِي
نِلْتَانِ لَا أَصْبُو لَوْصِلْهُمَا عَرَسُ الصَّدِيقِ وَجَارَةُ الْجَنْبِ
أَمَّا الصَّدِيقُ فَلَسْتُ خَائِنُهُ وَالْجَارُ أَوْصَانِي بِهِ رَبِّي

يقال : إن امرأة ذات جمال دعت عبد الله بن عبد المطلب إلى نفسها لما كانت ترمى على وجهه من الثور ، فأبى وقال :

أَمَّا الْحَرَامُ فَالْمَاتُ دُونَهُ وَالْحَلَّ لَاحِلٌ فَاسْتَبَيْنَهُ
فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِي تَبْغِينَهُ يَحْيَى الْكَرِيمُ عَرْضَهُ وَدِينَهُ

راودَ توبةُ بنُ الحِجْرِ ليلي الأَخِيلِيَّةَ مرَّةً عن نفسها ، فاشمأزت منه وقالت :
وذي حاجةٍ قلنا له لا تَبْخُجْ بهَا فليس إليها ما حَيَّيْتَ سَبِيلُ^(١)
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخري صاحبٌ وخليلُ
ابنُ مَيَّادَة :

مَوَانِعُ لَا يُعْطِينَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ وَهَنَ زَوَانٍ فِي الْحَدِيثِ أَوَانِسُ
وَيَكْرَهُنَّ أَنْ يَسْمَعْنَ فِي اللَّهِوَ رِيْبَةً كَمَا كَرِهَتْ صَوْتَ اللَّجَامِ الشَّوَامِسُ
آخر :

بيضُ أَوَانِسُ مَا مَنَّ بَرِيْبَةً كَطِبَاءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامُ

يُحَسِّنُ مِنْ لَيْنِ الْكَلَامِ زَوَانِيًا وَيَصْدُھُنَّ عَنِ الْخِنَا الْإِسْلَامُ
فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ: « لَا تَكُونَنَّ حَدِيدَ النَّظَرِ إِلَى مَا لَيْسَ لَكَ، فَإِنَّهُ لَا يَزْنِي
وَرَجُلٌ مَاحِفِظَتَ عَيْنَيْكَ، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَّا تَنْظُرْ إِلَى ثَوْبِ الْمَرْأَةِ الَّتِي لَا تَحِلُّ لَكَ فَاَفْعَلْ
وَلَنْ تَسْتَطِيعَ ذَلِكَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ » .

كَانَ ابْنُ الْمَوَالِي الشَّاعِرُ الْمَلْدَقِيُّ مَوْصُوفًا بِالْعِفَّةِ وَطَيْبَ الْإِزَارِ، فَأَنشَدَ عَبْدُ الْمَلِكِ شَعْرًا
لَهُ مِنْ جُمْلَتِهِ:

وَأَبْكِي فَلَا أَيْلَى بَكَتْ مِنْ صَبَابَةٍ لِبَاكِ وَلَا أَيْلَى لَدَى الْبَدَلِ تَبَدُّلُ
وَأَخْنَعُ بِالْعَتَبِ إِذَا كُنْتُ مُذْنِبًا وَإِنْ أَذْنِبْتُ كُنْتُ الَّذِي أُنْفَصِلُ
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: مَنْ لَيْلَى هَذِهِ؟ إِنْ كَانَتْ حُرَّةً لَأَزَوَّجَنَّكَهَا، وَإِنْ كَانَتْ أَمَةً
لَأَشْتَرِيَنَّهَا لَكَ بِالْعَفَّةِ مَا بَلَغْتَ، فَقَالَ: كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا كُنْتُ لِأَصْعُرَ وَجْهَ حُرٍّ
أَبْدًا فِي حُرَّتِهِ وَلَا فِي أَمَّتِهِ، وَمَا لَيْلَى الَّتِي أَنْسَبْتُ بِهَا إِلَّا قَوْسِي هَذِهِ سَمَّيْتُهَا لَيْلَى لِأَنَّ
الشَّاعِرَ لَا يَدُّ لَهُ مِنَ النَّسِيبِ .

ابن الملوِّح المخنوني:

كَأَنَّ عَلَى أُنْيَانِهَا الْخُمْرَ رَجَّحَهُ بِمَاءِ النَّدَى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ غَائِقُ^(١)
وَمَا ذُقْتُهُ إِلَّا بِعَيْنِي تَفَرُّسًا كَمَا شِيمَ مِنْ أَعْلَى السَّحَابَةِ بَارِقُ
هَذَا مِثْلُ بَيْتِ الْجُلَيْسِيِّ:
بَاعَ ذَنْبَ مَنْ فِيهَا وَمَا ذُقْتُ طَعْمَهُ وَلَكِنِّي فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ فَارِسُ^(٢)
شَاعِرُ:

مَا إِنْ دَعَانِي الْهَوَى لِفَاحِشَةٍ إِلَّا نَهَانِي الْحَيَاءُ وَالْكَرَمُ

(١) ديوانه ٢٠٣

(٢) لأبي صغيرة البولاني، ديوان الحماسة ٣: ١٢٨١ - بشرح المرزوقي .

ولا إلى محرّم مددت يدي ولا مسّت بي لريبة قدّم

العباس بن الأحنف :

أتأذّنون لصبّ في زيارتكم فعندكم شهوات السمع والبصر^(١)
لا يُضمرُ الشؤ إن طال الجلوس به عفت الضمير ولكن فاسق النظر
قال بعضهم : رأيت امرأةً مستقبلة البيت في المَوسم ، وهي في غاية الضّر والنحافة
رافعةً يديها تدعو ، فقلتُ لها : هل لك من حاجة ؟ قالت : حاجتي أن تُناديَ في
الموقف بقولي :

تزوّد كلُّ الناس زاداً يُقيمُهُم ومالي زادٌ والسّلام على نفسى
فعلت ، وإذا أنا بقَتى مَنهوك ، فقال : أنا الزاد ، فضيتُ به إليها ، فما زادوا على النظر
والبكاء ، ثمّ قالت له : انصرف مُصاحباً ، فقلت : ما علمت أن التّقاء كما يُقتصر فيه على
هذا ، فقالت : امسك يافتي ، أما علمت أن ركوب العار ودُخول النار شديد .

قال بعضهم :

كم قد ظفرتُ بمن أهوى فيمنعني منه الحياء وخوفُ الله والحدْرُ
وكم خلوتُ بمن أهوى فيمنعني منه الفُكاهةُ والتّحديثُ والنّظرُ
أهوى المِلاحَ وأهوى أن أجالسهم وليس لي في حرامٍ منهم وطْرُ
كذلك الحبّ لا إثبات معصية لا خَيْر في لذّةٍ من بعدها سَقَرُ
قال محمد بن عبد الله بن طاهر لبنية : اعشّقوا نظرفوا ، وعِفّوا تشرّفوا .
وصف أعرابي امرأةً طرّقها ، فقال : ما زال القمرُ يُرينيها فلما غاب أرتنّيه ، فقيل :
فما كان بينكما ؟ قال : ما أقرب ما حلّ الله ممّا حرّم ، إشارة في غير باس ، ودنوٌّ من غير
مساس ، ولا وجّع أشدّ من الذّنوب .

كثير عزة :

وإني لأرعى منك يا عَزَّ الَّذِي لو أَبْصَرَهُ الواشي لَقَرَّتْ بِلَابِهِ
بِلَاً وبَلَاً أَسْطِيعَ وبَالْعُيْ وبالْوَعْدِ حَتَّى يَسَامَ الوَعْدَ آمِلُهُ
وبالنظرة العَجَلَى وبالحول يَنْقِضِي أَوَاخِرُهُ لا نَلْتَقِي وَأَوَائِلُهُ
وقال بعضُ الظَّرفاءِ : كان أَرْبابُ الهَوَى يَسْرُونَ فيما مضى ، ويقنعون بأن يَمْضُغَ
أَحَدُهُمْ لِبَانًا قد مَضَغَتْهُ مَحْبُوبَتُهُ ، أو يَسْتَاكُ بِسِوَاكِهَا ، وَيَرَوْنَ ذاكَ عَظِيماً ، واليَوْمَ
يَطْلُبُ أَحَدُهُمُ الْخُلُوةَ وإِرْخَاءَ السُّتُورِ ، كَأَنَّهُ قد أَشْهَدَ على نِكَاحِهَا أَبَا سَمِيدٍ
وَأَبَا هُرَيْرَةَ.

وقال أَحَدُ بَنِي أَبِي عَثْمَانَ الْكَاتِبِ :

وإني لِيرْضِيَنِ الرُّورُ بِبَابِهَا وَأَفْنَعُ مِنْهَا بِالْوَعِيدِ وبالزَّجْرِ
قال يوسف بن الماحِشُونِ : أُنْشَدْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْمَكْدَرِ قولَ وَضَّاحِ الْيَمَنِ :
إِذَا قُلْتُ هَاتِي نَوْلِيْنِي تَبَسَّمتْ وَقَالَتْ مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ فِعْلٍ مَاحَرُمٍ
فَمَا نَوَلْتُ حَتَّى تَضَرَّعْتُ حَوْلَهَا وَعَرَّفْتُهَا مَارْخَصَ اللَّهِ فِي اللَّامِ
فَضَحِكَ وَقَالَ : إِنْ كَانَ وَضَّاحٌ لَفَقِيهَا فِي نَفْسِهِ .
قال آخر :

فَقَالَتْ بِحَقِّ اللَّهِ إِلَّا أَتَيْتَنَا إِذَا كَانَ لَوْنُ اللَّيْلِ لَوْنَ الطَّيَالِسِ
فَجِئْتُ وَمَا فِي الْقَوْمِ يَقْظَانُ غَيْرُهَا وَقَدْ نَامَ عَنْهَا كُلُّ وَالٍ وَحَارِسِ
فَبَنَّا مَبِيتًا طَيِّبًا نَسْتَلِذُهُ جَمِيعًا وَلَمْ أَمْلُدْ لَهَا كَفًّا لَامِسِ
مَرَّتْ امْرَأَةٌ حَسَنَاءُ بِقَوْمٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ مَجْتَمِعِينَ فِي نَادِيهِمْ ، فَرَمَقُوهَا بِأَبْصَارِهِمْ ،
وَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : مَا أَكَمَلَهَا لَوْلَا أَنَّهَا رَسَجَاءُ ^(١) ! فَالْتَفَتَتْ إِلَيْهِمْ ، وَقَالَتْ : وَاللَّهِ

(١) الرَسَجَاءُ : الْفَبِيحَةُ .

يَا بَنِي نَمِير ، مَا أَطَعْتُمْ اللَّهَ وَلَا الشَّاعِر ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ ^(١) .

وقال الشاعر :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلِغْتَ وَلَا كِلَابًا ^(٢)
فَأَخَجَلْتَهُمْ .

وقال أبو صَخْر الهُدَلِيُّ مِنْ شِعْرِ الْحَمَاسَةِ :

لَلَّيْلَةُ مِنْهَا تَعُودُ لَنَا مِنْ غَيْرِ مَا رَفَثٍ وَلَا إِثْمٍ
أَشْهَى إِلَى نَفْسِي وَلَوْ بَرَحْتُ مِمَّا مَلَكَتْ وَمِنْ بَنِي سَهْمٍ
آخِر :

وَمَا نَلْتُ مِنْهَا تَحْرِمًا غَيْرَ أَنِّي أَقْبِلُ بِسَامَا مِنَ الثَّغْرِ أَفْلَجَا
وَأَلْتُمُ فَهَآ أَخِيذًا بِقُرُوبِهَا وَأَتْرُكُ حَاجَاتِ النَّفُوسِ تَحْرُجَا
وَأَعْفُ مِنْ هَذَا الشَّعْرِ قَوْلُ عَبْدِ بَنِي الْحَسْحَاسِ عَلَى فِسْقِهِ :

لَعَمْرُأَيِهَا مَا صَبَّوْتُ وَلَا صَبَّتْ إِلَيَّ وَإِنِّي مِنْ صِبَا حَلِيمٍ
سِوَى قُبْلَةٍ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبَهَا سَأَطْعِمُ مُسْكِينَا لَهَا وَأَصُومُ
وقال آخِر :

وَبَجْدُولَةٍ جَذَلَ الْعَنَاقِ كَأَنَّمَا سَنَا الْبَرْقُ فِي دَاجِي الظَّلَامِ ابْتِسَامُهَا
ضَرَبْتُ لَهَا الْمِيعَادَ لَيْسَتْ بِكُنَّةٍ وَلَا جَارَةٍ يُخْشَى عَلَى ذِمَامُهَا
فَلَمَّا التَّقَيْنَا قَالَتْ الْحُكْمُ فَاحْتَكَمُ سِوَى خَلَّةٍ هَيْهَاتَ مِنْكَ مَرَامُهَا
فَقُلْتُ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أُرْكَبَ الَّتِي تَبِيدُ وَيَبْقَى فِي الْمَعَادِ أَثَامُهَا

(١) سورة النور ٣٠ .

(٢) لجرير ، ديوانه ٧٥

قوله : « ليست بكنته * ولا جارة يُخشى على ذِمّتها » ، مأخوذ من قول قيس ابن الخطيم :

ومثلك قد أحببتُ ليست بكنته ولا جارة ولا حليلة صاحب^(١)
وهذا الشاعر قد زاد عليه بقوله : « ولا حيلة صاحب » .

وأشد ابن مذكويه لبعضهم :

أنا زاني اللسان والطرف إلا أن قلبي يمافُ ذاك ويأبى
لا يراني إلاله أشرب إلا كل ما حلَّ شربه لي وطابا
لآخر :

تظلموهن كذا من غير فاحشة هو الصيام بتفاح البساتين
بشار بن برد :

قالوا حرام تلاقينا فقات لهم ما في التزام ولا في قبلة حرج^(٢)
من راقب الناس لم يظفر بجأته وفاز بالطيبات الفاتك اللهبج
البيت الآخر مثل قول القائل :

من راقب الناس مات كهما وقاز بالأسدة الجسور
أبو الطيب المتنبي :

وترى الفتوة والروة والأبوة في كل مليحة ضرائها^(٣)
هن الثلاث المانعات لذتي في خلوتي لا الخوف من تبعاتها
إني على شغفي بما في سحرها لأعف عما في سراويلاتها

كان الصاحبُ رحمه الله يستهجن قوله : « عَمَّا فِي سَرَائِلَاتِهَا » ، ويقول : إن كثيرا من العُزْر أحسن من هذه العِفَّة ، ومعنى البيت الأول أن هذه الخلالَ الثلاث تَرَاهُنَّ المِلَاحُ ضَرَائِرَ لَهُنَّ لَأَنَّهُنَّ يَمْنَعُنَهُنَّ عَنِ الْخُلُوءِ بِالْمِلَاحِ وَالتَّمَتُّعِ بِهِ . ثم قال : إن هذه الخلالَ هي التي تَمْنَعُهُ لَا الْخُوفُ مِنْ تَبِعَاتِهَا ، وقال قوم : هَذَا تَهَاوُنٌ بِالذِّينِ ، وَنَوْعٌ مِنَ الْإِلْحَادِ . وعندى أن هذا مذهبُ للشعراء معروف ، لا يُريدون به التَّهَاوُنَ بِالذِّينِ ، بَلِ الْمُبَالَغَةَ فِي وَصْفِ سَجَايَاهُمْ وَأَخْلَاقِهِم بِالطَّهَارَةِ ، وَأَنَّهُمْ يَتْرَكُونَ الْقَبِيحَ لِأَنَّهُ قَبِيحٌ ، لَا لَوُرُودِ الشَّرْعِ بِهِ ، وَخُوفِ الْعِقَابِ مِنْهُ . وَيُمْكِنُ أَيْضًا أَنْ يُرِيدَ بِتَبِعَاتِهَا تَبِعَاتِ الدُّنْيَا ، أَيْ لَا أَخَافُ مِنْ قَوْمِ هَذِهِ الْمَحْبُوبَةِ الَّتِي أُنِسْتُ بِهَا ، وَلَا أَشْفِقُ مِنْ حَرِّهِمْ وَكَيْدِهِمْ ، فَأَمَّا عِفَّةُ الْيَدِ وَعِفَّةُ الْإِسَانِ فَهِيَ بَابٌ آخَرٌ . وَقَدْ ذَكَرْنَا طَرَفًا فَالْحَامِنُ ذَلِكَ فِي الْأَجْزَاءِ الْمُتَقَدِّمَةِ عِنْدَ ذِكْرِنَا الْوَرَعِ .

وفي الحديث المرفوع : « لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَتْرَكَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَارًا مَا بِهِ الْبَأْسُ » .

وقال أبو بكر في مرض موته : إنا منذ وَلِينَا أَمَرَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ نَأْخُذْ لَهُمْ دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا ، وَأَكَلْنَا مِنْ جَرِيشِ الطَّعَامِ ، وَلَبَسْنَا مِنْ خَشَنِ الثِّيَابِ ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ قِيَمِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا هَذَا النَّاضِحُ ، وَهَذَا الْعَبْدُ الْحَبَشِيُّ ، وَهَذِهِ الْقَطِيفَةُ ، فَإِذَا قُبِضْتُ فَادْفَعُوا ذَلِكَ إِلَى نُمْرٍ لِيَجْمَعَهُ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَلَمَّا مَاتَ نُحِلَ ذَلِكَ إِلَى عَمْرِ ، فَبَسَكِي كَثِيرًا ثُمَّ قَالَ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ ، لَقَدْ أَتَعَبَ مِنْ بَعْدِهِ !

قال سليمان بن داود : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، أَوْصِيكُمْ بِأَمْرَيْنِ أَفْلَحَ مَنْ فَعَلَهُمَا : لَا تَدْخُلُوا أَجْوَاكُم إِلَّا الطَّيِّبَ ، وَلَا تُخْرِجُوا مِنْ أَفْوَاهِكُمْ إِلَّا الطَّيِّبَ .

وقال بعض الحكماء : إذا شئت أن تعرف ربك معرفة يقينية فاجعل بينك وبين الحرام حائطا من حديد ، فسوف يفتح عليك أبواب معرفته .
ومما يحكى من ورع حسان بن أبي سنان أن غلاما له كتب إليه من الأهواز :
إن قصب السكر أصابته السنة آفة فابتع ما قدرت عليه من السكر ، فإنك تجد له ربحا كثيرا فيما بعد ، فابتاع ، وطلب منه ما ابتاعه بعد قليل بربح ثلاثين ألف درهم ، فاستقال البتيع من صاحبه ، وقال : إنه لم يعلم ما كنت أعلم حين اشتريته منه ، فقال البائع : قد علمت الآن مقدار الربح ، وقد طيبته لك وأحللتك ، فلم يطمئن قلبه ، وما زال حتى رده عليه .

يقال : إن غنم الغارة اختلطت بغنم أهل الكوفة ، فتورع أبو حنيفة أن يأكل اللحم ، وسأل كم تعيش الشاة ؟ قالوا : سبع سنين ، فترك أكل لحم الغنم سبع سنين .

ويقال : إن المنصور حمل إليه بدرة فرمى بها إلى زاوية البيت ، فلما مات جاء بها ابنه حماد بن أبي حنيفة إلى أبي الحسن بن أبي قحطبة ، وقال : إن أبي أوصاني أن أرد هذه عليك ، وقال : إنها كانت عندي كالوديعة ، فاصرفها فيما أمرك الله به ، فقال أبو الحسن : رحم الله أبا حنيفة ! لقد شح بدينه إذ سخط به نفوس أقوام .

وقال سفيان الثوري : انظر درهمك من أين هو ، وصل في الصف الأخير .
جابر ، سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول لكعب بن عجرة : « لا يدخل الجنة لحم نبت من الشح ، النار أولى به » .
الحسن : لو وجدت رغيقا من حلال لأخرقته ثم سحقتة ثم جعلته ذرورا ، ثم دأوت به المرضى .

عائشة ، قالت : يا رسول الله ، مَنْ الْمُؤْمِن ؟ قال : مَنْ إِذَا أَصْبَحَ نَظَرَ إِلَى رَغِيْفِيْهِ
كَيْفَ يَكْتَسِبُهَا ، قالت : يا رسول الله ، أَمَّا إِنَّهُمْ لَوْ كُفُّوا ذَلِكَ لَتَكْلَفُوهُ ، فَقَالَ لَهَا :
إِنَّهُمْ قَدْ كُفُّوا ، وَلَكِنْهُمْ يَعْسِفُونَ الدُّنْيَا عَسْفًا .

حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ يَرْفَعُهُ : إِنَّ قَوْمًا يَجِيئُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ كَأَمْثَالِ
الْجِبَالِ ، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ، ثُمَّ يُؤَمِّرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ ؛ فَقِيلَ : خَلَّاهُمْ لَنَا
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : إِنَّهُمْ كَانُوا يُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ وَيَأْخُذُونَ أَهْبَةً مِنَ اللَّيْلِ ،
. وَلَكِنْهُمْ كَانُوا إِذَا عُرِضَ عَلَيْهِمُ الْحَرَامُ وَتَبَّوْا عَلَيْهِ .

(٤٨٣)

الأُضَل

”وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْقَنَاعَةُ مَا لَا يَنْفَدُ .
قَالَ : وَقَدْ رَوَى بَعْضُهُمْ هَذَا الْكَلَامَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

البُزْجُ :

قد تقدّم القول في هذا المعنى ، وقد تكرّرت هذه اللفظة بذاتها في كلامه عليه السلام .

ومن جيّد القول في القناعة قول الغزّليّ :

أنا كالشَّعْبَانِ جِلْدِي مُلْبَسِي لستُ محتاجاً إلى ثوبِ الجمالِ
فالمحمولُ العِزِّ واليأسُ الغِنَى والقُنُوعُ المُلْكُ ، هذا ما بَدَأَ إلى

وقال أيضاً :

لا تمجِّبنَّ لمن يهوى ويصعدُ في دُنْيَاهُ فأنخلقُ في أرجوحةِ القَدَرِ
واقنعْ بما قلَّ فالأوشالُ صافيةٌ وتلجُ البحرَ لا تَخْلُو من الكَدَرِ

(٤٨٤)

الأفضل :

وقال عليه السلام لزيد بن أبيه وقد استخلفه لعبد الله بن العباس على فارس وأعمالها ، في كلام طويل كان بينهما نهاه فيه عن تقديم الخراج :
استعمل العدل ، واحذر العسف والخيف ؛ فإن العسف يعود بالجللاء ،
والخيف يدعو إلى السيف .

الشرح :

قد سبق الكلام في العدل والجور .

وكانت عادة أهل فارس في أيام عثمان أن يطلب الوالي منهم خراج أملاكهم قبل بيع الثمار على وجه الاستئلاف ، أو لأنهم كانوا يظنون أن أول السنة القمرية هو مبتدأ وجوب الخراج خلا للخراج التابع لسنة الشمس على الحقوق المملكية التابعة لسنة القمر ، كأجرة العقار ، وجواري أهل الذمة ، فكان ذلك يحيف بالناس ويدعو إلى عسفهم وخيفهم .

وقد غلط في هذا المعنى جماعة من الملوك في كثير من الأعصار ، ولم يعلموا فرق ما بين السنتين ، ثم تنبّه له قوم من أذكىاء الناس فكبسوا وجعلوا السنين واحدة ، ثم أهل الناس الكبس ، وانفرج ما بين السنة القمرية والسنة الخراجية التي هي سنة الشمس انفراجا كثيراً .

واستقصاه القول في ذلك لا يابق بهذا الموضع ، لأنه خارج عن فنّ الأدب الذي هو موضوع كتابنا هذا .

(٤٨٥)

الأَمَلُ :

وقالَ عليه السلامُ :

أشدُّ الذُّنُوبِ ما اسْتَخَفَّ بها صاحِبُها .

* * *

البُخْرُ :

عُظْمُ المِصِيبَةِ على حَسَبِ نِعْمَةِ العاصي ، ولهذا كان لَطَمُ الولدِ وجهَ الوالدِ كَبيراً
ليس كلَّ طَمَةٍ وجهَ غيرِ الوالدِ .

ولما كان البارئُ تعالى أعظَمَ النِّعَمِينَ ، بل لا نِعْمَةَ إلَّا وهى فى الحَقِيقَةِ مِنْ نِعْمَةٍ ،
ومنسوبة إليه ، كانت مَخالِفَتُهُ ومَعْصِيَتُهُ عَظْمَةً جَدًّا ، فلا يَنْبَغِي لأحدٍ أن يَعْصِيَهُ فى أمرٍ
وإن كان قليلاً فى ظَنِّهِ ، ثم يَسْتَقِلَّهُ وَيَسْتَهِنَ بِهِ ، ويُظهِرُ الأَسْتِخْفافَ وَقِلَّةَ الاحتِفالِ
بِمَواقِفَتِهِ ، فإنَّهُ يَكُونُ قد جَمَعَ إلى المَعْصِيَةِ مَعْصِيَةً أُخْرَى ، وهى الأَسْتِخْفافُ بِقَدْرِ تلكِ
المَعْصِيَةِ الَّتِى لو أَمَعَنَ النَّظَرَ لَعَلِمَ أَنَّها عَظِيمَةٌ ، يَنْبَغِي لَهُ لو كان رَشِيداً أن يَبْكِيَ
عَليها الدَّمَّ فَضْلاً عن الدَّمْعِ ، فلهذا قالَ عليه السلامُ : « أَشدُّ الذُّنُوبِ ما اسْتَخَفَّ
بِها صاحِبُها » .

(٤٨٦)

الأصل :

وقال عليه السلام :

مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلَّمُوا .

الشرح :

تعليمُ العلم فرضُ كفايةٍ ، وفي التَّخْرِيرِ المرفوعِ « من عَلِمَ عِلْمًا وَكَتَمَهُ أَجَلَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ » .

ورَوَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ : « تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ خَشْيَةُ اللَّهِ ، وَدِرَاسَتُهُ تَسْبِيحٌ ، وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ ، وَطَلَبُهُ عِبَادَةٌ ، وَتَعْلِيمُهُ صَدَقَةٌ ، وَبَذْلُهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ ، لِأَنَّهُ مَعَالِمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَبَيَانُ سَبِيلِ الْجَنَّةِ ، وَالْمُؤْنِسُ فِي الْوَحْشَةِ ، وَالْمُحَدِّثُ فِي الْخُلُوعِ ، وَالْجَالِسُ فِي الْوَحْدَةِ ، وَالصَّاحِبُ فِي الْغُرْبَةِ ، وَالِدَلِيلُ عَلَى السَّرَاءِ ، وَالْمُعِينُ عَلَى الضَّرَاءِ ، وَالزَّيْنُ عِنْدَ الْإِخْلَاءِ ، وَالسَّلَاحُ عَلَى الْأَعْدَاءِ » .

ورُئِيَ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ يَكْتُبُ مِنْ صَبِيٍّ حَدِيثًا ، فَقِيلَ لَهُ : مِثْلَكَ يَكْتُبُ مِنْ هَذَا ! فَقَالَ : أَمَا إِنِّي أَحْفَظُ لَهُ مِنْهُ ، وَلَكِنِّي أُرِدْتُ أَنْ أَذِيقَهُ كَأْسَ الرِّيَاسَةِ ، لِيَدْعُوهُ ذَلِكَ إِلَى الْإِزْدِيَادِ مِنَ الْعِلْمِ .

وقال الخليل : العلوم أفعال ، والسؤالات مفاتيحها .
وقال بعضهم : كان أهل العلم يضنون بعلمهم عن أهل الدنيا فيرغبون فيه
ويبذلون لهم دنياهم ، واليوم قد بذل أهل العلم علمهم لأهل الدنيا فزهّدوا فيه وضنّوا
عنهم بدنياهم .

وقال بعضهم : ابذل علمك لمن يطلبه ، وادع إليه من لا يطلبه ، وإلا كان مثلك
كمن أهديت له فاكهة فلم يطعمها ولم يطعمها حتى فسدت .

(٤٨٧)

الأضلى :

وقال عليه السلام :
شَرُّ الإِخْوَانِ مَنْ تَكَلَّفَ لَهُ .

الشَّيْخُ :

إنما كان كذلك لأن الإخاء الصادق بينهما يوجب الانبساط ، وترك التكلف ،
فإذا احتيج إلى التكلف له فقد دلَّ ذلك على أن ليس هناك إخاء صادق ، ومن ليس
بأخ صادق فهو من شرِّ الإخوان .

وروى ابن نايقا في كتاب « ملح المالحه » ، قال : دخل الحسن بن سهل على
المأمون ، فقال له : كيف علمك بالروءة ؟ قال : ما أعلم ما يريد أمير المؤمنين فأجيبه ؟
قال : عليك بعمر بن مسعدة ، قال : فوافيتُ عمرًا وفي داره صنّاع ، وهو جالس
على آجرّة ينظر إليهم ، فقلت : إن أمير المؤمنين يأمرُك أن تعلمنى الروءة ، فدعا بآجرّة
فأجلسنى عليها ، وتحدّثنا مليا ، وقد امتلأتُ غيظا من تقصيره بى ، ثم قال : يا غلام
عندك شيء يؤكل ؟ فقال : نعم ، فقدم طبقًا لطيفا ، عليه رقيقان وثلاث سكرجات ، فى
إحداهنّ خلّ ، وفى الأخرى مرى ، وفى الأخرى ملح ، فأكلنا ، وجاء الفراش فوضّأنا ،
ثم قال : إذا شئت ! فهضت متحفّظا ، ولم أودعه ، فقال لى : إن رأيت أن تعود إلى
فى يوم مثله ! فلم أذكر المأمون شيئا مما جرى ، فلما كان فى اليوم الذى وعدنى فيه لقياه

مرت إليه فاستؤذن لي عليه ، فتلقاني على باب الدار ، فعانقني ، وقبل بين عيني ، وقدمني أمامه ، ومشى خلفي حتى أقعدني في الدست ، وجلس بين يدي ، وقد فرشت الدار ، وزينت بأنواع الزينة ، وأقبل يحدثني ويتنادر معي إلى أن حضر وقت الطعام ، فأمر قدمت أطباق الفاكهة ، فأصبنا منها ، ونصبت الموائد ، فقدم عليها أنواع الأطعمة من حارها وباردها ، وحلوها وحامضها ، ثم قال : أي الشراب أعجب إليك ؟ فاقترحت عليه ، وحضر الوصائف للخدمة ، فلما أردت الانصراف حمل معي جميع ما أحضر من ذهب وفضة وفُرُش وكِسوة ، وقدم إلى البساط فرس بمركب ثقيل ، فركبته وأمر من بحضرته من الغلمان الرّوم والوصائف حتى سمعوا بين يدي ، وقال : عليك بهم فهم لك . ثم قال : إذا زارك أخوك فلا تتكلف له ، واقتصر على ما يحضرك ، وإذا دعوته فاحتفل به واحتشد ، ولا تدعنّ ممكنا ، كفعلنا إيتاك عند زيارتك إيتانا ، وفعلنا يوم دعوناك .

(٤٨٨)

الأصل :

وقال عليه السلام في كلام له :
إذا احتشم المؤمن أخاه فقد فارقهُ .

الشرح :

ليس يعنى أن الاحتشم علة الفرقة بل هو دلالة وأماره على الفرقة ، لأنه لو لم يحدث عنه ما يقتضى الاحتشم لا نبسط على عادته الأولى ، فالانتقباض أماره المبينة .

هذا آخر مادونه الرضى أبو الحسن رحمه الله من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في « نهج البلاغة » ، قد أتينا على شرحه بمعونة الله تعالى .

ونحن الآن ذاكرون ما لم يذكره الرضى مما نسبته قوم إليه ، فبعضه مشهور عنه ، وبعضه ليس بذلك المشهور ؛ لكنه قد روى عنه ، وعُزى إليه ، وبعضه من كلام غيره من الحكماء ؛ ولكنه كالتنظير لكلامه ، والمضارع لحكته ؛ ولما كان ذلك متضمنا فنونا من الحكمة نافعة ؛ رأينا ألا نُخلّي هذا الكتاب عنه ؛ لأنه كالتكملة والتتمة لكتاب « نهج البلاغة » .

وربما وقع في بعضه تكرار يسير شدّ عن أذهاننا التنبيه له ، لطول الكتاب وتباعد أطرافه ، وقد عددنا ذلك كلمة كلمة ، فوجدناه ألف كلمة .

فإن اعتراضنا معترض وقال : فإذا كنتم قد أقررتم بأن بعضها ليس بكلام له ؛ فلماذا ذكرتموه ، وهل ذلك إلا نوع من التطويل !

أجبتنا وقلنا: لو كان هذا الاعتراض لازماً لوجب ألا نذكر شيئاً من الأشباه والنظائر لكلامه ، فالعذر هاهنا هو العذر هناك ، وهو أن الغرض بالكتاب الأذهب والحسنة ؛ فإذا وجدنا ما يناسب كلامه عليه السلام ، وينصب في قلبه ويحتذى حدوه ، ويتقبل منهاجه ، ذكرناه على قاعدتنا في ذكر النظر عند الجواب في شرح نظيره .

وهذا حين الشروع فيها خالية عن الشرح لجلائها ووضوحها ، وإن أكثرها قد سبقت نظائره وأمثاله ، وبالله التوفيق .

الحكم المنسوبة

الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

١ - كان كثيراً ما يقول إذا فرغ من صلاة الليل : أشهد أن السموات والأرض وما بينهما آيات تدلّ عليك ، وشواهد تشهد بما إليه دعوت . كل ما يؤدّي عنك الحجة ويشهد لك بالربوبية ، موسوم بآثار نعمتك ومعالم تديريك . علوت بها عن خلقك ، فأوصلت إلى القلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفكر ، وكفاها ربح الاحتجاج ؛ فهي مع معرفتها بك ، وولها إليك ؛ شاهدة بأنك لا تأخذك الأوهام ، ولا تدركك العقول ولا الأبصار . أعوذ بك أن أشير بقلب أو لسان أو يد إلى غيرك ؛ لا إله إلا أنت ، واحداً أحداً ، فرداً صمداً ، ونحن لك مسليون .

٢ - إلهي ، كفاي نغراً أن تكون لي ربّاً ، وكفاي عزّاً أن أكون لك عبداً ؛ أنت كما أريد ، فاجعلني كما تريد .

٣ - ما خاف امرؤ عدل في حكمه ، وأطعم من قوته ، وذخر من دنياه لآخريته .
٤ - أفضّل على من شئت تكن أميره ، واستغن عن شئت تكن نظيره ، واحتج إلى من شئت تكن أسيره .

٥ - لولا ضعف اليقين ما كان لنا أن نشكو محنة يسيرة نرجو في العاجل سرعة زوالها ، وفي الآجل عظيم ثوابها ، بين أضعاف نعم لو اجتمع أهل السموات والأرض على إحصائها ما وفوا بها فضلاً عن القيام بشكرها .

٦ - من علامات المأمون على دين الله بعد الإقرار والعمل ، الحزم في أمره ، والصدق في قوله ، والعدل في حكمه ، والشفقة على رعيته ، لا تخرجه القدرة إلى خرق^(١) ، ولا اللين إلى ضعف ، ولا تمنعه العزة من كرم عفو ، ولا يدعوه العفو إلى

(١) الحرق : ضد الرفق ، ولا يحسن الرجل العمل والتصرف في الأمور .

إضاعة حقّ ، ولا يدخله الإعطاء في سرف ، ولا يتخطى به القصد^(١) إلى بُخل ، ولا تأخذه
نعم الله ببطير .

٧ - الفسق نجاسة في الهمة ، وكلّب في الطّبيعة^(٢) .

٨ - قلوب الجهال تستفزّها^(٣) الأطماع ، وترتهن بالأمانى ، وتعلق بالخدائع .
وكثرة الصمت زمام اللسان ، وحسّم^(٤) الفطنة ، وإمالة الخاطر^(٥) ، وعذاب الحس .
٩ - عداوة الضعفاء للأقوياء ، والسفهاء للعلماء والأشرار للأخيار ، طبع
لا يُستطاع تغييره .

١٠ - العقل في القلب ، والرحمة في الكبد ، والتنفس في الرئة .

١١ - إذا أراد الله بعبد خيراً حال بينه وبين شهوته ، وحجز بينه وبين قلبه ، وإذا
أراد به شراً وكلّه إلى نفسه .

١٢ - الصبر مطيّة لا تكبو ، والقناعة سيف لا ينبو .

١٣ - رحم الله عبداً اتقى ربه ، وناصر نفسه ، وقدم توبته ، وغلب شهوته ؛ فإن
أجله مستور عنه ، وأمله خادع له ، والشيطان موكّل به .

١٤ - مرّ بمقبرة فقال : السلام عليكم يا أهل الديار الموحّشة ، والحال المفقرة^(٦) ؛
من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، أنتم لنا فرط^(٧) ، ونحن لكم تبع^(٨) .
نزوركم عمّا قليل ، ونلحق بكم بعد زمان قصير . اللهم اغفر لنا ولهم ، وتجاوز عنا وعنهم .

(١) القصد : أمر بين الإفراط والتفريط . (٢) الطبع والطبيعة : السجية .

(٣) استفزه واستفذه : أخرجه عن دائرة الحزم وضبط الامر والأخذ فيه بالثقة .

(٤) الحسّم : القطع ، والفطنة : الذكاء وحدة الفهم .

(٥) إمالة الخاطر ، الإمالة : الإبعاد والإزالة ، والباطل : ما يخطر بالبال من التعلّقات .

(٦) أقر المكان : خلا .

(٧) فرط القوم يفرطهم ، تقدمهم إلى الورد ، والفرط بالتحريك : المتقدم إلى الماء .

(٨) التبّع : التابع .

الحمد لله الذى جعل الأرض كِفَاتًا ، أحياء وأمواتاً^(١) . والحمد لله الذى منها خَلَقْنَا ، وعليها
نُمَشِّنَا ، وفيها معاشنا ، وإليها يُعِيدُنَا . طوبى لمن ذكر المعاد ، وقنع بالكفاف ،
وأعدّ للحساب !

١٥ - إنكم مخلوقون اقتداراً ، ومربوبون اقتساراً^(٢) ، ومضمّنون أجدائنا^(٣) ،
وكائنون رُفَاتًا^(٤) ، ومبعوثون أفراداً ، ومدّينون حساباً . فرحم الله امرأً اقتترف فاعترف ،
ووجّل فعقل ، وحاذر^(٥) فبادر ، وعمر فاعتبر ، وحذر فازدجر ؛ وأجاب فأناب ، وراجع
فتاب ، واقتدى فاحتذى^(٦) ، وتأهب للمعاد ، واستظّهر بالزّاد ؛ ليوم رحيله ، ووجه سبيله
ولحال حاجته ، وموطن فاقته ، فقدّم أمامه لدار مقامه ؛ فتهّدوا لأنفسكم على سلامة الأبدان
وفسحة الأعمار . فهل ينتظر أهلُ غضارة^(٧) الشباب إلّا حوائى الهرم ، وأهلُ بضاعة
الصّحة إلّا نوازل السّقم ، وأهل مدة البقاء إلّا مفاجأة الفناء واقتراب الفوت ، ومشارفة
الانتقال ، وإشفاء الزوال ؛ وحفّز الأنين^(٨) ورشح الجبين ، وامتداد العرينين^(٩) ، وعلّز
القلق^(١٠) ، وقَيِّظ الرّمق^(١١) وشدة المضض ، وغصص الجرّص^(١٢) .

١٦ - ثلاث منجيات : خشية الله فى السرّ والعلانية ، والقصد فى الفقر والغنى ،
والعدل فى الغضب والرضا .

-
- (١) قوله : « كفّاتنا أحياء وأمواتاً » ؛ أى جعل الأرض بمجّالنا فى حياتنا ومماتنا ، الكفاة بالكسر :
الموضع يكفّت فيه الشّئ ، أى يضم ويجمع ، والأرض كفّات لنا .
(٢) قسره : قهره . (٣) الجّدث : القبر .
(٤) رُفَاتًا ، رفته : كسره ودقه ، والرفات الحطام . (٥) الحذر : الاحتراز .
(٦) د : « اهتدى » .
(٧) الغضارة : البعّة والسعة والمصّب . (٨) الحفز : الحث والإجبال .
(٩) العرينين : الأنف ، فإنه يمتد عند الموت . (١٠) العاز : القلق والحفّة .
(١١) القيقظ بالقاف : شدة الحر ، وبالفاء : الموت . والرمق : بقية الحياة .
(١٢) النّصّة : ما اعترض فى الحلق ، والجرّص : الرقيق .

- ١٧ - إياكم والفُحش ؛ فإنَّ الله لا يحبُّ الفُحشَ ، وإياكم والشَّحَّ ، فإنه أهلك مَنْ كان قبلكم ؛ هو الذى سفك دماء الرِّجال ، وهو الذى قطع أرحامها ، فاجتنبوه .
- ١٨ - إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث : صدقةٍ جارية ، وعلمٍ كان علّمه الناس فانتفعوا به ، وولدٍ صالح يدعو له .
- ١٩ - إذا فعلتَ كلَّ شىء فكن كمن لم يفعل شيئاً .
- ٢٠ - سأله رجل ، فقال : بماذا أسوء عدوى ؟ فقال : بأن تكون على غاية الفضائل ، لأنه إن كان يسوءه أن يكون لك فرس فارّة ، أو كلب صيّود ؛ فهو لأن تُذكرَ بالجميل وينسب إليك أشدّ مساءةً .
- ٢١ - إذا قُذِفَتْ بشىء فلا تهاونَ به وإن كان كذبا ، بل تحرّزْ من طرقِ القذف جهُدهُ ؛ فإنَّ القول وإن لم يثبت يوجب ريبةً وشكا .
- ٢٢ - عدم الأدبِ سببُ كلِّ شرٍّ .
- ٢٣ - الجهل بالفضائل عِذْل الموت .
- ٢٤ - ما أصعب على من استعبدتهُ الشهوات أن يكون فاضلاً !
- ٢٥ - مَنْ لم يقهر حَسَدَهُ كان جَسَدُهُ قَبْرًا لِنَفْسِهِ .
- ٢٦ - احمد من يغلظ عليك ويمظك ، لامن يزكّيك ويتملّقك .
- ٢٧ - اختر أن تكون مغلوبا وأنت منصف ، ولا تختَر أن تكون غالباً وأنت ظالم .
- ٢٨ - لا تهضمن محاسنك بالفخر والتكبر .
- ٢٩ - لا تنفك المدنية من شرٍّ ؛ حتى يجتمع مع قوّة السلطان قوّة دينه وقوّة حكّته .

- ٣٠ - إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُحَمَّدَ فَلَا يَظْهَرُ مِنْكَ حِرْصٌ عَلَى الْحَمْدِ .
- ٣١ - مَنْ كَثُرَ هَمُّهُ سَقَمَ بَدَنُهُ ، وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ عَذَّبَ نَفْسُهُ ، وَمَنْ لَاحَى الرِّجَالَ سَقَطَت مِرْوَتُهُ ، وَذَهَبَت كِرَامَتُهُ ؛ وَأَفْضَلُ إِيْمَانِ الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ .
- ٣٢ - كُنْ وَرِعًا تَكُنْ مِنْ أَعْبِدِ النَّاسِ ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ مِنْ أَغْنَى النَّاسِ ، وَأَحْسِنْ جَوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا ، وَلَا تَسْكَثِرَنَّ الضِّحْكَ ؛ فَإِنَّ كَثْرَتَهُ تَمِيتُ الْقَلْبَ ، وَأَخْرَسَ لِسَانَكَ ، وَاجْلِسْ فِي بَيْتِكَ ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ .
- ٣٣ - إِنَّ الرَّجُلَ لَيَحْرَمَ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يَصِيبُهُ ، وَلَا يَرُدُّ الْقُدْرَ إِلَّا الدُّعَاءُ ؛ وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبَرُّ ، وَلَا يَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَسْأَلَ عَنْ عَمَلِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، وَعَمَّا عَمِلَ فِيمَا عِلْمُ !
- ٣٤ - فِي التَّجَارِبِ عِلْمٌ مُسْتَأْنَفٌ ، وَالْإِعْتِبَارُ يَفِيدُكَ الرِّشَادَ ، وَكَفَاكَ أَدْبًا لِنَفْسِكَ مَا كَرِهَتْهُ مِنْ غَيْرِكَ ، وَعَلَيْكَ لِأَخِيكَ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِ لَكَ .
- ٣٥ - الْغَضَبُ يُثِيرُ كَامِنَ الْحَقِّدِ ، وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ لَمْ يُفْعَلِ الْإِسْتِعْدَادُ ، وَمَنْ أَمْسَكَ عَنِ الْفُضُولِ عَدَلَتْ رَأْيُهُ الْعُقُولُ .
- ٣٦ - اسْكُتْ وَاسْتَرْ تَسْلَمْ . وَمَا أَحْسَنَ الْعِلْمَ يَزِينُهُ الْعَمَلُ ، وَمَا أَحْسَنَ الْعَمَلَ يَزِينُهُ الرَّفْقُ !
- ٣٧ - أَكْبَرُ الْفَخْرِ أَلَّا تَفْتَخِرَ .
- ٣٨ - مَا أَصْعَبُ اكْتِسَابَ الْفَضَائِلِ وَأَيْسَرُ إِتْلَافِهَا !
- ٣٩ - لَا تَنَازِعْ جَاهِلًا ، وَلَا تَشَايِعْ مَائِقًا ^(١) ، وَلَا تَعَادِ مُسَلِّطًا .
- ٤٠ - الْمَوْتُ رَاحَةٌ لِلشَّيْخِ الْفَاضِلِ مِنَ الْعَمَلِ ، وَلِلشَّابِّ السَّقِيمِ مِنَ السَّهَمِ ، وَلِلْغَلَامِ ^(٢)

(١) الموق : الحق . (٢) د : « الغلام » .

الناس من استقبال الكد والجمع لغيره ، ولمن ركبته ^(١) الدّين لغرمائه، وللمطلوب بالوتر، وهو في جملة الأمر أمنية كلّ مأهوف مجهود .

٤٦ - ما كنتَ كاتبه عدوك من سرّ ، فلا تطاعنّ عليه صديقك . واعرف قدرك يستعمل أمرُك ، وكفى ماضى مخبراً عما بقى !

٤٢ - لا تعدنّ عِدّةً تحقرها قِلّةُ الثقة بنفسك ، ولا يغرنّك المرتقى السهل إذا كان المنحدر وعرّاً .

٤٣ - اتقِ العواقب علماً بأنّ للأعمال جزاء وأجراً ، واحذر تبعات الأمور بتقديم الحزم فيها .

٤٤ - مَنْ استترشد غير العقل أخطأ منهاج الرأى ، وَمَنْ أخطأته وجوه المطالب خذلته الحيل ، ومن أخلّ بالصبر أخلّ به حسنُ العاقبة ؛ فإنّ الصبر قوّة من قوى العقل ؛ وبقدر موادّ العقل وقوّتها يقوى الصبر .

٤٥ - الخطأ في إعطاء من لا يبتغى ومنع من يبتغى واحد .

٤٦ - العشق مرضٌ ليس فيه أجرٌ ولا عِوض

٤٧ - أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب ، وقائل كلمة الزور ومن يمدّ بجملها في الإثم سواء .

٤٨ - الخسومة تمحق الدّين .

٤٩ - الجهاد ثلاثة : جهاد باليد، وجهاد باللسان ، وجهاد بالقلب ؛ فأوّل ما يغلب عليه من الجهاد يدك ثم لسانك ، ثم يصير إلى القلب ، فإن كان لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكراً نُكس فجعل أعلاه أسفله ^(٢) .

(١) أى علاه .

(٢) انظر النضاضى ٢٦٥

٥٠ - ما أنعم الله على عبد نعمةً فشكرها بقلبه إلا استوجب المزيد عليها قبل ظهورها على لسانه .

٥١ - الحاجةُ مسألة ، والدُّعاءُ زيادةٌ ، والحمدُ شكرٌ ، والنَّدَمُ توبةٌ .

٥٢ - لِيْنِ واحْلُمْ تَنْبُلُ^(١) ، ولا تَكُنْ معجِباً فتمَقَّتْ وُثْمَنُ .

٥٣ - مَالِي أَرَى النَّاسَ إِذَا قُرَّبَ إِلَيْهِمُ الطَّعَامُ لَيْلًا تَكَلَّفُوا إِثَارَةَ الْمَصَابِيحِ لِيَبْصُرُوا مَا يَدْخُلُونَ بِطُونِهِمْ ، وَلَا يَهْتَمُونَ بِغِذَاءِ النَّفْسِ بَأَن يَنْبِرُوا مَصَابِيحَ أَلْبَابِهِمْ بِالْعِلْمِ لِيَسْلَمُوا مِنْ لَوَاحِقِ الْجَهَالَةِ وَالذُّنُوبِ فِي اعْتِقَادَاتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ .

٥٤ - الْفَقْرُ هُوَ أَصْلُ حَسَنِ سِيَّاسَةِ النَّاسِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ مِنْ حُسْنِ السِّيَّاسَةِ أَنَّهُ يَكُونُ بَعْضُ النَّاسِ يَسُوسُ ، وَبَعْضُهُمْ يُسَاسُ ، وَكَانَ مَنْ يُسَاسُ لَا يَسْتَقِيمُ أَنَّهُ يُسَاسُ مِنْ غَيْرِ أَنَّهُ يَكُونُ فَقِيرًا مُحْتَاجًا ؛ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْفَقْرَ هُوَ السَّبَبُ الَّذِي بِهِ يَقُومُ حَسَنُ السِّيَّاسَةِ .

٥٥ - لَا تَتَكَلَّمْ بَيْنَ يَدَيِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ دُونَ أَنْ تَسْمَعَ كَلَامَهُ^(٢) ، وَتَقِيسَ مَا فِي نَفْسِكَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَى مَا فِي نَفْسِهِ ، فَإِنْ وَجَدْتَ مَا فِي نَفْسِهِ أَكْثَرَ ؛ فَخَيْشِدْ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تُرْوَمَ زِيَادَةُ الشَّيْءِ الَّذِي بِهِ يُفْضَلُ عَلَى مَا عِنْدَكَ .

٥٦ - إِذَا كَانَ اللِّسَانُ آلَةً لَتَرْجُمَةِ مَا يَخْطِرُ فِي النَّفْسِ ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ تَسْتَعْمَلَهُ فِيمَا لَمْ يَخْطُرْ فِيهَا .

٥٧ - إِذَا كَانَ الْآبَاءُ هُمُ السَّبَبُ فِي الْحَيَاةِ ، فَعَلِمُوا الْحِكْمَةَ وَالَّذِينَ هُمُ السَّبَبُ فِي جُودَتِهَا .

٥٨ - وَشَكَا إِلَيْهِ رَجُلٌ تَعَذَّرَ الرِّزْقُ ، فَقَالَ : مَهْ ، لَا تَجَاهِدَ الرِّزْقَ جِهَادَ الْمَغَالِبِ ، وَلَا تَتَكَلَّمْ عَلَى الْقَدَرِ اتِّكَالَ الْمُسْتَقْسِمِ ؛ فَإِنَّ ابْتِغَاءَ الْفَضْلِ مِنَ السَّنَةِ ، وَالْإِجْمَالِ

(١) التُّبْلُ : الشُّرْفُ وَالْفَضِيلَةُ . (٢) د : « قَوْلُهُ » .

في الطلب من العفة ، وليست العفة دافعةً رزقاً ، ولا الحرصُ جالباً فضلاً ؛ لأن الرزق مقسوم ، وفي شدة الحرص اكتساب المآثم .

٥٩ - إذا استغنيت عن شيء فدعه وخذ ما أنت محتاج إليه .

٦٠ - العمر أقصر من أن تعلم كل ما يحسن بك علمه ؛ فتعلم الأهم فالأهم .

٦١ - مَنْ رَضِيَ بِمَا قُسِمَ لَهُ استراح قلبه وبدنه ^(١) .

٦٢ - أبعد ما يكون العبدُ من الله إذا كان همه بطنه وفرجه .

٦٣ - ليس في الحواس الظاهرة شيء أشرف من العين فلا تعطوها سؤالها ^(٢) ، فيشغلكم عن ذكر الله .

٦٤ - ارحموا ضعفاءكم فالرحمة لهم سببُ رحمة الله لكم .

٦٥ - إزالة الجبال أسهل من إزالة دولة قد أقبلت ، فاستعينوا بالله واصبروا ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء .

٦٦ - قال له عثمان في كلام تلاحياً فيه حتى جرى ذكر أبي بكر وعمر : أبو بكر وعمر خيرٌ منك ؛ فقال : أنا خيرٌ منك ومنهما ، عبدتُ الله قبلهما ، وعبدته بعدهما .

٦٧ - أوثق سلمٌ يتسلق ^(٣) عليه إلى الله تعالى أن يكون خيراً .

٦٨ - ليس المُوسِر مَنْ كان يساره باقياً عنده زماناً يسيراً ، وكان يمكن أن يفتصبه ^(٤) غيره منه ، ولا يبقى بعد موته له ؛ لكن اليسار على الحقيقة هو الباقي دائماً عند مالكه ، ولا يمكن أن يؤخذ منه ، ويبقى له بعد موته ، وذلك هو الحكمة .

٦٩ - الشرف اعتقاد المنن في أعناق الرجال ^(٥) .

(١) د : « نفسه » . (٢) ١ : « سؤالها » . (٣) تسلق الشيء : علاه .

(٤) د : « يقبضه » . (٥) المنن : اسطناع المعروف في أعناق الناس .

- ٧٠ - يضرّ الناس أنفسهم في ثلاثة أشياء : الإفراط في الأكل اتكالا على الصّحة ، وتكلفت حمل مالا يطاق اتكالا على القوة ، والتفريط في العمل اتكالا على القدر .
- ٧١ - أحزمُ الناس مَنْ ملكَ جِدّه هزله ، وقهر رأيه هواه ، وأعرب عن ضميره فعله ، ولم يخدعه رضاه عن حظه ، ولا غضبه عن كيده .
- ٧٢ - مَنْ لم يُصلحِ خلائقه ، لم ينفع النَّاسَ تأديبه .
- ٧٣ - مَنْ اتَّبَعَ هواه ضلّ ، ومن حاد ساد ، وخود الذِّكر أجمل من ذمِّم الذِّكر^(١)
- ٧٤ - لُبُّ الشُّوقِ أخفُّ حملاً من مقاساة الملالة .
- ٧٥ - بالرفق تُنال الحاجة ، وبِحُسْنِ التَّأَنِّي تسهل المطالب .
- ٧٦ - عزيمة الصّبر تطفي نارَ الهوى ، ونفى العجب يؤمن به كيد الحساد .
- ٧٧ - ماشى أحقُّ بطولٍ سيّجنٍ من لسان .
- ٧٨ - لا نذَرَ في معصيةٍ ، ولا يمينٍ في قطيعةٍ .
- ٧٩ - لكلِّ شيءٍ ثمرة ، وثمره المعروف تعجيل السّراح^(٢) .
- ٨٠ - إيتاكم والكسل ؛ فإنّه من كسل لم يؤدِّ الله حقّاً .
- ٨١ - احسبوا كلامكم من أعمالكم ، وأقلّوه إلّا في الخير .
- ٨٢ - أحسنوا صحبة النّعم فإنّها تزول ، وتشهد على صاحبها بما عمل فيها .
- ٨٣ - أكثرُوا ذكْرَ الموتِ ، ويوم خروجكم من قبوركم ، ويوم وقوفكم بين يدي الله عزّ وجلّ ، يهنّ عليكم المصاب^(٣) .

(١) د : « الفكر » .

(٢) أى تعجيل سراح طالب المعروف ، وهو قضاء حاجته ، وورد في الأثر : خير البر عاجله .

(٣) د : « تهنّ عليكم المصاب » .

٨٤ - بِحَسَبِ مُجَاهِدَةَ النَّفُوسِ وَرَدَّهَا عَنْ شَهَوَاتِهَا وَمَنْعَهَا عَنْ مَصَالِحِهَا ^(١) لَذَاتِهَا وَمَنْعَ مَا أَدَّتْ إِلَيْهِ الْعْيُونَ الطَّامِحَةَ مِنْ لِحَظَاتِهَا - تَكُونُ الْمُثُوبَاتُ وَالْعُقُوبَاتُ ؛ وَالْحَازِمُ مَنْ مَلَكَ هَوَاهُ ؛ فَسَكَانُ بِلَايِكِهِ لَهُ قَاهِرًا ؛ وَلَمَّا قَدَّحَتْ الْأَفْكَارُ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ زَاجِرًا ؛ فَمَتَى لَمْ تُرَدِّ النَّفْسُ عَنْ ذَلِكَ هَمَّ عَلَيْهَا الْفِكْرُ بِمُطَالَبَةِ مَا شُغِفَتْ ^(٢) بِهِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَأَنَسَ بِالْآرَاءِ الْفَاسِدَةِ ، وَالْأَطْمَاعِ الْكَاذِبَةِ ، وَالْأَمَانِيِّ الْمَتَلَاشِيَةِ ؛ وَكَمَا أَنَّ الْبَصَرَ إِذَا اعْتَلَّ ^(٣) رَأَى أَشْبَاحًا وَخِيَالَاتٍ لَا حَقِيقَةَ لَهَا ؛ كَذَلِكَ النَّفْسُ إِذَا اعْتَلَّتْ بِحُبِّ الشَّهَوَاتِ وَانْطَوَتْ عَلَى قَبِيحِ الْإِرَادَاتِ ، رَأَتْ الْآرَاءَ الْكَاذِبَةَ ؛ فَإِلَى اللَّهِ سَبَّحَانَهُ نَرْغَبُ فِي إِصْلَاحِ مَا فَسَدَ مِنْ قُلُوبِنَا ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ عَلَى إِرْشَادِ نَفُوسِنَا ؛ فَإِنَّ الْقُلُوبَ بِيَدِهِ يُصَرِّفُهَا كَيْفَ شَاءَ ^(٤) .

٨٥ - لَا تُؤَاخِينِ الْفَاجِرَ ؛ فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَكَ فِعْلَهُ ، وَيُودِّ لَوْ أَنَّكَ مِثْلُهُ ؛ وَيَحْسِنُ لَكَ أَقْبَحَ خِصَالِهِ ، وَمُدْخَلُهُ وَمُخْرَجُهُ مِنْ عِنْدِكَ شَيْنٌ وَعَارٌ وَنَقْصٌ ؛ وَلَا الْأَحَقُّ فَإِنَّهُ يَجْهَدُ لَكَ نَفْسَهُ وَلَا يَنْفَعُكَ ؛ وَرَبَّمَا أَرَادَ أَنْ يَنْفَعَكَ فَضَرَّكَ ؛ سَكُوتُهُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ نَطْقِهِ ، وَبَعْدَهُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ قُرْبِهِ ، وَمَوْتُهُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حَيَاتِهِ ؛ وَلَا الْكَذَّابُ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكَ مَعَهُ شَيْءٌ ؛ يَنْقُلُ حَدِيثَكَ ، وَيَنْقُلُ الْحَدِيثَ إِلَيْكَ ؛ حَتَّى إِنَّهُ لِيَحْدِثُ بِالصِّدْقِ فَلَا يَصْدَقُ .

٨٦ - مَا اسْتَفْصَى كَرِيمٌ قَطَّ ، قَالَ تَعَالَى فِي وَصْفِ نَبِيِّهِ : ﴿ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ﴾ ^(٥) .

٨٧ - رَبِّ كَلِمَةٍ يَخْتَرُهَا حَلِيمٌ مُخَافَةً مَا هُوَ شَرٌّ مِنْهَا ، وَكُفَى بِالْحَلِيمِ نَاصِرًا .

٨٨ - مَنْ جَمَعَ سِتَّ خِصَالٍ لَمْ يَدْخُلِ لِلْجَنَّةِ مَطْلَبًا ، وَلَا عَنِ النَّارِ مَهْرَبًا : مَنْ عَرَفَ اللَّهَ فَأَطَاعَهُ ، وَعَرَفَ الشَّيْطَانَ فَعَصَاهُ ، وَعَرَفَ الْحَقَّ فَاتَّبَعَهُ ، وَعَرَفَ الْبَاطِلَ فَاتَّقَاهُ ، وَعَرَفَ الدُّنْيَا فَرَفَضَهَا ، وَعَرَفَ الْآخِرَةَ فَطَلَبَهَا .

(٢) شغفت : رغبت وأغرمت .

(٤) ب : « كيفما شاء » .

(١) ب : « مسأخة » .

(٣) اعتل : أصابته الملة .

(٥) سورة التَّحْرِيمِ : ٣ .

٨٩- مَنْ اسْتَحْيَا مِنَ النَّاسِ وَلَمْ يَسْتَحْيِ مِنْ نَفْسِهِ فَلَيْسَ لِنَفْسِهِ عِنْدَ نَفْسِهِ قَدْرٌ .

٩٠- غَايَةُ الْأَدَبِ أَنْ يَسْتَحْيِيَ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ .

٩١- الْبَلَاغَةُ النَّصْرُ بِالْحُجَّةِ ، وَالْمَعْرِفَةُ بِمَوَاضِعِ الْفُرْصَةِ ، وَمِنْ الْبَصَرِ ^(١) بِالْحُجَّةِ أَنْ تَدْعَ الْإِفْصَاحَ بِهَا إِلَى الْكِنَايَةِ عَنْهَا إِذَا كَانَ الْإِفْصَاحُ أَوْعَرَ طَرِيقَةً ، وَكَانَتِ الْكِنَايَةُ أَبْلَغَ فِي الدَّرَكِ وَأَحَقَّ بِالظَّفَرِ .

٩٢- إِيَّاكَ وَالشَّهَوَاتِ ؛ وَلَيْكُنْ مِمَّا تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى كَفِّهَا عَمَلُكَ بِأَنْهَا مَلْهِيَةٌ لِعَقْلِكَ ، مَهْجَنَةٌ ^(٢) لِرَأْيِكَ ، شَائِنَةٌ لِفَرْضِكَ ، شَاغِلَةٌ لَكَ عَنْ مَعَاطِمِ أُمُورِكَ ، مُشْتَدَّةٌ بِهَا التَّبَعَةُ عَلَيْكَ فِي آخِرَتِكَ . إِنَّمَا الشَّهَوَاتُ لَعِبٌ ؛ فَإِذَا حَضَرَ اللَّعِبُ غَابَ الْجِدُّ ، وَلَنْ يَقَامَ الدِّينُ وَتَصْلَحَ الدُّنْيَا إِلَّا بِالْجِدِّ ؛ فَإِذَا ^(٣) نَازَعَتْكَ نَفْسُكَ إِلَى اللَّهْوِ وَاللَّذَاتِ ، فَاعْلَمْ أَنَّهَا قَدْ نَزَعَتْ بِكَ إِلَى شَرٍّ مَنْزَعٍ ، وَأَرَادَتْ بِكَ أَفْضَحَ الْفُضُوحِ ؛ فَغَالِبْهَا مَغَالِبَةً ذَلِكَ ، وَامْتَنِعْ مِنْهَا امْتِنَاعَ ذَلِكَ ؛ وَلَيْكُنْ مَرْجِعُكَ مِنْهَا إِلَى الْحَقِّ ؛ فَإِنَّكَ مَهْمَا تَتْرَكَ مِنَ الْحَقِّ لَا تَتْرَكَهُ إِلَّا إِلَى الْبَاطِلِ ، وَمَهْمَا تَدْعُ مِنَ الصَّوَابِ لَا تَدْعُهُ إِلَّا إِلَى الْخَطَا ؛ فَلَا تَدَاهِنَنَّ هَوَاكَ فِي الْيَسِيرِ فَيَطْمَعُ مِنْكَ فِي الْكَثِيرِ .

وَلَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا أُوتِيتَ فَاضِلًا عَمَّا يَصْلُحُكَ ؛ وَلَيْسَ لِعُمْرِكَ وَإِنْ طَالَ فَضْلٌ عَمَّا يَنْبُوكُ مِنَ الْحَقِّ اللَّازِمِ لَكَ ، وَلَا بِمَالِكَ وَإِنْ كَثُرَ فَضْلٌ عَمَّا يَجِبُ عَلَيْكَ فِيهِ ، وَلَا بِقُوَّتِكَ وَإِنْ تَمَّتْ فَضْلٌ عَنْ أَدَاءِ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ ، وَلَا بِرَأْيِكَ وَإِنْ حَزَمَ فَضْلٌ عَمَّا لَا تُعَذِّرُ بِالْخَطَا فِيهِ ؛ فَلْيَمْنَعَنَّكَ عَمَلُكَ بِذَلِكَ مِنْ أَنْ تَطِيلَ لَكَ عُمُرًا فِي غَيْرِ نَفْعٍ ، أَوْ تَضِيعَ لَكَ مَالًا فِي غَيْرِ حَقٍّ ، أَوْ أَنْ تَصْرِفَ لَكَ قُوَّةَ فِي غَيْرِ عِبَادَةٍ ، أَوْ تَعْدَلَ لَكَ رَأْيًا فِي غَيْرِ رَشْدٍ .

(١) كَذَا فِي د ، وَفِي أ ، ب : « النَّصْر » تَحْرِيفٌ .

(٢) مَهْجَنَةٌ : مَقْبَحَةٌ . (٣) د : « وَإِنْ » .

فالحفظ الحفظ لما أوتيت ، فإن بك إلى صغير ما أوتيت الكثير منه أشد الحاجة .

وعليك بما أضعته منه أشد الرزية ، ولا سيما العمر الذى كل منقذٍ سواء مستخلف . وكلّ ذاهب بعده مرتجع .

فإن كنت شاغلا نفسك بلذة فلتكن لذتك فى محادثة العلماء ودرس كتبهم ، فإنه ليس سرورك بالشهوات بالغاً منك مباهاً إلا وإكبابك على ذلك ، ونظارك فيه بالغه منك ، غير أن ذلك يجمع إلى عاجل السرور تمام السعادة ، وخلاف ذلك يجمع إلى عاجل النى وخامة العاقبة ، وقديما قيل : أسعد الناس أدرّكهم لهواه إذا كان هواه فى رشده ؛ فإذا كان هواه فى غير رشده . فقد شقى بما أدرك منه . وقديما قيل : عود نفسك الجميل ؛ فباعتياذك إياه يعود لذيدا .

٩٣ - وَكُلَّ ثَلَاثَ ثَلَاثَ : الرزق بالحق ، والحرمان بالعقل ، والبلاء بالمنطق ؛ ليعلم ابن آدم أن ليس له من الأمر شيء .

٩٤ - ثَلَاثَةٌ إِنْ لَمْ تَظْلَمْهُمْ ظَلَمُوكَ : عبدك ، وزوجتك ، وابنك . وقد روينا هذه الكلمة لأمر فيما تقدم ^(١) .

٩٥ - للمنافقين علامات يعرفون بها : تحييتهم لعنة ، وطعامهم شهمة ، وغنيمتهم غلول ، لا يعرفون للمساجد إلا هجرا ، ولا يأتون الصلاة إلا دبرا ^(٢) ؛ مستكبرون لا يألفون ولا يؤلفون ، خشب بالليل صُخب ^(٣) بالنهار .

(١) ١ : « قدمناه » . (٢) دبرا ، أى فى آخر وقتها .

(٣) فى اللسان : وفى الحديث فى ذكر المنافقين « خشب بالليل ، صخب بالنهار ؛ أراد أنهم ينامون كأنهم خشب مطرحة » .

٩٦ - الْحَسَدُ حُزْنٌ لَازِمٌ ، وَعَقْلٌ هَانِمٌ ، وَنَفْسٌ دَائِمٌ ؛ وَالنِّعْمَةُ عَلَى الْحَسُودِ نِعْمَةٌ ، وَهِيَ عَلَى الْحَاسِدِ نِقْمَةٌ .

٩٧ - يَاحِلَّةُ الْعِلْمِ ، أَتَحْمِلُونَهُ ! فَإِنَّمَا الْعِلْمُ لِمَنْ عِلِمٌ ثُمَّ عَمَلٌ ؛ وَوَافَقَ عَمَلُهُ عِلْمَهُ ، وَسَيَكُونُ أَقْوَامٌ بِحَمْلُونِ الْعِلْمِ ، لَا يَجَاوِزُ تِرَاقِيهِمْ ، تَخَالَفَ سِرِّيَّتِهِمْ عَلَانِيَتِهِمْ ، وَيَخَالَفَ عَمَلِهِمْ عِلْمَهُمْ ، يَقْعُدُونَ حَلَقًا ، فِيْبَاهِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا ؛ حَتَّى إِنْ الرَّجُلَ لِيغْضِبَ عَلَى جَلِيسِهِ أَنْ يَجْلِسَ إِلَى غَيْرِهِ ؛ أَوْلَئِكَ لَا تَصْعَدُ أَعْمَالُهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ تِلْكَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ .

٩٨ - تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ صِغَارًا تَسْوَدُّوا بِهِ كِبَارًا ؛ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَلَوْ لغيرِ اللَّهِ ؛ فَإِنَّهُ سَيَصِيرُ لِلَّهِ . الْعِلْمُ ذَكَرٌ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا ذَكَرٌ مِّنَ الرِّجَالِ .

٩٩ - لَيْسَ شَيْءٌ أَحْسَنُ مِنْ عَقْلِ زَانَةٍ عِلْمٍ ، وَمِنْ عِلْمِ زَانَةٍ حِلْمٍ ، وَمِنْ حِلْمِ زَانَةٍ صِدْقٍ ، وَمِنْ صِدْقِ زَانَةٍ رَفَقٍ ، وَمِنْ رَفَقِ تَقْوَى . إِنَّ مِلَّكَ الْعَقْلِ وَمَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ صَوْنُ الْعِرْضِ ، وَالْجِزَاءُ بِالْفَرْضِ ، وَالْأَخْذُ بِالْفَضْلِ ، وَالْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ ، وَالْإِنْجَازُ لِلْوَعْدِ . وَمَنْ حَاوَلَ أَمْرًا بِالْمَعْصِيَةِ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى مَا يَخَافُ ، وَأَبْعَدَ مِمَّا يَرْجُو .

١٠٠ - إِذَا جَرَتْ الْمَقَادِيرُ بِالسَّكَارَةِ سَبَقَتْ الْآفَةُ إِلَى الْعَقْلِ خَيْرَتَهُ ، وَأُطْلِقَتْ الْأَلْسُنُ بِمَا فِيهِ تَلَفُ الْأَنْفُسِ .

١٠١ - لَا تَصْحَبُوا الْأَشْرَارَ فَإِنَّهُمْ يَمْنُونُ عَلَيْكُمْ بِالسَّلَامَةِ مِنْهُمْ .

١٠٢ - لَا تَقْسِرُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى آدَابِكُمْ ، فَإِنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ لَزَمَانٍ غَيْرِ زَمَانِكُمْ .

١٠٣ - لَا تَطْلُبْ سُرْعَةَ الْعَمَلِ وَاطْلُبْ تَجْوِيدَهُ ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَا يَسْأَلُونَ فِي كَمِّ فَرَاغٍ مِنَ الْعَمَلِ ، إِنَّمَا يَسْأَلُونَ عَنْ جُودَةِ صَنْعَتِهِ .

١٠٤ - لَيْسَ كُلُّ ذِي عَيْنٍ يُبْصِرُ ، وَلَا كُلُّ ذِي أُذُنٍ يَسْمَعُ ، فَتَصَدَّقُوا عَلَى أَوَّلَى الْعُقُولِ الزَّمِينَةِ ^(١) ، وَالْأَلْبَابِ الْخَائِثَةِ ؛ بِالْعُلُومِ الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ صِدَقَاتِكُمْ ، ثُمَّ تَلَا : ﴿ إِنْ الَّذِينَ

يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ عَنُورٌ ﴿١﴾ .

١٠٥ - مَنْ أَتَتْ عَلَيْهِ الْأَرْبُعُونَ مِنَ السَّنِينَ قِيلَ لَهُ : خُذْ حَذْرَكَ مِنْ حُلُولِ الْمَقْدُورِ فَإِنَّكَ غَيْرُ مَعْدُورٍ ؛ وَلَيْسَ أَبْنَاءُ الْأَرْبَعِينَ بِأَحَقَّ بِالْحَذَرِ مِنْ أَبْنَاءِ الْعَشْرِينَ ؛ فَإِنَّ طَالِبَهُمَا وَاحِدٌ ، وَلَيْسَ عَنِ الطَّلَبِ بَرَأْدٌ ؛ وَهُوَ الْمَوْتُ ؛ فَاعْمَلْ لِمَا أَمَّاكَ مِنَ الْهَوْلِ ، وَدَعْ عَنْكَ زَخْرَفَ الْقَوْلِ .

١٠٦ - سُئِلَ عَنِ الْقَدَرِ فَقَالَ : أَقْصَرُ أَمْ أُطِيلُ ؟ قِيلَ : بَلْ تَقْصِرُ ، فَقَالَ : جَلَّ اللَّهُ أَنْ يُرِيدَ الْفَحْشَاءَ ، وَعَزَّ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي الْمُلْكِ إِلَّا مَا يَشَاءُ .

١٠٧ - مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَفَارِقُ الْأَخْبَابَ ، وَيَسْكُنُ التُّرَابَ ، وَيُوجِبُ الْحِسَابَ ، وَيَسْتَعْنِي عَمَّا تَرَكَ ، وَيَفْتَقِرُ إِلَى مَا قَدَّمَ ، كَانَ حَرِيًّا بِقِصَرِ الْأَمَلِ ، وَطَوَّلِ الْعَمَلِ .

١٠٨ - الْمُؤْمِنُ لَا تَحْتَطُّهُ كَثْرَةُ الْمَصَائِبِ ، وَتَوَاتُرُ النَّوَائِبِ عَنِ التَّسْلِيمِ لِرَبِّهِ وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ ، كَالْحَامَةِ الَّتِي تُوْخِذُ فِرَاحَهَا مِنْ وَكْرَهَا ثُمَّ تَعُودُ إِلَيْهِ .

١٠٩ - مَا مَاتَ مِنْ أَحْيَا عِلْمًا ، وَلَا افْتَقَرَ مِنْ مَلَكٍ فَهْمًا .

١١٠ - الْعِلْمُ صَبِغُ النَّفْسِ ، وَلَيْسَ يَفُوقُ صَبِغَ الشَّيْءِ حَتَّى يَنْظُفَ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ .

١١١ - اعْلَمْ أَنَّ الَّذِي مَدَحَكَ بِمَا لَيْسَ فَيْكَ ، إِنَّمَا هُوَ مُخَاطَبٌ غَيْرُكَ ، وَثَوَابُهُ وَجَزَاؤُهُ قَدْ سَقَطَا عَنْكَ .

١١٢ - إِحْسَانُكَ إِلَى الْحَرِّ يُحَرِّكُهُ عَلَى الْمَكَافَأَةِ ، وَإِحْسَانُكَ إِلَى النَّذْلِ يَبْعَثُهُ عَلَى مُعَاوَدَةِ الْمَسْأَلَةِ .

١١٣ - الأشرار يتتبعون مساويئ الناس ، ويتركون محاسنهم ؛ كما يتتبع الذباب
المواضع الفاسدة .

١١٤ - موت الرؤساء أسهل من رئاسة السفلة .

١١٥ - ينبغي لمن ولى أمر قوم أن يبدأ بتقويم نفسه قبل أن يشرع في تقويم
رعيته ؛ وإلا كان بمنزلة من رام استقامة ظلّ العود قبل أن يستقيم ذلك العود .
١١٦ - إذا قوى الوالى في عمله حرّ كتمه ولايته على حسب ماهو مركز في طبعه
من الخير والشر .

١١٧ - ينبغي للوالى أن يعمل بخصال ثلاث : تأخير العقوبة منه في سلطان
الغضب ، والأناة فيما يرتثيه ^(١) من رأى ، وتعجيل مكافأة الحسن بالإحسان ؛ فإن في
تأخير العقوبة إمكان العفو ، وفي تعجيل المكافأة بالإحسان طاعة الرعية ، وفى الأناة
انفساح رأى وتمدّد العاقبة ووضوح الصواب .

١١٨ - من حقّ العالم على المتعلم ألاّ يُكثّر عليه السؤال ، ولا يُعنتّه في الجواب ،
ولا يُلحّ عليه إذا كسل ، ولا يُفشى له سرّاً ، ولا يفتابّ عنده أحداً ، ولا يطلب
عثرته ، فإذا زلّ تأنّيت أوبته ^(٢) ، وقيلت معذرتة ، وأنّ تُعظّمه وتوقّره ما حفظ
أمر الله وعظّمه ، وألاّ تجلس أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت غيرك إلى خدمته فيها .
ولا تضجرّن من صحبتته ؛ فإنما هو بمنزلة النحلة يُنتظر متى يسقط عليك منها منفعة . وخصّه
بالتّحية ، واحفظ شاهدته وغائبه ؛ وليكن ذلك كلّ الله عزّ وجلّ ، فإنّ العالم أفضل من
الصائم القائم المجاهد في سبيل الله . وإذا مات العالم تُلم في الإسلام ثلثة لا يسدّها
إلاّ خلف منه . وطالب العلم تُشيّع الملائكة حتى يرجع .

(١) يرتثيه ، اتصال من الرأى ، أى فيما يفكر فيه ، وفى د : « يريه » .

(٢) زلّ : عثر . وأوبته ، أى رجوعه إلى الحق .

١١٩ - وَصُولُ مُعَدِّمٍ خَيْرٌ مِنْ جَافٍ^(١) مُكْثِرٍ ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ مَا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ فَلْيَنْظُرْ مَا لِلَّهِ عِنْدَهُ .

١٢٠ - لَقَدْ سَبَقَ إِلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ أَقْوَامٌ مَا كَانُوا أَكْثَرَ النَّاسِ صَلَاةً وَلَا صِيَامًا وَلَا حَجًّا وَلَا عِمَارًا ؛ وَلَكِنْ عَقَلُوا عَنْ اللَّهِ أَمْرَهُ فَخَسِنَتْ طَاعَتُهُمْ ، وَصَحَّ وَرَعُهُمْ وَكَمَلَ يَقِينُهُمْ ؛ فَفَاقُوا غَيْرَهُمْ بِالْحِطْوَةِ وَرَفِيعِ الْمَنْزَلَةِ .

١٢١ - مِمَّنْ عَبَّدَ إِلَّا وَمَعَهُ مَلَكٌ يَقِيهِ مَا لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ ، فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلَّاهُ وَإِيَّاهُ .

١٢٢ - إِنْ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ أَدَبَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^(٢) ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ تَأَدَّبَ ، قَالَ لَهُ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(٣) ، فَلَمَّا اسْتَحْكَمَ لَهُ مِنْ رَسُولِهِ مَا أَحَبَّ قَالَ : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾^(٤) .

١٢٣ - كُنْتُ أَنَا وَالْعَبَّاسُ وَعَمْرٌ تَتَذَكَّرُ الْمَعْرُوفَ ، فَقُلْتُ : أَنَا : خَيْرُ الْمَعْرُوفِ سِتْرُهُ ، وَقَالَ الْعَبَّاسُ : خَيْرُهُ تَصْغِيرُهُ ، وَقَالَ عَمْرٌ : خَيْرُهُ تَعْجِيلُهُ ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ، فَقَالَ : فِيمَ أَنْتُمْ ؟ فَذَكَرْنَا لَهُ ، فَقَالَ : خَيْرُهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا كُلُّهُ فِيهِ .

١٢٤ - الْعَفْوُ يَفْسِدُ مِنَ اللَّثِيمِ بِقَدْرِ مَا يَصْلِحُ مِنَ الْكَرِيمِ .

١٢٥ - إِذَا خَبِثَ الزَّمَانُ كَسَدَتِ الْفَضَائِلُ وَضُرَّتْ ، وَنَفَقَتِ الرِّذَائِلُ وَنَفَعَتْ ، وَكَانَ خَوْفُ الْمَوْسِرِ أَشَدَّ مِنْ خَوْفِ الْمَعْسِرِ .

١٢٦ - انْظُرْ إِلَى الْمُتَنَصِّحِ^(٥) إِلَيْكَ ، فَإِنْ دَخَلَ مِنْ حَيْثُ يُضَارُّ النَّاسَ فَلَا تَقْبَلْ .

(١) الوصول ، فعول ؛ من الصلابة ، وهى العطية والجافى ضد الوصول .

(٢) سورة البقرة ٦٧ .

(٣) سورة القلم ٤٠ .

(٤) سورة الأعراف ١٩٩ .

(٥) المتنصح : المشبه بالنصحاء .

نصيحتته وتحرز منه ، وَإِنْ دَخَلَ مِنْ حَيْثُ الْعَدْلُ وَالصَّلَاحُ فَاقْبَلْهَا مِنْهُ .

- ١٢٧ - أعداء الرَّجُلِ قَدْ يَكُونُونَ أَنْفَعَ مِنْ إِخْوَانِهِ ، لِأَنَّهُمْ يَهْدُونَ إِلَيْهِ عِيُوبَهُ فَيَتَجَنَّبُهَا وَيَخَافُ شِمَاتِهِمْ بِهِ فَيَضْبِطُ نَعْمَتَهُ وَيَتَحَرَّزُ مِنْ زَوَالِهَا بِغَايَةِ طَوْقِهِ .
- ١٢٨ - الْمِرْآةُ الَّتِي يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ فِيهَا إِلَى أَخْلَاقِهِ هِيَ النَّاسُ ، لِأَنَّهُ يَرَى مُحَاسِنَهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ مِنْهُمْ ، وَمَسَاوِيَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ فِيهِمْ .

١٢٩ - انْظُرْ وَجْهَكَ كُلَّ وَقْتٍ فِي الْمِرْآةِ ؛ فَإِنْ كَانَ حَسَنًا فَاسْتَقْبِحْ أَنْ تُضَيِّفَ إِلَيْهِ فِعْلًا قَبِيحًا وَتُشِينَهُ بِهِ ، وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا فَاسْتَقْبِحْ أَنْ تَجْمَعَ بَيْنَ قُبْحَيْنِ .

١٣٠ - مَوْقِعُ الصَّوَابِ مِنَ الْجَهْلِ مِثْلُ مَوْقِعِ الْخَطَا مِنَ الْعِلْمِ .

١٣١ - ذَكَ قَلْبِكَ بِالْأَدَبِ كَمَا تَذَكَّى النَّارُ بِالْحَطَبِ .

١٣٢ - كَفَرِ النِّعْمَةَ لَوْمْ ، وَصَحْبَةَ الْجَاهِلِ شَوْمٌ .

١٣٣ - عَادِيَتْ مِنْ مَارِيَتْ .

١٣٤ - لَا تُصْرِمُ^(١) أَخَاكَ عَلَى ارْتِيَابٍ ، وَلَا تَقْطَعْهُ دُونَ اسْتِعْتَابٍ :

١٣٥ - خَيْرُ الْمَقَالِ مَا صَدَّقَهُ الْفَعَالُ .

١٣٦ - إِذَا لَمْ تَرْزُقْ غِنًى فَلَا تُحْرَمَنَّ تَقْوَى .

١٣٧ - مَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا لَمْ يَحْزَنْ لِلْبُلُوِّ .

١٣٨ - دَعِ الْكَذِبَ تَكْرَمًا إِنْ لَمْ تَدَّعُهُ تَأْتُمًا .

١٣٩ - الدُّنْيَا طَوَاحُةٌ طَرَا حَةُ فَضَاحَةٌ ، أَسِيَّةٌ جَرَا حَةٌ .

١٤٠ - الدُّنْيَا جَمَّةُ الْمَصَائِبِ ، مُرَّةُ الْمَشَارِبِ ، لَا تَمْتَنِعُ صَاحِبًا بِصَاحِبٍ .

١٤١ - الْمُعْتَذِرُ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ ، يُوجِبُ عَلَى نَفْسِهِ الذَّنْبَ .

(١) لَا تُصْرِمُ : لَا تَقْطَعْ ، أَيْ لَا تَهْجِرْهُ لِمُجَرَّدِ التَّهْمَةِ ، بِغَيْرِ مَثْبُوحٍ تَقْصِيرِهِ .

- ١٤٢ - من كسل لم يؤدِّ حقًا .
- ١٤٣ - كثرة الجدال تورثُ الشكَّ .
- ١٤٤ - خير القلوب أوعاها .
- ١٤٥ - الحياءُ لباسٌ سابغٌ ، وحجابٌ مانعٌ ، وسِتْرٌ من المساوىءِ واقٍ ، وحليفٌ للدين ، وموجبٌ للمحبة ، وعَيْنٌ كاللثة تَدُوْدُ عن الفسادِ ، وتنبِى عن الفحشاء . والعجلة فى الأمور مَكْسَبَةٌ للمذلةِ ، وزِمَامٌ لِلنِّدَامَةِ ، وَسَلْبٌ لِلْمُرُوَّةِ ، وَشَيْنٌ لِلْحِجَى ؛ ودَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِ الْعَقِيْدَةِ .
- ١٤٦ - إذا بلغ المرءُ من الدنيا فوق قدره تَنَكَّرَتِ للناسِ أخلاقُهُ .
- ١٤٧ - لا تصحب الشَّرَّيرَ فَإِنَّ طَبْعَكَ يَسْرِقُ من طبعه شَرًّا وأنت لا تعلم .
- ١٤٨ - موتُ الصالح راحةٌ لنفسه ، وموتُ الطالح راحةٌ للناسِ .
- ١٤٩ - ينبغى للعاقل أن يتذكَّرَ عند حلاوة الغداءِ مرارةَ الدواءِ .
- ١٥٠ - إِنْ حَسَدَكَ أَحَدٌ من إخوانك على فضيلةٍ ظهرت منك فسعى فى مكروهك فلا تقابله بمثل ما كلفك به ، فتعذِّر نفسه فى الإساءة إليك ، وتشرع له طريقاً إلى ما يُحِبُّهُ فبك ؛ لكن اجتهِدْ فى التَّزْيِيدِ من تلك الفضيلة التى حَسَدَكَ عليها ؛ فإنك تسوِّءُهُ من غير أن تُوجِدَهُ حجةً عليك .
- ١٥١ - إذا أردت أن تعرف طبع الرَّجُلِ فاسْتَشِرَّهُ ، فإنك تتف من مشورته على عدله وجَوْرِهِ ، وخَيْرِهِ وشَرِّهِ .
- ١٥٢ - يَحِبُّ عَلَيْكَ أَنْ تُشْفِقَ على وَلَدِكَ أكثر من إشفاقه عليك .
- ١٥٣ - زمان الجائر من السلاطين والولاة أقصرُ من زمان العادل ، لأنَّ الجائر مفسِدٌ ، والعادل مصلح ، وإفساد الشيء أشرع من إصلاحه .

١٥٤ - إذا خدمت رئيساً فلا تلبس مثل ثوبه ، ولا تركب مثل مراكبه ، ولا تستخدم كخدمته ، فمساك تسلم منه .

١٥٥ - لا تحدث بالعلم السفهاء فيكذبوك ، ولا الجهال فيستنقلوك ، ولكن حدث به من يتلقاه من أهله بقبول وفهم يفهم عنك ما تقول ، ويحكم عليك ما يسمع ؛ فإن لعلمك عليك حقاً ؛ كما أن عليك في مالك حقاً ؛ بذله لمستحقه ، ومنعه عن غير مستحقه .

١٥٦ - اليقين فوق الإيمان ، والصبر فوق اليقين ؛ ومن أفرط رجاؤه غلبت الأمانى على قلبه واستعبده .

١٥٧ - إياك وصاحب السوء ؛ فإنه كالسيف كالسلول يروق منظره ، ويقبح أثره .

١٥٨ - يابن آدم ، احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تمنى الموت فيها فلا تجده .

١٥٩ - من أخطأ سهم المنية قيده الهرم .

١٦٠ - من سمع بفاحشة فأبداها كان كمن أتاها .

١٦١ - العاقل من أنهم رأيه ولم يثق بما سألته له نفسه .

١٦٢ - من سامح نفسه فيما يحب أتعبها فيما لا يحب .

١٦٣ - كفى ماضى مخبراً عما بقى ، وكفى عبراً لذوى الأبواب ما جربوا .

١٦٤ - أمر لا تدري متى يفشاك ؛ ما يملك أن تستعد له قبل

أن يفجأك !

- ١٦٥ - ليس في البرق الخاطف مُسْتَمْتَعٌ^(١) لمن يخوض في الظلمة .
- ١٦٦ - إِذَا أَعْجَبَكَ مَا يَتَوَاصَفُهُ النَّاسُ مِنْ تَحَاسِنِكَ ، فَانْظُرْ فِيمَا بَطْنُ مَنْ مَسَاوِيكَ ؛ وَلَتَكُنْ مَعْرِفَتُكَ بِنَفْسِكَ أَوْثَقَ عِنْدَكَ مِنْ مَدْحِ الْمَادِحِينَ لَكَ .
- ١٦٧ - مَنْ مَدَحَكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ مِنَ الْجَمِيلِ وَهُوَ رَاضٍ عَنْكَ ذَمُّكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ مِنَ الْقَبِيحِ وَهُوَ سَاخِطٌ عَلَيْكَ .
- ١٦٨ - إِذَا تَشَبَّهَ صَاحِبُ الرِّيَاءِ بِالْمُخْلِصِينَ فِي الْمَهِيئَةِ كَانَ مِثْلَ الْوَارِمِ الَّذِي يَوْمُ النَّاسِ أَنَّهُ سَمِينٌ ؛ فَيَظُنُّ النَّاسُ ذَلِكَ فِيهِ وَهُوَ يَسْتَرِ مَا يَلْقَى مِنَ الْأَلَمِ - التَّابِعِ لِلْوَرَمِ .
- ١٦٩ - إِذَا قَوِيَتْ نَفْسُ الْإِنْسَانِ انْقَطَعَ إِلَى الرَّأْيِ ، وَإِذَا ضَعُفَتْ انْقَطَعَ إِلَى الْبَخْتِ .
- ١٧٠ - الرِّغْبَةُ إِلَى الْكَرِيمِ تُحَرِّكُهُ عَلَى الْبَذْلِ ، وَإِلَى الْخَسِيسِ تُفْرِيه بِالْمَنْعِ .
- ١٧١ - خِيَارُ النَّاسِ يَتَرَفَعُونَ عَنْ ذِكْرِ مَعَايِبِ النَّاسِ ، وَيَتَهَمُونَ الْمُخْبِرَ بِهَا ، وَيَأْتُرُونَ^(٣) الْفَضَائِلَ ، وَيَتَعَصَّبُونَ لِأَهْلِهَا ، وَيَسْتَعْرِضُونَ مَا تَرَى الرُّؤُسَاءُ ، وَإِفْضَالَهُمْ عَلَيْهِمْ ، وَيُطَايِبُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْكَافَاةِ عَلَيْهَا وَحُسْنِ الرَّعَايَةِ لَهَا .
- ١٧٢ - لِكُلِّ شَيْءٍ قُوَّةٌ ، وَأَنْتُمْ قُوَّةُ الْهَوَامِّ ؛ وَمَنْ مَشَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ فَإِنَّ مَصِيرَهُ إِلَى بَطْنِهَا .
- ١٧٣ - مَنْ كَرَّمَ الْمَرْءَ بِكَأْوِهِ عَلَى مَا مَضَى مِنْ زَمَانِهِ ، وَحَنِينُهُ إِلَى أَوْطَانِهِ ، وَحِفْظُهُ قَدِيمَ إِخْوَانِهِ .

(٢) الخسيس : اللئيم البعيد عن مكارم الأخلاق .

(١) مستمتع : موضع متعة .

(٣) يأترون بها : يستأثرون بها .

- ١٧٤ - وَمِنْ دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا قَدْ قَصَّرْنَا عَنْ بُلُوغِ طَاعَتِكَ فَقَدْ تَمَسَّكْنَا مِنْ طَاعَتِكَ بِأَحَبِّهَا إِلَيْكَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ جَاءَتْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِكَ .
- ١٧٥ - أَصَابَتِ الدُّنْيَا مِنْ أَمْنِهَا وَأَصَابَ الدُّنْيَا مِنْ حَذَرِهَا .
- ١٧٦ - وَوَقَفَ عَلَى قَوْمٍ أُصِيبُوا بِمَصِيبَةٍ ، فَقَالَ : إِنْ تَجَزَّعُوا فَحَقَّ الرَّحِمُ بِلَفْتَمُ ، وَإِنْ تَصَبَّرُوا فَحَقَّ اللَّهُ أَذْيَمُ .
- ١٧٧ - مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ عَشْرُ خِصَالٍ : السَّخَاهُ ، وَالْحَيَاءُ ، وَالصَّدْقُ ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ ، وَالتَّوَاضُعُ ، وَالغَيْرَةُ ، وَالشَّجَاعَةُ ، وَالْحِلْمُ ، وَالصَّبْرُ ، وَالشُّكْرُ .
- ١٧٨ - مِنْ أَدَاءِ الْأَمَانَةِ الْمَكْفَاةُ عَلَى الصَّنِيعَةِ لِأَنَّهَا كَالْوَدِيعَةِ عِنْدَكَ .
- ١٧٩ - الْخَيْرُ النَّفْسُ تَكُونُ الْحَرَكَةُ فِي الْخَيْرِ عَلَيْهِ سَهْلَةٌ مُتَيْسِرَةٌ ، وَالْحَرَكَةُ فِي الْإِضْرَارِ عَسْرَةٌ بَاطِيئَةٌ ، وَالشَّرُّ يَرُوبُضُ بِالضَّدِّ مِنْ ذَلِكَ .
- ١٨٠ - الْبُخْلَاءُ مِنَ النَّاسِ يَكُونُ تَغَافُلُهُمْ عَنْ عَظِيمِ الْجُرْمِ أَسْهَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْمَكْفَاةِ عَلَى يَسِيرِ الْإِحْسَانِ .
- ١٨١ - مِثْلُ الْإِنْسَانِ الْحَصِيفِ ^(١) مِثْلُ الْجَسْمِ الصَّلْبِ الْكَثِيفِ ، يَسْخُنُ بَطْنًا ، وَتَبْرُدُ تِلْكَ السَّخُونَةُ بِأَطْوَلِ مِنْ ذَلِكَ الزَّمَانِ .
- ١٨٢ - ثَلَاثَةٌ يُرْحَمُونَ : عَاقِلٌ يَجْرِي عَلَيْهِ حُكْمُ جَاهِلٍ ، وَضَعِيفٌ فِي يَدِ ظَالِمٍ قَوِيٍّ ، وَكَرِيمٌ قَوْمٍ أَحْتَاجَ إِلَى لَثِيمٍ .
- ١٨٣ - مَنْ صَحَبَ السُّلْطَانَ وَجِبَ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ كِرَاكِبِ الْبَحْرِ ، إِنْ سَلِمَ بِجَسْمِهِ مِنَ الْفَرَقِ لَمْ ، يَسْلَمْ بِقَلْبِهِ مِنَ الْفَرَقِ ^(٢) .

(١) الْحَصِيفُ : الْمَتَمَكِّنُ مِنْ نَفْسِهِ ، الْمُسْتَحْكِمُ عَقْلَهُ .

(٢) الْفَرَقُ : الْخَوْفُ .

١٨٤ - لا تقبلنَّ في استعمالِ عمَّا لكَ وأمرائكِ شفاعَةً إِلَّا شفاعَةً الكفايةِ والأمانةِ .

١٨٥ - إذا استشارَكَ عدوكَ فخرِّدْ لَهُ النصيحةَ ، لِأَنَّهُ باستشارتكِ قدَّ خَرَجَ مِنْ عدواتكِ ودخلَ في مودَّتكَ .

١٨٦ - العدلُ صورةٌ واحدةٌ ، والجورُ صورٌ كثيرةٌ ؛ ولهذا سهلَ ارتكابُ الجورِ وصعبَ تحرُّى العدلِ ؛ وهما يشبهانِ الإصابةَ في الرِّمائيةِ والخطأَ فيها ؛ وإن الأصابةَ تحتاجُ إلى ارتياضٍ^(١) وتعهُّدٍ ، والخطأُ لا يحتاجُ إلى شيءٍ من ذلك .

١٨٧ - لا يُخطئُ المخلصُ في الدعاءِ إِحْدَى ثلاثٍ : ذنبٌ يَغْفِرُ ، أو خيرٌ يُعْجَلُ ، أو شرٌّ يُؤَجَّلُ .

١٨٨ - لا ينتصفُ ثلاثةٌ مِنْ ثلاثةٍ : بَرٌّ مِنْ فَاجِرٍ ، وعَاقِلٌ مِنْ جَاهِلٍ ، وَكَرِيمٌ مِنْ لَئِيمٍ .

١٨٩ - أشرفُ الملوكِ مَنْ لم يخالطهُ البَطَرُ . ولمْ يَحُلْ عن الحقِّ ، وأغْنَى الأغنياءِ مَنْ لمْ يَكُنْ للحِرْصِ أَسِيرًا ، وخَيْرُ الأصدقاءِ مَنْ لمْ يَكُنْ على إِخْوَانِهِ مُستَصْعَبًا ، وخَيْرُ الأخلاقِ أَعُونُهَا على التَّقَى والوَرَعِ .

١٩٠ - أربعُ القليلِ مِنْهُمْ كثيرٌ : النارُ ، والعداوةُ ، والمرضُ ، والفقرُ .

١٩١ - أربعةٌ مِنَ الشَّقَاءِ : جارُ السَّوءِ ، وولدُ السَّوءِ ، وامْرَأَةُ السَّوءِ ، والمنزلُ الضَّيقُ .

١٩٢ - أربعةٌ تدعو إلى الجَنَّةِ : كتمانُ المصيبةِ ، وَكِتمانُ الصدقةِ ، وَبرُّ الوالدينِ ، والإِكثارُ من قولِ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ .

(١) ارتياض : مران .

١٩٣ - لا تصحب الجاهل؛ فإن فيه خصالاً، فاعرفوه بها : يغضب من غير غضب، ويتكلم في غير نفع، ويُعطي في غير موضع الإعطاء، ولا يعرف صديقه من عدوه، ويفشى سرّه إلى كلّ أحد.

١٩٤ - إيتاك ومواقف الاعتذار؛ فربّ عنبر أثبت الحجّة على صاحبه وإن كان بريئاً.

١٩٥ - الصراطُ ميدانٌ يكثرُ فيه العنارُ؛ فالسلم ناجٍ، والعائرُ هالكٌ.

١٩٦ - لا يعرفُ الفضلَ لأهل الفضل إلا أولو الفضل.

١٩٧ - إنَّ لله عباداً في الأرض كأنما رأوا أهل الجنة في جنتهم وأهل النار في نارهم: اليقين وأنواره لامةٌ على وجوههم. قلوبهم محزونة، وشروئهم مأمونة، وأنفسهم عفيفة، وحوادثهم خفيفة؛ صبروا أياماً قليلةً لراحةٍ طويلة؛ أما الليل فصافون أقدامهم^(١)، تجري دموعهم على خدودهم، ينجأرون^(٢) إلى الله سبحانه بأدعيتهم، قد حلا في أفواههم، وحلا في قلوبهم طعمُ مناجاته ولذيقُ الخلوة به؛ قد أقسم الله على نفسه بجلال عزته ليُورثهم المقام الأعلى في مقعد صدق عنده، وأما نهارهم فخلاء علماء، بررة، أتقياء، كالقديح ينظر إليهم الناظر فيقول : مرضى؛ وما بالقوم من مرضٍ، أو يقول : قد خولطوا؛ ولعمري لقد خالطهم أسر عظيم جليل.

١٩٨ - عاتبه عثمان فأكثر وهو ساكت، فقال : مالك لا تقول ! قال : إن قلت لم أقل إلا ما تكره، وليس لك عندي إلا ما تحب.

١٩٩ - بُليتُ في حربِ الجبل بأشدّ الخلقِ شجاعةً، وأكثَرِ الخلقِ ثروةً وبذلاً، وأعظمِ الخلقِ في الخلقِ طاعةً، وأوفى الخلقِ كيدا وتكثراً^(٣)؛ بُليتُ بالزبير، لم يردّ وجهه قطّ،

(١) صافون أقدامهم، كناية عن كونهم مصليين. (٢) جأر الرجل إلى الله : تفسر.

(٣) ١ : د ونكبرا.

وبيعلى بن منية يحمل المال على الإبل الكثيرة ويعطى كل رجل ثلاثين دينارا وفرساً على أن يقاتلني^(١)، وبعائشة ما قالت قط بيدها هكذا إلا واتبعها الناس ، وبطلحة لا يدرك غوره^(٢)، ولا يطال مكره .

٢٠٠ - بعث عثمان بن حنيف إلى طلحة والزبير ، فعاد فقال : يا أمير المؤمنين ، جئتكم بالخبيبة ، فقال : كلاً ! أصبت خيراً وأجرت ، ثم قال : إن من العجب انقيادها لأبي بكر وعمر وخلافهما على^(٣) ؛ أما والله إنهما ليعلمان أنى لستُ بدون واحدٍ منهما ، اللهم عليك بهما .

٢٠١ - الرزق مقسومٌ ، والأيامُ دُولٌ ، والناسُ شرعٌ^(٤) سواء ؛ آدم أبوهم ، وحواء أمهم .

٢٠٢ - قوتُ الأجسام الغذاء ، وقوتُ العقول الحكمة ، فتنى فقدَ واحدٍ منهما قوته بار واضمحَل .

٢٠٣ - الصبر على مشقة العباد^(٥) يترقى بك إلى شرف الفوز الأكبر .

٢٠٤ - الرُّوحُ حياةُ البدن والعقل حياةُ الروح .

٢٠٥ - حقيق بالإنسان^(٦) أن يخشى الله بالغيب ، ويحرس نفسه من العيب ، ويزداد خيراً مع الشيب .

٢٠٦ - أفضلُ الولاة من بقى بالعدل ذكره ، واستمده من يأتى بعده .

٢٠٧ - قدّم العدل على البطش تظفر بالحبّة ، ولا تستعمل الفعل حيث ينجم^(٧) القول .

(١) يقال : بئر لا يدرك غورها ؛ إذا كانت عميقة جداً ، والمراد هنا أنه لا يعرف ما فى أطواء نفسه .

(٢) شرع ، أى متساوون (٣) د : « العبادة » .

(٤) ب : « الاحسان » : تحريف . (٥) ينجم : ينفع .

٢٠٨ - البخیلُ یسخر من عِرضه بمقدار ما یبخل به من ماله ، والسخیُّ یبخل من عِرضه بمقدار ما یسخر به من ماله .

٢٠٩ - فَضَّلَ الْعَقْلُ عَلَى الْهَوَى ، لِأَنَّ الْعَقْلَ یُمَلِّكُكَ الزَّمَانَ ، وَالْهَوَى یُسْتَعْبِدُكَ لِلزَّمَانِ .

٢١٠ - كُلُّ مَا حَمَلْتَ عَلَيْهِ الْخُرَّ احْتَمَلَهُ ، وَرَأَاهُ زِيَادَةً فِي شَرِّهِ ، إِلَّا مَا حَاطَهُ جِزَاءٌ^(١) مِنْ حَرِيقَتِهِ ، فَإِنَّهُ يَأْبَاهُ وَلَا یُجِيبُ إِلَيْهِ .

٢١١ - إِذَا مَنَعَكَ اللَّئِيمُ الْبِرَّ مَعَ إِعْظَامِهِ حَقِّكَ ، كَانَ أَحْسَنَ مِنْ بَذْلِ السَّخِيِّ لَكَ إِيَّاهُ مَعَ الْاسْتِخْفَافِ بِكَ

٢١٢ - الْمَلِكُ كَالنَّهْرِ الْعَظِيمِ ، تَسْتَمِدُّ مِنْهُ الْجَدَاوِلُ ؛ فَإِنْ كَانَ عَذْبًا عَذُبَتْ ، وَإِنْ كَانَ مَلْحًا مَلَحَتْ .

٢١٣ - الْفَرْقُ بَيْنَ السَّخَاءِ وَالتَّبَذِيرِ أَنَّ السَّخِيَّ یَسْمَحُ بِمَا یَعْرِفُ مَقْدَارَهُ وَمَقْدَارَ الرِّغْبَةِ فِيهِ إِلَيْهِ ، وَیَضَعُهُ بِحَيْثُ یُحْسِنُ وَضْعَهُ ، وَتَزْكُو عَارِفَتُهُ ، وَالْمُبْذِرُ یَسْمَحُ بِمَا لَا یَوَازِنُ بِهِ رَغْبَةَ الرَّائِبِ ، وَلَا حَقَّ الْقَاصِدِ ؛ وَلَا مَقْدَارَ مَا أَوَّلَى ، وَیَسْتَفْزُهُ^(٢) لِذَلِكَ خَطَرُهُ مِنْ خَطَرَاتِهِ ، وَالتَّصَدَّى لِإِطْرَاءِ مُطَرِّ لَه بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ .

٢١٤ - لَا تُلَاجِ الْغَضْبَانَ ؛ فَإِنَّكَ تَقْلُقُهُ^(٣) بِاللَّجَاجِ ، وَلَا تَرُدُّهُ إِلَى الصَّوَابِ .

٢١٥ - لَا تَفْرَحْ بِسَقْطَةِ غَيْرِكَ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا تَتَصَرَّفُ الْأَيَّامُ بِكَ !

٢١٦ - قَلِيلُ الْعِلْمِ إِذَا وَقَرَّ فِي الْقَابِ كَالطَّلِّ یَصِيبُ الْأَرْضَ الْمُطْمَئِنَّةَ فَتَعْشِبُ .

٢١٧ - مِثْلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي یَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمِثْلِ الْأُتْرُجَّةِ ریحُهَا طِيبٌ ، وَطَعْمُهَا

(٢) استنزفه : أخرجه .

(١) ب : « جزاء » .

(٣) تقلقه : تحركه .

طَيِّب ؛ ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل الريحانة ، ريحها طيب وطعمها مُرٌّ ،
ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مُرٌّ ولا ريح لها .

٢١٨ - المؤمن إذا نظر اعتبر ، وإذا سكت تفكَّر ، وإذا تكلم ذكر ، وإذا
استغنى شكر ، وإذا أصابته شدة صبر ، فهو قريب الرضا ، بعيد السخط ؛ يرضيه عن
الله اليسير ، ولا يسخطه البلاء الكثير ؛ قوته لا تبلغ به ، ونيته تبلغ ، مغموسة في الخير
يده ، ينوى كثيراً من الخير ، ويعمل بطائفة منه ، ويتلف على ما فاته من الخير
كيف لم يعمل به !

والمنافق إذا نظر لها ، وإذا سكت معها ، وإذا تكلم لنا ، وإذا أصابه شدة شكاً ؛
فهو قريب السخط بعيد الرضا ، يسخطه على الله اليسير ، ولا يرضيه الكثير ،
قوته تبلغ ، ونيته لا تبلغ ، مغموسة في الشر يده ، ينوى كثيراً من الشر ، ويعمل
بطائفة منه فيتلف على ما فاته من الشر كيف لم يأمر به ، وكيف لم يعمل به !

على لسان المؤمن نورٌ يسطع ، وعلى لسان المنافق شيطانٌ ينطق .
٢١٩ - سوء الظن يدوى ^(١) القلوب ، ويتهيم المأمون ، ويوحش المستأنس ،
ويغير مودة الإخوان .

٢٢٠ - إذا لم يكن في الدنيا إلا محتاج فأغنى الناس أقدعهم بما رزق .
٢٢١ - قيل له : إن درءك صدر لا ظهر لها ، إننا نخاف أن توتى من قبل
ظهرك ، فقال :
إذا وليت فلا واءلت ^(٢) .

٢٢٢ - أشد الأشياء الإنسان ، لأن أشدها - فيما يرى - الجبل ، والحديد

(١) يدوى : يصيبه بالداء . والدوى : المرض ؛ وأدويته : أمراضه .

(٢) واءل : خلص ونجا .

ينحتُ الجبل ، والفَّارُ تأكل الحديد ، والماءُ يُطفى النَّارَ ، والسحابُ يَحْمِلُ الماءَ ، والرَّيحُ يُفرِّقُ السحابَ ، والإنسانُ يَتَّقَى مِنَ الرَّيحِ .

٢٢٣ - إِنَّمَا النَّاسُ فِي نَفْسٍ مَدُودٍ ، وَأَمَلٍ مَدُودٍ ، وَأَجَلٍ مَحْدُودٍ ، فَلَا بُدَّ لِلْأَجَلِ أَنْ يَتَنَاهَى ، وَلِلنَّفْسِ أَنْ يُحْصَى ، وَلِلْأَمَلِ أَنْ يَنْقُضَى ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ ^(١) .

٢٢٤ - اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا لِي سِجْنًا ، وَلَا فِرَاقَهَا عَلَيَّ حُزْنًا ؛ أَعُوذُ بِكَ مِنْ دُنْيَا تَحْرِمُنِي الْآخِرَةَ ، وَمِنْ أَمَلٍ يَحْرِمُنِي الْعَمَلَ ، وَمِنْ حَيَاةٍ تَحْرِمُنِي خَيْرَ الْمَمَاتِ .

٢٢٥ - تَعَطَّرُوا بِالْإِسْتِغْفَارِ لَا تَفْضَحْكُمْ رَائِحَةُ الذُّنُوبِ .

٢٢٦ - لِلنَّكَبَاتِ غَايَاتٌ تَنْتَهِي إِلَيْهَا ، وَدَوَاوِهَا الصَّبْرُ عَلَيْهَا وَتَرْكُ الْحِيلَةِ فِي إِزَالَتِهَا ؛ فَإِنَّ الْحِيلَةَ فِي إِزَالَتِهَا قَبْلَ انْقِضَاءِ مَدَّتِهَا سَبَبٌ لَزِيَادَتِهَا .

٢٢٧ - لَا يَرْضَى عَنْكَ الْحَاسِدُ حَتَّى يَمُوتَ أَحَدُكُمَا .

٢٢٨ - لَا يَكُونُ الرَّجُلُ سَيِّدَ قَوْمِهِ حَتَّى لَا يُبَالِيَ أَى ثَوْبٍ بِهِ لَبَسَ !

٢٢٩ - كَتَبَ إِلَى عَامِلٍ لَهُ : اْعْمَلْ بِالْحَقِّ لِيَوْمٍ لَا يَقْضَى فِيهِ إِلَّا بِالْحَقِّ .

٢٣٠ - نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ يَفْتَابُ آخَرَ عِنْدَ ابْنِهِ الْحَسَنِ ، فَقَالَ : يَا بَنِيَّ نَرُّهُ سَمْعَكَ عَنْهُ ؛ فَإِنَّهُ نَظَرَ إِلَى أَخْبَثِ مَافِي وَعَائِهِ فَأَفْرَغَهُ فِي وَعَائِكَ .

٢٣١ - احْذَرُوا الْكَلَامَ فِي مَجَالِسِ الْخَوْفِ ، فَإِنَّ الْخَوْفَ يُذْهِلُ الْعَقْلَ الَّذِي مِنْهُ نَسْتَمِدُّ ، وَيَشْغَلُهُ بِحِرَاسَةِ النَّفْسِ عَنْ حِرَاسَةِ الْمَذْهَبِ الَّذِي نَرُومُ نُصْرَتَهُ . واحْذَرِ الْغَضَبَ مَنْ يَحْمِلُكَ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ مِمَّتٌ لِلْخَوَاطِرِ ^(٢) ، مَانِعٌ مِنَ التَّثَبُّتِ . واحْذَرِ مَنْ تَبِعَضُّهُ فَإِنَّ بَغْضَكَ لَهُ يَدْعُوكَ إِلَى الضَّجْرِ بِهِ ؛ وَقَلِيلُ الْغَضَبِ كَثِيرٌ فِي أَذَى النَّفْسِ وَالْعَقْلِ ، وَالضَّجْرُ مُضِيقٌ

(٢) الخواطر جم خاطر ؛ وهو ما يخطر ببالك

(١) سورة الانفطار ١٠ ، ١١

لِلصَّدرِ، مُضَعَفٌ لِقَوَى الْعَقْلِ؛ وَاحْذَرِ الْحَافِلَ الَّتِي لَا أَنْصَافَ لِأَهْلِهَا فِي التَّسْوِيةِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ
خَصَمِكَ فِي الْإِقْبَالِ وَالِاسْتِمَاعِ، وَلَا أَدَبَ لَهُمْ يَمْنَعُهُمْ مِنْ جَوْرِ الْحُكْمِ لَكَ وَعَلَيْكَ .
وَاحْذَرِ حِينَ تَظْهَرُ الْعَصَبِيَّةُ لَخَصَمِكَ بِالْإِعْتِرَاضِ عَلَيْكَ وَتَشْيِيدُ قَوْلِهِ ^(١) وَحُجَّتِهِ، فَإِنَّ
ذَلِكَ يَهْبِجُ الْعَصَبِيَّةَ، وَالْإِعْتِرَاضُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَخْلِقُ الْكَلَامَ، وَيُذْهِبُ بِهِجَةَ الْمَعَانِي .
وَاحْذَرِ كَلَامَ مَنْ لَا يَفْهَمُ عَنْكَ فَإِنَّهُ يُضْجِرُكَ؛ وَاحْذَرِ اسْتِصْغَارَ الْخَصَمِ فَإِنَّهُ يَمْنَعُ مِنْ
التَّحَفُّظِ؛ وَرُبَّ صَغِيرٍ غَلَبَ كَبِيرًا !

٢٣٢ - لَا تَقْبَلِ الرِّيَاسَةَ عَلَى أَهْلِ مَدِينَتِكَ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَقِيمُونَ لَكَ إِلَّا بِمَا تَخْرُجُ
بِهِ مِنْ شَرْطِ الرَّئِيسِ الْفَاضِلِ .

٢٣٣ - لَا تَهْزَأْ بِخَطَا غَيْرِكَ؛ فَإِنَّ الْمُنَاطِقَ لَا يَمْلِكُهَا، وَأَقْلِيلُ مِنَ الْخَطَا الَّذِي
أَنْتَ فِيهِ بِقَدْرِ الصَّبْرِ، وَاجْعَلِ الْعَقْلَ وَالْحَقَّ إِمَامَيْكَ تَنْلِ الْبَغِيَّةَ بِهِمَا .
٢٣٤ - الرَّأْيُ يُرِيكَ غَايَةَ الْأَمْرِ مَهْدَاهُ .

٢٣٥ - الْخَيْرُ مِنَ النَّاسِ مَنْ قَدَّرَ عَلَى أَنْ يُصَرِّفَ نَفْسَهُ كَمَا يَشَاءُ وَيُدْفَعُ عَنْ الشُّرُورِ،
وَالشَّرُّ مَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ .

٢٣٦ - السُّلْطَانُ الْفَاضِلُ هُوَ الَّذِي يَحْرُسُ الْقَضَائِلَ، وَيَجُودُ بِهَا لِمَنْ دُونَهُ، وَيُرَاعَاهَا
مِنْ خَاصَّتِهِ وَعَامَّتِهِ؛ حَتَّى تَكْثُرَ فِي أَيَّامِهِ، وَيَتَحَسَّنَ بِهَا مَنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ .

٢٣٧ - لِلْكَرِيمِ رِبَاطَانُ: أَحَدُهُمَا الرِّعَايَةُ لَصَدِيقِهِ وَذَوَى الْحَرَمَةِ بِهِ، وَالْآخَرُ الْوَفَاءُ
لِمَنْ أَلْزَمَهُ الْفَضْلَ مَا يَجِبُ لَهُ عَلَيْهِ .

٢٣٨ - إِذَا تَحَرَّكَتْ صُورَةُ الشَّرِّ وَلَمْ تَظْهَرْ وَلَدَتْ الْفَزَعُ؛ فَإِذَا ظَهَرَتْ
وَلَدَتْ الْأَلَمُ؛ وَإِذَا تَحَرَّكَتْ صُورَةُ الْخَيْرِ وَلَمْ تَظْهَرْ وَلَدَتْ الْفَرَجُ، فَإِذَا ظَهَرَتْ
وَلَدَتْ اللَّذَّةُ .

(١) قوله: « وتشيد قوله » أى تحصينها وصونها عن تطرق الحلل إليها، وأصل التشيد طلاء الحائط
بالجس والطين لئلا يبقى به ثقب .

٢٣٩ - الفرقُ بين الاقتصادِ والبُخلِ، أن الاقتصادَ تمسُّكُ الإنسان بما في يده خوفاً على حريته وجاهه من المسألة؛ فهو يضع الشيء موضعه، ويصبر عما لا تدعو ضرورةً إليه، ويصل صغير برّه بعظيم بشره؛ ولا يستكثر من المودات خوفاً من فرط الإجحاف به، والبخل لا يكافئ على ما يسدى إليه، ويمنع أيضاً اليسير من استحقِّ الكثير، ويصبر لصغير ما يجري عليه على كثير من الدَّلة.

٢٤٠ - لا تحتقرن صغيراً يمكن أن يكبر، ولا قليلاً يمكن أن يكثر.

٢٤١ - ما زلتُ مظلوماً منذ قبض الله نبيه حتى يوم الناس هذا؛ ولقد كنت أظلم قبل ظهور الإسلام؛ ولقد كان أخى عقيلٌ يذنبُ أخى جعفرَ فيضربُني.

٢٤٢ - لو كُسرَتْ لي الوسادة لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم؛ وبين أهل الفرقان بفرقانهم؛ حتى تُزهِر^(١) تلك القضايا إلى الله عزَّ وجلَّ وتقول: يارب؛ إن عليّ قضي بين خلقك بقضائك.

٢٤٣ - مرَّ بدارٍ بالكوفة في مُرادٍ تبني فوقعت منها شظيئةٌ^(٢) على صلَّته فأدمتها، فقال: ما يومى من مُرادٍ بواحدٍ! اللهم لا ترفعها، قالوا: فوالله لقد رأينا تلك الدار بين الدور كالشاة الجاء^(٣) بين الغنم ذوات القرون.

٢٤٤ - أقتلُ الأشياءَ لعدوك ألا تُعرفهُ أنك اتخذته عدواً.

٢٤٥ - الخيرةُ في تركِ الطيرة.

٢٤٦ - قيل له في بعض الحروب: إن جالت الخيلُ أين نطُلبُك؟ قال: حيثُ تركتموني.

٢٤٧ - شَفِيعُ الذَّنْبِ إقراره، وتوبتهُ اعتذاره.

(١) تزهر: نضى وتتلأأ.

(٢) الشظية: الفلقة من العصا.

(٣) شاة جاء: لا قرون لها.

- ٢٤٨ - قسمَ ظهري رجلاً : جاهل متنسك^(١) وعالم متبهتك^(٢).
- ٢٤٩ - ألا أخبركم بذات نفسي ! أما الحسن ففتى من الفتیان ، وصاحبُ جفنةٍ وخوان ؛ ولو التقت حلقتا البطان^(٣) لم يغن عنكم في الحرب غناء عُصفورٍ ، وأما عبدُ اللهِ بن جعفر فصاحبُ هو وظلٍ باطل ، وأما أنا والحسينُ فنحنُ منكم وأنتم منا .
- ٢٥٠ - قال في المنبرِ يَقْرَأُ : صارَ مُنْمَها تُسَعًا على البديهة^(٤) وهذا من العجائب .
- ٢٥١ - جاء الأشعثُ إليه وهو على المنبرِ ، فجعل يتخطى رِقَابَ النَّاسِ حتى قَرِبَ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، غلبتنا هذه الجراء على قُرْبِكَ - يعني العجم - فركض المنبرَ بِرِجْلِهِ ، حتى قَالَ صَعَصَعَةً بَنُ صُوحَانَ : مالنا وللأشعث ! ليقولَنَّ أميرُ المؤمنين عليه السلام اليوم في العربِ قولاً لا يزالُ يُذَكَّرُ ؛ فقال عليه السلام : مَنْ يَعرُفُنِي من هؤلاء الضباطِ ! يَتمرَّغُ أحدهم على فراشه تَمرَّغَ الحمارِ^(٥) ، وَيَهْجُرُ قوماً للذكر ؛ أَفَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْرِدَهُمْ ! مَا كُنْتُ لِأَطْرِدَهُمْ فَأَكُونَ مِنَ الجاهِلِينَ ! أما والذي فلق الحبة ، وبرأ النِّسَمَةَ ، لِيضْرِبَنَّكُمْ على الدين عَوْداً كما ضَرَبْتُمُوهم عليه بدءاً .
- ٢٥٢ - كَانَ إِذَا رَأَى ابْنَ مُلْجَمٍ يَقُولُ : أُرِيدُ حَيَاتَهُ^(٦) ... البيت ؛ فيقالُ لَهُ : فاقْتُلْهُ ، فيقولُ : كَيْفَ أَقْتُلُ قَاتِلِي !
- ٢٥٣ - إِلَهِي مَا قَدَرْتُ ذُنُوبِي أَقَابِلُ بِهَا كَرَمَكَ ، وَمَا قَدَرْتُ عِبَادَةَ أَقَابِلُ بِهَا نِعْمَكَ ! وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَسْتَغْفِرَ ذُنُوبِي فِي كَرَمِكَ ، كَمَا اسْتَغْفَرْتَ أَعْمَالِي فِي نِعْمِكَ .

(١) المتنسك : متكلف النسك والتقوى .

(٢) التقت حلقتا البطان : مثل ؛ والبطان : الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير ، فإذا التقت حلقتاه دل على اضطراب المقدواً انحلالها .

(٣) المنبرية : إشارة إلى مسألة من مسائل الميراث .

(٤) الضبط : الرجل الفخم الذي لا غناء عنده ، وجمعه ضباطرة .

(٥) يشير إلى قول عمرو بن معديكرب :

أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مَرَادٍ

- ٢٥٤ - إذا غضب الكريمُ فالنَّ له الكلامُ ، وإذا غضب اللئيمُ فخذ له العصا .
- ٢٥٥ - غضب العاقل في فعله ، وغضب الجاهل في قوله .
- ٢٥٦ - رأى رجلاً يُحدِّثُ منكر الحديث ، فقال : يا هذا ، أنصف أذنك من فكك ؛ فإنما جعل الأذنان اثنتين ، والفم واحداً ، لتسمع أكثر مما تقول .
- ٢٥٧ - إياك وكثرة الاعتذار ؛ فإن الكذب كثيراً ما يُخالطُ المعاذير .
- ٢٥٨ - اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك .
- ٢٥٩ - سلْ مسألةَ الحقِّ (١) واحفظ حفظاً لا كياس .
- ٢٦٠ - مرؤوا الأحداث بالراء والجِدال ، والكهول بالفكر ، والشيوخ بالصمت .
- ٢٦١ - عودْ نفسك الصبر على جليس السوء ؛ فليس يكادُ يخطئك .
- ٢٦٢ - يا بنيَّ إن الشرَّ تاركك إن تركته .
- ٢٦٣ - لا تطلبوا الحاجة إلى ثلاثة : إلى الكذوب ، فإنه يُقرُّبها وإن كانت بعيدة ، ولا إلى أحمق ؛ فإنه يريد أن ينفك فيضرك ، ولا إلى رجل له إلى صاحب الحاجة حاجة ؛ فإنه يجعل حاجتك وقايةً لحاجته .
- ٢٦٤ - إياك وصدَرَ المجلس فإنه يجلسُ قُلعةً (٢) .
- ٢٦٥ - احذروا صولة الكريم إذا جاع ، وصولة اللئيم إذا شبع .
- ٢٦٦ - سرُّك دمك فلا تُجرِّنه إلَّا في أوداجك .
- ٢٦٧ - وسئل عن الفرق بين النَمِّ والخوفِ ، فقال : الخوفُ مجاهدةُ الأمرِ الخوفِ قبل وقوعه ، والنَمُّ ما يلحق الإنسان من وقوعه .

(٢) مجلس قلعة ؛ إذا كان صاحبه يحتاج إلى القيام .

(١) الحق : ضعف العقل

- ٢٦٨ - المعروف كنز فانظر عند من تودعه .
- ٢٦٩ - إذا أرسلت لبعير فلا تأت بتمر فيؤكل تمرًا وتنف على خلافك^(١) .
- ٢٧٠ - إذا وقع في يدك يوم الشُّرُور فلا تخله فإنك إذا وقعت في يد يوم الغم لم يُخلِّك .
- ٢٧١ - إذا أردت أن تصادق رجلًا فانظر : من عدوّه ؟
- ٢٧٢ - الانقباض من الناس مكسبة للعداوة ، والانبساط مجلبة لقرين السوء ؛ فكن بين المنقبض والمسترسل ، فإن خير الأمور أوساها .
- ٢٧٣ - أنا عبد الله ، وأخو رسول الله ؛ لا يقولها بعدى إلا كذاب .
- ٢٧٤ - أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيدي فنهّأها ، وقال : ما أولُ نعمة أنعم الله بها عليك ؟ قلت : أن خلقني حيًّا ، وأقدّرني ، وأكمل حواسي ومشاعري وقواي ، قال : ثم ماذا ؟ قلت : أن جعلني ذكراً ، ولم يجعلني أنثى ، قال والثالثة : قلت : أن هداني للإسلام ، قال : والرابعة ؟ قلت : وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها^(٢) .
- ٢٧٥ - اللهم إني أسألك إخبات الخبتين ، وإخلاص الموقنين ، ومرافقة الأبرار ، والمزمنة في كل برٍّ ، والسلامة من كل إثم ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار .
- ٢٧٦ - لما ضربه ابن ملجم وأوصى ابنه بما أوصاهما قال لابن الحنفية : هل فهمت ما أوصيت به أخوك ؟ قال : نعم ، قال : فإني أوصيك بمثله وبتوقيير أخوك ، واتباع أمرهما ، وألا تبرم أمراً دونهما ، ثم قال لهما : أوصيكما به فإنه شقيقكما وابن أبيكما ، وقد علمتا أن أبائكما كان يحبه فأحباه .
- ٢٧٧ - أما هذا الأعور - يعني الأشعث - فإن الله لم يرفع شرفاً إلا حسده ، ولا أظهر فضلاً إلا عابه وهو يُمتنى نفسه ويخدعها ، يخاف ويرجو ، فهو بينهما لا يثق

(١) هذه الحكمة ساقطة من ب ، وأثبتها من ا ، د (٢) سورة النحل ١٨

بواحدٍ منهما ، وقدَّ منَّ اللهُ عليه بأن جعلهُ جباناً ، ولو كانَ شجاعاً لقتلهُ الحقُّ ،
وأما هذا الأَكْثَفُ عندَ الجاهليَّةِ - يعنى جريرَ بن عبد الله البجليّ - فهو يرى كلَّ
أحدٍ دونهُ ، ويستصغرُ كلَّ أحدٍ ويحتقرُهُ ، قد ملئَ ناراً ، وهو مع ذلك يطلبُ رئاسةً ،
ويرومُ إمارةً ، وهذا الأعورُ يُفويه ويُطفيه ، إن حدثتهُ كذبهُ ، وإن قامَ دونهُ
نكصَ عنه ، فهما كالشيطانِ إذ قالَ للإنسانِ : اكفُرْ فلما كَفَرَ قالَ إِنِّي بَرِيءٌ
منكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ العالمينَ .

٢٧٨ - بُلُغْ أَعْلَى المنازِلِ بغيرِ استحقاقٍ من أ كبرِ أسبابِ الهلكةِ .

٢٧٩ - الكلمةُ إذا خرجتْ من القلبِ وقعتْ في القلبِ ، وإذا خرجتْ من
اللسانِ لم تجاوزِ الأذانَ .

٢٨٠ - الكرمُ حسنُ الفِطنةِ ، واللؤمُ سوءُ التغافلِ .

٢٨١ - أشوأ الناسِ حالاً من اتَّسَعَتْ معرفتهُ ، وبُعِدَتْ هِمَّتُهُ ،
وضاقتْ قُدْرَتُهُ ^(١) .

٢٨٢ - أسران لا ينفكان من الكذبِ : كثرةُ المواعيدِ ، وشدةُ الاعتذارِ .

٢٨٣ - عادةُ النَّوْكِ ^(٢) الجلوسُ فوق القدرِ ، والحجى في غيرِ الوقتِ .

٢٨٤ - العافيةُ المُلْكُ الخفيُّ .

٢٨٥ - سوءُ حملِ الغنى يورثُ مقتاً ، وسوءُ حملِ الفاقةِ يضعُ شرفاً .

٢٨٦ - لا ينبغي لأحدٍ أن يدعَ الحزمَ لظفرٍ ناله عاجزٌ ، ولا يسمعَ نفسه في

التفريطِ لنسكةٍ دخلتْ على حازمٍ .

٢٨٧ - ليس من حسنِ التوكلِ أن يقالَ العاشرُ عثرةً ، ثم يركبها ثانية .

(١) هذه الحكمة ساقطة من ب ، وأثبتها من ا ، د (٢) النوك : الحق .

٢٨٨ - سوء القالة في الإنسان إذا كان كذباً نظير الموت لفساد ذنياه ؛ فإن كان صدقاً فأشد من الموت لفساد آخرته .

٢٨٩ - ترضى الكرام بالكلام ، وتصاد اللئام بالمال ، وتستصلح السفلة بالهوان .

٢٩٠ - لا يزال المرء مستمراً ما لم يمت ، فإذا عثر مرةً لَجَّ به العثار ولو كان في جدٍ .

٢٩١ - المتواضع كلوهدة يجتمع فيها قطرُها وقطرُ غيرها ، والمتكبر كالربوة لا يقر عليها قطرُها ، ولا قطرُ غيرها .

٢٩٢ - لا يصبر على الحرب ويصدق في اللقاء إلا ثلاثة : مستبصر في دين ، أو غيران على حرمة ، أو ممتنع من ذل .

٢٩٣ - مجاوزتك ما يكفيك فقر لا منتهى له .

٢٩٤ - قيل له : أى الأمور أعجل عقوبة ، وأسرع لصاحبها صرعة ؟ فقال : ظلم من لا ناصر له إلا الله ، ومجازاة النعم بالتقصير ، واستطالة الغنى على الفقير .

٢٩٥ - الجماع للمحن جماع ، وللخيرات مناع ؛ حياء يرتفع ، وعورات تجتمع ؛ أشبه شئ بالجنون ؛ ولذلك حجب عن العيون ، نتيجه ولدت فتون ، إن عاش كد ، وإن مات هدد .

٢٩٦ - ماشى أهون من ورع ؛ وإذا رابك أمر فدعه .

٢٩٧ - إذا أتى على يوم لا أزداد فيه عملاً يقرُبني إلى الله ، فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم .

٢٩٨ - أشرف الأشياء العلم ؛ والله تعالى عالمٌ يحب كل عالم .

٢٩٩ - لَيْتَ شَغَرِي أَىَّ شَيْءٍ أَدْرَكَ مِنْ قَاتِهِ الْعِلْمُ ! بَلِ أَىَّ شَيْءٍ فَاتَ مِنْ
أَدْرَكَ الْعِلْمُ !

٣٠٠ - لَا يَسْوَدُ الرَّجُلَ حَتَّى لَا يُبَالِيَ فِي أَىَّ ثَوْبِيهِ ظَهَرَ .

٣٠١ - سَمِعَ رَجُلًا يَدْعُو لِصَاحِبِهِ ، فَقَالَ : لَا أَرَاكَ اللَّهُ مُكْرُوهُمَا ، فَقَالَ : إِنَّمَا
دَعَوْتُ لَهُ بِالْمَوْتِ ، لِأَنَّ مَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا لَا بُدَّ أَنْ يَرَى الْمَكْرُوهَ .

٣٠٢ - مِنْ صِفَةِ الْعَاقِلِ أَلَّا يَتَحَدَّثَ بِمَا يُسْتَطَاعُ تَكْذِيبُهُ فِيهِ .

٣٠٣ - السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ أَعْظَ بِهِ غَيْرُهُ .

٣٠٤ - ذُو الْهَمَّةِ وَإِنْ حَطَّ نَفْسَهُ يَأْبَى إِلَّا عُلُوءًا ، كَالشَّمْعَةِ مِنَ النَّارِ يُخْفِيهَا صَاحِبُهَا ،
وَتَأْبَى إِلَّا ارْتِفَاعًا .

٣٠٥ - الدِّينُ غُلٌّ لِلَّهِ فِي أَرْضِهِ ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يُذِلَّ عَبْدًا جَعَلَهُ فِي عُنُقِهِ .

٣٠٦ - الْعَاقِلُ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَتْبَعَهَا حِكْمَةً وَمَثَلًا ، وَالْأَحْمَقُ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ
أَتْبَعَهَا حِلْفًا .

٣٠٧ - الْحَرَكَةُ لِقَاحُ الْجَدِّ الْعَظِيمِ^(١) .

٣٠٨ - ثَلَاثَةٌ لَا يُسْتَحَى مِنْ اخْتِمَ عَلَيْهَا : الْمَالُ لِلْفِي الثَّهْمَةِ ، وَالْجَوْهَرُ لِلنَّفَاسَةِ ،
وَالدَّوَاءُ لِلْإِحْتِيَاظِ مِنَ الْعَدُوِّ .

٣٠٩ - إِذَا أُيْسِرَتْ فَكُلُّ الرِّجَالِ رَجَالُكَ ، وَإِذَا أُعْسِرَتْ أَنْكَرَكَ أَهْلَكَ .

٣١٠ - مِنَ الْحِكْمَةِ جَعَلَ الْمَالُ فِي أَيْدِي الْجَهَالِ ؛ فَإِنَّهُ لَوْ خُصَّ بِهِ الْعُقَلَاءُ لَمَاتَ

(١) هذه الحكمة ساقطة من ١ .

الجمالُ جُوعاً ، ولكنهُ جُعِلَ في أيدي الجهالِ ، ثم استنزلهُم عنه العقلاء
بلطفهم وفطنتهم .

٣١١ - ماردٌ أحدٌ أحداً عن حاجةٍ إلّا وتبينَ العزُّ في قفاه ، والذلُّ في وجهه .

٣١٢ - ابتداءُ الصنيعةِ نافلةٌ ، ورَبُّها ^(١) فريضةٌ .

٣١٣ - الحاسدُ المبطنُ للحسدِ كالنحلِ يَمِجُّ الدَّوَاءَ ، ويبطنُ الداءَ .

٣١٤ - الحاسدُ يرى زوالَ نعمتِكَ نعمةً عليه .

٣١٥ - التَّواضعُ إحدى مصايدِ الشرفِ .

٣١٦ - تواضعُ الرَّجُلِ في مرتبتهِ ذبٌّ للشَّيْءِ عنه عِنْدَ سَقَطِهِ .

٣١٧ - رُبَّ صَلفٍ أدَّى إلى تلفٍ .

٣١٨ - سوءُ الخلقِ يُعَدِّي ؛ وذالكَ أَنَّهُ يدْعُو صاحبك إلى أن يقابلك بمثله .

٣١٩ - المروءةُ الثَّامَةُ مُبايَنَةُ العامَّةِ .

٣٢٠ - أسوأُ مافي الكَرِيمِ أن يَمْنَعَكَ نداءهُ ، وأحسنُ مافي اللَّيْمِ أن يكفَّ
عَنكَ أذاهُ .

٣٢١ - السفلةُ إذا تعلَّموا تَكَبَّرُوا ، وإذا تَمَوَّلُوا اسْتَطَالُوا ، والعُلِيَّةُ إذا تعلَّموا

تواضعوا ، وإذا افتقروا صالَّوا .

٣٢٢ - ثلاثٌ لا يَسْتَصْلِحُ فسادُهُنَّ بِحيلةٍ أصلاً : العداوةُ بَيْنَ الأقاربِ ، وتحاسدُ

الأَكْفَاءِ ، وركاكةُ المُلُوكِ .

٣٢٣ - السخِيُّ شجاعُ القلبِ ، والبَخِيلُ شجاعُ الوجهِ .

(١) ربها : أى جمها .

- ٣٢٤ - العزلة توفر العرض وتستر الفاقة ، وترفع ثقل المكافأة .
- ٣٢٥ - ما احتنك أحد قط إلا أحب الخلوة والعزلة .
- ٣٢٦ - خير الناس من لم تجر به .
- ٣٢٧ - الكريم لا يلين على قسر ، ولا يقسو على يسر .
- ٣٢٨ - المرأة إذا أحببتك آذنتك ، وإذا أبغضتك خانتك وربما قتلتك ؛ فحبها أذى ، وبغضها دالا بلا دواء .
- ٣٢٩ - المرأة تكتم الحب أربعين سنة ، ولا تكتم البغض ساعة واحدة .
- ٣٣٠ - الممتحن كالمختنق ؛ كلما ازداد اضطراباً ازداد اختناقاً .
- ٣٣١ - كل ما لا يفتل ؛ بانتقالك من مالك فهو كفيل بك .
- ٣٣٢ - أجل ما ينزل من السماء التوفيق ، وأجل ما يصعد من الأرض الإخلاص .
- ٣٣٣ - اثنان يهون عليهما كل شيء : عالم عرف العواقب ، وجاهل يجهل ما هو فيه .
- ٣٣٤ - شر من الموت ما إذا نزل تمنيت بنزوله الموت ، وخير من الحياة ما إذا فقدته أبغضت لفقدته الحياة .
- ٣٣٥ - ما وضع أحد يده في طعام أحد إلا ذل له .
- ٣٣٦ - المرأة كالنعل يلبسها الرجل إذا شاء ، لا إذا شئت .
- ٣٣٧ - أبصر الناس لعوار الناس المعور .
- ٣٣٨ - العجب ممن يخاف عقوبة السلطان وهي منقطعة ، ولا يخاف عقوبة الديان وهي دائمة .

- ٣٣٩ - من عرف نفسه فقد عرف ربه .
- ٣٤٠ - من عجز عن معرفة نفسه فهو عن معرفة خالقه أعجز .
- ٣٤١ - لو تكاشفتم لما تدافتم .
- ٣٤٢ - شيطان كل إنسان نفسه .
- ٣٤٣ - إن لم تعلم من أين جئت ، لم تعلم إلى أين تذهب !
- ٣٤٤ - غاية كل مُتعمِّق في معرفة الخالق سبحانه الاعتراف باليقصور عن إدراكها .

٣٤٥ - الكمال في خمس : ألا يعيب الرجل أحداً بعيب فيه مثله حتى يصلح ذلك العيب من نفسه ؛ فإنه لا يفرغ من إصلاح عيب من عيوبه حتى يهجم على آخر فتشغله عيوبه عن عيوب الناس ، وألا يطلق لسانه ويده حتى يعلم أفي طاعة ذلك أم في معصية ، وألا يلتمس من الناس إلا ما يعطيهم من نفسه مثله ، وأن يسلم من الناس باستشعار مداراتهم وتوفيتهم حقوقهم ، وأن يُنفق الفضل من ماله ، ويمسك الفضل من قوله .

٣٤٦ - صديق البخل من لم يُجربهُ .

٣٤٧ - من الخيط الضعيف يُقتل الجبل الحصيف ^(١) ، ومن مقدحة ^(٢) صغيرة تحترق مدينة كبيرة ، ومن لبننة لبننة ^(٣) تُبنى قرية حصينة .

٣٤٨ - حُب الدراهم معذور وإن أدنته من الدنيا ؛ لأنها صائتة عن أبناء الدنيا .

(٢) المقدحة : ما يقدح بها النار .

(١) الحصيف : الحكم

(٣) اللنة : التي يبني بها .

٣٤٩ - عجباً لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح! وعجباً لمن قيل فيه الشر وليس فيه كيف يفضب!

٣٥٠ - ثلاث موبات: الكبر فإنه حط إبليس عن مرتبته، والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة، والحسد فإنه دعا ابن آدم إلى قتل أخيه.

٣٥١ - الفطام عن الخطام شديد^(١).

٣٥٢ - إذا أقبلت الدنيا أقبلت على حمار قطوف، وإذا أدبرت أدبرت على البراق.

٣٥٣ - أصاب متأمل أو كاد، وأخطأ مستعجل أو كاد.

٣٥٤ - ستة لا تخطئهم الكتابة: فقير حديث عهد بفيني، ومكتر يخاف على ماله، وطالب مرتبة فوق قدره، والحسود، والحقود، وغالط أهل الأدب وليس بأديب.

٣٥٥ - طلمبت الراحة لنفسي فلم أجد شيئاً أروح من ترك مالا يعينني، وتوحشت في القفر البلقع فلم أر وحشة أشد من قرين السوء، وشهدت الزخوف^(٢) ولقيت الأقران، فلم أرقراً أغلب من المرأة، ونظرت إلى كل ما يذل العزيز ويكسرُهُ، فلم أر شيئاً أذلّ له ولا أكر من الفاقة.

٣٥٦ - أوّل رأى العاقل آخر رأى الجاهل.

٣٥٧ - المسترشد موتى، والمحترس ملقى.

٣٥٨ - الحر عبد ماطع، والعبد حر ماقنع.

(١) ب: «شد».

(٢) زحف إليه: خف ومشى، والزحف: الجش يعشى إلى العدو.

٣٥٩ - ما أَحْسَنَ حُسْنَ الظَّنِّ إِلَّا أَنْ فِيهِ الْعَجَزَ ، وما أَقْبَحَ سوءَ الظَّنِّ إِلَّا أَنْ فِيهِ الْحَزَمَ !

٣٦٠ - ما الحيلةُ فيما أغنى^(١) إلا الكفُّ عنه ، ولا الرأى فيما يُنال إلا اليأسُ منه .

٣٦١ - الأحمقُ إذا حَدَّثَ ذَهَلَ ، وإذا حَدَّثَ عَجَلَ ، وإذا حَجَلَ على القبيحِ فعل .

٣٦٢ - إثباتُ الحجَّةِ على الجاهلِ سهلٌ ؛ ولكن إقراءهُ بها صعبٌ .

٣٦٣ - كما تُعرفُ أواني الفَخَّارِ بامتِّحانِها بأصواتِها فيعلمُ الصَّحيحُ منها من اللُّكْسورِ ، كذلك يُمتَحَنُ الإنسانُ بِمَنطِقَتِهِ فيعرفُ ما عندهُ .

٣٦٤ - احتمالُ الفقرِ أحسنُ من احتمالِ الدُّلِّ ، لأنَّ الصبرَ على الفقرِ قناعةٌ ؛ والصبرَ على الدُّلِّ ضراعةٌ^(٢) .

٣٦٥ - الدنيا حمقاء لا تميلُ إلا إلى أشباهها .

٣٦٦ - السفرُ ميزانُ الأخلاقِ .

٣٦٧ - العقلُ مَلِكٌ والخِصالُ رعيَّتُهُ ، فإذا ضعفَ عن القِيامِ عليها وَصَلَ اتَّخَلَّلَ إليها .

٣٦٨ - الكَذَّابُ يُخَيِّفُ نفسه وهو آمِنٌ .

٣٦٩ - لولا ثلاثٌ لم يُسَلَّ سَيْفٌ : سِلِّكَ أدقُّ من سِلِّكَ ، وَوَجْهٌ أَصْبَحُ من وَجْهِ ، وَلَقَمَةٌ أُسْوَعُ من لُقْمَةٍ .

٣٧٠ - قد يَحْسُنُ الامْتِنانُ بالنعمةِ وذلكَ عندَ كُفْرانِها ، ولولا أن بني إسرائيلَ

(٢) ضرع إليه ضراعة : ذل وخضع .

(١) : « أعيأ » .

كفروا النعمة لما قال الله لهم : ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ ^(١) .

٣٧١ - إذا تنهى الغم أنقطع الدمع .

٣٧٢ - إذا ولى صديقك ولاية فأصابتته على العشر من صداقته فليس

بصاحب سوء .

٣٧٣ - أعجب الأشياء بديهة أمن وردت في مقام خوف .

٣٧٤ - الحرص محرم ^(٢) والجبن مقتلة ، وإلا فانظر فيمن رأيت وسمعت : أمن

قتل في الحرب مقبلاً أكثر ، أم من قتل مدبراً ! وانظر : أمن يطلب بالإجمال والتكريم
أحق أن تسخو نفسك له أم من يطلب بالشره والحرص !

٣٧٥ - إذا كان العقل تسعة أجزاء احتاج إلى جزء من جهل ليقيم به صاحبه على

الأمر ، فإن العاقل أبداً متوان مترقب متخوف .

٣٧٦ - عمل الرجل بما يعلم أنه خطأ هووى ، والهوى آفة العفاف ، وترك

العمل بما يعلم أنه صواب تهاون ، والتهاون آفة الدين ، وإقدامه على ما لا يدري

أصواب هو أم خطأ كجأج واللجاج آفة العقل .

٣٧٧ - ضعف العقل أمان من الغم .

٣٧٨ - لا ينبغي للعاقل أن يمدح امرأة حتى تموت ، ولا طعاماً حتى يستمره ،

ولا صديقاً حتى يستقرضه ؛ وليس من حسن الجوار ترك الأذى ، ولكن حسن

الجوار الصبر على الأذى .

٣٧٩ - لا يتأدب العبد بالكلام إذا وثق بأنه لا يضرب .

٣٨٠ - الفرق بين المؤمن والكافر الصلاة ، فمن تركها وادعى الإيمان كذبه

فعله ، وكان عليه شاهد من نفسه .

- ٣٨١ - مَنْ خَافَ اللَّهَ خَافَهُ كُلُّ شَيْءٍ .
- ٣٨٢ - مَنْ النِّقْصِ أَنْ يَكُونَ شَفِيعُكَ شَيْئًا خَارِجًا عَنْ ذَاتِكَ وَصِفَاتِكَ .
- ٣٨٣ - وَبَلَى عَلَى الْعَبْدِ اللَّثِيمِ ، عَبْدُ بَنِي رَبِيعَةَ ! نَزَعَ بِهِ ^(١) عِرْقُ الشَّرِّكَ الْعَبْشِيِّ إِلَى مَسَاقِي ، وَتَذَكَّرُ دَمَ الْوَلِيدِ وَعَتَبَةَ وَشَيْبَةَ أُولَى لَهُ ؛ وَاللَّهِ لَيَرِيَنِي فِي مَوْقِفٍ يَسُوهُ ثُمَّ لَا يَجِدُ هُنَاكَ فَلَانًا وَفَلَانًا - يَعْنِي سَالِمًا مَوْلَى حُذَيْفَةَ .
- ٣٨٤ - أَنَا قَاتِلُ الْأَقْرَانِ ، وَنُجَدِّلُ الشَّجْعَانَ ، أَنَا الَّذِي فَقَأْتُ عَيْنَ الشَّرِّكِ ، وَتَمَلَّكْتُ عَرْشَهُ ؛ غَيْرَ مُتَمَتِّنٍ عَلَى اللَّهِ بِجِهَادِي ، وَلَا مُدِلٍّ إِلَيْهِ بِطَاعَتِي ، وَلَكِنْ أَحَدَّثُ بِنِعْمَةِ رَبِّي .
- ٣٨٥ - الصَّوْمُ عِبَادَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَخَالِقِهِ ، لَا يَطْلَعُ عَلَيْهَا غَيْرُهُ ، وَكَذَلِكَ لَا يَجَازِي عَنْهَا غَيْرُهُ .
- ٣٨٦ - طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عِيُوبِ النَّاسِ ! طُوبَى لِمَنْ لَا يَعْرِفُ النَّاسَ وَلَا يَعْرِفُهُ النَّاسُ ! طُوبَى لِمَنْ كَانَ حَيًّا كَمَيِّتٍ ، وَمَوْجُودًا كَمُعْدُومٍ ؛ قَدْ كَفَى جَارَهُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ ، لَا يَسْأَلُ عَنِ النَّاسِ ، وَلَا يَسْأَلُ النَّاسُ عَنْهُ .
- ٣٨٧ - مَا السِّيفُ الصَّارِمُ فِي كَفِّ الشَّجَاعِ بِأَعَزَّ لَهُ مِنَ الصَّدْقِ .
- ٣٨٨ - لَا يَكُنْ فَقْرُكَ كُفْرًا ، وَغِنَاكَ طُغْيَانًا .
- ٣٨٩ - ثَمَرَةُ الْقَنَاعَةِ الرَّاحَةُ ، وَثَمَرَةُ التَّوَاضُعِ الْحُبَّةُ .
- ٣٩٠ - الْكَرِيمُ يَلِينُ إِذَا اسْتَعْطِفَ ، وَاللَّثِيمُ يَقْسُو إِذَا لُوطِفَ .
- ٣٩١ - أَنْكِي لِعَدُوِّكَ أَلَّا تُرِيَهُ أَنْكَ اتَّخَذْتَهُ عَدُوًّا .
- ٣٩٢ - عَذَابَانِ لَا يَأْبَهُ النَّاسُ لِهَما : السَّفَرُ الْبَعِيدُ ، وَالْبِنَاءُ الْكَثِيرُ .

(١) نَزَعَ بِهِ عِرْقَ الشَّرِّ : جَذَبَهُ إِلَيْهِ . (٢) عَبْشِي ، نَسَبُهُ إِلَى عِيدِ شَمْسٍ -

٣٩٣ - ثلاثة يؤثرون المال على أنفسهم : تاجر البحر ، وصاحب السلطان ،
والمرتشي في الحكم .
٣٩٤ - أعجزُ الناس من قصر في طلب الصديق ، وأعجزُ منه من وجدَه
فضيعةً (١) .

٣٩٥ - أشدُّ المشاقَّ وعدُّ كذابٍ كحريصٍ .
٣٩٦ - العادات قاهراتٌ ، فمن اعتاد شيئاً في سرّه وخلوته فضحه في
جهره وعلايقه .

٣٩٧ - الأخ البار منيئُ الأسرار .
٣٩٨ - عدمُ المعرفة بالكتابة زمانةٌ خفيفةٌ .
٣٩٩ - قديمُ الحرمة وحديثُ التوبة يمتحنان ما بينهما من الإساءة .
٤٠٠ - ركوبُ الخيل عزٌّ ، وركوبُ البراذين لَذَّةٌ ، وركوبُ البغالٍ مهزلةٌ ،
وركوبُ الحمير مدلةٌ .

٤٠١ - العقلُ يظهرُ بالمعاملة ، وشيخُ الرجال يُعرفُ بالولاية .
٤٠٢ - قال له قائلٌ : علمني الحلم ، فقال : هو الدُّلُّ ، فاصطبر عليه
إن استطعت .

٤٠٣ - قلتم : إن فلاناً أفادَ مالاً عظيماً ، فهل أفادَ أيّاماً يُنفقه فيها !
٤٠٤ - عيادةُ النَوَكى أشدُّ على المريض من وجعه .
٤٠٥ - المريضُ يعادُ ، والصحيحُ يُزارُ .
٤٠٦ - الشيء الذي لا يحسنُ أن يقال وإن كان حقاً ، مدحُ الإنسانِ نفسه .

(١) هذه الحكمة سائطة من ١ .

- ٤٠٧ - الشيء الذي لا يُستغنى عنه بحالٍ من الأحوالِ التوفيقُ .
- ٤٠٨ - أوسعُ ما يكونُ الكريمُ مغفرةً ، إذا ضاقتْ بالذنبِ المَعْدِرَةُ .
- ٤٠٩ - سترُ ما عاينتَ أحسنُ من إشاعةٍ ما ظننتَ .
- ٤١٠ - التكبرُ على المتكبرينَ هو التواضعُ بعينه .
- ٤١١ - إذا رفعتَ أحداً فوق قدرِهِ فتوقعْ منه أن يحطَّ منك بقدرِ ما رفعتَ منه .
- ٤١٢ - إساءةُ المحسنِ أن يمنعكَ جدواه ، وإحسانُ المُنِيءِ أن يكفَّ عنكَ أذاهُ .
- ٤١٣ - اللهم إني أَسْتَعْدِيكَ على قريشٍ ، فإنهم أضْمَرُوا لِرَسُولِكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ضُروباً من الشرِّ والغدرِ ، فيجزوا عنها ؛ وحُلَّتْ بينهم وبينها ؛ فكانتِ الوجبةُ بي ، والدائرةُ على . اللهم احفظْ حسناً وحسيناً ، ولا تمكنْ فجرةَ قريشٍ منهما ما دمتُ حيًّا ، فإذا توفيتني فأنتَ الرقيبُ عليهما ، وأنتَ على كُلِّ شيءٍ شهيدٌ .
- ٤١٤ - قال له قائلٌ : يا أمير المؤمنين ، أرايتَ لو كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تركَ ولداً ذكراً قد بلغَ الحُلُمَ ، وأنسَ منه الرشدَ ، أكانتِ العربُ تسلمُ إليه أمراً ؟ قال : لا ، بل كانتِ تقتله إن لم يفعلْ ما فعلتُ ، إنَّ العربَ كَرِهَتْ أمرَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحسدتهُ على ما آتاهُ اللهُ من فضلِهِ ، واستطالت أ أيامُهُ حتى قذفتْ زوجتهُ ، ونفرتْ به ناقتهُ ، مع عظيمِ إحسانِهِ إليها ، وجسيمِ مِنِّهِ عندها ، وأجمعتْ مُذْكَانَ حياً على صرفِ الأمرِ عن أهلِ بيتهِ بعد موتِهِ ؛ ولولا أن قريشاً جعلتِ اسمه ذريعةً إلى الرياسةِ ، وسلماً إلى العزِّ والإمرةِ ، لما عبدت اللهُ بعدَ موتِهِ يوماً واحداً ،

ولازتدَّت في حافرتها ، وعادَ فارحُها جَدَعًا ، وبازُلُها ^(١) بَكَرًا ، ثم فتحَ اللهُ عليها
الفتوحَ ، فأثرتْ بعدَ الفاقةِ ، وتمولَّتْ بعدَ الجُهدِ والخمصةِ ^(٢) ؛ فحُسُنَ في عيونِها منَ
الإسلامِ ما كانَ سَمِجًا ، وثبتَ في قلوبِ كثيرٍ منها منَ الدِّينِ ما كانَ مضطربًا ، وقالتُ :
لولا أَنَّهُ حقٌّ لما كانَ كذا ؛ ثم نسبْتُ تلكَ الفتوحَ إلى آراءِ وُلاتِها ، وحُسُنِ تدييرِ
الأمرِ القائمينَ بها ، فتأكَّدَ عندَ الناسِ نباهةُ قومٍ وخولُ آخرين ؛ فكُنَّا نحنُ ممَّنْ
تخلَ ذكرُهُ ، وخبتْ نارُهُ ، وانقطعَ صوتهُ وصيتهُ ، حتى أَكلَ الدهرُ علينا وشربَ ،
ومضتِ السُّنُونُ والأحقابُ بما فيها ، وماتَ كثيرٌ من يُعرفُ ، ونشأَ كثيرٌ من لا يُعرفُ .
وما عسى أن يكونَ الولدُ لو كانَ ! إنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وآله لم يُقرَّبْني
بما تعلمونه منَ القُرْبِ للنسبِ واللَّحْمَةِ ؛ بل للجهادِ والنصيحةِ ؛ أفترأهُ لو كانَ له ولدٌ هل
كانَ يفعلُ ما فعلتُ ! وكذلك لم يكنْ يُقرَّبُ ما قرَّبتُ ، ثم لم يكنْ عندَ قريشٍ والعربِ سببًا
للإحْظَوَةِ والمنزلةِ ، بل للحرمانِ والجفوةِ . اللهم إنَّكَ تعلمُ أنَّي لم أُرِدِ الإمْرَةَ ، ولا علوَّ
الملكِ والرياسةِ ؛ وإِنَّمَا أُرِدْتُ القيامَ بحدودِكَ ، والأداءَ لشرعِكَ ، ووضعَ الأمورِ في
مواضعِها ، وتوفيرَ الحقوقِ على أهلِها ؛ والمُضَيَّ على منهاجِ نبيِّكَ ، وإرشادَ الضَّالِّ
إلى أنوارِ هدايتِكَ .

٤١٥ - البرُّ ما سكنتُ إليه نفسُكَ ، واطمأنَّ إليه قلبُكَ ؛ والإثمُ ما جالَ في نفسِكَ
وتردَّدَ في صدْرِكَ .

٤١٦ - الزكاةُ نقصٌ في الصورةِ ، وزيادةٌ في المعنى .

٤١٧ - ليس الصومُ الإمساكُ عن الدُّكُلِ والمشربِ ؛ الصومُ الإمساكُ عن كلِّ
ما يكرههُ اللهُ سبحانه .

- ٤١٨ - إذا كان الرّاعى ذئباً ، فالشّاةُ من يحفظها !
- ٤١٩ - كلّ شيء يعضيك إذا أغضبته إلا الدنيا ، فإنها تطيعك إذا أغضبتّها .
- ٤٢٠ - ربّ مغبوطٍ بنعمةٍ هي داوّه ، ومرّ حورٍ من سقم هو شفاوّه .
- ٤٢١ - إذا أراد الله أن يسلطَ على عبدٍ عدوّاً لا يرحمه سلط عليه حاسداً .
- ٤٢٢ - شربُ الدّواءِ للجسدِ كالصابونِ للثوبِ ؛ ينقيه ولكن يُخلقه .
- ٤٢٣ - الحسدُ خلُقٌ دنيءٌ ؛ ومن دناءته أنه موكلٌ بالأقرب فالأقرب .
- ٤٢٤ - لو كان أحدٌ مكتفياً من العلمِ لا كتفى نبيُّ الله موسى ؛ وقد سمعتم قوله : ﴿ هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَى أَنْ تَعْلَمْنَ مِمَّا عَلَّمْتُ رَشِداً ﴾ (١) .
- ٤٢٥ - أستغفرُ اللهَ ممّا أملك ، وأستصلحه فيما لا أملك .
- ٤٢٦ - إذا قعدت وأنت صغيرٌ حيث تحبّ ، قعدت وأنت كبيرٌ حيث تكرّه .
- ٤٢٧ - الولدُ العاقُ كالإصبعِ الزائدهِ ؛ إن تركت شانت ، وإن قطعت آلت .
- ٤٢٨ - خرجَ المزّ والفنّى يجولانِ فلقيا القناعةَ فاستقرا .
- ٤٢٩ - الصديقُ نسيبُ الرّوحِ ؛ والأخُ نسيبُ الجسمِ .
- ٤٣٠ - جزيةُ المؤمنِ كراءُ منزله ، وعذابهُ سوءُ خلُقِ زوجته .
- ٤٣١ - الوعدُ وجهٌ والإنجازُ محاسنه .
- ٤٣٢ - أنعمُ النّاسُ عيشاً من عاش في عيشه غيره .
- ٤٣٣ - لا تشا من أحداً ، ولا تردن سائلاً ؛ إمّا هو كريمٌ تسدّ خلّته ، أو لثيمٌ تشتري عرضك منه .

- ٤٣٤ - النِّمَامُ سَهْمٌ قَاتِلٌ .
- ٤٣٥ - ثلاثةُ أشياء لا دوام لها : المال في يَدِ المُبَذِّرِ ، وسحابة الصيف ، وغضب العاشق .
- ٤٣٦ - الزَّاهِدُ في الدِّينار والدِّرهم أعزُّ من الدِّينار والدرهم .
- ٤٣٧ - رَبٌّ حَرَبٍ أَحْيَيْتَ بِلَفْظَةٍ ، وَرَبٌّ وَدٍّ غُرِسَ بِلَحْظَةٍ .
- ٤٣٨ - إِذَا تَزَوَّجَ الرَّجُلُ فَقَدْ رَكِبَ الْبَحْرَ ، فَإِنْ وَلِدَ لَهُ فَقَدْ كَسِرَ بِهِ .
- ٤٣٩ - صَلاَحُ كُلِّ ذِي نِعْمَةٍ فِي خِلَافِ مَا فَسَدَ عَلَيْهِ .
- ٤٤٠ - أَنعمَ النَّاسُ عَيْشَةً مَنْ تَحَلَّى بِالْعِفَافِ ، وَرَضِيَ بِالْكَفَافِ^(١) ، وَتَجَاوَزَ مَا يُخَافُ إِلَى مَا لَا يُخَافُ .
- ٤٤١ - التَّوَاضُّعُ نِعْمَةٌ لَا يَفْطِنُ لَهَا الْحَاسِدُ .
- ٤٤٢ - يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَمْنَعَ مَعْرُوفَهُ الْجَاهِلِ وَاللَّيْمِ وَالسَّفِيهِ ؛ أَمَّا الْجَاهِلُ فَلَا يَعْرِفُ الْمَعْرُوفَ وَلَا يَشْكُرُ عَلَيْهِ ، وَأَمَّا اللَّيْمُ فَأَرْضٌ سَبِيخَةٌ لَا تَنْبِتُ ، وَأَمَّا السَّفِيهُ فَيَقُولُ : إِنَّمَا أُعْطَانِي فَرَقًا مِنْ لِسَانِي .
- ٤٤٣ - خَيْرُ الْمَيْشِ مَا لَا يُطْفِيئُكَ ، وَلَا يُلْهِيكُ .
- ٤٤٤ - مَا ضَرَبَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِسُوطٍ أَوْجَعَ مِنْ الْفَقْرِ .
- ٤٤٥ - إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَزِيلَ عَنْ عَبْدٍ نِعْمَةً كَانَ أَوَّلُ مَا يَفْعَلُ مِنْهُ عَقْلُهُ .
- ٤٤٦ - خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي خَصْلَتَيْنِ : الْفَنَى وَالتَّقَى ، وَشَرُّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي خَصْلَتَيْنِ : الْفَقْرُ وَالْفُجُورُ .
- ٤٤٧ - ثَمَانِيَةٌ إِذَا أَهْنَوْا فَلَا يَلُومُوا إِلَّا أَنْفُسَهُمْ : الْآثَى طَعَامًا لَمْ يُدْعَ إِلَيْهِ ،

(١) الكفاف : القليل .

والتأمرُ على ربِّ البيت في بيته ، وطالب المعروف من غير أهله ، والداخل بين اثنين لم يدخله ، والمستخفُّ بالسلطان ، والجالس مجلساً ليس له بأهلٍ ، والمقبلُ بحديثه على مَنْ لا يسمعه ، ومن جرَّب المجرب .

٤٤٨ - أنفُسُ الأَعْلَاقِ ^(١) عقلٌ تُرَنِّمُ إليه حَظٌّ .

٤٤٩ - اللطافةُ في الحاجة أجدى من الوسيلة .

٤٥٠ - احتمالُ نَحْوَةِ الشرفِ أشدُّ من احتمالِ بطرِ الغنى ، وذلةُ الفقرِ مانعةٌ من الصبرِ ، كما أن عزَّ الغنى مانعٌ من كرمِ الإنصافِ ، إلا لمن كان في غريزته فضلُ قُوَّةٍ ، وأعراقٌ تنازعه إلى بُعدِ الهمة .

٤٥١ - أبعدُ الناسِ سَفْراً مَنْ كان في طلبِ صديقٍ يَرِضاه .

٤٥٢ - استشارةُ الأعداءِ من بابِ الخِذلانِ .

٤٥٣ - الجاهلُ يُعرَفُ بِسِتِّ خِصالٍ : الفُضْبِ من غيرِ شيءٍ ، والكلامِ في غيرِ نفعٍ ، والعطيةِ في غيرِ موضعها ، وألا يعرفَ صديقه من عدوه ، وإفشاء السِّرِّ ، والثقةِ بكلِّ أحدٍ .

٤٥٤ - سوءُ العادةِ كمينٌ لا يُؤمَّنُ .

٤٥٥ - العادةُ طَبِيعَةٌ ثَانِيَةٌ غَالِبَةٌ .

٤٥٦ - التَجَنُّي وإِفْدُ القَطِيعَةِ .

٤٥٧ - صديقك مَنْ نَهَاكَ ، وعدوك مَنْ أَغْرَاكَ .

٤٥٨ - يَعْجَبُ من غَفْلَةِ الحَسَادِ عن سَلَامَةِ الأَجْسَادِ !

٤٥٩ - من سَعَادَةِ الرِّئْ أَنْ يَطُولَ عَمْرُهُ ، ويرى في أعدائه ما يَسِرُّهُ .

٤٦٠ - الضَّغَائِنُ تَوَرَّثُ كَمَا تَوَرَّثُ الأَمْوَالُ .

(١) الأَعْلَاقُ : الأشياءُ النفيسةُ القيمةُ .

- ٤٦١ - رَبِّ عَزِيزٍ أَدْلَهُ خُرْفُهُ ، وَذَلِيلٍ أَعَزَّهُ خُلُقُهُ .
- ٤٦٢ - لَا يَصْلُحُ اللَّيْمُ لِأَحَدٍ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا مَنْ فَرَّقِيَ أَوْ حَاجَجِيَ ؛ فَإِذَا اسْتَفْنَى أَوْ ذَهَبَ خَوْفُهُ عَادَ إِلَيْهِ جَوْهَرُهُ .
- ٤٦٣ - ثَلَاثَةٌ فِي الْمَجْلِسِ وَلَيْسُوا فِيهِ : الْحَاقِنُّ ، وَالضَّيِّقُ الْخَفِيُّ ، وَالسَّيِّئُ الظَّنُّ بِأَهْلِهِ .
- ٤٦٤ - وَسُئِلَ : مَا بَقِيَ الْأَشْيَاءِ فِي نَفُوسِ النَّاسِ ؟ فَقَالَ : أَمَّا فِي أَنْفُسِ الْعُلَمَاءِ فَالْإِنْدَامَةُ عَلَى الذُّنُوبِ ، وَأَمَّا فِي نَفُوسِ السُّفَهَاءِ فَالْحَقْدُ .
- ٤٦٥ - إِذَا انْقَضَى مُلْكُ قَوْمٍ خَيَّبُوا فِي آرَائِهِمْ .
- ٤٦٦ - الضَّعِيفُ الْمُحْتَرَسُ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيُّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْقَوِيِّ الْمُغْتَرِّ بِالْعَدُوِّ الضَّعِيفِ .
- ٤٦٧ - الْحَزَنُ سُوءُ اسْتِكَانَةٍ ، وَالنَّغْصَبُ لُؤْمٌ قُدْرَةٍ .
- ٤٦٨ - كُلُّ مَا يُؤْكَلُ يُنْتِنُ ، وَكُلُّ مَا يُوَهَّبُ يَأْرَجُ .
- ٤٦٩ - الطَّرَشُ فِي الْكِرَامِ ، وَالهُوَجُ فِي الطُّوَالِ ، وَالْكَيْسُ فِي الْقَصَارِ ، وَالنُّبْلُ فِي الرَّبْعَةِ ، وَحَسَنُ الْخُلُقِ فِي الْخَوْلِ ، وَالْكِبَرُ فِي الثُّغُورِ ، وَالْبَهْتُ فِي الْعِمْيَانِ ، وَالذِّكَاءُ فِي الْخُرْسِ .
- ٤٧٠ - أَلَامُ النَّاسِ مَنْ سَعَى بِإِنْسَانٍ ضَعِيفٍ إِلَى سُلْطَانٍ جَائِرٍ .
- ٤٧١ - أَعْسَرَ الْحَيْلِ تَصْوِيرُ الْبَاطِلِ فِي صُورَةِ الْحَقِّ عِنْدَ الْعَاقِلِ الْمُمَيِّزِ .
- ٤٧٢ - الْغَدْرُ ذُلٌّ حَاضِرٌ ، وَالنِّيبَةُ لُؤْمٌ بَاطِنٌ .
- ٤٧٣ - الْقَلْبُ الْفَارِغُ يَبْحَثُ عَنِ السُّوءِ وَالْيَدُ الْفَارِغَةُ تَنَازَعُ إِلَى الْإِثْمِ .
- ٤٧٤ - لَا كَثِيرَ مَعَ إِسْرَافٍ ، وَلَا قَلِيلَ مَعَ احْتِرَافٍ ، وَلَا ذَنْبَ مَعَ اعْتِرَافٍ .

- ٤٧٥ - اُتَمَعَّبِدُ عَلَى غَيْرِ فِقْهِ كَحِمَارِ الرَّحَا يَدُورُ وَلَا يَبْرَحُ .
- ٤٧٦ - الْحَرُومُ مِنْ طَالَ نَصْبُهُ ، وَكَانَ لَغَيْرِهِ مَكْسَبُهُ .
- ٤٧٧ - فِي الْاِعْتِبَارِ غَنَى عَنِ الْاِخْتِبَارِ .
- ٤٧٨ - غَيْظُ الْبَخِيلِ عَلَى الْجَوَادِ أَعْجَبُ مِنْ بَحْلِهِ .
- ٤٧٩ - أَذَلَّ النَّاسَ مُعْتَذِرٌ إِلَى النَّثِيمِ .
- ٤٨٠ - أَشْجَعُ النَّاسِ أَثْبَتُهُمْ عَقْلًا فِي بَدَاهَةِ الْخَوْفِ .
- ٤٨١ - الْمُعْتَذِرُ مُنْقَصِرٌ ، وَالْمَعَاتِبُ مُغَاضِبٌ .
- ٤٨٢ - الْمَرْوَةُ بِلَا مَالٍ كَالْأَسَدِ الَّذِي يُهَابُ وَلَمْ يَفْتَرَسْ ، وَكَالْسَيْفِ الَّذِي يَخَافُ وَهُوَ مَغْمَدٌ ؛ وَالْمَالُ بِلَا مَرْوَةٍ كَالْكَلْبِ الَّذِي يَجْتَنِبُ عَقْرًا وَلَمْ يَعْقُرْ .
- ٤٨٣ - عَلَيْكُمْ بِالْأَدَبِ ، فَإِنْ كُنْتُمْ مُلُوكًا بَرَزْتُمْ ، وَإِنْ كُنْتُمْ وَسَطًا فَقُتُمْ ، وَإِنْ أَعُوَزْتُمْ الْمَعِيشَةَ عَشْتُمْ بِأَدَبِكُمْ .
- ٤٨٤ - الْمُلُوكُ حُكَّامٌ عَلَى النَّاسِ ، وَالْعُلَمَاءُ حُكَّامٌ عَلَى الْمُلُوكِ .
- ٤٨٥ - لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ إِلَّا فِي إِحْدَى مَنَزَلَتَيْنِ : إِمَّا فِي الْغَايَةِ الْقَصْوَى مِنْ مَطَالِبِ الدُّنْيَا ، وَإِمَّا فِي الْغَايَةِ الْقَصْوَى مِنَ التَّرَكِّ لَهَا .
- ٤٨٦ - مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ الْبِرِّ الْجُودُ فِي الْعُسْرِ ، وَالصَّدَقُ فِي الْغَضَبِ ، وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْقُدْرَةِ .
- ٤٨٧ - إِنْ اللَّهُ أَنْعَمَ عَلَى الْعِبَادِ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ ، وَكَلَفَهُمْ مِنَ الشُّكْرِ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِمْ .
- ٤٨٨ - الْعَيْشُ فِي ثَلَاثٍ : صَدِيقٌ لَا يَعِدُّ عَلَيْكَ فِي أَيَّامِ صِدَاقَتِكَ مَا يَرْضَى بِهِ أَيَّامُ عَدَاوَتِكَ ، وَزَوْجَةٌ تُسَرُّكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهَا وَتَحْفَظُ غَيْبَكَ إِذَا غَبْتَ عَنْهَا ، وَغُلَامٌ يَأْتِي عَلَى مَا فِي نَفْسِكَ كَأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ مَا تَرِيدُ .

- ٤٨٩ - تحتاجُ القِرابَةُ إلى مودَّةٍ ولا تحتاجُ المودةَ إلى قِرابَةٍ .
- ٤٩٠ - الصَّابِرُ على مَخالطَةِ الأَشْرارِ وصَحْبَتِهِمْ ، كَرَاكِبِ الْبَحْرِ إِنْ سَلِمَ يَبْدَنِهِ مِنْ التَّلَفِ ، لَمْ يَسْلَمْ بِقَلْبِهِ مِنَ الْخَذَرِ .
- ٤٩١ - لأَخِيكَ عَلَيْكَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرُهُ أَنْ تُشِيرَ عَلَيْهِ بِالرَّأْيِ مَا أَطَاعَكَ ، وَتَبَدَّلَ لَهُ النُّصْرَ إِذَا عَصَاكَ .
- ٤٩٢ - النِّيبَةُ ربيعُ اللثامِ .
- ٤٩٣ - أطولُ الناسِ نَصَبًا الحَرِيصُ إِذَا طَمِعَ ، وَالْحَقُودُ إِذَا مَنَعَ .
- ٤٩٤ - الشَّرِيفُ دُونَ حَقِّهِ يُقْتَلُ وَيُعْطَى نَافِلَةٌ فَوْقَ الْحَقِّ عَلَيْهِ .
- ٤٩٥ - اجْعَلْ عَمْرَكَ كَنَفَقَةٍ دُفِعَتْ إِلَيْكَ : فَكَمَا لَا تَحِبُّ أَنْ يَذْهَبَ مَا تَنْفَقُ ضَيَاعًا ، فَلَا تَذْهَبْ عَمْرَكَ ضَيَاعًا .
- ٤٩٦ - مَنْ أَظْهَرَ شُكْرَكَ فِيمَا لَمْ تَأْتِ إِلَيْهِ ، فَاحْذَرِ أَنْ يَكْفُرَكَ فِيمَا أَسَدَيْتَ إِلَيْهِ .
- ٤٩٧ - لَا تَسْتَعِنْ فِي حَاجَتِكَ بِمَنْ هُوَ الْمَطْلُوبُ إِلَيْهِ أَنْصَحُ مِنْهُ لَكَ .
- ٤٩٨ - لَا يَوْمُ مِثْلِكَ مِنْ شَرٍّ جَاهِلٍ قِرابَةٍ وَلَا جَوَّارٍ ، فَإِنْ أَخُوفَ مَا تَكُونُ الْحَرِيقُ النَّارِ أَقْرَبُ مَا تَكُونُ إِلَيْهَا .
- ٤٩٩ - كُنْ فِي الْحَرِصِ عَلَى تَفَقُّدِ عَيْبِيكَ كَعَدُوِّكَ .
- ٥٠٠ - عَلَيْكَ بِسُوءِ الظَّنِّ ، فَإِنْ أَصَابَ فَالْخُزْمُ وَإِلَّا فَالْسَّالِمَةُ .
- ٥٠١ - رِضَا النَّاسِ غَايَةٌ لَا تَدْرُكُ ، فَتَحَرَّ الْخَيْرَ بِمُجْهِدِكَ ، وَلَا تَبَالِ بِسَخَطِ مَنْ يَرْضِيهِ الْبَاطِلُ .

٥٠٢ - لا تَمَّاكِسْ في البيع والشراء ؛ فما يَضِيعُ من عَرَضِكَ أَكْثَرُ مما تَنَالُ من عَرَضِكَ .

٥٠٣ - الدِّينُ رِقٌّ فَلَا تَبْذُلْ رِقَّكَ لِمَنْ لَا يَعْرِفُ حَقَّكَ .

٥٠٤ - احْذَرُ كُلَّ الْخَذْرَانِ يَخْدَعُكَ الشَّيْطَانُ فَيَمِثِّلُ لَكَ التَّوَانِي فِي صُورَةِ التَّوَكُّلِ ، وَيُورِثُكَ الْهَوَانِي بِالْإِحَالَةِ عَلَى الْقَدَرِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِالتَّوَكُّلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْحَيْلِ ، وَبِالتَّسْلِيمِ لِلْقَضَاءِ بَعْدَ الْإِعْذَارِ ، فَقَالَ : ﴿ خُذُوا حِذْرَكُمْ ^(١) ﴾ ، ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ^(٢) ﴾ ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « اغْلِظْهَا وَتَوَكَّلْ » .

٥٠٥ - لَا تَصْحَبْ فِي السَّفَرِ غَنِيًّا ؛ فَإِنَّكَ إِنْ سَاوَيْتَهُ فِي الْإِنْفَاقِ أَضْرَبَكَ ، وَإِنْ تَفَضَّلَ عَلَيْكَ اسْتَذَلَّكَ .

٥٠٦ - إِذَا سَأَلْتَ كَرِيماً حَاجَةً فَدَعَّهُ يُفَكِّرْ ، فَإِنَّهُ لَا يَفْكَرُ إِلَّا فِي خَيْرٍ ؛ وَإِذَا سَأَلْتَ لَيْئِماً حَاجَةً ففَافِصُهُ ^(٣) فَإِنَّهُ إِذَا ^(٤) فَكَّرَ عَادَ إِلَى طَبَعِهِ .

٥٠٧ - مَا أَقْبَحَ بِالصَّبِّيحِ الْوَجْهَ أَنْ يَكُونَ جَاهِلًا ! كَدَّارٍ حَسَنَةِ الْبِنَاءِ وَسَاكِنَهَا شَرٌّ ، وَكَبْجَةٌ يَمُرُّهَا بَوْمٌ ، أَوْ صِرْمَةٌ يَحْرُسُهَا ذَنْبٌ .

٥٠٨ - قَبِيحٌ بَذَى الْعَقْلُ أَنْ يَكُونَ بِهِمَةً وَقَدْ أَمَكَّنَهُ أَنْ يَكُونَ إِنْسَانًا ، وَقَدْ أَمَكَّنَهُ أَنْ يَكُونَ مَلَكًا ، وَأَنْ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِقُنْيَةٍ مُعَارَةٍ وَحَيَاةٍ مُسْتَرَدَّةٍ ؛ وَلَهُ أَنْ يَتَّخِذَ قُنْيَةً مُخْلَدَةً وَحَيَاةً مُؤَبَّدَةً .

٥٠٩ - الَّذِي يَسْتَحِقُّ اسْمَ السَّعَادَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ سَعَادَةِ الْآخِرَةِ ، وَهِيَ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ : بَقَاءٌ بِلَا فَنَاءٍ ؛ وَعِلْمٌ بِلَا جَهْلِ ، وَقُدْرَةٌ بِلَا عَجْزٍ ، وَغْنَىٌ بِلَا فَقْرٍ .

(٢) سورة البقرة ٩٥ .

(١) سورة النساء ٧١ .

(٤) ب : « إِنْ فَكَّرَ » .

(٣) غافسه : أَيْ أَخَذَهُ عَلَى غُرَةٍ .

- ٥١٠ - ما خاب من استخار .
- ٥١١ - الذين قد كشف عن غطاء قلبه ، يرى مطلوبه قد طبق الخافقين فلا يقع بصره على شيء إلا رآه فيه .
- ٥١٢ - من غرس النخل أكل الرطب ، ومن غرس الصنصاف والخلق عديم ثمرة ، وذهبت ضياعاً خدمته .
- ٥١٣ - إذا أردت العلم والخير فانفض عن يدك أداة الجهل والشر ، فإن الصانع لا يهيئ له الصياغة إلا إذا ألقى أداة الفلاحة عن يده .
- ٥١٤ - الصبر مفتاح الفرج .
- ٥١٥ - غاية كل متعمق في علمنا أن يجهل .
- ٥١٦ - ستعرف الحال على حقيقتها ؛ ولكن حيث لا تستطيع أن تذكر أحداً بها .
- ٥١٧ - السعادة التامة بالعلم ، والسعادة الناقصة بالزهد ، والعبادة من غير علم ولا زهادة تعب الجسد .
- ٥١٨ - الآمال مطايا ؛ وربما حسرت ، ونقبت أخفافها .
- ٥١٩ - حب الرياسة شاغل عن حب الله سبحانه .
- ٥٢٠ - يا أبا عبيدة ؛ طال عليك العهد فنسيت ، أم نافست فأنسيت ؟ لقد سمعتها ووعيتها فهلاً رعيتهما !
- ٥٢١ - قال لما سمعت خطبة عمر بالمدينة التي شرح فيها قصة السقيفة : معذرة ورب الكعبة ؛ ولكن بعد ماذا ! هيهات عقلت معاليقها ، وصراً الجندب .
- ٥٢٢ - أول من جرأ الناس علينا سعد بن عباد ، فتح باباً وحبسه

- غَيْرُهُ ، وَأَضْرَمَ نَاراً كَانَ كَهْمُهَا عَلَيْهِ ، وَضَوَّاهَا لِأَعْدَائِهِ .
- ٥٢٣ - مَا لَنَا وَلِقْرِيشَ ! يُخْضِمُونَ الدُّنْيَا بِأَسْمِنَا ، وَيَطْشُونَ عَلَيَّ رِقَابَنَا ؛ فَيَا لَلَّهِ وَلِلْعَجَبِ !
مِنْ أَسْمٍ جَلِيلٍ لِمُسَمَّى ذَلِيلٍ !
- ٥٢٤ - الْخَيْرُ كُلُّهُ فِي السَّيْفِ ، وَمَا قَامَ هَذَا الدِّينُ إِلَّا بِالسَّيْفِ ؛ أَنْتَ لَمْ تَعْلَمْ مَآعْنَى
قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ ؟ هَذَا هُوَ السَّيْفُ .
- ٥٢٥ - لَمْ يَفْتِ مَنْ لَمْ يَمُتْ .
- ٥٢٦ - مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غَصَّ بِالْمَاءِ ، فَإِنَّهُ لَوْ غَصَّ بِغَيْرِهِ لَأَسَاغَ
الْمَاءُ غُصَّتَهُ .
- ٥٢٧ - مَنْ ضَنَّ بِعَرَضِهِ فَلْيَدْعِ الْمِرَاءَ .
- ٥٢٨ - مَنْ أَقْبَضَ فِتْنَةً فَهُوَ آكِلُهَا .
- ٥٢٩ - مَنْ أَتَى كَرُمَ عَلَى أَهْلِهِ ، وَمَنْ أَمْلَقَ هَانَ عَلَى وَلَدِهِ .
- ٥٣٠ - مَنْ أَمَلَ أَحَدًا هَابَهُ ، وَمَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَابَهُ .
- ٥٣١ - أَسْوَأُ النَّاسِ حَالًا مَنْ لَا يَثِقُ بِأَحَدٍ لِسُوءِ ظَنِّهِ ، وَلَا يَثِقُ بِهِ أَحَدٌ
لِسُوءِ أَثَرِهِ .
- ٥٣٢ - أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ مَنْ كَثُرَتْ أَيْدِيهِ عِنْدَكَ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَمَنْ كَثُرَتْ
أَيْدِيكَ عِنْدَهُ .
- ٥٣٣ - مَنْ طَالَ صِمْتُهُ اجْتَلَبَ مِنَ الْهَيْبَةِ مَا يَنْفَعُهُ ، وَمَنِ الْوَحْشَةُ مَا لَا يَضُرُّهُ .
- ٥٣٤ - مَنْ زَادَ عَقْلُهُ نَقَصَ حَظُّهُ ، وَمَا جَعَلَ اللَّهُ لِأَحَدٍ عَقْلاً وَافِراً إِلَّا اخْتَسَبَ
بِهِ عَلَيْهِ مِنْ رِزْقِهِ .
- ٥٣٥ - مَنْ عَمِلَ بِالْعَدْلِ فَيَمُنْ دُونَهُ ؛ رُزِقَ الْعَدْلَ مِمَّنْ فَوْقَهُ .

- ٥٣٦ - مَنْ طَلَبَ عِزًّا يَظْلَمْ وَبَاطِلٍ أَوْرَثَهُ اللَّهُ ذَلًّا يَنْصَافُ وَحَقًّا .
- ٥٣٧ - مَنْ وَطِئَتْهُ الْأَعْيُنُ ، وَطِئَتْهُ الْأَرْجُلُ .
- ٥٣٨ - يَنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : مَنْ كَانَ لَهُ أَجْرٌ عَلَى اللَّهِ فَلْيَقُمْ ، فَيَقُومُ الْعَافُونَ عَنِ النَّاسِ ، ثُمَّ تَلَا : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ .
- ٥٣٩ - اصْحَبِ النَّاسَ بِأَيِّ خُلُقٍ شِئْتَ يَصْجَبُوكَ بِمِثْلِهِ .
- ٥٤٠ - كَأَنَّكَ بِالْأَنْبِيَاءِ لَمْ تَكُنْ ، وَكَأَنَّكَ بِالْآخِرَةِ لَمْ تَزَلْ .
- ٥٤١ - قَالَ لِمَرِيضٍ أَبْلَى مِنْ مَرَضِهِ : إِنْ اللَّهُ ذَكَرَكَ فَادْكُرْهُ ، وَأَقَالَكَ فَاشْكُرْهُ .
- ٥٤٢ - الدَّارُ دَارٌ مَنْ لَا دَارَ لَهُ ، وَبِهَا يَفْرَحُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ ، فَأَنْزِلُوهَا مَنْزِلَتِهَا .
- ٥٤٣ - لَا تَسْتَصْغِرَنَّ أَمْرَ عَدُوِّكَ إِذَا حَارَبْتَهُ ، فَإِنَّكَ إِنْ ظَفَرْتَ بِهِ لَمْ تُنْجِمْهُ ، وَإِنْ ظَفَرَ بِكَ لَمْ تُعْذَرْ ؛ وَالضَّعِيفُ الْمُحْتَرَسُ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِي أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْقَوِي الْمُتَعَذِّرِ بِالضَّعِيفِ .
- ٥٤٤ - لَا تَصْحَبْ مَنْ تَحْتَاجُ إِلَى أَنْ تَكْتُمَهُ مَا يَعْرِفُ اللَّهُ مِنْكَ .
- ٥٤٥ - لَا تَسْأَلْ غَيْرَ اللَّهِ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ أَعْطَاكَ أَغْنَاكَ .
- ٥٤٦ - الصَّاحِبُ كَالرُّقْعَةِ فِي الثَّوْبِ ، فَاتَّخِذْهُ مُسَاكِلاً .
- ٥٤٧ - إِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الْإِخْوَانِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يُؤْذِيكَ إِلَّا مَنْ يَعْرِفُكَ .
- ٥٤٨ - دَرَجَ الْيَمِينِ اللَّهُ إِجْلَالًا ، وَلِلنَّاسِ إِجْمَالًا .
- ٥٤٩ - الْعَادَاتُ قَاهِرَاتٌ ، فَمَنْ اعْتَادَ شَيْئًا فِي سِرِّهِ فَضَحَّهُ فِي عَلَانِيَتِهِ .
- ٥٥٠ - إِذَا كَانَ لَكَ صَدِيقٌ وَلَمْ تَحْمَدْ إِخَاءَهُ وَمُودَتَهُ فَلَا تُظْهِرْ ذَلِكَ لِلنَّاسِ ؛ فَإِنَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ السَّيْفِ الْكَثِيلِ فِي مَنْزِلِ الرَّجُلِ ؛ يُرْهِبُ بِهِ عَدُوَّهُ ، وَلَا يَعْلَمُ الْعَدُوُّ أَصَارِمَهُ هُوَ أَمْ كَلِيلُهُ !

٥٥١ - دَعِ الذُّنُوبَ قَبْلَ أَنْ تَدْعَكَ .

٥٥٢ - إِذَا نَزَلَ بِكَ مَكْرُوهٌ فَانْظُرْ ؛ فَإِنْ كَانَ لَكَ حِيلَةٌ فَلَا تَعْجِزْ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ حِيلَةٌ فَلَا تَجْزَعْ .

٥٥٣ - تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ، فَإِنَّهُ زِينٌ لِلْغَنِيِّ وَعَوْنٌ لِلْفَقِيرِ ، وَلَسْتُ أَقُولُ إِنَّهُ يُطْلَبُ بِهِ ، وَلَكِنْ يَدْعُوهُ إِلَى الْقِنَاعَةِ .

٥٥٤ - لَا تَرْضَيْنَ قَوْلَ أَحَدٍ حَتَّى تَرْضَى فِعْلَهُ ، وَلَا تَرْضَ فِعْلَهُ حَتَّى تَرْضَى عَقْلَهُ ، وَلَا تَرْضَ عَقْلَهُ حَتَّى تَرْضَى حَيَاءَهُ ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مَطْبُوعٌ عَلَى كَرَمٍ وَلَوْثٍ ؛ فَإِنْ قَوِيَ الْحَيَاءُ عِنْدَهُ قَوِيَ الْكَرَمُ ، وَإِنْ ضَعُفَ الْحَيَاءُ قَوِيَ اللَّوْثُ .

٥٥٥ - تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَإِنْ لَمْ تَنَالُوا بِهِ حِطًّا ؛ فَلَا تَزِدْ الزَّيْمَانَ لَكُمْ أَحْسَنَ مِنْ أَنْ يَزِدَّ بِكُمْ .

٥٥٦ - اجْعَلْ سِرِّكَ إِلَى وَاحِدٍ ، وَمَشُورَتَكَ إِلَى أَلْفٍ .

٥٥٧ - إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ النِّسَاءَ مِنْ عَيٍّْ وَعَوْرَةٍ ، فَدَاوُوا عِيَهُنَّ بِالسَّكُوتِ ، وَاسْتُرُوا الْعَوْرَةَ بِالْبُيُوتِ .

٥٥٨ - لَا تَعِدَنَّ عِدَّةَ لَا تَتَّقِي مِنْ نَفْسِكَ بِإِنْجَازِهَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكَ الْمُرْتَقَى السَّهْلُ إِذَا كَانَ الْمُتَحَدِّرُ وَغَرًّا . وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً فَاتَّقِ الْعَوَاقِبَ ، وَأَنَّ لِلْأُمُورِ بَغْتَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ .

٥٥٩ - لَا تَجَاهِدِ الطَّلَبَ جِهَادَ الْمُغَالِبِ ، وَلَا تَتَّكِلْ عَلَى الْقَدَرِ اتِّكَالَ الْمُسْتَسْلِمِ ؛ فَإِنَّ ابْتِغَاءَ الْفَضْلِ مِنَ الشُّنَّةِ ، وَالْإِجْمَالُ فِي الطَّلَبِ مِنَ الْعِفَّةِ ؛ وَليست الْعِفَّةُ بِرَافِعَةٍ رِزْقًا ، وَلَا الْحِرْصُ بِجَالِبٍ فَضْلًا .

٥٦٠ - مَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ لَهُ نَفْسُهُ ، فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ لَهُ .

- ٥٦١ - من رُجِي الرِّزْقُ لديه صُرِفَتْ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ إِلَيْهِ .
- ٥٦٢ - من انتَجَعَكَ مُؤَمَّلًا فَقَدْ أَسْلَفَكَ حُسْنَ الظَّنِّ .
- ٥٦٣ - إِذَا شِئْتَ أَنْ تُطَاعَ فَاسْأَلْ مَايُسْتَطَاعُ .
- ٥٦٤ - من أَعْذَرَ كَمَنْ أُنْجِحَ .
- ٥٦٥ - مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ كَثُرَ فِي الْقِيَامَةِ غَمُّهُ .
- ٥٦٦ - مَنْ أَجَلَ فِي الطَّلَبِ أَتَاهُ رِزْقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ .
- ٥٦٧ - مَنْ رَكِبَ الْعَجَلَةَ لَمْ يَأْمَنِ الْكِبْرَةَ .
- ٥٦٨ - مَنْ لَمْ يَثِقْ لَمْ يُوثِقْ بِهِ .
- ٥٦٩ - مَنْ أَفَادَهُ الدَّهْرُ أَفَادَ مِنْهُ (١) .
- ٥٧٠ - مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الضَّغَائِنِ اكْتَسَبَ الْعَدَاوَةَ .
- ٥٧١ - مَنْ لَا يَحْمَدُ صَاحِبَهُ عَلَى حَسَنِ النِّيَّةِ لَمْ يَحْمَدْهُ عَلَى حَسَنِ الصَّنِيعَةِ .
- ٥٧٢ - تَأَمَّلْ مَا تَحَدَّثَ بِهِ ، فَإِنَّمَا تُنْمَلِي عَلَى كَاتِبِيكَ صَحِيفَةً يُوَصِّلُهَا إِلَيْكَ رَبُّكَ ؛ فَانْظُرْ عَلَى مَنْ تَمْلِي ، وَإِلَى مَنْ تَكْتُبُ .
- ٥٧٣ - أَمِّمِ الرَّغْبَةَ إِلَيْكَ مَقَامَ الْحَرَمَةِ بِكَ ، وَعَظِّمْ نَفْسَكَ عَنِ التَّعَظُّمِ ، وَتَطَوَّلْ وَلَا تَتَطَوَّلْ .
- ٥٧٤ - عَامِلُوا الْأَخْرَارَ بِالْكَرَامَةِ الْمُحْضَةِ ، وَالْأَوْسَاطَ بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَالسَّفَلَةَ بِالْهُوَانِ .
- ٥٧٥ - كُنْ لِلْعَدُوِّ الْمَكَاتِمِ أَشَدَّ حَذَرًا مِنْكَ لِلْعَدُوِّ الْمُبَارِزِ .
- ٥٧٦ - احْفَظْ شَيْئَكَ مِمَّنْ تَسْتَحْيِي أَنْ تَسْأَلَهُ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ الشَّيْءِ إِذَا ضَاعَ لَكَ .

(١) أفاد : أى استفاد .

- ٥٧٧ - إذا كنتَ في مجلسٍ ولم تكن الحديثَ ولا الحديثَ فقم .
- ٥٧٨ - لا تستصغرنَ حديثاً ^(١) من قريش ، ولا صغيراً من الكتاب ، ولا صلوفاً من الفرسان . ولا تصادقنَ ذمياً ولا نخسياً ولا مؤثماً ؛ فلا تبت للموداتهم
- ٥٧٩ - لا تدخل في مشورتك بخيلاً فيقصر بفعلك ، ولا جباناً فيخوفك مالا تخاف ، ولا حريصاً فيعدك مالا يرجي ؛ فإن الجبن والبخل والحرص طبيعة واحدة ؛ يجمعها سوء الظن بالله تعالى .
- ٥٨٠ - لا تكن ممن تغلبه نفسه على ما يظن ، ولا يغلبها على ما يستحق .
- ٥٨١ - اعصي هواك والنساء وافعل ما بدا لك .
- ٥٨٢ - ما كنت كاتمة من عدوك فلا تظهر عليه صديقك .
- ٥٨٣ - كل من الطعام ما تشتهي ، والبس من الثياب ما تشتهي الناس .
- ٥٨٤ - ولتكن دارك أول ما يبتاع وآخر ما يبيع .
- ٥٨٥ - من كان في يده شيء من رزق الله سبحانه فليصلحه ؛ فإنكم في زمان إذا احتاج المرء فيه إلى الناس كان أول ما يبذله لهم دينه .
- ٥٨٦ - ابنل لصديقك مالاً ، ولمعرفتك رفاً ومحضرك ؛ وللعامة بشرك وتحشك ، ولعدوك عدلاً وإنصافك ، واضن بدينك وعرضك عن كل أحد .
- ٥٨٧ - جالس العقلاء أعداء كانوا أو أصدقاء ؛ فإن العقل يقع على العقل .
- ٥٨٨ - كن في الحرب بحيلتك أوثق منك بشدتك ، وبجذرك أفرح منك بنجدةك ؛ فإن الحرب حرب التهور ، وغنيمة المتحذر .
- ٥٨٩ - النعم وحشية فقيدوها بالمعروف .

(١) حديثاً ، أي صغير السن .

٥٩٠ - إِذَا أَخْطَأْنَاكَ الصَّنِيعَةُ إِلَى مَنْ يَتَّقَى اللَّهَ فَاصْنَعِهَا إِلَى مَنْ يَتَّقَى الْعَارَ .

٥٩١ - لَا تَشْتَغَلْ بِالرِّزْقِ الْمُضْمُونِ عَنِ الْعَمَلِ الْمَفْرُوضِ .

٥٩٢ - إِذَا أَكْرَمَكَ النَّاسُ لِمَالٍ أَوْ سُلْطَانٍ فَلَا يُعْجِبُكَ ذَلِكَ ، فَإِنَّ زَوَالَ الْكَرَامَةِ بَزْوَالِهَا ؛ وَلَكِنْ لِيُعْجِبَكَ إِنْ أَكْرَمَكَ النَّاسُ لِدِينٍ أَوْ آدَبٍ .

٥٩٣ - يَنْبَغِي لِمَنْ لَمْ يَكْرَمْ وَجْهَهُ عَنْ مَسْأَلَتِكَ أَنْ تُكْرِمَ وَجْهَكَ عَنْ رَدِّهِ .

٥٩٤ - إِيَّاكَ وَمَشَاوِرَةَ النِّسَاءِ ؛ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ ، وَعِزُّهُنَّ إِلَى وَهْنٍ ، وَكَفُّنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْارْتِيَابِ ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ عَلَيْكَ مِنْ دُخُولِ مَنْ لَا تَشُقُّ بِهِ عَلَيْهِنَّ ؛ وَإِنْ اسْتَطَعْتَ الْإِبْرَاقَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ ؛ وَلَا تَمَسَّكَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَمْرِ مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَنْعَمُ لِبَالِهَا ، وَأَرْخَى لِحَالِهَا ؛ وَإِنَّمَا الْمَرْأَةُ رَيْحَانَةٌ وَابْنَتٌ بِقَهْرٍ مَانَةٌ ؛ فَلَا تُعَدُّ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا ، وَلَا تُعْطِهَا أَنْ تَشْفَعَ لِفَعْلِهَا ؛ وَلَا تَطْلُ الْخُلُوةَ مَعَهُنَّ فِيمَا لَيْسَ لَكَ وَتَمَاقُفُ ، وَاسْتَبْقِ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً ؛ فَإِنَّ إِمْسَاكَ عَنْهُنَّ وَهْنٌ يُرِيدُكَ ذَلِكَ بِاقْتِدَارٍ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَهْجُمَنَّ مِنْكَ عَلَى انْكَسَارٍ . وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ الْغَيْبَةِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ مِنْهُنَّ إِلَى السَّقَمِ .

٥٩٥ - إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَحْتَمَّ عَلَى كِتَابٍ : فَأَعِدِ النَّظَرَ فِيهِ ؛ فَإِنَّمَا تَحْتَمُّ عَلَى عَقْلِكَ .

٥٩٦ - إِنْ يَوْمًا أَسْكَرَ الْكِبَارَ وَشَيَّبَ الصَّغَارَ لَشَدِيدٍ .

٥٩٧ - كَمْ مِنْ مُبَرَّدٍ لَهُ الْمَاءُ وَالْحَمِيمُ يُغْلَى لَهُ .

٥٩٨ - الصَّلَاةُ صَابُونُ الْخَطَايَا .

٥٩٩ - إِنْ امْرَأً عَرَفَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ ، وَزَهَّدَ فِيهِ لِأَحَقِّ ، وَإِنْ امْرَأً

جَهَلَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ مَعَ وُضُوْحِهِ لِلْجَاهِلِ .

٦٠٠ - إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ : وَاللَّهِ ، فَلْيَنْظُرْ مَا يَضِيفُ إِلَيْهَا .
٦٠١ - رَأَيْتَ لَا يَنْسَعُ لِكُلِّ شَيْءٍ ؛ فَفَرَّغَهُ لِلْمَهْمِ مِنْ أُمُورِكَ ، وَمَالِكَ
لَا يُغْنِي النَّاسَ كُلَّهُمْ فَاخْصُصْ بِهِ أَهْلَ الْحَقِّ ، وَكَرَامَتِكَ لَا تَطِيقُ بِذَلِكَ فِي الْعَامَّةِ ،
فَتَوَخَّ بِهَا أَهْلَ الْفَضْلِ ؛ وَلِيْلِكَ وَنَهَارِكَ لَا يَسْتَوْعِبَانِ حَوَائِجَكَ ؛ فَأَحْسِنِ الْقِسْمَةَ بَيْنَ
عَمَلِكَ وَدَعْوَتِكَ .

٦٠٢ - أَحْيِ الْمَعْرُوفَ بِإِمَاتَتِهِ .
٦٠٣ - اصْحُبُوا مَنْ يَذْكُرُ إِحْسَانَكُمْ إِلَيْهِ ، وَيَنْسَى أَيْدِيَهُ عِنْدَكُمْ .
٦٠٤ - جَاهِدُوا أَهْوَاءَكُمْ كَمَا تَجَاهِدُونَ أَعْدَاءَكُمْ .
٦٠٥ - إِذَا رَغِبْتَ فِي الْمَكَارِمِ فَاجْتَنِبِ الْحَارِمَ .
٦٠٦ - لَا تَفْتَنَّ كُلَّ الثِّقَةِ بِأَخِيكَ ، فَإِنْ سُرَّعَةَ الْأَسْتِرْسَالِ لَا تَقَالُ .
٦٠٧ - انْتَقِمْ مِنَ الْحَرَصِ بِالْقَنَاعَةِ ، كَمَا تَنْتَقِمُ مِنَ الْعَدُوِّ بِالْقِصَاصِ .
٦٠٨ - إِذَا قَصُرَتْ يَدُكَ عَنِ الْمَكَافَأَةِ ، فَلْيُطِلْ لِسَانُكَ بِالشُّكْرِ .
٦٠٩ - مَنْ لَمْ يَنْشُطْ لِحَدِيثِكَ فَارْفَعْ عَنْهُ مُؤْنَةَ الْإِسْتِمَاعِ مِنْكَ .
٦١٠ - الزَّمَانُ ذُو أَلْوَانٍ ، وَمَنْ يَصْحَبِ الزَّمَانَ يَرِ الْهُوَانَ .
٦١١ - لَا تَزْهَدْ فِي مَعْرُوفٍ ، فَإِنَّ الدَّهْرَ ذُو صُرُوفٍ ؛ كَمْ مِنْ رَاغِبٍ أَصْبَحَ
مَرْغُوبًا إِلَيْهِ ، وَمُتَبَوِّعٍ أُمْسَى تَابِعًا .

٦١٢ - إِنْ غُلِبْتَ يَوْمًا عَلَى الْمَالِ فَلَا تُغْلِبَنَّ عَلَى الْحِيلَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ .
٦١٣ - كُنْ أَحْسَنَ مَا تَكُونُ فِي الظَّاهِرِ حَالًا أَقْلَ مَا تَكُونُ فِي
الْبَاطِنِ مَالًا .

٦١٤ - لَا تَكُونَنَّ الْحَدَّثَ مَنْ لَا يَسْمَعُ مِنْهُ ، وَالذَّاخِلَ فِي سِرِّ اثْنَيْنِ لَمْ يُدْخِلَاهُ

فيه ، ولا الآتى وليمة لم يُدْعَ إليها ، ولا الجالس في مجلس لا يستحقه ، ولا طالب الفضل من أيدى اللئام ، ولا المتحقق في الدالة ، ولا التعرض للخير من عند العدو .

٦١٥ - اطعم الطين ما دام رطباً ، واغرس العود ما دام لذناً .

٦١٦ - خف الله حتى كأنك لم تُطعمه ، وارج الله حتى كأنك لم تعصيه .

٦١٧ - لا تبغ في سلامك على الإخوان حدَّ النفاق ، ولا تقصرهم عن

درجة الاستحقاق .

٦١٨ - انصح لكل مستشير ، ولا تستشير إلا الناصح اليب .

٦١٩ - ما أقبح بك أن ينادى غداً : يا أهل خطيئة كذا ؛ فتقوم معهم ، ثم ينادى

ثانياً : يا أهل خطيئة كذا ، فتقوم معهم . ما أراك يا مسكين إلا تقوم مع أهل كل خطيئة !

٦٢٠ - ما أصاب أحد ذنباً ليلاً إلا أصبح وعليه مذلته .

٦٢١ - الاستغفار يمتد الذنوب حت الورق ؛ ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ

سوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفوراً رَحِيماً ﴾ (١) .

٦٢٢ - أيها المستكثر من الذنوب ، إن أباك أخرج من الجنة

بذنوب واحد .

٦٢٣ - إذا عطى الرب من يعرفه ساط عليه من لا يعرفه .

٦٢٤ - لقاء أهل الخير عمارة القلوب .

٦٢٥ - أنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم كالمضد من المنكب ، وكالذراع

من العَصْدِ ، وكالكَفِّ من الذراع ؛ رَبَّانِي صَغِيرًا ، وآخَانِي كَبِيرًا ؛ وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي
كَانَ لِي مِنْهُ مَجْلِسُ سِرٍّ لَا يَطْلُبُ عَلَيْهِ غَيْرِي ؛ وَأَنَّهُ أَوْصَى إِلَى جِبُونِ أَهْلِيهِ وَأَهْلِ
بَيْتِهِ ؛ وَلَا قَوْلَنَّا مَا لَمْ أَقُلْهُ لِأَحَدٍ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ ، سَأَلْتُهُ مَرَّةً أَنْ يَدْعُوَنِي بِالْمَغْفِرَةِ
فَقَالَ : أَفْعَلْ ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى ، فَلَمَّا رَفَعَ يَدَهُ لِلدُّعَاءِ اسْتَمَعْتُ عَلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ قَائِلٌ : اللَّهُمَّ
بِحَقِّ عَلِيِّ عِنْدَكَ اغْفِرْ لِعَلِيِّ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا هَذَا ؟ فَقَالَ : أَوَّاحِدٌ أَكْرَمُ
مِنْكَ عَلَيْهِ فَاسْتَشْفَعَ بِهِ إِلَيْهِ !

٦٢٦ - وَاللَّهِ مَا قُلْتُ بَابَ خَيْبَرَ ، وَدَكَدْتُ^(١) حِصْنَ يَهُودٍ بِقُوَّةِ
جَسَمَانِيَّةٍ بَلْ بِقُوَّةِ إِلَهِيَّةٍ .

٦٢٧ - يَا بَنَ عَوْفٍ ، كَيْفَ رَأَيْتَ صَنِيعَكَ مَعَ عُثْمَانَ رُبِّ وَائِقِي خَجَلٍ ، وَمَنْ
لَمْ يَتَوَخَّ بِعَمَلِهِ وَجْهَ اللَّهِ عَادَ مَادِحُهُ مِنَ النَّاسِ لَهُ ذَامًا .
٦٢٨ - لَوْ رَأَيْتَ مَا فِي مِيزَانِكَ لَخُفَّتَ عَلَى لِسَانِكَ .

٦٢٩ - لَيْسَ الْحَلْمُ مَا كَانَ حَالَ الرِّضَا ، بَلِ الْحَلْمُ مَا كَانَ حَالَ الْغَضَبِ .
٦٣٠ - لَيْسَ شَيْءٌ أَقْطَعَ لَظْهَرِ إِبْلِيسَ مِنْ قَوْلٍ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » ،
كَلِمَةِ التَّقْوَى .

٦٣١ - لَا تَحْمِلُوا ذُنُوبَكُمْ وَخَطَايَاكُمْ عَلَى اللَّهِ ، وَتَذَرُوا أَنْفُسَكُمْ وَالشَّيْطَانَ .
٦٣٢ - إِنْ أَخُوَفَ مَا أَخَافَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الدَّجَالِ ، أُمَّةٌ مُضِلُّونَ وَهُمْ رُؤَسَاءُ
أَهْلِ الْبِدْعِ .

٦٣٣ - إِذَا زِلْتُمْ فَارْجِعْ ، وَإِذَا نَدِمْتَ فَاقْلَعْ ، وَإِذَا أَسَأْتَ فَانْدَمْ ؛ وَإِذَا مَنَنْتَ
فَاكْتُمْ ، وَإِذَا مَنَعْتَ فَاجْعَلْ ، وَمَنْ يُسَلِّفِ الْمَعْرُوفَ يَكُنْ رِجْلُهُ الْحَدَّ .

(١) دَكَدَكَ الْحَصَنَ : هَذِهِ .

- ٦٣٤ - استشر عدوك تجربة لتعلم مقدار عداوته .
- ٦٣٥ - لا تطلبن من نفسك العام ما وعدتك عاماً أول .
- ٦٣٦ - أطول الناس عُمرًا من كثر علمه ، فتأدب به من بعده ، أو كثر معرفته فشرّف به عقبه .
- ٦٣٧ - استهينوا بالموت فإن مرارته في خوفه .
- ٦٣٨ - لا دين لمن لا نية له ، ولا مال لمن لا تدبير له ، ولا عيش لمن لا رفق له .
- ٦٣٩ - من اشتغل بتفقد اللفظة ، وطلب السجعة^(١) ، نسي الحجة .
- ٦٤٠ - الدنيا مطية المؤمن ، عليها يرتحل إلى ربه ، فأصلحوا مطاياكم تبلفكم إلى ربكم .
- ٦٤١ - من رأى أنه مسيء فهو محسن ، ومن رأى أنه محسن فهو مسيء .
- ٦٤٢ - سيئة تسويك خير من حسنة تعجبك .
- ٦٤٣ - اطلبوا الحاجات بعزة الأنفس ؛ فإن بيد الله قضاءها .
- ٦٤٤ - عذب حسادك بالإحسان إليهم .
- ٦٤٥ - إظهار الفاقة من خمول الهمة .
- ٦٤٦ - يا عالم ، قد قام عليك حجة العلم ، فاستيقظ من رقتك .
- ٦٤٧ - الرفق يفلح حد المخالفة .
- ٦٤٨ - أرزح الناس عقلاً ، وأكلمهم فضلاً ؛ من صحب أيامه بالموادعة وإخوانه بالسلمة ، وقيل من الزمان عفوّه .

(١) أى من طلب تزيين الكلام .

٦٤٩ - الوجوه إذا كثرت تقابلها ، اعتصر بعضها ماء بعض .

٦٥٠ - أداء الأمانة مفتاح الرزق .

٦٥١ - حصن علمك من العجب ، ووقارك من الكبر ، وعطاءك من السرف ، وصرامتك من المجلة ، وعقوبتك من الإفراط ، وعفوك من تعطيل الحدود ، وصمتك من العي ، واستماعك من سوء الفهم ، واستئناسك من البداء ، وخلواتك من الإضاعة ، وغراماتك من اللجاجة وروغائك من الاستسلام ، وحذراتك من الجبن .

٦٥٢ - لا تجد للموتور الحقود أماناً من أذاه أوثق من البعد عنه ، والاحتباس منه .

٦٥٣ - احذر من أصحابك ومخالطيك الكثير المسألة ، الخشن البحث ، اللطيف الاستدراج ، الذي يحفظ أول كلامك على آخره ، ويعتبر ما أخرت بما قدمت ، ولا تظهر له الخافة فيرى أنك قد تحررت وتحفظت . واعلم أن من يقطعة الفطنة إظهار الغفلة مع شدة الحذر ، يخالط هذا مخالطة الآمن ، وتحفظ منه تحفظ الخائف ؛ فإن البحث يظهر الخفي ، ويبدى المستور الكامن .

٦٥٤ - من سره الفنى بلا سلطان ، والكثرة بلا عشيرة ، فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته ؛ فإنه واحد ذلك كله .

٦٥٥ - الشيب إعداء الموت .

٦٥٦ - من ساس نفسه بالصبر على جهل الناس صلح أن يكون سائساً .

٦٥٧ - لله تعالى كل لحظة ثلاثة عساكر : فمسكر ينزل من الأصلاب إلى الأرحام ، وعسكر ينزل من الأرحام إلى الأرض ، وعسكر يرتحل من الدنيا إلى الآخرة .

- ٦٥٨ - اللَّهُمَّ ارحمني رحمة الغفران ، إن لم ترحمني رحمة الرضا .
- ٦٥٩ - إلهي كيف لا يحسن مني الظن وقد حسن منك المن ! إلهي إن علمتنا بعدلك لم يبق لنا حسنة ، وإن أنلتنا فضلك لم يبق لنا سيئة .
- ٦٦٠ - العلم سلطان ، من وجدته صال به ، ومن لم يجدته صيل عليه .
- ٦٦١ - يا بن آدم إنما أنت أيام مجموعة ؛ فإذا مضى يوم مضى بعضك .
- ٦٦٢ - حيث تكون الحكمة تكون خشية الله ، وحيث تكون خشية الله تكون رحمة .
- ٦٦٣ - اللَّهُمَّ إني أرى لدى من فضلك ما لم أسألك ، فعلت أن لديك من الرحمة ما لا أعلم ، فصغرت قيمة مطلبي فيما عاينت ، وقصرت غاية أملى عند ما رجوت ، فإن ألحقت في سؤالي فلفاقتي إلى ما عندك ، وإن قصرت في دعائي فما عودت من ابتدائك .
- ٦٦٤ - من كان همته ما يدخل جوفه كانت قيمته ما يخرج منه .
- ٦٦٥ - يقول الله تعالى : يا بن آدم ، لم أخلقك لأزبح عليك ، إنما خلقتك لتزبح علي ، فاتخذني بدلاً من كل شيء فإني ناصر لك من كل شيء .
- ٦٦٦ - الرجاء للخالق سبحانه أقوى من الخوف ، لأنك تخافه لذنبك ، وترجوه لجوده ، فالخوف لك والرجاء له .
- ٦٦٧ - أسألك بعزة الوجدانية ، وكرم الإلهية ، ألا تقطع عني برك بعد ما تاتي ، كما لم تزل تراني أيام حياتي ، أنت الذي تجيب من دعاك ، ولا تخيب من رجاك ، ضل من يدعو إلا إياك ، فإنك لا تحجب من أباك ، وتفضل على من

عصاك ، وَلَا يَفُوتُكَ مِنْ نَاوَاكَ ، وَلَا يُعْجِزُكَ مِنْ عَادَاكَ ؛ كُلُّ فِي قُدْرَتِكَ ، وَكُلُّ
يَأْكُلُ رِزْقَكَ .

٦٦٨ - لَا تَطْلُبَنَّ إِلَى أَحَدٍ حَاجَةً لَيْلًا ؛ فَإِنَّ الْحَيَاءَ فِي الْعَيْنِينَ .

٦٦٩ - مَنْ أَزْدَادَ عِلْمًا فَلْيَحْذَرْ مِنْ تَوْكِيدِ الْحِجَّةِ عَلَيْهِ .

٦٧٠ - الْعَاقِلُ يُنَافِسُ الصَّالِحِينَ لِيَلْحَقَ بِهِمْ ، وَيُحِبُّهُمْ لِيُشَارِكَهُمْ بِمَحَبَّتِهِ ؛
وَلَا يَقْصُرُ عَنْ مِثْلِ عَمَلِهِمْ ، وَالْجَاهِلُ يَذُمُّ الدُّنْيَا وَلَا يَسْخُو بِإِخْرَاجِ أَقْلَمِهَا ، يَمْدَحُ
الْجُودَ ، وَيُبْخَلُّ بِالْبَذْلِ ، يَتَمَنَّى التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ ، وَلَا يُعْجَلُهَا خَوْفَ حُلُولِ
الْأَجْلِ ، يَرْجُو ثَوَابَ عَمَلٍ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ ، وَيَفِرُّ مِنَ النَّاسِ لِيُطْلَبَ ، وَيَخْفَى شَخْصَهُ
لِيُشْتَبَرَ ، وَيَذُمُّ نَفْسَهُ لِيَمْدَحَ ، وَيَنْهَى عَنِ مَذْحِهِ وَهُوَ يَحِبُّ أَلَّا يَنْتَهَى مِنَ
الْتِنَاءِ عَلَيْهِ .

٦٧١ - الْأَنْسُ بِالْعِلْمِ مِنْ ثَبَلِ الْهَمَّةِ .

٦٧٢ - اللَّهُمَّ كَمَا صُنْتَ وَجْهِي عَنِ السُّجُودِ لِفَيْرِكَ ، فَصُنْ وَجْهِي عَنِ مَسْأَلَةِ غَيْرِكَ .

٦٧٣ - مِنَ النَّاسِ مَنْ يَنْقُصُكَ إِذَا زِدْتَهُ ، وَيَهُونُ عَلَيْكَ إِذَا خَاصَصْتَهُ ، لَيْسَ
لِرِضَاهُ مَوْضِعٌ تَعْرِفُهُ ، وَلَا لِسَخَطِهِ مَكَانٌ تَحْذَرُهُ ، فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَاذْنَلْ لَهُمْ
مَوْضِعَ الْمَوَدَّةِ الْعَامَّةِ ، وَاحْرِمْهُمْ مَوْضِعَ الْخَاصَّةِ ؛ لِيَكُونَ مَا بَدَلْتَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ
حَائِلًا دُونَ شَرِّهِمْ ، وَمَا حَرَمْتَهُمْ مِنْ هَذَا قَاطِعًا لِحُرْمَتِهِمْ .

٦٧٤ - مَنْ شَبَعَ عُوقِبَ فِي الْحَالِ ثَلَاثَ عُقُوبَاتٍ : يُبَلِّغُ الْفِطَاءَ عَلَى قَلْبِهِ ،
وَالنَّعَاسَ عَلَى عَيْنِهِ ، وَالْكَسَلَ عَلَى بَدَنِهِ .

٦٧٥ - ذَمُّ الْقَلَاءِ أَشَدُّ مِنْ عُقُوبَةِ السُّلْطَانِ .

٦٧٦ - يَقْطَعُ الْبَلِيعُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ أَمْرَانِ : ذُلُّ الطَّلَبِ ، وَخَوْفُ الرَّدِّ .

٦٧٧ - الْمُؤْمِنُ مُحَدَّثٌ .

- ٦٧٨ - قلّ أن ينطق إسانُ الدَّعوى إلا ويُنْخِسه كِعامٌ^(١) الامتحان .
- ٦٧٩ - انظر ما عندك فلا تَضَعُهُ إِلَّا فِي حَقِّهِ ؛ وما عند غيرك فلا تأخُذْهُ إِلَّا بِحَقِّهِ .
- ٦٨٠ - إذا صافاك عدوك رياءٍ مِنْهُ فَتَأَقَّ ذَلِكَ بأوكد مودَّةٍ ؛ فإنه إن أَلِفَ ذَلِكَ واعتادَهُ خُلِصَتْ لك مودَّتُهُ .
- ٦٨١ - لا تألُفِ المسألةَ فيألفَكَ المنعُ .
- ٦٨٢ - لا تسألِ الحوائجَ غيرَ أهلها ، ولا تسألها في غيرِ حينها ، ولا تسألِ ما لستَ لَهُ مُستحقًّا فتكونَ للحرمانِ مُستوجبًا .
- ٦٨٣ - إذا غَشَّكَ صديقك فاجعَلْهُ معَ عدوك .
- ٦٨٤ - لا تعدَّنْ من إخوانك من آخاك في أيامِ مقدرتكَ للمقدرة ، واعلم أنه ينقلُ عنك في أحوالٍ ثلاثٍ : يَكُونُ صديقًا يومَ حاجته إليك ، ومُعْرِضًا يومَ غناه عنك ، وعدوًّا يومَ حاجتكَ إليه .
- ٦٨٥ - لا تُسرَّنْ بكثرةِ الإخوان ما لم يَكُونُوا أخیارًا ؛ فإنَّ الإخوانَ بمنزلةِ النَّارِ التي قَلِيلُها متاعٌ ، وكثيرُها بوارٌ .
- ٦٨٦ - كفالك خيانةً أن تَكُونُ أمينًا للخونة .
- ٦٨٧ - لا تحقرنَّ شيئًا من الخير وإن صغر ؛ فإنك إذا رأيتَه سرَّكَ مكانه ؛ ولا تحقرنَّ شيئًا من الشرِّ وإن صغر ، فإنك إذا رأيتَه ساءَكَ مكانه .
- ٦٨٨ - يا بن آدم ؛ ليسَ بِكَ غَناءٌ عن نصيبك مِنَ الدُّنيا ، وأنتَ إلى نصيبك مِنَ الآخرةِ أَفقرُ .

(١) الكعام : ما يشد به فم البعير .

٦٨٩ - معصيةُ العالم إذا خفيت لم تضرَّ إلا صاحبها ، وإذا ظهرت ضرت صاحبها والعامة .

٦٩٠ - يجبُ على العاقل أن يكونَ بما أحيا عقله من الحكمة أكلَف منه بما أحيا جسمه من الغذاء .

٦٩١ - أفسرُ العيوبِ صلاحاً العُجبُ واللباجة .

٦٩٢ - لكلِّ نعمةٍ مفتاحٌ ومغلاقٌ ، فمفتاحُ الصبرِ ، ومغلاقُها الكسلُ .

٦٩٣ - الحزنُ والغضبُ أميرانِ تابعانِ لوقوعِ الأمرِ بخلافٍ ما تُحب ، إلا أن المكروة إذا أتاك بمن فوقك نتجَ عليك حُزنًا ، وإن أتاك بمن دونك نتجَ عليك غضبًا .

٦٩٤ - أولُ المعروفِ مُستخفٌ ، وآخره مُستنقلٌ ؛ تكادُ أوائله تكونُ للهوى ، دُونَ الرأى ، وآخره للرأى دُونَ الهوى ؛ ولذلك قيلَ : ربُّ الصنعةِ أشدُّ من الابتداءِ بها .

٦٩٥ - لا تدعُ الله أن يُغنيكَ عنِ النَّاسِ فإن حاجاتِ النَّاسِ بعضهم إلى بعضٍ مُتصلةٌ كاتصالِ الأَعْضاءِ فمتى يستغنى المرءُ عن يديه أو رجله ! ولكن ادعُ الله أن يُغنيكَ عن شِرَارِهِمْ .

٦٩٦ - احترسْ مِنْ ذِكْرِ العلمِ عند مَنْ لا يرغبُ فيه ؛ وَمِنْ ذِكْرِ قديمِ الشَّرَفِ عند مَنْ لا قديمَ لَهُ ، فإنَّ ذلكَ ممَّا يحقدُّها عليك .

٦٩٧ - ينبغي لِذوى القَرَاباتِ أن يتزاورُوا ولا يتجاوزُوا .

٦٩٨ - لا تواخِ شاعراً فإنه يمدحُكَ بشمن ، ويهجوكَ بمجانا .

٦٩٩ - لا تُنزلِ حوائجَكَ بجيِّدِ اللسانِ ، ولا بمتسرعٍ إلى الضمانِ .

- ٧٠٠ - كلَّ شَيْءٍ طَلَبْتَهُ فِي وَقْتِهِ فَقَدْ فَاتَ وَقْتُهُ .
- ٧٠١ - إِذَا شَكَّكَتَ فِي مُودَةِ إِنْسَانٍ فَاسْأَلْ قَلْبَكَ عَنْهُ .
- ٧٠٢ - الْعَقْلُ لَمْ يَجْنِ عَلَى صَاحِبِهِ قَطُّ ؛ وَالْعِلْمُ مِنْ غَيْرِ عَقْلٍ يَجْنِي عَلَى صَاحِبِهِ .
- ٧٠٣ - يَا بَنَ آدَمَ ؛ هَلْ تَنْتَظِرُ إِلَّا هَرَمًا حَائِلًا ^(١) ، أَوْ مَرَضًا شَاغِلًا ، أَوْ مَوْتًا نَازِلًا ؟
- ٧٠٤ - ابْنُكَ يَا كُلُّكَ صَغِيرًا وَيَرِيئُكَ كَبِيرًا ، وَابْنَتُكَ تَأْكُلُ مِنْ وَعَائِكَ ، وَتَرِثُ مِنْ أَعْدَائِكَ ، وَابْنُ عَمِّكَ عَدُوُّكَ وَعَدُوُّ عَدُوِّكَ ، وَزَوْجَتُكَ إِذَا قَلَّتْ لَهَا قُرَى قَامَتْ .
- ٧٠٥ - إِذَا ظَفَرْتُمْ فَأَكْرِمُوا الْغَلَبَةَ ، وَعَلَيْكُمْ بِالتَّعَافُلِ فَإِنَّهُ فَعَلُ الْكَرَامِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْمَنَ فَإِنَّهُ مَهْدَمَةٌ لِلصَّنِيعَةِ ، مِنْبَهَةٌ لِلضَّعِيفَةِ .
- ٧٠٦ - مَنْ لَمْ يَرْجُ إِلَّا مَا يَسْتَوْجِبُهُ أَذْرَكَ حَاجَتَهُ .
- ٧٠٧ - بَلَغَ مِنْ خَدَعِ النَّاسِ ، أَنْ جَعَلُوا شُكْرَ الْمَوْتَى تِجَارَةً عِنْدَ الْأَحْيَاءِ ، وَالثَّنَاءَ عَلَى الْغَائِبِ اسْتِمَالَةً لِلشَّاهِدِ .
- ٧٠٨ - مَنْ اخْتِاجَ إِلَيْكَ ثَقُلَ عَلَيْكَ ، وَمَنْ لَمْ يُصْلِحْهُ الْخَيْرُ أَصْلَحَهُ الشَّرُّ ، وَمَنْ لَمْ يُصْلِحْهُ الطَّالِي أَصْلَحَهُ الْكَارِي .
- ٧٠٩ - مَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ ، وَمِنْ زَنَى زَنَى بِهِ ، وَمَنْ طَلَبَ عَظِيمًا خَاطَرَ بِعَظَمَتِهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصْرِمَ ^(٢) أَخَاهُ فَلْيَقْرِضْهُ ثُمَّ لِيَتَقَاضَ ^(٣) ؛ وَمَنْ أَحَبَّكَ لَشَيْءٍ مَلَكَ عِنْدَ انْقِضَائِهِ ، وَمَنْ عُرِفَ بِالْحِكْمَةِ لَاحِظَتُهُ الْعُيُونُ بِالْوَقَارِ .

(١) حَائِلًا ؛ أَيْ مَانِعًا يَمْنَعُهُ مِنْ أَدَاءِ أَعْمَالِهِ . (٢) يَقْطَعُ مُودَتَهُ . (٣) يُطْلَبُ مِنْهُ مَا اقْتَرَضَ .

- ٧١٠ - من يبلغ السبعين اشكى من غير علة .
- ٧١١ - في المال ثلاث خصال مذمومة : إما أن يكتسب من غير حله ، أو يمنع إنفاقه في حقه ، أو يشغل بإصلاحه عن عبادة الله تعالى .
- ٧١٢ - يُباعدك من غضب الله ألا تغضب .
- ٧١٣ - لا تستبدلن بأخ لك قديم أخاً مُستفاداً ما استقام لك ؛ فإنك إن فعلت فقد غيرت ، وإن غيرت تغيرت نعم الله عليك .
- ٧١٤ - أشد من البلاء شماتة الأعداء .
- ٧١٥ - ليس يزني قرُّك إن غَضَضْتَ طرفك .
- ٧١٦ - كما ترك لكم الملوك الحكمة والعلم فاتركوا لهم الدنيا .
- ٧١٧ - الهدية تفقأ عين الحكيم .
- ٧١٨ - ليكن أصدقاؤك كثيراً ، واجعل سرك منهم إلى واحد .
- ٧١٩ - يا عبيد الدنيا ؛ كيف تخالف فروغكم أصولكم ، وسقولكم أهواءكم ، قولكم شفاء يُبرئ الداء ، وعلمكم داء لا يقبل الدواء ؛ ولستم كالكرمة التي حسن ورقها ، وطاب ثمرها ، وسهل مرتقاها ؛ ولكنكم كالشجرة التي قلَّ ورقها ، وكثر شوكها ، وخُبث ثمرها ، وصعب مرتقاها . جعلتم العلم تحت أقدامكم ؛ والدنيا فوق رؤوسكم ؛ فالعلم عندكم مُذال^(١) متهن ، والدنيا لا يُستطاع تناولها ؛ فقد منعتكم كل أحد من الوصول إليها ؛ فلا أحرار كرام أنتم ، ولا عبيد أتقياء . ويحكم يا أجراء السوء ! أما الأجر فتأخذون ، وأما العمل فلا تعملون ؛ إن علمتم فللعمل تُسدون ، وسوف تلقون ما تعملون ، يوشك رب العمل أن ينظر في عمله الذي أفسدتم ، وفي أجره الذي أخذتم . يا غرماء السوء ، تبدءون بالهدية قبل قضاء

(١) الإذالة : الإهانة .

الدِّينَ ، تَتَطَوَّعُونَ بِالنَّوَافِلِ وَلَا تُؤَدُّونَ الْفَرَائِضَ ، إِنْ رَبَّ الدِّينِ لَا يَرْضَى بِالْهَدِيَّةِ حَتَّى يُقْضَى دَيْنُهُ .

٧٢٠ - الدُّنْيَا مَزْرَعَةٌ لِإِبْلِيسَ ، وَأَهْلُهَا أَكْرَةٌ حَرَّاثُونَ لَهُ فِيهَا .

٧٢١ - وَاعْبَأْ مِمَّنْ يَعْمَلُ لِلدُّنْيَا وَهُوَ يَرْزُقُ فِيهَا بِغَيْرِ عَمَلٍ ، وَلَا يَعْمَلُ لِلْآخِرَةِ وَهُوَ لَا يَرْزُقُ فِيهَا إِلَّا بِالْعَمَلِ !

٧٢٢ - لَا تَجَالَسُوا إِلَّا مَنْ يَذْكُرُكُمْ اللَّهُ رُؤْيَتُهُ ، وَيَزِيدُ فِي عَمَلِكُمْ مَنْطَقَةً ، وَيَرْغَبُكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلُهُ .

٧٢٣ - كَثْرَةُ الطَّعَامِ تَمِيتُ الْقَلْبَ كَمَا تَمِيتُ كَثْرَةُ الْمَاءِ الزَّرْعَ .

٧٢٤ - ضَرْبُ الْوَالِدِ الْوَلَدَ كَالسَّامِ لِلزَّرْعِ .

٧٢٥ - إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَصَادِقَ رَجُلًا فَأَغْضِبْهُ ، فَإِنْ أَنْصَفَكَ فِي غَضَبِهِ وَإِلَّا فِدَعَهُ .

٧٢٦ - إِذَا أَتَيْتَ مَجْلِسَ قَوْمٍ فَارْمِهِمْ بِسَهْمِ الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ اجْلِسْ - يَعْنِي السَّلَامَ - فَإِنْ أَفَاضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَأَجِلْ سَهْمَكَ مَعَ سَهْمِهِمْ ، وَإِنْ أَفَاضُوا فِي غَيْرِهِ فَعَلِّمْهُمْ وَانْهَضْ .

٧٢٧ - الْأَوْطَارُ تَكْسِبُ الْأَوْزَارَ ، فَارْفُضْ وَطَرَكَ ، وَاغْضُضْ بِصَرَكَ .

٧٢٨ - إِذَا قَعَدْتَ عِنْدَ سُلْطَانٍ فَلْيَكُنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَقْعَدُ رَجُلٍ ؛ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنْهُ هُوَ آثَرُهُ عِنْدَهُ مِنْكَ ؛ فَيُرِيدُ أَنْ تَنْدَحِيَ عَنْ مَجْلِسِكَ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ نَقْصًا عَلَيْكَ وَشَيْئًا .

٧٢٩ - اِرْحَمِ الْفُقَرَاءَ لِقَلَّةِ صَبْرِهِمْ ، وَالْأَغْنِيَاءَ لِقَلَّةِ شُكْرِهِمْ ، وَارْحَمِ الْجَمِيعَ لِطُولِ غَفْلَتِهِمْ .

- ٧٣٠ - العالمُ مصباحُ الله في الأرضِ ، فمن أرادَ الله به خيراً اقتبسَ منه .
- ٧٣١ - لا يهونَنَّ عليك من قبَحِ منظَرِهِ ورثَ لباسُهُ ؛ فإنَّ الله تعالى ينظرُ إلى القلوبِ ويَجازِي بالأعمالِ .
- ٧٣٢ - من كَذَبَ ذَهَبَ بِمَاءِ وَجْهِهِ ، ومن ساءَ خُلُقُهُ كَثُرَ عَمَلُهُ ، ونَقِلُ الصَّخُورِ مِنْ مواضعِها أَهْوَنُ مِنْ تَفْهِيمِ مَنْ لَا يَفْهَمُ .
- ٧٣٣ - كُنْتُ فِي أَيَّامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَجُزءٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، ينظرُ إِلَى النَّاسِ كما يُنظرُ إِلَى السَّكَاكِبِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ ، ثُمَّ غَضَّ الدَّهْرُ مَتًى ، فَفُرْنَ بِي فَلَانٌ وَفَلَانٌ ، ثُمَّ قُرُنْتُ بِخَمْسَةِ أَمْثَلِهِمْ عَمَانُ ، فَقُلْتُ : وَاذْقَرَاهُ^(١) ! ثُمَّ لَمْ يَرْضَ الدَّهْرُ لِي بِذَلِكَ ؛ حَتَّى أَرَذَلَنِي ، فَجَعَلَنِي نَظِيرًا لِابْنِ هِنْدٍ وَابْنِ النَّابِغَةِ ! لَقَدْ اسْتَنْتَ الْفَصَالَ حَتَّى الْقَرَعَى .
- ٧٣٤ - أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ إِلَى أَنْ الْأُمَّةُ سَتْفِدِرُ بِكَ مِنْ بَعْدِي .
- ٧٣٥ - لَامَتْهُ فَاطِمَةُ عَلَى قُعُودِهِ وَأَطَالَتْ تَعْنِيفُهُ ؛ وَهُوَ سَاكِتٌ حَتَّى أَذَّنَ الْوُذُنَ ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ : « أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ » ، قَالَ لَهَا : اْتَحَبِّبِينَ أَنْ تَزُولَ هَذِهِ الدَّعْوَةُ مِنَ الدُّنْيَا ؟ قَالَتْ : لَا ، قَالَ فَهُوَ مَا أَقُولُ لَكَ .
- ٧٣٦ - قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنْ اجْتَمَعُوا عَلَيْكَ فَاصْنَعْ مَا أَمَرْتُكَ ؛ وَإِلَّا فَأَلْصِقْ كَنَكَالَكَ بِالْأَرْضِ ؛ فَلَمَّا تَفَرَّقُوا عَنِّي جَرَرْتُ عَلَى الْمَكْرُوهِ ذِلِّي ، وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى جَفْنِي ، وَأَلْصَقْتُ بِالْأَرْضِ كَنَكَالِي .
- ٧٣٧ - الدُّنْيَا حُلْمٌ وَالْآخِرَةُ يَقْظَةٌ ؛ وَنَحْنُ بَيْنَهُمَا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ .

(١) الذفر : الراحة الحبيثة .

٧٣٨ - لَمَّا عَرَفَ أَهْلُ النِّقْصِ حَالَهُمْ عِنْدَ أَهْلِ الْكَمَالِ ، اسْتَعَانُوا بِالْكَبِيرِ
لِيُعْظَمَ صَغِيرًا ، وَيَرْفَعَ حَقِيرًا ، وَلَيْسَ بِفَاعِلٍ .
٧٣٩ - لَو تَمَيَّزَتِ الْأَشْيَاءُ كَانَتِ الْكَذِبُ مَعَ الْجُبْنِ ، وَالصَّدْقُ مَعَ الشَّجَاعَةِ ،
وَالرَّاحَةُ مَعَ الْيَأْسِ ، وَالتَّعَبُ مَعَ الطَّعْمِ ، وَالْحَرَمَانُ مَعَ الْحَرَصِ ، وَالذُّلُّ
مَعَ الدِّينِ .

٧٤٠ - الْمَعْرُوفُ غُلٌّ لَا يُفَكُّهُ إِلَّا شُكْرٌ أَوْ مَكْفَاةٌ .
٧٤١ - كَثْرَةُ مَالِ الْمَيِّتِ تَسْلَى وَرِثَتُهُ عَنْهُ .
٧٤٢ - مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَ عَلَيْهِ مَالُهُ .
٧٤٣ - مَنْ كَثُرَ مُزَاحُهُ لَمْ يَسْلَمْ مِنْ اسْتِخْفَافٍ بِهِ ، أَوْ حَقْدٍ عَلَيْهِ .
٧٤٤ - كَثْرَةُ الدِّينِ تَضْطَرُّ الصَّادِقَ إِلَى الْكَذِبِ وَالْوَاعِدَ إِلَى الْإِخْلَافِ .
٧٤٥ - عَارُ النَّصِيحَةِ يَكْدُرُ لَذَّتُهَا .
٧٤٦ - أَوَّلُ الْغَضَبِ جُنُونٌ ، وَآخِرُهُ نَدَمٌ .
٧٤٧ - انْفِرِدْ بِسِرِّكَ وَلَا تَوَدِّعْ حَازِمًا فَيَزِلَّ ، وَلَا جَاهِلًا فَيَخُونَ .
٧٤٨ - لَا تَقْطَعْ أَخَاكَ إِلَّا بَعْدَ عَجْزِ الْحِيلَةِ عَنْ اسْتِصْلَاحِهِ ، وَلَا تُتْبِعْهُ بَعْدَ
الْقَطِيعَةِ وَقِيَعَةٍ فِيهِ ؛ فَتَسُدَّ طَرِيقَهُ عَنِ الرُّجُوعِ إِلَيْكَ ، وَلَعَلَّ التَّجَارِبَ أَنْ تَرُدَّهُ
عَلَيْكَ وَتُصْلِحَهُ لَكَ .

٧٤٩ - مَنْ أَحْسَنَ بَضْعَ حِيلَتِهِ عَنِ الْاِكْتِسَابِ بِخُلٍّ .
٧٥٠ - الْجَاهِلُ صَغِيرٌ وَإِنْ كَانَ شَيْخًا ، وَالْعَالِمُ كَبِيرٌ وَإِنْ كَانَ حَدَثًا .
٧٥١ - الْمَيِّتُ يَقِلُّ الْحَسَدُ لَهُ ، وَيَكْثُرُ الْكَذِبُ عَلَيْهِ .
٧٥٢ - إِذَا نَزَلَتْ بِكَ النِّعْمَةُ فَاجْعَلْ قِرَاها الشُّكْرَ .

- ٧٥٣ - الحِرْصُ يَنْقُصُ مِنْ قَدْرِ الْإِنْسَانِ وَلَا يَزِيدُ فِي حَظِّهِ .
- ٧٥٤ - الْفُرْصَةُ سَرِيعَةُ الْقَوْتِ بِطَيِّئَةِ الْعَوْدِ .
- ٧٥٥ - أَبْجَلُ النَّاسِ بِمَالِهِ أَجُودُهُمْ بِعَرَضِهِ .
- ٧٥٦ - لَا تَتَّبِعِ الذَّنْبَ الْعَقُوبَةُ وَاجْعَلْ بَيْنَهُمَا وَقْتًا لِلْإِعْتِدَارِ .
- ٧٥٧ - اذْكُرْ عِنْدَ الظُّلْمِ عَدْلَ اللَّهِ فِيكَ ، وَعِنْدَ الْقُدْرَةِ قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ .
- ٧٥٨ - لَا يَحْمِلَنَّكَ الْحَقُّ عَلَى إِقْرَافِ الْإِثْمِ فَتَشْفَى غِيظَكَ وَتَسْقَمَ دِينَكَ .
- ٧٥٩ - الْمَلِكُ بِالَّذِينَ يَبْقَى وَالَّذِينَ بِالْمَلِكِ يَقْوَى .
- ٧٦٠ - كَانَ الْحَاسِدَ إِذَا مَا خَلَقَ لِيَعْتَاطَ .
- ٧٦١ - عَقْلُ الْكَاتِبِ فِي قَلَمِهِ .
- ٧٦٢ - اقْتَصِرْ مِنْ شَهْوَةٍ خَالَفتْ عَقْلَكَ بِالْخِلَافِ عَلَيْهَا .
- ٧٦٣ - اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ ، وَلَا تَبْدِلْ جَاهِي بِالْإِقْتَارِ ؛ فَاسْتَرْزَقْ طَالِي رِزْقِكَ ، وَأَسْتَعِظْ شِرَارَ خَلْقِكَ ، وَأُبْتَغِ بِحَمْدِكَ مِنْ أَعْطَانِي ، وَأَفْتِنَ بِذَمِّكَ مِنْ مَنَعَنِي ؛ وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ وَلِيُّ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .
- ٧٦٤ - كُلُّ حَقْدٍ حَقْدَتُهُ قَرِيشٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَظْهَرَتْهُ فِيَّ وَسُتْظَهَرَتْهُ فِي وَادِيٍّ مِنْ بَعْدِي ، مَالِي وَلَقَرِيشٍ إِنَّمَا وَتَرْتَهُمْ^(١) بِأَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ ؛ أَفْهَذَا جِزَاءُ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كَانُوا مُسْلِمِينَ !
- ٧٦٥ - عَجَبًا لِسَعْدِ بْنِ عُمَرَ ! يُزْعِمَانِي أَنِّي أَحَارِبُ عَلَى الدُّنْيَا ، أَفَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَحَارِبُ عَلَى الدُّنْيَا ! فَإِنْ زَعَمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَارِبٌ لَتَكْسِيرِ الْأَصْنَامِ ، وَعِبَادَةِ الرُّسُجَنِ ؛ فَإِنَّمَا حَارَبْتُ لِدَفْعِ الضَّلَالِ وَالنَّهْيِ عَنِ

(١) وَتَرْتَهُمْ : أَحْدَثْتُ عَنْهُمْ وَتَرَأْتُ .

الفحشاء والفساد ؛ أفتلى يزُنُّ بحبِّ الدنيا ! والله لو تمثلت لي بَشْراً سوياً
لضربتُها بالسيف .

٧٦٦ - اللهم أنتَ خلقتني كما شئتَ ، فارحني كيف شئتَ ، ووفِّقني لطاعتك ،
حتى تكونَ ثقتي كلها بك ، و تحوِّني كله منك .

٧٦٧ - لا تَسْبِّحْ إبليسَ في العلانيةِ وأنتَ صديقهُ في السرِّ .

٧٦٨ - من لم يأخذْ أُهْبَةَ الصلاةِ قبلَ وقتها فما قرَّرها .

٧٦٩ - لا تطمعَ في كلِّ ما تسمعُ .

٧٧٠ - من عاتبَ و وَبَّحَ فقد استوفى حقَّه .

٧٧١ - الجودُ الذي يستطيعُ أن يُتناولَ به كُلُّ أحدٍ ، هوَ أن ينوى الخيرُ

لكلِّ أحدٍ .

٧٧٢ - من صحبَ السلطانَ بالصِّحَّةِ والنصيحةِ كانَ أكثرَ عدواً مِن صحبهِ

بالفُسْ والخيانةِ .

٧٧٣ - من عابَ سَقَلَةً فقد رفعهُ ، ومن عابَ كريماً فقد وضعَ نفسه .

٧٧٤ - الموالى ينصرونَ ، وبنو العِمِّ يحسدونَ .

٧٧٥ - الصدقُ عزٌّ ، والكذبُ مذلةٌ ، ومن عرفَ بالصدقِ جازَ كذبُهُ ، ومن

عرفَ بالكذبِ لم يجزِ صدقُهُ .

٧٧٦ - إذا سمعتَ الكلمةَ تؤذيكَ فطأطِئْ لها فإنَّها تتخطأكَ .

٧٧٧ - نحنُ نريدُ ألا نموتَ حتى نتوبَ ، ونحنُ لا نتوبُ حتى نموتَ .

٧٧٨ - أنزِلِ الصديقَ منزلةَ العدوِّ في رفعِ المؤنةِ عنه ، وأنزِلِ العدوَّ منزلةَ

الصديقِ في تحمِيلِ المؤنةِ له .

- ٧٧٩ - أولُ عقوبةِ الكاذبِ أنَّ صدقَهُ يُردُّ عليه .
- ٧٨٠ - الأدبُ عندَ الأحقِّ كالماءِ العذبِ في أصولِ الحنظلِ ، كلما ازدادَ ريثاً ازدادَ سراًةً .
- ٧٨١ - إياكم وحميةَ الأوغادِ ؛ فإنَّهُمْ يرونَ العفوَ ضيماً .
- ٧٨٢ - الكريمُ لا يستقصي في مُحاجةِ المعتذرِ ، خوفاً أن يجرى من لا يجدُ مخرجاً من ذنبِهِ .
- ٧٨٣ - العفوُ عن المقرِّ لا عن المصيرِّ .
- ٧٨٤ - ما استغنى أحدٌ باللهِ إلا افتقرَ الناسُ إليه .
- ٧٨٥ - منْ جادَ بمالهِ فقد جادَ بنفسِهِ ، فإن لم يكنْ جادَ بها بعينها فقد جادَ يقوامِها .
- ٧٨٦ - الدِّينُ ميسمُ الكرامِ ، وطالما وُقِّرَ الكرامُ بالدِّينِ !
- ٧٨٧ - الماضي قبلَكَ هوَ الباقي بعدَكَ ، والتَّهنئةُ بأجلِ الثوابِ أولى منَ التَّعزيةِ بما جَلَّ المصائبِ .
- ٧٨٨ - يَمَّا تَكسِبُ بهِ المحبةُ أن تكونَ عالماً كجاهلٍ ، وواعظاً كموعظٍ .
- ٧٨٩ - لا تتمدنَ الصبيَّ إذا كان سخيًّا ، فإنَّهُ لا يعرفُ فضيلةَ السخاءِ ؛ ولَمَّا يعطى ما في يده ضعفاً .
- ٧٩٠ - خيرُ الإخوان من إذا استغثتَ عنه لم يزدك في المودةِ ، وإن احتجتَ إليه لم ينقصك منها .
- ٧٩١ - عجباً للسلطانِ ، كيف يُجسِّنُ ، وهو إذا أساء وجدَّ من يزكِّيه ويمدحُه !

٧٩٢ - إذا صادقت إنساناً وجب عليك أن تكون صديقاً صديقه ، وليس يجب عليك أن تكون عدوَّ عدوِّه ؛ لأنَّ هذا إنما يجبُ على خادمه وليس يجبُ على على مُماثلٍ له .

٧٩٣ - ليس تكملُ فضيلة الرجلِ حتى يكونَ صديقاً لمتعاديين .

٧٩٤ - من سعادة الحديث ألا يتمَّ له فضيلة في ردِّيلة .

٧٩٥ - إذا مُنعت من شيءٍ قد التمسْتَهُ ، فليكنْ غيظُك منه على نفسك في المسألة أكثر من غيظك على من منعك .

٧٩٦ - الأسخياء يشمتون بالبخلاء عند الموت ، والبخلاء يشمتون بالأسخياء عند الفقر .

٧٩٧ - ليس يضبطُ العدد الكثير من لا يضبطُ نفسه الواحدة .

٧٩٨ - إذا أحسنَ أحدٌ من أصحابك فلا تخرجْ إليه بغاية بركٍ ؛ ولكن اتركْ منه شيئاً تزيدُهُ إياه عند تبليثك منه الزيادة في نصيحته .

٧٩٩ - الوقوعُ في المكروهِ أسهلُ من توقُّع المكروهِ .

٨٠٠ - الحسودُ ظالمٌ ، ضعفتْ يدهُ عن انتزاع ما حسدك عليه ؛ فلما قصُرَ عليك بعثَ إليك تأسُّفه .

٨٠١ - أعمُّ الأشياءِ نفعا موتُ الأشرارِ .

٨٠٢ - الشيءُ المعزَّى للناسِ عن مصائبهم عِلْمُ العلماء أنها نفعاء اضطراريةٌ وتأسَّى العامة ببعضها ببعضٍ .

٨٠٣ - العقلُ الإصابةُ بالظنِّ ومعرفةُ ما لم يكنْ بما كان .

٨٠٤ - يَا عَجِيًّا لِلنَّاسِ قَدْ مَكَّنَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْاِقْتِدَاءِ بِهِ ، فَيَدْعُونَ ذَلِكَ إِلَى الْاِقْتِدَاءِ بِالْبَهَائِمِ !

٨٠٥ - سَلُوا الْقُلُوبَ عَنِ الْمَوَدَاتِ ؛ فَإِنَّهَا شُهُودٌ لَا تَقْبَلُ الرِّشَاءَ .

٨٠٦ - إِنَّمَا يَحْزَنُ الْحَسَدَةُ أَبَدًا لِأَنَّهُمْ لَا يَحْزَنُونَ لِمَا يَنْزِلُ بِهِمْ مِنَ الشَّرِّ فَقَطْ ؛ بَلْ وَلَمَّا يَنْالُ النَّاسُ مِنَ الْخَيْرِ .

٨٠٧ - الْعَشْقُ جَهْدٌ عَارِضٌ صَادَفَ قَلْبًا فَارْتَمَى .

٨٠٨ - تُعْرِفُ خُسَاسَةَ الْمَرْءِ بِكَثْرَةِ كَلَامِهِ فِيمَا لَا يَمْنِيهِ ، وَإِخْبَارِهِ عَمَّا لَا يُسْأَلُ عَنْهُ .

٨٠٩ - لَا تَوَخَّرْ إِنْ نَالَ الْحُتَّاجُ إِلَى غَدٍ ، فَإِنَّكَ لَا تَعْرِفُ مَا يَعْرِضُ فِي غَدٍ .

٨١٠ - إِنْ تَتَعَبَ فِي الْبِرِّ ؛ فَإِنَّ التَّعَبَ يَزُولُ وَالْبِرَّ يَبْقَى .

٨١١ - أَجْهَلُ الْجَهَالِ مَنْ عَثَرَ بِحَجَرٍ مَرَّتَيْنِ .

٨١٢ - كُفَّاكَ مُوَبِّخًا عَلَى الْكَذِبِ عِلْمُكَ بِأَنَّكَ كَاذِبٌ ، وَكُفَّاكَ نَاهِيًا عَنْهُ خَوْفُكَ مِنْ تَكْذِيبِكَ حَالِ إِخْبَارِكَ .

٨١٣ - الْعَالِمُ يَعْرِفُ الْجَاهِلَ لِأَنَّهُ كَانَ جَاهِلًا ، وَالْجَاهِلُ لَا يَعْرِفُ الْعَالِمَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا .

٨١٤ - لَا تَتَّكِلُوا عَلَى الْبَخْتِ فَرُبَّمَا لَمْ يَكُنْ وَرُبَّمَا كَانَ وَزَالَ ، وَلَا عَلَى الْحَسَبِ فَطَالَمَا كَانَ بَلَاءٌ عَلَى أَهْلِهِ ، يُقَالُ لِلذَّاقِصِ : هَذَا ابْنُ فَلَانٍ الْفَاضِلِ ؛ فَيَتَضَاعَفُ غَمُّهُ وَعَارُهُ ؛ وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ؛ فَإِنَّ الْعَالِمَ يُكْرَمُ وَإِنْ لَمْ يَنْتَسِبْ ، وَيُكْرَمُ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا ، وَيُكْرَمُ وَإِنْ كَانَ حَدِيثًا .

- ٨١٥ - خيرُ ما عوشرَ به الملكُ قلةُ الخلافِ وتخفيفُ المؤنة ، وأصعبُ الأشياءِ على الإنسان أن يعرفَ نفسه ، وأن يكتُم سرَّهُ .
- ٨١٦ - العدلُ أفضلُ من الشجاعةِ ، لأنَّ الناسَ لو استعملوا العدلَ عموماً في جميعهم لاستغنوا عن الشجاعةِ .
- ٨١٧ - أولى الأشياءِ أن يتعلَّمها الأحداثُ الأشياءُ التي إذا صاروا رجالاً احتاجُوا إليها .
- ٨١٨ - لا ترغبْ في اقتناء الأموالِ ؛ وكيف ترغبُ فيما ينالُ بالبختِ لا بالاستحقاقِ ، ويأمرُ البخلُ والشرُّ بحفظه والجود والزهدُ بإخراجه .
- ٨١٩ - إذا عاتبتَ الحدثَ فاتركْ له موضعاً من ذنبه ، لئلاَّ يحمله الإخراجُ على المكابرةِ .
- ٨٢٠ - ما انتقم الإنسانُ من عدوِّه بأعظم من أن يزداد من الفضائلِ .
- ٨٢١ - إنما لم تجتمع الحكمةُ والمالُ ، لعزَّةٍ وجُودِ الكمالِ .
- ٨٢٢ - يَمْنَعُ الجاهلُ أن يجدَ ألمَ الحقِّ المستقرِّ في قلبه ما يَمْنَعُ السكرانُ أن يجدَ مسَّ الشوكةِ في يده .
- ٨٢٣ - القُنْيَةُ ^(١) مخدومةٌ ، ومن خدَمَ غيرَ نفسه فليس بحريٍّ .
- ٨٢٤ - لا تطلبِ الحياةَ لتأكلَ ؛ بل اطلبِ الأكلَ لتحيَا .
- ٨٢٥ - إذا رأتِ العامةُ منازلَ الخاصةِ من السلطانِ حسدتها عليها ، وتمنَّتْ أمثالها ، فإذا رأتِ مصارعها بدا لها .
- ٨٢٦ - الشيءُ الذي لا يستغنى عنه أحدٌ هو التوفيقُ .

(١) ما يقننيه الإنسان .

٨٢٧- لَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يَقَعَ التَّصَدِيقُ إِلَّا بِمَا يَصَحُّ ، وَلَا الْعَمَلُ إِلَّا بِمَا يَحِلُّ ، وَلَا الْإِبْتِدَاءُ إِلَّا بِمَا تَحْسُنُ فِيهِ الْعَاقِبَةُ .

٨٢٨- الْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ رَفِيقِ السُّوءِ .

٨٢٩- لِكُلِّ شَيْءٍ صِنَاعَةٌ ، وَحَسَنُ الْإِخْتِبَارِ صِنَاعَةُ الْعَقْلِ .

٨٣٠- مَنْ حَسَدَكَ لَمْ يَشْكُرْكَ عَلَى إِحْسَانِكَ إِلَيْهِ .

٨٣١- الْبَغْيُ آخِرُ مَدَّةِ الْمُلُوكِ .

٨٣٢- لِأَنَّ يَكُونُ الْحُرُّ عَبْدًا لِعَبِيدِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لَشَهْوَاتِهِ .

٨٣٣- مَنْ أَمْضَى يَوْمَهُ فِي غَيْرِ حَقِّ قِضَائِهِ ، أَوْ فَرَضِ آدَائِهِ ، أَوْ مَجْدِ بِنَائِهِ ، أَوْ تَخَدُّ حَصْلَتِهِ ، أَوْ خَيْرِ أَسْسِهِ ، أَوْ عِلْمِ اقْتِنَسِهِ ، فَقَدْ عَقَّ يَوْمَهُ .

٨٣٤- أَرْسَلَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ يَعْيِيهِ بِأَشْيَاءَ ، مِنْهَا أُنْثَى يُسَمَّى حَسَنًا وَحُسَيْنًا ؛ وَلَدَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ لِرَسُولِهِ : قُلِ لِلشَّانِي ابْنِ الشَّانِي ؛ لَوْ لَمْ يَكُونَا وَلَدَيْهِ لَكَانَ أَبْتَرُ ؛ كَمَا زَعَمَ أَبُوكَ !

٨٣٥- قَالَ مَعَاوِيَةُ لَمَّا قُتِلَ عُمَارٌ وَاضْطَرَبَ أَهْلُ الشَّامِ لِرَوَايَةِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ كَانَتْ لَهُمْ : « تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَةُ » ؛ لِإِتِّمَاتِهِ مَنْ أَخْرَجَهُ إِلَى الْحَرْبِ وَعَرَّضَهُ لِلْقَتْلِ ؛ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذَنْ قَاتِلْ حِزْمَةً !

٨٣٦- هَذَا يَدِي - يَعْنِي مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنْفِيَّةِ - وَهَذَانِ عَيْنَايَ - يَعْنِي حَسَنًا وَحُسَيْنًا - وَمَا زَالَ الْإِنْسَانُ يَذُبُّ بِيَدَيْهِ عَنْ عَيْنَيْهِ ؛ فَالْهَذَا لِمَنْ قَالَ لَهُ : إِنَّكَ تُعَرِّضُ مُحَمَّدًا لِلْقَتْلِ ، وَتَقْدِفُ بِهِ فِي نَحْوِ الْأَعْدَاءِ ذُونَ أَخَوَيْهِ .

٨٣٧- شَكَرْتَ الْوَاهِبَ ، وَبُورِكَ لَكَ فِي الْمَوْهُوبِ ، وَرُزِقْتَ خَيْرَهُ وَبِرَّهُ ، خُذْ إِلَيْكَ أَبَا الْأَمْلَاكِ ؛ قَالَهَا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ لَمَّا وُلِدَ ابْنُهُ عَلَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ .

- ٨٣٨ - مَا يَسْرُثُنِي أَنِي كُفَيْتُ أَمْرَ الدُّنْيَا كُلَّهُ ، لَأَنِّي أَكْرَهُ عَادَةَ الْعَجَزِ .
- ٨٣٩ - اجْتِمَاعُ الْمَالِ عِنْدَ الْأَسْخِيَاءِ أَحَدُ الْخَصْبَيْنِ ، وَاجْتِمَاعُ الْمَالِ عِنْدَ الْبُخْلَاءِ أَحَدُ الْجَدْبَيْنِ .
- ٨٤٠ - مَنْ عَمِلَ عَمَلَ أَبِيهِ كُفِيَ نَصْفَ التَّعَبِ .
- ٨٤١ - الْمُصْطَنَعُ إِلَى اللَّثِيمِ كَمَنْ طَوَّقَ الْخَنزِيرَ تَبْرَأً ، وَقَرَّطَ الْكَلْبَ دُرًّا ، وَابْلَسَ الْحَمَارَ وَشِيًّا ، وَأَلْقَمَ الْأَفْعَى شَهْدًا .
- ٨٤٢ - الْحَازِمُ إِذَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ ^(١) الرَّأْيُ بِمَنْزِلَةٍ مِنْ أَضْلٍ لَوْ لَوْثَةٌ ، فَجَمَعَ مَا حَوْلَ مَسْقَطِهَا مِنَ التَّرَابِ ثُمَّ اتَّمَسَهَا حَتَّى وَجَدَهَا ، وَلِذَلِكَ الْحَازِمُ يَجْمَعُ وَجُوهَ الرَّأْيِ فِي الْأَمْرِ الْمَشْكَلِ ، ثُمَّ يَضْرِبُ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَيْهِ الصَّوَابُ .
- ٨٤٣ - الْأَشْرَافُ يَعَاقِبُونَ بِالْهَجْرَانِ لَا بِالْحَرَمَانِ .
- ٨٤٤ - الشُّحُّ أَضَرُّ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنَ الْفَقْرِ ، لِأَنَّ الْفَقِيرَ إِذَا وَجَدَ اتَّسَعَ ، وَالشَّحِيحَ لَا يَتَّسَعُ وَإِنْ وَجَدَ .
- ٨٤٥ - أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ عَاقِلًا عَدُوًّا ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ عَاقِلًا كَانَ مِنْهُ فِي عَافِيَةٍ .
- ٨٤٦ - عَلَيْكَ بِمُجَالَسَةِ أَصْحَابِ التَّجَارِبِ ، فَإِنَّهَا تَقْوُمُ عَلَيْهِمْ بِأَعْلَى الْغَلَاءِ ، وَتَأْخُذُهَا مِنْهُمْ بِأَرْخَصِ الرُّخْصِ .
- ٨٤٧ - مَنْ لَمْ يَحْمَدَكَ عَلَى حُسْنِ النِّيَّةِ لَمْ يَشْكُرَكَ عَلَى جَمِيلِ الْعَطِيَّةِ .
- ٨٤٨ - لَا تَنْكَحُوا النِّسَاءَ الْحُسْنَى ، فَعَسَى حُسْنُهُنَّ أَنْ يُرْدِيَهُنَّ ، وَلَا لِأَهْلٍ وَالْهَنْ .

(١) أَشْكَلَ عَلَيْهِ الرَّأْيُ : اسْتَبْهَمَ .

ففسى أموالهنَّ أن تُطْفِئَهُنَّ ، وانكِحُوهُنَّ على الدين ؛ ولأمة سَوْدَاهِ خَرَمَاهُ^(١) ذَاتُ دِينَ أَفْضَلُ .

٨٤٩ - أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الْإِمْسَاكُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ ، وَالْوُقُوفُ عِنْدَ الشُّبْهَةِ ..

٨٥٠ - ذُمُّ الرَّجُلِ نَفْسَهُ فِي الْعِلَانِيَةِ مَذْحُحٌ لَهَا فِي السِّرِّ .

٨٥١ - مَنْ عَدِمَ فَضِيلَةَ الصَّدَقِ فِي مَنْطِقِهِ فَقَدْ فُجِعَ بِأَكْرَمِ أَخْلَاقِهِ .

٨٥٢ - لَيْسَ يَضُرُّكَ أَنْ تَرَى صَدِيقَكَ عِنْدَ عَدُوِّكَ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَنْفَعَكَ لَمْ يَضُرَّكَ .

٨٥٣ - قُلْ أَنْ تَرَى أَحَدًا تَكَبَّرَ عَلَى مَنْ دُونَهُ إِلَّا وَبِذَلِكَ الْمِقْدَارِ يَجُودُ بِالذَّلِّ لِمَنْ قُوَّتُهُ .

٨٥٤ - مَنْ عَظُمَتْ عَلَيْهِ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ ؛ فَإِنَّهَا تَهَيِّئُونَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ ضَاقَ بِهِ أَمْرٌ فَلْيَذْكُرِ الْقَبْرَ فَإِنَّهُ يَتَسَّعُ .

٨٥٥ - خَيْرُ الشَّعْرِ مَا كَانَ مِثْلًا ، وَخَيْرُ الْأَمْثَالِ مَا لَمْ يَكُنْ شِعْرًا .

٨٥٦ - الْقَى النَّاسَ عِنْدَ حَاجَتِهِمْ إِلَيْكَ بِالْبَشْرِ وَالتَّوَاضُعِ ، فَإِنْ نَابَتْكَ نَائِبَةٌ ، وَحَالَتْ بِكَ حَالٌ لَقِيَتَهُمْ ، وَقَدْ أَمِنْتَ ذِلَّةَ التَّنَصُّلِ إِلَيْهِمْ وَالتَّوَاضُعِ .

٨٥٧ - إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُعْفَى عَنْ زَلَّةِ السَّرِيِّ .

٨٥٨ - مَنْ طَالَ لِسَانُهُ وَحَسُنَ بَيَانُهُ ، فَلْيَتْرِكِ التَّحَدُّثَ بِفَرَائِبِ مَسْمَعٍ ، فَإِنَّ الْحَسَدَ لِيُحْسِنَ مَا يَظْهَرُ مِنْهُ يُحْمِلُ أَكْثَرَ النَّاسِ عَلَى تَكْذِيبِهِ ، وَمَنْ عَرَفَ أَسْرَارَ الْأُمُورِ الْإِلَهِيَةِ فَلْيَتْرِكِ الْخُلُوضَ فِيهَا ، وَإِلَّا حَمَلَتْهُمُ لِلنَّافِسَةِ عَلَى تَكْفِيرِهِ .

٨٥٩ - لَيْسَ كُلُّ مَكْتُومٍ يَسُوعُ إِظْهَارُهُ لَكَ ، وَلَا كُلُّ مَعْلُومٍ يَجُوزُ أَنْ نَعْلَمَهُ غَيْرُكَ .

(١) الحرماء : المقطوعة طرف الأنف أو المنقوبة الأذن .

٨٦٠ - ليسَ يفهمُ كلامَكَ منْ كانَ كلامُهُ لكَ أحبَّ إليه مِنِ الاستماعِ منك ، ولا يعلمُ نصيحَتَكَ منْ غلبَ هواهُ على رَأْيِكَ ، ولا يسلمُ لكَ منِ اعتقادِ أَنَّهُ أتمُّ معرفةً بما أشرتَ عليه به منك .

٨٦١ - خَفِ الضعيفَ إذا كانَ تحتَ رايةِ الإنصافِ أ كثرَ منْ خوفِكَ القويَ تحتَ رايةِ الجورِ ، فإنَّ النصرَ يأتيهِ منْ حيثُ لا يشعرُ ، وجُرْحُهُ لا يندملُ^(١) .

٨٦٢ - إخافةُ العبيدِ والتضييقُ عليهمُ يزيدُ في عبوديتهم وصيانتهم ، وإظهارُ الثقةِ بهم يكسبهمُ أنفةً وجبريةً .

٨٦٣ - أضرُّ الأشياءِ عليك أنْ تعلمَ رئيسُكَ أَنَّكَ أعرفُ بالرياسةِ منه .

٨٦٤ - عداوةُ العاقلينَ أشدُّ العداواتِ وأنسكاها ، فإنها لا تقعُ إلا بعدَ الإغذارِ والإنذارِ ، وبعدَ أنْ يؤسَّ إصلاحُ ما بينهما .

٨٦٥ - لا تخدِمْ منْ رئيساً كنتَ تعرفُهُ بأنمولٍ ، وسمتَ به الحالُ ، ويعرفُ منك أَنَّكَ تعرفُ قديمُهُ ، فإنه وإنْ سُرَّ بمكانِكَ مِنْ خدمتهِ ، إلا أَنَّهُ يعلمُ العينَ التي تراه بها ، فينقيضُ عنكَ بحسبِ ذلك .

٨٦٦ - إذا احتجتَ إلى المشورةِ في أمرٍ قد طرأ عليك فاستبِدِّهِ ببدايةِ الشُّبانِ ، فإنهم أحَدٌ أذهاناً ، وأسرعُ حدساً ، ثم رُدَّهُ بعدَ ذلكَ إلى رأى الكهولِ والشيوخِ ليستعقبُوهُ ، ويَحْسِنُوا ، الاختيارَ له ؛ فإنَّ تجربتهمُ أكثرُ .

٨٦٧ - الإنسانُ في سعيهِ وتصرفاته كالعائمِ في اللَّجَّةِ ، فهو يكافحُ الجريةَ في إدباره ، ويجرى معها في إقبالهِ .

٨٦٨ - ينبغي للعاقلِ أنْ يستعملَ فيما يَلتمِسُهُ الرفقَ ، ومجانبةَ الهدرِ ؛

(١) اندمل الجرح : تماثل للشفاء

فَابِ الْعَلَّةَ^(١) تَأْخُذْ بِهَدْوِئِهَا مِنْ الدَّمِ مَا لَا تَأْخُذُ الْبَعُوضَةُ بِاضْطِرَابِهَا وَفَرَطٍ صِيَاحِهَا .

٨٦٩- أَقْوَى مَا يَكُونُ التَّصْنَعُ فِي أَوَائِلِهِ ، وَأَقْوَى مَا يَكُونُ التَّطَبُّعُ فِي أَوَاخِرِهِ .

٨٧٠- غَايَةُ الْمُرُوءَةِ أَنْ يَسْتَحْيِيَ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ الْعِلَّةُ فِي الْحَيَاءِ مِنَ الشَّيْخِ كِبَرُ سِنِّهِ وَلَا بِيَاضُ لِحْيَتِهِ ، وَإِنَّمَا عِلَّةُ الْحَيَاءِ مِنْهُ عَقْلُهُ ، فَيَنْبَغِي إِنْ كَانَ هَذَا الْجَوْهَرُ فِينَا أَنْ نَسْتَحْيِيَ مِنْهُ وَلَا نُحْضِرَهُ قَبِيحًا .

٨٧١- مِنْ سَاسِ رَعِيَّةٍ حَرُمَ عَلَيْهِ الشُّكْرُ عَقْلًا ، لِأَنَّهُ قَبِيحٌ أَنْ يَحْتَاجَ الْحَارِسُ إِلَى مَنْ يَحْرُسُهُ .

٨٧٢- لَا تَبْتَاعَنَّ مَمْلُوكًا قَوِيَّ الشَّهْوَةِ ، فَإِنَّ لَهُ مَوْلَى غَيْرَكَ ، وَلَا غَضُوبًا فَإِنَّهُ يُؤْذِيكَ فِي اسْتِخْدَامِكَ لَهُ ، وَلَا قَوِيَّ الرَّأْيِ فَإِنَّهُ يَسْتَعْمِلُ الْحِيلَةَ عَلَيْكَ ، لَكِنْ اطْلُبْ مِنَ الْعَبِيدِ مَنْ كَانَ قَوِيَّ الْجِسْمِ حَسَنَ الطَّاعَةِ ، شَدِيدَ الْحَيَاءِ .

٨٧٣- لَا تُعَادُوا الدُّوَلِ الْمُقْبِلَةَ ، وَتُشْرِبُوا قُلُوبَكُمْ بِغَضَبِهَا ، فَتُدْبِرُوا بِإِقْبَالِهَا .

٨٧٤- الْغَرِيبُ كَالْفَرَسِ الَّذِي زَايَلَ شِرْبُهُ ، وَفَارَقَ أَرْضَهُ ، فَهُوَ ذَاوٍ لَا يَتَّقِدُ وَذَابِلٌ لَا يُثْمَرُ .

٨٧٥- السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ ، وَالرَّفِيقُ السُّوءُ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ .

٨٧٦- كُلُّ خُلُقٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ فَإِنَّهُ يَكْسُدُ عِنْدَ قَوْمٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا الْأَمَانَةَ فَإِنَّهَا نَافِقَةٌ عِنْدَ أَصْنَافِ النَّاسِ ، يُفَضِّلُ بِهَا مَنْ كَانَتْ فِيهِ ، حَتَّى إِنْ الْآيَةِ إِذَا لَمْ تُنْشَفْ

(١) العالقة : دويبة في الماء تسمى الدم .

وَبَقِيَ مَا يُوَدَّعُ فِيهَا عَلَى حَالِهِ لَمْ يَنْقُصْ - كَانَتْ أَكْثَرَ ثَنَاءٍ مِنْ غَيْرِهَا تَمَا يَرْشَحُ
أَوْ يُنْشَفُ .

٨٧٧ - اصْبِرْ عَلَى سُلْطَانِكَ فِي حَاجَاتِكَ ، فَاسْتَ أَكْبَرَ شَغْلِهِ ، وَلَا بِكَ
قِيَامُ أَمْرِهِ .

٨٧٨ - قُوَّةُ الْاسْتِشْعَارِ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ .

٨٧٩ - إِذَا أَحْسَنْتَ مِنْ رَأْيِكَ بِإِكْدَادٍ ، وَمِنْ تَصَوُّرِكَ بِفَسَادٍ ، فَاتَّهَمَ نَفْسَكَ
بِمَجَالِسَتِكَ لِقَاتِي الطَّبِيعِ ، أَوْ لِسَجْدِ النِّسْكَرِ ، وَتَدَارَكَ إِصْلَاحَ مَزَاجِ تَمْثِيلِكَ بِمُكَائِرَةِ
أَهْلِ الْحِكْمَةِ ، وَمَجَالِسَةِ ذَوِي السَّدَادِ ، فَإِنْ مَفَاوِضَتَهُمْ تَرِيحُ الرَّأْيِ الْمَكْدُودِ ، وَتَرْدُ
ضَالَّةِ الصَّوَابِ الْمَقْذُودِ .

٨٨٠ - مَنْ جَلَسَ فِي ظِلِّ الْمَلِكِ ؛ لَمْ يَسْتَقِرَّ بِهِ مَوْضِعُهُ ، لِكثَرَةِ تَنْقَلِيهِ وَتَصَرُّفِهِ مَعَ
الطَّبَاعِ ، وَعَرَفَهُ النَّاسُ بِالْخُلْدِيَّةِ .

٨٨١ - كَثِيرٌ مِنَ الْحَاجَاتِ تُقْضَى بِرَمًا لَا كَرَمًا .

٨٨٢ - أَحْسَابُ السُّلْطَانِ فِي الْمَثَلِ كَقَوْمٍ رَقُوا جِبَلًا ثُمَّ سَقَطُوا مِنْهُ ، فَأَقْرَبُهُمْ إِلَى
الْمَلِكَةِ وَالتَّلَفِ أَيْدِيهِمْ كَانُوا فِي الْمَرْتَقَى .

٨٨٣ - لَا تَضَعْ سِرَّكَ عِنْدَ مَنْ لَا سِرَّ لَهُ عِنْدَكَ .

٨٨٤ - سَعَةُ الْأَخْلَاقِ كِيمِيَاءُ الْأَرْزَاقِ .

٨٨٥ - الْعِلْمُ أَفْضَلُ الْكُنُوزِ وَأَجْمَلُهَا ، خَفِيفُ الْحَمَلِ ، عَظِيمُ الْجَدْوَى ؛ فِي الْمَلَا
جَمَالٍ ، وَفِي الْوَحْدَةِ أَنْسٌ .

٨٨٦ - السَّبَابُ مُزَاحُ النَّوْكَى ، وَلَا بَأْسَ بِالْمُفَاكِهِ ، يُرَوِّحُ بِهَا الْإِنْسَانُ عَنْ
نَفْسِهِ ، وَيَخْرِجُ عَنْ حِدِّ الْعُبُوسِ .

- ٨٨٧ - ثلاثة أشياء تدلُّ على عقولٍ أربابها : الهديةُ ، والرَّسُولُ ، والكتابُ .
- ٨٨٨ - التعزيةُ بعدَ ثلاثٍ تجديدٌ للصيبة ، والتهنئةُ بعدَ ثلاثٍ استخفافٌ بالمودةِ .
- ٨٨٩ - أنتَ مخيَّرٌ في الإحسانِ إلى منَ تحسُنُ إليه ، ومرتهنٌ بدوامِ الإحسانِ إلى منَ أحسنتَ إليه ، لأنَّكَ إنْ قطعتهُ فقدَ أهدرتهُ ، وإنْ أهدرتهُ فلمَ فعلتهُ !
- ٨٩٠ - الناسُ منَ خوفِ الذُّلِّ في ذلِّ .
- ٨٩١ - إذا كانَ الإيجازُ كافياً كانَ الإكثارُ عيباً ، وإذا كانَ الإيجازُ مقصراً كانَ الإكثارُ واجباً .
- ٨٩٢ - بسَّ الزَّادُ إلى المَعادِ ، العُدوانُ على العِبَادِ .
- ٨٩٣ - الخلقُ عيالُ اللهِ ، وأحبُّ النَّاسِ إلى اللهِ أشفقهم على عياله .
- ٨٩٤ - تحريكُ الساكنِ أسهلُّ منَ تسكينِ المتحرِّكِ .
- ٨٩٥ - العاقلُ بحشونةِ العيشِ معَ العقلاء ، آتسُ منه بدينِ العيشِ معَ السفهاءِ .
- ٨٩٦ - الانقباضُ بينَ المنبسطينِ ثِقَلٌ ، والانبساطُ بينَ المنقبضينِ سَخَفٌ ^(١) .
- ٨٩٧ - السخاهُ والجودُ بالطعامِ لا بالمالِ ، ومنَ وهبَ ألفاً وشحَّ بصحفةٍ طعامِ فليسَ بجوادٍ .
- ٨٩٨ - إنْ بقيتَ لم يبقَ الهمُّ .
- ٨٩٩ - لا يقومُ عزُّ الغضبِ بذلَّةِ الاعتذارِ .
- ٩٠٠ - الشفيعُ جناحُ الطالبِ .
- ٩٠١ - الأملُ رفيقٌ مؤنسٌ ، إنْ لم يبلِّغكَ فقدِ استمعتَ به .
- ٩٠٢ - إعادةُ الاعتذارِ تكبرٌ بالذَّنْبِ .

(١) السخف : ضعف العقل وركته .

- ٩٠٣ - الصبرُ في العواقبِ شافٍ أو مريحٌ .
٩٠٤ - من طالَ عمرُهُ ، رأى في أعدائِهِ ما يسرُّهُ .
٩٠٥ - لا نعمةَ في الدنيا أعظمُ من طولِ العمرِ ، وصحةِ الجسدِ .
٩٠٦ - الناسُ رجلانَ : إمّا مؤجِّلٌ يفقدُ أحبابَهُ ، أو معجِّلٌ يفقدُ نفسه .
٩٠٧ - العقلُ غريزةٌ تربّيها التجاربُ .
٩٠٨ - النصّحُ بينَ الملأِ تقريعٌ .
٩٠٩ - لا تُنكحُ خاطبَ ميرثك .
٩١٠ - من زادَ أدبُهُ على عقلِهِ كان كالرّاعي الضعيفِ مع الغنمِ الكثيرِ .
٩١١ - الدّارُ الضيّقةُ العمى الأصغرُ .
٩١٢ - النّمامُ جسرُ الشرِّ .
٩١٣ - لا تشنّ وجهَ العفو بالتقريعِ .
٩١٤ - كثرةُ النصّحِ تهجمُ بك على كثرةِ الظّنةِ .
٩١٥ - لكلِّ ساقطةٍ لاقطة .
٩١٦ - ستساقُ إلى ما أنت لاقٍ .
٩١٧ - عاداك من لاحاك .
٩١٨ - جدّك لا كدّك .
٩١٩ - تذكّر قبل الوزرِ الصّدَرَ ، والحذر لا يفتني من القدرِ ، والصبر من أسباب الظفر .
٩٢٠ - عارُ النساءِ باقي يلحقُ الأبناءَ بعد الآباءِ .
٩٢١ - أمجل العقوبةَ عقوبةَ البني والفسدِ واليمينِ الكاذبةِ ، ومن إذا تُضرّعَ إليه وسُئِلَ العفو لم يغفر .

٩٢٢ - لا تَرَدُّ بِأَسِ الْعَدُوِّ الْقَوِيَّ وَغَضِبِهِ بِمِثْلِ الْخُضُوعِ وَالذُّلِّ ، كَسَلَامَةِ الْحَشِيشِ مِنْ الرِّيحِ الْغَاصِفِ بِإِثْنَائِهِ مَعَهَا كَيْفَمَا مَالَتْ .

٩٢٣ - قَارِبُ عَدُوِّكَ بَعْضُ الْمَقَارِبَةِ تَنْلُ حَاجَتَكَ ، وَلَا تُفْرِطْ فِي مَقَارِبَتِهِ فَتَذِلَّ نَفْسُكَ وَنَاصِرُكَ ، وَتَأْمَلْ حَالَ الْخَشْبَةِ الْمَنْصُوبَةِ فِي الشَّمْسِ الَّتِي إِنْ أَمَلَتْهَا زَادَ ظِلُّهَا ، وَإِنْ أَفْرَطْتَ فِي الْإِمَالَةِ نَقَصَ الظِّلُّ .

٩٢٤ - إِذَا زَالَ الْحُسُودُ عَلَيَّهِ عَلِمْتَ أَنَّ الْحَاسِدَ كَانَ يَحْسُدُ عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ .

٩٢٥ - الْعَجْزُ نَأْسَمُ ، وَالْحَزْمُ يَقْضَانُ .

٩٢٦ - مِنْ تَجَرُّأَ لَكَ تَجَرُّأَ عَلَيْكَ .

٩٢٧ - مَا عَفَا عَنِ الذَّنْبِ مَنْ قَرَّعَ بِهِ .

٩٢٨ - عَبْدُ الشَّهْوَةِ أَذْلُ مِنْ عَبْدِ الرَّقِّ .

٩٢٩ - لَيْسَ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَطْلُبَ طَاعَةَ غَيْرِهِ ، وَطَاعَةُ نَفْسِهِ عَلَيْهِ مُتَمَنِّعَةٌ .

٩٣٠ - النَّاسُ رَجُلَانِ : وَاحِدٌ لَا يَكْتَفِي ، وَطَالِبٌ لَا يَجِدُ .

٩٣١ - كُلَّمَا كَثُرَ خُزَانُ الْأَسْرَارِ ، زَادَتْ ضِيَاعًا .

٩٣٢ - كَثْرَةُ الْأَرَاءِ مَفْسَدَةٌ ، كَالْقَدْرِ لَا تَطْيِبُ إِذْ كَثُرَ طَبَّاخُهَا .

٩٣٣ - مَنْ اشْتَاقَ خَدَمَ ، وَمَنْ خَدَمَ انْصَلَّ ، وَمَنْ انْصَلَّ وَصَلَ ، وَمَنْ وَصَلَ عَرَفَ .

٩٣٤ - حَبِيبًا لِمَنْ يَخْرُجُ إِلَى الْبَسَاتِينِ لِلْفُرْجَةِ عَلَى الْقُدْرَةِ ، وَهَلَّا شَغَلَتْهُ رُؤْيَا الْقَادِرِ عَنِ رُؤْيَا الْقُدْرَةِ !

٩٣٥ - كُلُّ النَّاسِ أُمِرُوا بِأَنْ يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، إِلَّا رَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ رُفِعَ قَدْرُهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَقِيلَ لَهُ : فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَأَمَرَ بِالْعَلَمِ لَا بِالْقَوْلِ .

- ٩٣٦ - كُلُّ مُصْطَنِعٍ عَارِفٍ فَإِنَّمَا يَصْنَعُ إِلَى نَفْسِهِ ، فَلَا تَلْتَمِسْ مِنْ غَيْرِكَ شُكْرَ مَا آتَيْتَهُ إِلَى نَفْسِكَ وَتَمَتَّتْ بِهِ لَذَّتَكَ ، وَوَقَّيْتَ بِهِ عِرْضَكَ .
- ٩٣٧ - وَلَدُّكَ رِيحَانَتُكَ سَبْعًا ، وَخَادِمُكَ سَبْعًا ، ثُمَّ هُوَ عَدُوُّكَ أَوْ صَدِيقُكَ .
- ٩٣٨ - مَنْ قَبِلَ مَعْرُوفَكَ فَقَدْ بَاعَكَ مَرُوءَتَهُ .
- ٩٣٩ - إِلَى اللَّهِ أَشْكُو بِلَادَةَ الْأَمِينِ وَيَقْظَةَ الْخَائِنِ .
- ٩٤٠ - مَنْ أَكْثَرَ الْمَشُورَةَ لَمْ يَمْدَمْ عِنْدَ الصَّوَابِ مَا دَحَا ، وَعِنْدَ الْخَطَا عَاذِرًا .
- ٩٤١ - مَنْ كَثَرَ حَقْدُهُ قَلَّ عِتَابُهُ .
- ٩٤٢ - الْحَازِمُ مَنْ لَمْ يَشْغَلْهُ الْبَطَرُ بِالنِّعْمَةِ عَنِ الْعَمَلِ لِلْعَاقِبَةِ ، وَالْهَمُّ بِالْحَادِثَةِ عَنْ الْحِيلَةِ لِدَفْعِهَا .
- ٩٤٣ - كُلَّمَا حَسُنَتْ نِعْمَةُ الْجَاهِلِ زَادَ قُبْحًا فِيهَا .
- ٩٤٤ - مَنْ قَبِلَ عَطَاءَكَ فَقَدْ أَعَانَكَ عَلَى الْكُرْمِ ، وَلَوْلَا مَنْ يَقْبَلُ الْجُودَ لَمْ يَكُنْ مَنْ يَجُودُ .
- ٩٤٥ - إِخْوَانُ السُّوءِ كَشَجَرَةِ النَّارِ ، يُحْرَقُ بَعْضُهَا بَعْضًا .
- ٩٤٦ - زَلَّةُ الْعَالَمِ كَانْكَسَارِ السَّفِينَةِ تَفْرُقُ وَيَفْرَقُ مَعَهَا خَلْقُ .
- ٩٤٧ - أَهْوَنُ الْأَعْدَاءِ كَيْدًا أَظْهَرُهُمْ لِعَدَاوَتِهِ .
- ٩٤٨ - أَبْقِ لِرِضَاكَ مِنْ غَضَبِكَ ، وَإِذَا طُرْتُ فَقَعْ قَرِيبًا .
- ٩٤٩ - لَا تَلْتَبَسْ بِالسُّلْطَانِ فِي وَقْتِ اضْطِرَابِ الْأُمُورِ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ الْبَحْرَ لَا يَكَادُ يَسْلُمُ صَاحِبُهُ فِي حَالِ سُكُونِهِ ، فَكَيْفَ يَسْلُمُ مَعَ اخْتِلَافِ رِيَاحِهِ وَاضْطِرَابِ أُمُوجِهِ !
- ٩٥٠ - إِذَا خُلِيَ عِنَانُ الْعَقْلِ ، وَلَمْ يَجْهَسْ عَلَى هَوَى نَفْسٍ ، أَوْ عَادَةِ دِينٍ ، أَوْ عَصَبِيَّةٍ لِسَلَفٍ ؛ وَرَدَ بِصَاحِبِهِ عَلَى النِّجَاحِ .

- ٩٥١ - إذا زادك الملك تأنيساً فزده إجلالاً .
- ٩٥٢ - مَنْ تَكَلَّفَ مَالاً يَعْنِيهِ فَاتَهُ مَا يَعْنِيهِ .
- ٩٥٣ - قَلِيلٌ يُتَرَقَّى مِنْهُ إِلَى كَثِيرٍ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يَنْحَطُّ عَنْهُ إِلَى قَلِيلٍ .
- ٩٥٤ - جَنَّبُوا مَوْتَنَا كَمَا فِي مَدَائِفِهِمْ جَارُ السُّوءِ ، فَإِنَّ الْجَارَ الصَّالِحَ يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ كَمَا يَنْفَعُ فِي الدُّنْيَا .
- ٩٥٥ - زُرِ الْقُبُورَ تَذَكَّرَ بِهَا الْآخِرَةُ ، وَغَسَلَ الْمَوْتِ يَتَجَرَّكَ قَلْبُكَ ، فَإِنَّ الْجَسَدَ الْخَالِيَ عِظَةٌ بَلِيعَةٌ ، وَصَلَّ عَلَى الْجَنَائِزِ لَعَلَّهُ يُخْزِنَكَ ، فَإِنَّ الْحَزِينَ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ .
- ٩٥٦ - الْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ ؛ أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَتَجَبَّلُ لَهُ النِّعَمُ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَقْلُ عَذَابُهُ ، وَآيَةُ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾^(١) ، ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ مَالَهُمْ يُنْجِيهِمْ خَيْرٌ لِمَن لَّهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّئُهُمْ لِيُزِدُوا إِيمَانًا ﴾^(٢) .
- ٩٥٧ - جَزَعُكَ فِي مُصِيبَةٍ صَدِيقُكَ أَحْسَنُ مِنْ صَبْرِكَ ، وَصَبْرُكَ فِي مُصِيبَتِكَ أَحْسَنُ مِنْ جَزَعِكَ .
- ٩٥٨ - مَنْ خَافَ إِسَاءَتَكَ اعْتَقَدَ مَسَاءَتَكَ ، وَمَنْ رَهَبَ صَوْلَتَكَ نَاصَبَ دَوْلَتِكَ .
- ٩٥٩ - مَنْ فَعَلَ مَا شَاءَ أَتَى مَا شَاءَ .
- ٩٦٠ - يَسُرُّنِي مِنَ الْقُرْآنِ كَلِمَةٌ أَرْجُوهَا لِمَنْ أَشْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ ﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾^(٣) ، فَجَعَلَ الرَّحْمَةَ عُمُومًا وَالْعَذَابَ خُصُوصًا .

(٢) سورة آل عمران ١٧٨ .

(١) سورة آل عمران ١٩٨ .

(٣) سورة الأعراف ١٥٦ .

٩٦١ - الاشتِثَارُ يُوجِبُ الحسدَ ، والحسدُ يوجب البَغْضَةَ ، والبَغْضَةُ تُوجِبُ الاختِلَافَ ، والاختِلَافُ يوجب الفرقةَ ، والفرقةُ توجب الضَّعْفَ ، والضَّعْفُ يوجب الدَّلَّ ، والدَّلُّ يوجب زوال الدولةِ ، وذهاب النُّعْمَةِ .

٩٦٢ - لا يَكْدُ يَصَحَّ رُؤْيَا الكَذَّابِ ، لأنه يَخْبُرُ في اليَقْظَةِ بما لم يَكُنْ ، فَأَخْبِرْ بِهِ أن يرى في المنام ما لا يكون .

٩٦٣ - يُفْسِدُكَ الظَّنُّ على صَدِيقٍ قَدْ أَصْلَحَكَ اليَقِينُ لَهُ .

٩٦٤ - لا تَكَاذُ الظُّنُونُ تَزْدَحِمُ على أَمْرٍ مُسْتَوْرٍ إِلَّا كَشَفَتْهُ .

٩٦٥ - المشورة رَاحَةٌ لَكَ وتعبٌ على غَيْرِكَ .

٩٦٦ - حقُّ كُلِّ سِرٍّ أن يَصَانَ ، وأحقُّ الأسرارِ بالصيانة سرُّكَ مع مولاكَ ، وسِرُّهُ مَعَكَ ؛ واعلم أنَّ مَنْ فَضَحَ فُضِّحَ ، وَمَنْ بَاغَ فَلَيْدَمِهِ أَبَاحَ .

٩٦٧ - يَا مَنْ أَلَمَّ بِجَنَابِ الجلالِ ، احفظ ما عرفت ، واكتم ما استودعت ؛ واعلم أنك قَدْ رَشَحْتَ لِأَمْرٍ فَلَظُنْ لَهُ ، وَلَا تَرْضَ لِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ خَائِنًا ؛ فَمَنْ يُؤَدِّ الأمانةَ فيما استودِعَ ، أَخْلَقَ النَّاسَ بِسِمَةِ الخِيَانَةِ ، وَأَجْدَرُ النَّاسِ بِالْإِبْعَادِ وَالْإِهَانَةِ !

٩٦٨ - لَا تَعَامِلِ الْعَامَّةَ فيما أُنْعِمَ بِهِ عَلَيْكَ مِنَ الْعِلْمِ ، كَمَا تَعَامِلُ الْخَاصَّةَ ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ رَجَالًا أَوْدَعَهُمْ أَسْرَارًا خَفِيَّةً ، وَمَنْعَهُمْ عَنْ إِشَاعَتِهَا ؛ وَاذْكُرْ قَوْلَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ لِمُوسَى وَقَدْ قَالَ لَهُ : هَلْ أَتَبِعُكَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا . قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ، وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَبْرًا ! .

٩٦٩ - لِكُلِّ دَارٍ بَابٌ ، وَبَابُ دَارِ الْآخِرَةِ الْمَوْتُ .

٩٧٠ - إِنْ لَكَ فِيمَنْ مَضَى مِنْ آبَائِكَ وَإِخْوَانِكَ لَعِبْرَةٌ ، وَإِنْ لَكَ الْمَوْتُ دَخَلَ

على داود النبي ، فقال : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : مَنْ لا يهابُ الملوك ، ولا تمنعُ منه القصور ، ولا يقبلُ الرشا ، قال : فَإِنَّ أَنْتَ ملك الموت جئت ؛ ولم أستعد بعد ! فقال : فأين فلان جارك ؛ أين فلان نسيبك ؟ قال : ماتوا ، قال : ألم يكن لك في هؤلاء عبرة لتستعد !

٩٧١ - ما أخسر صفقة الملوك إلا مَنْ عصم الله ، باعوا الآخرة بنومَةٍ .

٩٧٢ - إن هذا الموت قد أفسد على الناس نعيم الدنيا ؛ فما لكم لا تلتمسون نعيمًا لا موت بعده !

٩٧٣ - انظر العمل الذي يسرك أن يأتيك الموت وأنت عليه فافعله الآن ، فلست تأمن أن تموت الآن .

٩٧٤ - لا تستبطي القيامة فتسكن إلى طول المدة الآتية عليك بعد الموت ، فإنك لا تفرق بعد عودك بين ألف سنة وبين ساعة واحدة ، ثم قرأ : ﴿ ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار... ﴾ ^(١) الآية .

٩٧٥ - لا بد لك من رفيق في قبرك ، فاجعله حسن الوجه طيب الريح ؛ وهو العمل الصالح .

٩٧٦ - رُبَّ مُرْتاحٍ إلى بلد وهو لا يدري أن حمامه في ذلك البلد .

٩٧٧ - الموت قانص يُصي ولا يشوي .

٩٧٨ - مامن يؤم إلا يتصفح ملك الموت فيه وجوه الخلائق ، فمن رآه على معصية أو لهو ، أو رآه ضاحكاً فرحاً ، قال له يامسكين : ما أغفلك عما يراد بك ! اعمل ما شئت ؛ فإن لي فيك غمرة أقطع بها وتينك ^(٢) .

(١) سورة يونس ٤٥ . (٢) الوتين : عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه .

٩٧٩ - إذا وُضِعَ المِيتُ في قَبْرِهِ اعتُورَتْهُ نيرانٌ أربعٌ ، فتَجِبُ في الصلاة فتُطْفِئُ في واحدةٍ ، ويَجِبُ في الصوم فيُطْفِئُ في واحدةٍ ، وتَجِبُ في الصدقة فتُطْفِئُ في واحدةٍ ، ويَجِبُ في العلم فيُطْفِئُ في الرابعة ، ويقول : لو أدركتَن لأطفأتَن كلَّهنَّ ، قرَّرتُ عينا فانا معك ، وإن ترى بُؤْسًا .

٩٨٠ - استَجِبرُوا بالله تعالى ؛ واستخبروه في أموركم ، فإنه لا يُسَلِّمُ مستَجِبرًا ، ولا يَحْرِمُ مُسْتَخِيرًا .

٩٨١ - أَلَّا أَدُلَّكُمْ عَلَى ثَمَرَةِ الْجَنَّةِ ! لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بِشَرَطِ الْإِخْلَاصِ .

٩٨٢ - مِنْ شَرَفِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَهِيَ الْحَمْدُ لِلَّهِ . أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَهَا فَاتِحَةً كِتَابِهِ ، وَجَعَلَهَا خَاتِمَةً دَعْوَى أَهْلِ جَنَّتِهِ ، فَقَالَ : وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

٩٨٣ - ذَاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ كَالشَّجَرَةِ الْخَضِرَاءِ فِي وَسْطِ الْهَشِيمِ ، وَكَالِدَّارِ الْعَامِرَةِ بَيْنَ الرَّبُوعِ الْخَرِبَةِ .

٩٨٤ - أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ بِذِكْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ .

٩٨٥ - الذِّكْرُ ذِكْرَانِ : أَحَدُهُمَا ذِكْرُ اللَّهِ وَتَحْمِيدُهُ ، فَمَا أَحْسَنَهُ وَأَعْظَمَ أَجْرَهُ ! وَالثَّانِي ذِكْرُ اللَّهِ عِنْدَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْأَوَّلِ !

٩٨٦ - مَا أَضْيَقَ الطَّرِيقَ عَلَى مَنْ لَمْ يَكُنْ الْحَقُّ تَعَالَى دَلِيلَهُ ، وَمَا أَوْحَشَهَا عَلَى مَنْ لَمْ يَكُنْ أَنْيَسَهُ ! وَمَنْ اعْتَزَّ بِغَيْرِ عِزِّ اللَّهِ ذَلٌّ ، وَمَنْ تَكَدَّرَ بِغَيْرِ اللَّهِ قَلٌّ .

٩٨٧ - اللَّهُمَّ إِنْ فَهَيْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي ، أَوْعَمْتُ عَنْ طَلْبَتِي ، فَدُلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي ، وَخُذْ بِنَاصِيَتِي إِلَى مَرَاشِدِي . اللَّهُمَّ احْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ ، وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَذْلِكَ .

٩٨٨ - مُخِّجَ الْإِيمَانِ التَّقْوَى وَالْوَرَعُ ، وَهَمَا مِنْ أَفْعَالِ الْقُلُوبِ ، وَأَحْسَنُ أَفْعَالِ الْجَوَارِحِ أَلَّا تَزَالَ مَالِتًا فَالِكَ بِذِكْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ .

٩٨٩ - اللهم فرّغني لما خلقتني له ، ولا تشغلي بما تكلفت لي به ، ولا تحزمني وأنا أسألك ، ولا تعذبني وأنا أستغفرك .

٩٩٠ - سبحان من ندعوه لحظنا فيسرع ! ويدعونا لحظنا فنبطئ ! خيرُهُ إلينا نازل ، وشرُّنا إليه صاعد ؛ وهو مالك قادر .

٩٩١ - اللهم إنا نعوذ بك من بَيَاتٍ غفلة وصباحٍ ندامة .

٩٩٢ - اللهم إني أستغفرك لما تبّت منه إليك ثمّ عدت فيه ، وأستغفرك لما وعدتُك من نفسي ثمّ أخلفتك ، وأستغفرك للنعم التي أنعمت بها عليّ فتقوّيتُ بها على معصيتك .

٩٩٣ - اللهم إني أعوذ بك أن أقول حقاً ليس فيه رضاك التمسُّ به أحداً سِوَاكَ ، وأعوذ بك أن أتزيّن للناسِ بشيءٍ يشينني عندك ، وأعوذ بك أن أكون عبّرةً لأحدٍ من خلقك ، وأعوذ بك أن يكون أحدٌ من خلقك أسعدَ بما علّمتني مِنّي .

٩٩٤ - يا من ليسَ إلّا هو ، يا من لا يعلمُ ما هو إلّا هو ، اعف عني !

٩٩٥ - اللهم إن الآمالَ منوطةٌ بكرمك ، فلا تقطعْ علائقها بسخطك . اللهم إني أبرأ من الحول والقوّة إلّا بك ، وأذراً بنفسى عن التوكل على غيرك .

٩٩٦ - اللهم صلِّ على محمّدٍ وآلِ محمّدٍ ؛ كما ذكرهُ الذاكرون ، وصلِّ على محمّدٍ وآلِ محمّدٍ كما غفَلَ عن ذِكرِهِ الغافلون . اللهم صلِّ على محمّدٍ وآلِ محمّدٍ عددَ كلماتك ، وعددَ معلوماتك ، صلاةً لا نهايةَ لها ، ولا غايةَ لأمدِها .

٩٩٧ - سبحانَ الواحدِ الذي ليسَ غيْرُهُ ، سبحانَ الدائمِ الذي لا نفاذَ له ، سبحانَ القديمِ الذي لا ابتداءَ له ، سبحانَ الغنيِّ عن كلّ شيءٍ ولا شيءٍ من الأشياءِ يغني عنه !

٩٩٨ - يا الله يارحمَنُ يارحيمُ يا حيُّ يا قيُّومُ يا بديعُ السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام اعفُ عَنِّي^(١).

وهذا حينَ انتهاء قولنا في شرح نهج البلاغة ، ولم ندرك ما أدركناه منه بقوتنا وحوْلنا ، فإنَّ عاجزون عمَّا هو دُونه ، ولقد شرعنا فيه وإنه لني أنفسنا كالطَّودِ الأَمْسِ تَزِلُّ الوُعوْلُ العُصْمُ^(٢) عن قَدَّاتِهِ^(٣) ، بل كالفلَكِ الأطلس لا تبلغُ الأوهامُ والمَقُولُ إلى حدودِ غاياته ، فما زالتْ معونةُ الله سبحانه وتعالى تُسهِّلُ لنا حَزَنَه ، وتذلِّلُ لنا صَعْبَه ، حتَّى أصحَبَ أبِيه ، وأطاعَ عَصِيه ، وفَتَحَتْ علينا - بِحُسْنِ النِّيَّةِ وإخلاصِ الطَّوِيَّةِ - في تصنيفِهِ أبوابُ البركات ، وتيسَّرتْ علينا مطالب الخيرات ؛ حتَّى لقد كان الكلامُ ينثالُ علينا انثيالاً ، ويواتينا بديهةً وارتجالاً ، قَمَّ تصنيفُهُ في مدَّةٍ قدرها أربعُ سنينَ وثمانيةَ أشهرٍ ، وأولَّها غرَّةُ شهر رجب من سنة أربع وأربعين وستمائة . وآخرها سَنَخِ صفر من سنة تسع وأربعين وستمائة ، وهو مقدار مدَّةٍ خلافة أمير المؤمنين عليه السلام ، وما كان في الظنِّ والتقدير أنَّ الفراغَ منه يقعُ في أقلَّ من عشرِ سنينَ ؛ إلَّا أنَّ الألفاظَ الإلهيةَ والعنايةَ السماويةَ ، شملتْنا بارتفاعِ العوائقِ ، وانتفاءِ الصَّوارفِ ، وشجَّذَتْ بصيرتنا فيه ، وأرهفتْ هممتنا في تشييدِ مبانيه ، وتنضيدِ ألفاظه ومعانيه .

وكان لسعادة المجلس المولوي المويدي الوزيري^(٤) أجرى الله بالخير أقلامه ، وأمضى

(١) كذا كان عدد هذه الحكم على حسب المخطوطات التي وقعت لدينا . وقد أشار المؤلف الى أنَّ عددها ألف ، وأمل هنا سقطاً ؛ أو أنَّ حكمتين قد امتزجتا بفعل النسخ ؛ ونرجو حينَ نتمِّ لينا نسخَ أخرى في الطبعة أن نصل إلى العدد الصحيح .

(٢) الوعل : تيس الجبل ، والأعصم منه ما في ذراعية أو أحدهما يابض وسائر أسود أو أحمر .

(٣) القذافات : جمع قذفة ؛ وهو ما أشرف رءوس الجبال .

(٤) هو مؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد بن العلقمي وزير المعتمد بالله . وانظر ترجمته في حواشي الجزء الأول ١ : ٤ .

فِي طُلَى الْأَعْدَاءِ حُسَامُهُ فِي الْمَعُونَةِ عَلَيْهِ أَوْفَرَ قِسْطٍ ، وَأَوْفَى نَصِيبٍ وَحْظٍ ؛ إِذْ كَانَ مَصْنُوعًا
يُخْرِزُ أَنْتَهُ ، وَمَوْسُومًا يَسِمْتَهُ ؛ وَلَآنَ هَمَّتْهُ أَعْلَاهَا اللَّهُ مَا زَالَتْ تَتَقَاضَى عِنْدَهُ بِإِتِمَامِهِ ، وَتَحْتُهُ
عَلَى إِنْجَازِهِ وَإِبْرَامِهِ ؛ وَنَاهِيكَ بِهَا مِنْ هَمَّةٍ رَاضَتْ الصَّعْبَ الْجَامِحَ ، وَخَفَّتِ الْعِبَاءَ
الْفَادِحَ ، وَبَسَّرَتْ الْأَمْرَ الْعَسِيرَ ، وَقَطَعَتْ الْمَدَى الطَّوِيلَ فِي الزَّمَنِ الْقَصِيرِ .

وَقَدْ اسْتَعْمَلْتُ فِي كَثِيرٍ مِنْ فُصُولِهِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِكَلَامِ الْمُتَكَلِّمِينَ . وَالْحِكْمَاءُ خَاصَّةً
أَلْفَافُ الْقَوْمِ ، مَعَ عَلِيٍّ بِأَنَّ الْعَرَبِيَّةَ لَا تُجِيزُهَا ، نَحْوُ قَوْلِهِمْ : الْحُسُوسَاتُ ، وَقَوْلِهِمْ :
الْكُلُّ وَالْبَعْضُ ، وَقَوْلِهِمْ : الصِّفَاتُ الذَّاتِيَّةُ ، وَقَوْلِهِمْ : الْجُسْمَانِيَّاتُ ، وَقَوْلِهِمْ : أَمَّا أَوَّلًا
فَالْحَالُ كَذَا ؛ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَخْفَى عَمَّنْ لَهُ أَدْنَى أَنْسٍ بِالْأَدَبِ ؛ وَلَكِنَّا اسْتَمَجَنَّا
تَبْدِيلَ أَلْفَافِهِمْ وَتَغْيِيرَ عِبَارَاتِهِمْ ، فَمِنْ كَلِمَةٍ قَوْمًا كَلِمَةً بِاصْطِلَاحِهِمْ ، وَمِنْ دَخَلَ ظَفَارٍ
سَجَرٍ (١) .

وَالنَّسْخَةُ الَّتِي بُنِيَ هَذَا الشَّرْحُ عَلَى نَصِّهَا أَتَمُّ نَسْخَةٍ وَجَدْتُهَا بِنَهْجِ الْبَلَاغَةِ ، فَإِنَّهَا
مَشْتَمِلَةٌ عَلَى زِيَادَاتٍ تَخْلُو عَنْهَا أَكْثَرُ النُّسخِ .

وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ يُبْعَدُ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَمِنْ كُلِّ خَاطِرٍ يَدْعُو إِلَى
الْخُرُوجِ عَنْ طَاعَتِهِ ؛ وَأَسْتَغْفِرُ إِلَيْهِ بِمَنْ أَنْصَبْتُ جَسَدِي ، وَأَسْهَرْتُ عَيْنِي ، وَأَعْمَلْتُ
فِكْرِي ، وَاسْتَغْفِرُ طَائِفَةً مِنْ عَمْرِي ، فِي شَرْحِ كَلَامِهِ ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ بِتَعْظِيمِ
مَنْزِلَتِهِ وَمَقَامِهِ ، أَنْ يَمُنَّ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ ، وَأَلَّا يَبْتَلِيَنِي فِي الدُّنْيَا بِلَاءٌ تَعْجِزُ عَنْهُ
قُوَّتِي ، وَتَضَعُفُ عَنْهُ طَاقَتِي ، وَأَنْ يَصُونَ وَجْهِي عَنِ الْخُلُوقِينَ ، وَيَكْفَ عَنِّي عَادِيَّةُ
الظَّالِمِينَ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَحْدَهُ وَصَلَوَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ
وَأَلِهِ وَسَلَّمَ !

﴿ آخِرُ الْجُزْءِ الْعَشْرِينَ تَمَّ الْكِتَابُ ﴾

(وَبَقِيَ الْحَمْدُ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ حَمْدًا دَائِمًا لَا انْقِضَاءَ لَهُ وَلَا نِفَادَ لَهُ آمِينَ)

(١) ظَفَارٌ : قَرِيَّةٌ بِالْيَمَنِ . وَحَرَرْتُ : تَكَلَّمَ بِالْخَمِيرَةِ ؛ وَهُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ الرَّجُلَ يَدْخُلُ فِي الْقَوْمِ فَيَأْخُذُ بِرِجْلِهِمْ
(الْمِيدَانِ ٢ : ٣٠٦) .

فَهْرَسْتُ الْمَوْضُوعَاتِ

صفحة

٢٥١-٣	تابع ماورد من حكمه عليه السلام ومختار أجوبة مسائله وكلامه
١٠-٨	المغيرة بن شعبة
٣٥-١٠	إيراد كلام لأبي المعالي الجويني في أمر الصحابة ، والرد عليه
٣٨-٣٥	عمار بن ياسر وطرف من أخباره
٤٤-٤١	نكت في العقل وما قيل فيه
٦٠-٥٧	فصل في الاستغفار والتوبة
١٤٩-١٠٣	عبد الله بن الزبير وذكر طرف من أخباره
١٥١-١٥٠	فصل في الفخر وما قيل في النهي عنه
١٥٤-١٥٣	في مجلس على بن أبي طالب
١٧٣-١٥٥	اختلاف العلماء في تفضيل بعض الشعراء على بعض
٢١٤-١٨٧	فصل في ألفاظ الكنايات وذكر الشواهد عليها
٢١٧-٢١٥	حديث عن امرئ القيس
٢٢٦-٢٢١	فصل فيما قيل في التفضيل بين الصحابة
٢٣٢-٢٣٠	مختارات مما قيل من الشعر في الشيب والخضاب
٢٤٣-٢٣٣	نبذ وحكايات حول العفة
٣٤٩-٢٥٥	الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين على بن أبي طالب

مراجع التحقيق في جميع الأجزاء

- إتحاف فضلاء البشر للدمياطى : (حنفى ١٣٥٩) .
إحياء علوم الدين للغزالي : (نشرة المكتبة التجارية) .
أخبار أبي تمام للصولى : (طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٦) .
أخبار الحكماء للقفطى (ليبزج ١٩٠٣) .
الأخبار الطوال لابن قتيبة : (عيسى الحلبي ١٩٦٠ م) .
أدب الكاتب لابن قتيبة : (السلفية ١٣٤١) .
أسباب النزول للواحدى : (مطبعة هندية ١٣١٥) .
الاستيعاب لابن عبد البر : (نهضة مصر ١٣٨٠) .
أسد الغابة في أسماء الصحابة ، لابن الأثير : (المطبعة الوهية ١٢٨٦) .
الأشباه والنظائر للسيوطى : (حيدر آباد ١٣١٦) .
الاشتقاق لابن دريد : (مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٨ م)
الإصابة في أسماء الصحابة لابن حجر : (نشرة المكتبة التجارية ١٩٣٩ م)
الأصمعيات : (دار المعارف ١٣٧٠)
إعجاز القرآن للباقلانى : (دار المعارف ١٩٥٤ م)
الأغانى لأبى الفرج الأصفهاني : (مطبعة التقدم ١٣٢٣ م ، ومطبعة دار الكتب المصرية^(١) ومطبعة الثقافة ببيروت)
الاعتضاب لابن السيد البطليوسى : (بيروت ١٩٠١ م)
الألفاظ المعربة لأدى شير : (بيروت ١٩٠٨ م)
أمالى ابن الشجرى : (حيدر آباد ١٣٤٩)
أمالى القالى : (دار الكتب ١٣٤٤)

(١) عند عدم الإشارة للطبعة .

- أمالى المرتضى : (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٤ م)
 أمالى اليزيدى : (حيدر آباد ١٣٦٩)
 الإمامة والسياسة لابن قتيبة : (مطبعة النيل ١٣٢٢)
 إنباه الرواه على أنباه النحاة للقفطى : (مطبعة دار الكتب ١٩٥٠ م)
 أنساب الأشراف للبلاذرى : (دار المعارف ١٩٥٩ م)
 إيمان أبى طالب : النجف ١٩٥٦ م - ضمن مجموعة نفائس المخطوطات
 البداية والنهاية لابن كثير : (السعادة ١٣٢٨)
 بغداد ، لأحمد بن طاهر المعروف بابن طيفور : (عزت العطار ١٣٦٨)
 البيان والتبيين للجاحظ : (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٠ م)
 تاج العروس للمرتضى الزبيدي : (القاهرة ١٣٠٦) .
 تاريخ الطبرى : (الحسينية ، ١٣٢٦ ، دار المعارف)
 تاريخ ابن الأثير = الكامل
 تاريخ بغداد للخطيب البغدادى : (مطبعة السعادة ١٣٤٩)
 تاريخ المسعودى = مروج الذهب
 تاريخ ابن الوردى : (المطبعة الوهبة ١٢٨٥) .
 التبيان فى شرح الديوان للمكبرى : (مصطفى الحلبي ١٣٥٥)
 تبين كذب المفترى لابن عساكر : (دمشق ١٣٤٧)
 تفسير ابن كثير : (عيسى الحلبي) .
 تقديم أبى بكر لابن حجة الحوى : (المطبعة الخيرية ١٣٠٤)
 تكملة الفرر والدرر للشريف المرتضى : (مطبعة عيسى الحلبي ١٦٥٤ م) .
 تلخيص جمع الآداب لابن الفوطى : (مصورة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية)
 تنزيه الأنبياء ، للشريف المرتضى : (المطبعة الحيدرية بالنجف ١٣٥٢ هـ) .
 تنقيح المقال فى أحوال الرجال لعبد الله المامقانى : (طبع المجمع ١٣٤٩)

تهذيب التهذيب لابن حجر : (طبع الهند ١٣٢٥)
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للشمس المحمدي تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم
(مطبعة مدني سنة ١٩٦٥ م)

- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي : (طبع دار الكتب)
الجامع الصحيح للترمذي : (بولاق ١٢٩٢)
الجامع الصحيح للبخاري : (مطبعة عيسى الحلبي)
الجامع الصغير للسيوطي : (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٥ م .)
جمهرة أشعار العرب : (بولاق ١٣٠٨)
جمهرة الأمثال للعسكري - على هامش مجمع الأمثال : (المطبعة الخيرية ١٣١٠ هـ)
جمهرة الأنساب لابن حزم : (دار المعارف ١٩٦٢)
حاشية البكري على متن الرحبية ، في الفرائض : (طبع مصر سنة ١٣١٠)
حلية الأولياء لأبي نعيم : (مطبعة السعادة ١٩٣٣ م)
الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة : (طبعة المكتبة العربية ببغداد)
الحيوان للجاحظ : (مصطفى الحلبي ١٣٥٧)
خزانة الأدب للبغدادى : (بولاق ١٢٩٩)
درة الأسلاك في دول الأتراك لابن حبيب الحلبي (مصورة دار الكتب رقم ٦١٧٠ ح)
درة الفواصم للحريزي : (الجوائب ١٣٥٠)
ديوان الأخطل : (بيروت ١٨٩١ م)
ديوان أبي الأسود الدؤلي - ضمن مجموعة نفائس المخطوطات : (بغداد ١٩٥٤ م)
ديوان الأعشى : (فينا ١٩٢٧ م)
ديوان امرئ القيس : (دارالمعارف ١٩٥٨ م)

- ديوان أوس بن حجر : (دار صادر بيروت سنة ١٩٦٠ م)
- ديوان البحترى : (هندية ١٩١١ م)
- ديوان بشار بن برد : (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٠ م)
- ديوان بشر بن أبي خازم : (دمشق ١٩٦٠)
- ديوان أبي تمام : (دار المعارف بمصر ١٩٥١ م ، بيروت ١٣٢٣ هـ)
- ديوان تميم بن المعز : (طبعة دار الكتب)
- ديوان جرير : (مطبعة الصاوى ١٣٥٣)
- ديوان جميل : (دار مصر للطباعة)
- ديوان حاتم الطائي - ضمن مجموعة خمسة دواوين : (المطبعة الوهبية ١٢٩٣ هـ)
- ديوان حسان بن ثابت : (الرحمانية ١٩٣٩ م)
- ديوان الخطيئة : (التقدم بالقاهرة)
- ديوان الحماصة : (بشرح التبريزي : مطبعة حجازي بالقاهرة ١٩٣٨ م ، بشرح المرزوقي :
لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦١ م)
- ديوان حميد بن ثور : (مطبعة دار الكتب)
- ديوان ابن حيوس : (المجمع العلمى بدمشق)
- ديوان الخنساء : (المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٨٩٦ م)
- ديوان دعبل الخزاعي : (النجف ١٩٦٢ م)
- ديوان أبي داود الإيادي : (بيروت ١٩٥٩ م)
- ديوان ذى الرمة : (كمبرج ١٩١٩ م)
- ديوان ابن الرومي : (مخطوطة دار الكتب رقم ١٣٩ - أدب)
- ديوان زهير بن أبي سلمى : (طبع دار الكتب ١٣٦٣ هـ)

- ديوان سحيم عبد بنى الحساس : (مطبعة دار الكتب) .
- ديوان السرى الرفاء : (القدس ١٣٥٥) .
- ديوان السموءل : (مطبعة المعارف ببغداد ١٩٥٥ م) .
- ديوان الشريف الرضى : (مصورة دار الكتب رقم ٢٦٣٢ از ، مطبعة نخبة الأخبار بالهند ١٣٠٦ ، المطبعة الأدبية ببيروت ١٩٠٧ م)
- ديوان الشريف المرتضى (تحقيق محمد رشيد الصفار) مطبعة عيسى الحلبي سنة ١٩٥٨ .
- ديوان الشنفرى - ضمن مجموعة الطرائف الأدبية ، (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧ م)
- ديوان الشماخ : (السعادة ١٣٢٧) .
- ديوان أبى طالب = غاية المطالب
- ديوان طرفة بن العبد : (فازان ١٩٠٩ ، الأنجلو ١٩٥٨ م)
- ديوان الطرماح : (ليون ١٩٢٧ م)
- ديوان العباس بن الأحنف : (مطبعة دار الكتب ١٩٥٤ م)
- ديوان عبيد بن الأبرص : (مصطفى الحلبي ١٩٥٧ م)
- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات . (بيروت ١٩٥٨ م)
- ديوان أبى العتاهية : (بيروت ١٩١٤ م)
- ديوان العجاج : (ليسك ١٩٠٢ م)
- ديوان العرجى : (بغداد سنة ١٩٥٦ م)
- ديوان عروة بن الورد - ضمن مجموعة خمسة دواوين : (المطبعة الوهبية ١٢٩٣ هـ)
- ديوان على بن الجهم : (الهاشمية بدمشق ١٩٤٩ م)
- ديوان عمر بن أبى ربيعة : (مطبعة السعادة ١٩٦٠ م)
- ديوان عنتر بن شداد من مجموعة العقد الثمين : (لندن ١٨٧٠ م)

- ديوان أبي فراس الحمداني : (بيروت ١٩٤٥ م)
 ديوان الفرزدق : (الصاري ١٣٥٤)
 ديوان قيس بن الخطيم : (مطبعة مدني ١٩٦٢ م)
 ديوان كعب بن زهير : (طبع دار الكتب المصرية)
 ديوان لبيد : (الكويت ١٩٦٢ م)
 ديوان المتنبي - بشرح العكبري : (مصطفى الحلبي ١٩٣٦ م)
 ديوان مجنون ليلى : (دار مصر للطباعة)
 ديوان المعاني للعسكري : (القاهرة ١٣٥٢)
 ديوان معن بن أوس المزني : (مطبعة النهضة ١٩٢٧ م)
 ديوان النابغة الجعدي ، بيروت ١٩٦٤ م
 ديوان النابغة الذبياني - ضمن مجموعة خمسة دواوين : (المطبعة الوهبية ١٢٩٣)
 ديوان أبي نواس : (العمومية ١٨٩٨ م)
 ديوان مهيार الديلمي : (طبع دار الكتب المصرية)
 ديوان ابن هاني الأندلسي : (دار المعارف ١٣٥٢ ، المطبعة الأميرية ١٢٧٤ هـ)
 ديوان الهذليين : (طبع دار الكتب المصرية)
 الذريعة إلى تصانيف الشيعة لمحمد محسن : (مطبعة النجف ١٩٣٦ م)
 الرجال للنجاحشي : (طبع المعجم ١٣١٧)
 رسائل أبي حيان التوحيدى : (دمشق ١٩٥١)
 الرسالة القشيرية : (الميمنية ١٣٣٠)
 رغبة الأمل من كتاب الكامل للمرصفي : (مطبعة النهضة ١٣٤٦)
 الروض الأنف للسهيلى : (الجالية ١٣٣٢)

- روضات الجنات لمحمد باقر الخوانسارى : (طبع العجم سنة ١٣٠٤)
 الرياض النضرة للمحب الطبرى : (المطبعة الحسينية ١٣٢٧)
 زهر الآداب للحصرى : (عيسى الحلبي سنة ١٩٥٣ م)
 سر الفصاحة للخفاجى : (الرحمانية ١٩٣٢ م)
 شرح العيون فى شرح قصيدة ابن زيدون لابن نباتة : (مطبعة الموسوعات ١٣٢١ هـ ،
 مدنى ١٩٦٣ م)
 سقط الزند : (مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٥ م)
 سلوان المطاع فى عدوان الأتباع : (تونس ١٢٧٩)
 سنن أبى داود : (مطبعة السعادة ١٩٥٠ م)
 السهيل = الروض الأنف
 سير أعلام النبلاء للذهبي : (مصورة دار الكتب رقم ١٢١٩٥ ح)
 سيرة ابن هشام : (مطبعة حجازى بالقاهرة ١٣٥٦ هـ)
 الشافى فى الإمامة للشريف المرتضى : (طبع العجم ١٣٠١)
 الشاهنامه للفردوسى : (مطبعة دار الكتب المصرية)
 شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى : (مكتبة القدسى سنة ١٣٥٠)
 شرح شواهد العيني-على هامش خزانة الأدب : (بولاق ١٢٩٩)
 شرح شواهد المغنى للسيوطى : (المطبعة البهية ١٣٢٢)
 شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : (مطبعة السعادة ١٩٤٧ م)
 شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحرانى : (طبع العجم ١٢٧٦)
 شروح سقط الزند للتبريزى والبطاوىسى والخوارزمى : (مطبعة دار الكتب ١٩٤٥ م)
 الشعر والشعراء لابن قتيبة : (عيسى الحلبي ١٣٦٤)

- شعراء النصرانية : (بيروت ١٩٢٦ م)
- شفاء الغليل للشهاب الخفاجي : (المطبعة للنيرية ١٩٥٢ م)
- صبح الأعشى للقلقشندى : (طبع دار الكتب)
- صاح الجوهري : (دار الكتاب العربي سنة ١٩٥٦ م)
- صحيح مسلم : (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٥ م)
- صفة الصفوة لابن الجوزي : (حيدر آباد ١٣٥٦)
- صفين لنصر بن مزانم : (مطبعة عيسى الحلبي ١٣٦٥ هـ)
- طبقات ابن سعد (بيروت)
- طبقات الشافعية للسبكي : (المطبعة الحسينية ١٣٢٤ هـ)
- طبقات الشعراء لابن سلام : (دار المعارف ١٩٥٢ م)
- طبقات الشعراء لابن المعتز : (دار المعارف ١٩٥٦)
- طبقات الصوفية للسلمى : (دار الكتاب العربي ١٩٥٣ م)
- طبقات فقهاء اليمن : (مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٧ م)
- طبقات النحويين واللغويين للزبيدي : (مطبعة السعادة ١٩٥٤ م)
- الطرائف الأدبية لعبد العزيز الميمنى : (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
سنة ١٩٣٧ م)
- العثمانية للجاحظ : (دار الكتاب العربي ١٩٥٥ م)
- العقد لابن عبد ربه : (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٠ هـ)
- العقد الثمين فى دواوين الشعراء الستة الجاهليين : (لندن ١٨٧٠ م)
- عقد الجمان للعيني : (مخطوطة دار الكتب ١٥٨٤ تاريخ)
- العلويات السبع لابن أبى الحديد : (العجم ١٣١٧)

- العمدة لابن رشيق : (مطبعة السعادة ١٩٥٥ م)
- عوارف المعارف للسهروردي - على هامش الإحياء : (نشرة المكتبة التجارية)
- عيون الأخبار لابن قتيبة : (مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٣)
- عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي : (مخطوطة دار الكتب ١٤٩٧ تاريخ)
- غاية الطالب من ديوان أبي طالب بشرح الأستاذ الخطيب : (طنطا ١٩٥١ م)
- غرر الخصائص الواضحة للموطا : (بولاق ١٢٨٤ هـ)
- الفاخر للفضل بن سلامة : (عيسى الحلبي ١٩٦٠ م)
- الفاضل المبرد : (مطبعة دار الكتب ١٩٥٦)
- الفائق في غريب الحديث والأثر : (مطبعة عيسى الحلبي ١٣٦٤ هـ)
- الفخرى في الآداب السلطانية لابن طباطبا : (مطبعة الموسوعات ١٣٤٧)
- الفرق بين الفرق للبغدادي : (المعارف ١٣٢٨)
- الفلك الدائر على المثل السائر لابن أبي الحديد : (طبع الهند ١٣٠٩) .
- فهرست ابن النديم : (ليبسك ١٨٧١ م)
- فوات الوفيات لابن شاكر : (مطبعة السعادة ١٩٥١ م)
- القاموس المحيط للفيروز آبادي : (المطبعة الحسينية ١٣٣٠ هـ)
- الكامل لابن الأثير - في التاريخ : (إدارة الطباعة المنيرية ١٨٤٨ هـ)
- الكامل المبرد : (ليبسك ١٨٦٤ م ، نهضة مصر ١٩٥٦ م)
- الكتاب لسيبويه : (بولاق ١٣١٦ هـ)
- الكشاف للزمخشري : (مطبعة الاستقامة ١٩٥٣ م)
- كشف الظنون لحاجي خليفة : (طبع إستانبول سنة ١٩٤٣ م)
- الكناية والتعريض للثعالبي : (مطبعة السعادة ١٩٠٨ م)

- اللاّلى لأبى عبید البکرى: (لجنة التألیف والترجمة والنشر ١٣٥٤هـ)
- لزوم مالا يلزم: (مطبعة الجمالية ١٩١٥ م)
- لسان العرب لابن منظور: (المطبعة الأميرية ١٣٠٠ هـ)
- لسان الميزان لابن حجر: (طبع الهند ١٣٢٩ هـ)
- ماهو نهج البلاغة ، للسيد هبة الله الشهرستاني: (مطبعة العرفان بصيدا)
- مجمع الآداب لابن القوطى: (ترجمة ابن أبى الحديد فى ذيل الجزء الرابع من شرح نهج البلاغة طبعة الحلبي سنة ١٣٢٩ هـ)
- المثل السائر لابن الأثير: (مصطفى الحلبي ١٣٥٨ هـ)
- مجمع الأمثال للميداني: (مطبعة السنة الحمديّة ١٩٥٥ م)
- مجموعة خمسة دواوين: (المطبعة الوهبيّة ١٢٩٣)
- مجموعة المعاني: (الجوائب ١٣٠١)
- الحجاسن والمساوى للبيهقي: (نهضة مصر ١٩٦١ م)
- محاضرة الأبرار لابن عربى: (مطبعة السعادة ١٩٠٦ م)
- محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني: (الشرقية ١٣٢٦ هـ)
- المختار من شعر بشار للخالديين: (الاعتماد ١٣٥٣ هـ)
- مختارات ابن السجري: (الاعتماد ١٩٢٥ م)
- مرآة الجنان لليافعى: (طبع الهند ١٣٣٤ هـ)
- مرصد الاطلاع لعبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى: (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٤ م)
- مروج الذهب للمسعودى: (مطبعة السعادة ١٩٤٨ م)
- المشتبه فى أسماء الرجال للذهبي: (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٦٢ م)
- المعارف لابن قتيبة: (مطبعة دار الكتب ١٩٦٠ م)

- معاني الشعر لابن قتيبة : (طبع الهند سنة ١٩٤٩ م)
 معاهد التنصيص للعباسي : (مطبعة السعادة ١٩٤٧ م)
 المعتمد لابن رسول الفسائي : (المطبعة الميمنية ١٣٢٧ هـ)
 معجم الأدباء لياقوت : (نشرة دار المأمون ١٩٣٦ م)
 معجم البلدان لياقوت : (مطبعة السعادة ١٣٢٣ هـ)
 معجم الشعراء للهرزباني : (عيسى الحلبي ١٩٦٠ م)
 معجم ما استعجم للبكري : (لجنة التأليف ١٣٦٤ هـ)
 العلاقات - بشرح التبريزي : (مطبعة مدني ١٩٦٢ م)
 مغازي الواقدي : (برلين ١٨٨٢ م)
 مغني الليب لابن هشام : (نشرة المكتبة التجارية)
 المفردات لابن البيطار : (طبع بولاق)
 المفضليات : (دار المعارف بمصر ١٩٥٢ م)
 مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني : (مطبعة عيسى الحلبي ١٣٦٨ هـ)
 مقاييس اللغة لابن فارس : (عيسى الحلبي ١٣٦٨ هـ)
 مقصورة ابن دريد : (مصر ١٣١٩ هـ)
 الملل والنحل للشهرستاني : (مطبعة نعيم ١٩٥٦ م)
 المنتخب من كفايات الأدباء للجرجاني : (مطبعة السعادة ١٩٠٨ م)
 المنتظم لابن الجوزي : (طبع الهند ١٣٥٧ هـ)
 المنهاج لابن جزلة الطيب : (مخطوطة دار الكتب برقم ١٠٧ - طب)
 المؤلفات والمختلف للآمدي : (عيسى الحلبي ١٩٦١ م)
 الموشح للهرزباني : (السلفية ١٣٤٣)

- النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى : (مطبعة دار الكتب ١٣٤٨) .
- نزهة الألباء لابن الأنبارى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (مطبعة مدنى) .
- نسب قریش للمصعب بن عبدالله الزيرى : (دار المعارف ١٩٥٣ م)
- نسمة السحر فى ذكر من تشيع وشعر ، ليوسف بن يحيى الصنعائى : (مصورة دار الكتب رقم ١٣٨٤٩ ح) .
- نقائض جرير والفرزدق : (ليدن ١٩٠٥ م) .
- النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية لعامة اليمنى : (باريس ١٨٩٧ .
- نهاية الأرب للنويرى : (طبع دار الكتب) .
- النهاية فى غريب الحديث والأثر لأبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى المعروف بابن الأثير (المطبعة العثمانية ١٣١١)
- نهج البلاغة - شرح محمد أبو الفضل إبراهيم (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٦٣ م)
- نوادر أبى زيد : (بيروت ١٣٤٤)
- الهاشميات للكميت : (شركة التمدت ١٣٣٠)
- الوحشيات (أو الحماسة الصغرى) لأبى تمام - دار المعارف ١٩٦٣
- وفيات الأعيان لابن خلكان : (المطبعة الميمنية ١٣١٠) .

